

بسم الله الرحمن الرحيم

# الثقافة التقليدية
# في المملكة العربية السعودية

5

## الفلاحـــــة







# الثقافة التقليدية
# في المملكة العربية السعودية

**الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م**



**فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**
**الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية**
**ط١.- الرياض.**
٦٣٠ ص ١٨ × ٢٥سم
ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٠-٣٢-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ٥)
١- السعودية - الثقافة
ديوي ٣٠١,٢٩٥٣١ ٢٠/٣٧٢٥

رقم الإيداع: ٢٠/٣٧٢٥
ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٠-٣٢-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ٥)

**الناشر: دار الدائرة للنشر والتوثيق**
ص. ب ٨٦٧١٣، الرياض ١١٦٣٢
المملكة العربية السعودية
فاكس ٤٥٠٤٩٧٥

**Traditional Culture of Saudi Arabia**

Published by The Circle for Publishing & Documentation
P. O. Box 86713, Riyadh 11632
Kingdom of Saudi Arabia
Fax. 4504975



تم إنجاز هذا العمل وطباعته ونشره

بتوجيه ورعاية من صاحب السمو الملكي

# الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود







# الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية

**المشرف العلمي ورئيس هيئة التحرير**

د. سعد العبدالله الصويان

**المستشار العام**

سلطان بن خالد بن أحمد السديري

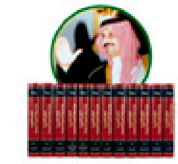


## المشاركون في التأليف

| | |
|---|---|
| د. أحمد بن حمد الفرحان | (الحيوان، النبات) |
| د. أحمد بن عمر الزيلعي | (الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية) |
| د. أسامة بن محمد نور الجوهري | (العمارة) |
| د. جابر بن سالم موسى | (الطب والعطارة) |
| د. حميد بن إبراهيم المزروع | (الآثار، المواقع الأثرية) |
| د. خليل بن إبراهيم المعيقل | (المواقع الأثرية) |
| د. سالم بن أحمد طيران | (الآثار) |
| د. سعد بن عبدالعزيز الراشد | (الآثار، المواقع الأثرية) |
| د. سعد بن عبدالعزيز السعران | (الألعاب) |
| د. سعد العبدالله الصويان | (الإبل، القنص والصيد) |
| د. سعود بن سليمان ذياب | (الآثار، المواقع الأثرية) |
| سلطان بن خالد بن أحمد السديري | (الإبل، الحيوان، القنص والصيد، المعارف الجغرافية، النبات) |
| د. سليمان بن محمد الذييب | (الآثار، المواقع الأثرية) |
| د. صالح العلي الهذلول | (العمارة) |
| عبدالرحمن بن زيد السويداء | (الإبل، القنص والصيد) |
| د. عبدالرحمن بن سعود الهواوي | (الإبل، القنص والصيد) |
| د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري | (الآثار، المواقع الأثرية) |
| عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع | (الإبل، الطب والعطارة، العمارة) |
| د. عبدالرحمن بن محمد العسيري | (الألعاب) |
| د. عبدالرحمن بن محمد عقيل | (الطب والعطارة) |
| د. عبدالعزيز بن سعود الغزي | (الآثار، المواقع الأثرية) |
| د. عبدالكريم بن عبدالله الغامدي | (الآثار، المواقع الأثرية) |
| د. عبدالله بن إبراهيم العمير | (الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية) |
| عبدالله بن أحمد السيف | (الإبل، المعارف الجغرافية) |
| د. عبدالله بن آدم نصيف | (الآثار، المواقع الأثرية) |



| | |
|---|---|
| د. عبدالله بن حسين الخليفة | (الألعاب) |
| د. عبدالله بن حمد الخلف | (الفلاحة) |
| د. عبدالله بن عبدالرحمن الدوسري | (الآثار، المواقع الأثرية) |
| د. عبدالله بن سالم الزهراني | (الفلاحة) |
| د. عبدالله بن محمد الشيخ الأنصاري | (الحيوان، النبات) |
| د. عبدالله بن ناصر الوليعي | (المعارف الجغرافية) |
| د. عبدالله بن يوسف الغنيم | (المعارف الجغرافية) |
| د. عساف بن علي الحواس | (المعارف الجغرافية) |
| د. علي بن إبراهيم حامد غبان | (الآثار، الثقافة البحرية، الحرف والصناعات) |
| م. علي بن محمد الشعيبي | (العمارة) |
| د. عوض بن متيريك الجهني | (الحيوان، النبات) |
| د. فوزان بن عبدالرحمن الفوزان | (الفلاحة) |
| د. محمد بن حسن صالح البراهيم | (العمارة) |
| د. محمد بن خالد السعدون | (الحيوان، النبات) |
| محمد بن سعود الحمود | (المواقع الأثرية) |
| د. محمد بن عبدالعزيز اليحيى | (الطب والعطارة) |
| محمد بن عبدالله الشواطي | (المواقع الأثرية) |
| د. محمد بن عبدالله الصالح | (العمارة) |
| د. معراج بن نواب مرزا | (المعارف الجغرافية) |
| د. منصور بن سليمان السعيد | (الطب والعطارة) |



## المراجعون

إبراهيم بن عبدالله الخميس
أحمد بن حامد الغامدي
د. حسن بن عايل أحمد يحيى
د. خليل بن إبراهيم المعيقل
راشد بن محمد الحمدان
سعد بن عبدالله البراك
د. سعيد بن فالح الغامدي
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
سلمان الأفنس ملفي الشراري
سلمان بن سلامة محمد الهلالي
صالح بن عبدالله العبودي
صالح بن محمد الخليفة
عبدالحميد بن مهدي أبو السعود
عبدالرحمن بن زيد السويداء
د. عبدالرحمن بن فريح العفنان
عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع
عبدالرحيم بن مطلق الأحمدي
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
د. عبدالله بن أحمد سعد الطاهر
د. عبدالله بن محمد البداح
عبدالله بن محمد المنيف
علي بن صالح السلوك الزهراني
علي بن محمد الحبردي
د. لويزا بولبرس
محمد بن إبراهيم الميمان
محمد حسين بنونة
د. محمد الصالح الربدي
د. محمد الصالح الشنيفي
محمد بن صالح البليهشي
د. محمد بن عبدالله النويصر
محمد بن عبدالله الحمدان
محمد بن علي حسن آل ناصر
د. مشلح بن كميخ المريخي المطيري
هزاع بن عيد الشمري
د. يوسف بن محمد فادن

## استشارات علمية وفنية

د. إياد عبدالوهاب نادر
د. سعيد زغلول البسيوني
د. شوكت علي شودري
صالح بن عبدالله العزاز
عثمان لولن
د. مصطفى عبدالله شيحة

## الرسامون والمصورون

بسام مصطفى أحمد
حمزة عبدالله النميري
روبرتو ميدينا
رولاند ميدينا
صلاح الدين الأمين
عبدالرؤوف محمد جمعة
غالب خاطر
محمد بن حسين بنونة



## مصادر الصور

- **دار الـدائرة لـلنـشـر والتـوثيـق**
- **المشاركـون فـي الـتـألـيـــف**
- **الـهـيـئـات:**

شركة أرامكو السعودية
مكتبة الملك فهد الوطنية
الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض
الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها

- **المطبوعـات:**

**أطلس المياه**، وزارة الزراعة والمياه
**الغطاء النباتي للمملكة العربية السعودية**، وزارة الزراعة والمياه.
**الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً**، مجموعة بن لادن السعودية.

- **الأفـــــراد:**

بسام مصطفى أحمد
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
صالح بن عبدالله العزاز
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
عبدالله بن محمد المنيف
عثمان لولن
د. محمد بن عبدالله الصالح
محمد بن حسين بنونة
د. يوسف بن محمد فادن







# تنبيه

هذه هي الطبعة الأولى من مشروع الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية. لقد بذلت دار الدائرة للنشر والتوثيق كل ما في وسعها لتخرج مجلدات المشروع على الشكل الذي يرضى عنه القارئ. إلا أن الثقافة ميدان فسيح من ميادين المعرفة وموضوع متداخل متشعب يصعب الإلمام به وحصره بين دَفّتَي مجلد أو عدد من المجلدات. إن مشروعاً بهذه الشمولية وهذا الطموح وهذا التعقيد يحتاج إنجازه بالشكل الصحيح إلى عقود عديدة وأجيال متعاقبة وطبعات متوالية لسد النقص وردم الثغرات وتصحيح الخطأ وتطوير المنهج وتلافي مختلف أوجه القصور. وأياً كان الأمر، يبقى عمل الإنسان ناقصاً مهما بذل من جهد لإتمامه، فالبدايات دائماً صعبة وشاقة. لذا فنحن بقدر ما نستدر عطف القراء ونأمل منهم الصفح عن الهفوات والأخطاء، فإننا، في عمل ضخم كهذا، بأمس الحاجة إلى آرائهم ونرحب بكافة ملاحظاتهم وتصويباتهم حتى يمكن الاستفادة منها في طبعات لاحقة.

كما نلفت الانتباه إلى أننا أوردنا في نهاية كل مجلد قائمة بالمصادر ذات الصلة بموضوع المجلد والتي تم الاعتماد عليها والتي يمكن للقارئ الرجوع إليها للاستزادة. لكننا، جرياً على العادة المتبعة في تأليف الموسوعات، حاولنا التخفيف قدر الإمكان من الإحالات إلى المراجع داخل النص واقتصرنا في ذلك على الحد الأدنى والضروري. أما تلك المصادر التي ترتب مادتها هجائياً مثل كتب الأمثال ومعاجم البلدان والقواميس فإننا أغفلنا الإحالة إليها داخل النص لعدة أسباب أهمها تعدد طبعاتها واختلاف الناشرين وسنوات النشر لكل طبعة ولأن مادة هذه المصادر مرتبة ترتيباً هجائياً يجعل من السهل على القارئ تتبع موادها والعثور على بغيته فيها دون أن نشير له إلى رقم الصفحة.



# المحتويات













# تمهيد

كانت الـزراعة قديماً تمثل لـمتهنيـها المصدر الرئيسي للعيش، ولم تكن هناك مهنة أخرى تنافسها، إلا مهنة الرعي التي كانت تزاولها شريحة أخرى من المجتمع، ويُمثل الرعي أيضاً مصدراً لبقائها. كانت الزراعة تمثل الغذاء والملبس ومكان الإقامة فـي وقت واحـد. وكـان الهـدف مـن الزراعة، بشكل عام، هو الاكتفاء الذاتي وليس المتاجرة. وكان المزارع ينتج ويخزّن لأن الظروف المناخية والأوضاع السياسية والاقتـصادية غيـر مستقـرة. فقد يحـل جفاف لمـدة سنة أو أكثـر، ولذلك كان لابد من الـتخزين واتخـاذ الاحتياطـات اللازمة لمواجهة مثل تلك الظروف. وكان المزارع يدرك أنه حتى لو باع من مخزونه شيئاً كثـيراً، وتوافرت لديه السيـولة فإن الحبـوب والتـمور، قـد لا تتـوافر فـي الأسواق عـندمـا يكون الجـدب شامـلاً للـمناطـق المجاورة. كما أن الاسـتيراد والاتصال بالمناطق البعيدة لم يكن ميسوراً كما هو عليه الآن.

فالمـزرعة هي المكـان الذي يقـطنه المزارع ويوفر له منزلاً. وعندما يخـطط المزارع لبناء مـنزل جديد أو إضافة دورْ أو أكثـر فإن ذلك يـستـغرق منـه عدة سنوات. فـهو يبيـع سنوياً مقـداراً من مخـزونه ليـوفره لبـناء مسـكنه، كمـا يستـخدم بعض الأشجـار المزروعة في عملية الـبناء سواءً في التسقيف أو فـي عمـل الأبواب والـنوافذ، فـضلاً عـن استغـلاله بعض أشـجار الغابات مـثل العرعر والسدر والزيتون.

كما كانت الزراعة تعني أيضاً توفير الملبـس، فالمزارع وأهل بـيته يكـتسون مرتين في الـعام في كثير من المـناطق، وهذا يـتم مـن خلال بـيع ما يـغطـي مصاريف الكسـاء واللوازم أو الحاجات الضرورية المحدودة التي لا ينتجها. وكان





يبيع من إنتاجه ليوفر ما يشتري به بعض الأدوات الزراعية، بينما يصنع بعضها بنفسه من أشجار يزرعها أو يحرص على حمايتها. وكان يبيع أيضاً من إنتاجه ليشتري بعض الحيوانات التي تسانده في عملياته الزراعية. ومن الزراعة يتصدق ويكرم الضيف. فالمزارع بامتلاكه لأراضٍ زراعية يكون باستطاعته أن يستدين وأن يرهن بعض أراضيه الزراعية، ومن إنتاجه الزراعي يغذي حيواناته كالأبقار والإبل والحمير والأغنام.

كانت الزراعة في ذلك الوقت تعد بحق المصدر الاقتصادي الأول، ليس للمزارع فحسب؛ ولكن لجميع المهن التي كانت سائدة، ويمارسها أفراد المجتمع. فالصناع؛ ومنهم الحدادون والنجارون مثلاً، لا بقاء لهم بدون المزارع، لأن الحدّاد كان ينتج في الغالب ما يستخدمه المزارع أو يصلح ما لديه من أدوات حديدية، ويأخذ مقابل عمله مالاً حيناً، أو منتجات زراعية أحياناً أخرى. وهذه الكميات قد تكون مشروطة في قدرها، أو أنها مما يجود به المزارع على الحدّاد دون شرط. أما النجّار، الذي كان مزارعاً في الأصل في بعض المناطق، فكان يتقاضى نقداً لشراء اللوازم الخشبية. وعلى الرغم من أن مهنة الرعي كانت مهنة رئيسية وكانت نسبة سكان البادية عالية، إلا أنهم لم يكونوا في غنى عن المزارع، كما أن المزارع لم يكن يستغني عن منتجات البادية مع أن الكثير من المزارعين كانوا يربون قليلاً من الحيوانات. وكان سكان البادية يشترون بعض ما يحتاجونه من الأسواق أو يقايضون منتجاتهم بمنتجات زراعية مع المزارعين.

إن التوجه العام في هذا المجلد هو إبراز أساليب الزراعة التقليدية في المملكة العربية السعودية بمختلف جوانبها؛ من مواقع زراعية مشهورة، وأدوات زراعية تقليدية، وأساليب ري متنوعة، وإنتاج محاصيل متعددة. فضلاً عن العوامل الطبيعية المؤثرة في الزراعة التقليدية، وما صاحب ذلك من حيازة وامتلاك للأراضي، وحرف أو مهن مصاحبة وملازمة للزراعة، وأشعار وأمثال عبرت بصدق عن مدى أهمية التراث في مجال الزراعة التقليدية، وعكست في الوقت نفسه تسجيلاً وافياً لكل ما يتعلق بالزراعة وعمل الفلاح في الفترات الماضية. على أنه يقصد بالزراعة التقليدية ممارسة الزراعة بطرق تقليدية، تعتمد على الطاقات الجسدية والصناعات اليدوية للأدوات الزراعية المختلفة، وكذلك استخدام بعض الحيوانات في العملية





الزراعية من دون استخدام الآلات الحديثة.

ومثل هذا الموضوع يندر أن توجد له مصادر أو مراجع مكتوبة، ويظل من بقي من كبار السن على قيد الحياة هم المصدر الأول والحقيقي للمعلومات في هذا الموضوع. ومن هنا كان للدراسات الميدانية، من مقابلات وتسجيلات من مناطق مختلفة في المملكة، أهمية قصوى في هذا العمل. ولا شك أن هذا المجلد سيقدم للأجيال القادمة سجلاً وافياً بنشاطات الآباء والأجداد، ومدى ما تحملوه من عناء وصبر، وتغلب على الأحوال والأجواء الطبيعية في المناطق الزراعية المختلفة من المملكة، فضلاً عن توضيح ذلك الجهد الكبير الذي بذلوه، وكانت ثمرته استمرار الحياة وتواصلها.

ولقد اعتمدنا في هذا المجلد على الجوانب الميدانية التي شملت كل ما يتصل بالزراعة التقليدية في مظاهرها المتعددة. ومن ثم فإنه يقدم للقارئ، المتخصص وغير المتخصص، معظم المعلومات المطلوبة عن هذا الموضوع.

لقد أصبحت الزراعة التقليدية موروثاً تراثياً كغيرها من الموروثات التقليدية في جوانب الحياة المختلفة، كما يمكن اعتبارها موروثاً تاريخياً. وكان لا بد من تسجيل هذا التراث وتوثيقه، على الأقل خلال الحقب القريبة الماضية من عصر الآباء والأجداد، إذ إن التغيرات الموغلة في القدم لا توجد عنها كتابات توثيقية كافية عن أساليب الزراعة وأدواتها. وحتى إن وجدت بعض الكتابات فهي تُعنى بالمنتجات فقط وبشكل مختصر ومقتضب، وكذلك بعض أسماء المواقع التي كانت مشهورة بالزراعة. فالطرق الزراعية وأدواتها لم يسجل عنها في الأزمنة القديمة شيء يستحق الذكر، لذلك نجد فترات متعاقبة ليس للزراعة فيها تسجيل أو توثيق جيد.

يبدأ المجلد بالحديث عن تأثير العوامل الطبيعية على المناطق الزراعية، وتَتَبُّع مناطق الزراعة التقليدية في المملكة، في تهامة والسهل الساحلي، وجبال السراة، وفي وسط المملكة وشمالها، وفي منطقة الأحساء، ثم عرض للعوامل الطبيعية المؤثرة في الزراعة، كالبناء الجيولوجي والتضاريس والتربة، وكذلك المناخ الذي كان له أثره الكبير في الزراعة.

وتحدثنا عن البروج في الزراعة من خلال الحديث عن أهميتها وارتباطها الوثيق بنشاطات الفلاح المتنوعة. ودل هذا الارتباط، على متابعاته، منذ القدم،






لنظام البروج في السماء، ومراقبته للظواهر الطبيعية التي تعوَّد عليها واستدل بها وفق نظام الزراعة في السنة القمرية والسنة الشمسية، وكذلك بالنسبة لفصول السنة. كما كان لمطالع ومنازل النجوم عند الفلاح دلالات كبيرة عند ظهورها، حيث ارتبطت زراعاته بها.

وتحدثنا عن ملكية الأرض وإعدادها للزراعة؛ مثل أنماط الملكية الزراعية التي كانت سائدة في السابق، وما يتعلق بها من حقوق للملكية والحيازة، ونظام توزيع المياه والاستزراع وتوزيع المزارع. وقد احتلت أحكام الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية أهمية خاصة في تحديد أشكال الملكية لكل من الأراضي الزراعية والمراعي، مع تباين كل منطقة عن المناطق الأخرى. كما اشتمل هذا المجلد أيضاً على أنواع الملكية بمختلف أنماطها، إضافة إلى أساليب توثيق وتحديد الملكية الزراعية وطرق حل الخلافات والنزاعات بين المزارعين، فضلاً عن أسلوب التعامل بين المزارعين والمستأجرين، ومساحة الحيازات الزراعية والإمكانات المتوافرة فيها والدلالات الاجتماعية لمساحة المزرعة.

ولم نغفل الحديث عن مصادر الري بما في ذلك الأمطار والعيون حيث تتباين كمية الأمطار من منطقة إلى أخرى. ثم تطرقنا إلى الري من العيون والينابيع في الأحساء والقطيف وفي المنطقة الوسطى وفي المدينة المنورة وينبع.

ثم استكملنا الحديث عن موضوع الري من الآبار لما له من أهمية كبيرة في الزراعة، ويشمل ذلك الحديث عن تحديد مكان البئر وطيها وأدوات الحفر المعتمد عليها في هذا الشأن وعملية السني ونظام الري وتوزيع الماء داخل المزرعة والمشاركة في ملكية البئر وصيانتها.

كما تحدثنا عن الأدوات التي استخدمت في الزراعة وتسوية الأرض وري الزرع وحصاده ودياسته وتذريته حتى دق الحب وتخزينه. وتحدثنا عن الحبوب الشتوية وفي مقدمتها القمح والشعير، والحبوب الصيفية كالذرة والدخن، ومراحل العمل فيها حتى جني الثمار وحصاد المحصول، وتناولنا الحبوب الثانوية كالأرز والسمسم، وأخيراً الموازين والمكاييل التي استخدمت في كيلها ووزنها.

وتطرقنا إلى النخيل والمحاصيل الثانوية. ومن المعروف أن للنخيل أهمية قصوى في الغذاء، فقد كانت للنخلة، ومايزال، مكانة كبيرة لدى الفلاح. وبعد





الحديث عن مناطق النخيل وأنواعها وطرق زراعتها وخدمتها وأدوات الصعود إليها وجني ثمارها عرجنا على المحاصيل الثانوية التي اشتملت على الخضروات والفواكه والبقول والتوابل وأخيراً الأعلاف.

ولم نغفل الحديث عن الصناعات والحرف التقليدية المرتبطة بالزراعة من خلال الصناعات المعتمدة على النخيل، من خوص وجريد وليف وعذوق وجذوع، وكذلك الأشجار المحلية. ولم نغفل أيضاً الصناعات الجلدية والصوفية ثم الحرف المساندة لمهنة الزراعة كالنجارة والحدادة والخرازة والبناء، مع عرض لعلاقة الزراعة بالحِرَف الأخرى.

وتحدثنا عن الفلاح وأسلوب حياته وسكنه، وتوارث المهنة وعلاقته بالبادية. وكذلك عن عاداته وتقاليده وتمويل عملياته الزراعية.

وإضافة إلى اعتمادنا على المصادر المكتوبة فقد شكلت الدراسة الميدانية الركيزة الأساسية لدعم وتوثيق وسد النقص في المعلومات المكتبية، التي سجلت وحفظت في أوعية المعلومات المتخصصة، أو تلك التي جاءت كتوطئة للزراعة في المملكة العربية السعودية، بشكل خاص، أو لتاريخ المملكة، بشكل عام. ونظراً لأن موضوعاً كالزراعة التقليدية، يقتضي جمع شتات القضايا التقليدية عن الزراعة، ابتداءً من الفلاح نفسه وإدراكه لمقومات بيئته وخصائصها، في مجال مهنته ومسكنه وبئره ونظام ريَّه وحيوانات سقيه ومراحل إنتاج محصولاته وتسويقها وعلاقته بفئات العمل في قريته، واتصالاته بمراكز الاستقرار في نطاق وحدته، وانتهاءً برضاه عن نفسه ومهنته؛ فإنه من النادر جداً أن يجتمع شمل شتات موضوعات كهذه، فضلاً عن التفصيل فيها، في كتاب واحد. بل إن ما كتب عن الموضوع واعتبر متخصصاً في هذا الباب يعتريه أمران؛ الأول: العمومية في المعلومة عن الأداة التي يستخدمها الفلاح التقليدي، أو الطريقة التي يعالج بها شأناً من شؤونه؛ كذكر الغَرْب مثلاً مجملاً دون التفصيل في أجزائه، أو أسباب الاختلاف في تعدد أجزاء السريح مثلاً، أو ذكر الدياسة والرياسة إجمالاً دون ذكر لأسماء حيوانات الدياسة، وهكذا. والأمر الثاني: الخصوصية المكانية في المعالجة، ونقصد بذلك أن بعض الكتب، أو المقالات التي اهتمت ببعض جوانب الزراعة التقليدية في المملكة، ركزت على سرد مصطلحاتها





وشرح أساليبها وفقاً لمنطقة الباحث فقط، أو ربما حدود ونطاق اتصالاته التي عادة تتشابه في أساليبها وأدواتها وتعبيراتها اللفظية، إلى حد ما، إن لم تكن مطابقة لخلفية الباحث نفسه. ذلك أن عدداً ممن عالجوا هذا الموضوع، كانوا مزارعين أو أحفاد مزارعين، شهدوا أو مارسوا شطراً من النشاط الزراعي التقليدي في منطقة محددة.

كما تظهر اختلافات واضحة في المصطلحات والأسماء والأدوات والأنظمة من منطقة إلى أخرى، بل داخل المنطقة الواحدة. وقد أمكن من خلال الدراسة الميدانية رصد الاختلاف وتوثيق المعلومة واستدراك ما أمكن استدراكه. وقد اتضح أن معظم المعلومات المرتبطة بالزراعة التقليدية في المملكة محفوظة في الصدور ومحفورة في ذاكرة الأشخاص الذين كانت لهم ممارسات فعلية لمهنة الزراعة التقليدية، أو أولئك الذين عاشوا في كنف أولئك الرجال، وشكلوا معهم مجتمع الفلاحين القدامى، وكانوا يمثلون الأيدي العاملة للفلاح، أو تقوم أعمالهم على وجود الفلاح واستمرارية مهنته.

كما يوجد في المناطق المختلفة أشخاص نذروا أنفسهم لجمع وحفظ موروثات شعبية فريدة في متاحف خاصة؛ تضم في مجملها مجموعة من الأدوات الزراعية القديمة، ويحظى أصحابها بخبرة فريدة وقدرة على الشرح والتسمية؛ وهي -بحق- مع أصحابها تعد أوعية تراثية كبيرة، ومصادر مهمة يستفاد منها في جوانب عدة كالتصوير والتسجيل.

ومن أجل تحقيق نظرة شاملة لقضية الزراعة التقليدية من جميع جوانبها؛ ومنها الإنسان باعتباره الفاعل، والمقومات البيئية باعتبارها الموجهة، والأدوات والمعاول باعتبارها الوسيلة، والمحاصيل باعتبارها ثمار الجهد، حددت إجراءات وأطر عامة للدراسة. واشتملت هذه الأطر على تحديد أهم المناطق الزراعية التقليدية في المملكة، لتكون هدفاً للدراسة الميدانية؛ كمنطقة الأحساء والقطيف في شرق المملكة، والخرج والأفلاج ووادي الدواسر والرياض والزلفي والوشم والسر والقصيم ووادي المياه في وسط المملكة، وحائل والجوف في شمال المملكة، والمدينة وينبع النخل ووادي فاطمة في غرب المملكة، ونجران وجازان وبيشة والباحة وعسير في جنوب المملكة.

وقد تم تكثيف العمل والتركيز في المقابلات، على أولئك الرجال الذين اشتغلوا لفترة طويلة في الزراعة التقليدية،





والذين تكونت لديهم خبرة في مجالات الزراعة التقليدية المختلفة، ووسائل الري، وأدق تفاصيل العمليات الزراعية، والأدوات المستخدمة؛ فحرصت الدراسة على استظهار ما يمكن استظهاره منهم، كالأهازيج والأشعار والأمثال المتعلقة بالجوانب المختلفة للزراعة التقليدية. كما أُجريَ عدد كبير من المقابلات في المنطقة الواحدة لسد النقص عند بعضهم، وللتأكد من صحة المعلومة.

وكان لتنفيذ المقابلات الشخصية أهمية قصوى في جمع المعلومات عن الزراعة التقليدية في كل مناطق المملكة، وكانت هذه المقابلات مع مزارعين سابقين من كبار السن.

ويعقب المقابلات، عادة، تجوال في المنطقة التي أجريت بها المقابلة للتعرف على معالمها، ولالتقاط بعض الصور للمنطقة وما يتوافر بها من آلات زراعية تقليدية. وقد حاولنا تتبع الاختلافات، قدر الإمكان، حول الأسماء المتعلقة بجوانب مختلفة للزراعة التقليدية، سواء ما يتعلق بالأدوات الزراعية أو العمليات الزراعية، داخل المنطقة التي أجري فيها اللقاء؛ فكل منطقة من مناطق المملكة تضم مواقع زراعية مختلفة، وقد توجد بعض الاختلافات المحدودة في الأسماء، وقد لا توجد؛ ولكن ذلك كان من باب التأكيد ليكون البحث أعم وأشمل وأدق، ومن ثم تسهل مقارنة الأسماء بين المناطق المختلفة.

وقد أجرينا أكثر من خمس وثلاثين مقابلة، سجلت على أكثر من أربعين شريطاً، أي ما يقارب مائة ساعة. وتم إجراء هذا التسجيل والمقابلات في عدد كبير من مواقع زراعية في مناطق مختلفة من المملكة شملت الأحساء، القطيف، الرياض، الخرج، الزلفي، سدير، القصيم، السر، حائل، المدينة، ينبع، الباحة، عسير، نجران، جازان، القنفذة، بني مالك (جنوب الطائف). وقد تجولنا في هذه المناطق وغيرها ودوَّنا بعض الملاحظات والأسماء للمواقع الزراعية القديمة، وكذلك الأودية الكبيرة، محاولين في ذلك تفهم ما يمكن تفهمه حول بعض العمليات الزراعية التي يمكن إدراكها على الواقع، كما هو الحال في بناء المدرجات الزراعية، وعملية تقسيم الأراضي الزراعية إلى أحواض، ومشاهدة ما بقي من أفلاج موصلة من العيون إلى الأرض الزراعية ونمط بنائها وتفريعاتها، والآبار وأجزائها والسواقي الموصلة من الشعاب والأودية إلى الأراضي الزراعية، وغير ذلك.





وقد تم تفريغ المعلومات، التي أمكن الحصول عليها من خلال المقابلات، بطريقة روعي فيها تتبع النطق واللفظ بدقة، لتظهر الأسماء والمصطلحات مُشَكَّلَة، وكما هي مستخدمة سواء للعمليات أو للأدوات الزراعية التقليدية. ومن خلال هذا العمل الميداني أمكن جمع معلومات لم تتوافر لباحث من قبل، وتكاد تكون شاملة لكل مناطق المملكة. وهذه المعلومات شكلت الركيزة الأساسية لمعظم مادة هذا المجلد.

وأخيراً، يمكن القول إن هذا المجلد يمثل سجلاً توثيقياً تصويرياً، سيمكِّن القارىء من معايشة فترة زمنية مضت من خلال الزراعة التقليدية؛ سطَّر فيها الآباء والأجداد أروع صور الصبر والجلد والتحدي من أجل البقاء والاستمرار في بيئة صحراوية، تتسم في معظم المناطق بالجفاف، وندرة الأمطار، وتقلبات المناخ، وقسوة التضاريس، مع بدائية الآلات والأدوات والوسائل المستخدمة في حفر الآبار، واستخراج المياه والزراعة والري. إضافةً إلى ما قد تتعرض له المزارع من كوارث وآفات ربما تأتي في النهاية على ثمرة جهدهم وعرقهم وكفاحهم طوال العام.





# الفلاحة في المملكة

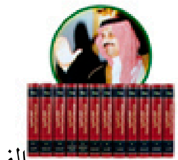
للزراعة أهمية خاصة في الاقـتصاد الوطني، وفي الـوضع المعيشي لسكان المملكة؛ فـقد تنوعت مناطق الزراعة، وتنوع مـعها إنتـاج الأرض. واستطاع الفلاح أن يواكب هذا التغير، وأن ينتج من الأرض ما يفي بحاجاته الضرورية؛ وأن يتفاعـل مع أرضه التي أعطـته من خيرها، فعُني بها قدر طاقته، وقدم لها كل ما يستطيع أن يجـنده في خدمتها. وعلى الرغم من أخطار الطبيعة، وتنوع التركيب الجيولوجي والمناخ، من منطقة إلى أخرى، رتب الفلاح أموره، ونظم وقته، وضبط أوقات زراعته، تمشياً مع عوامل الطـبيعة طوال الحقب الماضـية. وانتشرت زراعته في مناطق مختلفة تركز فيها الاستقرار البشري وامتد حولها.

وقد تضافرت عوامل كثيرة أسهمت في اسـتمرار الزراعـة، لا سيمـا تلك العوامل الطبيعية التي أثرت في الزراعة.

واستطاع الفلاح أن يكيّف نفسه وعمله وأدواته وحيوانـاته وسبل معيـشته، مما ضمن له ولبلده إنتاجاً زراعياً مستـمراً، وأسلوباً خـاصاً في الزراعة، ميّـزه عن غيره من أساليب ونظم الزراعة التقليدية في العالم كله. ولما كانت مناطق الزراعة قد تأثرت بعوامل مختلفة فرضت نفسها على الإنتاج الزراعي، فإننا نعرض لأهم المناطق الزراعية بالمملكة والعوامل الطبيعية المؤثرة فيها.

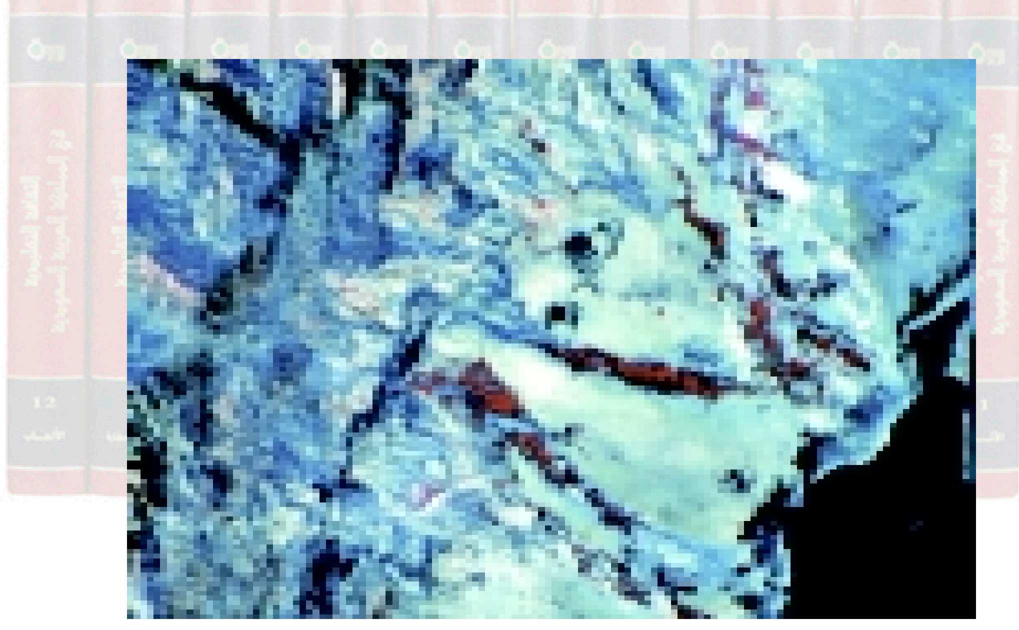
## المناطق الزراعية

تعطي المـناطق الزراعية في الوقـت الحاضر، مـؤشراً واضحاً عـلى أماكن بدايات الـزراعة في المملـكة. فمعـظم المناطـق الزراعية، هي المـواقع السابقـة نفسها، وإن زادت رقعتها نتيجة للتوسع في النشاط الزراعـي بشكل عام. وربما تكون بـعض المناطق الـزراعية في هذا




الوقت، قائمة على أنقاض مناطق زراعية قديمة قد اندثرت في فترة من الفترات، لأسباب متعددة. ويمكن توزيع المناطق الزراعية بالمملكة إلى أربع مناطق رئيسية هي: تهامة والسهل الساحلي، وجبال الحجاز، ووسط المملكة، والمنطقة الشرقية.

**تهامة**. تمتد منطقة تهامة والسهل الساحلي من الحدود الأردنية عند العقبة شمالاً، حتى الحدود اليمنية جنوباً بطول يصل إلى أكثر من ١٧٠٠كم. وتضم هذه المنطقة السهل الساحلي الذي يضيق في بعض جهاته، خاصة أجزاءه الشمالية، ثم يأخذ في الاتساع في وسطه. ويبلغ أقصى اتساعه في جزئه الجنوبي في جازان. كما تضم منطقة تهامة منطقة تلِّية جبلية تمثل الجزء الشرقي من هذه المنطقة، والقريب من جبال السراة. ويتخلل هذا الجزء الشرقي المرتفع من تهامة بعض الجبال العالية وسط محيط منخفض تشغله التلال والأودية. وهذه الجبال المرتفعة يصل ارتفاع بعضها إلى أكثر من ألفي متر فوق مستوى سطح البحر، مثل جبل شدا وجبال فيفا. أما السهل الساحلي، وهو ما يمثل الجانب الغربي من منطقة تهامة، فقليل الارتفاع، لا يزيد متوسط ارتفاعه عن خمسة أمتار فوق مستوى سطح البحر، مغطى برواسب رملية في معظم أجزائه، وإن وجدت بعض الطفوح البركانية التي


صورة بالقمر الاصطناعي لمنطقة تهامة





صاحبت الانزلاقات والانكسارات عند تَكَوُّن أخدود البحر الأحمر.

وتتركز الأماكن الزراعية في هذه المنطقة التي بدأت فيها الزراعة منذ القدم واستمرت حتى الوقت الحاضر، في الأودية المنحدرة من جبال الحجاز (السروات) باتجاه الغرب لينتهي معظمها في البحر. وهي أودية ذات أهمية كبيرة ليس في مجال الزراعة فحسب، وإنما كمعابر وطرق للتحركات السكانية. وتأتي أهميتها للزراعة من كونها استغلت جوانبها في بناء الأراضي الزراعية، وأنها تحمل التربة الطينية من مرتفعات الحجاز، وتجلب المياه من هذه الجبال وهي أغزر مطراً، إلى الأراضي الزراعية على جوانب الأودية. والزراعة بشكل عام في هذه الأودية، ومن خلال الاستقرار البشري حالياً، تشير إلى أنها بدأت في أعالي الأودية من الشرق، أي من أقدام مرتفعات السراة حتى مسافة ١٥كم في المتوسط إلى الغرب من ذلك. وهذه المناطق تضم معظم التركز السكاني في منطقة تهامة. ويبدو أن الاستقرار المبكر في هذه المناطق في أعالي الأودية، كان لأسباب أمنية لوجود الحماية الطبيعية من تلال ونجود مرتفعة بعض الارتفاع، مع إمكانية الاستغلال الزراعي لجوانب هذه الأودية. أما الأجزاء الأخرى من هذه الأودية التي اتخذت مناطق زراعية، فهي المناطق القريبة من مصابّ الأودية. ويبدو أن الاستقرار الزراعي في هذه الأجزاء جاء متأخراً بعض التأخر عن الاستقرار في المناطق السابقة. وهناك أماكن أخرى استغلت للزراعة منذ القدم تنحصر بين الأودية، وعلى وجه الخصوص، في المناطق السهلية ذات التربات الرملية المتماسكة. وتسمى هذه الأماكن الخبوت، وهي تعتمد على مياه الأمطار.

والزراعة بشكل عام، في هذه المنطقة كانت ذات أهمية على الرغم من أنها منطقة تعد من أفقر مناطق المملكة بالأمطار؛ ولكن الإنسان فيها استطاع أن يزرع من المحاصيل ما يمكن أن يتحمل مثل هذا النقص. وتعتمد الزراعة بشكل عام في ريها على مياه الأمطار المباشرة، كما هو الحال في أراضي الخبوت، وكذلك على الأمطار والسيول الجارية عبر الأودية التي تبدأ منابعها من أعالي جبال الحجاز.

ويمكن تقسيم هذه الأودية إلى ثلاث مجموعات حسب أهميتها الزراعية منذ القدم؛ المجموعة الأولى هي أودية تهامة الجنوبية؛ وتشمل وادي بيش، وادي شهدان، وادي نخلان، وادي صبيا،





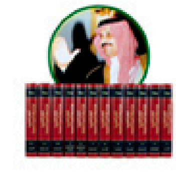


وادي بيش – أبها

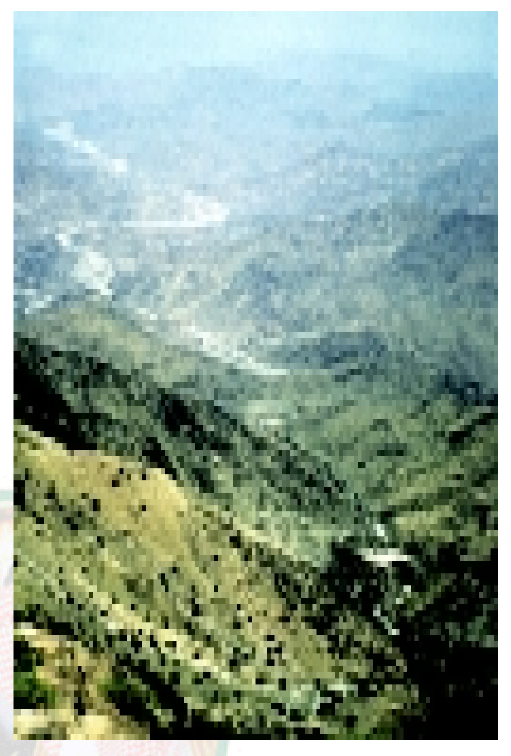
وادي أملح، وادي مقاب، وادي فيجة، وادي خمي، وادي خلب، وادي ليَّـه، وادي تعشر، وادي رملان، وادي بيغي، وادي سراء، وادي عتُود، وادي حرض. ويعتبر وادي حرض آخر الأودية الكبيرة في الجزء الجـنوبي من تـهامة الجنـوبية بالمملكة، بينما يعتبر وادي عتود هو الحد الشمالي لأودية تـهامة الجنوبية ويصب في الـبحـر الأحمـر جنوب الـشقـيق مباشرة.

وكل هـذه الأودية تقع فـي أكثر مناطق تهامة اتساعاً، ومعظم أراضيها الزراعـية واقـعة علـى جوانـب هذه الأودية، وتربتها طينية تعتمد على الري من مياه السيول، وتسمى الأطيان. كما أن كثيراً من الأراضي الواقعة بين الأودية -أي ليست قريبة من ضفاف الأودية- كانت تستغل للـزراعة وهي ما تدعى أراضي الخبوت. وتعتمـد الزراعة في أراضي الخبوت على الأمطار وتسمى الزراعة البعلية، وأراضي الخبوت ذات تربة أقرب إلى الرملية المختلطة بنسبـة قليلة من الطين.

أما المجمـوعة الثانية لـلأودية ذات الأهمـية الزراعـية فـهي أودية تـهامة الوسطى؛ وهي وادي حلي، وهو الحد الجنوبي لتـهامة الوسطى، ويصب فـي البحر الأحمر بالقـرب من بلدة حِلي. ويليه شمالاً وادي يبة، ثم وادي قنونة، فوادي لـومة. وهـذه الأودية الـثلاثـة







وادي الليث – السراة

الأخيرة تصب في البحر الأحمر جنوب مدينة القنفذة. وإلى شمال هـذه المدينة توجد مجموعة من الأودية؛ أهمها وادي الأحسبة، ونـاوان، وعليب، وحلية، وقرامة، ودوقـة، والشاقة الـشمالية، والشاقة الجنوبية. وتنتهي هذه المجموعة من الأودية شمـالاً بوادي الليث الذي يحتضن بـلدة الليث، ليصب شـمالها وجنوبها. وبـهذا الوادي مجموعة من العيون الحارة، وإن كانت كمية ميـاهها قليلة لا تتجاوز في مجموعها ٢٥ جالوناً في الدقيقة.

وتضم أوديـة تهامة الوسطـى على ضفافها، خاصة في الأجزاء القريبة من الساحل ومن سفوح مرتفعـات السراة، مساحات واسعة من الأراضي التي تستغل في الزراعة. وتعتمد الأراضي الزراعية في ريها على مياه السيول التي تجري في هذه الوديان في موسم سقوط الأمطار، وهي ذات تربة طينية تجلبها مياه السيول. وتختلف الأراضي الزراعية الواقعة على ضفاف الأودية في الأجـزاء القريبة من الساحل، سواء في أودية تهامة الجنوبية أو الوسـطى، عن الأراضـي الزراعـية الواقعة إلى الداخل والقريبة من سفوح المرتفعات في مساحتها ونمط البناء فيها. فالأراضي القريبة من الساحـل أكبر من الأراضي الـواقعة إلى الـداخل بسـبب الانبساط في الأراضي الساحلية، إلا أن وجود الـتلال يحـد من التوسـع على جوانب الأودية في المناطق الداخلية. كما أن الجدران التي تحيط بالأراضي الزراعية في المناطق القريبة من الساحل، هي أكوام من الـتراب تحيط بـكل مزرعة تـسمى عقومْ، بينما جدران الأراضي الداخـلية تكون مـن الحجارة لتوافر الحـجارة في تلك المناطق. ولا توجد أراضي الخبوت في أودية تهامة الوسطى إلا في الأجزاء الدنيا القريبة من الـساحل بين الأودية،







وادي الأحسبة – تهامة

ولا توجد في الأجزاء الداخلية لوجود التلال التي لا تسمح بوجود مثل هذه الأراضي.

أما المجموعة الثالثة من أودية تهامة فتتمثل في الأودية الشمالية؛ وهي أقل أهمية من الناحية الزراعية منذ القدم لأنها أودية صغيرة، كما أن النطاق السهلي في هذا الجزء محدود، وهو أضيق جزء في السهل الساحلي في تهامة كلها. وتبدأ هذه الأودية من الجنوب بوادي فاطمة، وهو أشهرها زراعياً، ويليه وادي القاحة ثم بعد ذلك وادي الصفراء حيث يبلغ طوله ١٠٠كم تقريباً، ويجري هذا الوادي مسافة طويلة بين جبال الحجاز متجهاً من الشمال إلى الجنوب، ثم يغير اتجاهه بعد تجاوزه مدينة بدر إلى جهة الغرب مخترقاً سهل تهامة كما تصب فيه أودية أخرى، كوادي الاب ووادي طاشا ومئات الشعاب. وتعتمد الزراعة في هذا الوادي ووادي الاب والشعاب الأخرى على الأمطار، وجزء كبير منها يعتمد على الآبار والعيون حتى يومنا الحاضر



وادي فاطمة





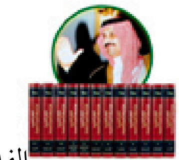


جانب من تهامة

حيث تـغرس أشجار النـخيل وتزرع مختلـف المحاصيل الزراعية. ووادي الحضن إلى الجنوب من الوجه، ووادي أظلم في منـتصف المسافة بين الوجـه وضبـا، ثم وادي دما جنـوب ضبا. وتنتهي هذه الأودية شمالاً بوادي السر شمال ضبا.

وتعتمد الزراعة في هذه المجموعة من الأودية على مياه السيول التي تجـري في الأودية بعد سقوط الأمطار. كما أن العيون والينابيع في السابق كانت لها أهمية في الري مـثلما كـان عليه الحـال في وادي فاطمة. وكان بهذا الوادي أكثر من ٣٦٠ عيناً، وقد تهدم أكثرها الآن وجف ولم يبق منها إلا القليل. كما أن الزراعة في ينبع كانت تعتمد أيضاً على العيون التي كانت كـثيرة، ولكن أغلـبها قد جف. وبالإضافـة إلى ذلك هنـاك العديد مـن الأودية الصغيرة التي لا تصب في البحر، وإنما تختفي فـي رمال المناطق الساحلية وتضم على جوانـبها أراضي زراعية في أجزائها العليا بين تلال تهامة.

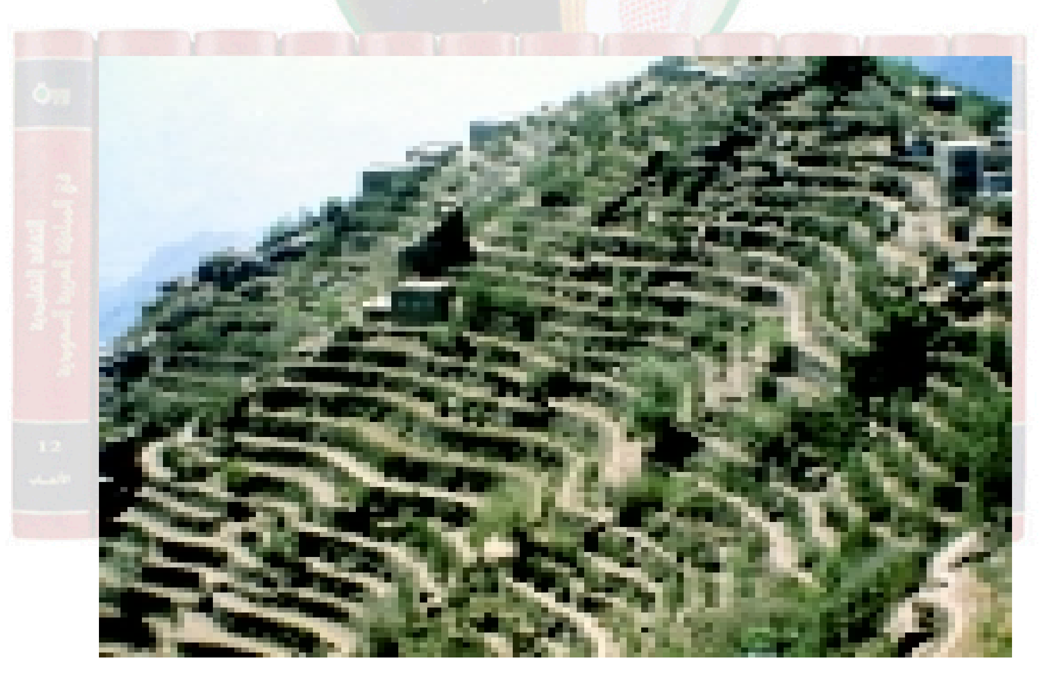
وعلى كل، فإن أودية تهامة جميعها تشترك في أنها كانت، وما تزال، تشكل مناطق الاستقـرار الزراعي، وأن منابعها الأساسية والمهمة تبدأ من جبال الحجاز، وأن كثيراً مـنها له روافد تبدأ مـن داخل تهـامة، ولكـنها أقـل أهمـية. كمـا أن الأراضي الزراعيـة على جوانب الأودية في الأجزاء الـقريبة من الـساحل، أكبر



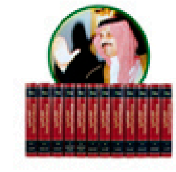


مساحة من الأراضي الزراعية الداخلية، بين التلال القريبة من سفوح جبال الحجاز. ومن القواسم المشتركة أيضاً أن جميع الأراضي الواقعة على ضفاف الأودية تعتمد على مياه السيول الجارية. فالاعتماد على الري من الآبار كان قليلاً جداً، ولم تكن الآبار تحفر إلا بهدف الشرب. ويمكن استثناء بعض الأراضي الزراعية الداخلية التي تعتمد بعض الاعتماد على الري من الآبار، وإن كانت مياه السيول هي الأصل في الري. وتتميز منطقة تهامة، بشكل عام، بانتشار الأراضي الزراعية بين الأودية في الأجزاء القريبة من الساحل، ويطلق عليها الخبوت، والإنتاج الزراعي فيها الذرة، وهي المحصول الرئيسي، ثم الدخن والسمسم.

وفي منطقة تهامة بعض الأماكن الزراعية وتقع في الجبال المنعزلة والعالية التي تضاهي علو جبال الحجاز، وهي مناطق لها نمط زراعي مختلف. فأراضيها الزراعية مدرجات على سفوح هذه الجبال، مثل جبل شدا الأعلى وجبل شدا الأسفل، وجبل نيس، وجبال غامد الزناد، وجبل فيفا. وتعتمد بعض أراضي هذه المدرجات في الري على مياه الأمطار وبعضها على مياه الأمطار والينابيع، وبعضها على الري من الآبار مثل جبلي شدا وفيفا.



المدرجات الزراعية – فيفا



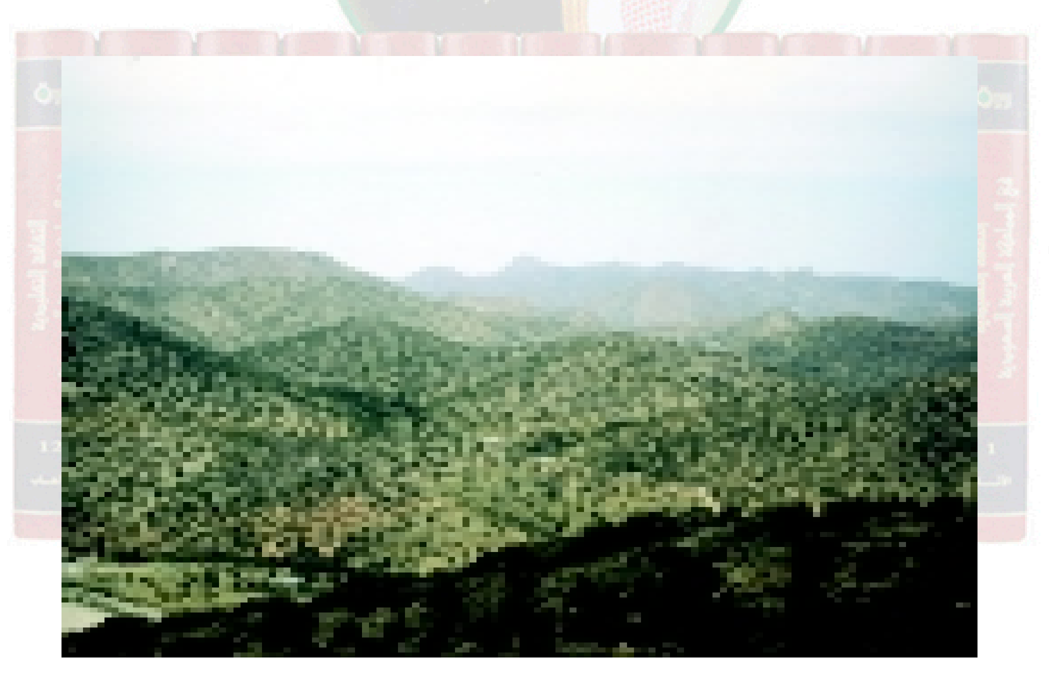


والأراضي في هذه المناطق الجبلية ضيقة المساحة، وأعداد السكان والقرى الموجودة بها كذلك قليلة. وكانت هذه الأراضي الزراعية في بعض الجبال تنتج البن والقمح والشعير والذرة، وبعض الزهور مثل الريحان والبرك والكادي. وقد ضاقت المساحات الزراعية في بعض هذه الجبال مثل جبل شدا، ويعود السبب في ذلك إلى وعورة هذه الجبال، وهجرة الشباب عنها لغرض التعليم والعمل، وعدم الرغبة في العودة إليها لقلة المردود الزراعي، وصعوبة الظروف الطبيعية في هذه المناطق، وإن كان لا يزال للزراعة وجود فيها حتى الآن. ويزرع في الخبت من تهامة زراعة بعلية، البطيخ والخربز والذرة والدخن والملوخية والبامية، ويعد محصولها من أجود المحاصيل، خاصة البطيخ المشيعبي، وهو ذو خطوط شعبية تشبه الشُعب المرجانية؛ قال الشاعر:

ياعم عطني حبحبه من بلادك
ومشيعبي ما هو من الحبحب السود

وتساعد رطوبة البحر المتوافرة هناك على نمو النبات.

**جبال الحجاز**. تمتد هذه المنطقة من الحدود الأردنية في الشمال، حتى الحدود مع اليمن في الجنوب. وهي سلاسل جبلية تتخللها أودية طولية، وتمتد موازية ومحاذية لمنطقة تهامة، وهي حدها



جانب من جبال الحجاز (السراة)



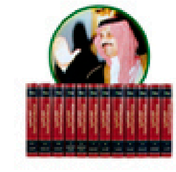




جانب من جبال الحجاز (السراة)

الشرقي. وهذه الجبال تأخذ في الارتفاع التدريجي كلما اتجهنا صوب الجنوب، حيث تبلغ أعلى ارتفاعاتها في منطقة عسير. وتنحدر جبال الحجازانحداراً تدريجياً تجاه الشرق، ولكنها تنحدر بشكل حاد نحو الغرب، خاصة في أجزائها الجنوبية ابتداء من الطائف حتى الحدود اليمنية حيث تسمى جبال السروات.

ويتركز الاستقرار البشري في شرق هذه الجبال وغربها، حيث تكثر الأراضي الزراعية التي تزيد كثافتها في المنطقة الجبلية الممتدة من جنوب الطائف حتى الحدود مع اليمن. ويمكن تقسيم الأماكن الزراعية في هذه المنطقة إلى ثلاث مجموعات، تبعاً لاختلاف أنماطها ومساحتها وأحياناً إنتاجها؛ المجموعة الأولى هي زراعة المصاطب أو المدرجات الجبلية وتسمى في منطقة الباحة ركبان، واحدها ركيب. وهذا هو النمط الزراعي السائد والرئيسي في المنطقة الجبلية، ابتداء من الحافة المطلة على تهامة، ويتجه شرقاً بامتدادات مختلفة حسب وجود السلاسل الجبلية. وأقل امتداد لهذا الخط من الأراضي الزراعية يوجد في جبال الطائف وبني مالك، ولكنه يتسع في منطقة الباحة وسراة عسير حيث يصل امتداده إلى أكثر من ٢٥كم. وقد أثر هذا النمط الزراعي السائد في هذه الأجزاء على حياة سكانها وسكان المناطق المجاورة، فثم وفرة





الإنتاج وقلة في السكان. وهكذا فقد زودت هذه المناطق الزراعية المناطق المجاورة، مثل مكة وجدة، بالحبوب قبل خمسين سنة تقريباً. ويعتمد هذا النمط من الزراعة على بناء المدرجات، التي قد تصل إلى ٢٠ مدرجاً أو جناباً أو ركيباً أو عرضياً كما تسمى محليا، بعضها فوق بعض، وذلك حسب ما تسمح به مساحة الجبل المقامة عليه هذه المدرجات. ومساحة هذه المدرجات صغيرة جداً، لا تتجاوز مساحة أكبرها ٣٠٠م٢. وهي تأخذ الشكل المستطيل بشكل عام. وتاريخ الزراعة بهذه الطريقة قديم جداً يرجعه بعض الدارسين إلى الفترة التي بنيت فيها السدود الكبيرة التي أشار إليها الهمداني والبكري وياقوت الحموي. ويساعد بناء المدرجات بهذه الطريقة على الحفاظ على التربة من الانجراف، ويخفف من اندفاع السيول، وذلك ببناء الجدران من قطع متوسطة الحجم من أحجار الصخور النارية.

وقد اتُبع أسلوب أو نمط بناء المدرجات لصعوبة استصلاح مساحات كبيرة على جوانب الأودية. وتعتمد الزراعة في بعض هذه المدرجات على مياه الأمطار، التي تسقط عليها مباشرة. وبعضها يعتمد على مياه الري من مياه الشعاب التي يتصل بعضها ببعض من أعالي الجبال. وتسمى المدرجات التي تروى بهذه الطريقة بالعَثَري أو العثَّري؛ لذلك فالعثَّري أو البعلي هو الذي يعتمد على الأمطار والسيول، ولا يروى من مياه الغيلان المنتشرة في الشعاب، ولكنه إذا روي منها فهو لا بعلي ولا عثري، بل يطلق عليه المستوي، وهو نظير للبعلي أو العثري. وقد اندثرت مجموعة كبيرة من هذه المدرجات في العقدين الأخيرين، بسبب الهجرة وقلة مردودها الإنتاجي. وكان التركيز فيها على زراعة الحبوب، خاصة القمح والشعير، ثم البُلْسُن (العدس) والذرة واللوز، بالإضافة إلى أنواع من الفاكهة مثل العنب والمشمش والرمان.

ويمكن أن نضيف إلى هذه المجموعة من المناطق الزراعية مجموعة أخرى، وإن كانت مساحاتها قليلة جداً، تنتشر أراضيها في واجهة الحافة الغربية لبعض المناطق في جبال السراة، خاصة في سروات الباحة وعسير. وهي مدرجات تبنى في أقل المناطق انحداراً بين سفوح مرتفعات جبال السروات من جهة تهامة وبين قممها، وتسمى هذه الأماكن الأَصدار. وتعتمد في ريها على مياه الينابيع الصغيرة ومياه الشعاب المنحدرة

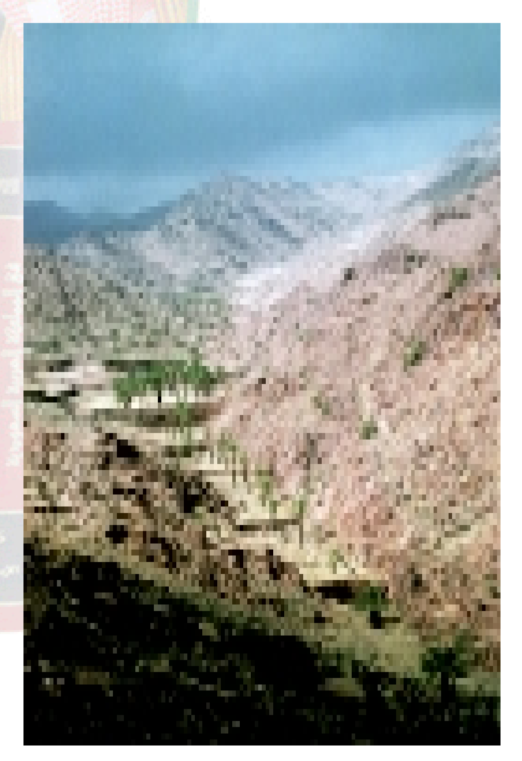


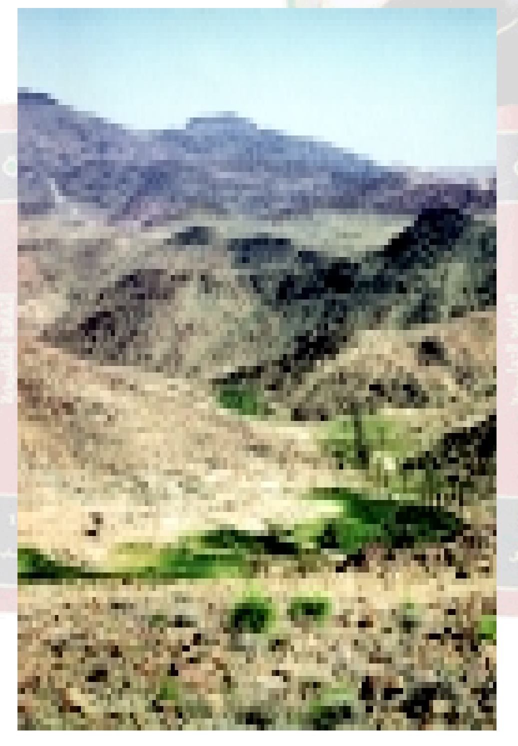


إليها. وتزرع فيها كميات قليلة من القمح والشعير، وكذلـك البن وبعض الزهور مثل الرياحين والبرك والكادي، والليمون والبعيثران.

أما المجموعة الثـانية فهي الأراضي الزراعية الممتدة على جوانب الأودية التي تنحدر من الغرب إلى الشرق في الغالب. هذه الأراضـي مصاطب عـلى ضفاف الأودية. تختلف في مساحاتها من بداية الوادي من أعلى الجبال حتى نهاية الأودية في السهـول والصحارى شرقاً وغربـاً. فهذه المصاطب ضيقة في أعلى الوادي، بسبب ضيق الوادي نفسه، ثم تأخذ في الاتساع باتجاه الشرق لابتعاد التلال بعضها عن بعض.

وتعتمد هذه الأراضي الـزراعية في ريها على مياه السيول من الأودية، لأن كل مصطـبة يصلها سـاقٍ من الوادي. وقد تشترك أكـثر من مصطبة في ساقٍ واحد، لـه نظـام محـدد اتفـق علـيه المزارعون. ولهذا الساقي أسماء مختلفة. كما تعـتمد بعض هذه المصاطـب على الري من الآبار، أو من الآبار والسيول. وهناك بـعض المصاطب عـلى جوانب





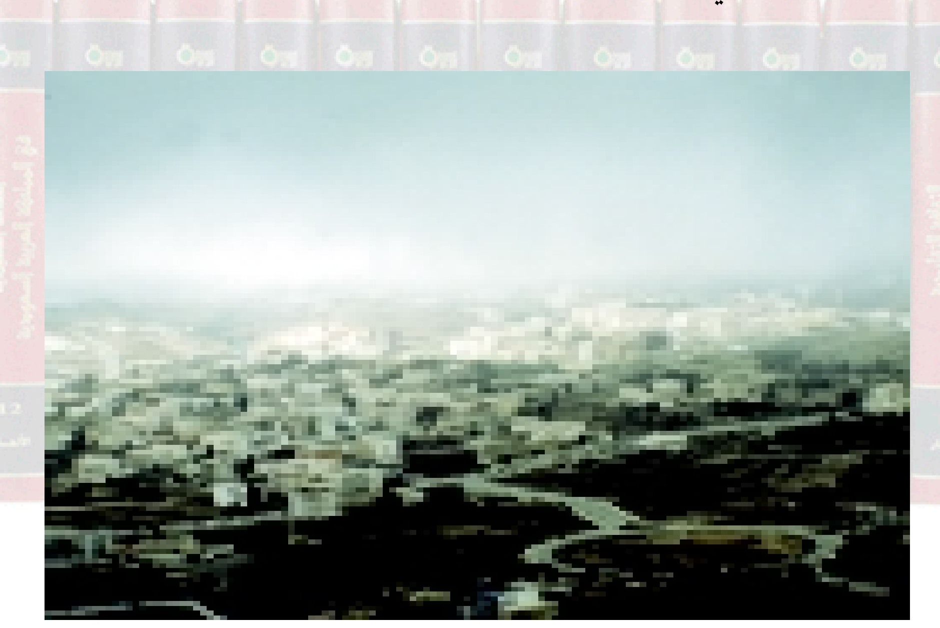
مصاطب (مدرجات تقليدية في الفقرة) قرب المدينة المنورة



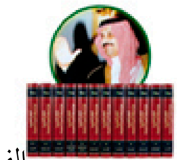


الأودية مباشرة بجوار المصطبة المجاورة للوادي، ولكنها في الغالب لا تروى من سيل الوادي بل من الشعاب المنحدرة من الجبال المجاورة، وتعتمد في ريها على مياه الآبار أيضاً. وكانت بعض المصاطب الزراعية المجاورة لبعض الأودية تعتمد في ريها على مياه السيول، والآبار، وكذلك نظام الري من الكظائم. وليس بهذه المنطقة الجبلية واد صغير أو كبير إلا واستغلت بعض جوانبه لبناء مثل هذه المصاطب، خاصة أحواض الأودية العليا. وأهم هذه الأودية من الشمال إلى الجنوب وادي وج، والمثناه، والسيل الكبير، وليه، وشوقب، وتربه، وقوب، والعقيق، وبني كبير، والعسله، ورنيه، وتباله، وترج، وبيشه، وتندحه، وتنومه، وأبها، والخميس، وأعالي وادي حبونا في ظهران الجنوب.

والزراعة في هذه الأودية قديمة، ويتضح ذلك مما ذكره الهمداني عن بعض الأودية في عسير وشهرتها بالزراعة حيث يقول «فأول بلاد الحجر من يمانيها (عبل) واد فيه الحَبَل (أي الأعناب) ساكنه بنو مالك بن شهر، وباحان به القرى والزرع، وساكنه بنو مالك وبنو ثعلبة وبنو نازلة من بني مالك بن شهر بن الحجر... وتنومة واد فيه ستون قرية أسفله لبني يسار وأعلاه لبلْحَرَث بن شهر، ثم الأشجان -قرية كبيرة ليس في السراة قرية أكبر منها -بعد الجهوة وساكنها بنو



أبها الحديثة





عبد من بني عامر بن الحجر، ثم نحيان- واد مستقبل القبلة فيه التفاح واللوز والثمار» (١٩٧٧ : ٢٦١).

وكانت زراعة القمح والشعير والذرة هي المحاصيل الرئيسية بهذه الأودية، كما أن زراعة أشجار الفواكه -وخاصة العنب والخوخ والرمان- كانت منتشرة منذ القدم، وإن كانت تحتل مساحات ضيقة، نظراً لأن تسويق منتجاتها كان أمراً صعباً، لسرعة تلفها علاوة على أنها ليست من الأغذية الرئيسية.

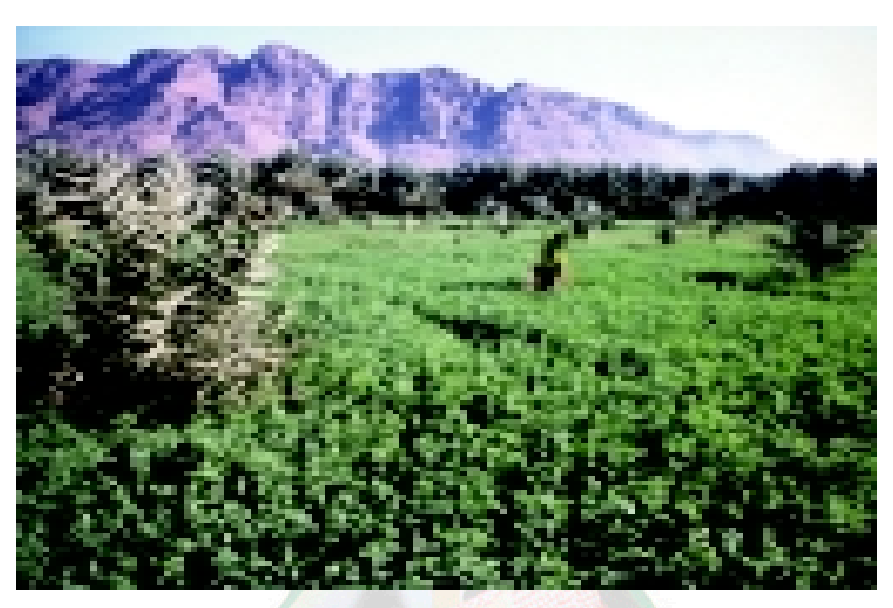
والمجموعة الثالثة هي نطاق السهول المتسعة. وتحتل الأراضي الزراعية فيها نهايات بعض الأودية الكبيرة أو التقاء بعضها ببعض، أو بالقرب من نهاياتها، وتحيط بها التلال الجبلية أحياناً. ويمكن اعتبارها مناطق حدودية، أو هامشية بين المناطق الصحراوية الشرقية والمناطق الجبلية. وتعتبر هذه المناطق أقل مطراً من المجموعتين السابقتين، ولكنها مناطق تجمع لمياه السيول. وهي أقرب إلى نمط الواحات، حيث تتميز بأراضٍ زراعية ذات مساحات أوسع، وإن تركزت في مناطق محددة ومتجاورة. وتتمثل هذه الأماكن الزراعية من الشمال إلى الجنوب في تبوك وتيماء والعلا وخيبر والمدينة المنورة والخرمة وتربة والعقيق بالباحة ورنية وبيشة وتثليث ونجران. وهذه الأماكن مشهورة بغناها بالمياه الجوفية، لذلك فهي تعتمد في ريها على مياه السيول التي تصل إليها من أعالي جبال الحجاز. كما أنها كانت تعتمد على مياه الآبار قليلة



مزرعة في الباحة







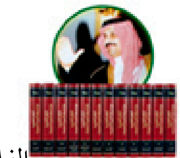
مزرعة في المدينة المنورة أمام جبل أحد

العمق، وكذلك على العيون والينابيع كما في المدينة وخيبر والعلا وتيماء والحائط. وتشترك هذه الأماكن كلها في شهرتها بإنتاج التمور بشكل أساسي. كما أنها كانت تنتج القمح والشعير والذرة وبعض أنواع الفاكهة، ولكن بدرجة أقل من إنتاج التمور. وقد كانت إمكانية التوسع الزراعي في أراضي هذه المجموعة أكبر، وهذا ما حدث في العقدين الأخيرين. أما المجموعتان السابقتان فإن التوسع فيهما كان ضئيلاً، بل إن التدهور والتناقص في المساحات المزروعة كان الظاهرة الملحوظة.

**نجد.** يضم هذا الجزء المناطق الزراعية القديمة المنتشرة في نهايات الأودية، وبطون الرياض الواسعة، والمناطق الداخلية والمحاذية للرمال. كما يضم المراكز الأولى للاستيطان البشري في المنطقة الوسطى التي حددها تدفق العيون الغنية بمياهها، وإن كانت تفصل بينها مسافات واسعة داخل هذا النطاق قد تصل إلى مئات الكيلومترات. وهو



روضة في نجد





انفصال بعثر المناطق الزراعية القديمة في المنطقة الوسطى داخل هذا النطاق الممتد من الحدود الأردنية والعراقية شمالاً، إلى الربع الخالي جنوباً، ومن نطاق الحرات غرباً، إلى صحراء الدهناء شرقاً.

وعلى الرغم من ذلك اكتسبت المنطقة الوسطى، عبر تاريخها الطويل، شهرة زراعية واسعة. وتحتوي كتب التراث على إشارات واضحة لشهرة المنطقة الزراعية. فقد كتب ياقوت عن الأجزاء الجنوبية من المنطقة يقول «الخرج واد فيه قرى من أرض اليمامة لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة من بكر بن وائل في طريق مكة من البصرة، وهو خير واد باليمامة، أرضه أرض زرع ونخل قليل». كما ذكر الأصفهاني والهمداني الأفلاج وتناولها الأخير بالتفصيل فعدد قراها ومزارعها. أما اليمامة بشكل عام فقد ذكرها ياقوت بقوله «كانت اليمامة أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخلاً». وتكاد تجمع المصادر الجغرافية التي تحدثت عن الجزيرة العربية، على خصوبة أرض اليمامة ووفرة عيونها وآبارها التي أدت إلى استقرار بعض السكان في واحاتها المختلفة.

تجمعت عوامل عديدة أدت إلى ممارسة الزراعة في هذه الأجزاء من المنطقة الوسطى، وتركزها على جوانب أودية جبل العارض (طويق) والمناطق المتاخمة له شرقاً وغرباً. ولعل من أهمها توافر مصادر المياه مثل العيون والآبار، ووجود التربة الخصبة، وتوافر الأيدي العاملة من القبائل المستقرة التي مارست مهنة الزراعة من بني حنيفة وتميم وجعدة وعقيل وقشير. كما ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان عن قرى الوشم التي لم تتغير أسماؤها حتى الوقت الحاضر فقال «... وأخبرنا بدوي من أهل تلك البلاد أن الوشم خمس قرى عليها سور واحد من لبن، وفيها نخل وزرع لبني عائذ... والقرية الجامعة فيها ثرمداء وبعدها شقراء وأشيقر وأبو الريش والمحمدية».

لقد قامت الزراعة في الأجزاء الشمالية من المنطقة الوسطى، وفقاً لتحديدنا الحالي، منذ أقدم العصور. فالجوف -مثلاً- عرفت زراعة الزيتون، وذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال «الجوف اسم واد في أرض عاد فيه ماء وشجر»، وجاء ذكرها، كما ذكر المسعر، عند بعض الرحالة منهم وليم بلغريف الذي وصفها بالفردوس عندما زارها سنة ١٨٦٢م فقال «أشرفنا على واد تنتشر فيه بساتين النخيل وأشجار الفواكه ورأينا برجاً يطل



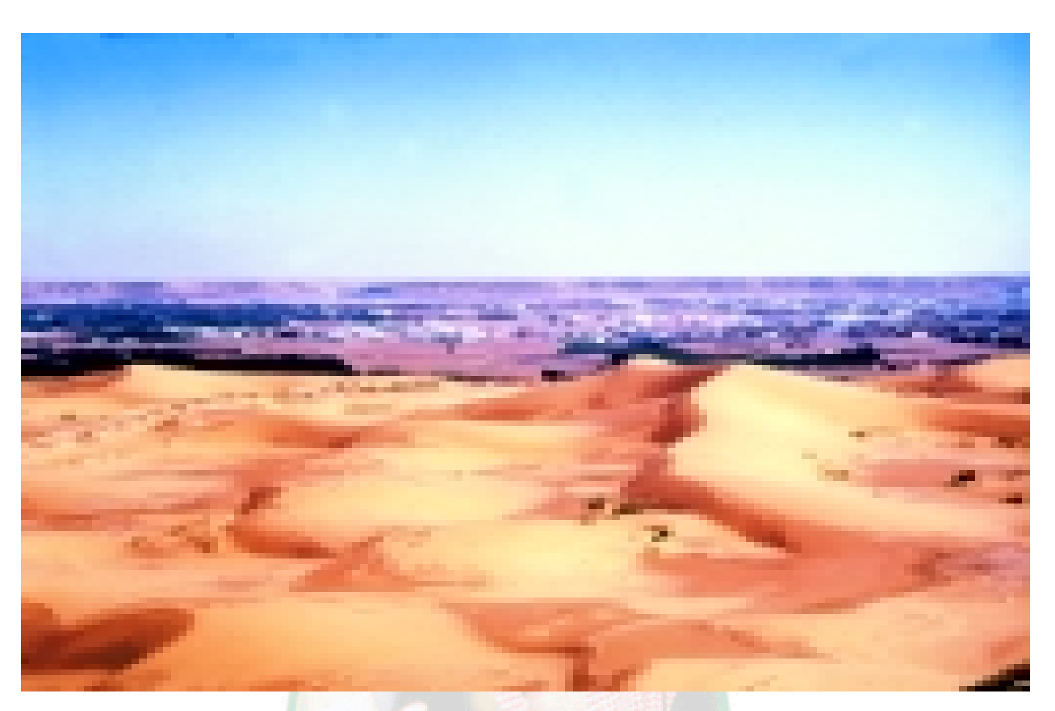




زراعة النخيل

على مجموعة من البيوت التي كادت تختفي تحت أوراق الشجر». ومنهم الرحّالة الإنجليزي أرتشبالد فورد الذي أشار إلى أهمية الزراعة في منطقة الجوف سنة ١٩٠١م فقال «ومما أثار دهشتي روعة جمال الآلاف من أشجار النخيل التي تنتشر في كل مكان وتخفي بيوت البلدة عن الأنظار مما يعطي انطباعاً عن أن عدد السكان في الجوف (يعني دومة الجندل) يبلغ حوالي أربعين ألفاً» (١٩٨٨ : ٦٧-٦٨).

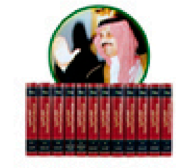
وإنّ نظرة شاملة إلى المنطقة الوسطى، التي تنتشر في ربوعها المناطق الزراعية التي تحدث عنها أصحاب المعاجم، أو التي كتب عنها الرحالة واستشهدنا ببعض منها، لتؤكد عراقة الزراعة في ربوع هذه المنطقة. وتشترك المنطقة في خصائص طبيعية منها مناخها الصحراوي الذي يتسم بارتفاع معدلات درجات الحرارة في الصيف وانخفاضها في الشتاء، وتذبذب في كمية الأمطار مع قلتها، وسطح مستو تتخلله تكوينات رملية تتفرع في مجملها من النفود الكبير في شمال المملكة، ثم نفود الغميس والثويرات والسر والملحاء وقنيفذة والمواصل وعريق البلدان، كما تتخلله حافات رسوبية تشكل في مظهرها


نفود الثويرات قرب الزلفي

أقواساً مفتوحة إلى الغرب، وتحاذي في امتدادها التكوينات الرملية وتقطعها بعض الأودية التي تنحدر منها في معظم الأحيان، أو تجتازها من منابع عليا إلى الغرب في أحيان أخرى.

وقد ذكر في كتب التاريخ وبعض المعاجم مثل معاجم البلدان أنه يوجد في شمال جبل أجأ آبار قديمة منها بئر كثيرة الماء شرق جبل ضبع على طريق جبة، كما اكتشفت آبار أزلية، وهي قديمة جداً مطوية بشكل جيد جداً وسميت أم القلبان وهي تبعد عن أجأ حوالي ١٥كم وهذه الآبار مقسمة بشكل يدل على حضارة زراعية عريقة إلا أنه لم يعثر على أي أثر كتابي عنها. وهي مجاورة للتكوينات الرملية التي تشكل الحاجز الطبيعي للسيول. وقد تكون هذه الآبار معاصرة أو سابقة لآثار الجوف وتيماء.


جبال أجا



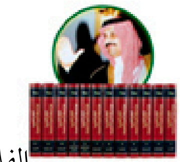


لقد كانت مراكز الاستقرار البشري في هذه المنطقة، التي تحكمها في الغالب مهنة الزراعة، مبعثرة تفصلها مساحات شاسعة، مما أدى إلى انقطاع في استمرار الرقعة الزراعية. وهذا الانقطاع يدل على أن مصادر المياه مثل العيون والآبار وكذلك الأراضي الصالحة للاستقرار والزراعة كانت من أهم العوامل التي أدت إلى هذا النمط المبعثر لمراكز الاستقرار البشري، ومن ثم الزراعة التقليدية في المناطق الوسطى من المملكة. بل نكاد نجزم بأن مستوى المياه الباطنية كان وراء تحديد تلك الأماكن التي شهدت الزراعة لأول مرة في المنطقة الوسطى بشكل عام، كمناطق العيون في الخرج والأفلاج وسدير والسر ودومة الجندل وحائل والقصيم. وكذلك بطون الأودية الكبرى مثل الرمة والجفن ووراط وحنيفة والبرك وذي مرخ والهدار والقرنة والثمامة والأرطاوي والطوقي التي كانت المياه فيها تتدفق على السطح أو قريبة منه.

وإذا كان مستوى الماء الجوفي قد حدد مكان النشاط الزراعي في المنطقة الوسطى، فإن كميته قد حددت نمط المناطق الزراعية بشكل عام وحصرته في ستة أنماط:



غدير في أحد أودية سدير





الأول هو نمط القرى الزراعية التي تشكلت في مناطق تدفق المياه على شكل عيون، فكان الاستقرار نتيجة لاستغلال الأراضي للزراعة. وأصبحت هذه المراكز مناطق جذب سكاني لأصحاب الصناعات اليدوية، أو لأولئك الناس الذين يملكون مقومات الفلاح التقليدي ويطمحون إلى الزراعة، أو جاءوا للمشاركة في الأعمال الزراعية كأجراء ونحو ذلك.

إن هذه الأبعاد الثلاثة؛ وفرة المياه، وتدفقها على السطح، والكثافة النسبية للسكان، وهبت الفلاح التقليدي في القرى الزراعية الطمأنينة والأمن، ووفرت له اليد العاملة، وجميع أدواته الضرورية وأثرت في تنوع محصوله. ولهذا نجد زراعة النخيل تسير جنباً إلى جنب مع زراعة الحبوب في القرى الزراعية التي تعتمد على مياه العيون المتدفقة مثل الخرج والأفلاج وعين ابن قنور والصوينع ودومة الجندل والقصيم وغيرها.

وأما النمط الثاني فهو نمط القرى الزراعية التي تحتل بطون الأودية أو تقع على شفيرها. وهي وإن كانت تمثل مرحلة من مراحل تطور المناطق الزراعية، أو تعدد مراكزها في المنطقة الوسطى، إلا أن ارتفاع منسوب الماء في تلك الأودية، ووجود التربة الصالحة



قرية زراعية بجانب أحد الأودية

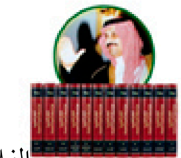




للاستقرار، كانا عاملي اطمئنان لمجتمع الفلاحين، جذبا غيرهم من المناطق القريبة، وإن كنّا لا نستبعد أن تكون تلك المراكز قد قامت في مراحلها الأولى على عيون تتدفق مياهها على السطح. ويعزز ذلك انتشار مزارع النخيل في تلك القرى بشكل لا يقل عن القرى الزراعية التي قامت وما تزال تحتفظ بعيونها مع شح كمية مياهها. كما أن التاريخ القريب حفظ لنا سجلاً لعيون اندثرت في منطقة الوشم والسر والقصيم ودومة الجندل وحائل وغيرها، وهي ما تزال تحتفظ حتى الآن بنمط زراعي مشابه رغم اندثار عيونها.

والنمط الثالث هو نمط البدع أو القلبان، وهي مزارع قرويّة يعتمد أصحابها على زراعة محاصيل الحبوب خاصة القمح، وتعتمد على السواني لرفع المياه من الآبار. وتخلو مناطق البدع هذه من مساكن للفلاحين وعائلاتهم، إذ عليهم أن يعودوا في المساء إلى القرية المجاورة التي توفر لهم المسكن والأمان.

والنمط الرابع هو نمط القصور، وهي أماكن زراعية تختص بالفلاح وعائلته فقط، وتمثل مرحلة متطورة في استصلاح الأراضي في المنطقة الوسطى. وقد ظهر هذا النمط بعد التقدم النسبي في الأمن وفي وسائل حفر الآبار. ويجاور هذا النمط القرى الزراعية، ويتناثر حولها على مسافات تتناسب غالباً وتاريخ حفرها. ويحدد مستوى ارتفاع الماء الجوفي نمط انتشار هذه (القصور)، فتأتي محاذية لمناطق التكوينات الرملية التي كانت تمثل سدوداً طبيعية لاحتجاز مياه السيول المنحدرة شرقاً. ونظراً لأن هذه القصور تعد توابع للقرى الزراعية التي انتشرت حولها، فقد سميت في معظم الأحوال باسم القرية الزراعية، مثل قصور ثرمداء، وقصور شقراء، وقصور الشماسية، وقصور مرات، وقصور ضرما، وقصر العشروات، وقصر غضور، وهكذا. وأحياناً تسمى القصور باسم أصحابها، مثل قصر المشوح، وقصر الحوشان، وقصر السكران، وقصر اليحيى، وقصر الميمان، وقصر ابن متروك، وقصر ابن عقيل. وتختلف هذه القصور في أحجامها ودرجة استقرار الفلاح فيها. ويمكن القول إن القصور التوابع، أو تلك التي تسمى باسم القرى الزراعية المجاورة ليس فيها استقرار، أو أنها تشهد استقراراً مؤقتاً. أما تلك القصور التي تسمى باسم أصحابها، فهي وإن كانت في مراحل قديمة تشبه القصور التوابع من حيث اعتمادها على زراعة الحبوب فقط، إلا





أنها نمت، وأصبحت لا تقل في ذلك عن القرى الزراعية. كما اجتمعت فيها خصائص القرية الزراعية؛ من كثافة نسبية للسكان واستقرار دائم، والجمع بين زراعة الحبوب وغرس النخيل.

أما النمط الخامس من أنماط الاستقرار المعتمد على الزراعة، فهو نمط العقل أو الجفار والخبوب وهي تشبه القصور التي تنتشر على الحافات الغربية للتكوينات الرملية في المنطقة الوسطى، ولكنها تتوغل داخل التكوينات الرملية متخذة الفراغات بين التكوينات الرملية مكاناً لوجودها. وقد تضافرت مجموعة من العوامل لانتشار هذا النمط في مناطق محددة كما في غرب الزلفي، والشماسية، وشرق وغرب بريدة، وبلاد الجبلين (أجا وسلمى). ولعل من أهم هذه العوامل وفرة المياه السطحية التي سربتها التكوينات الرملية إلى باطن الأرض، وارتفاع منسوبها، إضافة إلى أن هذه الأماكن كانت مناطق حماية طبيعية لأصحابها، كما أنها، في بعض مناطق وجودها، المسار الوحيد لامتداد الرقعة الزراعية، أو قيام حيازات زراعية جديدة. ونظراً لأنها لا تبعد كثيراً عن المنطقة الزراعية الأم، (كالعقل بالنسبة للزلفي، والخبوب بالنسبة لبريدة)، فإن العقل والخبوب شهدت استقراراً منذ المراحل الأولى لتكوينها، كما اعتمدت على زراعة الحبوب المعروفة بالمنطقة، وغرس النخيل.

والعقل والجفار اسمان لشيء واحد. فالصلة بين الكلمتين من حيث المعنى قوية، إذ إن الجفار لغة هي جمع جفرة، والجفرة هي الحفرة الواسعة المستديرة، وهي كالبئر إن لم تطو. والعقلة في لهجة عامة أهل نجد هي البئر القريب ماؤها من السطح، حيث ينزع ماؤها بعقال المطية، ومن هنا جاءت التسمية. وعقال المطية حبل قصير تعقل به الإبل حتى لا تغادر المكان الذي حدد لها، فنزع الماء بالعقال دلالة على قرب الماء من السطح؛ يقول الراجز:

يا رب ماء لك بالاجبال
أجا وسلمى الشمخ الطوال
بغيغ ينزع بالعقال

والعقلة اسم يطلق على أماكن مأهولة في منطقة الجبلين، مثل عقلة ابن جبرين، وعقلة الرماحي، وعقلة جديد. وفي منطقة الزلفي مكان يدعى قديماً الجفار أو جفار بني تميم. وقد ذكر ياقوت بعض الجفار التي أصبحت علماً لمواضع كثيرة، منها الثويد مركز إمارة العقل الشمالية بالزلفي حالياً، وآراب التي تعرف باسم



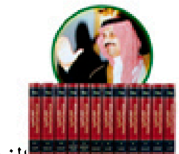




زراعة النخيل في عقلة داخل النفود

جراب. وفي المنطقة الجنوبية تطلق كلمة عقلة وجمعها عقل على المزرعة التي تحتوي على نوع أو مجموعة أنواع من شجر الفاكهة.

والنمط السادس الأخير هو الزراعة البعلية التي تعتمد في المقام الأول على الأمطار. ومكانها الروضات والقيعان التي تشبه الأحواض المغلقة وتنتهي إليها الأودية. ونظراً لأن هذه الأماكن قريبة من القرى الزراعية، فقد خلت في معظمها من الأنماط السابقة، واختلفت في شيوع استخدامها وخصوصيته. فقُصِرَ بعض منها على أهل القرية المجاورة له مثل قاع ثرمداء لأهل ثرمداء فقط، وروضة السبلة لأهل الزلفي، والمستوي لأهالي الشماسية والربيعية والنبقية، وقاع المبعل، وقاع الحرد لأهل مدينة الروضة بمنطقة حائل. وأشيع بعضها مثل روضة الوشيين، ومطربة لأهل السر، وروضة سريع شمال ساجر، لأهل ساجر حاضرة وبادية، والحمادة شرق شقراء لأهل الوشم وروضة بنَّا، وسدْحا، وحطابة شمال بلدة حرمة بمنطقة سدير. كما أن هناك بعض الرياض الصغيرة أو القيعان التي اختص بها فرد بعينه لزراعتها بعليّاً دون غيره. وتقوم الزراعة البعلية -مهما اختلفت خصوصية الملكية أو شيوعها- على زراعة القمح والشعير فقط، وتعتمد





في شيوعها وانتشارها على الأمطار. وقد تجود الزروع البعلية فتفوق المروية في مردودها، ولكن يظل عنصر المجازفة، وقلة المردود أو انعدامه مرجحاً، خاصة إذا علمنا أن من يمارس الزراعة البعلية شريحة اجتماعية فقيرة، وإن كانت تملك خبرة المزارع التقليدي.

بعد أن استعرضنا، فيما سبق، حدود وسط المملكة وأنماط الزراعة فيه، يجدر بنا أن نستعرض، بإيجاز، الأماكن القديمة التي شهدت البدايات الأولى، لهذا النوع من النشاط الاقتصادي، حيث مورست



عين مندثرة

فيها الزراعة التقليدية بكل أبعادها. ففي الشمال نمت الزراعة وتركزت حول دومة الجندل وسكاكا وطبرجل. وكانت العيون في دومة الجندل وما حولها، مصدراً للزراعة التقليدية. كما كانت الآبار، التي تعتمد على السواني في إخراج مياهها، مصدراً رئيسياً قامت عليه بعض المراكز الزراعية التقليدية في منطقة الجوف بشكل عام. وكانت العيون، التي تتدفق مياهها على السطح، منتشرة في مراحل مبكرة قبل جفافها، قد أوجدت نوعاً من الاطمئنان لدى الفلاح التقليدي لاستمرار زراعته. فكانت التمور التي تجود بها مزارع النخيل أهم محاصيله مما أثار دهشة الرحالة، وأعطى انطباعاً عن كثرة السكان في بعض مدن الإقليم على نحو ما ذكره الإنجليزي أرتشبالد فورد سنة ١٩٠١م.

أما منطقة حائل فحوت العديد من المناطق الزراعية بسبب انتشار العيون في بعض أرجائها. ومن أشهر عيونها تلك العيون التي تروي المناطق الزراعية الواقعة إلى غرب حائل، وتنبع من أطراف حرة بني رشيد الشرقية. وعلى الرغم من جفاف هذه العيون واندثار كثير منها، إلا أن الزراعة التقليدية استمرت معتمدة على رفع المياه





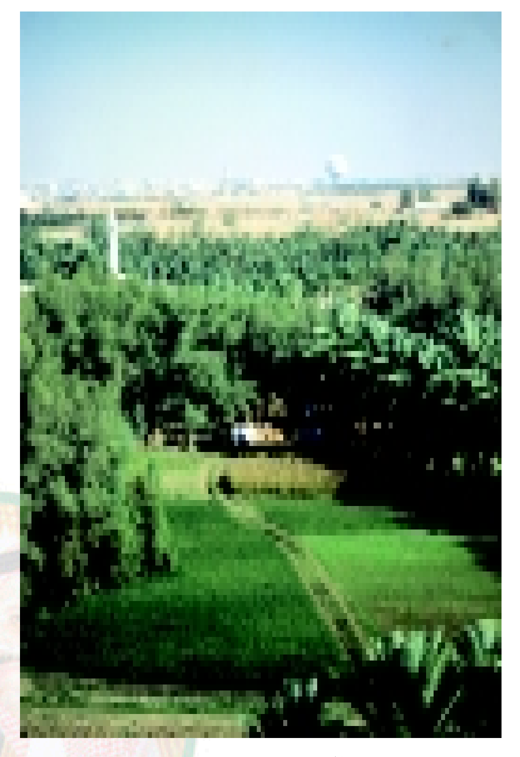
بالسواني من الآبار بدلاً عن العيون. كما يحتضن النفود الكبير بعض القيعان والمنخفضات الصالحة للزراعة، حيث تمتاز بارتفاع منسوب مياهها مثل أم القلبان وقنا وموقق وجبَّة. وتعتمد جميعها على السواني في استخراج المياه. وتضم الأودية الواقعة حول أجا وسلمى ورمَّان قرى زراعية قديمة تعتمد على استخراج المياه من الآبار على السواني، مثل قادح والروضة والصداعية والمستجدة والغزالة والوسيطاء والحفينة والعوشزية والحامرية والسليمي وبقعاء وفيد وطابة والجحفة والأجفر وسميراء وضرغط والنيصية والجثامية وجفيفاء والمهاش والبلازية وعقدة وقفار والسبعان. كما يسود في حائل نمط زراعي فريد يشبه إلى حدٍّ ما الزراعة البعلية من حيث اعتماده على الأمطار والسيول، ولكنه يختلف عنها في أن المزارع بعد الزراعة يترك زرعه حتى وقت الحصاد. ولعل ممارسة البادية لهذا النوع من الزراعة هي التي أعطته هذا النمط الفريد، حيث يشكل هذا النشاط للمزارع نشاطاً ثانوياً بجانب الرعي، وهو نشاط مؤقت لاعتماده على الأمطار التي قد تتزامن ورخاء البدوي وتوفر الأعشاب لحيواناته.

وإلى الجنوب الشرقي من منطقة حائل تنتشر قرى القصيم الزراعية، التي أصبحت مدناً وبلدات مثل بريدة وعنيزة والرس والبكيرية والمذنب والبدائع والخبراء والشماسية والربيعية وغيرها. وإذا كان وادي الرمة، الذي يخترق منطقة القصيم من الغرب إلى الشرق، قد حدد كثيراً مناطق الزراعة التقليدية في إقليم القصيم إذ تتركز على جوانب الوادي، فترتوي في فترات جريانه، أو يرفع منسوب مياه آبارها التقليدية (القلبان)؛ فإن العيون والينابيع التي تنتشر في مجرى الوادي وبعيداً عنه في أماكن أخرى، كالشماسية والربيعية إلى الشرق، والمذنب في الجنوب، حيث عيون العقالا وعين ابن هذال –التي توقفت قبل أربعين عاماً– قد حددت هي أيضاً مناطق للزراعة التقليدية في القصيم، واحتفظت بمكانتها وشهرتها الزراعية حتى وقتنا الحاضر.

ووفقاً للتقسيم العام لأنماط تركز الزراعة التقليدية في وسط المملكة؛ تضم منطقة القصيم إلى جانب نمط القرى الزراعية، نمط الخبوب التي تنتشر داخل عروق النفود في المنخفضات الطينية. ولعل المسار التوسعي للأراضي الزراعية، وامتلاك حيازات جديدة ذات مياه قريبة من السطح، هي التي حددت مواقع هذه







خب بالقرب من مدينة بريدة

الخبوب وانتشارها مثل خب الربدي والقويع وخب الثنيان والحميدية والحمد والدعيسة وضراس وغيرها كثير. كما يسود في القصيم نمط البدع التي هي مزارع فردية خارج أسوار القرية يعمل بها أصحابها نهاراً، ويهجرونها ليلاً، آخذين معهم حيواناتهم إلى داخل أسوار القرية الأم التي توفر لهم المسكن والأمن.

واشتهرت منطقة السر -التي تعد امتداداً جغرافياً لإقليم القصيم جنوباً- بالزراعة منذ مئات السنين. فالمنطقة غنية بعيونها العديدة مثل عين ابن قنور وعين الصوينع والروسانية وصعيبات وسمرة والطرفية وهوينة والعيينة والريشية وخريسان. وكانت تشكل في مجملها موارد مائية دائمة وغنية لمناطق زراعية قديمة ما تزال تحتفظ ببعض آثارها حتى اليوم، على الرغم من اندثار معظمها. وإلى جانب المناطق الزراعية التي تعتمد على العيون كمصدر لمياهها، فإن الوضع الهايدرولوجي للمنطقة بأسرها خلَّف منسوباً مرتفعاً للمياه في معظم أجزائها. فانتشرت الآبار في مناطق قريبة أو مجاورة لمناطق العيون، أو في بطون الأودية التي تنحدر إلى الأحواض المغلقة التي تنحدر إليها مياه العيون في معظمها.

ومن أشهر المراكز الزراعية التقليدية في منطقة السر المغرة ومهيضة ووثيلان ومهيضات النوافل والدمثي والفيضة، وتحوي آباراً عديدة من أشهرها عبيعبة والشرقية وفاهدة وبطيَّة والطويلة والصبيحية وقصر اليحيى وناهضة والعلوة والملقا والصعيبات وحزميَّة والعليّا. وإلى الشرق من الفيضة الأرطاوي وقصر ابن ربيع وحجيلانة ونويجمة والقليبات وهذالات وقصر المليحات والشمرية والمطاوي وخضراء. وإلى الجنوب جفن والنظيم وقصر المشوح ومليحة وسمحة والسكران ودحَّانة والعبعب وسنادات



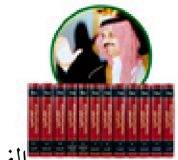


وحزمية وسهلة وبكيرة والبديع والقويفيلة والصدع والحزم وعسيلة والبرود وقلبان الشتوي وقلبان الفليِّح.

وهذه المواقع في مجملها مراكز للزراعة التقليدية في منطقة السر وهي تضم في مجموعها أنماط الزراعة التقليدية التي سبقت الإشارة إليها. فعين الصوينع وعين ابن قنور وسمرة والطرفية والعيينة وهوينة هي القرى الزراعية التي نمَّطت الإنتاج الزراعي والاستقرار البشري في تلك المناطق؛ فأصبحت التمور والحبوب أهم المحاصيل في تلك القرى. أما الفيضة والأرطاوي وجفن ووثيلان والدمثي والسكران وعسيلة وخف والخفيفيَّة فكانت نمطاً مشابهاً لنمط القرى الزراعية، ولكنه يتخذ بطون الأودية الغنية بمياهها وارتفاع منسوبها مكاناً لانتشارها. أما القلبان، جنوب شرق عين ابن قنور، ودحَّانة جنوب السكران، وسنادات شرق ساجر، والعبعب والصرع والحزم قرب عسيلة، وقلبان الفليِّح، وقلبان الشتوي؛ فكانت المزارع الفردية التابعة للقرى المجاورة التي يعمل بها أصحابها نهاراً ويهجرونها ليلاً. ومعظم الإنتاج في هذه البقاع الحبوب بأنواعها، وتكاد تخلو تلك المراكز الزراعية من النخيل والأشجار الأخرى. كما انتشر نمط القصور الزراعية، مثل قصر المشوح والحوشان وخريسان والبرود ومهيضة والمغرة والمليحات، على طول الحواف الغربية لنفود السر، حيث المياه الوفيرة والتربة الصالحة للزراعة. وتهتم هذه المراكز جميعها بزراعة الحبوب. أما الزراعة البعلية فقد عُرِفَتْ بها مواقع عديدة، كروضة الوشيين ومطربة والغربة وسريع ونحوها، وظل هذا النشاط فيها حتى وقت قريب.

كان لامتداد منطقة السر واتساع أراضيها الصالحة للزراعة، وارتفاع منسوب المياه الجوفية في كثير من أجزائها؛ أثر كبير في اختفاء نمط من أنماط تركز الزراعة التقليدية هو التوطن داخل نطاق التكوينات الرملية، كما هو الحال في غرب بريدة وغرب الزلفي، على الرغم من وقوع بعض أنماط المراكز الزراعية التقليدية في نطاق الصياهد؛ وهي التكوينات الرملية القديمة المنتشرة على امتداد الحواف الغربية لنفود السر، مثل المغرة وهذالات وخضراء والنظيم غرب قرية جفن. وإلى الغرب والجنوب الغربي من منطقة السر، وفي مناطق التقاء الأودية المنحدرة من الجبال الغربية توجد بعض المراكز الزراعية الهامشية مثل الدوادمي ووضاخ والأثلة وضرية ومسكة.

أما الوشم فتشبه منطقتي القصيم والسر بنمط تركز قراها ومدنها. ولم





تختلف أسمـاء مدنها وقراها عما ورد في المعاجم القديمة إلا في النزر اليسير. فقد عـرفت شقراء -حاضرة الـوشم- وثرمداء وأشيقر والقصب ومرات وأثيثية والفـرعة والقـرائن (الوقـف وغسلة) والمشاش والـداهنة بمزارعـها. وكانت الآبار في بطون الأودية المصدر الوحيد الدائم لري تلك المزارع. ونظراً لقلة المياه وانخفـاض مستواها الجـوفي، مقارنـة بمناطق القصيم والسر، انحصرت الزراعة فيها داخل أسوار قراها ومدنها، بل لقد أدى ابتعادها وانعزالها عن المراكز الزراعية الأولية الأخرى في كل من القصيم والسر شمـالاً، والريـاض جنـوباً، وسـدير والزلفي شرقاً، إلى خلق هذا النوع من المـزارع والمسـاكن المحـاطة بـالأسوار والقلاع.

وشهدت المنطقة، كغيرها من مناطق المملكة، تعدداً في مناطق زراعتها التقليدية في الفـترات التي شهـدت استتبابـاً في الأمـن، وتطـوراً في وسـائل الحـفر، فاشتهرت بالقصور التوابع، مثل قصور ثرمداء وشـقراء والقرائن ومرات. وقـد ورثت هذه القصور وحفظت في ذاكرتها، مهما صغر حجـمها وقل عدد العاملين فيها، عنصر السور وأهميـته. فأحيطت جميعها بـالأسوار، وأدخل البئر ضمن السور، إلا أن المزارع كانت تقـع خارج الأسوار نظراً لاتسـاع مساحتها، حيث تعتمد على زراعة الحبوب بأنواعها.

وإلى الشرق من الوشم وحافة جبل طويق، تنتشر بعض المراكز الزراعية القديمة التي استغلت المناطق السهلية المحصـورة بين التكوينات الرمـلية والحافات الجبلية



الزراعة داخل القرى





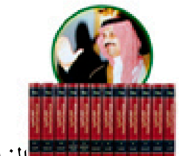


وادي المشقر – المجمعة

لممارسة هذا النـشاط. ولعل من أهمها المجمعة –حاضرة سدير– التي اعتمدت على الآبار المنتشرة في أوديتها مثل وادي الكلبي والمشقر ووشي وغيرها.

كما تـعد الزلفـي واحدة من أقدم المناطق الزراعية في وسط الجزيرة العربية، فقد ذكرها الأصفهاني سنة ٣١٠هـ في كتابه بلاد العرب، فقال «إنها زلفة بني العنبر، وإنها في ديار عدي الرباب من بني تميم». ولقد وفرت مجموعة الأودية والشعاب، مثل وادي مرخ ووادي الثوم وشعيب السبلة وشعيب جار الله وشعيب حمدي، التي تصل إلـى مراكز الزراعة القديمة، مصدراً مائياً لآبار السواني التي تعتـمد عليـها زراعة القـمح والشعـير والذرة، وزراعة النخيل التي تشتهر بها المنطقة. كما مارس سكان المنطقة الزراعة البعلية في روضة السبلة إلى الشرق من الزلفي.

أما قرى سدير الزراعـية، فأشهرها حوطة سدير الـتي تتوسط وادي الفقي المنحدر من السفوح الشرقية لجبال طويق. وتعد من المراكز الزراعية القديمة في وسط الجزيـرة العربيـة، وكان يطـلق علـيها الحائط، ويقول عنها الهمداني «ثم تصعد في بطن الفقي فترد الحائط، حائط بني غُبر، قرية عظيمة فيها سوق». ومن أشهر أوديتها الزراعية وادي سدير الذي كانت على جوانـبه الزراعة منذ القدم، وكـذا وادي الأمالح. والـزراعة في مجمـلها





تعتمد على الآبار التي تغذيها الأودية، وتقوم على السواني في استخراج المياه وري محاصيلها. وقد اشتهرت منذ القدم مدن وقرى سدير، وهي الروضة وجلاجل والعطَّار والجنوبية والعودة والتويم وعشيرة والغاط وحرمة وتمير وتمريّة، بزراعة النخيل وإنتاج التمور والحبوب، كالقمح والشعير، والدقس وهو نوع من أنواع الذرة تزرع بتهامة، ويميل لونها إلى الصفرة؛ يقول شاعر من أهل البرَّة:

يا شيب عيني عجوز من هل البره

ماكولها الدقس ومتان علابيها

وإلى الجنوب من سدير (القسم الشمالي للعارض) تنتشر الزراعة على طول أودية العارض الوسطى، وبالذات في الأودية المتسعة عظيمة الامتداد، التي تنحدر إلى الشرق والجنوب الشرقي من حافة طويق. وتتفاوت هذه الأودية في خصوبتها، وتوافر مياهها، وقرب قيعانها من منسوب الماء الجوفي. ويعتبر وادي العرض (حنيفة) من أهم مناطق تركز الزراعة في هذا الجزء من أرض اليمامة، حيث انتشرت على طول ضفافه وبطون روافده مجموعة كبيرة من القرى والواحات الزراعية التي قل أن يخلو منها أي جزء منه أو من روافده. ومن أهم هذه المناطق الزراعية القديمة، التي أصبحت متميزة بنشاطها الزراعي في الوقت الراهن، الدرعية وعرقة والمصانع إضافة إلى الرياض. ويعتبر وادي لحاء في قسمه الجنوبي، من أهم الأودية التي توطنت فيها الزراعة منذ أمد بعيد. وقد أشار إليه ياقوت بهذا الاسم وقال إنه وادٍ من أودية اليمامة كثير الزرع والنخيل لعنزة ولا يخالطهم فيه أحد. ومن أودية العارض الجنوبية التي اشتهرت بالزراعة منذ أمد قديم وادي نعام وهو، كما ذكر ياقوت، وادٍ باليمامة لبني هزان في أعلى المجازة، من أرض اليمامة كثير النخل والزرع، وكذا وادي الغيل وهو واد لجعدة بين جبلين ملآن نخيلاً. وفي أقصى جنوب العارض قامت بعض المراكز الزراعية في فجاجه الكبيرة، ومنها عقيق اليمامة الذي أشار إليه ياقوت بقوله «إنه لبني عقيل فيه قرى ونخل كثير». وسمة الأودية الكبرى التي تركزت فيها الزراعة، وشهدت نمطاً من أنماط التحضر، هي اتساعها، ووفرة مياهها، وغنى تربتها، وقرب منسوب مائها الجوفي من السطح، مما جعل الزراعة وفيرة. ولكن انخفاض منسوب المياه الجوفية في هذه الأودية قد تلاه حفر الآبار، وقيام الزراعة التقليدية التي أصبحت تستخدم فيها طرق عديدة

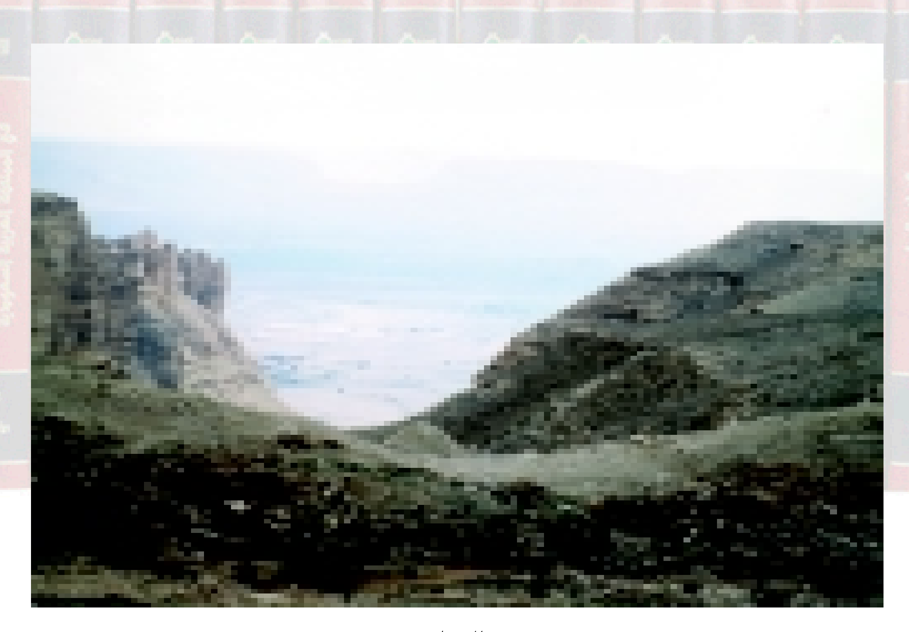




لري محاصيلها، وتعتمد على قوة المزارع الجسدية وحيواناته التي روضها لهذا الغرض.

وفي غرب جبل طويق قامت مناطق زراعية قديمة في السهول المرتفعة المحصورة بين العارض شرقاً، وعالية نجد غرباً، وقد عرفت قديماً باسم قرى قرقرى، وقد اختفى الاسم في هذا العصر، وأخذت المنطقة اسماً جديداً يعرف بالبطين. وقد أشار إلى قراها الهمداني والأصفهاني، وقال عنها ياقوت إنها أرض باليمامة إذا خرج الخارج من وشم اليمامة مهب الجنوب وجعل العارض شمالاً فإنه يعلو أرضاً تسمى قرقرى فيها قرى وزروع ونخل كثيرة، ومن أشهر مدنها في الوقت الراهن العويند وضرما والغطغط والبرة، وإن اعترى بعضاً من أسمائها تحريف في النطق والرسم.

ومن المناطق الزراعية القديمة في المنطقة الوسطى قرى العرض، أو عرض القويعية نسبة إلى بلدة القويعية أكبر بلدانه. وتطلق المعاجم العربية القديمة عليها اسم سواد باهلة نسبة إلى سلاسلها الجبلية عظيمة الامتداد ذات اللون الأسود. وقد اعتبرتها بعض المصادر القديمة جزءاً من أرض اليمامة، وإن كانت تشبه في خصائصها الطبيعية عالية نجد. ومن أشهر قراها الزراعية القديمة القويعية والمريقد وخنيفسة ومحيرقة.



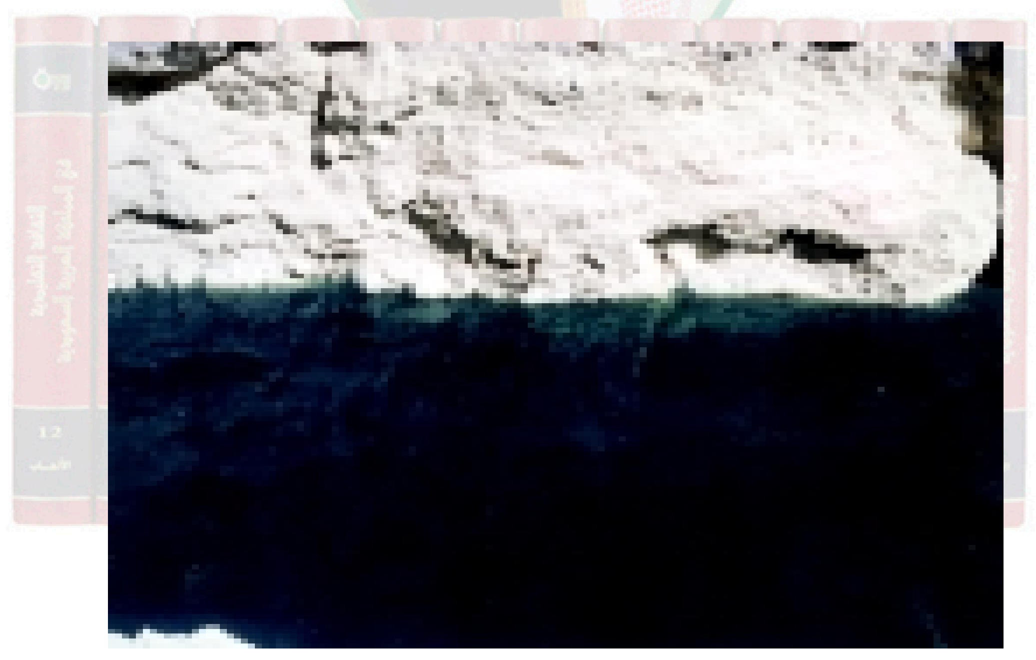
جبال طويق





وإلى الشرق من جبل طويق تركزت الزراعة فـي منطقتـين رئيسيـتين، هما الخرج، الـذي كان يـدعى قـديماً جـوّ الخضارم، والأفلاج. وتقع الخرج شرق إقليم اليمامة إلى الشرق من سلسلة جبال العارض (طويق)، وحظيت هذه المنطقة بشهرة زراعـية واسعة منذ القدم، وقـد وصفها ابن حوقل بأنها أكثر نخيلاً وثمراً من المدينة المـنورة وسائر مدن الحجاز. وتعد الخرج -وما تزال- أخصب إقليم في اليمامة وأكثرها ماء وأشهرها إنتاجاً، وكانت موارد المياه الجوفية ومياه العيون الجارية من الركائز الأساسية التي قامت عليها الزراعة في هذه المنطقة.

أما الأفلاج فقد عرفت بهذا الاسم ماضياً وحاضراً وتقع في القسم الجنوبي من الـيمامة، واشـتهرت بميـاه عيونـها وأفلاجها التي كانت تسيح وقامت عليها الزراعة. ونظراً إلى شهرة الأفلاج التي تعود إلى كثـرة عيونها وسيوحها، فقـد شهدت اسـتقراراً يعـود إلى قبائل عـاد البائدة. وقد أشارت بعض المصادر القديمة مثل الهمداني إلى وجود آبار تخرج منها المياه في المناطق التي لا توجد فيها عيون جارية. وتحدث الرحالة ناصر خسرو عن الزراعة في تـلك المنطقة بقولـه «وهناك أربع قنـوات يسقى مـنها النخـيل، أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع إليها معظم



إحدى عيون الخرج





الماء من الآبار، وهم يستخدمون في زراعتهم الجمال لا الثيران، ولم أرها هناك، وزراعتهم قليلة وأهلها يأكلون التمر أثناء النهار، وقد رأيت هناك تمراً طيباً جداً أحسن مما في البصرة وغيرها...» (خسرو ١٣٩٠: ١٣٩-١٤٠).

ومن المناطق المشهورة في جنوب اليمامة حوطة بني تميم عند التقاء وادي برك ونعام، وكانت تعرف قديماً بالمجازة، أو ذي المجازة، وتعتمد الزراعة فيها على الري التقليدي من الآبار. أما وادي الدواسر فيقع في الطرف الجنوبي لهذه المناطق الزراعية، وقامت الزراعة فيه على ضفاف وادي الدواسر الذي اشتهر بزراعة النخيل وإنتاج التمور والحبوب والأعلاف، واعتمدت الزراعة فيه على الآبار الغنية بمياهها السطحية.

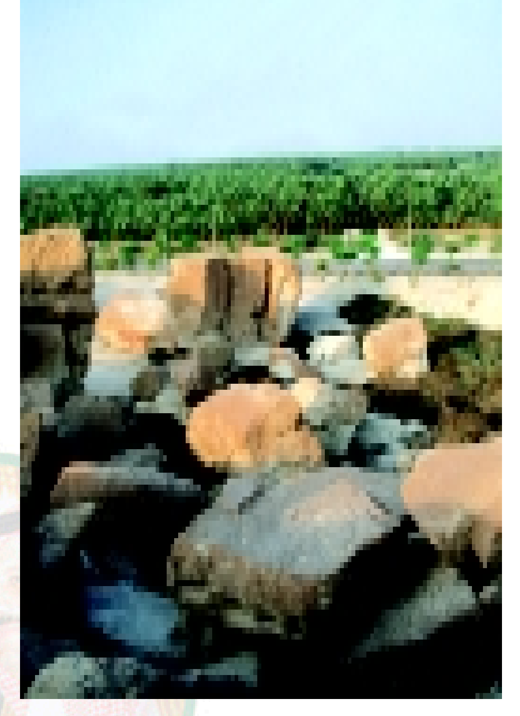
**الأحساء**. وتمتد من الدهناء غرباً حتى سواحل الخليج العربي شرقاً. وعلى الرغم من شيوع الطابع الصحراوي وهو التراكمات الرملية، كالدهناء والجافورة، إلا أن الأطراف القريبة من السواحل الشرقية تحتضن واحتين رئيسيتين عرفتا الزراعة منذ القدم، وهما سيهات الأحساء، والقطيف، وهناك غيرهما من الواحات التوابع. وقد حققت هذه الواحات اكتفاءً ذاتياً لقاطنيها، بل لقد فاض الإنتاج وصدر إلى المناطق المجاورة. ولظروف طبيعية غير معتادة في ملامح البيئة الطبيعية لواحة الأحساء فإنها تعطي صورة مغايرة لطبيعة شبه الجزيرة العربية. ولعل مظاهر واحة الأحساء الزراعية بكل أبعادها من وفرة في المياه، وانتشار بساتين النخيل في وسط بحر من الرمال، هي التي أكسبتها هذه الصورة.

وقد ورد ذكر الأحساء في المصادر العربية القديمة التي كتبت عن شبه الجزيرة العربية، ومهما اختلفت في رسم الاسم إملائياً إلا أنها تجمع على مدلوله اللفظي الذي يتضمن غزارة مياه المنطقة.

واشتهرت الأحساء بأنّها واحة زراعية قديمة جداً، فقد ذكرها المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم، والمصادر القديمة تسمي الأحساء قصبة هجر، وتسمى البحرين، وهي كبيرة وكثيرة النخيل، عامرة آهلة، وجاء في معجم البلدان أن الأحساء مدينة بالبحرين معروفة ومشهورة، كان أول من عمرها وحصَّنها وجعلها قصبة هجر هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي. ويذكر أبو الفدا (المتوفى سنة ٧٣٢) «الأحساء بُلَيْدَة ذات نخيل كثير، ومياه جارية، ومنابعها حارة شديدة الحرارة، والأحساء في البرية وهي عن







واحة نخيل في الأحساء

القطيف في الغرب بميلة إلى الجنوب على نحو مرحلتين، ونخلها بقدر غوطة دمشق مستدير عليها» (فيدال ١٩٩٠ : ٢١). ويشير إلى أنه ليس للأحساء سور، وبين الأحساء واليمامة نحو مسيرة أربعة أيام.

وتضم واحة الأحساء حوالي ١٨٠كم٢ من الأراضي الزراعية، وتشكل الواحتان الرئيسيتان (الواحة الشرقية والواحة الشمالية والأراضي الزراعية حول مدينة العيون)، أكبر واحة زراعية في المملكة العربية السعودية، إذ تقدر مساحتها الإجمالية بأكثر من ٣٠,٠٠٠ فدان من الأراضي الزراعية. وتذكر المصادر أن واحة الأحساء كانت تضم قبيل الحرب العالمية الثانية حوالي ١٦٢ عيناً وينبوعاً تختلف في أحجامها وكميات مياهها المتدفقة. ومن أشهر عيونها عين الحقل وعين الخدود وعين نجم وعين برابر وعين الحارة وأم سبعة وغيرها. وقد استخدم في ريها أسلوب السيح نظراً لتدفق المياه من هذه العيون وانحدارها إلى الأراضي الزراعية التي تقع في مستوى ينخفض عن مستوى العين، أما المناطق الزراعية التي تقع في مستوى أعلى من مستوى العيون، فكانت تروى بالآبار التقليدية، أو برفع المياه من مجاري العيون، وكذلك من الينابيع الصغيرة المتناثرة في الواحة بالسواني والشواديف أو العدة التي يستخدم المزارع فيها القوة العضلية. كما كان الدلو (الغَرْب) مستخدماً، وإن كان استخدامه أقل شيوعاً. والمساحات الزراعية المروية بهذه الطريقة على أي حال قليلة. وواحة الأحساء الزراعية في مجملها وهيئة انتشارها تشبه الحرف اللاتيني L، ولا تتصل كل المساحة المزروعة بعضها ببعض، إذ تنتشر بساتين النخيل بشكل متقطع حول مدينتي الهفوف والمبرز في





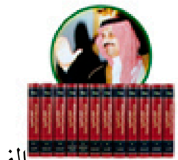
الزاوية الجنوبية الغربية من الواحة، كما تظهر انقطاعات صغيرة أخرى تفصل تواصل الرقعة الزراعية في أجزاء عدة من الواحة.

وقد مكنت غزارة المياه ووفرتها من إيجاد زراعة كثيفة، لم يقتصر تأثيرها على أنها أعطت طبيعة خاصة للبيئة، وأمنت وسائل العيش، بل ساهمت في تكوين حضارة الأحساء بأكملها. فعلى سبيل المثال قد تكون وفرة العيون وغزارة مياهها قد جعلت السكان غير متأثرين بتقلبات هطول الأمطار وغزارتها، ولهذا استقبلت هذه الواحة الموجات الأولى لاستقرار البادية في قراها الزراعية؛ فكان أهل البادية يزرعون الحبوب كالقمح والشعير على أطراف بعض الواحات، ويتركونها حتى وقت الحصاد. ومع تكرار العملية ألفوا حياة الاستقرار، فأسسوا لهم بعض القرى الزراعية، مثل الوزيَّة في الواحة الشمالية، والعويضة في واحة العيون، والرفيعة حول مدينة الهفوف، والطرف في الجزء الجنوبي من الواحة الشرقية.

وعلى الرغم من كون الأحساء واحة من أهم المناطق الزراعية القديمة والحاضرة في المملكة، فإن مشكلة زحف الرمال، وملوحة التربة، وسوء الصرف، هي في مجموعها عوامل سلبية أعاقت استصلاح

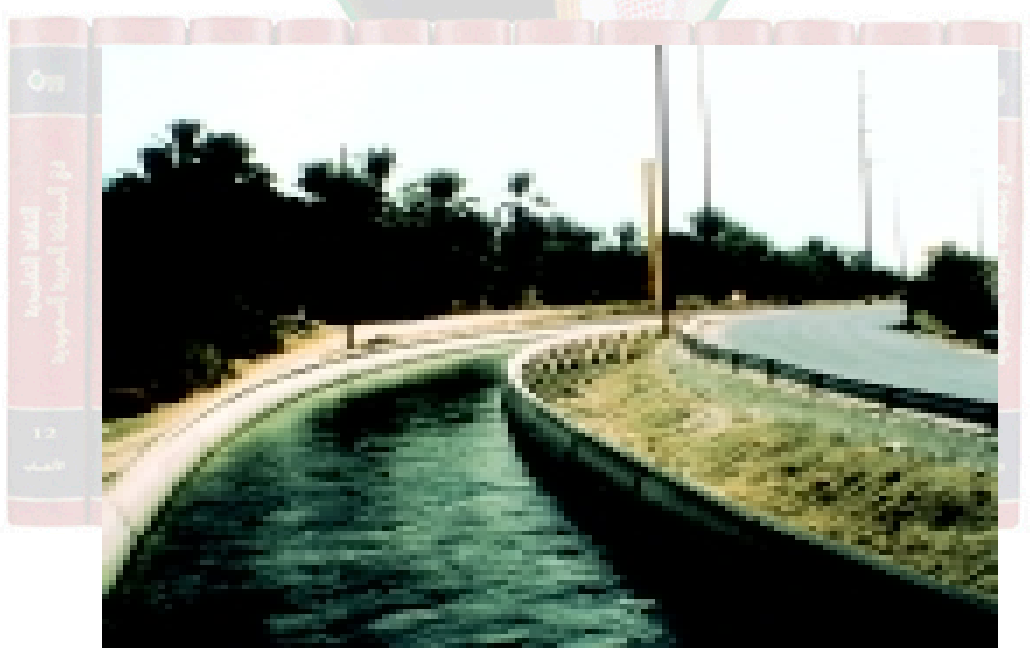


جانب من مشروع الري والصرف بالأحساء




الأراضي في الواحة، كما قللت الرمال الزاحفة مساحة أراضٍ زراعية قديمة، وطمرت تماماً أجزاء أخرى، مما اضطر بعض المزارعين إلى البحث عن أراضٍ زراعية غيرها، أو ترك الزراعة نهائياً. وتقدر بعض المصادر التاريخية أن أكثر من نصف الواحات الزراعية قد طمرتها الرمال، بل إن مدينة جواثا -العاصمة القديمة للأحساء التي كانت تقع في وسط هذه الواحة- قد طمرت بالرمال تماماً. وقد خفت حدة هاتين المشكلتين بعد مشروع الري والصرف ومشروع حجز الرمال في الواحة. وكانت ثَمّ أودية ممتدة من الأحساء ومتوازية، من النخيل الصحراوي المهمل الذي يتواصل امتداده إلى أن يصل إلى واحات القطيف. وتقوم هذه على مواقع حضارية قديمة وربما كانت تنبت على أودية جارية من الأحساء إلى القطيف.

ويقال في أساطير أهل المنطقة إن (التيس) يجري على سطوح المنازل وأسوار البساتين من القطيف إلى الأحساء ومهما كانت المبالغة في ذلك إلا أنها تدل على حضارة زراعية واسعة، ومما يذكر أن رحالة يونانيّا زار قبل الإسلام منطقة القطيف وخاصة دارين ودهش من جمال تلوين مساكن أهل تلك البلاد ومدى تحضرهم الزراعي.


جانب من مشروع الري والصرف بالأحساء





أما واحة القطيف فقد اكتسبت شهرتها الزراعية من عيونها المتدفقة، ومياه آبارها الجوفية القريبة جداً من السطح. ونظراً لوقوعها على شواطىء الخليج العربي فقد بلغت شهرتها، كواحة زراعية منتجة للتمور، ربوع بلاد بعيدة كالهند وباكستان وإيران وبعض بلاد دول الخليج العربي.

ودلت الدراسات الآثارية في منطقة القطيف على أن الواحة كانت أكبر مساحة مما هي عليه الآن، وأن الواحة الحالية ليست إلا جزءاً بسيطاً من الواحة القديمة. وقد ذكر سادلر Sadler الذي زار المنطقة في بداية القرن التاسع عشر أن الزراعة هي الركيزة الأولى في اقتصاد الواحة، إذ الضرائب المفروضة على الزراعة حوالي ٩٣٪ من دخل السلطة المحلية آنذاك. كما ذكر لوريمر سنة ١٩١٥م أن التمور هي المحصول الرئيسي في واحة القطيف، وقدر الإنتاج السنوي منه بحوالي ٢٤ ألف طن، ويدخل جزء من الإنتاج في تجارة الواحة الخارجية حيث تصدر التمور إلى البحرين وعُمان وإيران والهند.

وقدرت بعثة الولايات المتحدة الأمريكية إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٤٢م مساحة الأراضي الزراعية في واحة القطيف بحوالي ٩٠٠٠ فدان، وذكرت أن التمور والخضراوات والبرسيم أكثر الغلات أهمية بتلك المنطقة، كما ذكرت أن من أهم المشكلات الزراعية التي تواجه الفلاح في الواحة ارتفاع مستوى الماء وقلة خصوبة التربة وارتفاع ملوحتها.

وتعد الأراضي الممتدة على جانبي ما يعرف في المنطقة الشرقية باسم وادي المياه (الستار قديماً) من مناطق الزراعة التقليدية في المنطقة الشرقية، إذ تقوم على جانبي الوادي، قرى زراعية متناثرة مثل مليجة ونطاع وعتيق والمناهل والصرار وغيرها. وتكثر الواحات الخضراء وينابيع المياه التي تسقي هذه الواحات، وهي معروفة منذ القدم بأهميتها الزراعية.

وتأتي مجموعة عيون سيهات، ومجموعة عيون عَنَك، ومجموعة عيون أم الحمام، ومجموعة عيون الجاروديَّة، ومجموعة عيون القطيف ومجموعة عيون الأوجام والخويلدية على قائمة أهم العيون في الواحة. وبالإضافة إلى العيون المتدفقة، هناك الآبار السطحية تنبثق منها المياه، في معظم الأحيان، بعد الحفر على شكل عين، ولهذا فالسيح هو أسلوب الري الغالب في الواحة، وإن كان الشادوف (الدلو) والسواني قد استخدمت على نطاق ضيق جداً في استخراج المياه لري مزارع الواحة.





## العوامل الطبيعية المؤثرة في الزراعة

تعد الزراعة بأنماطها المختلفة، التقليدية والحديثة، من أكثر المهن التي تخضع للعوامل الطبيعية، من تركيب جيولوجي وتضاريسي وتربة ومناخ، خاصة في تحديد المناطق الزراعية وأنواع المحاصيل. وسنعرض فيما يلي لهذه العوامل:

**البناء الجيولوجي**. المياه الجوفية، هي أهم مصادر المياه للزراعة في المملكة العربية السعودية، باستثناء المنطقة الجنوبية الغربية. ومن ثمَّ فإن البناء الجيولوجي والخصائص الليثولوجية كانتا في مقدمة العوامل التي أثرت بشكل واضح على الزراعة التقليدية في المملكة، ولهذا فإنه من المهم أن نتعرض لهذا الموضوع في البداية.

ودون الخوض في التاريخ الجيولوجي للمملكة، فقد انقسمت المملكة جيولوجياً إلى قسمين رئيسيين؛ القسم الأول، وهو القسم الغربي، تغطيه جبال الحجاز، وتلال وجبال تهامة، والهضاب والحرات الواقعة إلى الشرق من جبال الحجاز، وجبال شمر، وجبال أبانات، وجبال النير، وجبال القهر. وصخور هذا القسم نارية ومتحولة. ونظراً لأن صخور هذا القسم لا ماء فيها، فقد انحصرت الزراعة فيه على ضفاف الأودية الكبيرة، وبطونها في بعض المناطق، حيث يستفيد الفلاح من تدفق المياه بين فترة وأخرى عبر هذه الوديان، أو يحفر الآبار في بطون إرسابات هذه الأودية للحصول على المياه رغم ضحالتها، وأحياناً يحفرها داخل مجاري الأودية خاصة تلك التي تكون إرساباتها عظيمة. وهذه الآبار المحفورة ثمائل تحدد أماكن الاستفادة من المياه عند تأخر نزول الأمطار. فيعمد الفلاح إلى إحداث فتحات جانبية في تلك الآبار تسمح بدخول المياه المتدفقة من الوادي داخل هذه التجمعات أو الآبار المبنية، ثم يرفع مياهها عند الحاجة. ولهذا تكون مناطق الزراعة المستصلحة من الحيازات الصغيرة جداً، وعلى شكل أشرطة طولية متقطعة، تعكس حجم البئر وكمية المياه المتدفقة فيها من حوض التصريف للوادي.

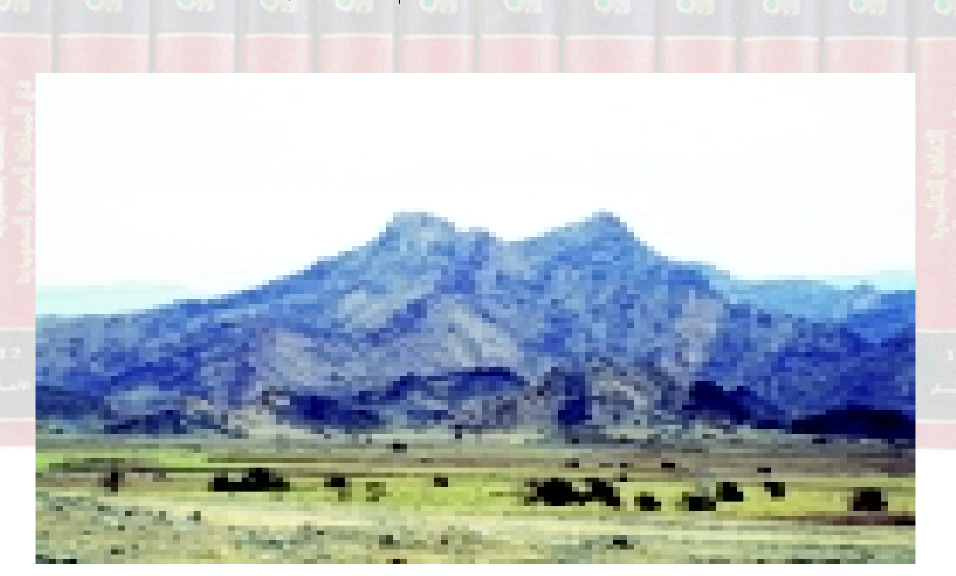
وقد استخدم المزارعون التقليديون في تلك المناطق، بالإضافة إلى نظام مصاطب الأودية، نظام المزارع؛ وهما نظامان يتشابهان من حيث اعتمادهما على مياه السيول، ولكن المزرعة تحتل المنخفضات أو بطون الأودية الصغيرة التي تنحدر إليها المياه من المناطق المجاورة، ولها مخرج لتصريف مياه الأمطار الزائدة عن حاجة المزرعة، ويُخشى أن تؤدي إلى





غرقها. ولأن أحـواض التصريف التي تعلو تلك المزارع تفوق مساحتها مساحة المزرعة من عشرين إلى ثلاثين مرة، فإن المياه التـي تصل إلى هذه المزارع تكون كافية، على الرغم من قلة الأمطار التي تسـقط مباشـرة على المـزارع. وكفايـة الأمطار تكمن في تسربها إلى قاع التربة في تلك المزارع، واحـتفاظ التربة بهذه الرطوبة طوال العام. فالمزارع مخازن مائية مثالـية في مناطق الـتكوينات الـنارية. وتجري المياه الجوفـية من تلك الخزانات على هيئة أنهر وينابـيع تحت الأرض بما يسمى بالسواقي (جمع سـاقية)، وفوق هذه الـسواقي يحـفر الفلاحـون الآبار ويستـخرجون منـها الماء بالـسواني ثم بالمضخات الآلية.

وقد ظهر تأثير البناء الجيولوجي على الزراعـة في نـطاق الـصخـور الناريـة والمتحولة بمقاومتها لعوامل التعرية على اختلاف أنواعها، فظهرت معظم الأودية في هذا النـطاق ضيقة وذات تربـة غير عميقة، الأمر الذي جعل مناطق الزراعة تتركز في القطاعات الدنيا وبعض أجزاء القطاعات الوسـطى. وقد انعكس هذا الوضع في صـغر حجم هذه الحيـازات واتخاذها اتجاهات طولية -غربية شرقية- مع اتجـاه انحدار تـلك الأودية. وربمـا زُرعت بطون الأوديـة لقلة التربـة على الضفاف، ممّا جـعل هذه المزارع عرضة للإزالة أو التدمير، خاصـة في الفترات التي يزداد فيها سقوط الأمطار عن المعدل العام، فتجري السيول بغزارة.

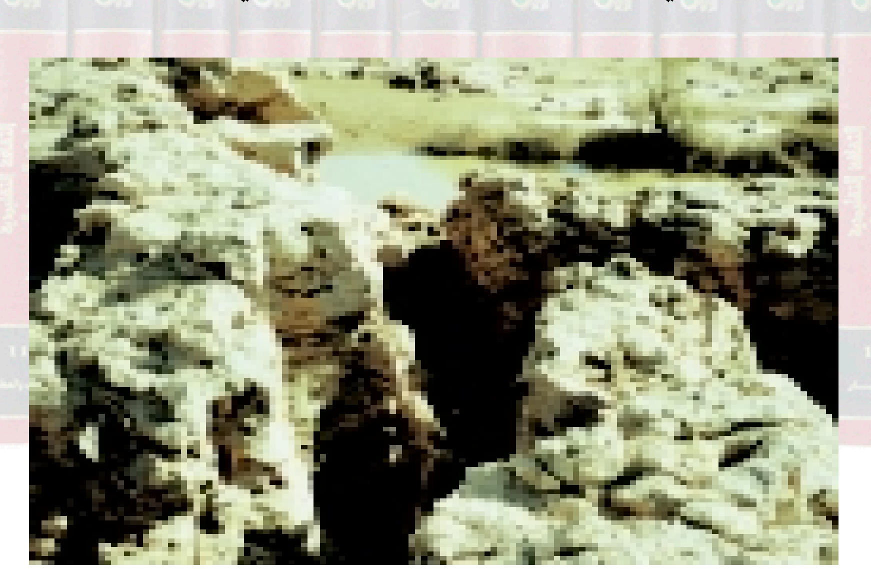


منطقة صخور نارية

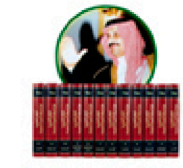




أما القسم الثـاني، فهو جيولوجياً، على النقيض من الجزء الغربي من المملكة، أو نطاق الـدرع العربي، إذ تـنتشر فـيه التكوينات الـرسوبية لتبلغ ثلثي مـساحة المملكة وبانحدار تدريجي نحو الشرق. وكان لهذا الانحدار التدريجي أهمية بالغة في انحدار الأودية التي ظلت تستقبل مياه الأمطار خلال فتـرات طويلة. فتسربت مياهها السطحية إلى الطبقات الرسوبية، وتفجرت عـلى شكل ينابـيع في بعض المناطق كعيون الأحساء والقطيف والخرج والسر والقصيم، حيث تآكلت الطبقات الجيرية العلوية في بعض أجزاء خزانات المياه الجوفية في هذه المناطق وانبثقت منها المياه. وبالإضافة إلى مناطق العيون هذه، فإن الطبقات الرسوبية في الأجزاء الوسطى والشرقية من المملكة شكلت طبقات مياه سطحية استطاع الفلاح التقليدي الوصول إليها من خلال استخدام آلات حفر قديمة وبسيطة. وبالإضافة إلى توافر المياه الجوفية في هذا النطاق الرسوبي، سواء ما انبثق منها عـلى شكل عيون، أو مـا استطاع الفلاح التقليدي الوصول إليه بالحفر، فإن المنطقة غنية بتربـتها الخصبة التي تحدثت عنـها المراجع الـقديمة كمـعجم ياقـوت الحموي، وقبله الهمداني والأصفهاني. فالأودية الواسعـة الكثيرة ذات الخصوبة العالية قد اشتهرت بتطور الزراعة فيهـا. وكانت التمور والحبوب الرئيسية المحاصيل الحقلـية الأساسيـة لمزارع هذه الأودية. وبالإضافة إلـى بطون الأودية في مكان الرسوبيات في المملكة فقد كانت مناطق



صخور جيرية





المنخفضات المغلقة كالرياض ومراوح الأودية الفيضية (رواسب المنحدرات المتشابكة) ذات التصريف الداخلي -وهي كثيرة في وسط الجزيرة العربية- أماكن بارزة لتوطن الزراعة التقليدية في المملكة، ودخل بعضها في نظام الحمى الجماعي لممارسة نشاط زراعي تقليدي وهو الزراعة البعلية.

**التضاريس.** لا تقل التضاريس في أهميتها عن أهمية التكوين الجيولوجي في توطن الزراعة التقليدية في المملكة، بل إن الترابط بين العاملين واضح، إذ ترتبط أشكال التضاريس بالحركات الأرضية والتركيب الجيولوجي ونوعية الصخور، إلى عوامل النحت والإرساب. وللتضاريس تأثير مباشر وغير مباشر على الزراعة ونوعية الإنتاج الزراعي. وقد حددت الأودية مناطق التمركز الزراعي في النطاق الغربي (نطاق الصخور النارية والمتحولة) والنطاق الأوسط والشرقي والشمالي (نطاق الرسوبيات) لتوافر التربة الصالحة للزراعة ومياه الري على اختلاف في درجة الخصوبة وكمية المياه المتوافرة للزراعة في هذه الأودية. كما مكنت المناطق السهلية المنبسطة ذات الإمكانات المائية السطحية الفلاح التقليدي من استصلاحها في ظل إمكاناته القليلة في حفر الآبار واستخراج المياه وطرق الري.

وقد صارت التكوينات الرملية التي احتلت بطون أودية قديمة، أو حاذت في امتدادها الحافات الرسوبية في المنطقة الوسطى، سدوداً طبيعية لتجمع مياه الأمطار، وتسربها في باطن الأرض، الأمر الذي جعل تلك المظاهر السطحية أحد دلائل تأثيرات السطح على تركز الزراعة التقليدية في الجزيرة العربية. وتختص التكوينات الرملية بقابليتها على امتصاص مياه الأمطار التي تسقط عليها مباشرة، وتسريبها إلى الطبقات الرسوبية التي ترتكز عليها. لذا فقد احتضنت هذه التكوينات في داخلها وضمن فراغاتها البيئية بعض مراكز الزراعة التقليدية ولعل من أشهرها عقل الزلفي وجنوب بريدة التي ما تزال تمارس نشاطها الزراعي.

ويعد عامل الانحدار أبرز مميزات تأثيرات التضاريس على الزراعة، إذ إن العامل الآخر المماثل له في الأهمية من منظور تأثيرات التضاريس على الزراعة -وهو عامل الارتفاع عن سطح البحر- يكاد يكون معدوماً أو محدوداً في أجزاء ضيقة في جنوب غرب المملكة.

ويمكن القول، بنظرة عامة إلى المملكة، إن جبال الحجاز أبرز ظاهرة





تضاريسية في المملكة. وهي تبدأ من الحدود الأردنية في الشمال ممتدة عبر الحدود مع اليمن في الجنوب، وتضيق في الشمال، ويزداد ارتفاعها كلما اتجهنا جنوباً، وأقصى ارتفاع لها داخل المملكة في جبال السودة في عسير، وعلى طول هذا النطاق وفي المناطق الجنوبية الغربية حيث تهطل كميات وافرة من الأمطار الموسمية، ازدهرت الزراعة منذ القدم، وعرفت نمطاً فريداً في الجزيرة العربية، هو نمط المدرجات الزراعية أو الركبان. وعلى الرغم من أن الفلاح التقليدي عانى من آثار التعرية المائية على طول هذه المدرجات، فإنها ظلت حتى وقتنا الحاضر تشهد على استغلال الإنسان لبيئته، والتعامل مع ظروفها المختلفة. كما استغل الفلاح التقليدي الأرض في المناطق الوسطى والشرقية والشمالية؛ لأنه على الرغم من قلة الأمطار عوضه الله عنها مياهاً متدفقة من العيون، أو ذات مستوى سطحي قريب، نتيجة للانحدار التدريجي للطبقات الرسوبية تمكن من استغلالها.

وهيأت بعض مناطق توافر المياه في المناطق الوسطى والشرقية والجنوبية للفلاح التقليدي عامل الحياة الأول وهو الماء، ولكن استواء السطح في بعض بقاع هذه المناطق قد أدى إلى تكوين المستنقعات التي تحولت بمرور الزمن إلى سباخ، كما في المنطقة الشرقية وجازان والقصيم والسر ودومة الجندل. ولعل ضحالة التربة أو ارتكازها على طبقة صخرية صلبة في هذه المناطق قد منع



سبخة ملحية





نفاذ الماء، وما به من أملاح إليها، خاصة أن درجة الحرارة مرتفعة في هذه المناطق، مما أدى إلى تبخر المياه وبقاء الأملاح التي تزداد سنة بعد أخرى. ولهذا ظلت هذه المناطق خالية من النشاط الزراعي، رغم توافر المياه، أو انحصرت في بقع صغيرة مع التركيز على بعض المحاصيل التي تتحمل الملوحة، ومع ذلك فقد يكون لهذه السباخ بعض المنافع، كاستخراج الملح منها.

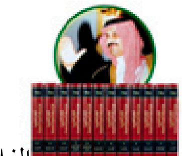
**التربة**. بعد توافر عامل الحياة الأول وهو الماء، ولما كانت التربة تمثل العنصر الطبيعي المتغير أكثر من بقية المظاهر الطبيعية الأخرى، وفي فترة قد يلمسها الإنسان في عمره القصير، فقد استأثرت بانتباه المزارع منذ أقدم العصور، واكتسب من خلال التعامل معها في مجال الإنتاج والاستصلاح خبرات تفوق خبرة المتلقي على مقاعد الدرس. ويُعزى ذلك لأمرين هامين؛ الأول أن معرفة الفلاح بالتربة – وإن كانت معرفة عامة– جاءت نتيجة خبرة ومعالجة آنيَّة لسلسلة من الحالات والظروف التي كان عليه أن يستجيب لها. والأمر الثاني هو أن المعرفة والخبرة المكتسبة وطرق المعالجة مرتبطة بتربة البيئة التي يمارس الفلاح نشاطه فيها، ولهذا كانت خبرته في مجال التربة وعلاقتها بإنتاجه الزراعي ما هي إلا مرحلة حلول مشكلات التربة في منطقته والتكيف مع نوع التربة وظروف البيئة. ومن إدراك العلاقة بين التربة والإنتاج الزراعي ما يصوره الشعر الشعبي؛ يقول حميدان الشويعر:

وانا في السما وعدي ورزقي ومطلبي
مهوب في صبخا مراغة جوع

ويقول إبراهيم بن جعيثن:

ترى الخلق بالاخلاق فيهم تفاوت
من الارض صبخا ودمثه وشداد

إن ممارسات الفلاح التقليدي اعتمدت في مجملها على الملامح الرئيسية لأقسام التُرَب الشائعة في المملكة، التي أظهرتها فيما بعد دراسات استكشاف التربة في مناطق مختلفة. وقد جرت هذه الدراسات في عمليات مسح مائية وزراعية منذ سنة ١٩٦٦م، وأعدت بحسبها خريطة عامة للتربة في المملكة. وأهم هذه الملامح أن الترب الشائعة في مناطق المملكة المختلفة، تنتمي إلى رتبة الأراضي الأولية وتشمل الترب الرملية ورتبة الأراضي الجافة، وتشمل الترب الكلسية والترب الجبسية والترب الملحية. كما أنها ترب ضعيفة التكوين، ومادة الأصل فيها فقيرة في تجهيز الطاقة، وفي مجموع محتوى العناصر الغذائية.



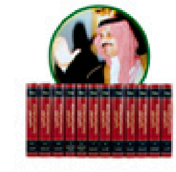


ومعظم الترب تتصف بأنها لا تحفظ العناصر الغذائية، ويتميز بوجود طبقات تربة مكبوسة أو غير نافذة تؤثر بشدة على نفاذ الجذور. كما أن معظم الأراضي تخضع للتعرية وخاصة التعرية الريحية.

لاحظ الفلاح التقليدي وجلب انتباهه منذ المراحل الأولى لممارسته النشاط الزراعي، أن بعض خواص التربة تتغير وتتبدل نتيجة لاتباع ممارسات متعلقة بتحسين إنتاجية التربة، أو ما يمكن أن نطلق عليه خصوبة التربة. وإن يكن الفلاح التقليدي لا يعرف العناصر المتوافرة في التربة، كالنتروجين والفسفور والبوتاسيوم التي يحتاجها النبات بكمية كبيرة فإنه أدرك، بممارسته الطويلة، أن زراعة بعض المحاصيل الزراعية في تربة ما تقلل من خصوبتها. أدرك ذلك من دون أن يعرف أن هذا النبات من النباتات التي تحتاج في تركيب غذائها إلى نسبة عالية من النتروجين، وأن زراعتها في هذه التربة قد أدت إلى استهلاك الكالسيوم من هذه التربة. لكنه أدرك بخبرته أن خواص التربة تتغير، خاصة عندما لاحظ أن ترك فضلات الحيوانات في المزرعة يؤدي إلى زيادة الإنتاج، وأن دخول مياه السيول إلى مزرعته وما تحمله من مواد غرينية وبقايا نباتية وحيوانية يرفع من خصوبة التربة، بل إن حراثة الأرض وتركها فترة من الزمن -أو تحييلها كما يطلقون عليها في وسط نجد والأحساء- يؤدي إلى إعادة التوازن بين المواد التي استهلكت أثناء زراعة الأرض، وبين المواد التي أضيفت إلى الأرض.

وكما أدرك الفلاح أن إضافة المواد العضوية، أو تقديم خدمة خاصة للتربة، كحرثها وإراحتها قد تعطيها صفة جديدة تختلف عما كانت عليه قبل إجراء تلك العملية، أدرك أيضاً أن خصوبة التربة وتغيير بعض خصائصها قد يرتبط بنوع الإنتاج وفترته الزمنية. كما لاحظ أيضاً، بممارسته المتكررة، أن بعض الترب تبدو فقيرة، إذا ما زرعت بمحصول معين، في حين تكون خصبة وصالحة للزراعة بالنسبة لمحصول آخر. ولكنه لا يستطيع أن يقول إن ذلك مرتبط بافتقارها إلى العناصر الغذائية التي يحتاجها النبات في صنع غذائه. كما أن التربة قد تبدو فقيرة في فترة معينة، ولكنها تتحول إلى تربة خصبة إذا تركت فترة من الزمن تستعيد خلالها التوازن الذي فقدته نتيجة لاستغلال المحصول لمركبات معينة من مركبات التربة.

ولابد أن الفلاح، من خلال أعماله في بيئات متعددة، قد لاحظ أن فقر

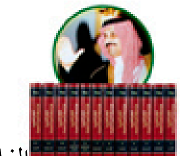




الترب متباين؛ فهو يعرف أن التربة الرملية تربة فقيرة لا تصلح لزراعة الحبوب، ولكنها ملائمة لزراعة المحاصيل الجذرية كالبطاطس والجزر وبقية الخضراوات. أما التربة الغرينية الرسوبية المنقولة في الرياض والسهول الفيضية فإنها ترب غنية لأن نسبة ما تحتوي عليه من المواد العضوية عالية. وإذا اضطر الفلاح إلى نقل تربة إلى حقله فإنه يختار تلك البقاع، أو مناطق السوافي في مناطق الفرشات الرملية والنباك (الأماكن العالية) نظراً لاحتوائها على مواد عضوية نباتية عالية.

وخصوبة التربة من الأمور التي عرفها الإنسان منذ أقدم العصور وأخضعها لسيطرته أكثر من بقية العوامل الطبيعية، إذ إن الفلاح التقليدي أوجد وطور طرقه الخاصة لتحسين تربة مزرعته، أو رفع خصوبتها، وذلك بالإنفاق المالي والجهود الشاقة. ففي منطقة الأحساء كانت هناك طريقتان؛ الأولى طبينة حيال (محياة) وهي طبائن ذات أحجام صغيرة، يجمع المزارع مخلفات البستان من سعف النخيل والكرب والحشائش في أماكن متفرقة داخل الحقل الزراعي بعد حراثة الأرض، ثم يضع أجزاء من التربة فوقها، ثم يوقد النار في المخلفات، وبعد عدة أيام يوزعها على الحقل. وهو يفعل ذلك في سنة العمار التي يحرث فيها المزارع الأرض ويضع السماد العضوي. والطريقة الثانية هي طبينة محط؛ وهي أن تحرق نفايات المزرعة ومخلفاتها بعد وضع طبقات من التربة عليها، ثم يخلط الرماد مع السماد الجاف بنسبة ٣ إلى ٥ أوقار (حوالي ١٨ إلى ٣٠كجم) وهي حمولة الحمار ٣ إلى ٥ مرات، وبعد ذلك يوزع الخليط في أحواض النخيل وبقية الحقل الزراعي، ويغطى بطبقة من التربة، وهذا النوع من الطبائن يعمل كل عام يكون فيه عمار البستان، وهي ضرورية لأشجار النخل لضمان جودتها وزيادة إنتاجها.

وللطبينة عدة فوائد، منها إبادة كثير من الحشرات، وكذلك حرق بذور الحشائش. وقد وجد حديثاً أن للطبينة بعض الأضرار في إنتاج تمور الخلاص، فهي تقلل من جودتها وتحول لونها إلى السواد، وهي صفة غير مرغوبة. وفي حقول النخل تُعمل الطبينة سنوياً وهي داخل مزارع النخل دائرية يبلغ قطرها المترين إلى ثلاثة أمتار، وتكوّم المخلفات في داخل هذه الدوائر وتغطى عند إحراقها بتربة محفورة من المزرعة. والهدف من إضافة تلك التربة أنها تمنع الاحتراق السريع، كما تمنع اللهب. وبعد إطفاء النار تنشر الكومة بين الأشجار تسمد بها





بعد حرث الأرض حول النخلة بالمسحاة أو الصخين، ويطلق الفلاح على هذه العملية السندارة، ثم بعد ذلك يفرّق ما تبقى بأداة أصغر ويطلق على العملية الثانية نكش، وفي الأحساء تسمى تكشيحْ. ويقوم المزارع في الأحساء بعد اقتلاع النخيل في الحقل الزراعي نتيجة لارتفاعها وضعف إنتاجيتها بقلب التربة، وذلك لتكسير الطبقة الجيرية وإزالتها. وتسمى هذه العملية بالقلاب، أي قلب التربة.

والطبينة في منطقة الأحساء إنما هي جانب من ممارسات الفلاح التقليدي وإدراكه لأهمية التربة في الإنتاج الزراعي، وهناك ممارسات حقلية أخرى قام بها الفلاح التقليدي في شبه الجزيرة العربية. وهذه الممارسات تهتم في مجملها بصيانة التربة وحفظ رطوبتها، ووفائها بحاجة نمو محاصيله الزراعية، التي تختلف باختلاف المحاصيل، واختلاف الأصناف ضمن المحصول، واختلاف مراحل النمو للمحصول نفسه.

عمد الفلاح التقليدي إلى العناية بأرضه بخدمتها خدمات خاصة، كان من أشهرها وأكثرها انتشاراً، في مناطق المملكة، حراثة الأرض وتركها فترة من الزمن أقلها عام، وأكثرها تحدده حاجة الفلاح لزراعتها. ويهدف الفلاح من ذلك إلى أمور عديدة، أهمها تحسين تركيب التربة؛ إذ هو يدرك أن حراثة الأرض وتشعيبها بالمحراث سيجعلها ذات سطح خشن يمسك برواسب الرياح الدقيقة، والسوافي التي تنقلها الرياح من بقايا نباتية، ومواد طمويّة ناعمة، وقد يعرضها لتعرية الرياح. وفي الأحساء لا يحرث المزارع الأرض -خاصة التي تستخدم لزراعة الخضراوات- إلا قبل زراعتها بعدة أيام، إدراكاً منه أن الرياح تقوم بتعرية التربة. كما يهدف الفلاح إلى إضافة مواد مخصبة للتربة، فحراثتها وإبقاؤها لعام، يسمح بخلط مخلفات حصاد سنة الحرث بالتربة. كما أن حفظ رطوبة التربة بتكرار حراثتها، يساعد على زيادة قابليتها لامتصاص أكبر كمية من الرطوبة. إضافة إلى تهويتها، إذ يعمد عند رغبته في تركها فترة من الزمن إلى الاهتمام بتعميق الحراثة. ولا شك أن الحراثة العميقة تجعل الهواء يتغلغل داخل أعماق التربة، وهو مطلب أساسي لزيادة إنتاجية الأرض.

ومن الممارسات الجيدة التي يتبعها الفلاح التقليدي للاهتمام بالتربة، القضاء على الأعشاب والحشائش. والفلاح ذو حس مرهف بخصائص النباتات الطفيلية في مزرعته، بل إنه يعرف الأوقات





المناسبة التي يجب أن يتخلص فيها من هذه الأعشاب الضارة.

يسمى حرث الأرض وتركها فترة من الزمن في الجنوب بالفَتْح فيقال فتح الركيب؛ ولمحاربة نبات النجمة ذي العروق الكثيرة، يستغل الفلاحون موسم الرياح القادمة من الشرق التي يسمونها النجدية بين فصلي الخريف والشتاء فيحرثون أراضيهم، لأنها تعرض النباتات الطفيلية ومنها النجمة لليباس السريع فلا تعود للنبت ثانية.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن الفلاح أيضاً يعرف موسم حراثة الأرض (الحيال)، وأفضل موسم للحراثة هو الفترة التي تقل فيها حركة الرياح؛ إذ لها دور مهم في عملية تذرية التربة، وبعض بقايا الحصاد التي يهدفون من خلطها مع التربة، أثناء عمليات الحرث، إلى رفع خصوبة التربة.

وقد شغلت الفلاح مشكلات جرف التربة من المناطق المرتفعة إلى المناطق المنخفضة، بسبب المياه الجارية في مناطق ذات أسطح منحدرة وكمية أمطار غزيرة، أو تلك التي يقل فيها تماسك التربة لتفتت حبات الغرويات، وهذه الحبات هي التي تعمل على تجميع وتلاحم ذرات التربة، وهذا يسهل نشاط الرياح في تذريتها للتربة.

وقد قابل الفلاح التقليدي هذه المشكلات بأساليب معينة في حراثة أرضه وموسم حراثتها، إذ استخدم المدرجات في المناطق الجبلية، كما استخدم الطريقة الأفقية أو الكنتورية -التي تتمشى مع خطوط الكنتور وليست عمودية عليها- في الحراثة للتقليل من سرعة الجريان، حيث يتاح بهذه الطريقة للمياه فرصة التسرب إلى داخل التربة، فيتم الاحتفاظ بالماء بين نسيج التربة. كما تعمل هذه الطريقة على توزيع تأثير المياه، فيقل أثرها في تعرية التربة السطحية. وفي مجال التقليل من أثر الرياح في تعرية التربة استخدم مصدات الرياح، من الأثل والطرفاء، كما استخدم جريد النخيل في القصيم والأحساء الذي يعرف عندهم باسم (الحضار) لحماية الأراضي الزراعية.

ومن مشكلات التربة التي تعامل معها الفلاح، ملوحة التربة. وهذه الملوحة إما أن تكون متأصلة جيولوجيا أو هايدرولوجيا ومناخياً (زيادة البخر) في المنطقة بأكملها، كما في منطقة الأحساء، وهذا يعني أن نسبة الأملاح في التربة الزراعية تزيد عن الحد الذي يتقبله النبات في أثناء عمليات الإنبات. وفي هذه الحالة عمد الفلاح التقليدي إلى ممارسات خاصة تتعلق بنوعية المحاصيل المزروعة، وأخرى بنظم الري والتربة.







إحدى السباخ في القصيم

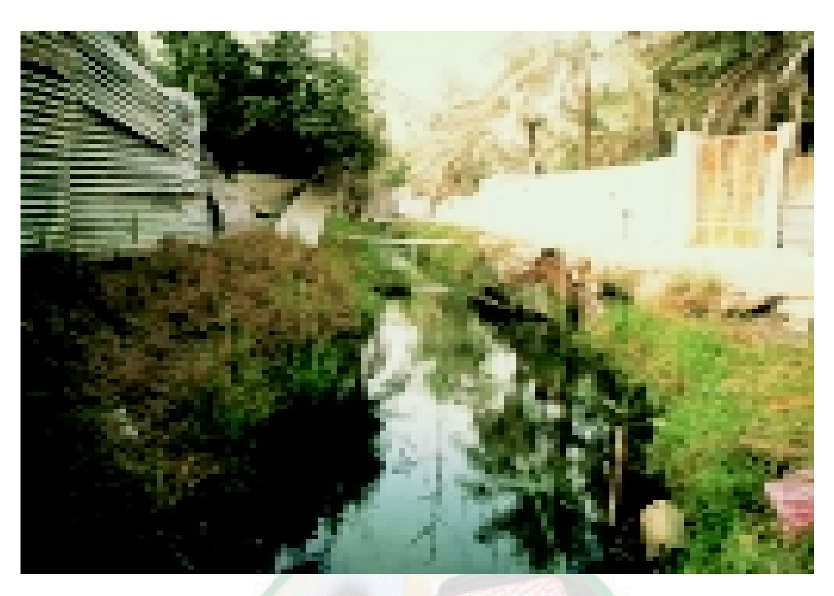
فبالنسبة للمحاصيل الزراعية اعتمد الفلاح على الأشجار التي لها قدرة على تحمل ملوحة التربة، كاعتماده في الأحساء على النخيل بأنواعها، وبعض المحاصيل الزراعية كالبرسيم والخضروات.

وبالنسبة لنظام الري استخدم تقسيمات كبرى وثانوية داخل الحقل، كما عمل على تكوين مصرف عام لصرف الزائد من مياه الري عن المقنن المائي لحاجة نباتاته في الحقل، ولغسل الأملاح من التربة. وفي بعض مناطق المملكة اتبع الفلاح التقليدي دورات زراعية، حيث يتعاقب على الأرض العديد من المحاصيل التي تتباين في نسبة استهلاكها للعناصر الغذائية. فما يزيد أثناء زراعة المحصول الأول يستهلكه المحصول الثاني، وبذلك تبقى نسبة الأملاح في التربة في حالة من التوازن الطبيعي المقنن بين كمية الأملاح المكونة طبيعياً، وبين الاستهلاك الطبيعي للعناصر.

كما عمد الفلاح التقليدي في بعض المناطق إلى اتباع ممارسات خاصة، كحرق التربة وبقايا المزرعة على غرار طبينة الحرق وطبينة الحيال كما في الأحساء، وهي في مجملها تهدف إلى رفع خصوبة التربة والتقليل من ملوحتها. وفي بعض المناطق، كالقصيم وواحة يبرين، شاع عند الفلاح التقليدي نقل الرمال، لأن



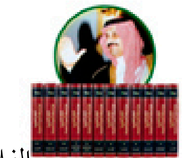




قناة صرف تقليدية وسط المزارع

التربة الرملية ذات نفاذية عالية، ونقل بعض الترب الأخرى من المناطق المجاورة، وخلطها مع الترابات التي ترتفع نسبة الملوحة فيها، خاصة إذا كانت الترابات المالحة قد ورثت ملوحتها من ظروف زالت أسبابها كصرف قديم، أو ارتفاع منسوب مياه قد اعتراه انخفاض في المرحلة الحالية. ففي هذه الحالات يكون نقل بعض الرمال والترب الأخرى لخفض ملوحة التربة في المزرعة مجدياً. أما إذا كانت أسباب تجدد الأملاح مستمرة فلا يعمد إلى ذلك مطلقاً.

**المناخ**. تقع المملكة العربية السعودية في النطاق المداري الحار، إذ تمتد بين دائرتي العرض ١٦ْ و ٣٢ْ شمالاً. ونظراً لاتساع مساحة المملكة، فإن هناك تبايناً واضحاً في المناخ السائد في أرجائها. ويزداد هذا التباين بتأثير التضاريس من جهة، وبالموقع الجغرافي من جهة أخرى. فالمناطق الشمالية من المملكة تقع شتاءً تحت تأثير المنخفضات الجوية لإقليم البحر المتوسط، أما المناطق الجنوبية فتدخل صيفاً في نطاق الرياح الموسمية. ويتصف مناخ المملكة بصورة عامة بالتطرف، وباختلاف حراري كبير أثناء السنة وأثناء اليوم الواحد؛ فالصيف حار وجاف، إذ يزيد فيه متوسط درجة حرارة شهر يوليو في معظم أرجائها على ٣٠ درجة مئوية. ففي أوائل هذا الفصل تتركز مناطق ضغط منخفضة عميقة في الحوض الأدنى لنهر السند وفي شرق





شبه الجزيرة العربية، ويمتد تأثيرها فيشمل جميع أراضي المنطقة العربية الآسيوية. وحينما يشتد عمق المنخفض الهندي في أواسط الصيف، يشتد هبوب التيارات الهوائية الشمالية الشرقية على شبه الجزيرة العربية التي تتصف بجفافها وديمومة هبوبها في الليل والنهار.

وللقسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية حظّ من تأثير الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، فتسقط عليه الأمطار في الموسم الممتد من شهر يوليو حتى سبتمبر.

ويبدو فصلا الربيع والخريف كموسمي انتقال. وأما المملكة من حيث التصنيف العالمي لنوع المناخ، فيسودها مناخ شديد الجفاف في الأجزاء الجنوبية الشرقية، أما بقية الأجزاء فيسود فيها المناخ الجاف، باستثناء المنطقة الجنوبية الغربية التي يسود فيها المناخ المداري الموسمي. ومما يزيد من قسوة المناخ طول فترة الإشعاع الشمسي صفاء الجو وخلوه من الغيوم، عدا مناطق الجبال الجنوبية الغربية، كما تزداد شدة الحرارة بسبب الاشعاعات والانعكاسات التي تنتج من الرمال الحارة في الصحارى الرملية.

وفي أواخر الصيف تضمحل منطقة الضغط المنخفض التي تتركز على شبه جزيرة الهند، وشبه الجزيرة العربية. وتضعف التيارات الهوائية الشمالية الشرقية، مع بداية الظواهر المناخية للنصف الشتوي من السنة بالظهور؛ حيث تشكل بعض مناطق الضغط المرتفع في فصل الخريف فوق مرتفعات آسيا، وبالتدريج يتصل بعضها ببعض لتكون نطاق الضغط المرتفع الآسيوي. وبحلول فصل الشتاء تبدأ الرياح القوية وأعاصيرها بالهبوب على الأراضي الشمالية الغربية والشمالية من شبه الجزيرة العربية، فتحمل مؤثرات البحر المتوسط إلى شمال المملكة وشماليها الغربي، وقد تصل إلى وسطها وجنوبها ومنها تسقط الأمطار الشتوية وإن كانت كميتها تتناقص في اتجاه الشرق والجنوب من المملكة. وفي فصل الربيع يبدأ نطاق الضغط المرتفع في التلاشي، ويصبح الجو دافئاً. وقد تهب بعض الأعاصير العابرة في شمال المملكة مثيرة بعض الرياح المحلية مثل السموم التي تهب من داخل شبه الجزيرة العربية نحو مركز الإعصار المار من الشمال، مثيرة بعض الغبار والأتربة. وقد يتغير الجو بسببها مما يسبب سقوط بعض الأمطار. وجاء في المثل «عجاج يتبعه مطر» أي هو كالعجاج الذي يتبعه المطر؛ يضرب المثل للرجل الذي يسيء



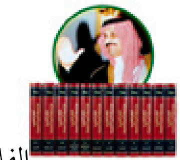


ثم يحسن، والعرب كانوا يقولون في معناه «أصلح غيث ما أفسد بَرَدُه». أما الخريف فيبدأ في شبه الجزيرة العربية في شهر سبتمبر، وتظهر بعض تشكيلات السحب، ولا تسقط الأمطار إلا نادراً، وإذا ما نزلت أمطار فإنها ما تلبث أن تتبخر.

وإن تكن المسطحات المائية تحيط بشبه الجزيرة من الشرق والغرب والجنوب، فإن صغرها، وامتداد الجبال في غربها وجنوبها، قد حد من التأثيرات البحرية عليها. وبشكل عام يتصف مناخها بالتطرف الحراري، إذ ترتفع الحرارة في الأجزاء الداخلية في نهار الصيف فتصل إلى نحو ٥٠ درجة مئوية، وتنخفض في بعض ليالي الشتاء إلى ما دون الصفر. ونظراً لامتداد المملكة على اتساع ١٥ درجة عرضية، فإن هناك اختلافات حرارية بين الشمال والجنوب، كما أن تباين مظاهر السطح يؤثر تأثيراً واضحاً في الحرارة، ويسبب اختلافات حرارية بين الأراضي العالية والأودية المنخفضة. ففي جازان يصل المتوسط الحراري في فصل الصيف إلى ٣٥ درجة مئوية، وينخفض هذا المعدل في حائل بالشمال إلى ٢٣ درجة مئوية، وفي الأجزاء المرتفعة بالطائف، حيث يصل الارتفاع إلى نحو ١٥٠٠ متر، يبلغ المتوسط الحراري السنوي نحو ٢٣ درجة مئوية، وفي جدة، التي تقع على نفس درجة عرض مدينة الطائف وتجاور البحر الأحمر، يرتفع المتوسط ليصل إلى ٢٨ درجة مئوية. وبشكل عام يبلغ المعدل العام لدرجة الحرارة بالمملكة حوالي ٢٥ درجة مئوية شتاء، و٣٥ درجة مئوية صيفاً.

ولا شك أن المناخ بعناصره المختلفة، يعد في مقدمة العوامل الطبيعية المؤثرة في الإنتاج الزراعي. ذلك أن كل محصول زراعي يحتاج إلى ظروف مناخية معينة، فضلاً عن أهمية تأثير المناخ بعناصره المختلفة من محصول لآخر، سواء في مجال الأمطار وتنوعها من منطقة لأخرى، أو في الري من العيون والينابيع، أو ما يتعلق بطبيعة التربة من امتصاص أو حدوث عوامل تعرية وانجراف أكثر. وقد عالج الفلاح مثل هذه المسائل بدراية وخبرة.

وتعد درجات الحرارة من أهم عناصر المناخ في تحديد نوع المحاصيل الزراعية التي يمكن أن تنمو في حدود درجات الحرارة السائدة. وقد قسمت بناء على ارتباط درجة الحرارة بالنمو، وبشكل مبدئي، المحاصيل الزراعية إلى





مجموعتين؛ المحاصيل الشتوية، والمحاصيل الصيفية. ولمّا كان موسم سقوط الأمطار في معظم أجزاء المملكة، عدا المنطقة الجنوبية الغربية، هو الشتاء، فإن المحاصيل الناجحة تحت الظروف المطرية هي المحاصيل الشتوية، وفي مقدمتها الحبوب والبقول الغذائية ومحاصيل العلف الشتوية، مع بعض المحاصيل المبكرة ذات طبيعة النمو الصيفية، كالذرة الصفراء (الشامية) ودوّار الشمس وغيرها. أما المحاصيل التي تنجح في المناطق ذات الأمطار الصيفية فهي الذرة الرفيعة (البيضاء) والدخن والفول السوداني والسمسم وغيرها. كما أن درجات الحرارة ومعدلاتها ذات أهمية في تحديد كمية التجفف، بتأثير النتح والتبخر، ثم احتساب الموازنة المائية المناخية للمنطقة الزراعية.

إن كانت المحاصيل الزراعية قد قُسمت إلى صيفية وشتوية، فإن لكل صنف، أو نوع من المحاصيل الزراعية داخل كل مجموعة ارتباطاً مع درجات الحرارة. فهناك درجة حرارة صغرى لكل محصول لا يمكن أن ينمو النبات من دونها، كما أن له درجة حرارة كبرى لا يمكن أن يستمر في النمو إن تجاوزها. كما أن لكل محصول درجة حرارة مثالية هي التي تتحقق خلالها أقصى سرعة لنمو النبات.

أما الضوء فإن مناطق المملكة تتصف بشكل عام بصفاء سمائها في معظم فصول السنة، ولهذا تصل كمية كبيرة من أشعة الشمس إلى سطح أراضيها. وبما أن كمية الإشعاع ومدى سطوع الشمس يعتمدان على طول اليوم، وعلى مدى صفاء السماء من الغيوم، فإن فصل الشتاء هو أقل الفصول في الإشعاع الكلي، وفي ساعات سطوع الشمس. وهو فصل ممطرٌ ونهاره قصيرٌ. ولهذا السبب تكثر الغيوم في المناطق ذات الأمطار الشتوية، بينما هي عكس ذلك في المناطق ذات الأمطار الصيفية.

ويكون سطوع الشمس في فصل الشتاء في المملكة ما بين ٦٥٠ إلى ٨٠٠ ساعة، وفي الربيع يتراوح سطوعها ما بين ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ ساعة، وفي الصيف، حيث يصل طول النهار إلى أقصاه، تكون مدة السطوع ما بين ٩٠٠ إلى ١١٠٠ ساعة. ويقل السطوع تدريجياً باتجاه الجنوب فهو فصل الأمطار في الأجزاء الجنوبية الغربية من المملكة. وفي الخريف يبدأ النهار في القصر وتبدأ الغيوم بالتكون وتتراوح ساعات السطوع ما بين ٨٥٠ إلى ٩٠٠ ساعة.

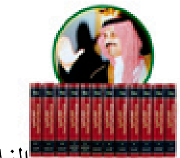




وإنما تأثير الضوء على نمو المحاصيل الزراعية في مدَّة الضوء التي لها أهميتها في تحديد نوع النبات الملائم لمدة الضوء من حيث النمو والتزهير وإنتاج البذور، وكذا شدة الضوء ونوعيته (طول الموجات). ومما تجدر الإشارة إليه أن تأثير الضوء على التزهير والنمو يمكن أن يتحدد بعوامل أخرى، وربما يقف تأثيره على درجة الحرارة، إذ لا تزهر عدد من النباتات إلا إذا كانت درجة الحرارة ملائمة. لذلك فكثيراً ما نسمع من المزارعين عن نمو بعض أشجار الثمار في مناطقهم ولكنها غالباً لا تثمر، كالزيتون في المنطقة الوسطى. كما أن هناك بعض المحاصيل الزراعية التي تستمر في النمو الخضري حتى يقتلها البرد؛ إذ هي أصلاً من نباتات العروض المنخفضة التي تحتاج إلى نهار قصير. تنبه الفلاح إلى أن النباتات تختلف في احتياجها لكمية الضوء بالنسبة لمراحل النمو، حيث تحتاج مثلاً إلى أيام ضوء متوسطة لمرحلة التزهير، وأيام طويلة لتكوين البذور. فانتخب أصنافاً ومحاصيل تناسب تداخل الضوء والمناخ، كما حدد بموجب ذلك موعد الزراعة ليتناسب مع ملاءمة الصنف أو المحصول لموعد التزهير، معتمداً بذلك كله على خبرته وتجربته الذاتية. ولمعرفتهم بأثر الجو يسمون الوقت الذي تتراكم فيه السحب في القيظ وتزداد الحرارة صباغ اللون أو طباخ اللون لأنه حسب قولهم يعجل بتلون البسر، وقالوا في المثل «صبغةُ صَبَّاغٍ اللَّون» واللون هنا البسر الذي أصبح أحمر أو أصفر. يضرب المثل للشخص يصيبه ما أصاب أقرانه من سوء.

وتهدد الرمال الزاحفة، التي تحركها الرياح، كثيراً من المناطق الزراعية في المملكة العربية السعودية. وعلى الرغم من أن الأراضي الزراعية لا تغطي إلا مساحات قليلة، فإن مشكلة زحف الرمال بمعدلات عالية قد سبب أضراراً بالغة لبعض الواحات، مثل واحة الأحساء ذات العيون المائية والبساتين، إذ تزحف الرمال نحوها بمعدل عشرة أمتار كل سنة.

وتمثل معرفة الفلاح بالمناخ وعناصره المختلفة امتداداً للموروث العربي والإسلامي في معرفة حساب الزمن ومواقع النجوم ومطالعها ومغاربها، وصلة ذلك بالثمار والنباتات ومواسم البرد والحر والأمطار وما إلى ذلك؛ وإن كان الحساب المعروف والمستعمل عند العامة والفلاحين يختلف عما هو معروف عند العرب الأقدمين، ولكن لا يتعارض معه مطلقاً. فالمتتبع لما ورد في بعض الكتب المتخصصة، وما يكتب في





التقاويم الحديثة الخاصة بتحديد المطالع والنجوم، يعتقد أن هناك تعارضاً بينها، ولكن كل ما في الأمر أن العرب الأوائل يعتبرون سقوط النجم في جهة الغرب وقت الفجر هو ابتداء النوء، لأن معنى ناء يعني سقط. ويعتبرون سقوط النجم هو ابتداء النوء خاصة أنجم الشتاء. ولا يعتبرون ابتداء النوء بطلوع النجم كما يفعل ذلك أهل الحساب في الوقت الحاضر؛ ويدل على ذلك نجم سهيل الذي يُبنى عليه العد الصحيح، إذ يتبين للعين قبل منتصف الكليبين أو النثرة، ولكن يبنى عليه في العد من ابتداء الطرفة ٢٤ أغسطس. كما أن الفلاح القديم يهتم بالوقت المناسب للبذرة، ويراعي ذلك بكل دقة، فالناس يعدون ظهور النجم المناسب للبذرة (أي بذرة) من صباح اليوم التالي لخروج النجم السابق لكن الفلاح صاحب الخبرة قد لا يرمي البذرة من صباح ذلك اليوم، بل يؤخر ذلك -أحياناً- إلى ما بعد الظهر أو العصر، لكي يضمن تكامل العطاء، وتطابق وضع البذرة مع توسط النجم. ولأهمية هذه الملاحظة ولدفع الاشتباه سوف نورد بعض الدلائل الشعرية والتي يتبين من خلالها أن العرب تقصد عند ذكر السحاب أو المطر سقوط النجم وليس طلوعه. ولا يزال مزارعو الباحة يعتمدون هذا الأسلوب في حساب النجوم والأنواء؛ قال النابغة:

سرت عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليه جامد البرد

السارية: السحابة تسري ليلاً، وتزجي: تسوق، وقوله من الجوزاء يريد عند سقوطها وهي تسقط في شدة البرد.

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

رعين الندى حتى إذا وقد الحصى
ولم يبق من نوء السماك بروق

الندى هنا: النبت، ومعنى وَقَدَ الحصى أي اشتد حره، وقوله ولم يبق... إلخ، أي انقطع المطر وجاء الصيف الحار.

قال في لسان العرب «السماك نجم معروف، وهما سماكان: رامح وأعزل، والرامح لا نوء له، وهو إلى جهة الشمال والأعزل من كواكب الأنواء، وهو إلى جهة الجنوب، وهما في برج الميزان». والمعروف أن برج الميزان، أو شهر تشرين الأول هو أول أشهر فصل الخريف، والذي يلي الخريف هو الشتاء وليس به حر. إذن، فالشماخ يقصد سقوط نجم السماك وليس طلوعه. ذكر ابن قتيبة أن طلوع السماك الأعزل لخمس يمضين من تشرين الأول، وسقوطه لأربع ليال





بمضين من نيسان ونوءه أربع ليال، ونوءه غزير مذكور قل ما يخلف، ومطره يصل الخطائط إلا أنه يذم لأن النشر ينبت عنه، والنشر نبت يطلع بمطره في أصول كلأ قد يبس فإذا رعته الإبل مرضت وسهمت، قال الشاعر في جمل له كان قد رعى النشر في نوء السماك فسهم فمات:

ليت السماك ونوءه لم يخلقا
ومشى الأويرق في البلاد سليما

والأويرق هو جمل ذلك الشاعر.

وقال ذو الرمة يصف حمار وحش:

مرن الضحى طاو بنى صهواته
روايا غمام النثرة المترادف

والروايا: السحاب يحمل الماء، والشاهد في هذا البيت قوله النثرة، وأهل الحساب في عصرنا يسمونها الكليبين وتكون في أشد الحر. ولكن ذا الرمة يقصد سقوطها. وذكر ابن قتيبة أن النثرة تسقط لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر (يناير) رغم أن المتعارف عليه أن النثرة من نجوم الصيف، ووقتها من ١٢ أغسطس حتى ٢٣ منه وهي المعروفة عند العامة بالكليبين؛ يقول محمد القاضي:

ويبين لك نجم الكليبين أماره
هي النثر، وصفه للعيون الروامق

دليلٍ على ظهور الكليبين أماره
إذا غرّبن عنها النسور العتايق

رياح وسموم وقيل تظهر به آفه
لبعض الثمار، وبعض الاشجار صافق

وإذا سقطت النثرة جرى الماء في العود وصلح غرس الفسيل.

اهتم العرب والمسلمون بالظواهر المناخية اهتماماً كبيراً. فوصفوا السحب والمطر وأطلقوا عليها أسماء كثيرة، وذكروها في شعرهم ونثرهم، وتتبعوا مساقط الغيث، ودعوا للديار بالسقيا، وعرفوا الفصول والنجوم، ووصفوا الغيث وكذا البرق والرعد؛ قال أبو علي المرزوقي:

والعرب من أحفظ الأمم لما أدت إليه تجاربهم من أحوال الزمان، وتعاقب الشهور والأيام، واختلاف الفصول والأعوام، بما يتجدد فيها من الأحداث فهم على اختلاف ديارهم وتباين أوطانهم، وتفاوت هممهم يراعون من هبوب الرياح وطلوع الكواكب وتبادل الأوقات ما لا يراعيه غيرهم من سكان المدر والوبر، وقطان البدو والحضر، وليس ذلك مستحدثاً فيهم وإنما هو عادة فيهم يتوارثها الخلف عن السلف، ومقياسهم طول الدربة ودوام التفقد.





فلهم اعتبار في كل ما يتجدد في الجو من طلوع كوكب أو أفوله، وهبوب بارح أو سكون. فهم أتباع ما اعتادوا من البرق إذا لمع، والغيث إذا وقع، والحر إذا أقبل وأدبر، والبرد إذا خف واشتد، لا يغفلون ولا يضيعون، فسبحان من جعل لكل أمة خصائص صاروا لها بمنجاة من الشر، وعوان أصبحوا فيها على شفا الخير (١٣٣٢، ج٢: ١٧٩).

لقد صقلت الصحراء أبناءها زرَّاعاً ورعاة، فعرفوا خصائص العناصر المناخية والظواهر الجوية. فكلما نظروا إلى السماء، عرفوا النجوم واستدلوا بها على مساكنهم وخروجهم في الليل. كما أصبحوا يعرفون بتجاربهم أوقات زراعتهم وحرَّهم وبردهم وصيفهم، وقيظهم وشتائهم وربيعهم. كما عرفوا علم الأنواء وقسموا السنة إلى نجوم، وكل نجم له خصائص معينة. وقد توارثوا تلك المعرفة وحفظوها.

جاءت معرفة الفلاح التقليدي بخصائص العناصر المناخية والظواهر الجوية من حقيقة مهمة يجب أن لا تغيب عن أعيننا وعقولنا؛ وهي أن الفلاح يتعامل مع كائنات حيَّة، وهذه الكائنات تتطلب فترات زمنية محدودة لتكوينها البيولوجي، قد تطول أو تقصر وفاقاً لنوعية المحصول. وتتغير خلال هذه الفترة الظروف المناخية بعناصرها المختلفة، وتتبدَّل تبدلاً يتطلب من الفلاح استجابة معيَّنة وفاقاً للظروف المتغيرة إيجاباً أو سلباً، حتى يضمن أن لا يصاب إنتاجه الزراعي بجائحة. وقد تكون استجابته إيجابية؛ إذ إن الظرف المناخي المتغير يكون في صالحه إن أسرع باستغلاله، كاستغلال المزارعين في حائل والقصيم وسدير، إلى الشرق من حافة طويق، بعض البرك المتخلفة عن مياه الأمطار الغزيرة في الفترة من نوفمبر إلى أبريل لزراعة الحبوب.

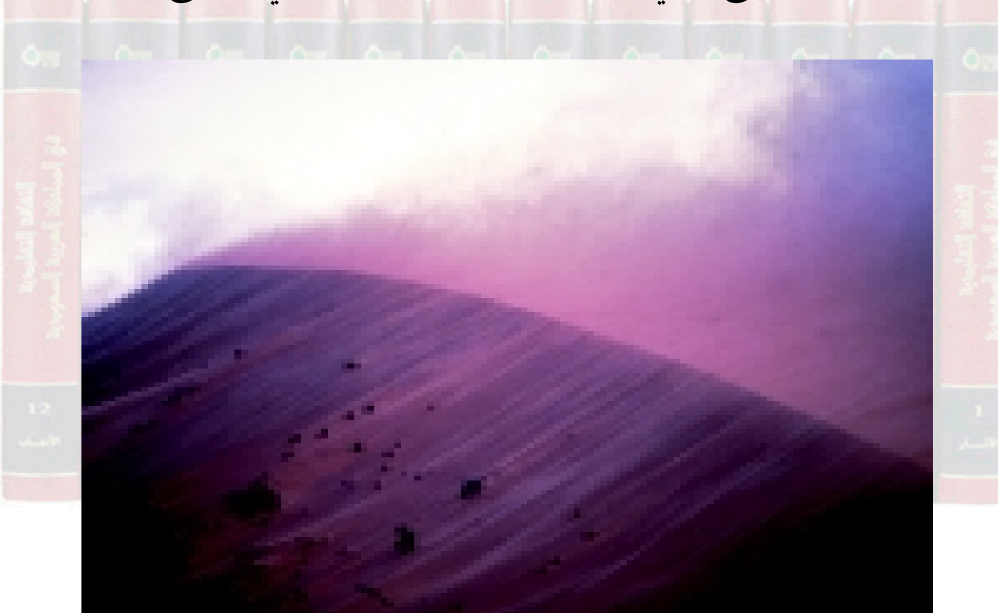
إنّ معرفة الفلاح بالرياح وأثرها على جميع عملياته الزراعية تجاوزت المسائل البديهية أو تلك التي أملتها البدائية، والظروف المحيطة. مثال ذلك استخدام الرياح في عملية فصل البذور عن التبن، كما هو الحال بالنسبة للقمح والشعير؛ فقد كانت الوسيلة الوحيدة لفصل هذه الحبوب هي الذراية إذ تذرو الرياح التبن فيصفى الحب ولذا يكنون عن ركود الريح بعجزها عن الذراية كما في المثل الشعبي «ما تَذْرى الطّحين» والمقصود أن الريح الساكنة لا تذرو حتى الطحين؛ يضرب لركود الحال في أمر من الأمور، وثباته وعدم تغيره. ويتجنب الفلاح ري محاصيله في الأيام التي تهب فيها الرياح



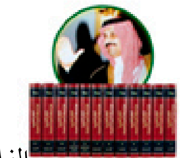


لتقليل التبخر، ولتفادي اضطجاع الزرع أو تقليع الأشجار. وعرف أثر الرياح في نقل حبوب اللقاح بين الأزهار المختلفة التي ينتج عنها نجاح عملية التلقيح الطبيعي. وفي مقابل ذلك كله يعرف الآثار السلبية للرياح، كجفاف الأوراق وسقوطها وتكسر الأغصان نتيجة لهبوب أعاصير ورياح شديدة، كما أنها تؤثر وتحدث أضراراً ماديَّة في كثير من المحاصيل الزراعية، خاصة إذا هبت تلك الرياح في مواسم التزهير فينتج عنها سقوط الأزهار والثمار. وكثيراً ما تتلف العواصف الرملية في المناطق الصحراوية المحاصيل الزراعية إتلافاً يقتضي حماية تلك المحاصيل بإنشاء الأسيجة ومصدات الرياح، التي من شأنها تثبيت الرمال الزاحفة تجاه المناطق الزراعية.

لذلك فقد تجاوزت خلفيَّة الفلاح التقليدي هذه الاستجابات المعرفيَّة لهذا العنصر المناخي، وهو الرياح، فوضع لكل ريح اسماً يختلف باختلاف مناطق هبوبها. فالتي تأتي من الشام هي الشمال، والتي تأتي من مطلع الشمس هي الصَّبا أو القبول، والتي تأتي معاكسة للشمال في الاتجاه هي الجنوب. وإذا جاءت من جهة الغرب فهي الدبور. وأهم من ذلك أنه يعرف خصائص كل رياح وقدرتها على إثارة الرمال، وبمعنى أعم قدرتها على النحت والنقل والإرساب وغير ذلك من خصائصها الأخرى. ومما يصور هذه المعرفة المثل الشعبي «عجاج يشيل المراقب»



عاصفة رملية





يشيل: يدفع ويحمل، والمراقب: جمع مرقب وهو برج للمراقبة في المزرعة، يبنى عالياً بالحجارة أو الطين ويتوسطها. وقد يطلق على المراقب المطلَّة على القرية لحمايتها؛ ويضرب المثل للتهويل والتعظيم للأمور؛ فريح الشمال قاسية وباردة وشديدة ومثيرة للغبار ومدرة للسحاب؛ قال الشاعر:

تكركره خضخضات الجنوب
وتفرغه هزة الشمأل

فهي إذا هبت شتاءً تحت سحاب كثيف به رعد وبرق، فهي تفرغ مطره وتعجل سيره، وإذا كان غيماً متفرقاً أو قطعاً فهو يضمحل ويتناقص مع ريح الشمال. وفي نجد يُعْرَف قدوم الشمال قبل هبوبها بفترة. فإذا كان الجو غائماً ثم أصحى أسفل الأفق الشمالي واتسع هذا الصحو، فهذا دليل على قدوم رياح الشمال، وكذا تغير مسار الغيم وإسراعه في السير. أما إذا كان هبوب الشمال في فصل الربيع، أو ما يسميه البعض بالصيف، فهو أقل تأثيراً على السحاب، بل ربما لا تتكاثف، إلا بعد هبوب الشمال إذا كانت مؤقتة كيوم مثلاً. أما إذا استمرت لبضعة أيام فإن الغيوم تقل بعد ذلك، وقلما نجد سحاباً ذا رعد وبرق لا تهب الشمال تحته. وهذا ما يسميه علماء الأرصاد الجوية في العصر الحاضر بالكتل الهوائية الباردة في المنخفض الجوي. ويصور المثل الشعبي معرفتهم بأحوال الرياح، قالوا «الى غبَّر دبَّر» معنى المثل أنه حينما يشتد هبوب الرياح الشمالية فتثير غباراً معها، فهذا دليل على قرب انتهائها. أما الكتل الهوائية الحارة فهي ريح الجنوب. ورياح الجنوب مدعاة للأمطار إذ هي تجمع السحاب، وهي رياح حارة وتهب في كل وقت، ومهبها ما بين مهبيِّ الصَّبا والدبور. ويطلق الفلاحون على الرياح الواقعة بين الجنوب والغرب الهيف لأن حب القمح يهيف إذا لم يرو بالماء. ويقول المزارع التقليدي «هب الهيف وسرى لزرعك ذرا» ويصفونها بالمثيرة لأنها تثير السحاب، والعرب تسمي ريح الجنوب إذا كانت حارة الهيف. ولارتباط هذه الريح بالدفء ورغد العيش قالوا في المثل «هيف ورغيف»؛ ويضرب المثل للدلالة على الرفاه ورغد العيش.

والصَّبَا تأتي من مطلع الشمس، وإذا صادف نزول الأمطار هبوب الصبا فإن الفلاحين يستبشرون بذلك لأنها تستقبل السحاب وتحد من مسيره. والعرب تقول إن الصَّبَا تستقبل السحاب





وتوزع بعضه على بعض حتى يصير كِسْفاً واحداً. ويطلق الناس على الرياح الشرقية مبكية الحصني؛ قالوا في المثل «مبكِّية الحِصني تِقَاها ظلالها» أو «مبكية الحصني ذراها ظلالها» الحصني: الثعلب، والضَمير يعود للريح الباردة الشديدة. يقولون إنه إذا اشتد البرد في الشتاء، جعل الثعلب باب جحره إلى جهة الشرق حتى إذا طلعت استقبلها ليدفأ بأشعتها في أول النهار. فيحدث أحياناً أن تهب الريح من الشرق، فلا يستطيع الثعلب إلا أن يستقبلها وهو يصيح من شدة البرد لأن التشرق لم ينفعه؛ ويضرب المثل لمن يفعل فعلاً يرجو خيره فيأتيه الشر من قِبله.

أما الدبور فإنها تمحو السحاب، وهي عند العرب من رياح العقيم لأنها تهلك النبات إذا هبت، وتمنع الغيث. ويطلق عليها الفلاحون الغربي، ويعتقدون أنها تجفل السحاب، ويسمونها، هي والشمال المزقة؛ قال الشاعر يزيد الهلالي:

هبوب تجينا من جهة خيبر
والعصر تنحى شمسنا عن مغيبها
شمالية تنشي خيالٍ بلا مطر
والعصر غربيه وتخلف هبيبها
هذيك هبوب الدهر ياجاهل بها
تجي صفةٍ من بعدنا تقتدي بها

وبالإضافة إلى رياح الجهات الأصلية فهناك رياح الجهات الفرعية ولها لدى العرب اسم عام وهو النكباء. فكل ريح من الرياح تحرفت فوقعت بين ريحين فهي نكباء. ويتردد على ألسنة فلاحي الجزيرة العربية التقليديين نوعان منها أُولاهما الهيفا (نكباء الجنوب والدبور) ويصفونها بالمثيرة لأنها تثير السحاب. ويقولون في أمثالهم «مَا كدَّرَت، إلا وغَدَّرَت» أي ما أصبحت الأرض مغبرةً قد تكدر جوها بعد صفائه، إلا وأعقب ذلك سحب تتكون من مطرها الغدران؛ يضرب المثل في التعزية عند وقوع المصيبة بأمل أن يأتي بعدها الفرج. وأخراهما النسري وهي نكباء الصَّبا والشمال، وقد سميت بالنسري لأنها تأتي من جهة مطلع نجم يسمى النسر يقع من جهة الشمال الشرقي. ويقولون في أمثالهم «النسري معها الخير يسري» لأنها إذا هبت في الشتاء، وأعقب هبوبها ريح جنوبية دافئة فبرودتها تساعد على تكاثف السحب الممطرة. وتقول البادية «إذا هبت الأزيب ولاقتها شمال، أصبحت كل ديرة شاربة».

وقد احتل المطر، كعنصر مناخي، حيزاً كبيراً من ثقافة الفلاح التقليدي، الذي يمثل شريحة اجتماعية من أبناء







السيل يتدفق في أحد الشعاب

الصحراء، الذين يحبون بطبيعتهم الخصب والنماء. فهم دائماً يسألون عن مساقط الغيث، ويراقبون تحركات السحب، ويخيلون البروق، ويطالعون اتجاهات الرياح، ويحتفلون بسقوط الأمطار ويسمونها الحيا. ففيها يحيون ويخصبون، وتنبت الأعشاب وتكثر الخيرات، وترخص الأسعار، ويكثر الإنتاج، وتتوافر الثمار، وتزدان الأرض، ويكثر الرطب والتمر، وتسمن الماشية وتتكاثر، ويكثر الحليب واللبن واللحم. ويعدّون نزول المطر عيداً، وفي أمثالهم الشعبية «ياربنا ياالجيِّد عطنا المطر ونعيِّد.

وفي المملكة العربية السعودية لا يمكن التنبؤ بموعد سقوط المطر أو كميته.

ولذلك لا يمكن قيام زراعة تعتمد على الأمطار مباشرة في المناطق الوسطى والشمالية والشرقية من المملكة، كما هو الحال في البلاد المطيرة. وكان من نتائج اعتماد الحياة في المملكة على هذا المطر المتقلب في الماضي القريب نتائج عظيمة، قد تتحول أحياناً إلى نتائج مدمرة؛ فخلال سني القحط والجفاف تتضرر الزراعة والمزارعون عندما تجف آبارهم التي تعتمد على المخزون الجوفي (السطحي) من المياه، فلا يكون بإمكانهم الوصول إلى المياه العميقة التي تستغل في الزراعة. ولهذا يمكن القول إن نشاطات الإنسان في المملكة كانت تعتمد على ما ينزله الله من الغيث أو ينساب





من العيون ذات المصادر المائية القديمة. ولهذا برعوا في جوانب متعددة تتعلق بالسحاب والمطر والسيول؛ فنظموا القصائد التي تضمنت أسماء السحب كما في أرجوزة السحاب للعمار.

الحمد لله العلي القادر
مجري الحيا تحت السحاب الماطر
مصلياً مسلماً على النبي
من قبل أن أذكر وصف السحب
فقد وصفت الغيم والسحابا
والمزن والغمام والربابا
أول ما ينشأ غيم في السما
يدعونه النشء عسى أن تفهما
والمزن منه أبيض ذو ماء
ويترك الغدير في البيداء
كذلك القنيف والهموم
والعين والخسيف واللهموم
والقطع الضخمة منه قلع
غليظة فيها الرعود تسمع
والمعصرات ماؤها ثجاج
يعطي شعاب الأرض ما تحتاج
والمكفهر منه ما تراكبا
وانهل منه الغيث ودقا ساكبا
أما النشاص فهو غيم يرعد
طويلة أعناقه، وأنشدوا
أرق عينيك عن الغماض
برق سرى في عارض نغاض
ومثله العراص غيم ممطر
وبرقه ورعده لا يفتر
وإن أصاب واديا قد أجدبا
جرى بأمر الله ثم أخصبا
والمرجحِّنُ ما ابتنى ثم دنا
كأنه هضاب وادي المنحنى
والمدلهمات أو الحناتم
ذوات ماء لونهن قاتم
والفارق التي تسير وحدها
ويسمع القريب منها رعدها
بعض الغمام ماؤه كثير
أعناقه البيض هي الصبير
والخال ما يعرف بالمخيله
وهي الغيوم الضخمة الثقيله
والسد ما سد السماء واتسع
ورعده دوى وبرقه لمع
كنهور السحاب كالجبال
إن ينهمر فاحذر من الأوحال
أما الفثاثيد فغيم مرتكم
في الجو، والطخطاخ غيم ملتئم
والمشرف الداني هو الحبي
أما عظيم القطر فالرمي
والكرفىء الذي يكون بعضه
يركب بعضا وتسيل أرضه
والطريم الكثيف والثقيل
كما يقول ذلك الخليل

أما الذي يعرف بالمحمومي
فأسود اللون من الغيوم
والحير المحتار أين يذهب
والريق الأمطار منه تسكب
والهيدب النازل منه والقطع
إذا تفرقت فذلك القزع
والدجن ما غطى السماء كلها
وإن همى فوق التلاع بلها
أما الجبير فهو ذو الألوان
ومنه ما يعرف بالعنان
والنقح غيم أبيض صيفي
والقف غيم أسود ندي
والزِبرِج الرقيق منه والقَرَدَ
هو الركامي ومثله النَضَدَ
أما الحبركي فهو منه ما كثف
والكسفة القطعة جمعها كسف
والجلب غيم قد نشا ظمآنا
وقد يرى البرق به أحيانا
والرهلة السحابة الخفيفه
كما يقوله أبو حنيفه
وحينما يجتمع الغمام
فذلك الغملول والركام
والسحق والسمحاق غيم مرتفع
ومثله الطخاء فاصغ واستمع
كذلك الطهاء والطخياء
وهذه يكثر فيها الماء

يأتي الرباب أسفل السحاب
مثل الخيام البيض في الهضاب
ومنه أبيض، ومنه أسود
والماء من هذا الأخير أجود
والهف غيم ماؤه قليل
والجفل في المعنى له مثيل
ومثله السيق، والأفاء
كذا الجهام منه والنجاء
والجلب والفرشاح والصراد
غيم بلا ماء كما أفادوا
والصيف غيم الصيف غير مستقر
وسحب الشتاء تحرى بالمطر
ولونها إن مال للسواد
وهطلت يسيل منها الوادي
ورب صيف فيه ودق وبرد
يحدث سيلا هائلا له زبد
والنوء نوء النجم أو سحاب
راعدة أرجاؤه سكاب
والنوء أيضا قد يقال للمطر
في معجم الألفاظ هذا مستطر

وإليك تعريفاً مبسطاً لأنواع السحب التي وردت في الأرجوزة مع العلم أن هناك ما يربو على ١٢٠ اسماً للسحب لم ترد في هذه الأرجوزة.

الغيم: اسم لكل ما نشأ في السماء من أنواع السحب.





السحاب: بخار الماء العالق في الهواء بعد تكون السحابة أو تحركها.

المزن: السحاب الأبيض، وقيل ذو الماء الريان.

الغمام: ما حجب السماء من السحاب.

الرباب: واحدته ربابة، وهو السحاب الذي تراه دون السحاب الأعلى ويكون أبيض أو أسود. وقيل الربابة تكون في الغيم في المطر، ولا يقال لها ربابة إلا في مطر؛ كقول حسان:

كأن الرباب دوين السحاب
نعام تعلق بالأرجل

النشء: أول ما ينشأ من السحاب.

القنيف: السحاب ذو الماء الكثير.

العين: قيل السحاب الذي جاء من ناحية القبلة، وقيل مطر أيام لا تقلع، وفي الحديث؛ إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة.

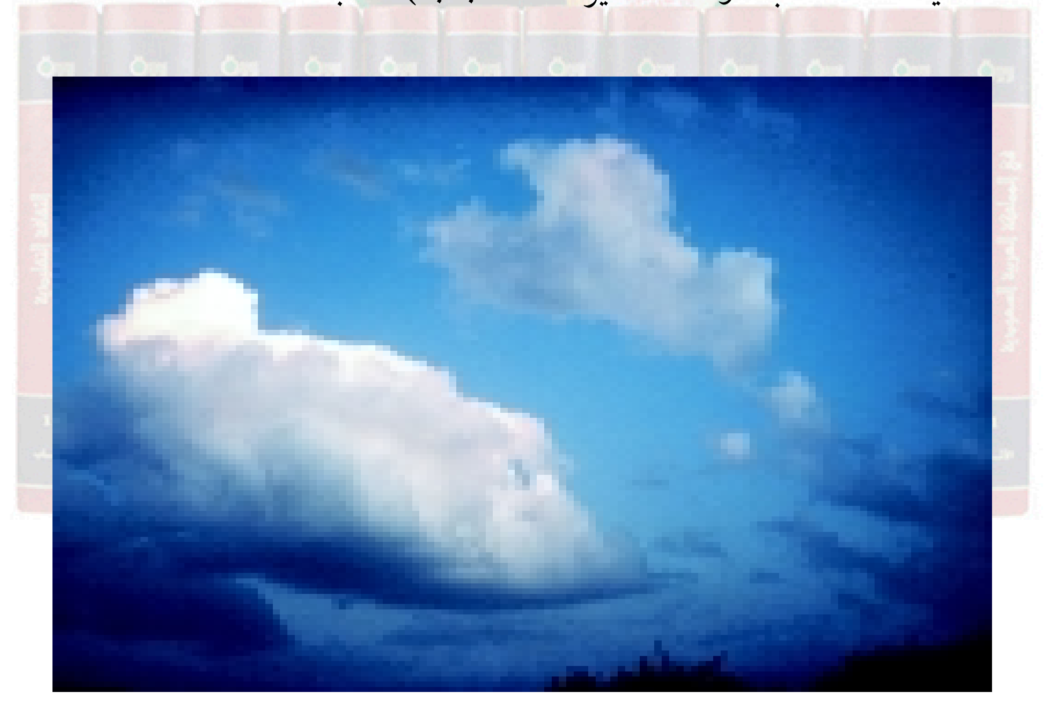
الحسيف: الذي ينشق من قبل العين يحمل الماء الكثير.

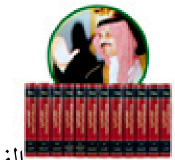
اللهموم: غزيرة المطر والجمع لهاميم؛ قال ذو الرمة:

ما آنست عينُه عينا يفزعه
مذ جاده المكفهرات اللهاميم

قلع: قطع من السحاب كقطع الجبال وقيل هو الضخم.

المعصرات: السحب ذوات المطر: قال تعالى ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا﴾ (النبأ: ١٤).







المكفهر: الممتلىء ماءً وقيل الـغليظ المتراكب أو الضخام الركام.

النشاص: هو السحاب المرتفع بعضه فوق بعـض وليس بمنبسـط، وقيل هو السـحاب الـطوال الـبيـض؛ الواحـدة نشاصة.

نغاض: السـحاب الكثيف المتـهيِّئ للمطر.

العرَّاص: الغيوم الممطرة التي لا يقف رعدها وبرقها.

المرجحنّ: الثقيل الداني من الأرض.

المدلهمات: السحاب المظلم الأسود.

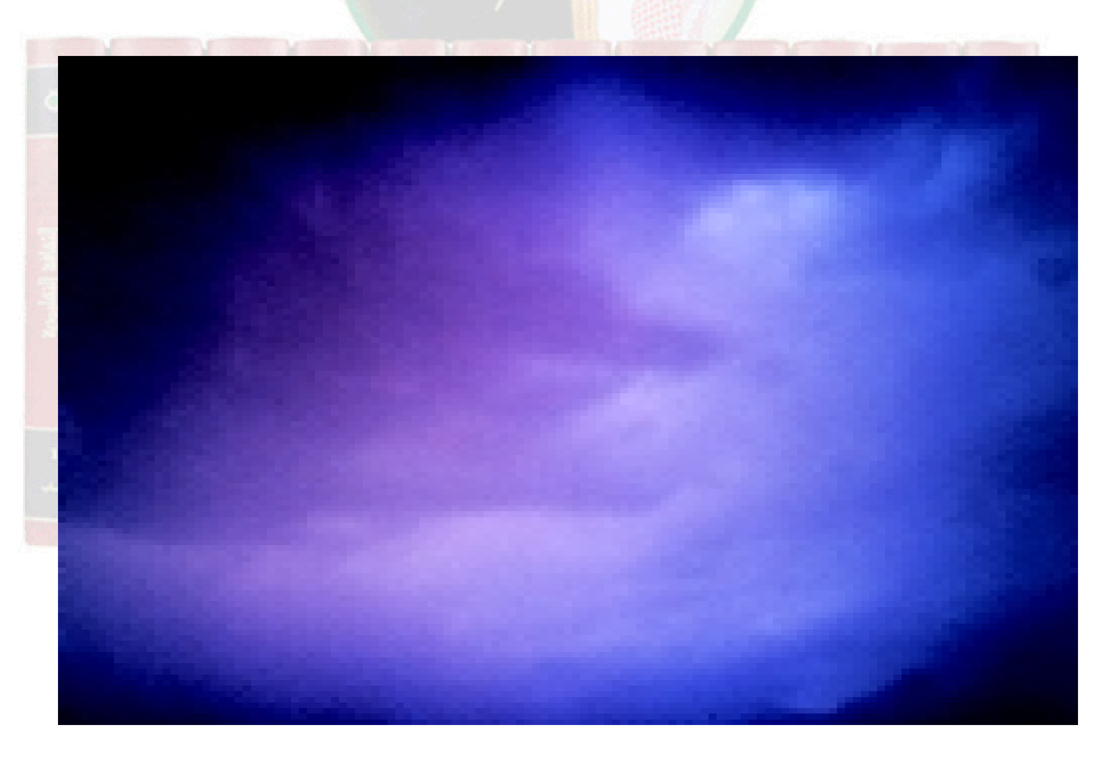
الحناتم: سُحُب خضـر تقترب إلى السواد من كثرة مائها.

الفارق: السحابة التي تفارق معظم السحاب.

الصبير: السحابة كثيرة الماء، وقيل هو الذي يمكث ماؤه اليوم والليلة، أخذ من الصبر، وهو الحبس. وقيل ما تراه متراكباً في بياض. وقيل هو السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً.

الخال: السحابة الضـخمة وجمعها خيلان.

المخيلة: جمعها مخايل وهي الخليقة بالمطر وقيل إنها سحابة فيها رعد وبرق يخيل للناظر أنهـا ممطرة. وفي الحديث الذي روتـه عائشة $ «كـان النبي ﷺ إذا رأى مخيـلة في السماء أقـبل وأدبر







ودخل وخرج وتغير وجهه فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه» رواه البخاري.

السد: النشء الأسود يسد الآفاق.

الكنهور: السحاب الضخم الذي قطعه كقطع الجبال، أو المتراكم منه.

الفثاثيد: سحائب بيض بعضها فوق بعض.

الطخطاخ: هو السحاب الذي يعم السماء بلا فتوق ولا خُلَل.

الحبيّ: الذي يدنو ويعترض ويبطيء في سيره.

الرميّ: قطع من السحاب صغار دقائق وجمعها أرماء، وقيل هو سحاب شديد وقع المطر.

الكرفىء: السحاب المتراكم.

الطريم: السحاب الكثيف والثقيل.

المحمومي: السحاب المسود المتراكم.

الحيّر: غيم ينشأ مع المطر ولا يتجه جهة معينة.

الريّق: السحاب المطر أو كثير الماء.

الهيدب: ما تدلى من السحاب مثل هدب القطيفة، وتسميه العامة هملولاً.

القزع: قطع السحاب المتفرق.

الدجن: الذي يظل الأرض ويقال يوم مدجن أي غائم من أوله إلى آخره.

الدلوح: السحاب كثير الماء.

الجبير: السحاب ذو الألوان.

العنان: السحاب المعترض في الأفق.

النقح: سحاب أبيض صيفي.

القف: سحاب أسود عظيم.

الزِبرِج: الرقيق من الغيم وقيل الخفيف الذي تسفيه الرياح.

القَرْد: السحاب المنعقد المتلبد.

القَرَد: السحاب من قطع صغيرة غير ملتئمة.

الركام: السحاب متراكم بعضه فوق بعض.

النضد: السحاب الذي بعضه فوق بعض وجمعه أنضاد.

الحبركي: السحاب الكثيف.

الكسفة: القطعة من السحاب وجمعها كِسَف وقيل الكسف السحاب العريض.

الجلب: غيم يكثف وهو ظمآن وفيه رعد وبرق.

الرهلة: السحابة الخفيفة.

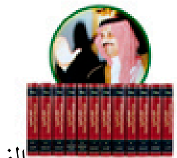
الغملول: الغمام المجتمع.

السحق: السحاب الرقيق.

السمحاق: السحاب الرقيق.

الطخاء: السحاب الرقيق وقيل السحاب المرتفع.

الطهاء: السحاب المرتفع أو الرقيق وقيل إنه المرتفع المتكاثف الذي يحمل الماء. والعامة يطلقونه على الغيم





المنخفض الممطر في أسفل السحابة الراعدة ويخلطون بينه وبين الرباب.

الهف: السحاب الذي ليس فيه ماء.

الجفل: كل سحاب ساقته الريح وقد صب ماؤه وتسميه العامة الجفيل أو النفيض.

السيق: ما ساقته الريح وافترزته من السحاب وقيل هو معنى مرادف للجفل.

الأفاء: السحاب الذي لا ماء فيه.

الجهام: السحاب الذي هرق ماءه، وقيل هو الذي لا ماء فيه ويمتاز بسرعته؛ قال المتنبي:

ومن الخير بطء سيرك عني
أسرع السحب في المسير الجهام

النجاء: السحاب أول ما ينشأ وقيل هو الذي هرق ماءه.

الفرشاح: سحاب لا مطر فيه.

الصراد: السحاب الذي لا ماء فيه.

النوء: السحاب الكثيف؛ قال الشاعر:

وغيث تألف نوؤه
فألبسه غللا أربدا

وقد اكتسب الفلاح خبرة ودراية بتتبع السحاب وشيمه أو مخايلته. فإذا كان السحاب ناشئاً من ناحية القبلة وثقوا بالمطر، وإذا كان أسود فذلك من علامات الغيث، وإذا كان أبيض يبرق بضوء فذلك دليل على مائه؛ تقول العرب «إذا رأيت السماء كأنها بطن أتان حمراء فذلك الجود». وإذا كان السحاب بطيئاً في سيره، فذلك دليل على كثرة مائه، وإذا كان أصهب إلى البياض، فذلك دليل على أنه لا ماء فيه، وأنه مجدبٌ. كما اعتمد الفلاح على البرق في تخييله إذا كان السحاب بعيداً، فإذا توالى البرق وتكرر مرات عديدة فإنهم يقطعون بنزول المطر، وينتقل أصحاب الحلال، من دون أن يبعثوا رائداً، لثقتهم بالمطر. وإذا كان البرق وليفاً، وهو الذي يلمع لمعتين لمعتين، وثقوا بالمطر. والبرق الجنوبي (اليماني) عندهم أصدق، لأن المطر من ناحية الجنوب كما تقدم؛ قال الشاعر:

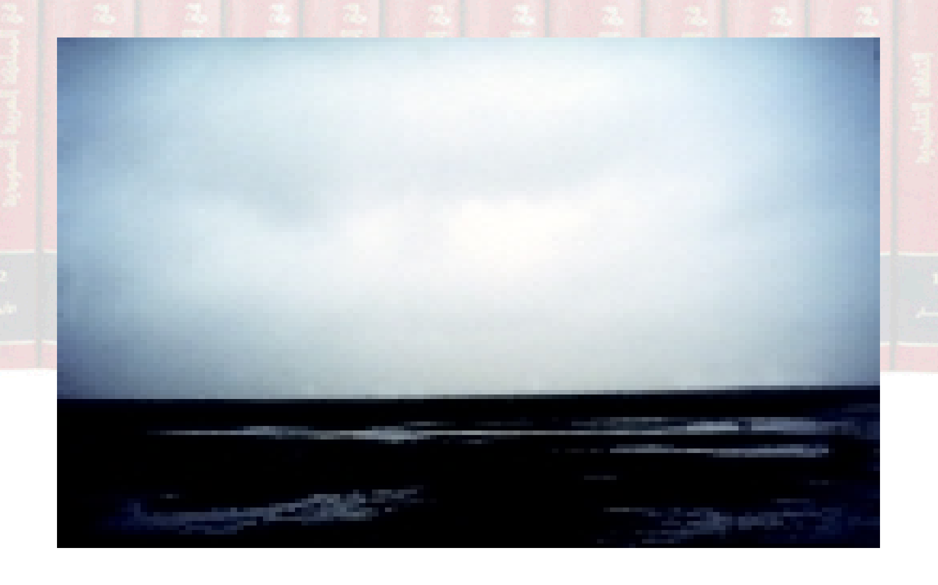
ألا حبذا البرق اليماني وحبذا
جنوب أتانا بالعشي نسيمها

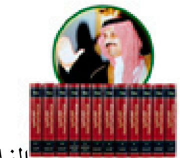
ويُقسِّم العامة، ومنهم المزارعون، السنة إلى أربعة فصول؛ الخريف ويسمى الربيع الأول، لأن أوله الربيع، وهو العشب النابت بعد المطر، إذ يطلق العوام على ذلك العشب البري الربيع. ثم يأتي بعده فصل الشتاء، ثم يعقب الشتاءَ فصلُ الصيف، وهو أكثر ما يسميه الناس الربيع أو الربيع الثاني، ثم يكون بعده فصل الصيف (القيظ). أما الخريف فهو عندهم المطر الذي يكون في آخر القيظ، وسمي الخريف لاختراف الثمار فيه. وتبدأ أمطار





الخريف بعد طلوع سهيل بأكثر من شهر، وفيها الوسمي، الذي سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات. وإذا هطلت الأمطار في الوسمي، وتبعها أمطار في الشتاء عمَّ الخصب وارتفع مستوى مياه الآبار السطحية. أما أمطار الشتاء فتكون غزيرة في بعض السنوات، وبارقة الشتاء قلما تخلف. ورؤية برق الشتاء لا يدل على قربه، لأن سحاب الشتاء يكون مستواه عالياً خلافاً لسحاب الصيف. ولهذا فالمزارع يقول «إذا سمعت رعد الصيف فاشرب منه» أي إنه لا يكون عنك بعيداً جداً. وأمطار الصيف، وهو ما يعرف بفصل الربيع، قد تكون غزيرة في بعض السنوات. وتبدأ معظم أمطاره في فترة ما بعد الظهيرة. وتسمى السحب، التي تأتي بعد الظهر عادة في الصيف، روائحْ. وربما كانت أمطار الصيف أكثر من أمطار الشتاء في بعض السنوات. أما أمطار القيظ فهي نادرة في وسط المملكة وشرقها وشمالها، ولكنها كثيرة في جنوبها الغربي. وقد سجل لنا المؤرخون حوادث لسيولٍ في فصل القيظ. ومن ذلك ما ذكره ابن بشر في السنوات ١٢٢٤هـ و١٢٤٣هـ و١٢٤٤هـ و١٢٤٥هـ حيث كثرت الأمطار وفاضت الآبار ورخصت الأسعار. ومن الحوادث قريبة العهد ما ذكره العمَّار (١٩٩٤ : ١٢٤-١٢٦) عن حوادث أمطار في قيظية، وقد ذكر منها يوم ٢٣/٦/١٣٩٣هـ و٢٤/٦/١٣٩٣هـ وغرة ربيع الثاني سنة ١٣٩٥هـ وسنة ١٣٩٦هـ و٢٣/٣/١٤٠٠هـ و١٩/٦/١٤٠٤هـ و٢١/٦/١٤٠٦هـ و٢٨/٧/١٤٠٦هـ و١٣/٢/١٤١٣هـ، وقد توافرت على إثر هذه







الأمطار المياه في الآبار السطحية بصورة لم يسبق لها مثيل، وبلغ متوسط بعد الماء عن السطح في الآبار حوالي ٩ أمتار. وقد جرت بعض الأودية في الموسم لأكثر من ثلاثين ساعة متواصلة.

والأمثال الشعبية والأشعار العامية (النبطية)، تتجلى فيها فلسفة الأمة ونظرتها إلى الأشياء، والفلاح التقليدي قد اختص ببعض أمثال مهنته. وعكست هذه الحصيلة من الأمثال في جوانب كثيرة منها، خلفيته وإدراكه خصائص المناخ والظواهر الجوية في مجال عمله وكسب رزقه؛ نذكر منها قولهم «سحابة صيف عما قليل تنقشع» والصيف عند العامة آخر فصل الربيع، وبعض سحب الصيف تكون سريعة أو خفيفة تلقي بشيء من مطرها ثم تمر بسرعة، وقد تصاحبها الصواعق. وقولهم «السرى منه الندى»، والسرى هو الغيم الأبيض الخفيف العالي، والندى الرطوبة؛ وقولهم «نفيض السحاب ما يمطر»، والنفيض غيم منخفض يسير مع اتجاه الرياح. ويقال إنه سحاب انتهى ماؤه؛ ومنها قولهم «سيل فلاة»، فهم يعرفون أن سيل الفلاة مطر يروي الأرض، وينبت العشب، ولكن لا يروي المزروعات فلا يعولون عليه؛ قال شاعرهم محمد بن لعبون:

يسوقه الغربي والاخر يعوقه
مترادفٍ مبناه طاق على طاق

وقال شاعر فلاح من الباحة:

صحيبي يمنيني، مناني وغرني
كما غر زراع الخريف رشاش

فهو يعرف أن الأمطار منشؤها الغربي، خاصة عند أهل نجد، وتحمله الرياح الغربية؛ لذلك يقولون «تَرعِد في القبلَه» يعود الضمير على السحب؛ يضرب هذا المثل للشيء المتوقع. ويقولون «يَبْرِق بالمَنْشَا» والمنشا مكان نشوء السحاب وتكونه، وهو جهة الغرب في نجد. إذ السحاب الممطر في بلادهم يسير من جهة الغرب إلى جهة الشرق، فيظن البعض أنه ينشأ ويتكون في الغرب، ثم يأتي إليهم فيمطرهم، مع أن الواقع أنه ينشأ في جميع أنحاء السماء، وإن كان يسير إلى جهة المشرق. يضرب المثل للخير الذي بشر ولم يصل بعد. أما الرياح الشرقية -وهي رياح الصبا- فإنها إذا صادفت السحاب، حدت من سيره فتهطل الأمطار الغزيرة، وفي هذا معرفة تامة لمصادر الرطوبة وخصائص الرياح؛ ويقول الآخر:

عزي لسواق السواني من السرى
إلى صار هطال السماك عجاج

فهو يتوجع للساني الذي يسوق المواشي التي يسني عليها، أي يستخرج



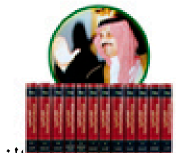


بها الماء من البئر، إذا أصبح العجاج بديلاً من السحاب الهطال بالمطر في نوء السماك الذي يأتي في آخر الشتاء. وقد توجع للساني لأن القمح في نوء السماك يحتاج إلى ماء كثير بسبب غلبة الدفء في الجو. ولا شك أن الأبعاد العديدة لهذا القول، تنبئ عن خلفية جيدة ومفصلة عن بعض عناصر المناخ، واحتياج النبات للماء في مراحل نموه؛ يقول الشاعر الشعبي الفلكي راشد الخلاوي:

والى فات من نو السمــاكين ما جرى
من الغـيث ما يروي دعوب المـسايل
فقـد ضيـعت خور المـتالي عـيالـها
وقــد طلـق اولاد الـنذول الحـلايـل

وقد بلغ من إدراكهم لأهمية الزمن، أو موسم المـطر أن قالوا «كل ماطـر له نبات». فمع أن الماء واحد والتربة واحدة إلا أن كل مطر لموسم من مواسم العام له نبات خاص. فالوسمي مثلاً له نبات، ومطر الشتاء له نبات، ومطر الصيف له نبات ومـن ذلك إدراكهم مـدى حاجة النبات للمطر؛ يصور ذلك قولهم «مثل البَرْوَق ينّبت عـلى الرعد» البروق نبت صحراوي. المعنى هو كالبروق ينبت على صوت الرعد من السحاب، ولو لم ينزل مطر وهذا على سبيل المبـالغة والمقصود أنه يـنبت علـى أدنى ندى أو رطوبــة. يضرب المثل لمن يتهلل أو يستبشر بالأمر عند أول بارقة له، حتى لو لم يكتمل. ولقد انعكس هذا الادراك الذي يقتضي اختلاف آثار الشيء الواحد بحسب وقته ومنـاسبتـه علـى تنوع مـحصولاتـهم وتقسيمها إلى صيفية وشتوية... إلخ.

ومن أمثالهم تحت هذا المفهوم قول البدوي «يالله صيفيه نرعى بها حـوليه، وإلاّ وسميّه نرعى بها شتويه». والصيفية السحابة التي تحط في الصيف (ويسمى الآن آخر فصل الربـيع) وهو ما يسمى الآن فصل الصيف (القيظ) ولا ينزل فيه المطر عادة بنجد، والوسمية المطر الذي ينزل فـي آخر الخريف وأوائل الشـتاء؛ فقد أدركوا بفطرتهم وتجاربهم أن السحب كلها ليست ممطرة؛ ولهذا قالوا «كم بارق ما تنـثر الماء مخايلـه»، والمخايل جمع مخيلة وهي السحابة التي يخال الإنسان فيها بوادر المطر؛ وقولهم «ما كل برّاق، أو ما كل رعَّاد، يجود بمائه». كما أدركوا بحسهم وتجاربهم أن الأمطار لا تنزل في هذه الفترة بكميات كبيرة تسيل على إثرها الأودية؛ ولـهذا قالوا «مـا ذكر واد في التوييـع سال»، والتوييع نجم مـن نجوم فصل السنة يأتي بعد الثريا، وهو الدبران عند الفلاحين، ولا يأتي عند غيابه مطر إلا بكميات قليلة؛ وهذا المثل لا يتناقض





مع ما ذكره الشاعر الشعبي إبـراهيم بن جعيثن الذي قال:

سـقـاه مـن نجـم الـتـويـبع رايـح
يـرعـاه صـيـد ذيـره مـدقـوقـهـا

وقد يأتي المطـر في أي فصل من فصول السنة. وربما يتوقع الإنسان من سحاب مقبل مطراً فلا يصيبه منه شيء. وفي بعض الأوقات ينام المزارع والسماء صحو ثـم يقوم لغـداته وقد امتلأت المزارع بالسيول؛ ولذا قالوا في أمثالهم «لا تنظر إلى الآفاق، وانظر إلى الرب الخلاق»، فهو الذي ينزل الغيث، فقد ينزل المطر في أزمنة لا ينزل فيها عادة مطر، ولكنهم مع ذلك لا ينفون النزول المطلق؛ ومنه قـولهم «لا تنزل المسيل ولو في المقيل» والمسيل هو مجرى السيل أو الوادي، والمقيل يعني القيلولة وقت اشتداد الحر في الظهيرة. وهذا لا يكون إلاّ في أودية بعـيدة البداية والنهـاية، مثـل وادي العقـيق ووادي فـاطمة، ويخشى فيها من السيل الذي يأتي من ديار بعيدة.

وفـي جوانـب أخرى مـن معـرفـة الفلاحين التقليديين للعناصر المناخية، نجد تلك المعـرفة والإدراك لما يمكن أن نطلق عليه الاستفادة القصوى من العنصر المناخي وفصليته، أو فترته المحدودة التي توجب التعامل معـه بشيء من التعقل والتدبر؛ ويتردد على ألسنتهم المثل المشهور «من لا بالصحو جوّد مسيل الغرس ما سالي» إذ على الفلاح أن يصلح مجرى سيل حقله ويسد الثغرات ويمشط المجاري والعراص؛ فإن لم يفعل ذلك وقت الصحو وطلوع الشمس، فإنه في وقت تدفق السيول لا يمكن لغرسـه أو نخله أن يشرب. وهذا المثل قد أخذ من عجز بيت للشاعر الشعبي عبدالله اللوح يقول فيه:

يقولون العرب من وسع المقطع يجيه العود
ومن لا بالصحو جود مسيل الغرس ما سالي

ويقارب هذا المثل وقول الشاعر، مثل آخر يقول «من لا يعابس والتراب يابس جاه السيل وريقه يابس».

ومن الحاجة الماسة واتـخاذ التدابير المسبقة للاستفادة من مياه الأمطار نبعت قدرتهم الفائقة في التخييل، وهو النظر إلى السحاب ومعرفـة الممطر منه وغير الممطر وأين يمطر. فمن لمعان البرق وقوته وامتداداته يعرفون مواضع المطر وغزارته، فيقولـون هذا سيل، وهذا ديمة، وذاك ديمة سقي... ويقدرون بعده تقديراً دقيقاً. أما في النهـار حيث لا يرى البرق عن بعـد، فهم يقـدرون بُعد المـطر بمنظـر السحاب، ولونه الداكن أو الأقل بياضاً. فيعرفون غزارة المطر وعدمها، ويتوقعون





وصول المطر إليهم، ويستعدون له قبل أن يتكون فوقهم شيء من السحاب، وذلك لمعرفتهم بسير الرياح. ولا شك أن هذه الأمور في مجملها تنبىء عن إدراك عميق للظواهر الجوية امتلكه الفلاحون والرعاة الذين يهمهم أمر الأمطار في بلد صحراوي كالمملكة العربية السعودية.

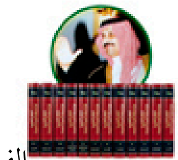
أما وصف السحاب وحركاته، والبرق ولمعانه، والأمطار، وما يصاحب ذلك كله من ظواهر جوية، كالطها والرباب، وهو الغيم المنخفض تحت السحاب، ونحو ذلك، فكثير؛ قال الشاعر محمد بن أحمد السديري يصف المزن:

علّلتهن في ربا نجد المزون
ناشيات مرعدات ممطرات
غاديات رايحات مرضيات
مسبلات في مطرهن مغدقات
حافلات مثقلات هاملات
منورات بالبروق الضاحكات
لاقحات مغنيات حادرات
شامخات شاحنات حافلات
شاربات من بحور ومن شطوط
والصبا هبت لهن بالملقحات
ساقهن ربٍ على عرشه عظيم
من بحر جوده برفقٍ دافقات
كن ودق المزن من فوق الحزوم
المكاين بالصحايف كاتبات
كن طقّاح الطها بيض الخيام
بالمشاعر يوم تسع مشاهدات
أرعفن بالكوثر العذب الطهور
من مزونٍ في سماهن مسبلات

فتعرض لبعض الأمور التي تجاوزت وصف السحاب، فذكر أن مرور الرياح على المسطحات المائية يزيد من تكثيف بخار الماء، وشبه الرياح بكائن حي يشرب من المياه العذبة والمالحة، ثم إن رياح الصَّبا، وهي التي تهب من مطلع الشمس، تلقِّح هذه الرياح الغربية الحاملة للمزن وتستدرها وتعيقها حتى تفرغ السحبُ ماءَها.

وقال هويش الهويش، وهو من الشعراء الشعبيين الذين أكثروا من ذكر بعض الظواهر المناخية وصفاً وتحليلاً، في قصيدة طويلة له ذكر فيها أن التيارات التي تصاحب السحاب المتحرك لها أثر كبير في إنزال المطر بإذن الله، وسمى تلك التيارات الصاعدة والهابطة بدورة المزن المتراكم:

يامل قلب دار بين المعاليق
دور القنيف الى ارتعش وانتثر ماه
واقبض دموعي قبض سيل المخانيق
اللي وطا شعب قنيفٍ تعلاه





والقنيف: المزن المتراكم، والمخانيق: مجاري الماء بعد اتساع. اللِّي: الذي.
وينسب إلى راشد الخلاوي في وصف حركة السحاب وتصريف الرياح له، وما هو مظنة الغيث منه، بإذن الله تعالى، الأبيات الآتية:

إذا صار منشاها جنوب ويممت
شمالٍ فهي مثل الخريش المراجح
وإذا صار منشاها شمالٍ ويممت
جنوب لقيت الما علٍى الحزم سايح

ومن النادر اتجاه السحاب الممطر من الشمال إلى الجنوب، إلاّ أن السحاب بعد أن يُمطر وتهب عليه ريح الشمال يكون خفيفاً ويتجه إلى الجنوب ويسمى نفيضْ.
وللشاعر الخلاوي نظرة إلى مواقع النجوم يحدد بموجبها مواسم الأمطار ومظان سقوطها واختلافها فيقول:

والى فات من نو السماك ولا نشا
من المزن ما يملا دعوب المسايل
فقد ضيعت خور المتالي عيالها
وقد طلق اولاد النذول الحلايل
وغدا منادي الليل ما ينحوي له
وغدوا فتخ الا كاسبين النفايل
فيالله بتالي الصفريات سيله
يفرح بها راعي السواني الهزايل
حميم أو تالي عقربيه
صدوق الحيا يحيي العصور الاوايل

والعقربية سحابة تأتي في أحد نجوم العقارب الثلاث، ووقتها من منتصف شهر فبراير الأخير إلى منتصف شهر مارس تقريباً، وهذه الفترة عادة يكون مطرها غزيرا؛ ويقول شاعر آخر:

إذا صارت الجوزا يمام لكنها
جريمة صيد لاحها اللواح
فالزرع بين فْتاقةٍ وخناقه
واشتد زند العامل الفلاح

ويصف شاعر آخر الغيث النافع الآتي في موسمه فيقول:

إذا قارن القمر الثريا بتاسع
يجي ليالي بردهن كباس
ثمان ليالي يجمد الماء على الصفا
يودع عودان العظاه يباس
لو كان فوق العود ثوب وفروه
لكنه عار ما عليه لباس

وإذا كانت معرفة الفلاح التقليدي للعناصر المناخية وإدراكه لها تتجلى في شعره ونثره وأمثاله، فإن ما يعرفه عن الفلك من معلومات مختصرة ومركزة، أملتها عليه حاجته إلى معرفة وقت الزراعة ونضج الثمار، وحاجة الراعي والمزارع إلى موعد سقوط الأمطار واعتدال الجو، ومتى تحتاج مزروعاته ومواشيه إلى الماء ومتى لا تحتاج. وتكشف معلوماته عن الدقة المتناهية في إدراكه لعناصر المناخ







والاستفادة منها. وقد عمدوا إلى تجاربهم فصقلوها ونقحوها فصارت تلك التجارب علوماً صحيحة دقيقة. ولما لم تكن لديهم دواوين تحفظ لهم ما يروون وما يجربون، فقد سجلوا علومهم هذه في مقطوعات شعرية قصيرة، وأسجاع، تجعل من السهل حفظ هذه العلوم وتناقلها. وتنحصر علومهم في الفلك بقدر حاجتهم إلى علم الأنواء للزراعة، لأن وقت الزرع والحصاد مرتبط بالأنواء.

ولقد برهنت تجاربهم وما خلفوه من قواعد ومقاييس وخطوط عامة، على إلمام واسع بعلم الفلك ودقة في الحساب، على الرغم من أنه لم يكن لديهم الآلات المساعدة ولم يتلقوا الدراسات المؤهِلَة؛ ومن المنقول عنهم في دقة الحساب ما ذكره عاتق بن غيث البلادي في كتابه الأدب الشعبي في الحجاز حيث قال:

> إن رجلين من حاسبيهم جلسا والمطر يهطل فقال أحدهما: هذا يوافق نوء كذا، فقال الآخر ليس كذلك ولم يدخل نوء كذا إلى الآن. فتماريا، فقام الآخر فجعل إناءً في المطر حتى صار فيه الماء، فناوله صاحبه وقال: اشرب، فشرب فوجده هماجاً، ثم مكثا والمطر مستمر، فجاء له بماء آخر من المطر فشربه فوجده عذباً فقال له: الآن دخل نوء كذا. وفي غير هذه الحكاية لم أسمع أن ماء المطر كان يوماً مالحاً. وقد تكون الرواية مبالغاً فيها، وهي شائعة ومسموعة في جهات ينبع والصفراء (١٣٩٧: ٣٢٩).

ويعللون ذلك بأن نوء كذا يصلح لزراعة معينة، ولا يصلح لزراعة غيرها لأن الزرع أنواع ولكل منه ما يوافقه من الماء. وهذا مشاهد فعلاً، فالآبار ذات الماء المالح أو الهامج تصلح لغرس النخل والحمضيات ونوع من الخضار، بينما كثيرٌ من أنواع الخضار والفواكه لا تقبل ذلك الماء، وهذه حكمة إلهية.

ثم يسترسل الباحث في سرد الوقائع والحكايات التي تشير إلى دقتهم في الحساب فيذكر حكاية أخرى عن شيخ كان حاسباً لجهة ما فقال:

> كنت قد عملت مشاعيب في مزرعتي لأزرع فيها خربزاً فلما





أصبحت حسبت أن زراعة الخربز قد بدأت فرحت إلى تلك المشاعيب أزرعها فلما زرعت ثلاثة منها مر بي شاب يتعلم الحساب (حساب الفلك) فقال: ماذا تعمل ياعم فلان؟ قلت أزرع خربزاً! قال انتظر حتى تصلي العصر أو قال الظهر فقلت: بل أزرعه الآن. فتجادلنا فحلف علي لا يثمر خربزك هذا حبة واحدة! فتظاهرت بعدم تصديقه فلما ذهبت قلت في نفسي ما الذي يمنعني من الانتظار ساعات؟ وهكذا كان، فوالله ما قطفت مما زرعت أول النهار، خربزة واحدةً والرجل معروف لدي وثقة من الثقات، فترى أية دقة في هذا الحساب، وأي مرشد زراعي يستطيع الوصول إلى هذا الفهم؟ (١٣٩٧: ٣٣٠).

وتكشف أمثالهم الشعبية عن شيء من معرفتهم الفلكية وإدراكهم الذي يتعدى ظواهر الأشياء، من ذلك ما ننقله عن العبودي في شرحه للمثل «يحسبوني كبر البلحه، وانا كبر اللقحه» البلحة: البسرة قبل أن تصفرّ أو تحمرّ، واللقحة: الناقة التي في بطنها ولدها. يقول إنّ النجمة تقول هذا القول للناس الذين يظنون أنها صغيرة جداً لأنهم يرونها في أعينهم كذلك. فهي تقول إنني لست كما يرونني وإنما أنا أكبر من ذلك بكثير إذ حجمي كحجم اللقحة من الإبل وهي أكبر الإبل في العادة بسبب عظم بطنها من وجود ولدها فيه. ومثله «يحسبونني كبر اليدين، وأنا كبر البلدين» وهذا جاؤا به على لسان القمر. وهذان المثلان يدلان على معرفة العامة بأن بعد الكواكب والأجرام السماوية يظهرها أصغر من حجمها إلا أنهم لم يكونوا يتصوّرون عظم الفرق بين رؤيتها في العين، وبين حقيقة حجمها. كما أنهم يرون أن القمر أعظم من النجمة، فقد أعطوه في قولهم على لسانه: إنه في مقدار حجم البلدين، وذلك خلاف الحقيقة العلمية التي أصبحت معروفة الآن، بل أصبحت من البدهيّات العلمية في الفلك.

إن الكشف عن إدراك الفلاح التقليدي للعناصر المناخية من خلال حسابه، وما وضعه من قواعد فلكية، تستلزم منا إعطاء نبذة موجزة عن البروج وفصول السنة والنجوم التي عليها مدار السنة والمقسمة على الفصول الأربعة.



# البروج وأهميتها في الفلاحة

تطلع الإنسان بناظريه إلى الكون حوله، منذ وجد على هذه الأرض، فرأى السماء الصافية المضاءة بالنجوم اللامعة والقمر المضيء وأخذ يراقب مواقع الكواكب والنجوم ويلاحظ أوقات طلوعها واختفائها، وقد ساعدته تلك المعارف البسيطة عن حركة الكواكب والنجوم في أسفاره في الليل وفي مواعيد الزراعة والحصاد، وحساب الشهور والفصول والسنين، كما أصبحت له دراية بالبُروج، وبأوقات هبوب الرياح وهطول الأمطار، وظاهرتي الخسوف والكسوف وغير ذلك من الظواهر الأخرى.

وقد أطلق الأقدمون على المجموعات النجمية أسماء حسب تصور معيَّن. كما شبهها علماء الفلك من حيث الهيئة بالحيوانات أو النباتات أو الآلات وما إلى ذلك. وكان لفظ البروج في القديم يطلق على معظم الكوكبات المشاهدة في السماء. ولكن في المصطلح العلمي الفلكي أطلق فقط على صور السماء التي في نطاق الفلك الذي تدور فيه الأرض حول الشمس، وهو ما أطلق عليه دائرة البروج.

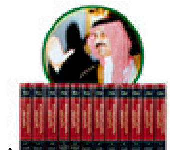
وقد قُسمت السنة إلى اثني عشر برجاً هي: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وقد نُظِمت شعراً؛ يقول بعضهم:

حمل الثور جوزة السرطان ... ورعى الليث سنبل الميزان

ورمت عقرب بقوس لجدي ... فملا الدلو بركة الحيتان

وفيما يلي شرح تفصيلي لهذه البروج وخواصها:

**الحمل**. وهو الكبش، ويأتي هذا البرج على صورة كبش على خط وسط السماء، مقدمه في المغرب ومؤخره في





المشرق، وأول ما يطلع منه فمه. وهو النجم الجنوبي المنفرد من الكوكبين الشماليين من مفصل اليد من الشرطين، وعلى قرنيه النجمان الجنوبيان المقتربان من الشرطين، وعلى عينه اليمنى النجم الشمالي المضيء من الشرطين، وعلى عينه اليسرى نجم خفي يقرِّب الشمالي من الشرطين، وعلى لحييه آخرُ مثله، وعلى مفصل يده النجمان الشماليان اللذان على عقب الرجل اليسرى من الثريا، وهو الذي يقال له البطين، وتمتد يداه وساقاه إلى الشمال وكأنه إنما يظهر منه يد واحدة ورجل واحدة، والثريا على طرف إليته.

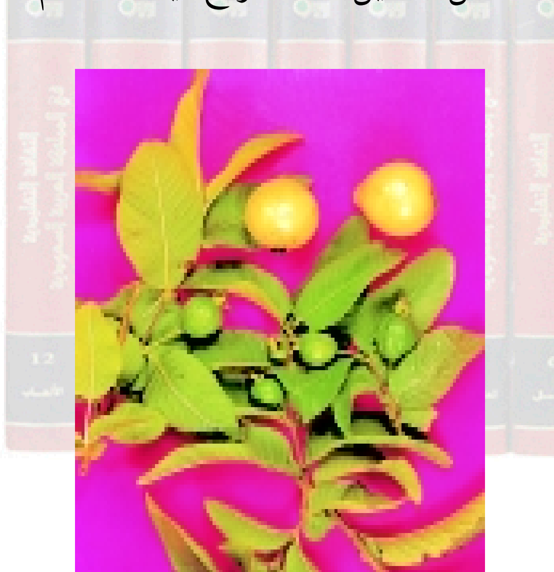
ويعدّ برج الحمل أول بروج فصل الربيع، عدد أيامه ٣١ يوماً، وله من المنازل (الأنواء) ما يلي:

- سعد الأخبية، ويعرف بالحميم الأول (١٣ يوماً).
- المقدم، ويعرف بالحميم الثاني (١٣ يوماً).
- المؤخر، ويعرف بالذراع الأولى (٥ أيَّام).

وفيه يتساوى الليل والنهار، ثم يأخذ النهار بالزيادة والليل في النقصان، وفي هذا البرج يبدأ حصاد القمح، وفي آخره تبذر بذور الكرنب البلدي وتزرع فيه الكمثرى والجوافة والتفاح البلدي والليمون، وتغرس في آخر هذا البرج فسائل النخيل، كما تزرع فيه الطماطم



برج الحمل



الجوافة، من محاصيل برج الحمل





والباذنجان والفلفل بالإضافة إلى القرعيات بأنواعها والبامية والملوخية.

**الثور**. يشبه هذا البرج صورة ثور على خط وسط السماء، مقدمه إلى المشرق ومؤخره إلى المغرب وظهره إلى الشمال ورجلاه ويداه إلى الجنوب، وفي مؤخره أربعة نجوم تسمى القطع أي هي موضع ذنبه المقطوع. والدبران وجهه، وركن الدبران فمه، والنجم المضيء الذي في الدبران عينه، ونجمان خارجان عن الدبران إحدى قدميه، وقرنه الآخر نجم متباعد عن الدبران نفسه إلى الشمال، وليس وجهه مستوياً ولكنه شبيه بالمقطوع، خده على رأس عنقه ويداه منحطتان إلى الجنوب، ويظهر منه رجل واحدة ويدان، وذنبه أبتر، والثريا خارجة عنه إلى الشمال وكذلك اللطخة (وهي ثلاثة أنجم تشبه الثريا)، وتقع بين الثريا والدبران وليستا من صورته.

ويعد برج الثور ثاني بروج فصل الربيع، عدد أيامه ٣١ يوماً، وتستمر فيه زيادة النهار وله من الأنواء (المنازل) ما يلي:

- ٨ أيام من المؤخر، ويطلق عليه الذراع الأولى.
- منزلة الرشا (١٣ يوماً) ويطلق عليه الذراع الثانية.
- وثريا القيظ (١٠ أيام من الشرطين).

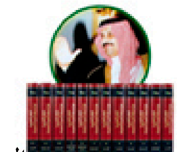
تزرع فيه الطماطم والفلفل والباذنجان والكرنب البلدي، وذلك في المنطقة الشمالية من المملكة، كما تستمر زراعة الطماطم والباذنجان والقرعيات والبامية والملوخية والبصل، وتستمر فيه زراعة



برج الثور



الباذنجان، أحد محاصيل برج الثور





فسائل النخيل. وتحتاج المزروعات فيه إلى مزيد من العناية والسقي لئلا تجف التربة.

**الجوزاء (التوأمان).** وهو الذي يعرف عند بعض الناس بالجوزاء. وقدم التوأم اليمنى بعض نجوم الجبار التي على تاجه. والتوأمان على خط وسط السماء جسدان ملتصقان برأسين، يظهر لكل واحد منهما يد واحدة، والرأسان في جهة المشرق ورجلاهما في جهة المغرب، والذراع الشامي هو الرأسان، ويده اليمنى وهي التي في جهة الشمال، هي الذراع



برج الجوزاء (التوأمان)

اليماني، والمضيء من الذراع اليماني يسمى الشعرى الغميصاء، ويده اليسرى ممتدة إلى التوابع.

ويعتبر برج الجوزاء آخر بروج فصل الربيع وتستمر فيه زيادة النهار. عدد أيامه ٣١ يوماً موزعة كما يلي:

٣ أيام من الشرطين.

١٣ يوماً من البطين، حيث يجف فيه العشب.

١٢ يوماً من الثريا.

٣ أيام من الدبران.

تقل فيه الزراعة، نظراً لشدة حرارة الشمس، وفي نوء الثريا تغور المياه السطحية في معظم المناطق وخاصة التي تعتمد على الآبار السطحية. وفي حالة الزراعة لبعض النباتات، كالبصل والكرنب، تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه وأن تكون السُقيا مثالية بحيث لا تزيد المدة بين السقية والأخرى عن أربعة أيام للنخيل، أما الفواكه والخضراوات بأنواعها فيتعين سقيها يوماً بعد يوم أو يومين.

**السرطان.** وهو على صورة سرطان في وسط السماء، ورأسه إلى الشمال ومؤخره إلى الجنوب، وعيناه نجمان خفيان تحت النثرة يدعيان بالحمارين، وزباناه نجمان فيهما خفاء، أحدهما أضوأ





برج السرطان





قرع عسلي، أحد محاصيل برج السرطان

من الآخر يكونان شماليين من التوأم، ومؤخره كف الأسد. عدد أيامه ٣١ يوماً.

وبرج السرطان أول بروج فصل الصيف، وله ١٠ أيام من منزلة الدبران (ويطلق عليه التويبع)، و١٣ يوماً من منزلة نوء الهقعة (ويطلق عليها الجوزاء الأولى)، و٨ أيام من منزلة الهنعة (ويطلق عليها الجوزاء الثانية).

ينتهي فيه قصر الليل وطول النهار، ثم يبتديء الليل بأخذ الزيادة من النهار، وفيه تنصرف الشمس. يشتد فيه الحر وينضج العنب والخوخ، وتحتاج المزروعات إلى كثرة السقي. ولا يزرع فيه سوى الذرة والملوخية والقثاء في بعض المناطق الباردة، خاصة المناطق الجنوبية والغربية من المملكة.

**الأسد**. يتوسط السماء، فمه مفتوح إلى النثرة وعلى رأسه نجوم مضيئة، والطرف على عنقه، والجبهة على صدره، وقلبه النجم الجنوبي المضيء من النثرة، وهو عظيم الضوء، وكاهله نجوم خفية خارجة عن الطرف والجبهة إلى الشمال، ونجما الخراتين خاصرته،

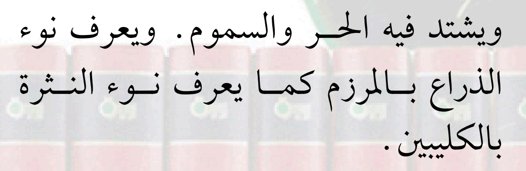




برج الأسد



الطماطم، أحد محاصيل برج الأسد



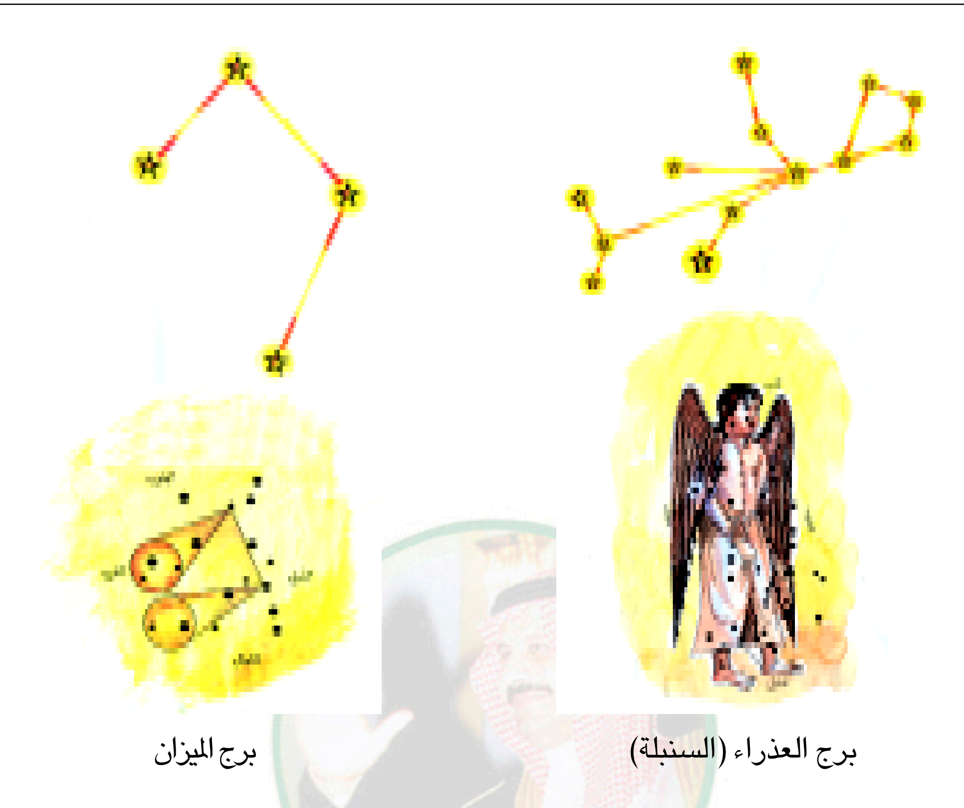
والصرفة ذنبه، وكفه المتقدمة في آخر السرطان، ورجله الأولى تخرج من النجم القبلي من الخراتين إلى الجنوب، والأخرى تحت هذه للمشرق، وكبده نجم متوسط مع الجبهة يقع إلى الشمال منها، وسائر فقراته إلى المشرق. وعدد أيامه ٣١ يوماً.

وبرج الأسد البرج الثاني من بروج فصل الصيف، له ٥ أيام من منزلة الهنعة، و١٣ يوماً من منزلة الذراع، و١٣ يوماً من منزلة النثرة. وفيه يستمر النقص في النهار والزيادة في الليل. يزرع فيه البصل والجح والطماطم والباذنجان، ويشتد فيه الحر والسموم. ويعرف نوء الذراع بالمرزم كما يعرف نوء النثرة بالكليبين.

**العذراء (السنبلة).** تظهر في وسط السماء ويطلق عليها السنبلة (أو حاملة السنبلة)، ورأسها في الشمال بميلة إلى الغرب ورجلاها في الجنوب، وهي مستقبلة المشرق وظهرها إلى المغرب ورأسها نجوم صغار مستديرة كاستدارة رأس الإنسان، تكون جنوبية من نجمي الخراتين ومنكباها أربعة نجوم تحت هذه إلى المشرق، وجناحها الأيمن ستة نجوم كهيئة الجناح. عدد أيامه ٣١ يوماً.







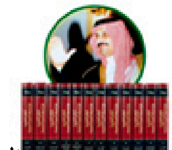
برج العذراء (السنبلة)

برج الميزان

وبرج السنبلة آخر بروج فصل الصيف، له من المنازل ١٣ يوماً من الطرف، ويطلق عليه سهيل. و١٤ يوماً من منزلة الجبهة و٤ أيام من منزلة الزبرة. يستمر فيه نقص النهار وزيادة الليل، في نوء الطرف (الطرفة) يبرد الليل، وفي نوء الزبرة جداد النخل. وينصح الفلاحون بالإكثار من سقي المزروعات فيه.

**الميزان**. وهو على شكل الميزان، كفتاه إلى جهة المشرق، وقبه إلى جهة المغرب، والسماك الأعزل على قبه من الجهة اليمنى، ومقابله نجم آخر على قبه من الجهة الشمالية، ونجم آخر خارج من وسطه إلى المغرب على علاّقته، وهو على قصبة السنبلة، ونجمان من الغفر على محامله مع نجوم أخرى، وزبانا العقرب كفتاه. عدد أيامه ٣٠ يوماً.

وبرج الميزان أول بروج فصل الخريف، فيه يتساوى الليل والنهار ثم يبتدئ النهار بالنقص والليل بالزيادة، ونجد في الأمثال الشعبية ما يعده بعض الناس علامة على هذا التساوي؛ قالوا «لى طاح الكنار تساوى الليل والنهار» الكنار: النبق. له من المنازل ٩ أيام من





الزبرة و١٣ يوماً مـن الصرفة، و٨ أيام من منزلة العواء. يستمر به جداد النخيل وتغـرس فيه فـسائل النـخيل، ويـزرع البرسيم والدخن والكمون.

**العقرب**. وهو على شكل عقرب على وسط السماء، رأسه في المغرب وذنبه في اتجاه المشرق، وإحدى رجليه في الجـنوب والأخرى في الـشمال، والغفر على رأسه وكفتا الميزان زباناه، وعيـناه نجمـان خفيـان بينهـما وبين الإكلـيل، والإكـليل عـلى صـدره، والقلب نجم هـو قلبه، ونياط القلب نجمان خفيان والـقلب في وسطهما، وهو خارج عنهما إلى الشمال، والشولة ذنبه، والنجوم التي على طرفها جبهته، وإبرته لـطخة مسـتطيلـة بين الشولـة والنعائم الصادرة، فيه من منازل القمر خمسة منازل، وهي: الغفر والزبانيان (الزبانا) والإكليـل والقلب والشولة. وأظهر ما تـكون صورة العقرب عند الغروب. وفيه ثلاثة من منازل القمر؛ الإكليل والقلب والشولـة. عدد أيامه ٣٠ يوماً.

برج العقرب البرج الثاني من بروج فصل الخريف، ويـستمر فيه النقص من النهار والزيادة فـي الليل وله من المنازل:

- ٥ أيام من منزلة العواء.
- ١٣ يوماً من منزلة السماك.
- ١٢ يوماً من منزلة الغفر.

تزرع فيه أنواع الخضروات والبقول.

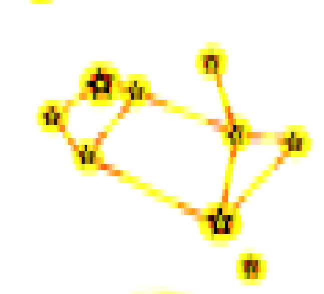
**القوس (الرامي)**. ويسـمى الرامي، نصفه شبه فرس، مؤخره إلى جهة المغرب ونصفـه الآخر على شكل وجـه إنسان تقـوس من جهـة الشرق، ورأسـه في الشمال ورجلاه في الجـنوب، والنعائم الواردة على وسطه، وذنبه يـشبه لطخة مستطيلـة مع نجم صغير تحتها، وعيـناه



برج العقرب









برج القوس (الرامي)

(النعائم) والبلدة على مقبض القوس، ويده اليمنى قابضة على رأس السهم، وهي نجوم تكون تحت لطخة صغيرة قريبة منها. عدد أيامه ٣٠ يوماً.

وبرج القوس آخر بروج فصل الخريف يستمر فيه نقص النهار، وله من المنازل:

- يومان من منزلة الغفر.
- و١٣ يوماً من منزلة الزبانا.
- و١٣ يوماً من منزلة الإكليل.
- ويومان من منزلة القلب.

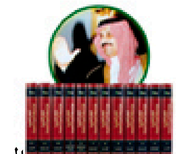


الفقع، من علامات نزول المطر في برج القوس

ويشتد البرد فيه، وفي حالة نزول المطر ينبت الفقع. كذلك تزرع فيه الحلبة، وتسقط أوراق الشجر كما تزرع الحبوب كالقمح.



القمح، أحد محاصيل برج القوس





**الجدي**. وهو على شكل صورة جدي مستلق على ظهره، مقدمه في المغرب، ومؤخره في المشرق وظهره للجنوب ويداه ورجلاه إلى الشمال، وهو شبيه بالمنقلب إلى جهة القوس وقرناه إلى بطنه، وفمه إلى القوس، وليس له إلا يد واحدة، والنجم الشمالي من سعد الذابح أحد قرنيه، والجنوبي منه قرنه الآخر، ونجم آخر خفي، تحت سهم القوس، فمه غربي سعد الذابح، وعلى كتفه سعد بلع، وعلى وركه سعد السعود، والمضيء من سعد السعود حقة وركه، وشق الحوت الجنوبي على ظهره، وطرف يده ثلاثة نجوم مضيئة بقرب اللامع فيها خفاء، وطرف رجله النجم الاسم رأس الدلو. عدد أيامه ٣٠ يوماً.

وبرج الجدي أول بروج فصل الشتاء، وله من المنازل:

- ١١ يوماً من منزلة القلب.
- ١٣ يوماً من منزلة الشولة.
- ٦ أيام من منزلة النعايم.

وفي هذا البرج ينتهي قصر النهار وطول الليل، حيث يبدأ النهار بالزيادة. وتسقط فيه بقية أوراق الشجر، وتزرع الحبة السوداء، وفيه يبتدىء النخل بالطلع ولا يغرس فيه شيء وخاصة في المناطق الشمالية لشدة البرد، باستثناء بذر بعض الحبوب وتعد زراعة متأخرة، ويمكن زراعة بعض الخضراوات مثل الباذنجان الأسود.

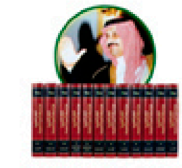




برج الجدي

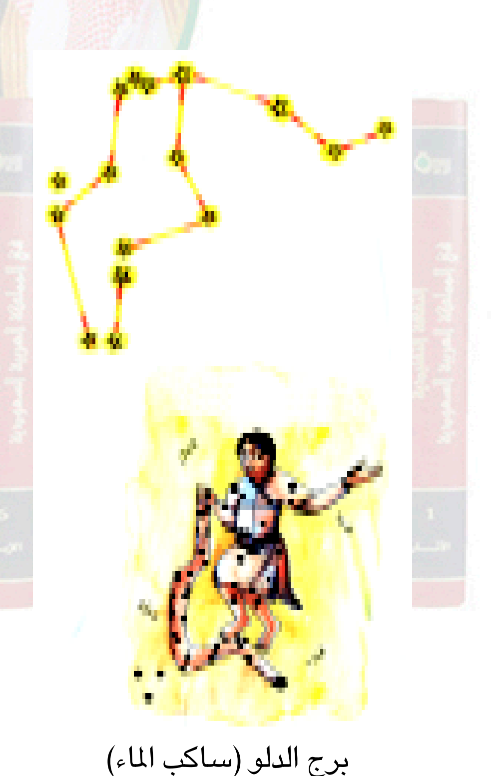


الحبة السوداء، من محاصيل برج الجدي





**الدلـو (ساكب المـاء)**. وهو عـلى شكـل صورة رجل قائـم بيده دلـو، ورأسـه إلى الـشـمال ورجـلاه إلـى الجنوب، وظهره إلـى المشرق ووجهه إلى المغرب، والنجوم التي تسمى الخباء من سعد الأخبية رأسه، ويده اليسرى من فوق رأسـه حتى تنزل إلى الـدلو الذي عن يمينه، وسعد الأخبية مرفقه الأيسر، وبـطنه يسمى الجـرة، ودلوه أربعة سعود مـن السعود السبعة التي ليسـت من منازل القـمر، هي سعـد ناشرة، وسعد الملك، وسعد البـهام، وسعد الماتح، وكل سعد منها نجمان، وعلى رجله اليسرى نجم عظيم الضوء، وعلى رجله اليمنى نجم أبيض ضوؤه أقل من الذي قبله، والفرغ المقدم خارج عن صورته إلـى الشمال. عدد أيامه ٣٠ يوماً.



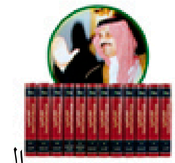
برج الدلو (ساكب الماء)

وبرج الدلو البرج الثـاني من بروج فصل الشـتاء، فيه تستـمر زيادة النهار وقصر الليل، وله من المنازل:

- ٨ أيام من منزلة النعايم.
- ١٣ يوماً من منزلة البلدة.
- و٩ أيام من منزلة سعد الذابح.

وهذا الـبرج تـغرس فـيه مـعظـم الأشجار وتـسقى، ويزرع فيـه البطيخ ويكثر العشب والفقـع إن نزل المطر في الوسم، وتغرس فيه فسائل النخيل وتزرع الباميا والملوخية والخوخ والرمان.

**الحوت (السمكة)**. وهو على صورة سمكتـين إحداهما المنزلة التـي يسميها أصحـاب المنـازل بطن الحـوت، وهي شمالية، والثانية جنوبية عنها وهي أطول منهـا وأخفى النـجوم، وشق السمـكة الجنوبية ثـلاثة من السعود السبعـة التي من غير منازل القمر وهي سـعد الهمام وسعد البارع وسعد المناظر، وليس الفرغ المؤخر داخل جسم الحوت بل خارج عنه إلى الشـمال والمغرب. عدد أيـامه ٣٠ يوماً.







برج الحوت

وبرج الحوت آخر بروج فصل الشتاء وله من المنازل ما يلي:

- ٤ أيام من منزلة سعد الذابح.
- ١٣ يوماً من منزلة سعد بلع.
- ١٣ يوماً من منزلة سعد السعود.

وفي هذا البرج تستمر زيادة النهار، كما تستمر فيه زراعة فسائل النخيل ومعظم الأشجار، ويكثر فيه نزول المطر، في نوء سعد بلع. وفي نوء سعد السعود يكثر العشب ويورق الشجر ويكثر الفقع.

## الأزمنة

تقسم العرب السنة إلى فصلين؛ الشتاء والصيف، ثم تقسم الشتاء إلى ثلاثة أقسام، والصيف كذلك. وبهذا تحوي السنة كلها ستة أزمنة، ويسمى كل زمن باسم الغيث الواقع فيه. فأول أزمنة الشتاء الثلاثة؛ الوسميّ ثم الشتاء ثم الربيع، وكلها شتاء، وأول أزمنة الصيف الثلاثة؛ الصيّف -بتشديد الياء- ثم الحميم ثم الخريف، وكلها صيف. وأوقات هذه الأزمنة تحدد عندهم بسقوط المنازل في فصل الشتاء، وطلوعها في فصل الصيف. فلكل زمن منها أربعة منازل وثلثان، ومدة ذلك ٦٠ يوماً وثلث اليوم، وبهذا تكون أزمنة السنة عندهم على النحو التالي:

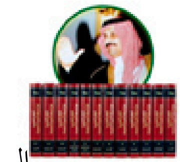
الوسمي، وله من النجوم: الحوت (الرشا)، والنطح (الشرطان) والثريا، والبطين، وثلثا الدبران؛ وسقوط هذه المنازل في زمن الوسمي. والشتاء، ونجومه؛ ثلث الدبران الأخير، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، وثلث الطرف؛ وسقوط هذه المنازل في زمن الشتاء. والربيع؛ وهو آخر أزمنة الشتاء، ونجومه؛ ثلثا الطرف الباقية، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعوا، فسقوط هذه المنازل في زمن الربيع. ثم يدخل الصيف ويحسب بالطلوع، وتقسم أزمنة الصيف على نحو ما قسمت أزمنة الشتاء، فتكون نجوم أزمنة الصيف هي نجوم أزمنة الشتاء بعينها، إلا أنها في الشتاء ساقطة، وفي الصيف طالعة.





| رقم | اسم النجم | يوم الطلوع عند ابن قتيبة | يوم السقوط وهو ابتداء النوء |
|---|---|---|---|
| ١ | الشرطان | ١٦ أبريل - نيسان | ١٦ أكتوبر - تشرين الأول |
| ٢ | البطين | ٢٩ أبريل - نيسان | ٣٠ أكتوبر - تشرين الأول |
| ٣ | الثريا | ١٣ مايو - أيار | ١٣ نوفمبر - تشرين الثاني |
| ٤ | الدبران | ٢٦ مايو - أيار | ٢٦ نوفمبر - تشرين الثاني |
| ٥ | الهقعة | ٩ يونيو - حزيران | ٩ ديسمبر - كانون الأول |
| ٦ | الهنعة | ٢٢ يونيو - حزيران | ٢١ ديسمبر - كانون الأول |
| ٧ | الذراع | ٤ يوليو - تموز | ٤ يناير - كانون الثاني |
| ٨ | النثرة | ١٧ يوليو - تموز | ١٧ يناير - كانون الثاني |
| ٩ | الطرف | ١ أغسطس - آب | ٣١ يناير - كانون الثاني |
| ١٠ | الجبهة | ١٤ أغسطس - آب | ١٢ فبراير - شباط |
| ١١ | الزبرة | ٢٧ أغسطس - آب | ٢٥ فبراير - شباط |
| ١٢ | الصرفة | ٩ سبتمبر - أيلول | ٩ مارس - آذار |
| ١٣ | العواء | ٢٢ سبتمبر - أيلول | ٢٢ مارس - آذار |
| ١٤ | السماك | ٥ أكتوبر - تشرين الأول | ٤ أبريل - نيسان |
| ١٥ | الغفر | ١٨ أكتوبر - تشرين الأول | ١٧ أبريل - نيسان |
| ١٦ | الزباني | ٣١ أكتوبر - تشرين الأول | ٣٠ أبريل - نيسان |
| ١٧ | الإكليل | ١٣ نوفمبر - تشرين الثاني | ١٣ مايو - آيار |
| ١٨ | القلب | ٢٦ نوفمبر - تشرين الثاني | ٢٦ مايو - آيار |
| ١٩ | الشولة | ٩ ديسمبر - كانون الأول | ٩ يونيو - حزيران |
| ٢٠ | النعائم | ٢٢ ديسمبر - كانون الأول | ٢٢ يونيو - حزيران |
| ٢١ | البلدة | ٤ يناير - كانون الثاني | ٤ يوليو - تموز |
| ٢٢ | سعد الذابح | ١٧ يناير - كانون الثاني | ١٧ يوليو - تموز |
| ٢٣ | سعد بلع | ٣٠ يناير - كانون الثاني | ١ أغسطس - آب |
| ٢٤ | سعد السعود | ١٢ فبراير - شباط | ١٤ أغسطس - آب |
| ٢٥ | سعد الأخبية | ٢٥ فبراير - شباط | ٢٧ أغسطس - آب |
| ٢٦ | الفرغ الأول | ٩ مارس - آذار | ٩ سبتمبر - أيلول |
| ٢٧ | الفرغ الثاني | ٢٢ مارس - آذار | ٢٢ سبتمبر - أيلول |
| ٢٨ | بطن الحوت (الرشاء) | ٤ أبريل - نيسان | ٥ أكتوبر - تشرين الأول |

بيان بأسماء النجوم ووقت أنوائها بالتاريخ الميلادي عند ابن قتيبة





ذكر ابن سيده أن السنة عند العرب نصفان؛ شتاء وصيف، ولكل واحد منهما أربعة عشر نوءاً، فأنواء الشتاء هي الهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزباني والإكليل والقلب والشولة.

وأنواء الصيف هي النعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر والرشا والشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة.

والنجوم التي عليها مدار السنة ٢٨ نجماً مقسمة على فصول أربعة هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، ولكل فصل سبعة نجوم وهذا التقسيم بني على توزيع منازل القمر الثمانية والعشرين المعروفة لدى العرب الأقدمين، الذين لاحظوا أن القمر بحركته السريعة يمر عليها خلال شهر واحد. وقد أعطوا لكل منزلة (نجم) ١٣ يوماً، وخصوا كل منزلة بظاهرة فصلية خاصة بها؛ ونظم أحدهم هذه المنازل شعراً:

شَرَطنا بطينا للثريا ودابر ... فهقعة هنع فالذراع فناثر

وطرفهم مع جبهة ثم زبرة ... وصرفة عوا فالسماك فغافر

زبانى وإكليل وقلب وشولة ... نعايم بلد ذابح وهو سائر

| الفصل | بدايته | بروجه | نجومه | أهم خصائصه |
|---|---|---|---|---|
| الربيع | ٩ آذار | الحمل، الثور، الجوزاء | سعد السعود، سعد الأخبية، المقدم المؤخر، الرشاء، النطح والبطين | اعتدال الليل والنهار أو ما يسمى الاعتدال الربيعي |
| الصيف | ١٠ حزيران ٢٧ يونيو | السرطان، الأسد، السنبلة | الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة الذراع، النثرة، الطرف | بداية الليل بالزيادة والنهار بالنقص |
| الخريف | ١١ أيلول ٢٤ سبتمبر | الميزان، العقرب، القوس | الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوا، السِّماك، الغفر والزبان | الاستمرار بزيادة الليل حتى ٢١ كانون الأول |
| الشتاء | ١٠ كانون الأول ٢٣ ديسمبر | الجدي، الدلو، الحوت | الإكليل، القلب، الشولة، النعايم، البلدة، سعد الذابح وسعد بُلع | . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . |

فصول السنة: بروجها ونجومها وبعض خصائصها العامة





كـذا بلـع سعـد السـعود خـباؤهـم
فـقـدم وأخـر لـلـرشـا وهـو آخر

ومن هذه الـنجوم شامـيات؛ وهي الأربع عشرة الأولى، في الأبيات السابقة، أما الأربع عشرة الأخرى فهن يمـانيات، وتتنازع اليمانيات والشاميات كبد السماء أي لا يجتمع شامي ويماني في وقت واحد بمعنى أن لـكل كوكب مقابلاً أو رقيـباً؛ وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

أيـهـا المـنـكـح الـثـريـا سـهـيـلا
عـمـرك الـلـه كـيـف يلـتـقـيـان
هـي شـامـيـة إذا مـا اسـتـقـلـت
وسـهـيـل إذا اسـتـقـل يمـانـي

قالهـما عمر بن أبي ربـيعة وكان يحب ابنة عمٍّ له أسمها الثريَّا، زوجوها لرجل من الـيمن اسمه سهيل. ومـن المعـروف أن نجم الثـريا مـن النجـوم الشامية، أما نجم سهيل فيماني. وقد أراد الشاعر التعبير عن اعتراضــه على هذا الزواج، والتعريض بخطأ عمه في تزويج ابنته الشامية إلى سهيل اليماني؛ وأهميـة نجم سهيل قـديمة؛ يقول أبو العلاء المعري:

وسـهـيـل كـوجـنـة الحب فـي اللـون
وقـلـــب المحـب فـي الخـــفـقـان
يسرع الـلمع في اضطراب كـما تسـ
رع فـي اللـمـع مقـلـة الـغـضـبـان
ضـرجـتـه دمـا سـيـوف الأعـادي
فـبـكـت رحـمـة له الـشـعـريـان

وسهيل نجم يظهر في الجنوب الشرقي ويدخـل الوسمي بـعد طلوعـه بواحد وخمسين يوماً؛ قال الشاعر الشعبي راشد الخلاوي:

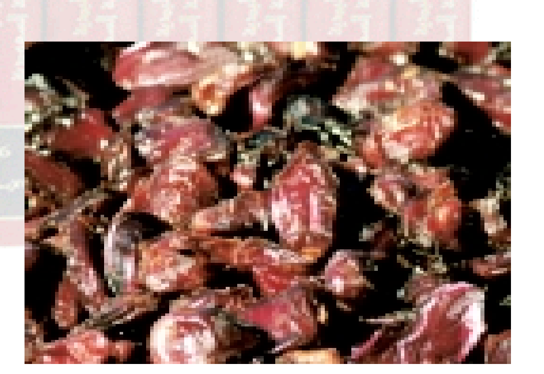
تشـوفه كقلـب الذيب يـلعج بـنوره
مـويقٍ عـلى غـرات حدب الجـرايد
وإذا مـضى واحـد وخمـسين لـيلـه
فلا تـامن الماء مـن حقـوق الرعايـد

واهتمام أهل الجزيـرة بطلوع سهيل يعني الشيء الكثير لهم كسكان صحراء ومواقع جغرافية حارة، إذ يقترن بطلوعه بعض الحوادث الفصليـة مثل برودة الماء والهواء نسبيـاً، حتى إنهم يزعمون بأن المواشي ترى سهيلاً في الماء فتعزف عن شربه وتعافه؛ لكن السبب الحقيقي -كما لا يخفى- هو أن المواشي تكف عن طلب الماء بسبب برودة الجو وانتهاء فصل القيظ. كما تهب الرياح التي تسـمى السهيلية، لأنها تهب من الجنوب الشرقي من قبل مطلع سهيل، والشرق من البحر، فتلطف بعضاً من ريح السموم الجافة؛ ولذلك لا يستبعد هطول المطر كـما يفهم من المثل «إلى دلق سهيل لا تامن السيل» سهيل: منـزل الطـرفة وهو مـن منـازل فصـل الخريف. ومعنى المثل خذ الحذر والحيطة





للأمر قبل وقوعه، ففي سهيل قبل حلول فصل الشتاء قد تسقط أحياناً أمطار غزيرة مفاجئة لا يؤمن جانبها. وفيه يطول الليل نسبياً كما يقصر النهار، فتخف حرارة الشمس. ومن خصائصه طلوع نجم يسمى السويبع وهو السابع من بنات نعش، يظهر فجراً، وكذلك مجيء طيور مهاجرة تسمى المسالق والدخَّل، كما أن طلوعه ينبىء بموسم الرطب الجديد، وإنهاء ادخار التمر القديم (الحويل)؛ ومن أمثالهم في ذلك «إلى ظهر سهيل تلمس التمر بالليل» ولذلك يشهد هذا الشهر حركة تجارية نشطة إذ يباع التمر الحويل ويشترى الجديد؛ ولذلك قالوا في المثل «إلى طلع سهيل رفع كيل وطمّن كيل» والمعنى أن الأسعار في سهيل تتغير، فإن كثرت الأمطار رخصت الأسعار والعكس صحيح. كما تبدأ الأغنام الإحساس بالراحة فتدر. ولعل اعتمادهم على طلوع



الرطب، من محاصيل نجم سهيل

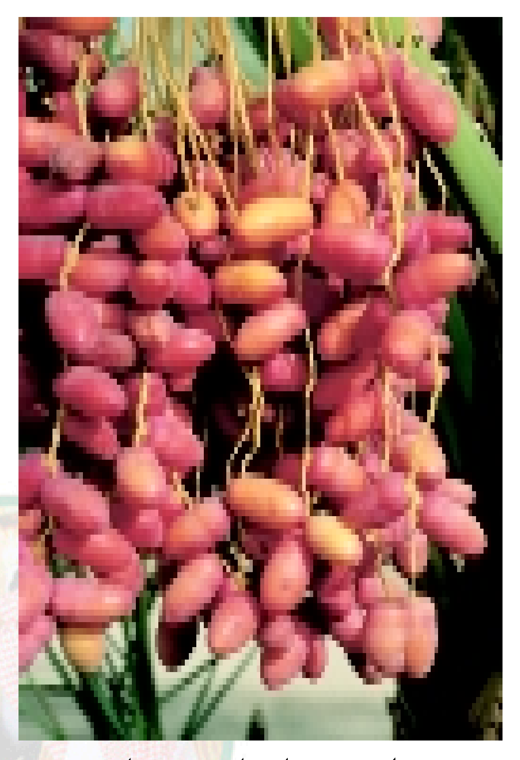
سهيل لبدء سنتهم قد بني على قناعتهم بأنه «مُكذِّب العداد» كما يقولون في أمثالهم. فالذين يحسبون أوقات الفصول والنجوم ينتهي خلافهم وتنازعهم بصحة حسابهم بطلوع نجم سهيل، إذ هو الذي يقر الصحيح.

يذكر الفلكي جبر بن صالح الدوسري أنه بطلوع سهيل تعرف الفترة الواقعة بين ٢٤ أغسطس و ٦ سبتمبر، وغالباً ما تصادف بدايات طلوعه موجات حر شديدة تساعد على إنضاج ما بقي من رطب النخل. ويقع نجم سهيل، الذي تغنى به الشعراء على مر العصور، على خط عرض ٥٢ْ جنوبي خط الاستواء (٥٢ درجة و٤١ دقيقة)، وهو ثاني ألمع نجم في السماء بعد الشعرى اليمانية، وسهيل أحد النجوم العملاقة البيضاء في مجرتنا (درب التبانة)، ونصف قطر سهيل بموجب بعض التقديرات يعادل نصف قطر الشمس ٣٠ مرة، ونصف قطر الشمس = ٦٩٦,٢٦٥كم، ومعدل نصف قطر الأرض = ٦٣٧١ كم وبحساب بسيط نجد أن حجم سهيل يعادل حجم الشمس بمقدار ٢٧ ألف مرة ويزيد على حجم الأرض بما مقداره ٣٥ بليون مرة.

وهذه المنازل منقولة عن العرب الأقدمين، فقد كانوا يطلقون على سقوط







بلح، من محاصيل نجم سهيل

المنزلة في المغرب نوءاً، أما طلوع المنزلة المقابلة لها فتسمى البارح، وكل من الطالعة أو الساقطة نظيرة للأخرى. ومن عاداتهم أن ينسبوا المطر إلى الساقطة، أما الريح أو البرد والحر فتنسب إلى بارح الطالعة. وبتسلسل هذه المنازل فإن الخمس عشرة الطالعة غاربة، والخمس عشرة الوتد متوسطة، والعكس بالعكس. ومن السهل معرفة أي من الأوضاع الأربعة إذا عرف أحدها باتباع العد بتسلسل المنازل حسب الجدول الآتي:

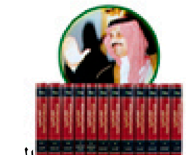
| الطالعة | المتوسطة | الغاربة | الوتد |
|---|---|---|---|
| ١ | ٢٢ | ١٥ | ٨ |
| ٨ | ١ | ٢٢ | ١٥ |
| ١٥ | ٨ | ١ | ٢٢ |
| ٢٢ | ١٥ | ٨ | ١ |

وقد وضعوا لذلك جداول كما نظم بعضهم في ذلك شعراً. ومن هذه الجداول ما أورده العجيري في كتابه الاهتداء بالنجوم؛ ومن الأشعار ما أورده ابن خميس:

كم أفالوا عن ناطح باغتفار
وأحالوا على البطين الزبانا
والثريا تكللت فأرتنا
كوكب القلب يرقب الدبرانا
هقعوا شولة وهنعوا نعاما
بعدما ذرعوا البلاد زمانا
نثروا ذبحهم بطرف لبلع
جبهة السعد في زبور خبانا
فانصرفنا عن المقدم لعوا
آخر والسماك قدّ رشانا

## دلالات المنازل

وهي أحداث تزامن طلوع المنزلة، أو تغيرات في الظواهر المناخية. وقد





صيغت هذه الدلالات في أسجاع تناغم اسم النجم (المنزلة)، وربما اختلفت هذه الأسجاع من بلد إلى آخر ومن أشهرها:

الشرطان «إذا طلع الشرطان استوى الزمـان، وخضرت الأوطان، وتـهادى الجيران».

والشرطان نجمان نيّران أمام الثريـا شمالي وجنوبي، وبينهما في رأي العين قدر ذراع، ويسـمى النطـح. ويطلع الشرطان يوم ١٣ مـايو (٢٢ من برج الثور) وفيه بواكير التين وثمـرة التفاح والمشمش واليقطين والباذنجان.

البـطين «إذا طلـع البطـين اقتضى الدين، وظهر الـزين، واقتضى العطار والقين، واقتفى الصياد العين».

والبطين ثلاثة أنجم غير لامعة على هيئة الأثافي يطلع في ٢٦ مايو (٤ من برج الجوزاء) ويسمى توبيع الوسمي، وهو الذي ورد في أمثال أهل نجد «ما ذكر واد في التـوبيع سال» إذ هو من أقل الأنواء مطراً وبانتهائه ينتهي فصل الربيـع ويدخل الصـيف، ويزرع فيـه القصب.

الثريا «إذا طلع النجم غديّه، ابتغى الراعي شكـيّه. وإذا طلع النجم عشـاء ابتغى الراعي كساء». ومنه أيضاً قولهم «إذا طلع الـنجم (أي الثريا) فـالحر في حدم، والعشب في حطم، والعانات في كدم». وهي مجموعة أنجم، وأشهر ما يعرف العرب مـن نجوم السماء، وعدد نجومها ستة أو سبـعة أنجم على خلاف بينهم. ومن أسمائها النجم كما نلاحظ ذلك من السجع المتقدم؛ ومنه قول امرىء القيس:

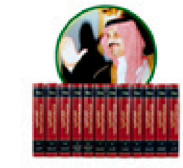
كـأن المـدام وصــوب الـغـــمـام
وريـح الخـزامـى وذوب الـعــسـل
يـعــل بـه بــرد أنـيـابـهـا
إذا الـنجـم وسط الـسمـاء استـقل

وتطلع الثريا فـي ٨ يونيو (١٧ من برج الجوزاء).

الدبران «إذا طلـع الدبران، كرهت النيـران، واستعرت الـذبّان، وتوقدت الحزان، وييست الغدران، ورمت بأنفسها حيث شاءت الصيبان».

والدبران كوكب أحمر منير على أثر الثريا، ولذا سمي الدبران لـدبوره لها، وتسمي العـامة الدبران التويبع. ويمـثل طلـوعه في ٢١ يـونيو (٣٠ مـن برج الجوزاء) أول الحر ونهاية قصر الليل وطول النهار.

الهقعــة «إذا طلعت الهقعة تـقوض الناس لـلقلعة، ورجعوا عــن النجعة، وأردفته الهنعة». وجاء في لسان العرب أن الهقعة ثلاثة نجوم نيرة قريب بعضها





من بعض فوق منكب الجوزاء، كأنها أثافي وهي منزل من منازل القمر.

وفي حديث ابن عباس «طلِّق ألفاً!! يكفيك منها هقعة الجوزاء». أي يكفيك من التطليق ثلاث تطليقات. وصفة النجوم هكذا ⁂ إما محلف، أو مخلف، أو محنث، فهو نجم يماني قريب من مسار سهيل ويسبقه في الطلوع بزمن.

وتسمي العامة الهقعة المحلف أو المحنث، وقد سمي بذلك لأنه يشبه نجم سهيل ويطلع قبله، فيظنه بعض الناس سهيلاً، فيحلف على ذلك، فإذا طلع سهيل تبين لهم خطؤهم، فيحنث من حلف، ومن هنا جاءت التسميتان. كما يطلق عليه العامة الجوزاء الأولى، وتزرع فيه بعض الخضراوات والفواكه، وقد قيل إن من غرس فيه شجراً لا يسقط من ثمره شيء.

وتطلع الهقعة في ٤ يوليو (٢٢ برج السرطان) ومن خصائصها المناخية كثرة السمائم، وهي الرياح الحارة المثيرة للرمال والأتربة واشتداد الحر، ويطلق على بوارحه أم عيال اللصوص أخذاً من قول بعض اللصوص:

أيا بارح الجوزاء مالك لا ترى
عيالك قد أمسوا مراميل جُوَّعا

لأن هبايبها تمكن اللصوص من السرقة إذ تغطي آثار الأقدام.

الهنعة (الجوزاء) «إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء، وكنست الظباء، وعرقت العلباء، وطاب الخباء». والمعزاء: الأرض الغليظة ذات الحجارة. وكنست: تغيبت واستترت.

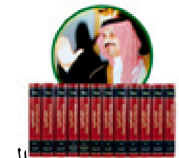
والجوزاء والهنعة اسمان لاسم واحد، ورد في كتاب الأنواء «الهنعة: قوس الجوزاء، ترمي بها ذراع الأسد، وهي ثمانية أنجم في صورة قوس، ففي القوس النجمان اللذان يقال لهما الهنعة» (ابن قتيبة ١٩٥٦: ٤٢).

وتطلع الجوزاء أو الهنعة في ١٧ يوليو (٢٥ من برج السرطان) وفيها آخر اختيارات زرع القيظ، وفيها تقطع الأخشاب.

الذراع «إذا طلع الذراع حسرت الشمس القناع، وأشعلت في الأفق الشعاع، وترقرق السراب بكل قاع».

والذراع هي نجوم ذراع الأسد اليسرى المقبوضة، ويطلق عليها الشِّعرى الغميصاء، كما يطلق على كوكبها الشمالي الأحمر مرزم الذراع، ويطلع الذراع في ٣٠ يوليو (٧ من برج الأسد).

ومن خصائصه المناخية اشتداد الحر، ونشاط الرياح الحارة المسماة السمائم،





وفيه باكورة الـرطب؛ تقول العامة «إذا طلع المرزم إمل المحزم»؛ ويقول الشاعر العربي:

ويـوم من الـشـعـراء حـام هـجيـره
أفـاعيـه مـن رمضـائـه تـتـمـلـمل

ويماثله قول بركات الشريف وهو من الشعراء الشعبيين البارزين:

بيـوم من الجـوزاء يسـتـوقد الحـصى
تـلـوذ بـأعـضاء المـطـايا جـخـادبه

النثرة «إذا طلعت النثرة قنأت البسرة، وجنـي النخـل بُكـرة، وأوت المواشي حجرة، ولم تترك في ذات در قطرة». والنـثرة نجـمان لامعـان خلف الـذراع (المرزم)، وتعرف عند العامة بالكليبين، ومنه قولـهم «الكليبين: مُدٌّ مُـدَّين» أي يمكن أن يحصل الفلاح من ثمـار نخله على هذا القدر. ويوافق طلوع النثرة في ١٢ أغسـطس (٢٠ من برج الأسـد)، ومن خصائصه الـزراعية انتشار الآفات الزراعية بحيث لا يخلو أي يوم من أيَّامها من دون ظهور آفة جديدة تفسد الثمار، وتقلق راحة الفلاح.

الطرف «إذا طلـعت الطرفة بكرت الخرفة، وكثرت الطرفة، وهانت للضيف الكلفة». والخرفة ما لقط مـن الرطب. والمقصود بالطرف عين الأسد، وهو نجم



تمر ناضج، من محاصيل نجم الطرف





سهيل النيِّر المشهور عند العامة؛ ومنه قولهم «سهيل مكذب العداد»، ويطلع في ٢٥ أغسطس (٢ من برج السنبلة). ومن خصائصه المناخية برودة ليله، إذ ينتهي به فصل الصيف، ولهذا قيل فيه؛ «إذا طلع سهيل طاب الليل، وامتنع القيْل، ولام الفصيل الويل، ورفع الكيل». وفيه تتوافر التمور وتنضج؛ ولهذا تقول العامة «إذا طلع سهيل تلمس التمر بالليل».

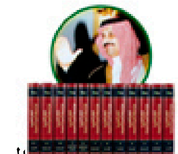
الجبهة «إذا طلعت الجبهة كانت الولهة، وتنازت السفهة، وقلّت في الأرض الرفهة». الولهة: النوق تحن لأولادها، تنازت: تواثبت بطراً، الرفهة: التبن. والجبهة أربعة كواكب تشبه جبهة الأسد تقع ثلاثة منها خلف الكليبين، وتطلع في ٧ سبتمبر (١٥ من برج السنبلة)، ومن خصائصه المناخية انكسار الحر، وازدياد برودة الليل.

الزبرة: وهي كوكبان خلف الجبهة، ويمثلان كاهل الأسد وتطلع في ٢١ سبتمبر (٢٩ من برج السنبلة)، ومن خصائصها المناخية الأمطار الغزيرة بإذن الله.

الصرفة «إذا طلعت الصرفة احتال كل ذي حرفة، وجفر كل ذي نطفة، وامتيز عن الماء زلفة». وهي نجم نيِّر يأتي على أثر الزبرة تطلع في ٤ أكتوبر (١١ من برج الميزان)، ومن خصائصها المناخية والزراعية انصراف الحر عند طلوعها، والبرد عند سقوطها، ومن هنا سميت بذلك. كما يتساوى عند طلوعها الليل والنهار وهو ما يطلق عليه الاعتدال الخريفي. ويدخل الوسمي في اليوم العاشر من طلوعها، ويبدأ السحاب بالنشوء من الغرب. وينبت مطرها الكمأة وسائر أنواع الأعشاب والأزهار، وفيها يبدأ بغرس النخل وحصاد الأرز ويطيب الرمان ويكثر القَتّ أو الجَتّ (البرسيم).

العوّاء «إذا طلعت العواء ضرب الخباء، وطاب الهواء، وكره العراء، وشنّن السقاء». والعواء أربعة أنجم على أثر الصرفة، وتعرف أيضاً بثريا الوسمي وتطلع في ١٧ أكتوبر (٢٤ من برج الميزان)، وهي من الأنواء الممطرة التي تعظم فيها الكمأة ويشتد بياضها.

السماك «إذا طلع السماك ذهب العكاك، وقل على الماء اللكاك». العكاك شدة الحر مع سكون الريح، واللكاك: الزحام. قال في اللسان «السماك نجم معروف وهو سماكان: أعزل ورامح، والرامح لا نوء له والأعزل من كواكب الأنواء»؛ قال الشاعر:





لا تطلبن بآلة لك رتبة
قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما
هذا له رمح وهذا أعزل

يقول الشاعر الشعبي:

ياروح زاد لك الود في ضمايري
كما يزيد في نور الربيع حماه
أسقته الثريا ست أيام ديمه
وزاد نواره والسماك قفاه

ويطلع السماك في ٣٠ أكتوبر (٧ من برج العقرب)، ومن خصائصه المناخية والزراعية غزارة أمطاره، وقلما يخلف إلا أنه يذم لأن النشر ينبت عنه. والنشر نبات يطلع بمطره في أصول كلأ قد يبس، فإذا رعته الإبل مرضت وسهمت. ولكن الجو قد يخلف فيكون العجاج؛ قال الشاعر:

عزِّي لسواق السواني من السرى
إلى صار هطال السماك عجاج

عزِّي: كلمة تقال للتوجع والتفجع، والسماك: نوء من الأنواء. ومعناه: إنه ليعزُّ علي تعب سائق السواني، إذا أصبح العجاج بديلاً من السحاب الهطال بالمطر في نوء السماك. وذلك لأن القمح في نوء السماك يحتاج إلى ماء كثير بسبب ارتفاع درجة الحرارة.

يزرع في يوم عاشره أول زرع الشتاء، كما يزرع فيه الكمون، وفيه يقطع الشجر والنخل فلا يسوس.

الغفر «إذا طلع الغفر اقشعر الشعر، وتربّل النضر، وحسن في العين الجمر». وهو ثلاثة كواكب بين زبانا العقرب وسماك الأعزل. ويطلع في ١٢ نوفمبر (٢٠ من برج العقرب). وهو من المنازل الخيِّرة عند العرب؛ تقول فيه «خير منزلة، الأيد بين الزبانا والأسد».

ومن خصائصه المناخية والزراعية هبوب الجنوب فيه واختلاف الهواء، وترك قطع الشجر والنخل لئلا تهاجمه الأرَضَة فيسوس. كما يبتدىء فيه تلون الأترنج بالاصفرار، وجني الزيتون في بعض مناطق الشمال.

الزبانا «إذا طلعت الزبانا أحدثت لكل ذي عيال شأنا، ولكل ذي ماشية هوانا»، وقالوا «كان وكانا فاجمع للشتاء ولا تتوانى». والزبانا نجمان نيِّران يمثلان قرنيْ العقرب، تطلع الزبانا في ٢٥ نوفمبر (٣ من برج القوس)، ومن أهم خصائصه المناخية خروج الوسمي في اليوم السابع منه، وبانتهائه ينتهي الخريف ويدخل الشتاء، وهو من الأنواء الممطرة والباردة.

الإكليل «إذا طلع الإكليل هاجت الفحول، وشمرت الذيول، وتُخوِّفت







الحلبة، من محاصيل نجم الأكليل

الكزبرة، من محاصيل نجم الشولة

السيول». وهو ثلاثة أنجم نيِّرة فوق رأس العقرب. ويطلع الإكليل في ٨ ديسمبر (١٦ من برج القوس)، ومن خصائصه المناخية اشتداد البرد فيه، ونزول المطر في المناطق الوسطى من المملكة، وسقوط أوراق الأشجار، وهو أوان زراعة الحلبة وإدراك الجزر.

القلب «إذا طلع القلب جاء الشتاء كالكلب، وصار أهل البوادي في كرب، ولا يمكّن الفحل إلا ذات ثرب». والقلب المقصود به هنا قلب العقرب، لأن القلوب أربعة؛ قلب الأسد، وقلب الثور (الدبران)، وقلب الحوت، وقلب العقرب، نجم أحمر نيِّر وراء الإكليل. ويطلع القلب في ٢١ ديسمبر (٢٩ من برج القوس).

ومن خصائصه المناخية انصراف في الشمس، وفيه يصل الليل أطول مدىً له، والنهار أقصر مدىً له.

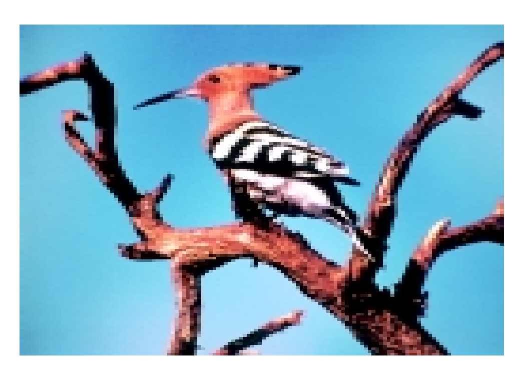
الشولة «إذا طلعت الشولة، أعجلت الشيخ البولة، واشتدت على العائل العولة».

والشولة نجمان متقاربان يكادان يتماسكان في ذنب العقرب، وتطلع في ٣ يناير (١٢ من برج الجدي). وتمثل الشولة آخر أربعانية (مربعانية) الشتاء وتزرع فيها الحبة السوداء والكزبرة والقرطم.

النعائم «إذا طلعت النعائم توسفت التهائم وخلص البرد إلى كل نائم، وتلاقت الرعاء بالنمائم». وهي ثمانية كواكب نيِّرة، أربعة منها في المجرة تسمى الواردة إذ هي كأنها تشرب من المجرة، وأربعة منها خارج المجرة وتسمى الصادرة. وتطلع في ١٦ يناير (٢٥ من برج الجدي). ومن خصائصها المناخية البرودة، إذ هي شباط الأول عند العامة،



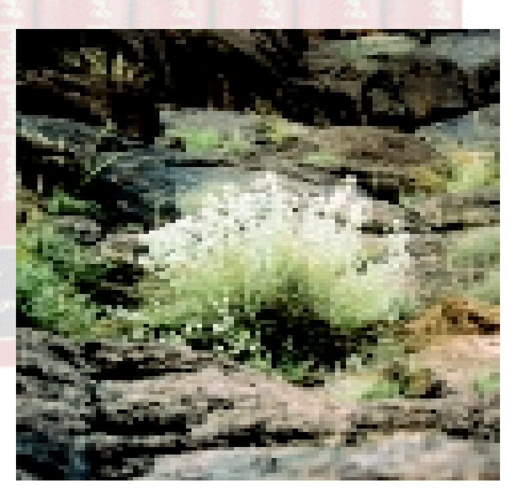




ظهور الهدهد، من علامات دخول نجم النعائم

وفيها يجري الماء في أعواد بعض الأشجار كالتين، وتظهر بعض الطيور فيها كالهدهد الذي يشاهد في ثاني عشر من طلوعها.

البلدة «إذا طلعت البلدة، حمّمت الجعدة، وأكلت القشدة وقيل للبرد: اهده». الجعدة جعيرة: نبت، القشدة: ما تبقى من السمن في قاع القدر. والبلدة رقعة من السماء خالية من النجوم



الجعدة، من علامات دخول نجم البلدة

منفرجة بين النعائم وبين سعد الذابح، وتطلع في ٢٩ من يناير (٩ من برج الدلو). وفيها ثلاثة أيام من الستة المعروفة عند المزارعين، أما الثلاثة الأخرى فهي في سعد الذابح، وفي هذه الستة المعروفة تغرس فسائل النخيل، وتزرع جميع الخضراوات والقطن والقصب والبطيخ، وفيها تتزاوج الطيور وتظهر الخطاطيف.

سعد الذابح «إذا طلع سعد الذابح حمى أهله النابح، ونفع أهله الرائح، وتصبَّح السارح، وظهرت في الحي الأنافح». وسعد الذابح العقرب الأولى من نجوم الراعي، وهو نجمان صغيران بين يديه نجم تقول العرب إنها شاته يذبحها. ويطلع في ١١ من شهر فبراير (٢٢ من برج الدلو).

ومن خصائصه المناخية والزراعية جريان الماء في سائر أعواد الأشجار، ويُمتنع فيه عن قطع الأشجار والأخشاب، وتورق بعض أشجار الفواكه مثل الخوخ والمشمش والتوت، وينضر عود التين، كما يكثر فيه العشب والكمأة.

سعد بلع «إذا طلع سعد بلع اقتحم الربع، وصيد المرع، وصار في الأرض لمع». المرع: طائر، والربع: ابن الناقة. وسعد بلع نجمان أحدهما مضيء والآخر





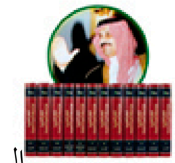
خفي فظهر وكأن المضيء بلع الخفي، ومن هنا جاءت التسمية، وهو العقرب الثانية من نجوم الراعي. ويطلع سعد بلع في ٢٤ من شهر فبراير (٥ من برج الحوت) وبعد طلوعه بتسعة أيام تدخل أيام العجوزة، وهي التي تسمى الحسوم.

سعد السعود «إذا طلع السعود نضر العود ولانت الجلود، وذاب كل مجمود، وكره الناس في الشمس القعود». وسعد السعود هو العقرب الثالثة عند العامة، وهو كوكبان نيران، يطلع في ٩ من مارس (١٨ من برج الحوت)، والثلاثة الأولى من أيامه هي بقية أيام العجوزة (الحسوم)، وهو من الأنواء الممطرة. وفي سنوات الخصب يكثر العشب وتزدهر الورود وتورق الأشجار وتكثر الكمأة.

سعد الأخبية «إذا طلع سعد الأخبية دهنت الأسقية، ونزلت الأحوية وتجاورت الأبنية». وسعد الأخبية أربعة أنجم يمانية متقابلة ومنيرة تشكل مربعاً وتطلع في ٢٣ من مارس (١ من برج الحمل). ومن خصائصه المناخية اشتداد طلب الأرض للماء؛ ومنه قولهم «إذا طلع الذراع -وهو الاسم الآخر لسعد الأخبية- وقف الماء في الكراع»، والكراع هو ناحية الزرع الصغيرة، وتزرع فيه الخضروات والقَتّ. كما تغرس فيه النخيل والباذنجان، ويتساوى فيه الليل والنهار وهو الحميم الأول.



الأعلاف، من مناشط برج سعد الأخبية





الفرغ المقدم «إذا طلع الفرغ الأول أكثر الأسفار والتجول». والفرغ المقدم نجمان نيران يطلعان في ٤ أبريل (١٤ من برج الحمل)، ومن خصائصه برودته المهلكة للزروع وفي ذلك تقول العامة «لولا برد الحميم كان كلٍّ زرَع حتى الحريم»، وفيه تحصد الحنطة، ويزرع في أوله الأرز، ويعرف عند العامة بالحميم الثاني.

الفرغ المؤخر: نجمان نيران يطلعان في ١٧ أبريل (٢٧ من برج الحمل) وأمطاره محمودة بإذن الله.

الرشا: ويشكل في رأي العين شبه دائرة لكتلة من أحد عشر نجماً صغيراً وبها نجم نيِّر. ويطلع في ٣٠ من أبريل (٩ من برج الثور).

ومن خصائصه المناخية والزراعية انتهاء فترة المطر في وسط نجد، ما عدا أمطار ٧ نيسان المباركة للديار التي هذه موسم مطرها. وتهب فيه في الغالب، رياح عالية يقال لها بارح المشمش، ويزرع فيه البطيخ والقرع والقطن، وفيه باكورة التفاح، وأوان غرس النخل.



البطيخ، من محاصيل نجم الرشا



القرع، من محاصيل نجم الرشا

وابتدع أهل الحرث والحساب في وقتنا الحاضر طريقة أكثر دقَّة وتناسباً مع طول السنة الشمسية. فقسموا السنة الشمسية إلى مواسم معينة، وبدأوا سنتهم بطلوع نجم سهيل، الذي يصادف أول حلول الشمس في برج السنبلة في وسط الجزيرة العربية على خط عرض مدار السرطان، ورتبوا المواسم مع ظهور مجاميع النجوم بعدد الأيام من ظهور سهيل تباعاً على نحو ما في الجدول الآتي:



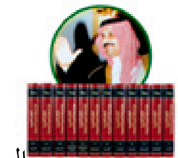


| الأيام | المواسم | عدد أيامها | مقارنتها بشهور السنة |
|---|---|---|---|
| ١-٥٢ | طلوع سهيل | ٥٢ | ٢٤ أغسطس - ١٥ أكتوبر |
| ٥٣-١٠٤ | الوسم | ٥٢ | ١٦ أكتوبر - ٦ ديسمبر |
| ١٠٥-١٤٤ | أربعانية الشتاء | ٤٠ | ٧ ديسمبر - ١٤ يناير |
| ١٤٥-١٧٠ | الشبط | ٢٦ | ١٥ يناير - ٩ فبراير |
| ١٧١-٢٠٩ | العقارب | ٣٩ | ١٠ فبراير - ٢٠ مارس |
| ٢١٠-٢٣٩ | الحميم | ٢٦ | ٢١ مارس - ١٥ أبريل |
| ٢٣٦-٢٦١ | الذراعان | ٢٦ | ١٦ أبريل - ١١ مايو |
| ٢٦٢-٣٠٠ | الكنه | ٣٩ | ١٢ مايو- ١٩ يونيو |
| ٣٠١-٣١٣ | الثريا | ١٣ | ٢٠ يونيو - ٢ يوليو |
| ٣١٤-٣٢٦ | الجوزاء الأولى | ١٣ | ٣ يوليو - ١٥ يوليو |
| ٣٢٧-٣٣٩ | الجوازء الثانية | ١٣ | ١٦ يوليو - ٢٨ يوليو |
| ٣٤٠-٣٥٢ | المرزم | ١٣ | ٢٩ أغسطس - ١٠ أغسطس |
| ٣٥٣-٣٦٥ | الكليبين | ١٣ | ١١ أغسطس - ٢٣ أغسطس |
| المجموع | | ٣٦٥ يوماً | |

تقسيم السنة عند أهل الحرث والحساب في وقتنا الحاضر

والمتتبع للتراث الشعبي في شبه الجزيرة العربية يجزم جزماً قاطعاً أن عرب البادية في شبه الجزيرة العربية، وعلى الأخص في أواسطها، هم الذين أوجدوا هذا الحساب. وممن اهتم بهذا الحساب ونقله شعراً محمد بن عبدالله القاضي الذي يقول في الأنواء والنجوم:

سبك لك نجوم الدهر بالفكر حاذق
حوى واختصر مضمونها بامر خالق
ترى اول نجوم القيظ سبعٍ رصايف
كما جيب وضحا ضيع الدرك دالق
او نعل شاخٍ والتويبع تبيعها
فى برجها الجوزا كما الدال دانق
ترفع به عاهات الثمار وعشبها
يغدي من سموم الحر مثل الحرايق
سته وعشرين به الظل بصطه
نهاية قصر الليل عشر ودقايق
وعقب تطلع الجوزا كشلفا شمالها
نظيمٍ تلالا كالدراري لواهق





تبـرى لها الهـقعه وبالـهنعه انـتهت
تهـب السـمايم فـيه والـظل سـابق
ستـه وعشـرين الـسراطـان برجـها
يصـلح بـفصـله كـل حلو وحـاذق
ويظـهر ذراع الليـث هو المرزم الذي
كمـا مشعـل الساري بنـوره تشاعـق
يـرفرف بـنورٍ كـلمـا بان واختـفـى
كمـا عين عـمهـوجٍ غنوجٍ لـعاشـق
ويـبين لـك نجـم الكـليـبـين بعـده
هى النـثره وصفه كـالعيون الـروامق
دليـلٍ علـى ظهور الـكلـيبين أمـاره
إلى غـرّبن عـنهـا النسـور العـتايق
ريـح وسمـوم وقيـل يظـهر بـه آفه
لبعض الزروع وبعض الأثمار صـافق
ستـه وعشرينٍ تـرى الليث بـرجهن
يـقف ظـلّهـا قدم وتـفـور الحرايـق
ويظـهر لك النـجم اليمـانى وطرفـه
يـتقـلـب كـدرة خاتمٍ بـيـد مـايق
ينشر قماش الجـوخ والصوف لا يقع
به الـدود في مـثنى مـطاويـه خارق
ومحـسوبـه اربعة الـنجـوم بنجمه
مع الجبهـة الزبره لها الصـرف لاحق
إلـى مضـى مـنهـن ثـلاثين لـيـله
تـواسا نـهـاره هو ولـيـلـه مـطابـق
وعشـر ويبـدى المزن ينـشى مغـرب
كـمـغـتر ذيـدانٍ حـداهـن سـايـق

واثنـا عشـر باقي سـهيـلٍ وبعدهـن
تظـهر نجـوم الوسـم صرم الحـدايق
اثنـين وخمسـينٍ ترى انجـومه اربعـه
اولـهـم الـعـوا كـما الـلام لاهـق
وسماك مع غـفرٍ كما القوس وصفـه
وزبـانـاه نجـمـينٍ كرمـح مـعـانـق
تكـثر عـواصفـها بـه الظـل سبـعه
وعن الفصـد والمسهل نهونا الحواذق
به القـطع للاشجـار والأثل والنخل
يصـلح عن القـادح من الدود عاتـق
ويطـلع لـك اكليـلٍ وقلـبٍ وشوله
هـي المـربعـانـيـه للاوراق مـاحـق
تـسع وثـلاثـين إلى فـات ثـلثـهـن
نهـاية طـول الليـل بـالقـلب فـارق
وبروجـهن بالقـوس والجدي ينـتهى
كـثـر به المـاطـر حـقـوق البـوارق
يقـف ظلهـا عن سبـع الأقدام زايد
بـه البـرد دخانـه من الجـوف عالـق
وتبـدا النعايم تـسع نجمـات سبكهـا
تاسـعهـن مرتفـعٍ علـيهن وشـاعق
وبدت عـقبـه البلـده نظـيمين سـته
خـلف الـقلاده وان تحـققـت رامـق
نجمـين يسمن الـسماكـين وبعضهـم
يـسمـونهـن الشـبط بـالبـرد غارق
ترى بـرجهن بـالدلو والـظل سبـعه
ومحـسوبهـن سته وعـشرين شـارق



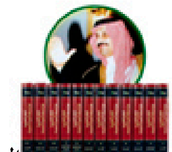


بهن يظهر الهدهد والاشجار كلها
تغرس ويجرى الماء بالعود سايق
وتطلع سعودات النجوم الثلاثه
وهن العقارب عند بعض الخلايق
فالذابح نجمين كما الألف وصفهن
بجنب العلو نجم شمال ملابق
وسعد بلع نجمين بالعرض وافتخر
الاعلى على الاسفل به الكبر فارق
وسعد السعود يشبه الذابح ان بدا
ترى انورهن النجم الشمالى شارق
فالورد والرمان والخوخ يورق
بالاولى وينظر تين غصن المطارق
والثانيه هي آخر البرد مبتدا
ربيعه مع انوا الصيف والعرق عالق
وبالثالثه يورقن الاشجار كلها
تزهر رياحينه به البرد خافق
عدال الزمان بليلها مع نهارها
تواسى براس الحوت فصل موافق
فالأسعده تسع وثلاثين ليله
الاولى براس الدلو والحوت لاحق
ويطلع لك نجمين الحميمين واسمهن
الأخبيه ثم المقدم يعانق
فالأخبيه وصفه كما رجل بطه
ووصف المقدم كوكبين شعايق
سته وعشرين ترى الحمل برجهن
فيه الدوا والفصد والحجم لايق

ويظهر لك الفرغ المقدم مع الرشا
نجمين لهن اسم الذراعين عالق
فرغ المؤخر كالمقدم نجومه
ترى كل فرغٍ نجمتين لواهق
ووصف الرشا عشرة نجوم زواهر
وحادى العشر نوره عليهن فايق
بآخر برج الحمل والثور ظله
قدم وهو فصل الربيع الموافق
اعدادهن ستٍ وعشرين ليله
يوافق بهن غرس الشجر والحدايق
ويظهر عقب هذا البطين نجومه
ثلاث كنقط الثا صغار خوافق
بآخر فصل الصيف يصلح به الدوا
وفصده وحجمه هايج الدم دافق
فالبطين والشرطين نجمين ظلهن
قدمٍ وهن ستٍ وعشرين فالق
يسد الخلل من شاف عيب وختمه
صلاة على المختار ما ناض بارق

ولراشد الخلاوي في قصيدته الدالية:

متى ما الثريا مع سنا الصبح وايقت
على كل خضرا ودّعت بالسنايد
من عقبها نجمٍ كما فرخ متلي
على الشرق يتليها بمشيه يعاود
وبوارح الجوزا ربا فيه بسرها
واختلفت الألوان بين الجرايد
وإلى ظهر المرزم شبع كل كالف
من الغيد وانحن الليالي الشدايد





ونجوم الـكليـبين التـي تنشـف الجم
يـغور فـيـها مـا الـعدود الـوكـايد
وإلى غابـت النسرين بالـفجر علّقوا
مـخـارف فـي لـيـنـات الجـرايـد
وإلى مـضى عـقبـه ثمـان مع اربـع
الخـامسـه طـالـع سهـيـل يحـايـد
تشـوفه كقلـب الذيب يـلعج بـنوره
مـويقٍ عـلى غـرات حدب الجـرايد
وإلى مـضى واحـد وخمسـين لـيـله
فلا تـامن المـا من حـقوق الـرعايـد
قضى القيظ عن جرد السبايا ولا بقى
مـن القـيظ الا مـرخيـات القـلايـد

ومن المفردات العامية التي وردت في القصيدة، المتالي: وهي الحيران التي تتلو أمهاتها، والـكالف: الأجير والعامل، والعدود: الآبار كثيرة الماء، والمخارف: جمع مخرف وهو الزنبيل الصغير يجنى به الرطب. وحقوق: أي متتابع، وجرد السبايا: أي الخيل، أما مرخيات القلايد: فهي ليالي الخريف.

وله أيضاً في حساب النجوم:

أول نجـوم الـقـيـظ غـرا لـكـنـهـا
مـراغـة بزوا عـنـد بـاب المجـحرا
والــى مضـى ستـه وعشـرين لـيلـه
تـبـيّـن نجـمٍ كـالـوهـيـد المـنـشـرا
والــى مضـى ستـه وعشـرين لـيلـه
تـبـيّـن نجـمٍ كـالـنـذيـر المـذيـرا
والــى مضــى ستــه وعشـرين لـيلـه
تـبـين سهـيـل الـيـمانـي الازهـرا
ويـعقـب سـهـيلٍ عـدةٍ لا كـثـيره
ثـلاثـين لا نــقـصٍ وزودٍ يـذكـرا
وعـشر وتـخلـي الجوازي مـقيـلها
لـكن عـلى اثـرها المسـك، ينـثرا
وعشـر تشوف المزن فـي غرة السمـا
دواويـر يشـدي لـلـنعـام يـتحـدرا
والى شربت مـن منقع السيـل ناقتي
بنـو الثريـا فبشـر العـربان بالـسفرا

ومن قصائد الخـلاوي المشهورة في النجوم القصيدة التالية التي يحصر فيها أنجم القيظ:

قــال الخـلاوي والخــلاوي راشـد
عمـر الفتـى عقب الـشباب يشـيب
حـسبـت أنـا الايام بـالـعد كـلـها
ولا كـل من عـد الحسـاب يصـيب
حساب الـفلك بنـجم الثريـا مركب
يـحـرص لـه الفـلاح والـطـبـيـب
فالـى صرت بحسـاب الثريا جـاهل
تـرى لـهـا بـين الـنـجـوم رقيـب
الـى غابـت الثـريا تـبـيّن رقـيبـها
والى طـلعـت ترى الرقـيب يغـيب
والـى قارن الـقمـر الثـريـا بحـادي
بعد أحـد عشر عقـب القران تغيـب
وسـبعٍ وسـبعٍ عـد له بـعد غـيبـته
هذيـك هي الـكنـه تكون مـصيـب





ومن بعدها تطلع وبها القيظ يبتدي
وتاتي بروق ولا يسيل شعيب
والى مضى خمس وعشرين ليله
ثقل القنا من فوق كل عسيب
وتطلع لك الجوزا وهي حنّة الجمل
وتاتي هبايب والسموم لهيب
والى مضى خمسٍ وعشرين ليله
يطلع لك المرزم كقلب الذيب
والى مضى خمسٍ وعشرين ليله
يطلع سهيل مكذّب الحسيّب
والى مضى خمسٍ وعشرينٍ ليله
تلقى الجوازي طردهن تعيب
تلقى الجوازي ما تناحر مقيله
ليله نهار وتجتلد وتليب
والى مضى خمسٍ وعشرين ليله
لا تامن الما صيبه يصيب

ولقد ربط شاعر بين بعض المنازل والمواسم الزراعية، ودخول الفصول وخروجها، وحال الفلاح وزرعه فقال:

اذا صارت الجوزا يمامٍ لكنها
جريمه صيد لاحها اللواح
فالزرع بين افتاقةٍ وخناقه
واشتد زند العامل الفلاح

ويقول الخلاوي في أخرى:

اذا جت الثريا من عشا
مطب دلوٍ من رشا
هو أول يوم الربيع
واتلى يوم من الشتا

ويحدد اشتداد الشتاء وخروج زمن الوسمي فيقول:

اذا قابل القمر الثريا بثلاث عشر
تناهى طول الليل والوسم قد ظهر

ويقول:

اذا غابت الجوزا وصار رقيبها
دوين رمحٍ او كما الرجل قائم
قد ظهر الوسمي وارتفع الوبا
وشبت ضيان الشتا بالجهايم

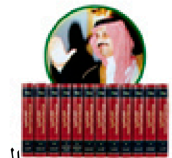
ويحدد وقت حمل النخل بظهور الكانون وهو النسر الأخير -أحد السماكين- إبان خروج أربعانية الشتاء فيقول:

اذا ظهر الكانون فابصر بحملها
تحت الخوافي كالحراب مويق

ويحدد أوقات البرد في وسط شبه الجزيرة العربية فيقول:

إذا قارن القمر الثريا بتاسع
يجي ليالي بردهن كباس
ثمان ليالي يجمد الما على الصفا
يودع عودان العظاه يباس
لو كان فوق العود ثوب وفروه
لكنه عار ما عليه لباس

ومن أشهر منظومات البروج والنجوم، منظومة الشيخ محمد بن





شهوان، فقد تناقلها الناس واعتمدوا عليها في مناطق عدة من شبه الجزيرة العربية بشكل عام، والكويت بشكل خاص في النصف الأول من القرن العشرين يقول فيها:

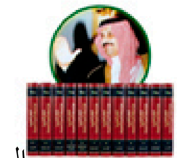
حمدت الله رب العالمينا
وشكرا للذي أحصى السنينا
وأجرى في السماء لنا بروجا
علامات وفيها يستبينا
وصل ياكريم على نبي
أتانا بالهدى والحق دينا
صلاة دائم الأوقات تتلى
وآل والصحابة اجمعينا
وبعد فتلك أبيات حسان
تفيد طوالعا للقاصدينا
فأرجو الله لي فيها ثوابا
ونفعا للورى والسامعينا
إذا الشرطان بان لنا صباحا
أيار الروم يدخل يابنينا
وفي الشرطين حر فيه يبدو
وأعشاب وأشجار ذوينا
إذا طلع البطين طلوع فجر
ففي الجوزاء خامسها يقينا
وفصل الصيف يدخل فيه حكما
وذو الصفراء تحسبه حزينا
وتبتدئ البوارح في هواها
وفيه يخرج الدر الثمينا
وتعقبه الثريا في ثمان
وعشر رؤية الرائي تبينا
وعاهات الثمار تزول فيها
وأولها دخول الأربعينا
وباقي عشرها من شهر روم
حزيران أتى ياحافظينا
ويبدو آخر الجوزاء نجم
يسمى التابع النجم الحسينا
ترى السرطان يدخل في ثلاث
من الدبران عند العارفينا
شروق الشمس دون العشر سبع
ويعرف بانقلاب الحاسبينا
وتطلع هقعة في ثاني عشر
من السرطان جوز الحارثينا
وتشتد الرياح بنوء شعرى
وبالنفاخ عند الساجعينا
وعاشر هقعة تموز فيها
ويرشف حره الماء المعينا
وتطلع هنعة بسموم حر
من السرطان سبع قد بقينا
وبالجوزاء شهرتها وفيها
يصاد الصيد عند القانصينا
إذا طلعت ببرج الليث شمس
ففيه جمرة الصيف السخينا
قرين المرزم المعروف يبدو
ذراع الفهد يدعى مستبينا





فنوء المحرقات يكون فيه
وبالباحورة اشتهرت لدينا
وينهى عن جماع من هواها
وفيها تكثر الأرطاب حينا
وتظهر نثرة ويغور ماء
إذا العشرين من أسد مضينا
وثالث نثرة يأتيك آب
وآفات الثمار به خشينا
ونجم الطرف يطلع مع سهيل
بثاني العذرا فهو لها قرينا
وإن رمت الخريف فيوم ثالث
بنجم الطرف يعرف إذ يبينا
وذلك أول النوروز جزما
ويغدو البحر للسفرا أمينا
وتطلع جبهة في نصف عذراء
وفيها الغيث يمكن أن يكونا
وحر مع سموم في نهار
وبرد الليل مع طل هتونا
وفي يومين مع عشرين عذراء
فأيلول بدا بالبرد حينا
إذا العشرين تمضي بعد سبع
من العذراء فالزبرا تبينا
إذا الميزان حلت فيه شمس
فيعتل الزمان به يقينا
وتظهر عاشر الميزان صرفه
وفيها النوء أحسن ما يكونا

وللأرواح تشرين لعشر
من الميزان أيام بقينا
ويدخل خامس الوسمي عواء
فيروي قطرها العرق الدفينا
وبعد مضيه سبع ويوم
تحل الشمس عقربها مكينا
وبعد حلولها ومضي ست
سماك أعزل يبدو مبينا
بقولات الشتاء يطبن نبتا
إذا بان السماك لها فنونا
وهذا آخر الشامي منها
ونذكر أنجما تبدو يمينا
وباقي عقرب عشر ويوم
فنجم الغفر يبدو مستبينا
وبعد طلوعه تشرين ثان
وفيه ألبس الهدم الثخينا
تحل الشمس في أثناء غفر
ببرج القوس فهو لها حضينا
إذا طلع الزبانا يوم ثان
من القوس استمر البرد فينا
ويدخل خامس القوس الشتاء
لدينا وهو عند الحارثينا
وبعد مضيه خمسا وعشرا
ترى الأكليل رؤياك الضعينا
وفي الأكليل أمطار غزار
وأيام تسمى الأربعينا





وفـي سبع مـن الأكـلـيـل كـاني
وتـسـقـــط فـيـه أوراق خـويـنــا
ونجـم الـقـلـب يـطـلع فـي ثـمـان
مـع العـشريـن من قـوس مضـيـنا
تحـل الشـمـس في جـدي بـثالـث
ويـؤخــذ لـلـدفـاء بــه كـنـونـا
ويـنـصـرف الـزمـان وطـول لـيل
وفـيـه الـــبـرد شـد لـه حـزيـنـا
شروق الـشـمـس بالـسـاعـات جيـم
ويـــاء والـدقـــائـق كـــان نـــونـا
ومـاضـي الجـدي يـومـان وعـشـر
فـتـظـهـر شـولـة لـلـنـاظـريـنا
وبـاقـي الجـدي سـبع كـان ثـانـي
وفـيـه الشـبـط عـند الحـاسـبـينا
وباقـي الجدي خـمس فـي الـنـعايم
تـبـدى لـلـخـلايـق مـصـبـحـيـنـا
تحـل الشـمـس فـي الدال لخـمـس
مضـت في الـشـبـط بعد الأربـعـينا
وفـي عـشـر مـن الـدلـو تـوالـت
تـبــدى بـلـدة يـــاحـافـظـيــنا
وبـــاقـي الـــدلـــو أيـــام ثـمـــان
فـسـعـد ذابــح لـلـعـاشـقـيـنـا
ويـصـعـد فـي الفـروع الماء فـيـه
يـطـيـب الـعـيـش والمرعـى لديـنـا
شـبـاط الـروم باقـي الـدلو خـمس
تحـل الشـمـس فيـه الحـوت حـيـنا

وإن طـلـع الـــسـعــود فـإن فـيـه
ريـاحـا بـالحـــسـوم لـهـا رويـنـا
وأيـــام الـســعـــود تمـــام حــوت
وفـيـه يـبـدأ الـــبـرغـوت فـيـنـا
وفـــي أيـــامـــه إن جـاء غـيـــم
دلـيـل الخـصـب عـنـد مجـربـيـنا
وفـي سـبـع وعـشـريـن اعـتـدال
فـلـيـل مـع نـهـــار مـسـتـويـنـا
أذار الـروم خـمـس فـيـــه جـزمـا
وبـالـنـوروز يـعـرف يـاأخـيـنـا
إذا حـلـت بـبـرج الحـمـل شـمـس
فـروضـات الـربـيـع بـه زهـيــنـا
ويـطـلـع أخـبـيـا فـي ثـانـي حـمل
بـه الـبـرغـوث يؤذي الـعـالمـيـنا
أوان المـســهـلات مـع الـــتـداوي
وتـخـلـي الـنـاس أبـنـيـة وطـيـنا
طـلـوع مـقـدم فـي نـصـف حـمـل
ويـــهـلـــك بـرده تمــرا وتـيـــنـا
ونـيـسـان يـكـون بـتـسـع حـمـل
بـنـوء مـــقـدم كـل الـســنـيـنـا
ويـأتـــيـك المـؤخــر فـي ثـمـان
مـع الـعـشـريـن جـزم الجـازمـيـنا
غـزير الـغـيـث يـزهو الـرعـي فيـه
حـصـاد الـبـر عـنـد الـزارعـيـنـا
تحـل الـشـمـس فـي ثـور بـتـسـع
مـن الـنـيـسان شـهر الأعـجـمـيـنـا



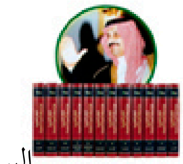


وفيه الفصد يحسن للدماء
وبعض الناس يكفي الحاجمينا
ونجمات الرشاء يبن فجرا
بعشر الثور أعشاب جفينا
وأن سماكنا يرقب رشاء
ونجمات الثرياء يختفينا
وصلي ياكريم على نبي
لنا أحيا وأخزى الكافرينا
شفيع الخلق في حشر ونشر
تعم الآل ثم التابعينا

إن مراجعة بسيطة لحساب النجوم في داليَّة الخلاوي، وقصيدة محمد بن عبدالله القاضي في الأنواء والنجوم، ومنظومة البروج والنجوم للشيخ محمد بن شهوان، ومتفرقات الخلاوي وغيره من الشعراء في الأنواء والنجوم ومقارنتها بحساب الأنواء لدى العرب الأقدمين -الذين يعتبرون كل ١٣ يوماً من أيام السنة نوءاً معيناً- تدل دلالة واضحة على الصلة الوثيقة بينهم، إلا أن العرب الأقدمين يعتدون بسقوط النجم وليس بطلوعه كما يفعل أهل الحساب في الوقت الحاضر الذين يمثلهم الخلاوي والقاضي والشهوان وغيرهم كثير. وبمقارنة بسيطة للجدول الذي وضعه ابن قتيبة للنجوم ووقت أنوائها بالتاريخ الميلادي، والجدول الذي ابتدعه العامة وبدأوه بطلوع نجم سهيل، والجدول الذي وضعه العمار المبني على حساب الخلاوي، نستدل دلالة واضحة على أن تسلسل المواسم ورتابتها بالنسبة لعدد أيام كل موسم مبنية على طول الأنواء عند العرب، وهي ١٣ يوماً، إذ طول المواسم عند أهل الحساب في الوقت الراهن هو مضاعفات العدد ١٣. فهي ٢٦ أو ٣٩ أو ٥٢ يوماً، لا سيما إذا عرفنا أن البعض منهم قد يجمع موسمين ليكونا ٢٦ يوماً، مثل الثريا مع التويبع، والجوزاء الأولى مع الثانية. بل إن عدد المواسم التي عدد أيامها من مضاعفات أيام الأنواء ربما تكون عدة مواسم جمعت في فصل واحد. ويدل على ذلك سياق هذه المضاعفات، مما يجعلنا نظن أن الموسم هو بعينه النوء عند العرب الأقدمين.

## حساب المزارعين

وبتتبع سريع لقصيدة الخلاوي، التي بُني عليها جدول العمار المختصر الذي يمثل حساب المزارعين التقليديين في وسط الجزيرة العربية، يتضح أنه بعد ظهور سهيل في ٢٤ أو ٢٥ أغسطس، على خلاف بين الرواة، يحسب لأربعة أنجم هي الطرف والجبهة والزبرة والصرفة، ويطلق على النجمين الأخيرين منهما هرفْ، وتسقط فيه بعض الأمطار بإذن الله في بعض





| اليوم | الشهر الميلادي | الطوالع والنجوم | تسميتها الشعبية | عدد أيامها | فصول السنة |
|---|---|---|---|---|---|
| ٢٤ | أغسطس | الطرف - الجبهة | سهيل | ٢٦ | قيظ |
| ٢٠ | سبتمبر | الزبرة - الصرفة | الهرف | ٢٦ | خريف (صفري) |
| ١٦ | أكتوبر | العواء - السماك | الوسمي | ٥٢ | |
| | | الغفر - الزبانا | الوسمي | | |
| ٧ | ديسمبر | الإكليل - القلب - الشولة | المربعانية | ٣٩ | شتاء |
| ١٥ | يناير | النعايم - البلدة | الشبط | ٢٦ | |
| ١٠ | فبراير | سعد الذابح | العقارب | ٣٩ | |
| | | سعد السعود وسعد بلع | العقارب | | ربيع صيف |
| ٢١ | مارس | سعد الأخبية - المقدم | الحميمان | ٢٦ | |
| ١٦ | أبريل | المؤخر - الرشا | الذراعان | ٢٦ | |
| ١٢ | مايو | الشرطان | الثريا | ١٣ | |
| ٢٥ | مايو | البطين | التويبع | ١٣ | |
| ٧ | يونيو | الثريا - الدبران | الجوزاء | ٥٢ | قيظ |
| | | الهقعة - الهنعة | الجوزاء | | |
| ٢٩ | يوليو | الذراع | المرزم | ١٣ | |
| ١١ | أغسطس | النثرة | الكليبين | ١٣ | |

المواسم والنجوم كما حددها راشد الخلاوي

السنوات. وجملة أيام هذه النجوم ٥٢ أو ٥٣ يوماً. وتمثل جزءاً من القيظ والخريف عند العامة، ويزرع فيه الأرز والذرة الشامية والبطاطس الشتوية والذرة الرفيعة.

وبعد ذلك يدخل الوسمي في ١٦ أكتوبر، وأنجمه هي العواء والسماك والغفر والزبانا، وجملة أيامه ٥٢ يوماً.

وتشمل من فصول السنة الجزء المتبقي في الخريف، أو الصفِري كما يسميه العامة. ويزرع فيه البصل والبرسيم والبطاطس الشتوية، ويحصد معظم الأرز، ويحصد السمسم، ويحش السمار المزروع في مايو، وتُجز الحناء، وتغرس فسائل النخل بالمشتل والمكان المستديم،





وتجنى ثمار السفرجل والجوافة والعنب الرومي والزيتون والرمان والتين الشوكي وأنواع التمور المختلفة والليمون والمانجو. وتزرع الفاصوليا والفول والبسلة الطويلة والسبانخ والجزر واللفت والفجل والجرجير والتوابل، مثل الخردل واليانسون والكراويه والشبت والحبة السوداء والكزبرة، كما يزرع البقدونس والثوم.

ثم تدخل أنجم مربعانية الشتاء في ٧ ديسمبر، وهي الأكليل والقلب والشولة، وجملتها ٣٩ يوماً. وفيها تستمر زراعة القمح والشعير والفول السوداني والبرسيم والبطاطس والعدس والحمص والحلبة، ويشتل البصل.

ويلي مربعانية الشتاء الشبط في ١٥ يناير، وتعرف أيضاً بالسماكين، ولها نجمان هما النعائم والبلدة، في كل نجم ١٣ يوماً. وفيه تحضر أرض الحدائق الحديثة استعداداً لزراعتها، وتزرع البسلات القصيرة والفجل واللفت والجرجير والسبانخ.

ويلي الشبط العقارب أو الأسعدة، وتدخل في ١٥ فبراير، ونجومها؛ سعد الذابح (أو العقرب الأولى) وسعد بلع (وهو العقرب الثانية) وسعد السعود (وهو العقرب الثالثة).

وعدد أيام العقارب ٢٩ يوماً، وتوصف عند أهل نجد بأن الأولى سم، والثانية دم، والثالثة دسم. وتعد العقرب الأولى أفضل الأزمنة لغرس النخل وفي الثانية تزداد حاجة النبات إلى الماء؛ يصور ذلك مثلهم «بالعقرب الوسطى يشيح المشرب» هذا من أمثال الفلاحين وزرّاع القمح. يريدون أنه إذا دخلت العقرب الوسطى، وهي عندهم نوع من الأنواء، فإن المشرب أي الذي يسقي الزرع يشيح، أي يتعب من كثرة المواظبة والجد في سقي الزرع. وذلك لأن الزرع في ذلك الوقت يتطلب الكثير من الماء لارتفاع حرارة الشمس. وكلمة يشيح فصيحة. وتسمى العقرب الثالثة صيَّاح النبات (حوالي ٧ مارس)، وفيه يطلع كل شيء، فالنباتات التي تموت أو تخمل في الشتاء تبدأ تورق.

ويتضح من الوصف السابق «سم ودم ودسم» أن أول العقارب برد، ثم يبدأ الدفء في النصف الثاني، وتجري العصارة في العود. وفيه يزرع البطاطس، ويقلم العنب. وفيه تغرس الأشجار الجديدة في البساتين، وينضج أكثر ثمار الموالح كالبرتقال واليوسفي، ويزرع الفجل واللفت والسبانخ والبنجر والجزر والبسلة القصيرة. كما تجنى الفاصوليا والبطاطس الشتوية، ويقطع الكرنب والقرنبيط، ويحصد البقدونس.

وتعد الفترة من ٢٢ فبراير حتى ٢١ مارس أول الربيع على منهج الفلاحين،





وآخر غرس الأشجار. وفيها يزرع القطن وقصب السكر والبطيخ والشمام والبطاطس الصيفية والملوخية والخيار والفاصوليا والكوسة والبطيخ واللفت والجرجير والرجلة والباميا والقثاء والدباء. ويقولون في المثل «إلى طلع أبا ذار، أبرضت الاشجار، وافرخت الاطيار، وتساوى الليل والنهار، وتعلل الجار مع الجار» هذا من أمثالهم في فصول السنة، وأبا ذار: الجُعْل، وظهوره على وجه الأرض علامة على حلول فصل الربيع، ولكن يبدو أن أبا ذار تحريف لكلمة آذار الشهر الثالث من شهور السنة الشمسية السريانية الذي هو أول شهور فصل الربيع. والمرجح أن أبا ذار هو شهر آذار.

وقولهم: أبرضت الأشجار: أي ابتدأت أوراقها الجديدة في الظهور بدلاً من تلك التي تساقطت. ومعنى تعلل الجار مع الجار: التعلل هو السمر، أي تبادلا الأحاديث في الليل، ويريدون أن الجار الذي كان يمنعه البرد من أن يطيل السّمر مع جاره، قد أخذ الآن بالسمر معه لأن وطأة البرد بدأت تخف.

ويلي العقارب الحميمان، وهما سعد الأخبية والمقدم، وعدد أيامهما ٢٦ يوماً، ويدخل الحميمان في ٢١ مارس ويزرع فيهما البرسيم الحجازي والفول السوداني وقصب السكر والقطن والذرة القيظية والحنطة في نصفه الأخير، والأرز والليمون والتفاح والكمثرى والجوافة والتوت والبطاطا والباميا واللوبيا والقرع العسلي (الدباء) والكوسة والفاصوليا والملوخية والرجلة والفجل والكراث. وفي مثل هذا الوقت يميل الجو نحو الدفء ويبدأ الناس بالنوم خارج منازلهم، ولكن يوصون باتقاء البرد كما يوصون بالتبكير بدخول المنازل حذر البرد ويصور هذا المثل «اطلعوا باللحاف، وانزلوا بالمهاف»، أي إذا حل فصل الربيع توقعوا الدفء، فاخرجوا من المنازل واصعدوا للسطوح عند النوم، ومعكم الألحفة التي تتقون بها البرد إن نزل، أما إذا حلّ فصل الخريف، فتوقعوا البرد، فانزلوا من السطوح إلى المنازل الداخلية وإن كان الجو حاراً ومعكم المراوح التي تروِّحون بها من الحر، اتقاءً لتقلبات المناخ المفاجئة.

وفي ١٦ أبريل يدخل الذراعان أو الفرغ المؤخر والرشا، وعدد أيامهما ٢٦ يوماً من فصل الصيف. حيث يزرع القصب والأرز والفول السوداني والشمام والبرسيم الحجازي والبطاطا والذرة الصيفية والليمون والجوافة والموز والنخيل والمانجو واللوبيا والباميا والقرع العسلي والكوسة والفاصوليا والملوخية والرجلة





والفجل البلدي والرومي والكرات والسبانخ والخيار والبطيخ (الحبحب).

ويلي الذراعين الثريا أو الشرطان، وهي مجموعةٌ أشهر ما يعرف العرب من نجوم السماء، ومن مجموعتها التويبع أو البطين، وهو المقصود في قولهم «ما ذكر واد في التويبع سال»، ويأتي بعدها بأقل من منزلة، والمنزلة مقدار ساعة من الزمن كانوا يحسبون بها قبل انتشار الساعات، ثم الجوزاء بعد الثريا بمنزلة، وهي مجموعة أنجم شاهرة، هي الثريا والدبران والهقعة والهنعة، وعدد أيامها ٥٢ يوماً، ثم المرزم، وهو نجم واحد يعرف بالذراع، وعدد أيامه ١٣ يوماً وبينه وبين الجوزاء منزلة.

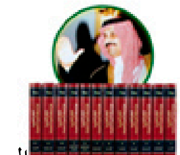
ومما تجدر الإشارة إليه أن لهذه المجموعات فترتين صيفية، ويحسبون بها للصيف، وشتوية، ويحسبون بها للشتاء، وتطلع الثريا الشتوية صباحاً فيقولون:

ليا الثريا وايقت على البير

وايق من الشتاء طول رقبة بعير

ثم تأخذ في التقدم حتى تطلع عند أو بعد غروب الشمس فيقولون «ليا ضاوت ناوت» أي إذا ضوت مضوى الهلال فقد دخل نوؤها، وهي من النجوم ذوات الأنواء الممطرة بإذن الله خاصة في مناطق الحجاز. ثم يتبعها نوء الجوزاء، ثم نوء المرزم، وهو غزير الأمطار، وكثيراً ما يؤثر على مشاعر الحج في مكة المكرمة إذا هطلت فيه أمطار. ويذكر الناس قافلة حجيج داهمها سيل المرزم ليلاً وهم نيام في وادي الصفراء، فقضى على أكثرهم. ولمطر الثريا خاصية مفردة إذ هو يأتي على موجات تروح ثم تعود، ووبله صغير القطر يسمونه الثروي وهو أكثر رواء للأرض. ويقولون «إذا طلعت الثريا عشا دوِّر لعيالك العشا»، ذلك أن طلوعها هذا يوافق طول الليل. ومن أهم المزروعات في الشرطين أو الثريا والبطين أو التويبع (من ١٢ مايو-٧ يونيو) ما ذكر في النجم السابق.

وتستمر الثريا إلى أن نراها بعد المغرب مشرفة على المغيب فيقولون لك «سنَّت الثريا»، ويقولون «عشرين سنّه وعشرين كنّه»، والسَّنَّة أن تعترض بين العشاء والمغرب للغروب، فإذا أخذت على هذا الحال عشرين يوماً استكنت، لا تطلع عشرين أخرى، وهذه هي الكنَّة. وعند الخلاوي الكنة أربعة عشر يوماً كما جاء في قصيدته المتقدمة، حرها شديد، وفيها يغور الماء في الآبار، ويصلح غرس النخل، ولا يصلح الزرع لأنه يستكن في الأرض على حد قولهم. فإذا انتهت الكنة طلعت الثريا مع شعاع الشمس في





الصباح، وهـذا هو القيظ وأوان استـواء الرطب، ويقولون «الثـريا غثا، والجوزاء زهاء والمرزم جناء، وسهيل جداد القنا». أي تطلع الثريا فيكبر بسر النخل ويكتمل نموه، فتركب على العسبان (القنيان) حتى لا تتكسر صنوخها حين تثقل. ويظهر فيه التشهيل، ثم تطلع الجوزاء بعد ذلك فيصير زهواً أبيض، ثم يطلع المرزم فيرطب البلح فيجنى. فإذا طلع سهيـل، وهو من غير مجـموعتهـا غير أنه يـأتي بعـدها (٢٤ أغسطس)، تـوسط المجر (درب التبانة) في السمـاء حتى إنه ليكون مقـابل بطن المستلقـي، يصور هذا مثلهم «إلـى صار المجر عـلى المسر فـاعرف إن سهيـلْ قد ظهر». ويحين في هذا الوقت جداد النخل وقالوا في المثل «إلى جا المجر على المسر تلقى الحضيري قد نشر» أي أنّ الناس قد جدّوا النخل، فإن لم يجدّوه صار يهلّ، أي يتساقط فيقولون حطمه سهيل. ويلوح البسر الذي لما يستو بعد، فيقولون وسـم سهيل الذي يمتاز بحره الشديد. وإذا طلع سهيل على البلح بسراً فسد؛ قال الشاعر:

وسـهـيـل طـالـع عـلـيـهـا
زادهـا بـالخـرفـشـيـه

وتنطبق هذه الخـصائص والتغيرات بشكل واضح وجلي على المنطقة الغربية من المملكة.

ومن الأمثال المشابهة لما جاء في أدب الحجـاز الذي نقلـه البلادي (١٩٧٧م) قولهم في نجد «إلى طلعـت الجوزا امل الحوزا»، والحوزا هي المخباة.

وإذا طـلـعت الـثـريـا من عـشـيـا
يـازارع الحـب هـيـا هـيـا

ويردد الفـلاحون في الباحـة شعراً شعبياً في هذا الصدد يقولون فيه:

الاجـواد مـن حـرثـات الـثـريـا
والانـذال مـن حـرثـات وراهـا

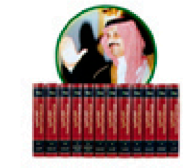
لأنهم عندما تطلع الثريا عند الفجر فإنهم يزرعون الذرة، وعندما تغيب عند الفجر يزرعون القمح.

أمّا قولهم:

ولى جت الثريا من العشا على راس
يـافـاهـم دن الحـطـب والـفـاس

فكناية عن قرب البرد ودخوله.

وفـي الجوزاء -(الـثريـا، الدبـران والهقعة والهنعة) التي تطلع في ٧ يونيو الموافق ١٧ من برج الجوزاء، وهي أول نجوم الصيف المـسمى بالقيظ عنـد أهل نجد- يزرع السـمسم، ويحصد القـمح والشعير، ويقلع البصل، ويحصد العدس والكتـان، وتزرع بذرة التـوت، وتحش الملوخية، ويطعّم الورد، ويزرع السمار، وهو نـبات يزرع فـي الأراضي المـالحة وتصنع منه الحصر، وفيه ينضج العنب





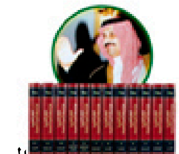
الأسود، وتظهر بوادر التين الشوكي (البرشومي)، ويبدأ نضج الخوخ، وتزرع الكوسة والقرع العسلي واللوبيا والخيار والبطاطا والملوخية والرجلة، ويحصد محصول البطاطا الصيفي، وتزرع الذرة والدخن في أوله، كما يغرس فيه النخل وتكون عسبانه قصيرة.

ويطلع الذراع في ٢٩ يوليو الموافق ٧ من برج الأسد، ويعرف عند العامة بالمرزم، ومنه قولهم في الأحساء «إذا طلع المرزم؛ ياخرّاف الزم» وفي نجد «إلى طلع المرزم، فامل المحزم»، كناية عن سهولة ووفرة الرطب، والمرزم من أنجم القيظ وعدد أيامه ١٣ يوماً. ويلي المرزم الكُلَيْبان، وهي النثرة، وتطلع في ١١ أو ١٢ أغسطس الموافق ٢٠ من برج الأسد، ويزرع في الذراع والنثرة السمسم والذرة الشامية والسمار والبطاطا، وتحصد الذرة الشامية الصيفية، وتقلع البطاطا المزروعة في برج الحمل (من ٢٢ مارس-٢١ أبريل)، وتجنى ثمار الخوخ والبرقوق والعنب والجوافة والتين والمانجو والزيتون الأخضر والرمان والتمر المبكر والتين الشوكي والكمثرى والبطيخ والشمام والخربز والموز الصيفي. وبعد الكليبين يظهر سهيل في ٢٤ أغسطس. ويصور المثل الشعبي أثر الحرارة في الكليبين، قالوا «بين سهيل والمرزم، نجمٍ ييبس غزير الجم». قال العبودي في شرح المثل «وبينهما (المرزم وسهيل) يطلع نجم يسمونه (الكليبين) تثنية كلب يقولون إن مياه الآبار تغور في أيّام طلوع ذلك النجم لأنه في شدة الحر وعنفوانه، فكأنه يجعل البئر ذا الجم الغزير من الماء يابساً» (١٩٧٩، ج١ : ٢٩١).

فهذه هي الثمانية والعشرون نجماً، ومجموع أيامها ٣٦٥ يوماً. ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك اختلافات بسيطة وزيادات في الألقاب على بعض النجوم والطوالع، مثل الهقعة التي تسمى أحياناً الزوابن والنظيم، وقولهم إن نجوم الصّفِري هي سهيل، والسهلة والمقدم والمؤخر (بنات نعش). وعلى أي حال فلقد كان للأوّلين، الذين يمثلون في مجملهم المزارعين التقليديين، معرفة تامة ومراقبة دائمة اعتمدوا عليها في تحديد أوقات زراعتهم، التي كانت تشكل مصدراً لحياتهم وبقائهم في هذه البيئة الصحراوية.

## قران القمر

أدرك الأولون أن القمر عند دورته حول الأرض، مرة كل سبعة وعشرين يوماً وثلث اليوم، يقارن أشهر نجوم





السماء، مثل الثريا والعقرب، وذلك في اليوم نفسه من الشهر القمري الذي يأتي في فصل معين. وعلى هذا الأساس عرفوا أن أول فصل الشتاء يكون عندما يقارن القمر نجم الثريا ليلة الحادي عشر منه، وقالوا في ذلك «قران حادي، برد بادي». وبما أن دورة القمر حول الأرض تتم في ٢٧ ١/٣ يوم، وعدد أيام الشهر القمري نحو ٢٩ ١/٢ يوم، فإن القمر يتقدم نحو يومين في كل شهر عن الشهر الذي سبقه. فهو يقارن بعد ليلة الحادي عشر في ليلة التاسع في الشهر التالي، ولهذا يقولون «قران تاسع برد لاسع» يشيرون بذلك إلى شدة البرد. ثم يأتي القران الذي بعده في ليلة السابع من الشهر التالي فيقولون «قران سابع مجيع وشابع» دلالة على أول ظهور العشب، ثم في الشهر الذي يليه يظهر العشب بصورة وفيرة ويزدهر الربيع، فيقولون «قران خامس ربيع غامس» إذ ينغمس فيه الناس لوفرته، والذي يليه «قران ثالث ربيع ذالف» دلالة على نهاية موسم العشب وذبوله، ثم بعد ذلك ويقال «قران ثالث رحال ولابث» «قران حادي على القليب ترادي» أي أن الماشية ترد على الماء، دلالة على موسم الحر وبداية الصيف.

وفي الباحة يرون أن قران حادية الذي تقترن فيه الثريا بالقمر في اليوم الأول من الشهر القمري هو الحسم بين وقت الذرة والقمح، ويقولون «قران حاديه لا يترك غابيه ولا باديه» ومعنى ذلك أنه ينبت البذور الموجودة تحت التربة وهي الغابية، وتحصد فيه النباتات الناضجة لأنها في غاية النضج وهي التي رمز لها بالبادية أي إنها بارزة فوق التربة.

ومن أشهر النجوم، بعد الثريا، عند العرب العقرب، ولهم فيها حسابات شتوية. والعقرب تتكون من فم وقلب وشولة؛ الفم نجمان في أول العقرب، ثم القلب وهو نجم لامع بين نجمين، ثم الشولة وهي نجمان متأخران، وحولها مجموعة أنجم أخرى صغيرة.

ومدار حسابهم بالعقرب في مسائل القران تدور حول اقتراب القمر من العقرب، ويطلق عليه في بعض جهات المملكة -كالمنطقة الغربية- الخَلُط. فالخلاط عند أهل الغربية أن يقترن القمر بفم العقرب فيقولون، خلاط واحدة أو خلاط ثلاث... إلخ. فإذا خالط القمر العقرب ليلة واحدة من شهر محرم مثلاً فهي خلاط واحدة، ومن ثم فإن الخلاط المقبل سوف يكون في ٢٩ من ذي الحجة، ثم في السابع والعشرين من ذي





القعدة، وهكذا يحسبونه حساباً تناقصياً رجعياً على ضوء ما تم شرحه في القران عند أهل نجد؛ ومن الأبيات المشهورة في القران وخصائصه ما قاله راشد الخلاوي:

إذا قارن القمر الثريا بتاسع
يجي ليالي بردهن كباس
ثمان ليال يجمد الما على الصفا
يودع عودان العضاه يباس
لو كان فوق العود ثوب وفروه
لكنه عارٍ ما عليه لباس

ويقول في أخرى:

إذا قابل القمر الثريا بثلاثة عشر
تناهى طول الليل والوسم قد ظهر

ففيه إشارة إلى اشتداد الشتاء وخروج زمن الوسمي.

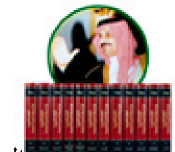
ويقول الخلاوي في عرض قصيدة أخرى يحصر فيها أنجم القيظ، ويحدد خصائص القران:

والى قارن القمر الثريا بحادي
بعد أحد عشر عقب القران تغيب
وسبع وسبع عد له بعد غيبته
هذيك هي الكنه تكون مصيب

وقد ذكر البلادي أن هناك أيضاً قراناً لبعض النجوم بعضها مع بعض. ويستدلون بذلك النوع من القران على بعض الظواهر الطبيعية. ومن هذه النجوم الزحول، فإذا اقترن الزحل (وهو في عرفهم الذي يحسد من حوله أو قرينه) لا يكون في السنة مطر. ومن هذه الزحول زحل الكوكب المشهور. فإذا اقترن زحلٌ بالعقرب، فلهم معه حكاية: فإن جاء مع الفم، خاب الفم، وإذا جاء مع القلب، شاب القلب، وإذا جاء مع الشولة، شال الذئب في العالة. أي إذا طلع النجم مع فم العقرب فإن السنة تكون مَحْلاً فلا يجد الفم ما يطعمه، وإذا جاء مع القلب كان الإنسان في هم من المَحْل حتى يشيب قلبه، أما إذا جاء مع الشولة فإنها تكون مجاعة، حتى يأكل الذئب من العيال.

ومن الزحول نجم يسمونه في الحجاز الثلث، ويقولون: إن مدة نوئه ثلاثة أيام وثلث، وهو من نجوم الخريف، ويزعمون أنه إذا أمطر فإن تلك السنة تكون مَحْلاً على الأرض التي يمطر عليها (١٩٧٧م:٣٢٦).

ومن هذا العرض السريع للعوامل الطبيعية المؤثرة في الزراعة التقليدية في المملكة، يتضح أن المزارعين التقليديين كانوا على دراية تامة ومراقبة دائمة لهذه العوامل. وكانوا يتعاملون معها بتعقل متناه، وجهد كبير لمحاولة الاستفادة من منافعها، وتخفيف آثارها السلبية على مجمل عمليات زراعتهم. وإذا كان





الفلاح التقليدي يتعامل مع هذه العوامل أو المحددات كلاً منها منفردة، فإنه يدرك من جانب آخر الترابط الوثيق بينها، فانجراف التربة مثلاً يرتبط بحالات الأمطار وانحدار السطح، كما يرتبط أيضاً بقوة الرياح واتجاهها. ومن جانب آخر فإن هذه العوامل الطبيعية -مجتمعة أو متفرقة- لها أثر في توزيع الأراضي الزراعية، وفي حجم وشكل المزارع والقطع المزروعة، على ضوء ما سوف يوضّح لاحقاً ملكية الأرض وإعدادها للزراعة.

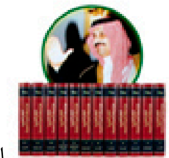


# ملكية الأرض وإعدادها للفلاحة

## الحيازات الزراعية ومساحاتها

**وحدات القياس.** قبل أن نتحدث عن مساحة المزارع القديمة والعوامل المؤثرة فيها، يحسن أولاً أن نلقي بعض الضوء على المقاييس التي كان يتبعها الأولون لقياس المسافات والمساحات، خاصة مساحات المزارع والأراضي الزراعية. فالمقاييس المستخدمة اليوم لقياس المسافة كالمتر والكيلومتر والياردة والميل، أو لقياس المساحة كالمتر المربع والدونم والفدان والهكتار، لم تكن معروفة ولا مستخدمة في أي من مناطق المملكة، ولم يبدأ استخدامها في هذه البلاد إلا منذ فترة زمنية قريبة. ولذلك كان لأسلافنا الأقدمين في هذه البلاد طرقهم ومقاييسهم الخاصة يقيسون بها المسافة والمساحة. ونظراً لاتساع البلاد وتشتت مجتمعاتها الزراعية واختلاف البيئات الطبيعية والاجتماعية، لم يكن هناك مقياس موحد، يستخدم في طول البلاد وعرضها، بل كان لكل منطقة زراعية مقياس خاص، قد تشاركها فيه بعض المناطق الأخرى، وقد تنفرد به وحدها.

وتعد مقاييس الأطوال أكثر شيوعاً وتوحيداً من مقاييس المساحات، إذ إن البوع (الباع) والذراع تكاد تكون المقاييس الوحيدة للأطوال في كل المناطق. ويساوي البوع حوالي المترين، وهو عبارة عن المسافة الفاصلة بين أطراف الأصابع لليد اليمنى وأطراف الأصابع لليد اليسرى مع الصدر للرجل حين يفرد يديه بشكل متعامد مع جسمه. أما الذراع فيساوي حوالي نصف المتر، وهو عبارة عن المسافة من رأس المرفق إلى أطراف الأصابع. وكان الأولون يستخدمون هذه المقاييس لقياس أطوال المزارع والأحواض والأشراب ونحوها. فيقال مثلاً إن مزرعة فلان تمتد من الناحية الشمالية لمسافة أربعين





باعـاً (بوعا) ومن الـشرق لـ ٦٠ بوعـاً وهكذا، وإن طـول الحوض أو الشرب الفلاني ١٢ ذراعاً وعرضه ٦ أذرع.

أما مقاييس المساحات فهي أقل شيوعاً من مقاييس الأطوال، حيث تختص كل منطقـة أو مجموعة من المنـاطق بمقياس معلوم، لا يستخدم في المناطق الأخرى. ففي جازان ومختلف مناطق تهامة وبعض المناطق الجنوبية الأخـرى تقاس الأراضي بالمعـاد، والمعاد قطعـة من الأرض تبلغ مساحتـها في المتوسط حـوالي ٥٠×٥٠ ذراعاً، أي حوالي ٦٢٥م٢ (٦, ٠ دونم). ولكن حتى مساحة المعاد تختلف من منطقة إلى أخرى فهي في جازان ٤٠×٤٠ ذراعاً (٤٠٠م٢)، وفي القنفدة ٥٠×٥٠ ذراعاً (٦٢٥م٢)، وفي وادي قـنونا في تـهامة ٦٠×٦٠ ذراعاً (٩٠٠م٢)، وفي مناطـق أخرى ٦٢×٦٢ ذراعاً (٩٦١م٢) وهكذا. وفي الأحساء يستخدم المغرس للدلالة على مساحة من الأرض، تبلغ أطوالها ١٢×١٢ ذراعاً (٦×٦=٣٦م٢)، وهي مأخوذة من غرس النخل حيث يترك في الغالب مسافة ٦ أمتار بين كل نخلة وأخرى، فيقال عن مساحة مزرعة فلان إنها (٩٠) مغرساً أو (٢٠٠) مغرس، وهكذا. كمـا يستخدم أحياناً (السخين) ومساحته حوالي (٣٣) مـغرسـاً (١٠٢ دونم). أما فـي حائـل والقـصيـم وسائـر المناطـق الوسـطى،



صغر الحيازات الزراعية





فيستخدم الحوض (٤٠ م$^{2}$ في المتوسط) لقياس المساحة. وفي العلا تقدر المساحة بالوجبة، وفي المدينة المنورة بالمغزل، وهي المساحة من الأرض التي تروى في اثنتي عشرة ساعة. وفي خيبر تقدر المساحة بالبلاد -أي البستان- وتختلف مساحة البلاد من ٨٠-١٦٠ متراً مربعاً.

أما في الباحة فيستخدم الشطي والفلج والحلقة. والشطي هو مساحة جزء من الأرض مستطيل طوله أكبر من عرضه، فيكون لطول الأرض، أما عرضه فلا يزيد غالباً عن مترين ويفصل بينه وبين الشطي المجاور له فلج الماء وهو القناة المائية التي تتوزع فيها المياه على القصاب وهي المربعات الصغيرة في كل شطي، فإذا كان في الأرض شطيان سميت فلجاً وإذا كان فيها أربعة شطآن أي فلجان سميت حلقة.

ويتضح من هذا السرد عدم وجود وحدة مساحية ثابتة لجميع مناطق المملكة، بل إن بعض الوحدات المساحية الشائع استخدامها في بعض المناطق، كالمعاد والحوض، تختلف مساحاتها من منطقة لأخرى. وبهدف تقريب الصورة للقارئ من جهة، وتسهيل عمل المقارنات بين مساحات المزارع في المناطق المختلفة من جهة أخرى سنلجأ في دراستنا لمساحات المزارع في الفترة الماضية في مختلف مناطق المملكة إلى استخدام مقياس موحد هو الدونم (الدونم = ١٠٠٠م$^{2}$)، وهي الوحدة التي تستخدمها وزارة الزراعة والمياه بالمملكة.

ومن الخصائص المهمة التي تميز الزراعة التقليدية في الجزيرة العربية صغر مساحة المزارع مقارنة بمساحتها في الوقت الحاضر. ويمثل صغر مساحة الحيازة (المزرعة) خاصية مشتركة لمختلف المناطق الزراعية في البلاد، سواء تلك المعتمدة على العيون أو القلبان أو حتى على الأمطار والسيول. وتدل البيانات المنقولة عن بعض التقديرات، التي عملت قبل أربعين سنة على الأقل، أو تلك المستقاة من المقابلات الشخصية لكبار السن، أو حتى من الدلالات التي يمكن استنتاجها من الزراعة التقليدية القديمة الموجودة حتى الآن، أن مساحة المزارع التقليدية كانت محدودة جداً.

ففي حائل، مثلاً، كان متوسط مساحة المزرعة يبلغ حوالي ١٠,٥ دونم، وكانت توجد مزارع كثيرة لا تزيد مساحتها عن دونمين. وفي الطائف وخيبر ينخفض هذا المتوسط إلى حوالي ٨ دونمات، مع تدني مساحات كثير من المزارع إلى دونم واحد فقط. وفي جازان





يتدنى هذا المتوسط إلى ٦ دونمات فقط، وتنخفض مساحات بعض المزارع إلى دونمين فقط. ويزيد هذا المتوسط في المدينة المنورة وتربة إلى حوالي ٢٠ دونماً ولكن بعض المزارع لا تزيد مساحتها عن ٤ دونمات حتى في المدينة و١٢ دونماً حتى في تربة. أما في القصيم فيزيد متوسط الحيازة بشكل ملحوظ إلى ٤٠ دونماً، ولكن بعض المزارع هناك لا تزيد مساحتها عن ٥ دونمات. أما في الأحساء والقطيف فإن الحيازات والمزارع أصغر مساحة وأكثر انتشاراً، حيث تدل التقديرات القديمة إلى أن أكثر من نصف المزارع كانت أقل من ٣ دونمات (٨٣ مغرساً)، بل إن أكثر من خُمس أعداد المزارع لا تزيد مساحتها عن دونم واحد (٢٨ مغرساً). وكانت المزارع جميعها، تقريباً، لا تزيد في مساحتها عن ٣٥ دونماً (٩٧٠ مغرساً).

وإلى جانب صغر الحيازة، فإن من الخصائص المهمة التي كانت تميز الملكيات القديمة، خاصة في بعض المناطق الزراعية كجبال الحجاز، وفي عسير والأحساء والقطيف، وبعض المناطق الأخرى المعتمدة على العيون، تفتت الملكية الزراعية وتشتتها. فالحيازة أو المزرعة الواحدة تتألف من مجموعة من القطع، تكون أحياناً متباعدة ومفصولاً بعضها عن بعض، إما بملكيات أخرى، أو بأراض غير صالحة للزراعة. ففي الطائف مثلاً، تدل التقديرات الزراعية للمزارع القديمة على أن المزرعة التي تتألف من قطعة واحدة هي حوالي ٣٤٪ فقط من الملكيات الزراعية. وتشكل المزارع التي تتألف من قطعتين ثلث النسبة تقريباً، ولكن تبلغ نسبة المزارع التي تحتوي على أربع قطع أو خمس ١٤٪، وتلك التي تحتوي على ست إلى تسع قطع ٩٪، ومثلها تقريباً المزارع المؤلفة من عشر قطع فأكثر. وفي منطقتي الباحة وعسير يزداد الانتشار بصورة أكبر، حيث لا تشكل المزارع ذات القطعة الواحدة أكثر من ١٦ إلى ١٨٪ من مجموع المزارع في هاتين المنطقتين على التوالي. ومن الواضح في تلك المناطق أن مساحات المزارع أصغر وأكثر انتشاراً في المرتفعات لقلة الأراضي الصالحة للزراعة.

والواقع أن صغر مساحة الحيازات الزراعية القديمة وتفتتها، هو في حقيقة الأمر انعكاس لعدد من العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية، وأخرى مرتبطة بطرق الزراعة التقليدية والأدوات والإمكانات الزراعية المتاحة التي عملت مجتمعة على تقليل مساحة المزارع





التقليدية وتوزعها. ومن أهم العوامل المؤثرة في مساحة الحيازة الزراعية القديمة ما يأتي:

**مصادر المياه.** تعد قلة المصادر المائية المتاحة لري الأراضي الزراعية قديماً أهم العوامل المؤثرة في مساحة المزارع والحيازات الزراعية. فموارد المياه المتاحة، سواء أكانت عيوناً أم قُلباناً أم سيولاً، كانت تتصف بقلة التصريف، وهي في العادة لا تكفي لري مساحات كبيرة. فرفع المياه من القلبان بالسواني -وهي أكثر موارد المياه شيوعاً في الزراعة القديمة- كان يعتمد على طاقة الحيوان التي ترفع المياه من البئر بالغروب، وهي طاقة قليلة لا تقارن مياهها بكمية المياه التي تضخها المكائن والمضخات المختلفة في الوقت الحاضر. ولذلك كان المزارع لا يستطيع أن يزرع إلا مساحة ضيقة من الأرض تتناسب مع كمية المياه التي يحصل عليها، ولذا لم يكن المزارع بحاجة إلى زيادة مساحة مزرعته أكثر من تلك التي يستطيع زراعتها حسب كمية المياه المتاحة.

أما المناطق المعتمدة على العيون والينابيع، مثل الأحساء والقطيف والمدينة وخيبر والحائط وبعض المناطق الأخرى، فنظراً إلى أن جزءاً كبيراً من الأراضي الزراعية فيها يعتمد على مصادر مياه



الري من الآبار بالسواني







ساق يجري من عين حنين – الشرائع

مشتركة، فإن مساحة المزارع كانت، وما زالت، تعتمد اعتماداً رئيسياً على كمية المياه المخصصة لكل مزرعة، وهو سهم قد حدد منذ مئات السنين، وتوارثته الأجيال جيلاً بعد جيل من دون أي تغيير. ولذلك فإن صاحب المزرعة، وإن كان بجانبه أرض صالحة للزراعة، لا يستطيع أن يزيد من مساحة مزرعته سواء بالشراء أو بغيره، ما لم تكن هذه الأرض الجديدة مصحوبة بحقها من المياه. بل إن المشتري في بعض المناطق، كالأحساء، لا يستطيع أن يسقي هذه الأرض الجديدة من نصيبه من الماء المخصص لمزرعته الأولى، لأن هذا الحق محدد بزمن معين ولقطعة معينة من الأرض دون غيرها. وبسبب ذلك فإن الوضع في المناطق الزراعية المشهورة المعتمدة على العيون، يدل على أن ملكية المزارع، هي في واقع الأمر، تابعة لحصته من المياه. ولما كانت هذه المناطق تمتاز بكثافة سكانية أكبر من المناطق الأخرى، ومعظم سكانها يعتمدون على الزراعة فقد كان الوضع السائد؛ وجود عدد كبير من المزارع مرتبطة بحقوق مياه معينة، ومساحات ضيقة.

من ناحية أخرى فإن القرب والبعد من مصادر المياه (العيون) وقنوات الري الرئيسية له أهمية كبرى في هذه المناطق، يفوق بها نوعية التربة وصلاحية الأرض للزراعة. ولذلك فمن الشائع في أراض زراعية كتلك، أن الملكية الزراعية الواحدة قد تتألف من عدد من القطع المختلفة، لأن الشركاء في العين يحاولون أولاً اقتسام أكثر الأراضي أهمية، وهي تلك المحيطة بقنوات الري الرئيسية، ثم يقتسمون الأراضي التي تليها وهكذا. والمحصلة النهائية أن اختلاف قيمة الأراضي الزراعية وأهميتها تبعاً لقربها وبعدها عن مصدر الماء، يجعل الشركاء حريصين على أن





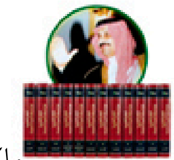


آثار عين أم خفس بعد اندثارها

يحصل كل منهم على نصيبه من الأراضي القريبة والبعيدة على حد سواء، وهو ما ينعكس بالطبع في تعدد قطع الحيازة الواحدة وتشتتها.

**صلاحية الأرض للزراعة.** تتفاوت أهمية هذا العامل في التأثير على مساحة المزارع وتوزيعها من منطقة إلى أخرى. فأهميته قليلة إلى حد كبير في المناطق الوسطى والشمالية من البلاد وفي معظم المناطق الأخرى المعتمدة على القلبان والسواني في ري الأراضي الزراعية، كما أن أهميته أيضاً قليلة في المناطق المعتمدة على العيون، لأن كمية المياه المتاحة هي العامل المؤثر الأكبر. وتقل أهمية هذا العامل في المناطق المعتمدة على الري من القلبان، إذ إن الأصل في تحديد الأماكن الزراعية في هذه المناطق هو صلاحية الأراضي للزراعة، سواء من حيث جودة التربة أو ملاءمة التضاريس. أما تحديد مصدر الماء فالمجال واسع للمزارع في أن يحفر بئره في أي مكان يشاء. ولما كانت الأراضي الصالحة للزراعة كثيرة بشرط توافر الماء، فإن بمقدور المزارع أن يختار الأرض التي يريد، ثم يحفر فيها بئراً، فإذا خرج الماء كان بوسعه أن يزرع من الأرض ما يشاء.

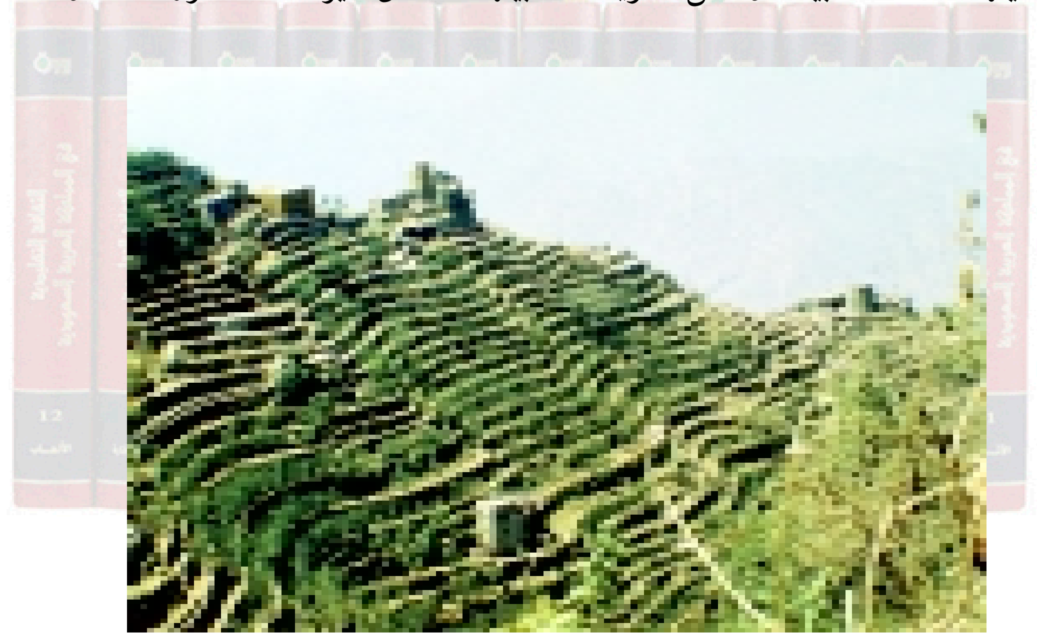
أما في المناطق الجبلية، كما هو الحال في جبال الحجاز والباحة وعسير،



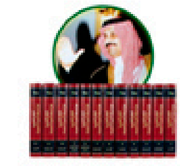


فإن هذا العامل يكتسب أهمية كبيرة في تحديد مساحة المزارع، بل إنه يعد أهم عامل مسؤول عن صغر مساحة المزارع وتفتتها في هذه المناطق. فوعورة التضاريس تجعل الحصول على أراضٍ صالحة للزراعة أمراً في غاية الصعوبة؛ لذلك نجد أن كثيراً من الأراضي الزراعية في هذه المناطق هي مصاطب (ركبان) على جوانب الجبال، استغرق إعدادها وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً، وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل. ومما يحد من امتداد المساحات المزروعة في هذه المناطق أنها من أكثر مناطق المملكة التي تنتشر فيها الأحمية، والأحمية، مناطق ملكيتها مشاعة للقبيلة أو أهل القرية، وهي مخصصة أساساً للرعي والاحتطاب.

وإلى جانب أن الأراضي الصالحة للزراعة قليلة، فإن هذه المناطق تمتاز بكثافة سكانية عالية، نشاطها الرئيسي هو الزراعة منذ مئات السنين. ولذلك نجد أنه في ظل ضيق الأرض الزراعية وكثافة عدد السكان، فإن سكان هذه المناطق كانوا مضطرين إلى تقاسم المتاح من الأرض الزراعية بينهم، وهو ما انعكس مباشرة على صغر مساحات المزارع. من ناحية أخرى فإنه لما كانت الأراضي الصالحة للزراعة لا توجد بمساحات كبيرة بل هي بقع متناثرة هنا وهناك تفصل بينها مناطق غير صالحة للزراعة، ولما



مصاطب زراعية

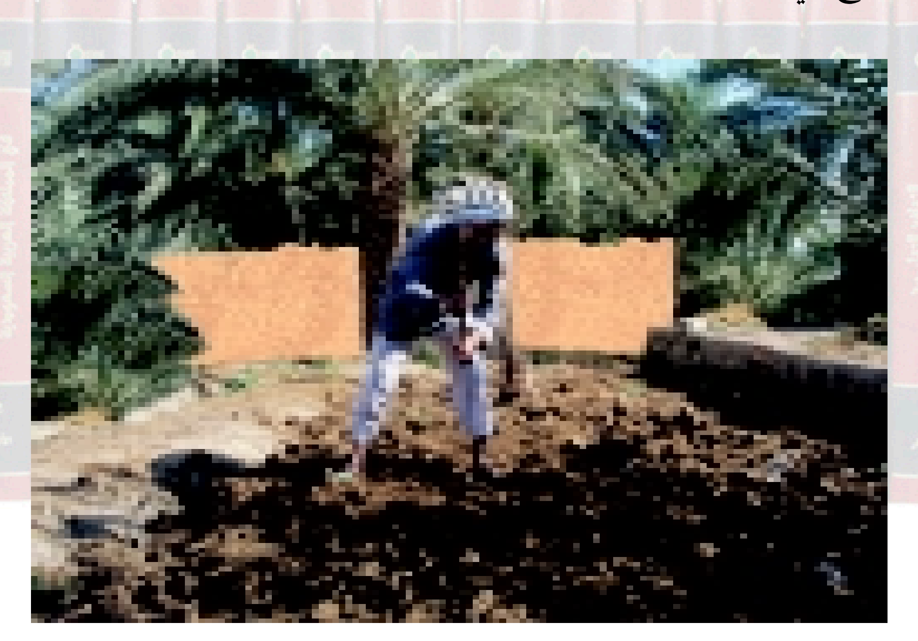




كانت هذه المناطق الزراعية تتفاوت في أهميتها، وفي نوعية التربة، وميل الأرض، والخوف من الصقيع؛ فإن المحصلة النهائية أن الملكية الزراعية لا تتصف فقط بصغر المساحة، بل بتفتتها وتشتتها كما أسلفنا، وعلى سبيل المثال فإن إحدى الملكيات الزراعية القديمة في منطقة الشفا في الطائف مقسمة إلى ثلاثين قطعة رغم أن مساحتها لا تتجاوز ٦ دونمات فقط.

**الأدوات والإمكانات.** إن بدائية الآلات المستخدمة في الزراعة التقليدية، وقلة إمكانات المزارعين في ذلك الوقت، تعد من أهم الأسباب التي كانت تحد من التوسع في الزراعة. فبالإضافة إلى الأدوات المستخدمة في رفع المياه من الآبار (السواني)، فإن الأدوات الأخرى المستخدمة في جميع مراحل العمليات الزراعية كانت تعتمد على الجهد العضلي للإنسان والحيوان، وهو جهد ضعيف.

فحراثة الأرض، مثلاً، كانت إما بالمساحي (العزق)، أو النداركما هو معروف في الأحساء، اعتماداً على الجهد العضلي للإنسان، وإما باللوحة التي هي نوع من المحاريث (الجارة أو السكة) التي تجرها الثيران أو الجمال. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن الري بالغمر، والحصاد، ودياس المحصول وذرايته وتنقيته. فهذه العمليات تحتاج من المزارع إلى جهد كبير ووقت طويل، وهو ما يجعل المزارع،



التعامل مع الأرض بالجهد العضلي للإنسان







حراثة الأرض بالثيران

في ذلك الوقت، غير قادر إلا على فلاحة مساحة ضيقة من الأرض، وهو ما انعكس على مساحة الحيازات الزراعية القديمة.

ومن ناحية أخرى، فإن إمكانات المزارعين المادية في ذلك الوقت كانت ضئيلة جداً، فأكثرهم غير قادر مثلاً على أن يستخدم مزيداً من الحيوانات لرفع الماء أو لحراثة الأرض، أو لاستئجار بعض العمال الذين يساعدونه في العمليات الزراعية المختلفة. ولذلك فإن معظم المزارعين كانوا يعتمدون على جهدهم الذاتي وجهد أفراد أُسرهم ومساعدة جيرانهم وما توافر لهم من حيوانات. وفي ضوء هذه الحقائق لم يكن المزارع حريصاً، في معظم الأحيان، على توسيع مساحة مزرعته، بل كان في الغالب يقتصر على مساحة صغيرة يستطيع أن يزرعها بما توافر له من



الجارة، محراث تجره الثيران

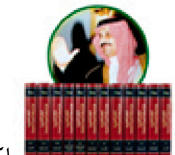




إمكانات ضئيلة. ويمكن أن نستثني من ذلك المزارعين في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة، حيث كان يحرص كل مزارع هناك على التوسع ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ولكن طبيعة البيئة تحول دون ذلك في أغلب الأحيان.

**الإرث.** تخضع الأراضي الزراعية، كغيرها من الممتلكات الأخرى، للقسمة بين الورثة بعد وفاة صاحب الملك، طبقاً لأنظمة وأحكام الشريعة الإسلامية. وعلى الرغم من أن كثيراً من الورثة يبقون على مزارعهم التي ورثوها عن أقاربهم، كوحدة واحدة دون تجزئة، ويتشاركون في فلاحتها وإنتاجها، أو يوكلون فلاحتها إلى واحد منهم أو من غيرهم بأجرة معينة، أو بجزء من الإنتاج، إلا أن الورثة في حالات أخرى قد يفضلون قسمة المِلْك بينهم حسب أنصبتهم الشرعية، ولذلك فإن نظام الإرث يعد أحد العوامل المهمة في تقليص مساحة الحيازات والمزارع. وتبرز أهمية هذا العامل بصورة أكبر في المناطق الزراعية القديمة التي ترتبط الزراعة فيها بمورد مائي معين كالعيون، كما هو الحال بالنسبة للأحساء والقطيف، أو في المناطق المتصفة بقلة الأراضي الصالحة للزراعة، كما هو الحال في المناطق الجبلية حيث يؤدي تقسيم الملكية الزراعية بين الوارثين جيلاً بعد جيل إلى تفتت الحيازات الزراعية وتضاؤلها مع مرور الزمن. ولما كانت الملكيات الزراعية في هذه المناطق تختلف، كما أسلفنا، في أهميتها حسب قربها وبعدها من مصادر الماء، وحسب نوع التربة وشكل التضاريس، كان الورثة أحياناً لا يكتفون بتقسيم الملكية إلى قطع تتناسب مع أعدادهم، بل يلجأون إلى تقسيم الحيازة الواحدة إلى أجزاء حسب الأهمية، ويكون لكل واحد منهم سهم من كل واحد من هذه الأجزاء. ولذلك فإن كل وارث قد يحصل في النهاية على عدد من القطع المتباعدة والمتفاوتة في أهميتها الزراعية. ولذلك فإن توارث الأراضي الزراعية لا يؤدي إلى تقليل مساحة الحيازة الزراعية فقط بل إلى تفتيتها إلى عدد من القطع المتباعدة.

**الغرض من الإنتاج.** من أهم خصائص الزراعة التقليدية في الجزيرة العربية أنها زراعة معاشية، أو زراعة للاكتفاء الذاتي يستهدف المزارع منها سد احتياجات أسرته من الطعام والمستلزمات الأخرى أولاً، ثم يبيع ما تبقى، ولم تكن التجارة واردةً في مخيلة وخطط المزارعين التقليديين. والاستثناء الوحيد لذلك أن المزارع قد يلجأ إلى الاستدانة من بعض التجار لسد ما





يحتاج إليه مــن متطلبات، ويقضي لهم دينهم من محصوله بعد الحصاد. أما زراعة المحصول لغرض البيع المباشر فقليل جداً بل يُـعد من العـيب في بعـض المناطـق الزراعية حتى وقت قريب، أن يبيع المزارع الفائض من محصوله، فكان يوزعه على الأقارب والجيران والفقراء.

ومن ناحية أخرى، فإن ضآلة مساحة الأراضي الزراعية قديماً، وانعزالها، وقلة الامكـانات المادية للـسكان فـي ذلك الوقت، كانت جميعها تحد من الطلب على المنتجات الزراعية، وبالتالـي تجعل المزارع يحجم عن التوسع الزراعي وزيادة الإنتاج. كما أن ضعف طرق المواصلات ووسائلها، والحالة الأمنيـة غير المستقرة في ذلك الوقت، كانت تحد من التبادل التجـاري بين القرى الـزراعية والمراكـز الحضرية الأخـرى. ولذلك فإن المزارع في ذلك الوقت كان يوجه إنتاجه أساساً لسد احتياج أسرته، وما يترتب عليه من التزامات للتجار.

ومن العوامل التي تسهم أيضاً، إلى حد ما، في تقلـص المساحات الزراعية نظام الـوقف. فنتـيجة للإهمـال الذي يصـاحب تـوارث النـظارة عـلى هذه الأوقاف عبـر السنين، أضحت مـعظم الأوقاف مهملة.

**المكانـة الاجتماعـية وحجم الحيـازة.**

وعلـى الرغم من أن الـظروف البـيئية والاقتصادية، المشار إليها آنفاً، كانت تحد وبشـكل كبـير مــن مساحـة الحيازات والملكيات الزراعية، فإن الناس في ذلك الوقت كانوا يسعون بقدر المـستطاع إلى توسيع أراضيهـم وممتلكاتهم الزراعية، خاصـة عِلية الـقوم والموسـرين الذيـن يستطيعون بما يتوافر لديهم من إمكانات مادية تمـلُّك وفلاحة مساحـات أوسع، سواء بالشراء أو الاسـتصلاح. ولذلك فإن ما ذكـر عن أن النمـط السائد فـي الزراعة التقليدية في الجزيرة العربية يتصف بصغر وتشتت الحيازة، ليس قاعدة ثابتة في كل الأحيان. فهناك مزارع كبيرة في كل منطقة من المناطق الزراعية المشهورة، خاصة تلك المناطق التي تؤهلها ظروفها الطبيعية لذلك كما هو الحال في المناطق المعتمدة في زراعتها على العيون أو الري المباشر من الأمطار والسيول. والواقع أن حرص النـاس، خاصة الأغنياء وعـلية القوم، على تملك أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعـية، يرجع إلى المـكانة والمنزلة الاجتماعية المرموقة التي يحظى بها كبار الملاك، لأن المكانة الاجتماعية للـشخص ومقـدار نفوذه في مـجتمع الفلاحين، كان يتناسب في الغالب تناسباً





طردياً مع مساحة الحيازة التي يمتلكها، خاصة في المناطق الزراعية ذات الشهرة الكبيرة كالأحساء والقطيف والمدينة ونجران وجازان وعسير والباحة.

إن هذه المنزلة الاجتماعية المرموقة التي يحتلها كبار ملاك الأراضي الزراعية، ترتبط بالمنزلة العالية التي تحتلها الزراعة في الاقتصاد التقليدي؛ إذ إنها كانت المهنة الرئيسية التي تدور في فلكها المهن الأخرى، خاصة أن الزراعة كانت المهنة المقبولة عند كل الناس خِلافاً للحرف الأخرى. ولذلك فإن صاحب الملكية الزراعية الكبيرة في المجتمع التقليدي غالباً ما يحتل قمة الهرم الاجتماعي، ويشار إليه بالبنان. فيوصف بعدد من الأوصاف، التي تدل على هذه المنزلة الاجتماعية. ففي القنفذة مثلاً يدعى من يمتلك مزرعة كبيرة بحرّاث كبير، وفي الباحة وعسير يقال إن فلاناً عنده مرجلة أو مراجل واسعة أي عنده أراض زراعية واسعة، وفي ذي عين يدعى من عنده مزرعة كبيرة بأن عنده ذُخرْ، وفي سراة عبيدة يدعى من لديه أرض زراعية واسعة بعمّال، وفي منطقة حائل يقال عنده أملاك، وهكذا. وكان من الأشياء المهمة التي يسأل عنها الشخص دائماً مساحة ما لديه من أراضٍ زراعية خاصة عند طلب الزواج من عائلة أخرى.

من ناحية أخرى فإن المنزلة الاجتماعية المرموقة التي يحتلها كبار ملاك الأراضي الزراعية ترتب عليهم عدداً من المتطلبات الاجتماعية تجاه مجتمعهم الزراعي والوافدين إليه، بحكم أنهم أكثر الناس غنىً وثروة. وتبرز أهمية هذه المتطلبات الاجتماعية من أن معظم الناس، في ذلك الوقت، كانت أحوالهم المادية ليست ميسورة، ولا يستطيعون في كثير من الأحيان تحمل المتطلبات المادية الطارئة، كتلك المترتبة على استقبال الضيوف، أو مساعدة المحتاجين الطالبين للعون (الرفد)، أو حتى المترتبة على ما قد يحل بمحاصيلهم وحيواناتهم من أمراض وآفات قد تتلفها وتحملهم الكثير من الخسائر. فأما ضيوف القرية أو المنطقة الزراعية فيكاد يكون من المتعارف عليه في معظم مناطق المملكة أن يتحمل المزارع صاحب المزرعة الكبيرة العبء الأكبر في استقبال الضيوف وإكرامهم إذا كان لديه استعداد فطري لذلك. وقد يكون اتجاه الضيوف إلى صاحب الملكية الزراعية الكبيرة دون غيره أمراً تلقائياً متعارفاً عليه بين الناس، وقد يخضع توزيع الضيوف على أصحاب القرية لنظام اجتماعي





محدد يتناسب في الغالب مع مساحة مزارعهم.

ففي بني مالك، مثلاً، يوجد نظام اجتماعي محدد، لتحمل أعباء إكرام الضيوف مبنيّ على ما يسمى بالنوائب، والنائبه هي خروف أو شاة تخصص لإكرام الضيوف الوافدين على القرية. وكل مزارع عليه عدد من النوائب في كل سنة تتناسب مع مساحة مزرعته. وعندما يأتي الضيف يتوجه مباشرة إلى المسجد، وبعد الصلاة يحدد المصلون من تكون عليه النائبه، فيأخذ الضيف أو الضيوف ويكرمهم على واحدة من الغنم. وفي مناطق أخرى من عسير يتجه الضيف أو الضيوف إلى المسجد، ويتولى توجيههم شخص يسمى المدوال، إما إلى أحد المزارعين، أو يوزعهم على أكثر من واحد إذا كان عددهم كبيراً. وفي القنفذة يوجد في بعض القرى أماكن تسمى المِنْـزَله، وهي المكان الذي ينزل فيه الضيف، ويصرف على هذه المِنْزَلة من أوقاف زراعية من شيخ القبيلة وبعض المزارعين الموسرين. أما في منطقة حائل فلا تسري مثل هذه الترتيبات، حيث يكون بالقرية واحد أو اثنان، أو مجموعة من الأعيان من أصحاب المضافات، الذين يستقبلون الضيوف بأريحية ذاتية دون النظر إلى حجم المزرعة، وقد يساعدهم آخرون ولكن بطريقة غير معلنة -بالذبائح وغيرها- إذا احتاجوا إلى ذلك.

كما كان من الأشياء التي يتحملها المزارعون الأولون تقديم المساعدة للمحتاجين، خاصة أولئك الذين تحل بأملاكهم أو حيواناتهم آفة أو مرض أو كارثة طبيعية. ويشيع طلب العون (الرفد) في المجتمعات الزراعية ذات الصبغة القبلية، كما هو الحال في نجران وجازان وعسير والباحة وحائل وغيرها، حيث يتجه المحتاج إلى أفراد فخذه أو قبيلته أو قريته طلباً للعون، ويسمى هذا الشخص مسترفدْ أو متعوّنْ. والغالب أن يكون تبرع كل مزارع حسب استطاعته، ولا علاقة له بحجم المزرعة. كما أن هذا العون غير ملزم في كثير من الأحيان، ولكن الناس دائماً يتوقعون من كبار ملاك الأراضي الزراعية أن يتحملوا العبء الأكبر. وفي بعض المناطق، كنجران مثلاً، يوجد نظام مالي اجتماعي محدد لمجابهة مثل هذه الظروف وغيرها، تتناسب المساهمة فيه مع مساحة الملكية الزراعية. ويدعى هذا النظام بنظام الفروق، والفرق هو كمية من القمح تبلغ ١٢ مداً، أو عذقاً من التمر، ويؤدي كل مزارع عدداً من الفروق تتناسب مع





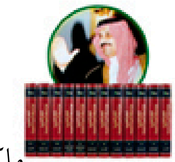
مساحة مزرعته وعدد أشجار النخيل لديه، وتباع هذه الفروق في كل موسم وتوضع قيمتها عند شخص موثوق به من أصحاب القرية يسمى أمين الفروق. ويصبح هذا المال على شكل صندوق تعاوني يتولى أمين الفروق إدارته، فيعطي منه المحتاج أو من عليه دين أو دية، أو من هلكت حيواناته، أو تعرضت مزروعاته وممتلكاته لضرر. كما يعطي منه طالب الرفد والمساعدة سواء من القرية أو القبيلة. وهي تسمى في شمال الباحة عَمْلَه، وهي مشتقة من العمل، أما في جنوبها فتسمى عانه وهي مشتقة من العون، وكل ذلك يكون في إطار من الود والتكافل بين المزارعين.

والخلاصة أن مجمل العلاقات التي كانت سائدة في المجتمع الزراعي في الجزيرة العربية المبنية على تعاون المزارعين، سواء في تحمل أعباء العمل الزراعي، أو مقابلة المتطلبات الطارئة، كانت مرتبطة إلى حد كبير بنوع الملكية ومساحة الحيازة. ولمّا كان السواد الأعظم من المزارعين مالكين لأراضيهم الزراعية، ومعظم المزارع ذات مساحة صغيرة، ساعد ذلك كثيراً على توثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بينهم، ولذا فإن صور التعاون والتكافل الاجتماعي المشار إليها آنفاً، سواء في إكرام الضيف أو مساعدة المحتاج، ما هي إلا انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية المرتبطة بنوع الملكية ومساحة الحيازة، وهي صور سوف نتعرف لاحقاً على المزيد منها.

## اختيار الأرض وإعدادها للزراعة

من الطرق الشائعة لتملك أرض زراعية وحيازتها في وسط المملكة، طريقة إحياء الأرض وزراعتها. فمتى وضع أحد الأشخاص يده على قطعة من الأراضي البور غير المملوكة وحفر بها بئراً، أو مد لها الماء من أي مصدر آخر، وزرعها حتى أثمر زرعها امتلكها تلقائياً، تطبيقاً للقاعدة الشرعية «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له».

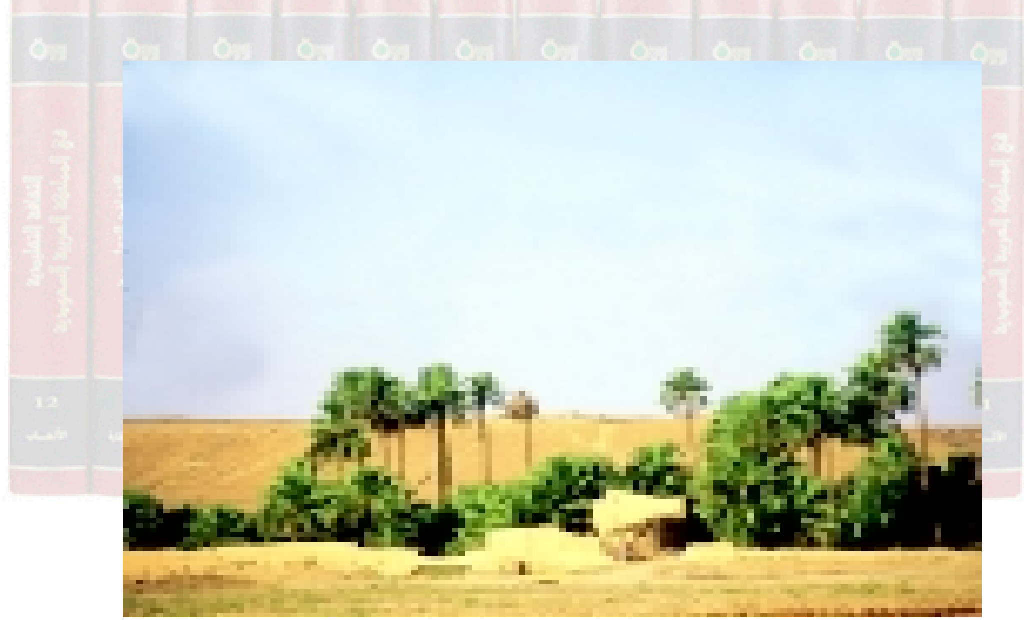
وكان المزارعون منذ القدم يحرصون على أن يكون هذا الاختيار دقيقاً، سواء من حيث مواصفات الأرض أو موقعها، لإدراكهم أن اختيار الأرض يعد الركيزة الأساسية لنجاح الإنتاج الزراعي وتحقيق الأمن الغذائي للمزارع. ولذلك كان المزارعون القدماء يأخذون في اعتبارهم، عند اختيارهم لأراضيهم الزراعية، مجموعة من العوامل والاعتبارات أهمها استواء الأرض، وصلاحية تربتها للزراعة. ويعد هذا المعيار من أهم الشروط التي يجب مراعاتها عند اختيار الأرض الزراعية،





خاصة في المناطق الوسطى والشمالية، التي تتميز بتوافر قدر أكبر من هذه الأراضي. ويرجع حرص المزارع على اختيار الأراضي المستوية إلى أن هذه الأراضي لا تحتاج إلى جهد كبير في استصلاحها وإعدادها للزراعة، بعكس الأراضي الوعرة التي تحتاج إلى جهد مضاعف لتسويتها وتجهيزها لزراعة المحاصيل. ولذلك فالمناطق التي لا تتوافر فيها أراضٍ مستوية، كما هو الحال في جبال الحجاز، تحتاج إلى جهد مضنٍ من المزارع لاستصلاحها، قد يمتد إلى بضع سنين.

ومن أهم عوامل اختيار الأرض الزراعية توافر الماء الكافي للري سواء أكان مصدره أمطاراً أم سيولاً أم عيوناً أم مياهاً جوفية يحصل عليها بحفر الآبار. ويعد توافر الأمطار بكميات جيدة أهم العوامل في استصلاح منحدرات الجبال في المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، رغم أن إعدادها للزراعة يحتاج إلى جهد كبير. وللسبب نفسه نجد أن المناطق التي تنتشر فيها الينابيع والعيون تعد من أشهر المناطق الزراعية، رغم أن أرضها وتربتها أحياناً قد لا تكون على درجة كبيرة من الجودة والخصوبة. أما ما سوى ذلك فإن الزراعة تقتصر على المناطق التي توجد فيها مياه جوفية قريبة من السطح، يسهل الوصول إليها بحفر الآبار ورفعها بالسواني. ولذلك فالمناطق القريبة من الأودية الرئيسية وعلى ضفافها، والمناطق الحوضية المنخفضة التي



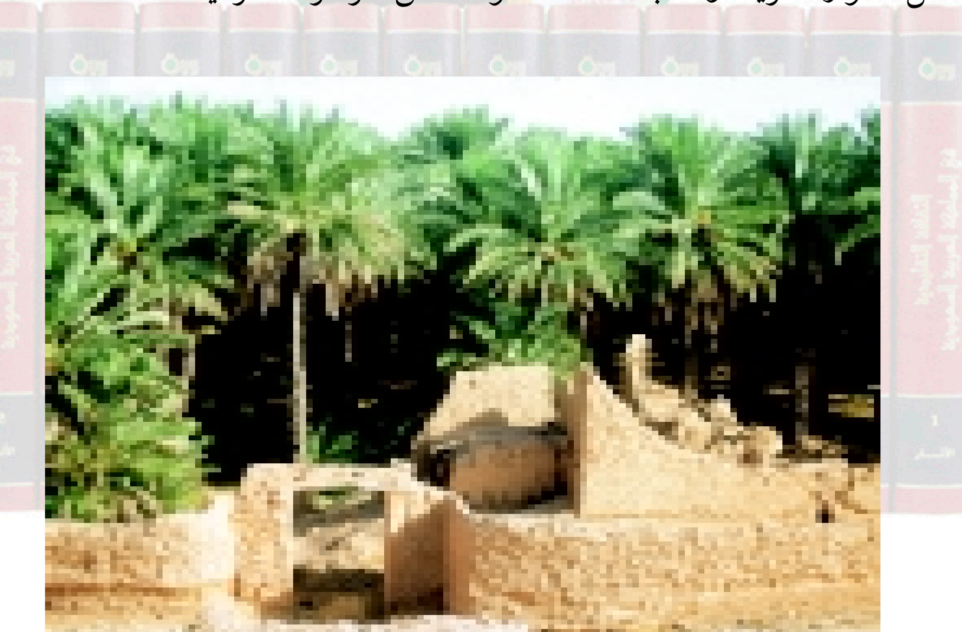
الزراعة على ضفاف الأودية



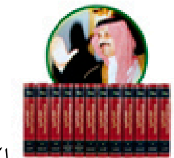


تتميز بوفرة مياهها، هي أبرز المناطق التي كانت تتركز فيها الزراعة في معظم مناطق المملكة.

ومن النقاط المهمة التي كان المزارعون التقليديون يحرصون على توافرها في أراضيهم الزراعية، أن تكون قريبة من المراكز العمرانية والقرى الزراعية. ويرجع ذلك إلى أن الجزيرة العربية، ولفترات طويلة، كانت تعاني من ضعف الأمن ومن القلاقل، ولذا كان على المزارعين أن يختاروا أراضيهم الزراعية قريبة من القرية، حتى يسهل الدفاع عنها وحمايتها من الغزاة، بل إن الحال قد يستدعي أن تكون معظم المزارع أو جميعها أحياناً داخل أسوار القرية أو البلدة، كما هو الحال في عنيزة وبريدة والمدينة المنورة. وقد كان هذا العامل من العوامل الحاسمة في اختيار الأرض الزراعية في بعض المناطق، ولذا كانت هناك أراض زراعية خصبة تمتاز بوفرة مياهها يعرفها المزارعون حق المعرفة، ولكنهم كانوا يحجمون عن زراعتها واستغلالها لبعدها عن المراكز العمرانية، ومن ثم صعوبة الدفاع عنها وحمايتها. وقد ظل الحال كذلك حتى قدر الله لهذه المملكة أن تتوحد تحت قيادة الملك عبدالعزيز، فعم الأمن والاستقرار سائر أرجاء البلاد، فانتشرت لذلك المزارع في المناطق التي تجود تربتها وتتوافر المياه فيها حتى ولو كانت بعيدة عن المراكز العمرانية.



مزرعة قديمة محمية بسور







مسحاة من نجران

ويقصد باستصلاح الأرض الزراعية تلك العمليات التي يقوم بها المزارع قبل الشروع الفعلي بزراعة المحاصيل. ويشمل هذا النوع من العمليات توفير مصدر المياه، إذا كانت لا تعتمد على الأمطار مباشرة، كحفر الآبار وشق قنوات الري الرئيسية والفرعية، كما تشمل معالجة أي عيوب موجودة في الأرض، كتسويتها وتمهيدها وإزالة ما بها من الأحجار والأشجار، ثم حراثتها وتقسيمها إلى أحواض أو أشراب.

وعلى الرغم من حرص المزارعين القدماء على امتلاك واستصلاح أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية، والتطلع دائماً لامتلاك واستصلاح أراضٍ جديدة توفر مورداً إضافياً للمزارع وأسرته، إلا أن قدرتهم على استصلاح الأراضي وزراعتها في معظم الأحوال كانت ضعيفة؛ وهو أمر يسهل فهمه في ظل موارد المياه القليلة التي يمكن توفيرها من الآبار في بعض المناطق، وقلة المساحة الممكن استصلاحها في مناطق أخرى، خاصة المناطق الواقعة في سفوح جبال السراة وفي أوديتها المختلفة. كما كان اعتماد المزارع على جهده العضلي، وعلى بعض الأدوات اليدوية البسيطة كالمسحاة والعتلة والمحراث الذي تجره الحيوانات، إضافة إلى ضعف إمكاناته المادية في معظم الأحيان، وهو ما يحول دون استئجار عمال آخرين. إن جميع هذه العوامل كانت تحد من التوسع في استصلاح المزيد من الأراضي، خاصة في المناطق الوعرة التي تحتاج إلى جهد كبير لإعدادها للزراعة. ومن جانب آخر فإن مساحة الأرض التي يستصلحها المزارع ويزرعها في بعض الأحيان، ترتبط بمقدار حصته من الماء، كما هو الحال في الأراضي المعتمدة على العيون. ولذلك فإن المزارع حتى لو توافرت له أرض إضافية بجوار مزرعته، لا يستطيع استصلاحها ما لم يتوافر لها مورد مياه آخر. ولذلك فإن ملكية الزراعة تابعة لملكية الماء وحجمها يتحدد وفاقاً لحصة الماء التي يمتلكها المزارع في هذه العين



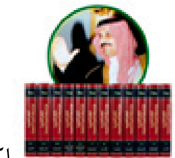


أو تلك. وفي كل الأحوال فإن أحقية توسع المزارع في استصلاح أراضٍ جديدة إلى جوار مزرعته أو حولها ليست حقاً مطلقاً للمزارع، فهناك عدد من الأنظمة والأعراف التي كانت تنظم هذه الحقوق، وهي نظم تعارف عليها الجميع يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

واستصلاح أرض ما للزراعة في معظم الحالات عملية شاقة ومضنية وتحتاج إلى وقت ليس بالقصير، قد يتراوح بين بضعة أشهر إلى بضع سنوات. ويتأثر نوع هذه العمليات وحجمها والمدة التي تستغرقها بعدد من العوامل، أهمها طبيعة الأرض المراد استصلاحها ونوعية تضاريسها. ويمكن أن نميز بين ثلاثة أنماط من الأراضي، وسنحاول أن نتتبع أبرز عمليات استصلاح كلٍّ منها على النحو التالي:

**الأراضي السهلية**. وهي معظم الأراضي الزراعية في المناطق الوسطى والشرقية والشمالية وكذلك سهول تهامة. وتعد هذه الأراضي أقل الأنواع الثلاثة كلفة في استصلاحها، والمدة التي يستغرقها هذا الاستصلاح. وتعتمد طبيعة عمليات الاستصلاح في هذا النوع من الأراضي على نوع الزراعة، ومصدر مياه الري. فالأراضي التي تُزرع اعتماداً على مياه المطر (الأراضي البعلية) يقتصر استصلاحها على إزالة ما بها من أحجار، وتقطيع وإحراق ما بها من أشجار، دون الحاجة إلى القيام بأي أعمال إضافية كالتسوية وتجزئة الأرض. ومن أمثلة هذا النوع من الأراضي أراضي القيعان والرياض التي توجد إلى جوار معظم القرى في المنطقة الوسطى والشمالية، التي يمارس فيها أهل القرية زراعة القمح اعتماداً على مياه المطر والسيول. فبعد تنظيف الأرض تجرّ ثم تبذر في سطحها بذور القمح، ويترك الزرع حتى وقت الحصاد من دون القيام بأي عمليات إضافية.

ويشكل هذا النوع من الزراعة جزءاً مهماً من الأراضي المزروعة في سهول تهامة، حيث يعمد السكان هناك إلى زراعة الأراضي السهلية المنبسطة البعيدة عن الأودية الرئيسية والجبال، وبالأسلوب نفسه تنظف الأرض من الأشجار والأحجار، وتزرع دون حاجة إلى تسويتها، حتى إن وجد اختلاف في مستوى الأرض. كما أن مستصلح مثل هذه الأراضي التي تعرف بالخبت لا يضع حواجز أو عقوماً لتحديد هذه الأرض المستصلحة أو تلك، ومثل هذه الأراضي التي تعتمد على مياه الأمطار المباشرة لا





تُزرع إلا دخناً وبطيخاً وأشباهه، ويبتهج الناس بموسم المطر والربيع في الخبت؛ قال الشاعر:

من فضل ربي هالسنه ربّع الخبت

وللخبت أغانٍ تسمى (الخبيتي). أما الأراضي التي تعتمد زراعتها على مياه الري، سواء من العيون أو الآبار، فإن عملية الاستصلاح تقتضي، بالإضافة إلى إزالة ما بها من أحجار وأشجار، القيام بخطوات أخرى أبرزها حفر البئر وتجهيزها بعدة السانية لرفع الماء، ثم شق قنوات الري الرئيسية من البئر أو العين إلى الأرض الزراعية المستصلحة. ولضمان وصول مياه الري إلى جميع أجزاء الأرض المراد زراعتها، وانسيابها بسهولة، فإن الأمر أحياناً يقتضي تسوية الأرض الزراعية، وتهذيب ما بها من مرتفعات وردم ما بها من منخفضات قبل الشروع في تقسيمها إلى أحواض أو أشراب، ومن ثم الشروع في بذرها وزراعتها.

ولأن استواء الأرض وانبساطها وجودة تربتها، كانت في معظم الأحيان من أهم المعايير، التي تختار على أساسها الأرض الزراعية في معظم المناطق الوسطى والشمالية، فإن الجهد المبذول في التسوية، عادة، يكون قليلاً. وتستخدم في ذلك المساحي والزنابيل



أرض سهلية





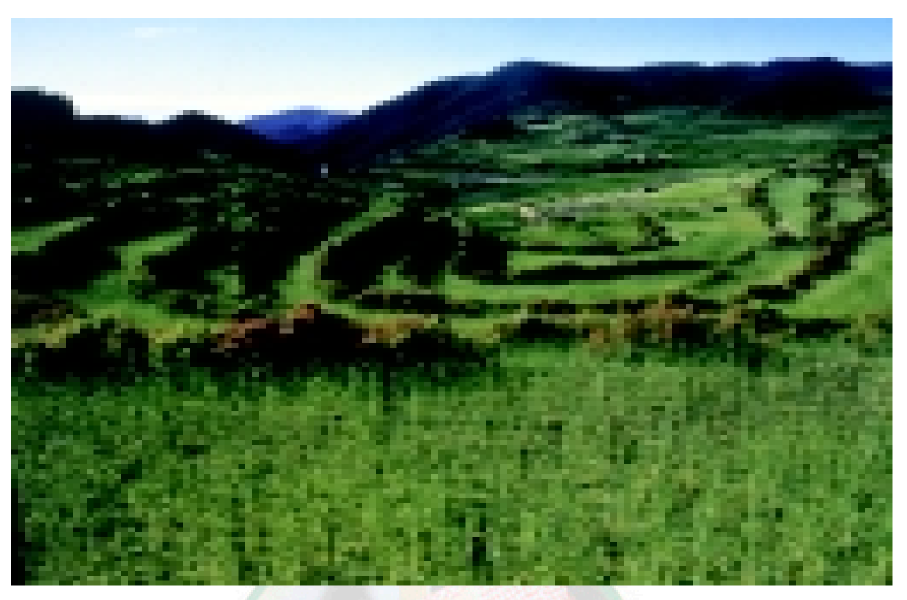
وأحيانـاً الوقر الذي يوضع عـلى ظهر الحمار عند حمل الأتربة من مكان إلى آخر داخل المزرعة. وفي بعض المناطق كنـجران والـباحة وعـسيـر والقنـفذة وجازان، يـستخدم المـزارع في تسويـة الأرض أداة تسمى المحَرّ؛ وهـي تصنع في الغالب من الخشب وتربط بالضماد المربوط عـلى رقبتي زوج من الثيـران؛ يجران المحر الـذي يدفع بدوره التراب أمامه من المـناطق المرتفعة إلـى المناطق المنخفضة. وبعد أن تتم تسوية الأرض تماماً يستـخدم المزارع هذه الأداة نفسها (المَحَرّ) في عمل حواجز (عقوم) حول المزرعة من التراب والرمال، لتكون عائقاً أمام الحـيوانات الطـليقـة من الدخول للمزرعة، ويسمى هذا الحاجز السوم، ويلي ذلـك حفر البـئر وشق القـنوات والشروع بالزراعة.

**الأراضي الجبـلية**. تشكـل الأراضي الزراعية على سفوح الجبال جـزءاً مهماً من الأراضي الزراعية في المنطقة الجبلية الممتدة مـن الطائف حتى حدود عسيـر الجنوبية، وفي الجبال المنـعزلة في سهل تهامة. ونظراً للميل الشديد للجبال في هذه المناطق، مما يجعل الأمطار والسيول تجرف التربـة فلا تترك أي فرصة لـنمو النبات، فإن القاعدة الأساسية التي اتبعها المزارعون في هذه المناطق منذ آلاف السنين حتى الآن، مبنية علـى عمل المدرجات والمصاطب الزراعية المتدرجة على سفوح تلك الجبال. والواقع أن استصلاح هذا النـوع من الأراضـي وبنـاء المصاطـب والمدرجات، عملية شاقة وتستغرق وقتاً أطول لاستصلاح أي أراضٍ أخرى. كما أن المساحات المستصلحة غالباً ما تكون على شكل قطع صغيرة لا تتجاوز مساحة أكبرها ٣٠٠٠م٢ وتتدنى أحياناً إلى ٢٠م٢ فقط.

واستصلاح سفح جبل ما يقتضي تقسيم هذا السفح إلـى شرائح حسب ارتفاع كل شريحة، حيث تأخذ شكلاً مستطيلاً، عرضها يمتد على طول السفح الجبلي أو جزء منه أما عمقها فلا يتجاوز بضعة أمتار. ويستصلح هذا النمط بإزالة الأشجار والشجيرات من سفح الجبل وكذلك الحجارة والصخور. ويلي ذلك بناء الجدار في الجـزء السفلي من كل مدرج. ويكون البنـاء، كما هو الحال في جدران الأودية، على أرض صلبة. وبعـد اكتمال الجـدار يكدس الـتراب والطين والتربة خلفه حتى يصبح سطحه مستوياً، وعندها يكون جاهزاً للزراعة. وتجلب التربـة للمصاطب الواقعة في سفوح الجـبل الدنيا مـن أراضٍ قريبة







زراعة الأراضي الجبلية – الطائف

تتوافر بها تربة سميكة. ويقولون في عسير «فلان يطين أرضه» أي يضع فيها تربة طينية، ويقال في الباحة «فلان يُمَدِّرُ أرضه» أي يأتي لها بالمدره، والمدرة هي التربة الطينية. أما المصاطب على السفوح العليا فلا تجلب لها التربة من أسفل بل تأتيها تربتها بالساقي أو الخليج الذي يبنى في أعلى الجبل لجلب الماء والتربة لهذه المصاطب. وتعتمد الزراعة في المصاطب الجبلية على الأمطار فقط، نظراً لارتفاعها ووقوعها على ميول جبلية لا تتوافر فيها مياه جوفية. والمحاصيل السائدة في المصاطب الجبلية هي الحبوب، حيث يزرع القمح والشعير شتاءً والذرة والدخن في فصل الصيف. ويندر أن تزرع محاصيل أخرى كالفاكهة والخضر. وتعرف المصاطب، أو المدرجات الجبلية الزراعية، بأسماء متعددة في سائر أرجاء المنطقة الجنوبية الغربية. فتعرف بالرُّكْبَان (واحدها رَكيب) في منطقة الطائف، كما يسمى واحدها العارض (وجمعها عرضان) في الطائف وبني مالك. وتسمى في الباحة الجُنُب (ومفردها جَنَاب)، وتسمى الغِفار في عسير، كما يطلق على المجموعة منها بعضها فوق بعض مسمى سِرْ.

**الأراضي الواقعة على ضفاف الأودية.**

ويعتمد هذا النوع من الأراضي على مياه السيول، سواء في ري المزروعات، أو

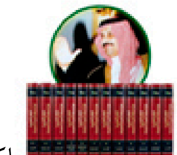






الزراعة على ضفاف الأودية – المجمعة

في جلب الطين والغرين لتكوين تربة سميكة صالحة للزراعة، وتجديد خصوبتها عاماً بعد آخر. وينتشر هذا النمط على ضفاف مختلف الأودية في سائر مناطق المملكة، ولكنه يكتسب أهمية كبيرة في المناطق الجبلية، كما هو الحال في المنطقة الممتدة من الطائف حتى الحدود الجنوبية الغربية للمملكة. واستصلاح هذا النوع من الأراضي ينطلق من قاعدة عامة في مختلف المناطق، وهي الاستفادة من سيول هذه الأودية في ري تلك الأراضي المستصلحة، وتجديد خصوبتها بما تجلبه السيول من الطمي والطين كل عام، وفي الوقت نفسه اتقاء أخطار هذه السيول بوضع حواجز قوية من الأحجار، أو غيرها، على شكل جدران بين الأراضي الزراعية ومجرى الوادي. وتكمل العملية بشق قناة، بحجم يتناسب وحجم المزرعة، لإمدادها بحاجتها من المياه والطمي. وتعتمد قوة هذه التحصينات وأهميتها على شكل الوادي وقوة جريان السيول وتكرارها. فالأودية في المنطقة الوسطى والشمالية متسعة، وجريان مياه السيول فيها بطيء، وأقل تكراراً من المناطق الجبلية. ولذلك فإن المزارعين في هذه المناطق قد يكتفون بوضع حواجز من التراب على شكل عقوم بين المزرعة ومجرى الوادي. فإذا هطلت الأمطار وسالت الأودية، هب المزارع ومعه جميع القادرين من أفراد أسرته للتأكد من دخول





السيل إلى مزرعته وريها، دون الإضرار بها وبمزروعاتها. وعلى كلٍ فالسيول في هذه المناطق يعتمد عليها كمورد إضافي للمياه لقلتها وعدم انتظام جريانها.

أما في مناطق جبال الحجاز فإن استصلاح الأراضي المجاورة للأودية، والتوسع على حساب مجراها أحياناً، يكتسب أهمية كبيرة. وسبب ذلك قلة الأراضي الصالحة للزراعة، مع اعتمادها على السيول في ريها إذ هي مورد وحيد في معظم الأحيان. من جانب آخر، فإن قوة الانحدار وغزارة الأمطار في هذه المناطق وقصر الأودية وضيقها، جميعها تعمل على زيادة سرعة جريان السيول واندفاعها. ولذلك فإن استصلاح الأراضي على ضفاف هذه الأودية يقتضي عمليات شاقة لحمايتها من السيول، وتغطيتها بتربة سميكة صالحة للزراعة. ومن ثم فإن المساحات المستصلحة على ضفاف الأودية في الغالب صغيرة وقليلة.

وبوجه عام فإن طبيعة هذه العمليات وحجمها ومقدار ما تقتضيه من الجهد والوقت، يعتمد على طبيعة الوادي ودرجة انحداره وسرعة جريان المياه فيه. ففي نجران مثلاً، حيث تكون الأودية أكثر اتساعاً وأقل انحداراً، يحيط المزارع الأرض المراد استصلاحها بحواجز من التراب تسمى عقومْ، وتستخدم الثيران وأداة المحرّ في هذه العملية، كما يستخدم المحرّ أيضاً في تسوية الأرض وإصلاح منسوبها، بعد أن يزيل المزارع ما بها من أحجار كبيرة ويقطع ما بها من أشجار وشجيرات. وبعد عمل هذه العقوم من الرمل والتراب، يشق المزارع مجرى للماء من الوادي إلى المزرعة الجديدة، أو الأرض المستصلحة يعرف باسم المَنْشِي. والهدف من بناء المنشي هو إيصال التربة إلى هذه الأرض المستصلحة، حتى تصبح سميكة صالحة للاستزراع. كما أن هذا المنشي، بعد ذلك، يجلب الماء ويجلب معه الطمي والطين لتجديد التربة باستمرار.

وعندما تقع الأرض الجديدة المستصلحة أمام قطعة زراعية قديمة يملكها مستصلح الأرض وملاصقة لها، فإن استصلاحها قد يقتضي مزيداً من الجهد والوقت، حيث يفضل كثير من المزارعين أن يكون منسوبها مساوياً لمنسوب الأرض الزراعية القديمة. والهدف من ذلك أن تضمَ القطعة الجديدة إلى المزرعة القديمة دون وجود أي حواجز. وعلى كل حال فإن استصلاح هذا النوع من الأراضي في نجران أكثر سرعة وأقل جهداً من أي منطقة أخرى في الإقليم الجنوبي الغربي من المملكة.

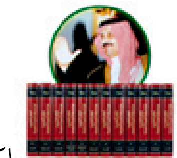




إن استصلاح أراضٍ جديدة على جنبات الأودية القصيرة شديدة الانحدار في المنطقة الجبلية الممتدة من الطائف حتى حدود عسير الجنوبية، يستغرق وقتاً أطول ويحتاج إلى جهود أكبر، وعمليات أكثر كلفة وتعقيداً. ومع كل هذا الجهد فإن حصيلة الاستصلاح تكون في الغالب مساحة ضئيلة. وتبدأ عملية استصلاح هذا النوع من الأراضي في تلك المناطق ببناء حاجز قوي من الأحجار الكبيرة جهة الوادي، يسمى عرَاقْ في منطقتي الطائف والباحة، وقَنْطَرَة أو جِدَارْ في منطقة عسير. ويبدأ المزارع بحفر مكان ذلك الجدار حتى يصل إلى أساس صلب وقوي، ويقولون «ابن الجدار أو العراق أو القنطرة على عَزَاز» أي أرض صلبة، ويقولون «احفر الجدار حتى تصل الصَفَا» أي الصخر. وإذا لم يجد المزارع أرضاً صلبة، فإنه يحفر عادة بعمق متر وعرض متر، ويبدأ بوضع أساس الجدار الذي يدعى السّامه. وتكون حجارة السامة كبيرة الحجم غالباً، وكذلك حجارة الجدران على جوانب الأودية، خاصة الجزء المواجه للوادي حتى تستطيع الصمود والبقاء أمام قوة السيول. وبسبب قلة المورد المالي والوقت المتاح للعمل في الجدار، لانشغال المزارع بالعمليات الزراعية المختلفة من بذر وري وحصاد، ولأن الحجارة اللازمة لبناء الجدار ليست متوافرة دائماً، وغالباً ما يجمعها المزارع



الزراعة على ضفاف الأودية الجبلية





من الأودية خاصة بعد جريانها بقوة حيث يحمل الماء معه الأحجار، كان بناء الجدار يستغرق وقتاً قد يزيد في بعض الأحيان عن العام أو العامين. وقد يستعين المزارع بأقاربه أو أهل قريته من الرجال لمدة يوم فقط، وتسمى هذه العملية في عسير عَانَة، كما تسمى عَمْله أو صَرْعَه في منطقة الباحة.

وقد يحدث أن يتعرض الجدار الجديد في كثير من الأحيان للهدم الجزئي أو الكامل قبل أن يكتمل بناؤه بسبب السيول الشديدة. وفي هذه الحالة فإن المزارع قد يُقلع عن الفكرة تماماً، وقد ينتظر لمدة سنة أو أكثر أو أقل حتى تتهيأ الظروف ويعاود البناء. والتوسع على حساب مجرى الوادي فيه كثير من المجازفة، ولذلك كان المزارع دائماً في صراع مع السيول، حتى وإن اكتمل بناء الجدار. فبعد أن يكتمل البناء وتزرع هذه الأرض المستصلحة، ويتعرض جزء من الجدار أو كله للهدم، فإن المزارع يعاود البناء مهما كلفه ذلك من جهد ومال وفي أسرع وقت، حتى لا تتعرض تربة الأرض للجرف، عند جريان الوادي مرة أخرى.

وإذا أراد المزارع أن يجعل الأرض المستصلحة على مستوى الأرض القديمة المزروعة، فإنه بعد أن يبلغ ارتفاع الجدار الجديد حوالي نصف متر عن الأرض، يأخذ حجارة الجدار القديم حجراً بعد الآخر. وغالباً ما كان المزارع ينقلها على كتفه، إذا كانت خفيفة أو على ظهره أو ظهر من يستأجره أو يستعين به، إذا كانت ثقيلة، أو يحمل الحجر اثنان بين أيديهم، أو يحمله أربعة أشخاص مربوطاً على خشبتين تحملان على الأكتاف. ومن الأمور المهمة أن الجدار القديم لا يهدم دفعة واحدة وإنما تستخرج الحجارة حجراً حجراً، حتى إذا داهمه السيل، فإن جزءاً من الجدار القديم يظل يحمي تربة الأرض القديمة. وبعد أن يكتمل بناء الجدار الجديد ويزال الجدار القديم فإن هذه الأرض المستصلحة تحتاج إلى تربة لتتساوى في المنسوب مع الأرض القديمة. ويبدأ المزارع بنقل التربة من الأرض القديمة إلى الأرض الجديدة باستعمال ثورين ويربط بهما المحرّ، وقد يستخدم أربعة أو ستة ثيران مستعيناً بأهل قريته. ويربط كل ثورين معاً مربوطاً بهما المحرِّ. ويقولون في الباحة والطائف عندما يقوم المزارع بهذه العملية إنه «يساوي الأرض»، ويقال في عسير «يُرَيّح الأرض» أي يجعلها في منسوب واحد.

وقد لا تكون التربة في الأرض القديمة كافية في بعض الأحوال لتسوية

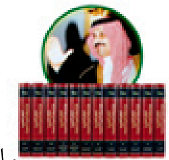






تسوية الأرض

الأرض المستصلحة، وهنا يكون البديل أن يعتمد المزارع على الساقية التي توصل ماء الوادي إلى أرضه القديمة وتحمل معها الطين والتربة في كل مرة، لتقوم بالدور نفسه في الأرض المستصلحة الجديدة، حتى تصل التربة إلى سمك جيد، فتصبح صالحة للزراعة. وقد يستغرق استكمال تجميع التربة لتصل إلى سمك كافٍ مدة تتراوح بين نصف سنة إلى أكثر من سنتين، حسب عدد المرات التي يجري فيها الوادي. فإذا جرى الوادي ثلاث مرات أو أربعاً، فإنها قد تكون كافية لتراكم التربة حتى تصل إلى سمك جيد، وبعدها تصبح الأرض صالحة للزراعة. وللإسراع في هذه العملية قد يلجأ المزارع، في بعض الأحيان، إلى جلب تربة طينية من أماكن أخرى. وقد تكون هذه الأماكن أراضيَ زراعية يملكها المزارع نفسه وتربتها سميكة يمكن الأخذ منها، أو قد تكون أراضيَ بعيدة ومهجورة لا يملكها أحد تجمعت فيها تربة طينية صالحة للزراعة. وينقل المزارع التربة من هذه الأماكن على ظهور الحمير أو الجمال في وعاء يسمى مَتْرَبه أو مِرْبَدَه، ولذا يقال لمن ينقل التربة لمثل هذه الأراضي المستصلحة «فلان يترِّب الأرض».

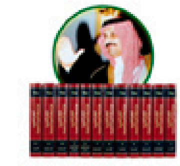




وتـزداد تكـلفـة اسـتصـلاح هذه الأراضي عندما لا يكون بمقدور المزارع أن يجعل الأرض الجديدة المستصلحة في المنسوب أو الارتفاع نفسه لأرضه الزراعية القديمـة المجاورة لها، أو عنـدما تكون الأرض المستصلـحة غير مجاورة أصلاً لأي أرض زراعيـة قديمـة. ففـي هذه الحالات يكون بنـاء الجدار الحامي أكثر كلفة ومشقة، لأن المزارع سيحـتاج إلى كميـة أكبر من الأحجـار الكبيـرة التي يستغرق جلبها مزيداً من الوقت والجُهد والمال. كما أن الأراضي المستصلحة في هذه الحالة، تحتاج إلى ساقية جديدة تجلب لها الماء والتـربة من الوادي حتى تصل تربتهـا إلى عمق كاف يجعـلها صالحة للزراعة. وقد سبق أن ذكرنا أن الساقية التي تجلب الماء والتربة للأراضي الزراعية تأخذ أسـماء مختلفـة في هذه المناطـق فتسمى المحْـرَف في الطائف، والخليج والساقية في سراة الباحة، والمِفْـياض أو الخَلِيْج في عسـير، والمَنْشِي في نجران. والـوشـل فـي تـهامـة. أمـا الأرض المستصلحة فيطلق عليها المَعْمَرَه أو العِمَارَه كما تدعى فَكَّه في بعض المناطق.

وإذا انتقلنا إلى استصلاح هذا النمط من الأراضي الـزراعية. علـى جوانب الأودية في السهل الساحلي بتهامة، نجد أن عمليات الاستصلاح مختلفة إلى حد ما؛ فالأراضي أوسع والتربة أوفر، كما أن بنـاء جدران الحجـارة على أطـراف الأراضي لحمايتها من السيول والحيوانات غير موجود على الإطلاق. ويستـعاض عن جدران الحجارة هنا بإحاطة الأراضي الزراعية بأكوام من التراب، اسمهـا زَبْر وجمعها زُبُور وهو اسم للعقم الترابي. وتبدأ عملية استصلاح الأرض في المناطق الساحليـة بإزالة الحشائش والشجـيرات وتنظيف الأرض من الأحجار، وتسمى هذه العمـلية الجِرَابَه أو الجُرَب، فـيقال لدى فلان اليوم جِرَابَه. ويدعى من يقوم بالجرابـة الجرَّاب. ويلي الجـرابة حرث الأرض، وهو حرث سابق لموسم الزراعة الغرض منه تفكيك التربة وتهيئتها لتكويمها وتجميعها حول الأرض المستصلحة لعمل الزُبور، ويستخدم المحرّ الذي تجره الثيران لعمل الزُبور، ويـشترك في هذا العمل مجموعة مـن المزارعين إما بالتعاون أو بالأجر. ويربط في كل ثورين محر من الخشب، وكل ثورين يطلق عليهما ضَمْد فيـقال لدى المزارع الـفلاني هذا الـيوم ضمدان أو ثلاثة ضمود أو أربعة أو أكثر.

وبعد عمل الزّبْر يوصل إلى هذه الأرض ساقية من الوادي اسمـها عقمْ، الهدف منها الري في المقام الأول ثم تجديد التربة.





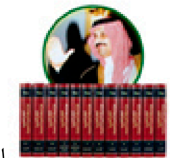
وبالإضافة إلى الأراضي الملاصقة للوادي، التي يتم استصلاحها بالكيفية المشار إليها آنفاً، هناك أيضاً بعض الأراضي الممكن استصلاحها، ولكنها ليست ملاصقة للوادي بل تبعد عنه بمسافة ٢٠٠ متر أو أكثر، وهي أيضاً ليست من أراضي الخبْت. وتربة هذا النوع من الأراضي وسط بين الترب الرملية والطينية، وتسمى الأراضي الخَرْش، وتستصلح بطريقة الأراضي المجاورة للوادي نفسها، ولكن يوصل إليها قناة من الوادي تسمى عقمْ تجلب لها الماء وتمدها بالتربة المتجددة في بعض الحالات.

## أنماط ملكية الأراضي الزراعية

المزرعة هي قطعة من الأرض تستخدم كلياً أو جزئياً لأغراض الإنتاج الزراعي. وتدار شؤونها الفنية والإدارية، كوحدة زراعية واحدة، من قبل شخص واحد (فلاح أو مزارع) أو مجموعة من الأشخاص، بغض النظر عن نوع الملكية أو الكيان القانوني. ومن هنا فإن حيازة الأرض، بمعناها العام، هي وضع اليد على الأرض الزراعية بأي صفة من الصفات، سواء أكان واضع اليد عليها مالكاً أم مستأجراً أم مستمداً منها حق وضع اليد. وحائز الأرض هو الذي يتمتع بحق استثمار الأرض، ومن ثمّ فله أن يتخذ القرارات التي تحدد أنواع المحاصيل ومساحاتها وغير ذلك من أمور المزرعة.

وتبعاً لذلك فإن معرفة أنماط الملكية والحيازة الزراعية، التي كانت سائدة في السابق، تكتسب أهمية كبيرة، نظراً لتأثيرها على شكل استثمار الأرض وأنواع المحاصيل. والواقع أن أنواع ملكية الأرض وكيفية حيازتها، وحقوق المالك والحائز، ونظام توزيع المياه والاستزراع، وتوزيع المزارع وأشكالها ومساحاتها في هذه البلاد، -في القديم والحديث- تختلف عن باقي بلاد العالم العربي نتيجة لتأثرها بعدد من العوامل الاجتماعية والبيئية والاقتصادية.

فمن ناحية، كان المجتمع في الجزيرة العربية مقسماً بصورة أساسية إلى بادية وحاضرة. وكانت البادية حتى وقت قريب، تشكل الغالبية العظمى من السكان. وعلى الرغم من أن ملكية الأراضي الزراعية والرعوية وحقوق الاستزراع والمياه كانت تحكمها إلى حد كبير أحكام الشريعة الإسلامية التي تنظم استغلال الأرض، فقد كانت تؤثر فيها مجمل الأعراف والعلاقات التي تنظم استغلال الأرض لكل من هاتين





المجموعتين أو العلاقات بينهما. ولذلك فلا يمكن -والحال كذلك- فصل نظام الملكية الزراعية عن تلك الأنظمة والأعراف التي تحكم استغلال المراعي. وقد كان من الشائع في مناطق الجزيرة العربية المختلفة أن يكون لكل قبيلة، أو فخذ من قبيلة، مساحة شاسعة من الأرض تسمى حِمَى تخصها وحدها، وتكون لها، على هذه الأرض، وحدها حقوق الرعي والمياه والزراعة أيضاً. كما كان لكثير من أهالي القرى مناطق مجاورة خاصة بهم يستغلونها في رعي مواشيهم، كما تكون لهم وحدهم حقوق الزراعة فيها في بعض السنوات، وتكون مصدراً لأعلاف حيواناتهم في مواسم الجفاف. ويمنع الرعي في هذه الأحمية منعاً باتاً، فكل من يرعى فيها، من غير أهل القرية، يغرّم لأنه أباح لنفسه شيئاً يخص جماعة القرية.

وكما أن أحكام الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية كانت هي العوامل الحاسمة في تحديد أشكال ملكية الأراضي الزراعية والمراعي في معظم أراضي الجزيرة العربية، فإن الأراضي التي خضعت للدولة العثمانية لأكثر من قرن من الزمن (الحجاز وعسير والأحساء)، قد تأثرت بمجمل القوانين والأنظمة التي أصدرتها الدولة العثمانية، خاصة في الحجاز وعسير، وبصورة أكبر في الأراضي المقدسة. ولذلك فإن قانون الأراضي العثماني الذي صدر في عام ١٨٥٨م (١٢٧٤هـ)، وما يحتويه من اصطلاحات وأنماط لملكية الأرض، قد طبقت في هذه المناطق، ولا يزال بعضها معروفاً حتى الآن. من ناحية أخرى فإن العوامل البيئية -خاصة توافر المياه والأراضي الصالحة للزراعة- كان لها دور رئيسي في تنظيم الملكيات داخل المناطق الزراعية والواحات سواء في أشكالها أو مساحاتها. بل إن الأرض في بعض المناطق -خاصة تلك التي تعتمد الزراعة فيها على العيون والينابيع، كالأحساء والقطيف والعلا وغيرها- كانت ملكيتها مرتبطة بمقدار المياه، وكانت مساحات الأراضي الزراعية لكل مزارع مرتبطة بمقدار معين من الماء.

ويتضح مما سبق أنه على الرغم من أن أشكال الملكية بوجه عام تتحدد في مختلف مناطق المملكة تبعاً لمعيار رئيسي هو أحكام الشريعة الإسلامية، إلا أن لكل منطقة من المناطق ظروفها البيئية والاجتماعية والاقتصادية، وأعرافها المحلية التي تؤثر في مجملها على أنواع الملكية وأشكال الاستزراع وحقوق المياه. ولذلك ستجري مناقشة هذه القضايا





تباعاً، مثل الأنماط الرئيسية لملكية الأرض، وكيفية انتقالها من شخص إلى آخر، وتوثيق الملكية، وأنماط حيازة الأرض بالإيجار، ثم مساحات المزارع والعوامل المؤثرة في ذلك، وما يرتبط بمساحة المزرعة من دلالات معيّنة ومنزلة اجتماعية خاصة، وبعملية إعداد الأرض للزراعة.

هناك أنماط متعددة لملكية الأرض الزراعية، كما أن هناك صيغاً متعددة لاستئجارها واستزراعها. وقد يكون المزارع مالكاً للأرض التي يتولى زراعتها، أو مستأجراً لها ولكنه في حكم المالك. والغالب في الزراعة قديماً أن معظم المزارعين هم الملاك، حيث تشير تقديرات عام ١٩٦٠م إلى أن الأراضي المستأجرة هي ٧٪ من الأراضي المزروعة في المملكة، ولكن هذه النسبة لا تتساوى بها جميع المناطق. ففي الأحساء مثلاً، تدل التقديرات التي تعود إلى أربعين سنة خلت على الأقل على أن هناك حوالي ٦٢٠٤ حيازات (مزارع) في الواحة تمتلكها حوالي ٦١٤٢ أسرة، يعادل مجموع أفرادها حوالي ١٨,٥٪ من سكان الواحة، أي أن ٨١,٥٪ من سكان الواحة المعتمدة أساساً على الزراعة لا يمتلكون أرضاً على الإطلاق. وتدل هذه الإحصائية على أن مجتمع الواحة في ذلك الوقت مقسم إلى فئتين؛ فئة صغيرة تمتلك معظم الأراضي الزراعية، وفئة كبيرة أخرى من العمال والمستأجرين. وتبعاً لذلك سنعالج هنا الأشكال والأنماط الرئيسية لملكية الأراضي الزراعية وطرق الحصول عليها. ويمكن تلخيص أهم أنماط الملكية التي كانت معروفة في مناطق المملكة المختلفة على النحو التالي:

**الملكية الخاصة**. ويقصد بها الملكية التي هي للمزارعين أنفسهم، إما بموجب صك أو وثيقة أو عرف أو خلافه. ويختلف مصدر هذه الملكية، فقد تكون آلت إلى صاحبها، أو أصحابها الحاليين، بالإرث أو الشراء أو الإحياء أو العطاء (الهبة). والملكية الخاصة قد تكون فردية، بمعنى أن يمتلك الأرض شخص واحد، وقد تكون مشتركة بين عدد من الأفراد أو المزارعين. والشراكة قد تكون بين عدد من الأقارب الذين ورثوا تلك الأراضي جيلاً بعد جيل، وقد تكون الشراكة بين مزارعين لا قرابة بينهم؛ كأن يشتري اثنان مزرعة، أو يحصلا عليها هبة أو نحو ذلك. ويتولى الشريكان معاً إحياء الأرض وفلاحتها وسقيها وحصادها وجني ثمارها، ثم يحصل كل واحد منهما على نصيبه بعد الحصاد؛ كل حسب مقدار





سهمه في الأرض المزروعة. وقد جرت العادة في كثير من مناطق المملكة أن يعين الشركاء وكيلاً على الأرض يتولى إدارتها لقاء أجر معين. وقد يكون الوكيل من بين الشركاء أو من غيرهم، وتنتهي مهمته بعد توزيع حصص المبيعات على الشركاء.

ومن أنماط الشراكة الأخرى، الشراكة في مصدر الماء، خاصة في المناطق المعتمدة على العيون والينابيع كالأحساء والقطيف والعلا والمدينة والسر وغيرها؛ وهي على نوعين؛ شراكة مشاعة، بحيث يشتركون جميعاً في فلاحة الأرض والعناية بالمحاصيل حتى الحصاد، ثم يتقاسمون المحصول تبعاً لنسبة كلٍّ منهم من مصدر الماء؛ فالملكية هنا هي في الواقع ملكية الماء، وملكية الأرض ملكية مشاعة ولكنها تتبع ملكية الماء. أما النوع الآخر، ويوجد بوجه خاص في الأحساء والقطيف والعلا، فهي شراكة تكون في مصدر الماء فقط، أما الأراضي فلكل مزارع أرضه الخاصة التي يكون عمله فيها، كزراعتها والعناية بها، مستقلاً عن الأجزاء الأخرى. ويسمى هذا النوع من الشراكة في الأحساء؛ شراكة مفرز، ويكون لكل مزارع حصة معينة من الماء تتناسب مع أسهمه في مصدر الماء. وفي العلا تقاس حصة كل مزارع من الماء بالوجبه، والوجبة هي الوحدة المستعملة



فوهة إحدى عيون الخرج





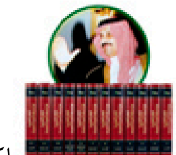
في الـري، وتعادل ١٢ ساعـة من ماء العين. فالشخص الـذي يمتلك وجبتين له أن يحـصل على ماء العـين لمدة ٢٤ ساعة، والشـخص الذي يمتلك نصـف وجبة يحصل على الماء لمدة ٦ ساعات، وهكذا. وقـد تروى المزارع من مصدر مائي واحد ومن مجرى واحد في وقت واحد، ولكن سعة فتحة الماء تحدد مقدار الماء الذي يحصل عليه كل مزارع وفاقاً لإسهامه في مصـدر الماء. ويطلق على الفترة المخصـصة له لإرواء زرعه الدور أو الصّدر، فيقال الدور اليوم أو الصدر لفلان. وتعني كلمة الصدر تصدير الماء أو تحويله.

وهكـذا فإن المـلكيـة الزراعـية فـي المناطق، مثل الأحـساء والقطيف والعلا وغيرهـا، التي تعتمـد على ري العيـون المشتركة، تشمل مساحة الأرض التي في حوزة المالك، كما تشمل نصيبـه من ماء العين. ولذلـك فعند نقل الملكـية بالبيع ونحوه يحدد نصيب المزرعة من ماء العين، سواء بالساعات التي هي من حق المزارع أن يستـأثر خلالها بماء الـعين، أو بسعة الفتـحة في مجرى المـاء، إذ بها يتحـدد نصيب المزرعة من الماء. ولكن بوجه عام عندما تـزيد حصة المزارع في مـاء العين عن حـاجته، إمـا لغـزارة ماء العـين أو لانحسار الرقعة الزراعية في مزرعته، فعند ذلك يسد المزارع المجرى الذي يجلب الماء إلى مزرعته، فينطلق الماء في المجرى العام الذي يختـرق المزارع، فيأخذ كل مزارع حاجته منه، أو يجري الماء في القناة إلى نهايتها حتى يصب في مجرى السيل.

**الملكية المشاعة**. وهي أن يشترك في ملـكية الأرض مـجمـوعة من الـناس كالقبيلة، أو فخذ من القبيلة، أو أهالي القريـة. ويرتبط هذا النـوع من ملكيـة الأرض بحقوق الرعي والزراعة البعـلية بالدرجة الأولى. ولهذا فللرعي كثير من الأوجه التي تربطه بالملكية الزراعية، لأن الرعـي والزراعة فـي الماضي نـشاطان اقتصاديـان متداخلان يعتمد كـل واحد منهما على الآخر. وهذا النوع من الملكية يمـنح الـتصـرف فـي الأرض الخاصـة لـلجـماعـة، من دون بـيع أو هـبة، فيشتـركون في جني خيراتهـا من رعي وزراعة وموارد مياه ونحو ذلك.

ويرتبط هذا النوع من الملكية المشاعة بنظام الحمى؛ والحمى مساحة من الأرض يتولى حمايتها فرد أو قرية أو قبيلة، أو فخذ من قبيلة، ويحـرم فيها الرعي إلا وفق نظام معين وبرنامج زمني معروف.

وقد كان لـكل فخذ أو عـشيرة ما يعـرف بالرمـه وهي عبـارة عن جبـال





وشعاب، يحمون في فصل الربيع نباتاتها المزهرة لمدة تقدر بأربعين يوماً، أي يحمون الأزهار الربيعيــة من رعي الأغنام لكي يشتار النحل رحيق الأزهار. وبعد هذه المدة يرفع الحمى وتتــرك للرعي بصورة عامة.

وقد ثــبت عن رســول الله ﷺ أنه أجاز حماية الورد والأشجار المزهرة لتربية النــحل فقــد أذن رسول الله ﷺ لأبي سيارة المتعي أن يحمي نحلاً له.

وفي الجاهليــة كانت بعض القبائل تخرج عن مألوف الحمى حين تحوز على أحمية غيرها وكانت تفتخر بذلك؛ قال الشاعر القديم:

ونرعــى حمــى الأقوام غــير مــحرم

علينا، ولا يرعى حمانا الذي نحمي

وعلى كــلٍ، فنظام الأحــمية نظــام عربي قــديم عرف قبل الإسلام، وأقــر الرسول ﷺ الجانب الإيجابي منه الذي لا يقوم علــى الظلم وأيَّدَه، كما أقــطع نفراً من أصحــابه أحمية يحمونهــا لهم بعد أن طــلبوا منه ذلك، وهــكذا فعل الصحابة والخلفاء مثل ذلك على نطــاق أوسع. وكانت الأحمية منتشرة بصورة خاصة فــي المناطق الجبلــية في الحجاز والباحة وعسير، وتوجد على نطاق أقل في باقي مناطق المملكة.

وكان نظام الحمى شائعاً خلال القرون الماضية حتى منتصف الخمسينيات الهجرية من القرن العشرين. وكان هناك ما يسمى الْقَبَلَــهْ من المقابلة، وهي أحمــية تكون ملكيتها لمالك الأرض المقابل لــها. وقد أدت المنازعات بين القبائل حول الأحمية وحقوق امتــلاكها والاستفادة منهــا إلى إعادة النظر في نظام الأحمية السعودية، حيث صدر مــرسوم ملكي في ٥/ ٤/ ١٣٧٣هـ أبيحت فيه بعض الأحمية العامة للــناس كافة، وأقــرت بعض الأحمــية الخاصة لأهلها.

ونظام الحمى له عدد من الآثار على الزراعة، منها أن بعض الأحمية لا يسمح فيها بالرعي للأغنام أو الماعز، وإنما هي مخــصصة لــدواب العــمل، كالأبــقار والحمير والإبل التي تعمل بصورة خاصة في الأراضي الزراعية. وهذا التنظيم الذي يخدم الأراضي الزراعية متبع في أغلب الأحمية في المناطق الجبلية المذكورة آنفاً، خاصة الأحمية الخاصة بالقرى الزراعية. وبعض الأحمية لا يسمح فيها بالرعي، بل يمنع منعاً باتاً، وتقتصر الاستفادة منها على حــش الأعشاب والحشائــش التي تجلب علفاً للدواب العاملة في الزراعة.

وكانت القبائل التي تعيش في بعض المناطق الزراعية، كنجران وجازان، توزع





بعض أراضيها المحمية على أبنائها لاستغلالها في الزراعة. ويسمى هذا النوع من الأراضي الذكير نسبة إلى الذكور لأن الإناث لا نصيب لهن فيها، وتكون هذه الأراضي، عادة، غير قريبة من الأراضي المزروعة. ويرتبط بهذا النوع من الملكية المشاعة للقبيلة، ممارسة بعض الأنشطة الزراعية بعدد من أفرادها. وأهم هذه الأنشطة هي غرس بعض النخل في بعض المناطق وتركها، والعودة إليها فقط في مواسم التوبير وجني المحصول. والملكية هنا تكون للأفراد ولكنها ملكية للشجر دون الأرض. ومن أمثلة ذلك واحة يبرين في جنوب الأحساء، وقد كان بها حوالي ٣٠٠ ألف نخلة تمتلكها ٤٠٠ أسرة من قبائل آل مُرَّة، ولا يردون إليها إلا في موسمي التوبير وجني المحصول، ويقضون بقية السنة يتجولون بحثاً عن الكلأ لرعي إبلهم ومواشيهم. ويبعّل بعض أفراد البادية أي يزرعون القمح في بعض القيعان والرياض اعتماداً على مياه الأمطار والسيول، كما هو الحال لدى قبائل شمر في بلاد الجبلين. وهم كسابقيهم يكتفون للبعل ببذر الحب في الأرض، ولا يعودون إليه إلا وقت الحصاد وجني المحصول.

وترتبط بعض الأحمية بالمزارع نفسها وتسمى السواقي (ومفردها الساقية) كمسايل المياه، أي الأراضي التي يجري سيلها نحو المزرعة. فهذه الأراضي تعتبر



نخيل بعلية – حائل







روضة يشاع فيها الرعي والزراعة للمقيمين حولها

شرعاً من الأملاك التابعة للمزرعة التي لا يجوز التعدي عليها. وهذا النوع من الأراضي المحمية موجود ومتعارف عليه في مختلف أنحاء المملكة، إلا أنها تكتسب أهمية كبرى في المناطق التي تعتمد الزراعة فيها اعتماداً مباشراً على ماء المطر، كالمصاطب الجبلية المعروفة بالركبان في المنطقة الممتدة من الطائف حتى نجران.

وتمارس الزراعة البعلية في الأحمية المحيطة ببعض القرى، ويكون حق الزراعة بها كحق الرعي، خاصاً بسكان القرية. وهذا النمط موجود في مختلف مناطق المملكة، حيث كان من الشائع أن يكون لبعض القرى منطقة محمية تتميز بخصوبتها، وتجمع مياه السيول فيها، ويستخدمها سكان القرية مرعى لحيواناتهم، أو لجمع الأعلاف (الحشائش) منها، وتخزينها للاستفادة منها في الصيف، كما يمارسون فيها زراعة الحبوب اعتماداً على مياه الأمطار والسيول. ويسمى هذا النوع من الزراعة بالزراعة البعلية أو البعول. وتعتمد هذه الزراعة على هطول المطر الولي وهو أمر لا يخلو من مغامرة ولكن الأمل بالله قوي؛ قالوا في المثل الشعبي «بيدك حب وفوقك رب» ظاهر المثل أن يلقي الزارع بذره ويتوكل على الله، والله يتولى إنباته. لكن المثل قد يرمي إلى أن هذا الحب ما هو إلا أمانة بيدك، قد أحصى الله عدده





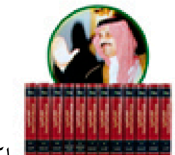
وربما جهلته، وأنّ الله سبحانه وتعالى يراقبك ويحاسبك لو نَقص منه شيء. وهذا يعني أن الأمانة التي بيدك قد أحصاها الله، وعليك أن تردها لمن ائتمنك عليها كما هي عندما يطلبها. وقالوا «تحت الله يازرع الله» أي تحت رعاية الله يازرع الله.

**أراضي الأوقاف.** وهي الأراضي التي يحبس أصلها (يوقف)، وتستغل منفعتها في أعمال الخير. ويأتي معظم أراضي الوقف من الوصية وذلك بأن يوصي أحد المحسنين بوقف ما لا يزيد على الثلث من أرضه بعد موته على وجه من أوجه الخير، كعمارة المساجد والعناية بالمقابر والتصدق على الفقراء والمحتاجين، ويُصرف ريع هذه الأرض في الأوجه التي حددها صاحب الوصية. وغالباً ما يختار صاحب الأرض الأصلي، أو من يقوم مقامه شخصاً يثق به للإشراف عليها، وتدبير شؤونها، بأجر معين أو من دون مقابل. وقد يكون هذا الوكيل أو القائم من أقارب مالك الأرض الأصلي، وقد يكون من غير أهله. وتوجد الأراضي الزراعية الموقوفة على أعمال الخير في مختلف المناطق، خاصة في المناطق التي لها شهرة زراعية تاريخية كالأحساء، أو في المناطق التي لها وضع خاص كالحجاز، حيث تكثر الأراضي الموقوفة سبيلاً على عمارة الحرمين والعناية بهما.

وعلى الرغم من أن جزءاً من الأراضي الزراعية الموقوفة لا يزال بأيدي أهلها، ينفذون وصية مورثهم جيلاً بعد جيل، وينفقون ريع هذه الأراضي في الأوجه المحددة لها، فإن معظم الأراضي الموقوفة تشرف عليها الدولة في الوقت الحاضر وتصرف ريعها في أوجه الخير المختلفة.

**أملاك الدولة.** ويقصد بها الأراضي التي لا تدخل تحت أي من الأقسام السابقة، فملكيتها للحكومة وبيت مال المسلمين. وهنا يجب أن نفرق بين نوعين رئيسيين من الأراضي؛ أحدهما الأراضي المزروعة أو المحياة، والآخر الأراضي الموات أو البور أو كما عرفت، في نظام الملكية العثماني، بالأراضي المتروكة. ويمكن أن يضم إلى هذه الأنواع أراضي الأوقاف العامة التي تشرف عليها الدولة وتنفق من ريعها على أوجه الخير العامة.

ومن أمثلة أملاك الدولة تلك المساحات من الأرض التي آلت إلى الدولة السعودية، بعد استرداد الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- ملك آبائه وأجداده، وما لحق بذلك بعد أن منَّ الله عليه بفتح الحجاز والأحساء وتخليصهما من سيطرة





الدولة العثمانية، فأصبحت هذه الأملاك تديرها وزارة المالية إذ تديرها الإدارة المالية في المنطقة. وأغلب هذه الأراضي يديرها في الوقت الحاضر أفراد (وكلاء) عهد إليهم بذلك، أو يقوم بزراعتها واستغلالها أشخاص استأجروها من الدولة.

أما الصنف الآخر من الأراضي، وهي الأراضي الموات أو البور، فالقاعدة الشرعية هي أن من أحيا أرضاً ميتة فهي له. ولكن نظراً للمشكلات التي تبعت هذا النوع من التملك في العقود الأخيرة، وتداخل الملكيات بعضها في بعض قننت الحكومة هذا الحق الشرعي، وجعلت حق منحها منوطاً بالدولة تمنحها وزارة الزراعة والمياه. وقد صدر في ذلك نظام توزيع الأراضي البور سنة ١٣٨٨هـ الذي يقضي بأن هذا النوع من الأراضي العامة ملك للدولة توزعه -وفق نظام معين- على من يطلب من المواطنين.

## طرق تملك الأرض وتداولها

تنتقل ملكية الأرض الزراعية من شخص إلى آخر بطرق عدة؛ أهمها الإرث والشراء والهبة والمنحة والإحياء والوقف. وتختلف أهمية كل واحدة من هذه الطرق من منطقة إلى أخرى، لاختلاف العين المملوكة وطبيعتها وتنوعها. وسنلقي الضوء على أهم هذه الطرق والضوابط التي تحكم كل طريقة منها.

**الإرث**. تعد حيازة الأرض وملكيتها بالإرث إحدى أهم طرق انتقال ملكية الأراضي الزراعية في مختلف المناطق. وتبرز هذه الأهمية في بعض المناطق التي تحد ظروفها الطبيعية والبيئية والاقتصادية من حيازة الأرض بالإحياء، كما هو الحال في الأحساء والقطيف، والمناطق الجبلية في الحجاز والباحة وعسير. والقاعدة الشرعية أنه عند وفاة صاحب الأرض الزراعية فإنها تقسم بين الورثة ذكورهم وإناثهم حسب النصيب الشرعي لكل منهم. وقد يبقيها الورثة وحدة واحدة، ويتشاركون في ريعها، وهذا هو الشائع في معظم المناطق. وقد يقسمونها بينهم كما هو سائد في الأحساء. ويذكر أحد الرواة أنه نتيجة للالتزام بهذه القاعدة الشرعية، وإعطاء البنات ما يخصهن من الأراضي الزراعية، انتقلت الأملاك الزراعية من أصحابها الأصليين إلى آخرين؛ ونضرب لذلك مثلاً بإحدى مدن القصيم التي كانت جميع أراضيها الزراعية يمتلكها ثلاثة إخوة، أما اليوم فإن أحفادهم لا يمتلكون إلا جزءاً يسيراً من أملاك أجدادهم، أمّا الجزء الأكبر فيمتلكه آخرون ورثوه عن مورثاتهم من النساء. ولكن





هذه القاعدة لا يعمل بها على إطلاقها في جميع المناطق، مع أن أحداً لا ينكرها؛ فقد جرت العادة في بعض المناطق، خاصة المناطق الجنوبية من البلاد، ألا تعطى المرأة حقها مباشرة من الأراضي الزراعية، بل يبقى نصيبها مع نصيب إخوانها أو أحدهم. وكان من العيب أن تطالب المرأة بحقها من الأرض، نظراً لضيق الأرض، وتسببها لذلك في تفتيت ملكية أهلها. ولذلك لم يكن لدى المرأة في معظم الأحيان الرغبة في طلب حقوقها من الأراضي الزراعية، ما لم تكن في حاجة، كما لم يكن، في الغالب، لدى إخوانها الرغبة في إعطائها حقها من الأرض من دون أن تطلب هي منهم ذلك. وفي مقابل ذلك فإنها تتوقع دائماً من أخيها أو إخوانها أن يبروها في المناسبات، خاصة الأعياد، وتعطى جزءاً من عائد المحصول. ويظل الوضع كذلك ما دامت علاقتها حسنة بإخوانها، وما دامت ليست بحاجة ماسة إلى حقها. أما إن ساءت العلاقة، أو أصبحت بحاجة شديدة كما هو الحال عند الطلاق أو الترمل ونحوه، فلا أحد يمنعها من المطالبة بحقها الشرعي والحصول عليه.

**الشراء.** تنتقل ملكية الأراضي الزراعية، مثل ملكية أي عقار آخر أو سلعة، بالشراء، والشراء من الطرق الرئيسية لانتقال ملكية الأراضي الزراعية خاصة في المناطق الزراعية القديمة كالأحساء والقطيف وجبال الحجاز. والشراء أحد أهم طرق زيادة مساحات المزارع وتوسعها لعدم وجود أراضٍ موات مجاورة. ويرتبط بشراء الأرض في المناطق المعتمدة على الري من العيون، كالأحساء والقطيف والعلا وغيرها، شراء نصيبها من المياه أيضاً، لأن ملكية الأراضي الزراعية في الغالب تابعة لملكية المياه. فينص عند شراء الأرض على حصة الأرض من مياه العين وعلى أيام الري وساعاته. وفي الباحة تثبت جميع مرافق ومنافع المزرعة المبيعة في وثيقة البيع بهذا الأسلوب «وقد آل الركيب الفلاني إلى المشتري أرضه، وأشرابه، وأهرابه وأسباله» والشرب هو حصته في ماء البئر، والأهراب: سواقي السيل، والأسبال: الطرق المؤدية إليه ويشار إليها بأسبال العامله والناقله، فالعاملة هي بهائم الحرث، والناقلة هي بهائم نقل المحصول.

ويُعد بيع الأراضي الزراعية في بعض المناطق نوعاً من العيب، كما هو الحال في المنطقة الجنوبية الغربية بشكل عام. ولا يلجأ المزارع إلى البيع إلا في حالات نادرة، كأن يرهن أرضه







نخيل ميت

أو جُزءاً منها، فيباع ما رهنه عند عجزه تماماً عن السداد. كما أن المزارع قد يبيع أرضه ويشترط أن يدفع له المشتري سنوياً كمية معينة من التمور، من دون زيادة أو نقصان، وهذا يعرف في الأحساء بالدفينه. كما قد تقوم الأرامل والمطلقات من كبار السن ببيع جزءٍ مما يمتلكنه تحت ضغط الحاجة. وأما سوى ذلك فالبيع في هذه المناطق في أضيق الحدود، وذلك لضيق الأراضي الزراعية. وقد يكون لصاحب الملك الأصلي (الأصّال) مقدار معين من الثمرة يلزم العرّاق (المشتري) بدفعه إليه كل عام بالزيادة والنقصان. ولا يحق للعراق أن يقطع الأثل أو السدر أو النخيل الميتة، بل تكون لصاحب الأصل، وللمشتري (العراق) التصرف في النخل كما يشاء.

**إحياء الأرض الموات.** يعد إحياء الأرض الموات (البور)، بحفر الآبار بها وزراعتها وتعميرها، إحدى الطرق الرئيسية للحصول على الأرض الزراعية وملكيتها في معظم مناطق المملكة، خاصة في المناطق التي تعتمد في ريها على الآبار والقلبان. ولعل هذه الطريقة تعد الأصل وأكثرها شيوعاً في ملكية الأراضي الزراعية في تلك المناطق حتى وقت قريب. والأصل في هذه الطريقة هي القاعدة الشرعية المبنية على قول الرسول ﷺ «من أحيا أرضاً ميتة فهي





له» وقولـه عاديّ الأرض، أي قديمها، لله ورسوله ثم هي لكم.

وتقتصر هـذه الطريقة في الحصول على ملكية الأرض على الأراضي الموات (البور)، وهي الأراضي التي لا يمتلكها أحد ولا ينتفع بها إنسان بعينه. وتكون خارج المناطق المعمورة، ولـيست بمرفقٍ ينـتفـع به كـأراضي المـراعي وأمـاكن الاحتطاب والمقابر والأسواق وغيرها.

وقد ظلت هذه الطريقة في اكتساب الأرض وملكيتها إحدى الطرق المهمة، خاصة في المناطق الوسطـى من الجزيرة العربية التي تعتمد على مياه الآبار. وظل العمل بها مستمراً منذ صدْر الإسلام حتى فترة قريبة تعود إلى سنة ١٣٨٨هـ، عندما صدَر نظام توزيع الأراضي البور، الذي على أثره أصبحت هذه الأراضـي ملكاً للدولـة، توزعها علـى من يطلب من المواطنين وفق أنظمة محددة.

وتختـلـف أهمية هـذه الطريقة في الحصول على الأرض الزراعية من منطقة إلى أخرى، خاصة بين المناطق التي تعتمد في زراعتـها على الـعيون، كالأحسـاء والقـطيف، أو المـناطق ذات الأراضي الزراعية الضيقة كالمناطق الجبلية في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة، وبين المناطق المعتمـدة على الآبار والقلبان مـن جهة أخرى؛ ففي الأحساء والقطيف تعدّ ملكية الأراضي الزراعية مرتبطة إلى حد كبـير بملكية مصادر المياه (العيون)، ولما كانت ملكية المياه معروفة منذ مئات السنين فليس هناك مجال لإحياء أراضٍ جديدة، لأن هذه المـصادر تكاد لا تـكفي الأراضي الزراعية الموجودة، ومن هنا فإن فرصة إحياء أرضٍ مـوات تقتصـر على تلـك الأراضي الواقعة عند أطراف الواحات، وتعتمد على مصادر مياه جديدة كالآبار أو ما يفـيض من ميـاه الصرف. وهذا الموقف ينطبق أيضاً على المناطق الجبلية التي تمتاز منذ القدم بكثافة سكانية أكثر من المناطق الأخرى، ولكن يقابلها شح في الأراضي الصـالحة للزراعة. لذلك نجد أن الأراضي الممكن استصلاحها على ضفاف الأودية وسفوح الجبال (المصاطب الزراعية) قد اسـتصلحت وزرعت منذ مئات السنين، وفـرصة الامتداد وإحياء مناطق جديدة نادرة جداً. ومما يقلل من أهمية هذه الـطريقة في تملك الأراضي الزراعـية في هـذه المناطـق قلة وجـود الأراضي الموات فـيها. فالأراضي غيـر المزروعة هي، في الغالب، أراضٍ داخلة تحت نظام الأحمية، فلا يجوز إحياؤها وتملكهـا بهذه الطريقـة. غير أن بعض القبـائل تلجأ أحيـاناً إلى توزيع بعـض





الأراضي على أفراد القبيلة، وهو حق للذكور دون الإناث، ولذا يسمى هذا النوع من الأراضي الذكير.

أما خارج نطاق المناطق المذكورة، وبصورة خاصة في المناطق الوسطى والشمالية من البلاد، وكذلك الأحساء -نظراً لإمكانية حفر العيون بالمعاول العادية بسبب قرب الماء الجوفي- فإن إحياء الأرض بحفر الآبار بها وزراعتها ولو لمرة واحدة، كانت أهم الطرق الرئيسية لحيازة الأراضي الزراعية حتى وقت قريب. ويرجع ذلك إلى اتساع الأراضي البور، وعدم وجود نظام الأحمية كما هو الحال في جبال الحجاز من ناحية، وعدم الاعتماد على مصدر مائي بعينه من ناحية أخرى. كما أن الأراضي الزراعية في معظم هذه المناطق ليست متصلة، مثلما في الأحساء والقطيف وجبال الحجاز، بل هي بقع متناثرة تفصل بينها مساحات كبيرة من الأراضي الموات. كما مثلت البعول الشخصية والمتكررة لبقع خاصة ولأفراد معروفين حق الملكية، كبعل ابن سالم في الوشم.



حفر الآبار من طرق تملك الأرض الزراعية

والأصل في شرط تملك هذا النوع من الأراضي هو إحياؤها بزراعتها وعمارتها. وتعتمد مساحة الأرض على ما يستطيع المزارع إحياءه وزراعته. كما تعد مسايل الأرض -المناطق التي يجري سيلها نحو المزرعة- حقاً له لا يجوز التعدي عليه. وقد جرى العرف في بعض مناطق المملكة أنه بمجرد حفر البئر (القليب) والوصول إلى الماء، فإن حافر البئر يمتلك تلقائياً مساحة من الأرض تسمى محارم القليب. وتختلف هذه المساحة بين قليب الزراعة، وقلبان البادية التي يروون منها مواشيهم وأغنامهم. فبالنسبة لقليب الزراعة يمتلك مالك القليب ٢٠٠ بوع (باع) من كل جانب (والبوع مقياس طولي يستخدم في بعض مناطق المملكة خاصة الوسطى منها وكذا بالأحساء، ويساوي مسافة ما بين نهاية اليدين الممدودتين على استقامة الكتفين)، كما مرّ سابقاً. أما بئر البادية فتحدد محارمها بـ ٥٠ بوعاً من كل جانب.





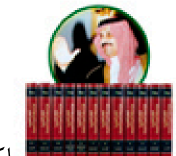


بئر زراعية

وقد جرى العرف في الباحة مثلاً أن يشترك أصحاب المزارع المتقاربة في حفر بئر خاصة بهم في موقع محدد وقد تكون في مزرعة أحدهم ولا يتبعها سوى مرافقها الخاصة كالقف والمجرّه والطريق المؤدي إليها، وليس لها حرم، فإن جعل لها حرم عندما تحفر في أرض عامة فإن حرمها يكون على قدر الحاجة بحيث لا يزيد عن عشرة أمتار مربعة.

**توثيق الملكية الزراعية وتحديدها.** لم يكن توثيق الملكيات الزراعية في الماضي أمراً شائعاً في بعض مناطق المملكة، ولا يحرص كثير من الناس على توثيق ملكياتهم بأي صورة من الصور. بل إن كثيراً من الأملاك الزراعية القديمة التي توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل، لا توجد لها وثائق ملكية حتى في وقتنا الحاضر. وكان الناس في الماضي يعتمدون على الأعراف في توثيق أملاكهم، فمتى أحيا فلان من الناس أرضاً وعمرها أصبحت ملكاً له بلا منازعة من أحد. الأمر الآخر أنه لم يكن هناك سلطات مركزية تنظم الملكية الزراعية، أو غيرها، بل ولا سلطات محلية معروفة يكون من اختصاصها توثيق الملكيات وتحديدها.

ومع أن توثيق الملكية في بعض مناطق المملكة لم يكن ذا أهمية كبيرة في مجتمع المزارعين الأقدمين، فإن نوعاً ما من صيغ إثبات الملكية وتحديدها كان معروفاً في تلك المناطق. ولكن أهمية توثيق الملكية





والحاجة إليها كانت تختلف تبعاً لاختلاف عين الملكية الزراعية، وطريقة الحصول عليها. كما كانت تختلف من منطقة إلى أخرى باختلاف بنية المناطق الزراعية وتجاور المزارع. فالمناطق الزراعية المشهورة التي تتصف بوجود المزارع وتقع بعضها إلى جانب بعض، كما هو الحال في الأحساء والقطيف وجبال الحجاز وعسير، كانت الحاجة فيها إلى نوع من أنواع توثيق الملكيات وتحديدها بشكل دقيق، أكثر بكثير منها في المناطق التي تكون المزارع فيها متباعد بعضها عن بعض، كما هو الحال في بعض أجزاء المنطقة الوسطى والشمالية.

ويمكن القول، بوجه عام، إن الحاجة إلى توثيق الملكية الزراعية يعتمد إلى حد كبير على طريقة الحصول على الأراضي الزراعية وامتلاكها. فالأراضي التي حازها مالكها بالإحياء، كما هو الحال في معظم المناطق الزراعية في المناطق الوسطى والشمالية، لم تكن هناك حاجة ماسة لتوثيق ملكيتها. ولذلك فأكثر الأملاك الزراعية من هذا النوع تعتمد على العرف المبني على القاعدة الشرعية، الخاصة بإحياء الأرض، ولا يحتاج المزارعون، عادة، إلى توثيقها. وتعتمد مساحة الملكية من هذا النوع على ما يستطيع أن يحييه المزارع ويعمّره من الأرض، كما أن مسايل الأرض تكون، عادة، داخلة ضمن ملك صاحب المزرعة ولا يجوز التعدي عليها، بل قد جرت العادة في بعض المناطق على أن من حفر بئراً واستخرج الماء منها فإنه يمتلك محارمها من دون إحياء. وعلى الرغم من أن التوثيق لم يكن أمراً شائعاً لهذا النوع من الأراضي الزراعية، خاصة إذا لم تجاورها مزارع أخرى، إلا أن بعض المزارعين يلجأون إلى توثيق أملاكهم وتحديدها عند كاتب معروف، أو رجل مشهود له بالصلاح، فيكتبون عنده ما يشهد أنهم قد أحيوا الأرض الفلانية. فيكتب لهم ما يثبت ملكيتهم لها، ويحدد في هذه الوثيقة أطوال الأرض وحدودها والطرق المؤدية إليها ومسايلها. وكان عامة الناس يقبلون هذا النوع من الوثائق، بل يمكن مقارنته بحجج الاستحكام والصكوك الشرعية في الوقت الحاضر.

أما انتقال ملكية الأرض بالبيع أو الإرث فغالباً توثق بالكتابة عند كاتب معروف، أو فقيه، أو شيخ القبيلة، أو من يقوم مقامه، وتختم بختم قاضي البلد. وكما أن هناك اختلافاً بين مناطق المملكة فيمن يتولى توثيق الملكيات، فهناك اختلاف فيمن يتولى قسمة

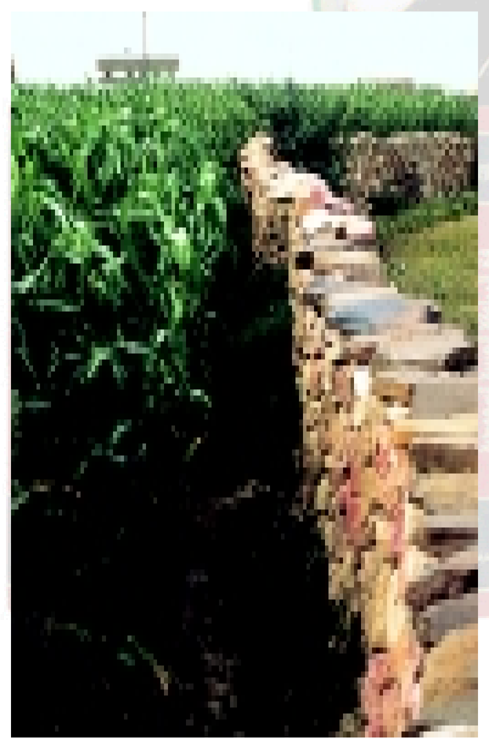




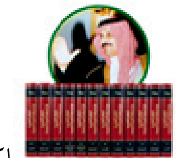
الأراضي الزراعية بين الورثة، كما أن هناك اختلافاً أيضاً في اسم هذه الوثيقة الدالة على انتقال الملكية بالبيع أو الإرث. ففي نجران مثلاً يتولى الكتابة كاتب معروف بحضور شيخ القبيلة أو من ينوب عنه، وتسجل القسمة بين الورثة في ورقة تسمى وثيقه. وفي جازان والقنفذة يتولى أمين القرية (الفقيه) أمر القسمة بين الورثة، ويحدد نصيب كل منهم بالمعاد (والمعاد مساحة من الأرض تبلغ أطوالها حوالي ٥٠×٥٠ ذراعا) كما ذكرنا سابقاً، وتثبت هذه القسمة في ورقة تسمى ورقة قسمة أو قَسَّاميه باللهجة الدارجة في بعض المناطق. أما توثيق الملكية بالبيع والشراء فيثبت في ورقة تدعى الحُجَّه. وفي بعض مناطق عسير تسمى ورقة التوثيق، وفي بعض المناطق ورقة القسمة، وهي في مناطق أخرى تسمى القاعده، وفي معظم مناطق المملكة الأخرى يتولى توثيق الملكيات كتاب معروفون، وتسمى وثيقه.

وفي كل الأحوال فإن وثيقة القسمة أو البيع أو الشراء، تتضمن جميع المعلومات الخاصة بالأرض الزراعية، كأطوالها ومساحتها وحدودها ومسايلها وطرقها. كما تعد من الأمور المهمة في بعض المناطق التي تعتمد الزراعة فيها على العيون أو السيول، كالأحساء والقطيف والمناطق الجنوبية من البلاد، أن يُحَدد فيها نصيبها من الماء، ومن أين تروى، وكيف تروى، وعدد أيام الري، ونحو ذلك.

وكان تحديد الأراضي الزراعية قديماً، أي وضع علامات حدودية؛ يأخذ عدة أشكال. فقد يكون على شكل جدار من الطين أو الأحجار ونحوها، وقد يكون على شكل حبوس أو عقوم توضع فوقها مخلفات المزرعة كجريد النخل ونحوه. وشكل الحبوس –ويعرف في



تحديد المزرعة بجدار حجري





الأحساء بالحضار- هو الشائع في الحقول الزراعية المتجاورة، خاصة حقول النخيل، كما هو الحال في كل من الأحساء والقطيف والقصيم وحائل والمدينة وينبع، أما جدار الطين أو الأحجار فهو الشائع في المناطق الزراعية الجبلية، كما هو الحال في جبال الحجاز وعسير.

أما المناطق الزراعية المفتوحة، التي لا تكون فيها المزارع متجاورة، فتحدد الأرض بمعالم الأرض، كأن يحدها من جهة الشمال الجبل أو التل الفلاني ومن الجنوب الوادي الفلاني، وهكذا. وفي بعض الأحيان تحدد الأراضي الزراعية بالمراسيم، (جمع مرسام) وهو شاخص بارز يوضع في أركان المزرعة لتحديدها، يسمى في الباحة الحد (وجمعه حُدَّان). وقد يكون هذا الشاخص أو المرسام حجراً كبيراً وقد يبنى من الأحجار والطين.

وظل أمر توثيق الملكيات الزراعية وتحديدها في بعض أنحاء الجزيرة العربية سائراً على هذا النحو حتى وقت قريب، وبالتحديد حتى استتب الأمر للدولة السعودية الحديثة، وتم توحيد البلاد على يد الملك عبدالعزيز. ومنذ ذلك الوقت أصبحت طرق توثيق الملكيات الزراعية بها موحدة في مختلف المناطق، حيث



جدار، من علامات حدود المزرعة



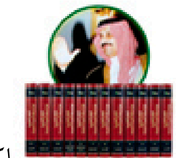




حبِس، من علامات حدود المزرعة

يتولى ذلك الفقهاء وكتاب العدل ومكاتب المالية.

وكانت الخلافات والنزاعات بين المزارعين قديماً قليلة جداً للترابط الاجتماعي القوي بين مجتمع القرية. وعلى الرغم من هذه الظاهرة العامة فإن الخلاف والنزاع قد يقع بين المزارعين سواء على حدود الأراضي الزراعية أو حقوق الماء أو غيرها. ونجد في مجتمع الفلاحين دائماً شخصاً يُلجأ إليه لحل الخلاف. واقتضى اختلاف البنيان الاجتماعي لمجتمعات الفلاحين في مناطق المملكة المختلفة، اختلافاً واضحاً في شخص من يُلجأ إليه لحل الخلاف. وبصورة عامة يمكن أن نلحظ فروقاً واضحة في المجتمعات التي تسيطر عليها العشائرية وروح القبيلة، كما هو الحال في المناطق الجنوبية وبعض من المناطق الشمالية من البلاد، وبين المجتمعات الأخرى التي يتكون فيها المجتمع القروي والزراعي من قبائل وأجناس شتى. ففي المجتمعات التي تسيطر عليها روح القبيلة، كنجران وجازان وعسير والباحة والطائف وحائل والجوف وغيرها، يكون لشيخ القبيلة أو نائبه في القرية (عريف القرية) أو مجلس القبيلة، اليد الطولى في حل مثل هذه الخلافات والمنازعات. وقد يكون الحكم والحل عن طريق شيخ القبيلة أو نائبه مباشرة، فيستمع إلى حجج المتخاصمين، ويحكم بالشريعة الإسلامية وأعراف القبيلة. وقد يطلب الشيخ أو النائب، كما هو الحال في نجران، أن يختار كل من المتخاصمين واحداً من أهل القرية





المشهود لهم بالحكمة والمعرفة بالشريعة الإسلامية والأعراف المحلية، ويسمى هذا الشخص القبيل. وهكذا يكون هناك قبيلان أو حَكَمان يتناقشان بينهما حسب الحجج التي لديهما من موكليهما حتى يصلا إلى حكم يرضيان به. فإن تعذر عليهما الاتفاق اختارا شخصاً ثالثاً من القرية يسمى عادلْ، يرجح رأي أحد القبيلين أو يوفق بينهما. وفي مناطق أخرى يكون الأمر منوطاً بنائب الشيخ في القرية الذي يسمى عَرِيْفَة القرية الذي يدعو بدوره كبار أهل القرية للتداول في القضية وحلها. فإذا استعصى عليهم الأمر رفعوه إلى شيخ الشمل (شيخ القبيلة). وقد يتولى شيخ القبيلة حل الموضوع بنفسه، وقد يحل في مجلس القبيلة المكون من الشيخ وأربعة من المساعدين يختارون من أعيان القرى، وتكون لهم مكانتهم الاجتماعية المميزة، ولذا يسمى هذا المجلس، كما في بني مالك، الخوامس، لأنه يتألف من خمسة أشخاص. وهذا المجلس يتولى حل القضايا المستعصية التي يعجز عرفاء القرى وأهلها عن حلها.

أما في المجتمعات القروية غير العشائرية، مثل الأحساء والقطيف والمدينة، ومعظم المناطق الوسطى، فيحل الخلافات أعيان البلد وكبار السن، ويسمون أهل العرف في الأحساء، وهم الذين تكون لهم دراية تامة بالشريعة الإسلامية وبالأعراف المحلية التي تنظم أمور الفلاحين. ففي كل قرية عدد من الأعيان المعروفين، أو النظراء (واحدهم نظير)، كما في منطقة حائل، يُلجأ إليهم عند الخلاف، ويحكمون حسب القرائن التي يقدمها كل واحد من الفرقاء. وفي كل الأحوال قد يكتفي المتخاصمون بما نطق به الحكماء، فيعرف كل منهم ما له وما عليه. وفي أحيان أخرى يكتب ما اتُفق عليه عند كاتب معروف بشهادة الأعيان أو النظراء وحضور الفرقاء. وأما في منطقة الأحساء، التي كانت تحت حكومة لعصور طويلة من الزمن، فإن الأمور كان يبت فيها القاضي أو يصادق على ما اتفق عليه.

وقد ظل الأمر في مختلف مناطق المملكة على ما ذكر حتى وقت قريب، عندما وُحِّدت هذه المناطق تحت سلطة مركزية واحدة، فأصبح في كل منطقة وقرية أمير وقاض، وأصبح حل المنازعات والمشكلات التي يعجز الأعيان عن حلها من صلاحيات السلطات الجديدة. وقد يحتاج القاضي في بعض الأحيان إلى حل كثير من المشكلات الزراعية مستعيناً





بأهل العرف. وقد يعمد القاضي، في منطقة القصيم، إلى تأليف لجنة من أهل المعرفة والتمييز والعدل وتسمى اللجنة الهيعه (أي الهيئة)، وهي تُعين القاضي في بيان الحدود والحقوق وهذا ما يجعله مطمئناً إلى حكمه ويُرضي المتخاصمين في الغالب.

وكانت التقوى ومخافة الله من أهم دواعي الرضا بالأحكام، ومما يروى أن أحد المختلفين على حدود أرضيهما في إحدى القرى التابعة للمذنب لم يستطع أن يذهب مع خصمه إلى القاضي فقال له اذهب أنت واسأل القاضي وأخبرني، فعاد صاحبه آخر النهار ليبلغه أن القاضي حكم له بالأرض؛ أي حكم للقاعد.

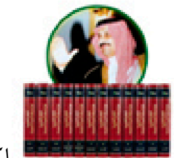
## تأجير المزارع

ذكرنا في بداية حديثنا عن ملكية الأراضي الزراعية، أن معظم مَن كانوا يمارسون الزراعة في العصور الماضية هم من المُلاَّك الذين يزرعون أراضيهم بأنفسهم، ولكن هذه ليست قاعدة عامة في كل الأحوال. ففي بعض المناطق، كالأحساء مثلاً، كان المستأجرون، الذين يطلق عليهم اسم الكدَّاده -ولا يزالون- يشكلون نسبة كبيرة من مجتمع الفلاحين، بل قد يكونون هم الفئة السائدة. وكان أمراً شائعاً في كل مناطق المملكة أن يستأجر الأرض الزراعية ويفلحها من لا يمتلكون أراضي زراعية، إذ يتفق صاحب الأرض والمستأجر على ثمن معلوم، أو سهم معلوم من الإنتاج. وهناك أنماط وطرق متعددة لاستئجار الأراضي الزراعية يمكن تلخيصها فيما يلي:

**استئجار الأرض بثمن نقدي**. ومن شروط هذا النوع من الإجارة أن يكون خلال زمن معلوم بثمن معلوم، كأن يكون لسنة أو سنتين، أو موسم زراعة القمح أو الذرة ونحو ذلك. وهذا النوع من الإجارة، قليل في مختلف مناطق المملكة.

**استئجار الأرض بمقدار من المحصول.** يدفع المزارع إلى مالك الأرض في كل سنة أو حسب الاتفاق مقداراً معيناً من المحصول، ويسمى هذا النوع من الإيجار بالصُّبْرَه، وقد يدخل النمط الأول (النقدي) أحياناً ضمن هذا الاسم في بعض المناطق. وتختلف مدة العقد ولكنه في جميع الأحوال لا بد أن تكون مدة العقد لزمن معلوم، كأن تكون لسنة أو سنتين أو عشر سنوات أو نحو ذلك.

وفي بعض المناطق، كالأحساء والقصيم، قد تمتد مدة العقد إلى ٣٠ و٥٠ و١٠٠ سنة، بل قد تصل أحياناً إلى ٥٠٠ أو





١٠٠٠ سنة، خاصة الأراضي غير المزروعة، وأراضي الوقف التي أصبح الوصي عليها غير قادر على زراعتها والعناية بها. وفي هذه الحالات يصبح المستأجر، وورثته من بعده، في حكم المالك، يتصرف في هذه الأرض كيفما يشاء، ويستثمرها بأي استثمار يريد، ما لم يكن في العقد ما يحدد له طبيعة الاستثمار. ويمكن للمستأجر بيع المتبقي له من سنوات الإيجار.

**المشاركة في المحصول.** تعد المشاركة في المحصول بسهم معلوم لكل من المالك والمستأجر أكثر الأنظمة شيوعاً لاستئجار الأرض وفلاحتها في مختلف مناطق المملكة. وتبعاً لهذا النظام يتفق الشريكان، المزارع ومالك الأرض، على أن يفلح المزارع الأرض ويزرعها بنوع معين من المحاصيل على أن تكون له نسبة معينة من المحصول. وتختلف النسبة التي يحصل عليها كل من المزارع والمالك اختلافاً كبيراً بين مناطق المملكة، بل داخل المنطقة الواحدة، تبعاً لاختلاف مساهمة كل منهما في تكاليف الزراعة، كحيوانات السواني والبذور والأسمدة وأجور العمال من جهة، واختلاف الظروف السائدة المتعلقة بمصادر المياه وخصوبة التربة ونوع المحصول ومستلزمات الإنتاج من جهة أخرى. وعلى سبيل المثال فإن الأراضي المروية من الأمطار والعيون تختلف عن تلك المعتمدة على القلبان والسواني، حيث تزيد نسبة المالك في الأولى وتقل في الثانية. وبوجه عام يمكن أن توضع قاعدة عامة لنصيب كل من المزارع والمالك وهي أنه كلما زادت مشقة الزراعة وتكاليف الإنتاج -كالزراعة المعتمدة على السواني- زادت نسبة المزارع، والعكس بالعكس. ولذلك فنصيب مالك الأرض من الإنتاج قد يتراوح بين النصف أو أكثر في المناطق المعتمدة على المطر، وقد يقل إلى العشر فقط في المناطق المعتمدة على السواني إن تحمل المزارع كل تكاليف الإنتاج. وتسمى هذه المشاركة في الباحة الخِبْر.

ويمكن أن نميز أنماطاً مختلفة من المشاركة في المحصول يعتمد تعددها أساساً على تنوع المحاصيل وطبيعة الأرض الزراعية وأنواع العقود بين المُلاَّك والمستأجرين.

ومن هذه الأنماط المزارعه؛ وهي أن يضع مالك الأرض أرضه تحت تصرف من يزرعها لمدة معلومة، قد تكون موسماً زراعياً أو سنة أو أكثر. وفي هذا النمط يتقاسم الفلاح ومالك الأرض المحصول





الزراعي بنسب معلومة، كأن يكون للمالك النصف أو الربع أو العشر. والمزارعة هي النظام السائد للمشاركة في زراعة الحبوب، خاصة القمح والذرة. ولذا فإن الأرض التي يضعها المالك تحت تصرف المزارع غالباً ما تكون خالية من الشجر والزراعة، إلا أن لها مورداً مائياً معلوماً تروى منه، سواء أكان عيناً أم قليباً أم نحوهما. والأصل في المزارعة أنها لموسم زراعي واحد، ولكنها قد تمدد تلقائياً لعدة مواسم إذا تم اتفاق بين الطرفين. وقد يشترك مزارعان في أرض لا يملكانها، ويُعطى صاحب الملك العشر أو الربع، والباقي يقسم بين المزارعيْن بالتساوي. وهناك في منطقة حائل ما يسمى العماله، وهي أن يتحمل صاحب الأرض كل ما يتعلق بالزرع من بذور وسوان وغيرها. ويؤدي المزارع العمل كله كتفجير الماء والسناية والحصاد والذرْي وغيره، وله عشر الغلة أو ربعها، وللمالك الباقي. وأحياناً يشترك في العمل أكثر من عامل، كأن يكون أحدهم مسؤولاً عن السني والثاني مسؤولاً عن التفجير أو رياسة الماء، ويشتركان في الحرث والحصاد ولكل منهما نصيبه من الغلال.



أرض مهيأة للمزارعة





ويعتمد نصيب المزارع والمالك على عدد من العوامل المختلفة، ولكن أهمها مقدار مساهمة كلٍ منهما في تكاليف الزراعة. ولذلك فسهم المالك في الزراعة المعتمدة على القلبان قد لا يزيد عن عشر المحصول إذا لم يتحمل أي تكاليف، ويسمى هذا النوع من الزراعة في بعض مناطق نجد المقضاب أو القضب أو القضابه. ولكن السائد في الزراعة المعتمدة على السواني، أن يتقاسم المالك والمزارع تكاليف الإنتاج، خاصة حيوانات السواني والبذور، وفي هذه الحال يزيد نصيب المالك إلى ما بين ربع الإنتاج ونصفه.

أما المساقاه فهي أن يضع المالك شجره المثمر في تصرف المزارع ليقوم بريه وموالاته وعمل سائر ما يحتاج إليه. ويكون للمزارع لقاء ذلك جزء من المحصول كالربع أو الثلث أو النصف. وإذا كان نظام المزارعة هو الشائع في المناطق الزراعية المفتوحة الخالية من الشجر التي يكون عمادها زراعة الحبوب، فإن المساقاة هي الشائعة في الواحات الزراعية التي تغطي الأشجار -وبخاصة النخيل- كل أراضيها الزراعية، كالأحساء والقطيف والمدينة وينبع، وبعض مناطق القصيم وحائل ونجران والجوف.



زراعة القرع إلى جانب النخيل في حيالة

ومن الواضح أنه لا توجد فروق كبيرة بين نظاميْ المزارعة والمساقاة عدا اختلاف المحاصيل. لذلك قد يوجد النظامان معاً في المزارع التي يوجد بها إلى جانب النخيل، مساحات أخرى يمكن أن تستغل في زراعة الحبوب والمحاصيل الأخرى، وهي ما يطلق عليه حياييل (ومفردها حيالة).

وقد يتفق صاحب الأرض مع فلاح أو مزارع ليغرس الفلاح أشجاراً مثمرة -نخيلاً في الغالب- في أرضه البيضاء (غير المزروعة)حتى تثمر، وهذا ما يسمى المغارسه أو المراكزه. فيتقاسمان المحصول





بنسب معينة لمدة معينة. وللمزارع طوال مدة العقـد أن يزرع المساحات البـيضاء الموجودة بين الأشجار وحولها بالمحاصيل الأخرى، ويجري الاتفاق بـينهما على حصة كل منهما من هذه المحاصيل. وفي هذه الحالة تكون مدة العقد طويلة حتى يغطي المستأجر تكاليف الزراعة.

ويكثر اتِّباع نظام المغارسة في بعض المناطق المعتمدة على العيون على هامش الأراضي الزراعية. ففـي عين الصوينع بالسر، مثلاً، يكون التركيز الرئيسي على زراعة الحبوب (القمح في فصل الشـتاء والذرة في فصل الصيف)، كـما توجد أشجار الـنخيل على المجـرى الرئيسي للـعين، ولـكنـها مـلك لأصـحابـها الأصليين. وتتفرع من المجرى الرئيسي قنوات أو خنادق، تبلغ أعمـاقها مترين تقريباً تسمى السجور، وعليها أعداد كبيرة من النخيل التي غرست بنظام المغارسة. وحين يكون أصـحاب العين مشغولـين بالمحاصيل الرئيسية والنخيل على المجرى الرئيسي، فإنهم يتيحون الفرصة لغيرهم من سكان الـقرية في تولي غرس هـذه النخيل في السجور والـعناية بها، على أن يشاركوهم في إنتاجها بسهم معلوم. وجدير بـالذكر أن ري هذه الـنخيل لا



السجور





يؤثر على الدورة الزراعية الرئيسية لزراعة العين حيث لا يفتح الماء في هذه السجور إلا مرتين في العام، وهي الفترات الفاصلة بين زرع الشتاء (القمح) وزرع الصيف (الذرة)، أما فيما عدا ذلك فتعتمد هذه النخيل على رطوبة التربة.

وإن كان هذا النوع من المغارسة يقتصر على المشاركة في ثمرة الشجر والمحصول، فإن هناك نوعاً آخر من المغارسة أو المراكزة يقضي بأن يقتسم الطرفان الأرض والشجر أيضاً بعد فترة محددة. فينتقل المزارع من دور المستأجر والمشارك في الزراعة، إلى دور المالك، فيمتلك جزءاً من الأرض وما عليها من الشجر بعد قضاء الأجل المتفق عليه مع المالك الأصلي.

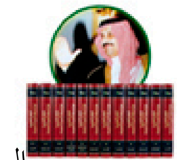




# الري بالأمطار والعيون

تصنف الجزيرة العربية، بشكل عام، ضمن أكثر بقاع الأرض جفافاً وقلة في مواردها المائية، وعلى الرغم من ذلك تُعد الزراعة إحدى أهم المهن التي كان يزاولها السكان منذ القدم. وقد ارتبطت مهنة الزراعة أساساً بتوافر المياه اللازمة للري، سواءً أكانت عيوناً وينابيع أم أمطاراً وسيولاً، أم مياهاً جوفية يمكن الوصول إليها بوساطة الآبار (القُلبان) المحفورة يدوياً، ورفع مائها بالجهد العضلي للإنسان والحيوان. وكان وجود الماء هو العامل الرئيسي لتوزيع المناطق الزراعية أكثر من أي عامل آخر، كالتضاريس أو التربة؛ لأن الإنسان كان قادراً -رغم قلة آلاته وأدواته- على معالجة التضاريس الوعرة وتحسين نوع التربة، ولكنه في كل الأحوال كان محكوماً بوجود الماء الكافي لري مزروعاته. ولذلك لم يكن عجباً أن نرى الأولين في جنوب غرب البلاد قد بذلوا جهوداً جبارة لتسوية جوانب الجبال وتحويلها إلى مناطق زراعية مُدَرَّجة، لأنها كانت تحظى بكمية وافرة من الأمطار والسيول تكفي لري المزروعات مقارنة بغيرها من المناطق.

وعلى الرغم من قلة كمية المياه في أراضي الجزيرة العربية، وصعوبة الوصول إليها، والاستفادة منها في ري الأراضي الزراعية في بعض المناطق، فإن المملكة تحظى بمصادر مياه متعددة تختلف أهميتها ودرجة الاعتماد عليها من منطقة إلى أخرى. كما أن طرق الحصول على هذه المياه وكيفية الاستفادة منها في الزراعة وتوزيعها بين المزارعين وداخل الحقول كانت مختلفة. ولذا فإننا سنحاول لاحقاً أن نتناول أهم مصادر المياه التي كان يستغلها سكان المملكة، وطرق الحصول عليها والاستفادة منها في الزراعة، وأهمية كل مصدر في كل منطقة من المناطق الزراعية الرئيسية في





البلاد. كما سنبحث في طرق الري المختلفة ومدى التفاوت بينها نتيجة للاختلاف في مصدر الماء أو في الظروف الطبيعية المحيطة، أو نوع الزراعة، أو اختلاف النظم والأعراف والتقاليد الزراعية.

وتشمل مصادر مياه الري التي كان يُعتمد عليها في الزراعة التقليدية ثلاثة مصادر رئيسية؛ الأمطار والسيول، والعيون والينابيع، والمياه الجوفية القريبة من سطح الأرض التي يوصل إليها ويستفاد منها بحفر الآبار اليدوية، وإن كان يصعب الفصل بين هذه المصادر الثلاثة نظراً لتأثر بعضها ببعض، ووجودها متجاورة في معظم المناطق.

## الأمطار والسيول

تكتسب الأمطار المباشرة وما يصاحبها من سيول، أهمية كبيرة في الزراعة في هذه البلاد قديماً وحديثاً، سواء كمصدر مباشر لري المزروعات، أو كمصدر لتغذية الخزانات الجوفية التي تعتمد عليها الآبار (القلبان). ولذا فإن كمية مياه القلبان -التي تعد أهم مصادر المياه في الزراعة التقليدية وأوسعها انتشاراً- تتأثر سلباً وإيجاباً بكمية الأمطار السنوية. فالسنوات التي تهطل فيها كمية وافرة من الأمطار، تزيد فيها مياه القلبان ويرتفع منسوبها إلى أعلى، فتزيد لذلك قدرة الفلاح على ري مزروعاته وزيادة



سيل جار - المجمعة





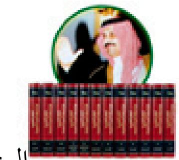
المساحة المزروعة. أما السنوات العجاف التي يقل فيها المطر أو ينحبس، فيحدث العكس تماماً إذ تقل كمية مياه القلبان في معظم الأحيان، ويقل منسوبها، ويصبح الفلاح مجبراً على تقليص المساحة المزروعة تكيّفاً مع هذه الظروف. وقد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى أن تجف بعض القلبان تماماً، خاصة إذا توالت سنوات القحط وانحباس المطر.

وتختلف أهمية ودرجة الاعتماد على الأمطار والسيول، كمصدر مباشر لري المزروعات، من منطقة إلى أخرى كما أسلفنا، للتفاوت في كمية الأمطار وانتظامها وتوافر مياه ري بديلة. ويمكن بكل وضوح تقسيم أراضي المملكة من هذا المنظور إلى قسمين رئيسيين، أحدهما يشمل المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، أي المنطقة الممتدة من الطائف حتى الحدود اليمنية؛ أما الآخر فيشمل باقي أجزاء المملكة الأخرى.

**الري في معظم مناطق المملكة.** يمكن القول إن الاعتماد على الأمطار والسيول في ري المزروعات بشكل مباشر كان محدوداً، نظراً لقلة الأمطار في معظم المناطق وتذبذبها وعدم انتظامها. ولذلك فإن الزراعة هنا تعتمد في معظمها على الري إما من مياه القلبان أو العيون. ومع ذلك فإنه يستفاد من مياه الأمطار والسيول بأكثر من صورة بسبب حرص المزارعين التقليديين، تحت واقع شح الموارد المائية، على الاستفادة من كل قطرة ماء متوافرة. ويمكن تلخيص أهم أوجه الاستفادة من الأمطار والسيول في الزراعة التقليدية في معظم المناطق في ثلاثة أوجه رئيسية:

الوجه الأول هو الاستفادة غير المباشرة التي أشرنا إليها آنفاً، حيث تعمل مياه الأمطار والسيول على زيادة المياه في القلبان خاصة تلك القريبة من مجاري الأودية والشعاب، ولذلك يحرص المزارعون على توجيه مياه السيول نحو بساتينهم وأراضيهم الزراعية سواء بعمل الحواجز والعقوم والسدود الترابية لحجز مياه السيول، أو بشق أو بناء قنوات وسواق موصلة من هذه الشعاب أو الأوديةً إلى المزارع والبساتين.

والوجه الثاني من أوجه الاستفادة من مياه الأمطار والسيول هو كونها مورد مياه إضافي لري البساتين والحقول التي تعتمد أساساً في ريها على مياه القلبان. والبساتين والحقول هنا على نوعين؛ أحدهما الذي لا يقع على ضفاف الأودية والشعاب، والآخر الذي يقع على ضفافها أو في نهايتها. وتقتصر استفادة النوع الأول على الأمطار المباشرة دون





السيول، فيتوقف المزارعون عن الصّدْر أو السني، أي رفع الماء بالسواني وري المزروعات من القلبان بعد هطول الأمطار، وتسمى فترة الراحة هذه التي تعقب هطول المطر بالإناخة أي إناخة الإبل عن السَّني والتوقف عن رفع الماء. ويعتمد طول هذه الفترة على كثافة المطر ومدته، فكلما كانت الأمطار غزيرة وزادت مدتها كانت الحاجة إلى معاودة ري المزروعات من القلبان واستئناف عمل السواني أقل. وقد يحدث في بعض السنوات التي يزيد فيها المطر أن لا يكون هناك حاجة للري بتاتاً، بل يكون الاعتماد كله على مياه الأمطار، وهذا نادراً ما يحدث؛ ويعبرون عن كثرة السيل بقولهم «مدفق حوض» يضرب للسيل الكثير المطبق؛ كما يضرب المثل للأمر وقد اتسع، فلا مخرج منه ولا سبيل لتجاوزه.

أما النوع الآخر من البساتين والمزارع التي تقع على ضفاف الأودية والشعاب أو في نهايتها، فبالإضافة إلى استفادتها من الأمطار المباشرة، كما هو الحال في النوع الأول، فإنها تستفيد أيضاً من مياه السيول التي تمتلىء بها هذه الأودية والشعاب في المواسم المطيرة. ونظراً لأهمية هذا المورد فلا تخلو منطقة من المناطق من وجود عدد من الأنظمة والأعراف المحلية التي تحكم كيفية الاستفادة من هذه المياه وتوزيعها على البساتين والمزارع المجاورة. وكلما زادت أهمية هذا المصدر -كما هو الحال في ضعف أو انعدام المصادر البديلة- كانت هذه الأنظمة والأعراف أكثر دقة وتحديداً، وكان اهتمام المزارعين بها أكبر حيث يعمدون إلى توثيقها في مكاتبات يتوارثونها جيلاً بعد جيل. ويوجد في الرياض نظام عرفي، ونظام شرعي للسيل والمسايل، قديماً وحديثاً.

وفي منطقة المدينة المنورة كانت السيول تجري من الحرة في الأودية، وعندما تصل إلى مزارع المدينة تدخل للمزارع (البلدان) مع فتحات تسمى قصبْ أو مرسْ، تسمى في القصيم ثقاب، وهي بوابات صغيرة مبنية من الأحجار يناسب قدرها مساحة البساتين. ويوجد أحياناً في نهاية البستان فتحة أخرى أكبر من الأولى تسمى مرزْ أو مغيضْ، والمرز هو كل مرتفع بين منخفضين لحجز المياه على ارتفاع معين، حتى إذا وصل مستوى الماء في البستان إلى ذلك الحد بدأت المياه في التدفق عبر هذه الفتحة لتروي ما يلي ذلك البستان من مزارع. أما إذا كان مجرى الوادي نفسه في مستوى (البلدان) فلا







شعيب الرمحيّة

يوضع فيه أي نوع من العقوم أو الحواجز، كما هو الحال في بعض مناطق الجزء الجنوبي الغربي وبعض مناطق نجد كالقصيم، حيث يضعون عقماً كبيراً لتحويل جزء من سيل الوادي (الشعيب)، ويأتي السيل عبر مجرى يسمى شعبة وهو سيل حزم أو جبل قريب، وفي الغالب يأتي سيلها قبل سيل الوادي أو الشعيب، والمثل يقول «من تَعلّى شرب». ويترك الماء ليجري بالوادي ويدخل في الحقول واحداً بعد الآخر، دون أن يعترض طريقه أحد. وبهذا النظام تستفيد البلدان (المزارع) الموجودة في أعلى الوادي ولكن دون الإضرار بالمناطق الأخرى إذ يُترك الماء يجري بالوادي ليروي باقي المزارع.

وفي منطقة وادي الصفراء غرب المدينة المنورة توجد بعض الرياض (جمع روضة) على ضفاف الوادي أو الشعب، ويحفر لكل روضة مجرى لينتقل ماء السيل عبره، ويسمى هذا المجرى المسقى أو المقلب. كما أن للروضة فتحة في الجدار الذي يحيط بها يطلق عليها المغيض يخرج الماء الزائد عن حاجة الروضة منعاً لحدوث تهدم في جدار الروضة بسبب زيادة ضغط الماء على الجدران. ويكون





للروضة الصغيرة مغيض واحدٌ وللروضة الكبيرة أكثر من مغيض.

وورد في اللسان المَغِيضُ هو المكان الذي يَغِيضُ فيه الماء وأغاضه وغـيَّضَه وغيض ماء البحر، فهو مَغِيضٌ.

وفي بعض مناطق نجد، خاصة تلك التي تتصف بشح مياهها الجوفية كسدير والوشم والرياض أنظمة متقنة لتوزيع مياه السيول بين المزارع والحقول بقنوات تسمى الوَظَائم، مفردها وظيمه واللفظ في التراث بالضاد (الوضيمه)، ولكن الناس اليوم في الجزيرة العربية ينطقون الضاد ظاءً، والوظائم هي كل ما وقيت به، وهي ما بين السبابة والبنصر كحاجز مماثل لما يوضع للعناية بالمياه وحواجزها، تتشعب من الأودية لري الحقول والمزارع المجاورة. ويبدأ هذا النظام، عادة، بوضع (مُدَرَّج) في بطن الوادي، والمُدَرَّج بناء من الحجارة على شكل جدار أو سد صغير يقوَّى بأكتاف من الحجارة الضخمة (الكبوش) في الجهة المضادة لاتجاه السيل، ويمتد بعرض الوادي ويكون ارتفاعه ما بين متر ونصف إلى مترين. والهدف من المُدَرَّج رفع مستوى المياه عند هذه النقطة في الوادي ليدخل السيل عبر القنوات الفرعية (الوظائم) التي تبدأ عند هذا الحاجز وتتجه نحو الحقول المجاورة.



مدرج القراشيّة في المجمعة، ويظهر في الصورة عدد من الكبوش



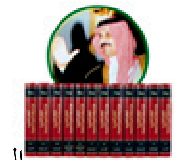




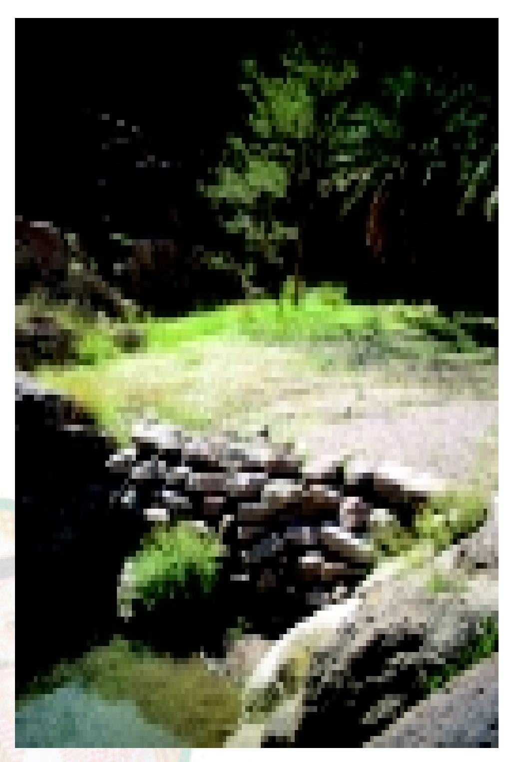
الوظيمة

والوظيمة ساق كبير يروي، عادة، عدة مزارع وحقول. وتكون الأملاك على أحد جانبي هذه الوظيمة أو كليهما، وهنا تقسم الوظيمة إلى أقسام يتناسب عرض كل منها مع مساحة البستان الذي يرويه. ونقطة التقسيم (المقسم) تبنى عادة بالحجارة، على شكل بوابة صغيرة ذات عضدين من الحجارة وقاعدة مستوية تماماً. وتقسم هذه القاعدة بالشبر حسب مساحة البساتين والأراضي الزراعية ليذهب الماء المتدفق عبر كل قسم في قناة فرعية أصغر إلى كل حقل ويدخله مع بوابة مبنية بالحجارة تدعى عَرْصَه. ولهذا تكون العراص دائماً بعد نقطة التقسيم لتشكل نهاية الوظيمة وبداية مدخل الماء إلى البستان.

أما إذا لم يكن هناك مجال للوظيمة لتمر بين البساتين، كأن تكون البساتين وراء بعضها، فإن الماء يدخل إلى أقرب بستان للوادي وعندما يصل الماء إلى مستوى معين في البستان يبدأ الماء بالتدفق عبر فتحة في آخره (مُدَرَّج) أو (معبار) أو (معبر) إلى البستان الثاني أو إلى الوادي، إذا لم يكن هناك مزرعة أخرى. فإذا بلغ الماء مستوى معيناً في هذا البستان تدفق الماء من آخره مع فتحة أخرى إلى







معبار (معبر)

البستان التالي، وهكذا. ولا يحق لأي من مُلاَّك البساتين أن يرفع مستوى الفتحة (المُدَرَّج) الموجودة في نهاية بستانه، ليعيق تدفق الماء عن البساتين المجاورة أو التالية.

وتقتسم البساتين المشتركة في الوظيمة الواحدة المياه مهما قلَّت في النمط الأول، عندما تكون البساتين على جانبي الوظيمة، بينما يعتمد ري البساتين في النمط الثاني، عندما يكون بعضها وراء بعض، على كمية مياه الوظيمة. فقد يرتوي البستان الأول فقط إذا كان الماء ضعيفاً وقد ترتوي جميع البساتين عندما تزيد مياه السيول في الوظيمة.

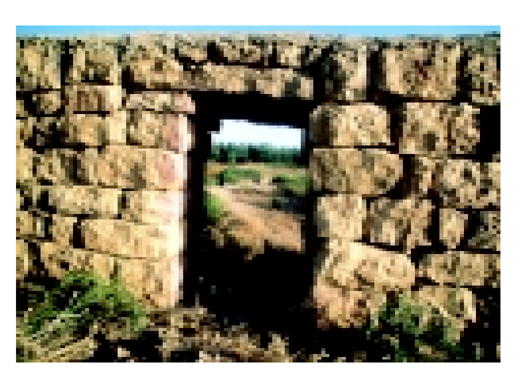
وفي بداية الوظيمة، مما يلي المُدَرَّج الرئيسي في عرض الوادي، بوابة أخرى مبنية من الحجارة الضخمة هدفها الحد من اندفاع السيل بقوة وتنظيم تدفقه حتى لا يتلف الحقول والمزروعات. وتسمى هذه البوابة بالخْناقه (تجمع على خِنَاق)، وقد يكون قدرها كبيراً جداً بحيث يدخل الرجل فيها ماشياً. وعندما يأتي سيل الوادي يعمل المُدَرَّج على رفع مستوى الماء فيدخل جزء منه من الخَنَّاقة نحو الوظيمة، أما بقية السيل فيتدفق من فوق المُدَرَّج إلى الوادي، ويستمر بالجريان حتى يصادف مُدَرَّجاً آخر ووظائم أخرى وهكذا. وقد تحتوي الوضيمة الواحدة مجموعة من (الخناق) أو (العراص)، تخص كل منها مزرعة معينة تعمل على توجيه الماء إليها. ويستفيد الفلاحون من سطوح الخناق بوصفها جسوراً تساعدهم على عبور الوضائم وقت السيول للوصول إلى مزارعهم. وتوجد أحياناً أكثر من عشرة مُدَرَّجات (مداريج) في الوادي الواحد، وكل منها يغذي عدداً من الأملاك والمزارع. ويعتمد وصول سيول الوادي لها جميعاً على قوة السيل، فقد يسيل أحد السيول على مُدَرَّج أو







الخناق (العراص)



خنّاقه (عرصه)

اثنين في أعلى الوادي إذا كان ضعيفاً، وقد يصل سيل آخر إلى جميع هذه المداريج ويتدفق عبر الوظائم إلى جميع الحقول في حوض الوادي. ولما كانت هذه المُدَرَّجات والوظائم كثيراً ما تتعرض للأضرار والتهدم، فإن المزارعين لا يَكُفُّون عن صيانتها وإصلاح ما وقع فيها من أضرار؛ وقالوا معبرين عن قوة السيل «سيل يدربي الشجر» يدربي: يدحرج؛ يضرب المثل للملمات الجليلة التي تخرج الأشياء العظيمة عن طبيعتها. ومن الغفلة أن يتوهم المرء السيل القوي مطراً خفيفاً كما في المثل «يجري به السيل ويقول ديمه» الديمة هي المطر الخفيف المستمر وهذا الشخص يجري به الوادي ويقول ديمه.

ويشترك المزارعون في أعباء إصلاح وظيمتهم أو مُدَرَّجهم، وتكون هذه الأعباء والتكاليف المادية إن وجدت متناسقة مع حصة كلٍّ منهم في مياه الوظيمة أو المُدَرَّج. فقد يساهم أحد المزارعين بثلاثة رجال لإصلاح الوظيمة، ويساهم مزارع آخر برجل واحد حسب مساحة بستان كلٍّ منهم.

وحِرصُ المزارعين الأوائل على الاستفادة من مياه السيول لغمر مزارعهم نابع من الآثار الإيجابية المزدوجة التي يحصلون عليها من هذه السيول. فهي إلى كونها مورداً إضافياً لري الحقول، ومنح المزارعين وحيواناتهم التي يَسْنُون عليها فرصة للراحة والتقاط الأنفاس – لأن توالي السيول ورطوبة التربة يغنيان عن استخدام السواني– فإن هذه السيول تعد عاملاً مهماً في تجدد التربة وزيادة خصوبتها، نظراً لما تحمله من الطمي والطين عالي الخصوبة. ولذلك فإن الفترات التي تزيد فيها الأمطار والسيول تجعل المزارع يتجنب مشقة أخرى هي إضافة الأسمدة العضوية (روث







الاستفادة المباشرة من مياه السيول

الحيوانات) للحقول والأراضي الزراعية لرفع خصوبتها.

وهناك آثار لا تزال قائمة لبعض وسائل تصريف السيول التي شيدت قديماً لتحافظ على مياه الأمطار والسيول، وتساعد على الانتفاع بها كثروة عظيمة، وهي:

أ) حكر بن معمر في العينيه؛ وهو سدٌّ يقع في أعلى وادي غالة شمال العيينة، ويعتبر أقدم سد في المنطقة، إذْ يعود تاريخ إنشائه إلى سنة ١١٣٨هـ. ويبلغ طوله ٤٠٠ متر، وأقصى ارتفاع له ٥ أمتار، وسعته التخزينية مليون متر مكعب، وتختلف سماكته من جهة إلى أخرى، فهي تصل في بعض جهاته إلى ٤ أمتار، وقد تصل في جهات أخرى إلى ٨ أمتار. ويبرز في حوض السد جزء مقوس من البناء، يشكل دعامة للسد في ثلاثة مواقع، هي ثلاثة كبوش في وسط السد حيث يزداد ضغط الماء، وفي الطرف الشمالي من السد مكان مخصص لصرف الفائض من المياه، بعد أن يأخذ السد قدرته التخزينية.

ب) المداريج؛ مفردها مدرَّج، وهو بناء حجري متدرج يشبه السد، ويقام بعرض مجرى الوادي بحجارة كبيرة نسبياً، على شكل صفوف ومداميك. والهدف منه تحقيق أمرين؛ أولهما تكوين بحيرة أمام المدرج تتسرب إلى باطن الأرض، لترفع منسوب المياه الجوفية.

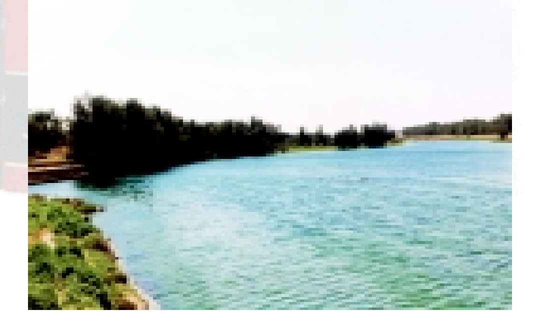






مدرج القراشيّة بالمجمعة، منظر خلفي يبين امتداد المدرج والكبوش

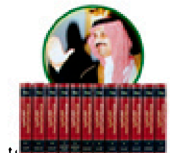
والآخر هو أن مياه السيول ترتفع أمام المدرج إلى مستوى معين، لتنساب عبر قناة أو قنوات على أحد جانبي الوادي أو كليهما، تسمى مسيلْ أو وظيمه فتسقي مزارع وبساتين، يكون مستوى سطحها أقل انخفاضاً من مستوى سطح المدرج. جـ) الطوي (المطوى أو السلسله)؛ وهو بناءٌ من الحصى على شكل جدار، يحيط بالمزارع من جهة الوادي؛ لحماية التربة من جرف السيول، وقد تبرز أجزاء من المطوى بشكل دائري أو بزوايا ويسمى هذا البروز حنيه، ودورها هو تغيير اتجاه السيول إلى وسط الوادي؛ حتى



بحيرة أمام المدرج



المطوى (السلسلة)





لا تحفر تحت الجدار المطوى وتعرضه للانهيار.

د) المسيل؛ مجرى ترابي (عقم) ينقل مياه السيول من الأودية إلى المزارع، ويوجد بالعيينة عدد من المسايل.

هـ) الصنُوع؛ مفردها صنع، وهو عبارة عن بناء من الحصى، على شكل صفوف متراصة، ترتفع جوانبه، ويكون على شكل متدرج كالدرج، أو على شكل جدار قصير يبلغ اتساعه من متر إلى مترين، ويرتفع بمقدار ١٠-٢٥سم فوق سطح المزرعة، ليضمن بقاء كمية كافية من المياه داخلها، ويحمي تربة المزرعة من الانجراف. والغرض من وجود الصنع تصريف مياه السيول من مزرعة إلى أخرى، بعد أن تأخذ المزرعة الأولى كفايتها من المياه.

أما الوجه الثالث فيتضح في الاعتماد على مياه الأمطار والسيول في زراعة الحبوب، خاصة القمح والشعير. ويسمى هذا النمط بالزراعة البعلية، وتسمى الأراضي المزروعة به البُعُول. ويستخدم هذا النوع من الزراعة، عادة، في الأراضي الطينية المنخفضة التي تسمى القيعان، (مفردها قاع) أو الرياض (ومفردها روضه). وتكون الرياض والقيعان التي يمارس فيها هذا النوع من الزراعة، مكاناً لتجمع مياه الأمطار



إحدى الروضات



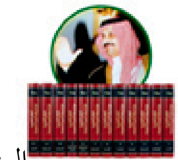


والسيول، وغالباً ما تكون المكان الذي ينتهي إليه الوادي أو عدد من الأودية. ومن المتعارف عليه قديماً أن يكون لأهل كل قرية مكان مجاور من هذا النوع، تكون ملكيته مشاعة بينهم، يمارس فيه أهل القرية الزراعة البعلية، كما يستفيدون منه في رعي حيواناتهم في الأماكن غير المزروعة وفي أزمنة معينة. ومن أمثلة هذه الرياض روضة السبْلَه، وهي خاصة بأهل الزلفي، وروضة المصيه، لأهالي المذنب بالقصيم، وبعض أجزاء المستوي لأهالي الشماسية والربيعية والنبقية، وروضة مطربه في السر، لأهالي عين الصوينع وغيرها. وقاع حويم في وادي توارن في جبل أجا.

وتبدأ الزراعة من هذا النوع، عادة، بعد سقوط المطر، حيث تزال الشجيرات والحشائش وتنثر البذور في هذه المواقع، ثم تحرث الأرض وتترك. وتعرف هذه الطريقة بالبذر على العَفِير أي بذر الحبوب على رطوبة التربة الخفيفة. وتعتمد درجة نجاح الزراعة ووفرة الإنتاج على تكرار هطول المطر وجريان السيول. وينجح المحصول غالباً إذا ما جرت السيول مرة أو مرتين بعد نثر البذور، ويرجع ذلك إلى أن هذا النوع من الأراضي الطينية ذو قدرة عالية للاحتفاظ بالرطوبة لفترة طويلة. وفي السنين المطيرة التي يتكرر فيها جريان السيول، يحصل المزارعون على محصول وافر قد يزيد على ما يحصلون عليه من مزارعهم الأصلية التي تعتمد على الري المباشر من القلبان والسواني.

وهذا النوع من الزراعة البعلية ليس مقصوراً على السكان المستقرين الذين يمتهنون جميعهم مهنة الزراعة، بل تمارسه حتى بعض القبائل البدوية التي تمتهن الرعي والترحال الدائم. فمن المتعارف عليه قديماً أن لكل قبيلة أو فخذ منطقة رعوية معينة (حمى) لا يشاركها فيها أحد من القبائل الأخرى إلا بترتيب معين. وعلى الرغم من أن الاستخدام الأساسي لهذه المنطقة هو رعي قطعان الأغنام والإبل، إلا أن بعض المناطق التي تتوافر فيها ظروف مناسبة للزراعة (القيعان والرياض) يمارس فيها نوع من الزراعة البعلية. فيعمد بعض أفراد القبيلة لاختيار قطعة من الأرض وبذرها ببعض الحبوب وحرثها، أو إبقائها أحياناً من غير حراثة ثم تترك حتى موسم الحصاد، حيث يعود إليها أصحابها لحصاد محصولهم.

**الري في المناطق الجنوبية الغربية.** يكتسب هذا المصدر من مصادر المياه وهو الأمطار أهمية كبيرة لأنّ معظم الأراضي





الزراعية في هذا الإقليم تعتمد مباشرة في ريها عليه. ولذلك بذل المزارعون منذ القدم كل ما في وسعهم، وحسب إمكانياتهم للاستفادة من الأمطار عند هطولها واستغلال مياهها بكل إتقان.

وتنبع أهمية هذا الإقليم من تميزه بأنه أغزر من المناطق الأخرى مطراً، وبامتداد موسم المطر وزيادة عدد الأيام المطيرة في السنة، صيفاً أو شتاءً. ولذلك نجد أن الأراضي الزراعية المعتمدة على هذا المصدر تشكل كل المساحة المزروعة في هذه المناطق قديماً وحديثاً. وعلى سبيل المثال، فإن مساحة الأراضي الزراعية المعتمدة على هذا المصدر تقدر بحوالي ٨٨٪ من المساحة المزروعة في هذا الإقليم في فصل الشتاء و٨٥٪ في فصل الصيف، بل إن النسبة قد تصل إلى ٩٠٪ من المساحة المزروعة في بعض الأجزاء كما هو الحال في منطقة جازان. وتبعاً لذلك تتفاوت المساحة المزروعة من سنة إلى أخرى، بقدر التفاوت والتذبذب في كمية مياه الأمطار.

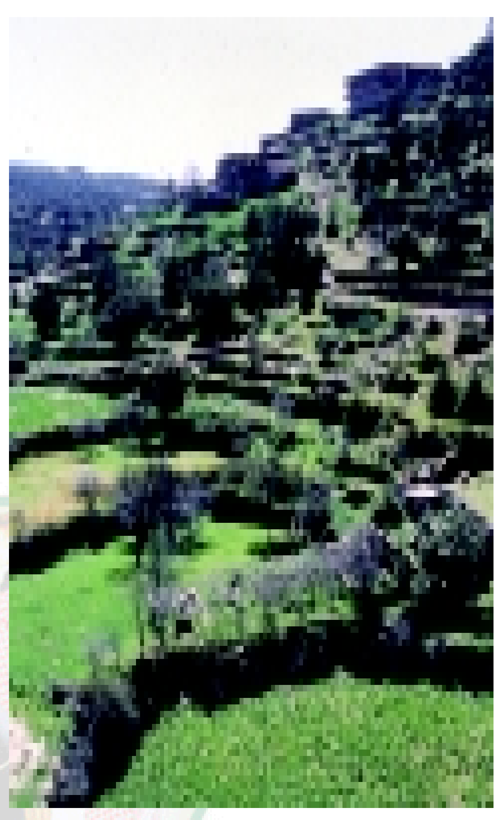
وطريقة الاستفادة من مياه الأمطار متشابهة في مناطق الطائف والباحة وعسير وجازان ونجران والقنفذة. وتعتمد هذه الطريقة على محاولة جلب كمية من مياه الأمطار، بعد تجمعها على هيئة سيول في الأودية والشعاب، إلى الأراضي الزراعية. ولكن كيف تجلب مثل هذه السيول إلى الأراضي الزراعية؟.

إن للأراضي الزراعية في الإقليم الجنوبي الغربي أنماطاً ثلاثة؛ النمط الأول مُدَرَّجات، وهذا النمط موجود في السفوح الشرقية لجبال الحجاز (السروات) من الطائف حتى ظهران الجنوب، وفي بعض الجبال المنعزلة العالية في تهامة، كما في جبال شدا ونيس وغامد الزناد وفيفا وغيرها من الجبال العالية. والنمط الثاني الأراضي الزراعية الواقعة على ضفاف الأودية والمتجهة في الغالب إلى الشرق من جبال السروات، أو المتجهة إلى الغرب عبر منطقة تهامة الجبلية. ويظهر النمط الثالث في الأراضي الزراعية التي ليست بمُدَرَّجات، وليست على ضفاف الأودية، ولكنها تقع بين الأراضي الزراعية الممتدة على ضفتي واديين رئيسيين، وهذه موجودة في تهامة بين السهل الساحلي وتهامة الجبلية، وهي ما تعرف بأراضي الخَبْت.

ويظهر النمط الأول في المُدَرَّجات الجبلية (المصاطب) لأن استغلال مياه الأمطار لري المُدَرَّجات لا يحتاج لتقنية معقدة، فالمُدَرَّجات دائماً تستصلح في سفوح الجبال الخالية من الشعاب الكبيرة،







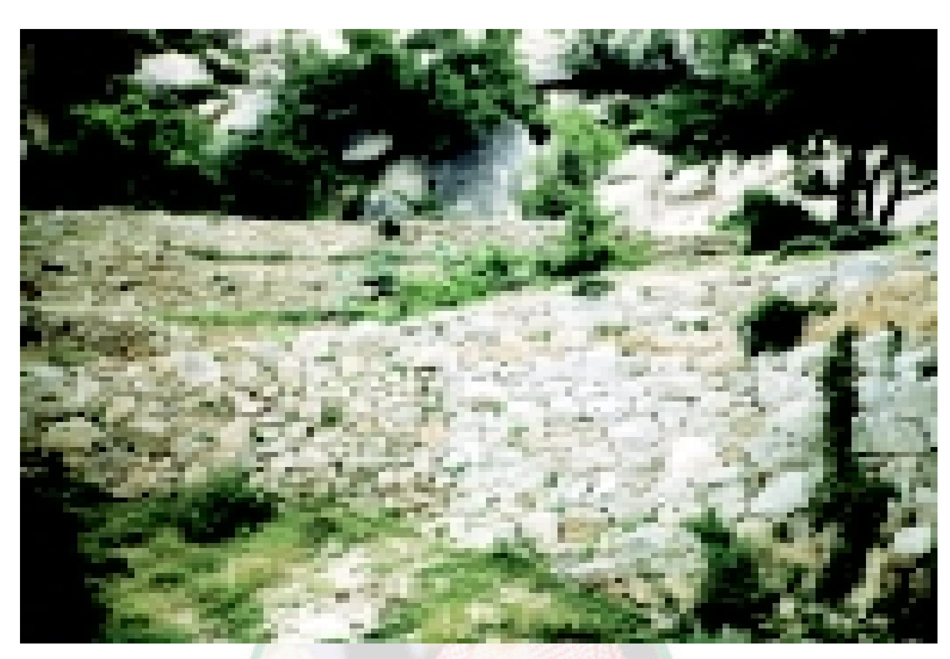
مدرّجات (مصاطب) زراعية

ومساحاتها غالباً ضيقة. والقاعدة أو القانون أو العرف الذي كان سائداً في استصلاح هذه المُدَرَّجات هو أن لكل شخص أن يستصلح ما يلي أرضه الزراعية الواقعة في سفح الجبل الأدنى، وهذا يعني أن كل ما يليه إلى أعلى الجبل من شجر وأحجار، وما يمكن أن يستصلح أو يستغل من أراضٍ هو ملك له طبقاً لذلك العرف الذي كان سائداً. وهذا الوضع يعني أن بدايات الاستصلاح الأولى للمُدَرَّجات كانت تختص بالأفراد، أي كان كل فرد يمتلك مجموعة من المُدَرَّجات، بعضها فوق بعض، تخصه وحده. ولذلك ففي بدايات الاستصلاح لم تكن توجد تلك المشاركة في الري، وكان صاحب المُدَرَّجات يتصرف في ريها كما يشاء، بمعنى أنه قد يصرف الماء عن بعض المُدَرَّجات، خاصة إذا كانت مبذورة حديثاً ولا تحتاج للري.

أدى توارث هذه الأراضي الزراعية عبر الزمن، إلى توزيع تلك المُدَرَّجات بين أبناء الأسرة الواحدة، فتعددت ملكيتها، وأصبح لزاماً إيجاد تنظيم محدد ودقيق لتدفق المياه من مُدَرَّج إلى آخر بعد سقوط الأمطار. وكانت العادة قد جرت عند بناء المُدَرَّج، أن لا يحرص المزارع على وضع حاجز مرتفع من التراب والحجارة أعلى الجدار الذي يحتضن وراءه المُدَرَّج، لكي يحجز كمية كبيرة من المياه، حتى لا يعيق تدفق الماء إلى المُدَرَّج الآخر أولاً، وحتى لا تكون هناك كمية كبيرة من المياه في المُدَرَّج الواحد أكبر من قدرة الجدار على التحمل، وإذا انهار الجدار، فإعادة بنائه تكلف جهداً ووقتاً ومالاً كثيراً. فجدران المُدَرَّجات، عادة، تكون مرتفعة ما بين المتر إلى ثلاثة أمتار. وقد يكون هناك







جدران المصاطب

بعض المُدَرَّجـات ذات الجدران القوية، ومساحتها كبيرة نسبياً. وقد يعمل المزارع على رفع الحاجز الترابي في أعلى الجدار، ولكنه قد لا يرغب في أن تنسـاب المياه فوق أجزاء الجدار كله، حتى لا يتعرض للتآكل والتعرية بسبب تدفق المياه. وفي هذه الحالـة فإنه يضع فـتحة في أعلـى الجدار، وهذه الفتحـة معروف اتساعها ومتفق عليه، ومعروف كذلك ارتفاعها عن مستوى الأرض الزراعية، لكي يتدفق الماء عبرها إلى المُدَرَّج الذي يليه.

إن الوضـع السـائد في ري هـذه المُدَرَّجات هو استقبالها للأمطار مباشرة، من غير ساق يوصل المياه المتجمعة في الشـعاب إلـى هذه المُـدَرَّجات، وإن وجدت مثل هذه السواقي فهي قليلة. وعندما تسقط أمطار غزيرة تمتلىء هذه المُدَرَّجات ويصب أعلاها في الذي يليه، إما من فوق جدرانها مبـاشرة، أو من الفتحات المعدة بين كل مُدَرَّج وآخر. وتسمى هذه الـفتحات في بني مالك وثقيف المَنْزَى أو المغيض ويسمى مدخل مياه المطر إلى المزرعة في الباحة بالدَّبْل، أما عندما تفيض المياه من المـزرعة فإن مخرج الماء يسمى المغيض. ويسمى في نجـران مالمـه أو سَدّه، وفـي عـسيـر مُشْتَـعبْ. وهي توجـد في الأراضي المزروعـة على ضـفاف الأودية، ولا







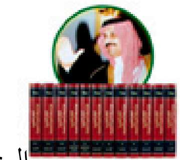
مصاطب زراعية في أعلاها خزان تتجمع فيه مياه تتسرب من أعلى الجبل

وجود لها على ضفاف الأودية في المنطقة السهلية في تهامة.

ويبدو النمط الثاني في استغلال مياه الأمطار، على ضفاف الأودية التي تتجمع من مناطق محددة ضمن حوض واد رئيسي. وتعتبر هذه المياه من المصادر المهمّة للري، ويسعى المزارع دائماً إلى الاستفادة من جريانها ويترقب ذلك باستمرار. ومن المعروف أن معظم الأراضي الزراعية في السابق استصلحت وبنيت على جوانب معظم الأودية في المملكة، حيث الطبيعة السهلية والقرب، بالدرجة الأولى، من مصدر الماء، الذي يجري بعد سقوط الأمطار في هذه الأودية. ولذا يكاد لا يخلو جزء من ضفاف أي واد من أرض زراعية، ما دام الوضع الطبيعي يسمح للوادي بالاستصلاح. إن إلقاء نظرة على استغلال مياه السيول عبر الأودية والشعاب في الجزء الجنوبي الغربي من



نظام ري المصاطب





المملكـة، يظهر لنا أن هـناك نماذج من الأراضي الزراعية الواقـعة على ضفاف الأودية، من حيث مدى الاعتماد على مياه سيول الأودية في الري.

والنموذج الأول هو نموذج الأراضي الزراعـية الواقعـة على أودية الـسفوح الشرقية لجبال الحجاز، المتجهة في الغالب إلى الشرق، وهي التي تبدأ منابعها من شعاف الجبال، بالإضافة إلى مناطق قليلة جداً في تهامة، وبالذات أعالي الأودية الواقعة في أطراف تهامة من جهة الشرق عند أسفل جبال السروات. وقلّما تعتمد مثل هـذه الأراضي الزراعية علـى مياه السيول في الري، فمع أن هذه الأراضي قد تستفيد من هذه السيول عند جريانها فإنه نتيجة لتذبذب الأمطار ومـوسميتها أحياناً يصعب بل يتعذر الاعتماد عليها كلياً، ولذلك كان الاعتماد الرئيسي على الآبار كـثيراً، وسـيأتي الحديـث عنهـا لاحقاً. وطريقة الاستفادة من مياه السيول عبر الأوديـة لهذا النمـط من الأراضي الزراعـية تكـاد تكون مـتشابـهة، وإن اختلـفت في تسـميات بعـض تقنيات توصيـل الماء إلى الأرض الزراعـية في منطقة الطائف والباحة وعسير ونجران.

لقد رأينا أن الاستفادة من مـياه الأمطار في المدرجات يـأتي مباشرة من سقوط الأمطار على هذه المُدَرَّجات، وتدفقه من مُدَرَّج إلى آخر، من دون أن يكون هناك محاولـة لتلقي مـياه السيول مـن أودية وشعاب إلا في حالات قليلة، لأن هذه المُدَرَّجات واقعة على سفـوح تخلو من الأودية والشعاب. وأما النموذج الثاني وهو الأراضي الواقعة على ضفاف الأودية فإن استفادتها مختلفة من مياه السيول.

مثل هذه الأراضي الزراعية لا بد أن تكون ذات جـدران عالية، ومبـنية في الغالب بحجارة ضخمة، ولا يقل ارتفاع الجدار، عادة، عن مترين. والسبب في ذلك هو محاولة تجنيب الأراضي الزراعية خطر الفيضـان وجرف التربة. على أن هذه الأراضـي الزراعـية، خـاصة في الأودية الضيقة، كثيراً ما تتعرض لخطر السيول وهدم الجدران وجرف التربة مما يدفع المزارع إلى البدء من جديد. ومن ناحية أخرى فإن المزارع كان يسعى دائماً إلى الاستفادة من مياه الـسيول في هذه الأودية بشكل منـظم ومفيد. بمعنى أن المزارع قد يرغب في إيصال مياه السيول إلى مزرعته في وقت من الأوقات، وقد لا يرغب في وقت آخر، وهذا يخضع للوضـع الزراعي للـمحصول. ولـهذا السبب حرص المزارع منذ القدم في هذه المناطق، على إنـشاء مجارٍ لمياه السيول

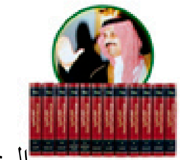




من الأودية إلى الأراضي الزراعية المراد ريهـا. وتبدأ هـذه المجاري مـن طرف الأراضي الزراعية، وهو الجزء الذي يصل إليه سيل الوادي أولاً، وتمتد على طرف الوادي أو بـجوار جدار مـزرعة أخرى لمسـافة قد تصـل إلى أكثر مـن نصف كيلومتر أحياناً، وقد تكون أقل من ذلك. والهدف مـن هذا الامتداد هو محـاولة جذب الماء، أو استقبال سيل الوادي في جزء مرتفع منه، حتى ينحدر الماء ويتدفق بسهولة إلى الأرض الزراعية، وإن كان الماء قليلاً في الوادي مع حـرص المزارع على استقباله قبل غـيره، وأن لا يضيع الماء من غير الاستفادة منـه. ويبنى هذا المجرى بحجارة كبيرة لتشكل جداراً على أحد أطراف الوادي، يرتفع في الغالب متراً أو متراً ونصف متر عن مستوى بطن الوادي. ويمتد الجـدار بامتداد المجرى، وغالباً لا يزيد اتساع فـوهة المجرى عن مترين بحد أقصى حتـى لا تكون كمية المياه المتدفقة عبره قوية فتعمل على جرف التربة، أو هدم الجـدران، وحتى يكون تنظيفها فيما بعد أسهل، لأن هذه المجاري في الغالب تستقبل كميات كبيرة من الرمل والطمي والحصى. وعلى أي حال فـإن سعـة المجرى تـناسـب عادة مـساحـة الأراضي الزراعية التـي ترويها. فكلما زاد عدد الـقطع الزراعـية التي تـرويها



نمط من أنماط الاستفادة من سيول الأودية في الزراعة





التوصيلة واتسعت مساحتها، زاد اتساع فوهتها. إن السعة المتعارف عليها بشكل عام، ومن خلال الملاحظة، تصل إلى قرابة متر واحد فقط. إلا أن الجزء المُقدم من المجرى الذي يستقبل مياه السيل أولاً، يكون واسعاً وقد يحتضن كل مجرى الوادي إذا كان الوادي ضيقاً. أما إذا كان الوادي واسعاً فيمتد هذا الجزء من التوصيلة إلى ربعه أو ثلثه أو نصفه حسب سعة الوادي. وهذا يعني أن مجرى المياه يحاذي الوادي متخذاً الشكل الطولي، أو يحاذي جدار إحدى المزارع ثم يتخذ الشكل العرضي بالتدريج. ويسمى مجرى المياه محْرَفْ في منطقة الطائف كما يُسمى خَلْيجْ ومَسْقَى في منطقة الباحة ويُسمى مِفْيَاض في منطقة عسير ويطلق عليه مَنْشِي في منطقة نجران.

وعندما ترتوي الأرض الزراعية من مياه السيل، يحول صاحب المزرعة السيل إلى الوادي خوفاً من أن تزيد كمية الماء وتؤدي إلى انهيار جزء من جدار المزرعة، لأن حدوث مثل هذا الانهيار مع تدفق الماء خلال المجرى يجرف التربة ويزيد مكان الانهيار اتساعاً. ولذلك فإن المزارع يحرص ليلاً ونهاراً على مراقبة كمية الماء التي تدخل من الوادي إلى أرضه، ويحولها إلى الوادي من مكان محدد في المجرى، إذ يسد المجرى وتُفتح ثغرة في جداره. ويسمى هذا الجزء الذي يُحول منه الماء إلى الوادي في منطقة الطائف مَسَدّ أو مَكْسَرْ، كما يسمى في منطقة الباحة مَكْسَرْ، ويسمى في منطقتي عسير ونجران مَقْطَعْ. ويُعاد فتح المجرى مرة أخرى بعد عشرة أيام على الأكثر، ويظل مفتوحاً استعداداً لاستقبال السيل من الوادي في أي وقت. ويناسب تحويل الماء عن الأراضي الزراعية مدى اكتفاء الأراضي المشتركة في المجرى من الماء. وهذا يقودنا إلى توزيع مياه السيول بين المشتركين في مجرى واحد.

إن توزيع مياه السيول بين المشتركين أمر شائع وموجود في أودية الجزء الجنوبي الغربي من المملكة، سواء في مناطق السراة أو تهامة، وقَلَّمَا نجد أرضاً زراعية واحدة يخصها مجرى واحد. وهذا ناتج عن التوارث واقتسام الأرض وإيجاد الحدود الواضحة بين الأراضي الزراعية لكل فرد. وهذا يعني أن المجرى الواحد قد يشترك فيه أحياناً أكثر من مزارع، وقد يصلون إلى عشرة مزارعين. ولكن كيف توزع المياه؟. هناك مجموعة من طرق التوزيع يعتمد تحديدها على توزيع المزارع حول المجرى. وأولى هذه الطرق تستخدم إذا كانت المزارع المشتركة في



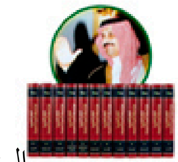




اشتراك المزارع في الري المباشر من مياه السيول

مجرى واحد بعضها بجوار بعض. وتعتمد هذه الطريقة على وضع تقسيمات عند بداية دخول مياه السيل من المجرى إلى المزارع المتجاورة، وهذا التقسيم يخضع لمساحة المزرعة. فلو افترضنا أن هناك ثلاث مزارع متساوية في مساحتها ومتجاورة، ففي هذه الحالة يقسم مدخل المجرى إلى ثلاثة أقسام متساوية. ولو افترضنا أن هناك ثلاث مزارع لثلاثة أشخاص، مزرعتان منهما تشكلان النصف، والمزرعة الأخرى تشكل النصف، فتعطى المزرعة الكبيرة النصف والمزرعتان الأخريان يقسم بينهما النصف الآخر إلى ربعين، وتسمى هذه التقسيمات في الطائف ساقيه وفي منطقة الباحة قسّامْ، وفي عسير تسمى مَقْسَمْ، أما في نجران فتسمى مالَمَه أو سُدّه. وتكون هذه التقسيمات مفتوحة في وقت واحد، أي أن الأراضي الثلاث كلها تشرب دفعة واحدة.

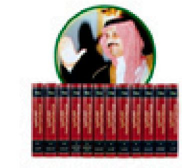
أما إن كانت المزارع المشتركة في مجرى واحد تأتي الواحدة تلو الأخرى فهناك طريقتان لتوزيع المياه؛ طريقة التوازي وطريقة التوالي؛ أولاهما تدفق الماء من المجرى إلى كل مزرعة على التوازي، حتى تمتلىء هذه المزارع. ويأتي تدفق الماء من مزرعة إلى أخرى من مكان محدد ومتعارف عليه وموثق بالكتابة،





ولا يمكن تغييره أو تعديل أبعاده إلا باتفاق مكتوب بين جميع الأطراف. ويكون المكان المحدد، عادة، في وسط جدار المزرعة في الجزء العلوي من الجدار، حيث يصل عرضه إلى متر أو أكثر حسب مساحة المزرعة التي تليه، وبارتفاع متعارف عليه عن مستوى باطن الأرض الزراعية الموجود فيها هذا المكان أو الفتحة المحددة. ولا يحق لصاحب المزرعة أن يسد هذه الفتحة عن المزرعة التي تليه تحت أي ظرف من الظروف، ولكن يحق له أن يسد المجرى ويحيل ماء السيل إلى الوادي لمدة تصل إلى عشرة أيام إذا ارتوت جميع المزارع المشتركة في المجرى. ولصاحب المزرعة الذي يستفيد من هذه الفتحة الحق في أن يتفقدها باستمرار، فإذا وجد فيها أيَّ تعديل سواء بتضييقها أو رفعها عن المستوى المحدد والمتفق عليه فمن حقه أن يبلغ أمناء القرية بذلك، وهم يعيدونها إلى الوضع المتفق عليه. ولهذه الطريقة بعض العيوب خاصة إن كان السيل عبر المجرى قليلاً وارتوت على أثره المزرعة الأولى فقط أو الأولى والثانية وبقيت، مثلاً، مزرعتان لم يصل إليهما الماء. فالمزارع الأول لا يستطيع تحويل الماء إلى الوادي دون أن ترتوي المزرعتان الأخريان، وقد يتكرر السيل القليل مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع وقد يكون بعد ثلاثة أيام، مما قد يؤثر على الزراعة في المزرعة الأولى.

ولتفادي هذه المشكلة، يلجأ بعض المزارعين إلى طريقة تجنب زراعتهم الضرر من تكرار ريها بمياه السيول في أيام متلاحقة، وهذه هي الطريقة الثانية؛ وصفتها أن يعمل المزارع الذي يدخل الماء إلى مزرعته أولاً مجرى جانبياً من أحد أطراف مزرعته يوصل إلى المزرعة الأخرى عبر فتحة في أعلى الجدار. فعندما ترتوي مزرعته يميل الماء إلى المجرى الجانبي الذي ينساب ماؤه إلى المزرعة التي تليه، وهكذا يفعل صاحب المزرعة التي تلي الأولى حتى تروى كل المزارع المتعاقبة. وفي هذه الحالة يحوّل صاحب آخر مزرعة الماء إلى الوادي عبر فتحة من جدار مزرعته من دون الحاجة إلى تحويل الماء من المجرى الرئيسي. إن اتباع هذه الطريقة يزيل الضرر الذي قد تتعرض له المزارع الأولى، كنتيجة لتكرار السيول في أوقات متقاربة، وفي الوقت نفسه يمنح الفرصة لري المزارع الأخرى في حالة السيول الضعيفة المتكررة. وتتراوح سعة التوصيلة الجانبية، في العادة، ما بين نصف متر إلى متر، وتنخفض عن مستوى سطح الأرض





الزراعية قرابة نصف متر، ويتعهد صاحب الأرض الزراعية التي فيها المجرى الجانبي بتنظيفه باستمرار.

ويعد بناء المجرى وتنظيفه من المهام الرئيسية في الزراعة، فإن كان المجرى لشخص واحد فإنه في الغالب ينظفه ويبني ما انهدم من أجزائه بنفسه أو بمساعدة أفراد عائلته، أو يستأجر من لديه الاستعداد للقيام بذلك العمل، إذا كان لدى المزارع إمكانية مادية، وقد يستنجد بواحد من المزارعين أو أكثر لمساعدته في الإصلاح أو التنظيف. ويُستخدم في ذلك المسحاة والزنبيل لإزالة الرمل والحصى، ووضعها خارج جدار التوصيلة في مجرى الوادي. ولا شك أن هذه المجاري تتعرض دائماً لتهدم بعض الأجزاء من جدرانها أو لتهدم الجدار بالكامل إذا كان السيل قوياً. كما أن المجرى يمتلئ أغلب الأوقات بالرمل والحصى والطمي، ولذلك يسارع المزارع بعد كل سيل إلى تنظيفه وتهيئته بعد أيام قليلة من مجيء السيل. أما إن اشترك أكثر من مزارع في المجرى فإنهم يعملون معاً على إصلاحه وتنظيفه من دون النظر إلى مساحة المزرعة. أما إذا تم إصلاحه بالأجر فإن كل مزارع يدفع حصته على حسب مساحة مزرعته. إن أهمية هذه المجاري المائية لا تنحصر في جلب مياه السيول من الأودية إلى المزارع، وإن كان هذا هو الهدف الرئيسي، بل إن ما تجلبه من طمي وطين له أهميته في تجديد التربة، وعلى ذلك فإن كل الأراضي الزراعية المستفيدة من مياه السيول الجارية حاجتها إلى السماد أقل، وعلى فترات متباعدة خلافاً للمزارع البعيدة عن ضفاف الأودية.

أما النموذج الثاني فهو نموذج الأراضي الزراعية الواقعة على ضفاف الأودية ولكن منسوبها مرتفع عن منسوب الأودية. فهذه الأراضي لا يمكن توصيل مياه السيول إليها من الأودية، كما أنها ليست بالمُدَرَّجات وإنما تقع عند سفوح التلال والمرتفعات. ومثل هذه الأراضي الزراعية لا تستفيد من مياه السيول، ولكن من الشعاب الصغيرة التي تنحدر من التلال والجبال القريبة. وتصب مباشرة في الأراضي الزراعية، ولا تحتاج إلى جهد لتوصيلها أو بنائها إلا في حالات قليلة. وتظهر مثل هذه الحالات في بعض السفوح الجبلية المنحدرة غير الصالحة لبناء مُدَرَّجات، كما ليست هناك شعاب محددة يجري فيها السيل. ولذا يحاول المزارع أن يبني مجرى تتجمع مياه السفح فيه لتصل إلى المزرعة. وإذا اشترك أكثر من







المناطق الزراعيّة في سفوح الجبال

مزارع في هذا المجرى فإن الطريقة الوحيدة هي عمل فتحة في أعلى الجدار من وسط المزرعة ليصل الماء من المزرعة الأولى إلى الثانية عبر هذه الفتحة، وتتصف الفتحة بشروط الفتحة نفسها الموجودة في الأراضي المستفيدة من مياه سيول الأودية. ومثل هذا النمط موجود بشكل كبير في منطقة السراة والأجزاء الشرقية من تهامة حيث تلال تهامة.

أما النموذج الثالث فيظهر في الأراضي الزراعية الواقعة على ضفاف الأودية في منطقة تهامة، وبالذات تهامة السهلية، كأودية جازان وخلب وضمد وصبيا وبيش وعتود وحلي وييه والأحسبه ودوقه وقنونه وغيرها. والأراضي الزراعية على ضفاف أودية تهامة في هذا الجزء واسعة، ويحيط بكل مزرعة جدران وحواجز ترابية خالية تماماً من الحجارة. كما أن هذه الأراضي تعتمد في الري كل الاعتماد على مياه السيول التي تتدفق بعد سقوط الأمطار من جبال السراة وتخترق هذه السهول لتصب في البحر الأحمر. ولذلك كان المزارعون حريصين على استغلال هذه المياه. ولعل الطريقة الرئيسية بل الوحيدة المستخدمة في ذلك هي إقامة سد بعرض الوادي، وهذا السد يُسمى عَقْمْ. وفي منطقة حائل يسمى الحِبْس، والمجرى الذي يدخل معه السيل



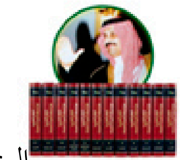


إلى البستان يسمى الساقيه وتجمع على سواقي.

ويشترك في إقامة هذا السد مجموعة من المزارعين، قد يصل عددهم إلى عشرة أو أكثر. وهذا يعني أنه لا يوجد مزارع بمفرده يقيم مثل هذا العقم. وقد يصل ارتفاع السد أو العقم إلى مترين أو أكثر وعرضه كذلك. وهو عقم ترابي يصل طوله بعرض الوادي إلى أكثر من مائتي متر أحياناً. ويقوم المزارعون بإنشاء هذا العقم الترابي باستخدام الثيران وآلة من الخشب تسمى مَحَرّ؛ ويقولون «يَزْبر العقم» والتزبير هو تكويم التراب والرمال وسط الوادي لإقامة العقم. وقد يشترك في تكويم العقم ستون ثوراً حسب أعداد المزارعين المشتركين في هذا العقم أو ذاك. ونشاهد هذا العمل في كل واد من أودية هذا الجزء من تهامة حيث نجد في كل وادٍ عدداً من هذه العقوم.

وتقنية استخدام العقوم في ري الأراضي الزراعية هي أن يحجز الماء خلف هذا العقم. فيتجه الماء إلى المزارع عبر مجرى ضيق يسمونه نَهْرْ، ويقسم هذا النهر عدة أقسام أو فروع، كل فرع يسمى عَقِيْمَه، (وجمعها عَقَائم). وتروى المزارع بالتسلسل، بمعنى أنَ كل العقائم تسد لترتوي المزرعة الأولى ثم التي تليها ثم التي تليها وهكذا. وعندما يكون السيل قليلاً لا يكفي إلا مزرعة واحدة وهي الأولى، فعلى صاحب هذه المزرعة أن يسد هذه العقيمة لمدة خمسة عشر يوماً، حتى إذا جاء السيل خلال تلك المدة فإن المزرعة التي تليه تشرب مباشرة. أما إن لم يأت السيل خلال هذه المدة فإن من حق صاحب المزرعة الأولى أن يفتح عقيمة مزرعته ويسد بقية العقائم، ولا تشرب المزرعة الثانية قبل الأولى. ولا يطالب الأول بفتح بقية العقائم حتى يكتفي. وعندما تكتفي كل المزارع المشتركة في العقم الرئيسي يصبح من حق المشاركين فيه أن يحولوا الماء ليتجه إلى مجموعة من المزارعين الآخرين المشتركين في عقم آخر.

وتتعرض هذه العقوم الكبيرة باستمرار إلى أضرار تؤدي إلى هدمها أو جزء منها. ويسارع المزارعون، عند جرفها أو هدمها، إلى محاولة إعادة بنائها مرة أخرى. ويشارك كل المزارعين المشتركين في العقم، كل بحسب مساحة مزرعته، في إصلاحها. وتكون طريقة المشاركة بعدد الثيران، فيقولون فلان عليه أن يشارك بضمدين وفلان بثلاثة ضمود وفلان بأربعة ضمود وفلان بواحد... وهكذا، والضمد يعني





ثورين، وهو هنا رمز لأن الضمد أداة خشبية تربط الثورين معاً بوضعها على رقبتيهما وشدها بالحبال لتسحب المحراث أو المَحرّ الذي يستخدم في تكويم تراب العقم. ويسمى الضمد في بعض قرى الباحة الجنوبية بالمقرنه.

وفي بعض أودية تهامة عدد من العيون والينابيع الصغيرة، خاصة في أجزائها العليا (المنابع) تحت سفوح جبال السراة كما هو الحال في أودية الأحسبة وقنونه ويبه وحلي وبيش. ويخرج الماء من مكان محدد يدعى القُلّه. وتسحب مياه هذه العيون من القلة عبر قنوات مفتوحة أو سفلية تدعى فلجْ وتوزع على المناطق الزراعية. وقد تمتد هذه القنوات مسافات قد تصل إلى ٥٠٠م أو أكثر، نظراً لأن معظم هذه الينابيع تنبع من مناطق وعرة غير صالحة للزراعة. ويشترك في ملكية هذه العيون عدد من المزارعين لكل منهم سهم معلوم، وغالباً ما تكون حقوق هذه المياه موثقة ومتوارثة منذ مئات السنين. ولأن هذه الينابيع دائمة الجريان فالري منها يستمر ليلاً ونهاراً حسب الحصص المحددة لكل مزارع. وعندما تتعرض العين أو قناتها (فلجها) للدفن أو التهدم يشارك جميع المزارعين في إصلاحها وتنظيفها مباشرة.

أما في تهامة فتمثل الزراعة المطرية والبعلية جزءاً مهماً من المساحة المزروعة في سهولها منذ القدم، وما زالت محافظة على أهميتها حتى الوقت الحاضر. وتقدر نسبة المساحة المزروعة بالأمطار المباشرة والسيول بما يزيد على ٩٠٪ من المساحة المزروعة في منطقة جازان على سبيل المثال. وتعتمد المساحة المزروعة في كل موسم على كمية الأمطار، ولذا فقد تتقلص المساحة المزروعة بنسبة كبيرة في السنين العجاف. وعوضاً عن الزراعة المعتمدة على الري من الأودية والعقوم في هذه المنطقة، فإن هناك كثيراً من المناطق الزراعية فيها تعتمد على المطر مباشرة. ويتركز هذا النوع من الزراعة في تهامة الساحلية، خاصة مناطق الكثبان الرملية والمناطق المنخفضة التي توجد بين الأودية الزراعية ولا يمكن إيصال المياه إليها من الأودية أو الشعاب.

ومساحات هذه الأراضي الزراعية كبيرة ومنبسطة، وتربتها السائدة من نوع التربات الرملية، وهي تعتمد على مياه الأمطار المباشرة. ومن الخصائص المميزة للأراضي الزراعية من هذا النوع، خلوها من الحواجز أو الحدود الترابية أو الجدران التي تفصل بين الأراضي الزراعية كما هو الحال في الأراضي الزراعية الواقعة



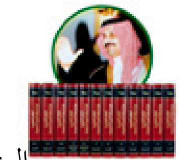


علـى الأودية. وتسمـى هذه الأراضي بالخبت، وأغلب إنتاجها الدخن والذرة. وتبدأ عمليتـا البذر والحرث بعد هطول الأمطار الـشتوية، وتترك حـتى حصاد المحصول الذي تتوقف درجة نجاحه على وفرة الأمطار وانتظام توزيعها على أشهر الزراعة. وعادة يكفي لنجاح المحصول رية واحدة من مـياه المطر بعد الحرث، ولكن جودة المحصول وغزارة إنتاجه تزيد مع زيادة المطر.

## العيون والينابيع

العين أو الينبوع في الأصل هو تدفق الماء الجوفي واندفاعه على سطح الأرض بشـكل طـبيعـي من غيـر تدخـل من الإنسان. وهذه الظاهرة ناتجة عن ارتفاع مسـتوى الماء البـاطني، ممـا يؤدي إلى حدوث ضغوط هيدروليكية شديدة تؤدي إلى حدوث شقوق وصدوع تصل هـذه المياه مـن خلالها إلـى سطح الأرض، وتكوّن قنوات لـتصريفها. وقد تتكـون العين أو الينبوع من فتحة واحدة، وقـد تتكون من عدة فتـحات ليتصل بعضها ببعض كـما هو الحال في بعض عـيون الأحساء، كعـين الحاره التي لها ثـلاث فتحات. وإلى جانب ارتفاع منسوب الماء الجوفي، فقد تكون هناك عوامل مساعدة لتشكل العيون ووجودها متعلق بـطبيعة الصخور وتركيبها. فبعض المناطق توجد بها صخور تذوب، مما يؤدي إلى ذوبانها عند ارتفاع الماء الجوفي، وتكون كهوفـاً باطنية. ونتيجة لثقل الطبقات والصخور فوق هذه الكهـوف، ومع مرور الوقت تحدث انهيـارات وتصدعات تؤدي إلى حدوث فتحات يندفع منها الماء الجوفي. فتصبح على شكل عيون أو بحيرات عذبة كما هو الحال في عيون الأفلاج وبعض العيـون في الأحساء والـقطيف والسـر وبعض المناطق الأخرى. ومن الواضح أن هذا النوع من العيون قد لا يتدفق منه الماء تلقائياً على سطح الأرض، بل يبقى قريباً من السطح. ولذلك فإن الاستفادة منه في الزراعة التقليدية، كانت تقتضي شق خنادق (مجـاري) بأعماق مختلفة لتجعل الماء ينحدر في هذا المجرى نحو الأراضي الزراعيـة. وفي أحيان أخرى يقتضي الأمر رفع هذه المياه بأي طريقـة من الـطرق المتـاحة قديمـاً، كالسوانـي والشـواديف، لري الأراضـي الزراعية المجاورة.

والواقع أن العيون التي كانت تعتمد عليها الزراعة التقلـيدية لم تقتصر على هذا النوع من العـيون الطبيعية، بل إن هناك نوعاً آخر مما عرف لاحقاً بالعيون





لم يكن في الواقع سوى آبار (قلبان) يدوية أو أنبوبية حفرها المزارعون في ذلك الوقت، ولكنها تشترك مع العيون الطبيعية، سالفة الذكر، في أنّ الماء يتدفق منها ذاتياً إلى سطح الأرض دون حاجة إلى رفعه، ولهذا السبب سميت عيوناً. وينتشر هذا النوع في مختلف مناطق المملكة، بل يكاد يكون أكثر عدداً من العيون الطبيعية. ويوجد هذا النوع في بعض المناطق كالأحساء والقطيف إلى جانب العيون الطبيعية، حتى لا يكاد المرء يفرق بين النوعين، لأن كليهما يتدفق منه الماء تلقائياً، أو يوجد قريباً من سطح الأرض. ويمكن أن نفرق هنا بين ثلاثة أنواع من العيون حسب طريقة الحفر وشكل العين.

فحسب طريقة الحفر؛ هناك النوع الأول وهو الآبار اليدوية (القلبان) وهي أكثر أنواع العيون التي حفرها الإنسان شيوعاً، وأكثرها شبهاً بالعيون الطبيعية. وهذا النوع من القلبان قلبان عادية، أي حفر مستديرة أو مربعة الشكل يصل قطرها ما بين ثلاثة إلى ستة أمتار تقريباً، ولكن اندفاع المياه إلى قرب سطح الأرض أو تدفقها تلقائياً فوقه هو الذي أكسبها صفة العين. وعلى الرغم من أن الأصل في هذا النوع من القلبان؛ وهي مثل أي قلبان أخرى، قد حفرت في أمكنة لا دليل على وجود ينبوع فيها، فإنه من الممكن أيضاً أن يلحق بهذا النوع قلبان أخرى حفرت أصلاً فوق عين طبيعية. ولذا يكون الهدف الرئيسي من حفر مثل هذا القليب هنا هو زيادة تصريف مياه هذه العين وزيادة تدفقها.

ويظهر النوع الثاني من طريقة الحفر في الآبار اليدوية الأنبوبية، وقد ظهر في فترة متأخرة تعود في معظم مناطق المملكة، كالقصيم والسر والخرج، إلى بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (١٣٥٠هـ). والآلة المستخدمة في حفر هذا النوع من الآبار تدعى الحديد أو الدقّاق اليدوي وهي تشبه إلى حد كبير الحفارات الآلية الميكانيكية الموجودة الآن والمعروفة بالدقّاق، بل إنها صورة مصغرة عنها ولكنها تعتمد في حفرها على القوة العضلية للإنسان بدل الرافعة والسيارات. ويحفر على شكل حفرة قطرها عشر بوصات تقريباً حتى الوصول إلى مستوى الماء الجوفي حيث توضع ماسورة قطرها ٤-٦ بوصات، ومن ثم تغلق الفتحات الموجودة على جوانب هذه الماسورة بالطين أو نحوه. ولمّا كانت المياه الجوفية في المناطق المذكورة وافرة، ذات ضغط شديد، فإن المياه تندفع من هذه



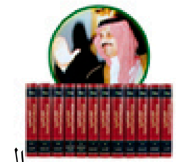




الدقاق اليدوي

الماسورة تلقائياً وتجري على سطح الأرض. وقد استمر هذا النوع من الآبار، التي تسمى عيونْ أحياناً، بالتدفق حتى شيوع الحفر الآلي والمضخات الميكانيكية. وقد أدى ذلك إلى سحب كثير من المياه الجوفية، فتسبب في هبوط مستوى الماء الجوفي، وتوقف هذا النوع من الآبار عن التدفق، مثله مثل معظم العيون الأخرى.

والنوع الثالث الأخير من طرق الحفر هو حفر الآبار الأنبوبية (الارتوازية). التي حفرت بآلات ميكانيكية حديثة، ولذا فأعماقها قد تكون بعيدة جداً، تصل أحياناً إلى أكثر من ألف متر. وكان العديد من هذه الآبار، التي انتشرت في معظم مناطق المملكة منذ حوالي سنة ١٣٧٠هـ، يتدفق ذاتياً على شكل عيون جارية، خاصة في مناطق مثل الأحساء والقطيف والقصيم وحائل والجوف وغيرها. ورغم أن معظم هذا النوع من الآبار قد توقف عن التدفق في السنين الأخيرة، نتيجة لانخفاض مستوى الماء الجوفي، خاصة في مناطق القصيم وحائل والجوف، فمازال بعضها يتدفق حتى الوقت الحاضر. وسوف نكتفي بهذه اللمحة عن هذا النوع نظراً لحداثة عهده واعتماده على الأجهزة الميكانيكية الحديثة، وبالتالي عدم انطوائه تحت مظلة الزراعة التقليدية.





وتعدّ العيون والينابيع بمختلف أنواعها وأشكالها، مصدراً من مصادر المياه التي كانت تعتمد عليها الزراعة التقليدية في مختلف مناطق المملكة. غير أن درجة أهميتها تتفاوت من منطقة إلى أخرى تبعاً للتفاوت في عدد العيون وكمية المياه المتدفقة منها. ففي حين كان هذا المصدر يشكل المصدر الرئيسي لمياه الري في الزراعة التقليدية في بعض المناطق، كالأحساء والقطيف ويبرين ووادي المياه والأفلاج والأجزاء الشمالية من منطقة السر ووادي فاطمة وخيبر والحائط ودومة الجندل، فإن المناطق الأخرى مثل الشرائع والزيمه وعيون الأشراف وعين الليمون وعيون وادي قديد وعيون وادي خليص وعيون وادي ساية ووادي ستارة في بني سُليم، وغيرها كثير في أودية الحجاز، مثل عيون وادي حجر وعيون وادي ينبع النخل وعيون البريكه وعيون وادي الفرع، كانت جميعها لا تخلو من وجود عدد من العيون التي تعد روافد مهمة لمياه الري إلى جانب أكثر المصادر أهمية وهي القلبان والسواني.

ففي الأحساء مثلاً، حيث كان هذا المصدر هو أهم مصادر المياه للزراعة في هذه الواحة، كان ثَمَّ ما يربو على ١٦٢ عيناً طبيعية إلى جانب أعداد أخرى من القلبان والآبار المتدفقة. وكانت هذه العيون تتفاوت في تصريفها وكمية مياهها. فبعضها صغير لا تكاد تكفي مياهه سوى مزرعة واحدة، وبعضها كبير له قنوات ري متعددة تعتمد عليه أعداد كبيرة من المزارع. وتعدّ عين الخدود والحارة والبحيرية وعين حقل وعين الحويرات وأم سبعة وعين منصور والجوهرية وباهلة، من أهم عيون الأحساء وأغزرها تصريفاً. والعيون في هذه المنطقة منذ القدم على نوعين؛ أحدهما، وهو الأهم والأكثر، يتدفق منه الماء تلقائياً وينساب على سطح



صورة قديمة لعين الحارة – الأحساء





الأرض دون حاجة إلى آلات أو أدوات لرفعه. أما النوع الآخر فماؤه على مسافة قريبة من سطح الأرض، ولكنه لا يتدفق سيحاً، ولذلك كانت المياه من هذا النوع ترفع بالسواني والمغارف والشواديف، ومن أمثلة هذه العيون عين باهلة وغيرها.

وقد أدى المتح الدائم للمياه من هذه العيون وحفر آبار جديدة في العقود الأخيرة، إلى هبوط مستوى الماء الجوفي في معظم هذه العيون، فجف بعضها وانخفض مستوى الماء في بعضها، حتى توقفت عن التدفق التلقائي، وأصبحت الاستفادة منها تقتضي استخدام المضخات لرفع المياه منها.

وفي واحة القطيف تعدّ العيون الطبيعية المصدر الأول للزراعة التقليدية في الواحة منذ القدم، فثم ما يربو على مائة عين طبيعية وأضعاف هذا العدد من القلبان والآبار التي حفرت حتى وصلت إلى مستوى المياه الارتوازية، فتدفقت منها المياه تلقائياً وانسابت على سطح الأرض.

وقد نشأت على هذه العيون زراعة كثيفة منذ القدم، ومزارع عامرة، سواء في القطيف نفسها أم في القرى الزراعية المجاورة لها، التي تعد امتداداً لهذه



صورة قديمة لجانب من واحة الأحساء





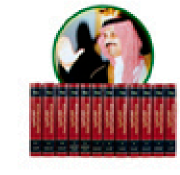


صورة قديمة من عيون القطيف

الواحة. فكانت المزارع الكبيرة في مساحتها تضم أكثر من عين، في حين تشترك الملكيات الصغيرة في عين واحدة.

ومن أهم العيون في القطيف نفسها عيون دبيبية، والمقتتة، والسليماني، وأبو لوزة، والقصاري، والحر، والبشرى، وغراء، وأم عمار، والمروانة والمنصوري وغيرها. أما في سيهات فإن أهم العيون هي عيون القبلية ومريقب وشميميات والحناة والكعبة وأم الزنابيل. وثمَّ عدد من العيون في عنك وأم الحمام والجارودية والأوجام والخويلدية والقديح والعوامية وصفوى وأم الساهك. وتشبه العيون في واحة القطيف والقرى الزراعية المجاورة مثيلاتها في الأحساء بأن عدداً منها لم يكن أصلاً يتدفق على سطح الأرض، ولذا كانت المياه ترفع بالشادوف والمغراف. أما العيون الجارية فقد توقفت في السنين الأخيرة عن الجريان لانخفاض الماء الجوفي، وأصبحت بحاجة إلى آلات وأدوات لرفع المياه منها.

أما في المناطق الوسطى من المملكة العربية السعودية فهناك عدد من العيون التي



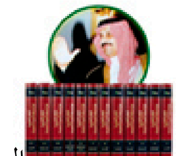




فتحة عين من عيون الخرج

كان لها أثر كبير في ازدهار الزراعة التقليدية في مناطقها، غير أن انخفاض المياه الجوفية، نتيجة لانتشار الآبار والمضخات الحديثة، أدى إلى جفاف بعضها تماماً وانخفاض الماء في بعضها، فلم تعد تتدفق على سطح الأرض.

ومن أهم هذه العيون عيون الأفلاج التي أكسبت الأفلاج اسمها، فالأفلاج جمع فلج، والفلج هو مجرى الماء من العين على سطح الأرض إلى المناطق الزراعية المراد ريها. وقد عرفت الأفلاج بهذا الاسم بسبب كثرة عيونها ومجاريها المائية المتدفقة على سطح الأرض عبر الأفلاج. ويوجد بالأفلاج عدد من العيون، بعضها جف واندثرت معالمه، وبعضها ما زال موجوداً حتى الآن، على الرغم من أن المياه فيها قد انخفضت وأصبحت بحاجة إلى ضخ. ومن أشهر عيون الأفلاج وأكبرها عيون الرأس وأم هيب والرويس والباطن وأم برج والشقيبات وأم البقر والمليحية. وعيون الأفلاج جميعها ناتجة عن ذوبان الصخور الجوفية، ثم هبوط سطح الأرض، ولذلك كانت إلى عهد قريب على شكل بحيرات





سطحية تغطي مساحات واسعة من سطح الأرض. وتمتد من هذه البحيرات سواقي لري الأراضي الزراعية المجاورة.

وإذا انتقلنا إلى الجزء الشمالي من منطقة السر، نجد أيضاً عدداً من العيون التي كانت المصدر الرئيسي لمياه الري في الزراعة التقليدية في هذه المناطق. ولهذا السبب نشأ عدد من القرى الزراعية تحمل اسم العيون، كعين الصوينع وعين ابن قنور وعين الطرفية وغيرها. والعيون هنا من النوع الصغير الذي ينبع من حفرة تشبه القليب، ويجري الماء في مجرى العين (الساقي) لمسافة قد تصل ٤-٥ كيلومترات ليصل إلى المزارع حيث تزرع الحبوب.

وإلى الشمال من ذلك توجد أيضاً عيون أخرى، كعين العقيلي والجراية ونبعة في المذنب، وعيون وادي الرمة في عنيزة، وعيون الجواء في الجزء الشمالي من منطقة القصيم، ومنها عيون قصيبا وعين ابن ميح والعبسية في الجواء، وعين ابن فهيد في الأسياح، وعين المزرعة، وعين الملد في الباحة، وتسمى واحدتها كظامة. وجميع هذه العيون، رغم أهميتها في العصور الماضية، فقدت أهميتها منذ شيوع حفر الآبار الأنبوبية ووسائل الضخ الحديثة، حيث بدأت مياهها تقل تدريجياً حتى توقفت تماماً منذ حوالي ربع قرن مضى أو يزيد قليلاً، (٢٥-٣٠) سنة.



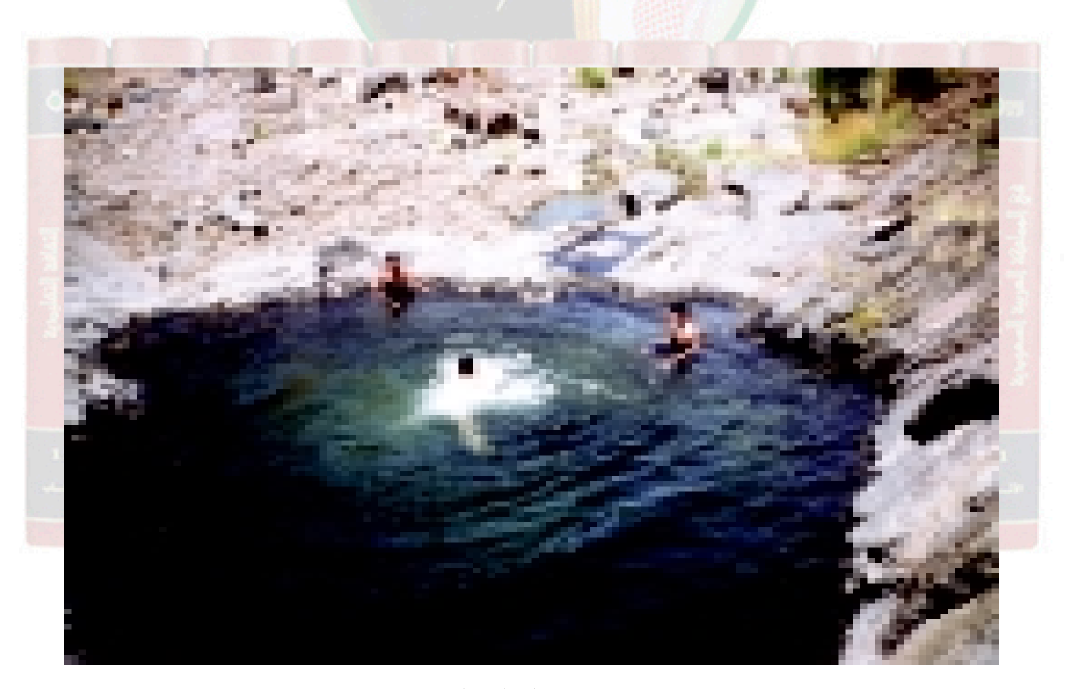
عين الصوينع بعد جفافها



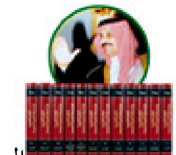


وفي الأجزاء الغربية من المملكة وغيرها من المناطق الصخرية، توجد أنواع أخرى من العيون لها طبيعتها الخاصة حيث تعتمد في تدفقها على المياه المختزنة في الصخور البازلتية المتصدعة في هذه المناطق (الحَرَّات). ومن أمثلة هذه العيون عيون خيبر، حيث كان هناك أكثر من ٥٠ عيناً تنبع جميعها من حَرَّة بني رشيد وتعتمد عليها منذ القدم بساتين النخيل في الأجزاء الشرقية والجنوبية الغربية من الواحة. ومن أشهر هذه العيون عين المَرْوَى وعين أم البيضه وعين البحير وعين الجمة وعين الراية وعين الرفيفة وعين سلالم وعين الصفافة وعين طيران وعين قصيبة وغيرها. وعلى الجانب الآخر من الحَرَّة المذكورة، كان هناك أيضاً عدد من العيون في منطقة الحائط والحويِّط في أقصى الأجزاء الغربية من منطقة حائل حيث قامت عليها زراعة مزدهرة في تلك المناطق.

وفي المدينة المنورة يوجد عدد من العيون يربو عددها على خمسين عيناً، تتركز معظمها في القرية المعروفة بهذا الاسم (العيون)، إلى الشمال الغربي من المدينة، والمناطق المجاورة لها حيث كانت تعتمد عليها بساتين النخيل التي تعرف هي وعينها ومجرى العين باسم الخيوف (ومفردها خِيف). كما كان هناك عدد



إحدى عيون المناطق الصخرية





من العيون والخيوف في ينبع ولكن هذه العيون جميعها، تقريباً، قد توقفت منذ ما يربو على أربعين سنة.

وبوجه عام، كانت العيون مورداً مهماً للري في الزراعة التقليدية، ولكن أهميتها كانت تتفاوت من منطقة إلى أخرى. فقد تعدّ المورد الرئيسي لمياه الري في بعض المناطق، مثل واحات الأحساء والقطيف، ولكنها تعدّ مصادر مساندة للمصادر الأخرى في بقية المناطق. وعلى كلٍ، فقد بدأت العيون تفقد أهميتها شيئاً فشيئاً منذ انتشار تقنية الحفر الآلية والمضخات الحديثة، التي أدت إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية، وتوقف معظمها أو تحولها إلى مجرد خزانات جوفية للمياه تقتضي الاستفادة منها رفع مياهها بأي من وسائل الرفع المختلفة.

ويقصد بالنظام العام للري من العيون، الكيفية التي ينتقل بها الماء من العين إلى المزرعة، ويشمل هذا النظام عدداً من الأمور أهمها شكل ونوع القنوات التي تنقل الماء من العين إلى الأراضي الزراعية، وكيفية تنظيف العين وقنواتها الرئيسية والمحافظة عليها، ثم نظام توزيع مياه العين على المزارعين والمناطق الزراعية، بل وتوزيع الماء داخل المزرعة نفسها. إن هذا النظام العام قد يتفاوت من عين إلى أخرى حسب عدد من العوامل والمعطيات أهمها؛ حجم العين، وطبيعتها وكمية مياهها، واختلاف



من عيون وادي فاطمة







عين الخيف – وادي فاطمة

أنماط الملكية ونظام توزيع المياه، التي ترجع في بعض العيون إلى مئات السنين، وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل، ثم بعد ذلك الاختلافات بين المناطق والأقاليم في الأعراف والتقاليد والنظم الزراعية التي تحكم النظام العام للري من هذا المصدر.

ولما كان هناك المئات من العيون، فإنه من المتعذر أخذ كل عين على حدة، ولذا فالمنهج الذي سنسير عليه هنا هو دراسة أنظمة الري العامة في بعض المناطق والمحافظات، وهي الأحساء والقطيف والأفلاج وعيون السر والمدينة وينبع. وقد روعي في هذا الاختيار أن يشمل أهم المناطق التي تعتمد على هذا المصدر في ري أراضيها الزراعية، وأن تكون هذه المناطق ممثلة لأهم المناطق الزراعية والإقليمية في المملكة لتتضح الفروق والاختلافات الإقليمية.

**أنظمة الري في الأحساء والقطيف.**

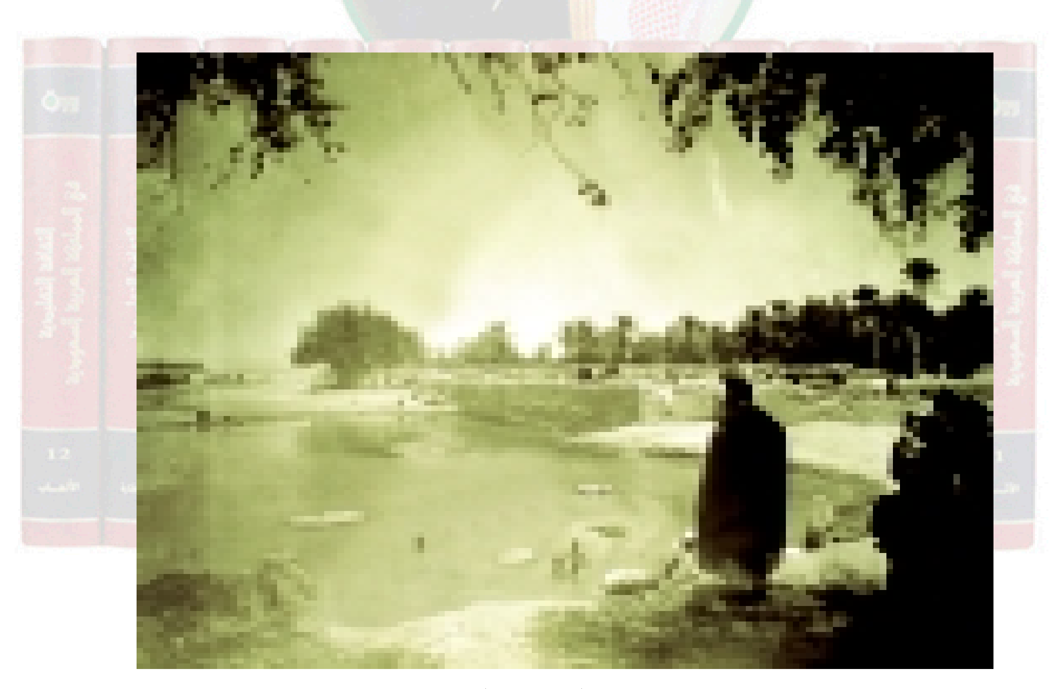
تتشابه أنظمة الري من العيون تشابهاً كبيراً نظراً للتشابه الطبيعي بين المنطقتين. فالعيون هي المصدر الرئيسي للري فيهما منذ مئات السنين، وكذلك العادات والتقاليد الزراعية التي تحكم الاستفادة من مياه العيون وتوزيعها بين المزارعين متشابه بينها. وبوجه عام يمكن أن نفرق هنا بين نوعين رئيسيين من العيون؛





أحدهما صغير ويخضع في الغالب لملكية واحدة، سواء أكانت فردية أم عائلية، والآخر كبير يشترك في الاستفادة منه عدد كبير من الأسر والمزارعين، حسب نظام خاص لتوزيع الماء بينهم توارثوه منذ مئات السنين جيلاً بعد جيل. فالعيون الصغيرة ذات الملكية الخاصة، مثلها مثل الآبار والقلبان، توجد داخل مزرعة واحدة، بل أحياناً قد توجد أكثر من عين داخل المزرعة الواحدة، ولذا فنظام الري هنا يتحكم فيه صاحب المزرعة دون تدخل من أحد أو مشاركة. أما العيون الكبيرة ذات المياه الوفيرة فملكيتها مشتركة، ولكل عين نظام خاص لتوزيع الماء بين المزارعين الشركاء، كما يشتركون في صيانة العيون ومجاريها والحفاظ عليها وحمايتها. وهذا النوع من العيون هو الأهم ولذا فسنخصّه بمزيد من التفصيل.

يعتمد الري من العيون الكبيرة على أسلوبين من أساليب الري، أحدهما؛ الري بالْغَرْف، والآخر الري بالسيح. وتسمى المزارع التي تروى بالغرف الغراريف، جمع غَرَّافه، وهي تلك المزارع التي تقع على ضفاف المجرى الرئيسي للعيون الكبيرة. وهذه المزارع تسقى بإحدى طريقتين؛ طريقة السواني أو الصِّدَر، والطريقة الثانية طريقة العدّه



صورة قديمة لعين في الهفوف





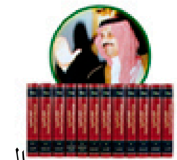
(الشادوف)، التي تسقى بها عادة المزارع ذات المساحات الصغيرة جداً التي لا تتجاوز مساحتها الدونم الواحد. وتستخدم غالباً لرفع الماء من القنوات الرئيسية إلى قنوات فرعية أكثر ارتفاعاً منها بأقدام قليلة. وتتألف الغرافة من قائمين خشبيين يرتكزان عمودياً بين القناتين الرئيسية والفرعية، وفي أعلاهما خشبة معترضة غليظة تصل بينهما. وفي مثقب هذه الخشبة المعترضة يربط حبل قصير وقوي من الليف ينتهي طرفه الآخر بخشبة قوية هي بمثابة الذراع لهذه الرافعة. ويتصل الحبل بهذا الذراع بحيث يترك ثلاثة أرباعه تقريباً ناحية القناة الرئيسية والربع الأخير ناحية الحقل أو القناة الفرعية. ويربط في نهاية الذراع من ناحية القناة الرئيسية حبل تتدلى منه خشبة وعند نهايتها توصل بدلو أو بمغرفة مصنوعة من الجلد، ونادراً ما تصنع من الخشب. وفي أوقات متأخرة استبدلت بصفيحة من صفائح الزيت الفارغة. أما النهاية الأخرى لذراع الرافعة، فيربط بها ثقل من الأحجار وزنه يزيد قليلاً عن وزن الدلو وما به من ماء. وهكذا يكون دور المُشَغِّل سحب ذراع الرافعة إلى أسفل حتى يمتلئ الدلو بالماء، وعندما يترك الذراع



الري بالشادوف

يرتفع الدلو تلقائياً بفعل الثقل الزائد على الذراع الآخر، وعندئذ يقوم العامل بقلب الدلو ليصب ماءه في القناة الأخرى. وبما أن كمية المياه التي ترفعها قليلة فإن الزراعة عليها أيضاً قليلة وربما لا تزيد عن بعض الخضروات التي تحتاج إلى مياه قليلة.

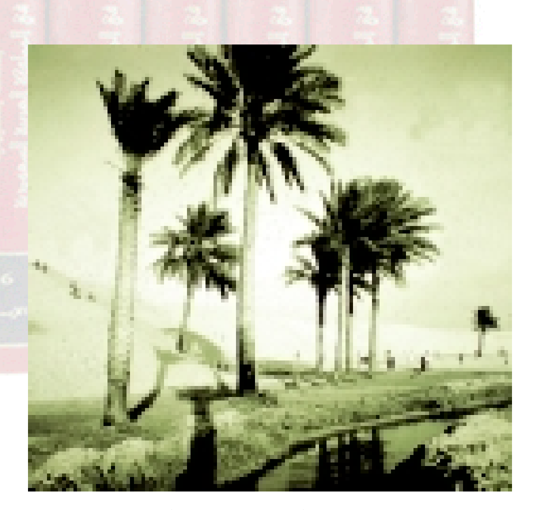
وعموماً فإن هذا الاسلوب من أساليب الري المعتمد على رفع المياه سواء بالسواني أو بالعدّة اليدوية، هو الأقل وجوداً في كل من واحتي الأحساء والقطيف، وينتشر غالباً في الضواحي الزراعية البعيدة عن مواقع الري أو على بداية مجاري العيون كما هو الحال في مجرى عين الحارَّة في المبرز والبحيريه.





أما الأسلوب الشائع والأكثر أهمية، فهو ري السيح الذي يعتمد على التدفق الذاتي لماء العين وجريانه على سطح الأرض، دون حاجة إلى رفعه بأي وسيلة حتى يصل إلى المزارع والبساتين. وفي كلتا الحالتين فإن نظام الري هنا يبدأ بتوجيه ماء العين نحو قناة الري الرئيسية، وهي على خلاف بعض المناطق الأخرى قناة ترابية مفتوحة. وقد تتفرع هذه القناة إلى أكثر من فرع، يروي كل فرع عدداً من المزارع، كما قد تلتقي قناتان رئيسيتان أو أكثر من عيون مختلفة لتشكل قناة ري واحدة.

وعندما تصل قناة الري الرئيسية، التي قد تمتد عشرة كيلومترات أو أكثر، إلى الأراضي الزراعية والبساتين تتفرع منها قنوات ري ثانوية تسمى كل منها



صورة قديمة لقناة ري في الهفوف

الثبر، ومن هذه القنوات يوزع الماء على المزارع، حيث يقوم المزارع الأول بوضع حواجز من جذوع النخل (النّبُوع) في قناة الري (الثبر) ليرتفع مستوى الماء فيها ومن ثم يوجهه إلى مزرعته ويدخل من فتحة تدعى الفوهة ويجري في قناة تُدعى المشروب في القطيف والفحل في الأحساء حيث توجد الأحواض (الأشراب) على جانبيه. ويسمى هذا الحق -حق فتح الماء إلى المزرعة في الوقت المخصص- بالصاع، وليس للمزارع الذي يليه في الدور حق فتح المجرى المؤدي إلى بستانه حتى تنتهي المدة المقررة للمزارع السابق له. وعندما ينتهي الزمن المحدد لري هذه المزرعة تزال جذوع النخل من الساقية لينساب الماء إلى المُزارع التالي الذي يرفع الماء بالطريقة نفسها، ويستمر في ريه حسب الزمن المحدد له وهكذا.

ويسمى هذا النوع من مياه الري في الأحساء والقطيف بالماء الحُرّ أي الماء الصافي، وهو الماء الذي يأتي من العيون مباشرة ولم يسبق استخدامه قبل ذلك.

ويقابل هذا النوع من الماء نوع آخر يسمى بمياه المناجي أو الطوائح، وهي المياه المنصرفة من المزارع المروية بالماء الحر الزائد عن حاجتها وعن صرف التربة حيث تصرف من المزرعة في قناة تسمى





في الأحساء المنجى أو المنجاة وجمعها مناجي وهذه تتجمع في قناة رئيسية تدعى ثبرْ. أما في القطيف، فيتخلص من مياه الصرف، بالإضافة إلى مياه الري الزائدة عن الحاجة، بشق قناة (ترعة) بين كل مزرعتين لتتجمع فيها هذه المياه الزائدة وتسمى المرمى. وعندما يتجمع أكثر من مرمى تتشكل قناة صرف رئيسية تسمى السَّاب (جمعها سِيْبَان). وهذه المياه المنصرفة من المزارع المستفيدة من الماء الحر يستفاد منها مرة أخرى في ري مزارع أخرى. ويشكل الري من الثباره أو السِّيْبَان جزءاً مهماً من نظام الري العام في كل من الأحساء والقطيف حيث توجد مئات القنوات من هذا النوع تمد مئات المزارع بحاجتها من المياه. وعلى سبيل المثال كان في الأحساء ما يقارب ٨٠٠ ثبر أهمها ثبر السليسل الذي ينقل مياه الطوائح مسافات بعيدة. وعندما تروى المزارع والبساتين بمياه الثبارة (الطوائح) فإنها تتخلص من المياه الفائضة عن الحاجة والمصروفة من التربة في قنوات أخرى (ثباره) تحمل هذا الماء، الذي يدعى عندئذ ماء طوائح الطوائح، لري حقول أخرى. وتستمر العملية حتى ينتهي المطاف بهذه الثبارة إلى خارج الأراضي الزراعية، حيث تصير بحيرات من المياه راكدة عالية الملوحة، تقل مياهها في فصل الصيف، ولكنها تزيد في فصل الشتاء إذ يقل البخر وتكون الحاجة لمياه الري قليلة.

وهكذا فإن نظام الري في كل من الأحساء والقطيف يتألف من شبكة معقدة من قنوات الري التي يحمل بعضها الماء الحر، وبعضها ماء الطوائح أو طوائح الطوائح، وهي توزع المياه على مزارع المنطقة وفق نظام محدد توارثه الأبناء عن الآباء عبر مئات السنين. وليس هناك علاقة بين قرب المزرعة أو بعدها عن مصدر الماء (العين أو قناة الري الرئيسية) لكي تروى من الماء الحر أو غيره. فهناك مثلاً مزارع قريبة من مصدر الماء ولكنها تسقى من ماء الطوائح كما هو الحال في بساتين المبرز، ولكن نجد بساتين أخرى أبعد منها عن مصدر الماء (العين)، كما هو الحال في بساتين قرية الطرف، تسقى من الماء الحر. ومن الواضح أن هناك فرقاً في المنزلة الاجتماعية في مجتمع المزارعين تتحدد تبعاً لنوع الماء المستخدم في الري. فالمزارعون الذين لهم حق استخدام الماء الحر، يكونون فخورين جداً بذلك ويكون نفوذهم وسمعتهم في المجتمع أكبر من أولئك الذين يستخدمون مياه الطوائح أو طوائح الطوائح. ولذلك فإن تحديد نوع الماء الذي تروى منه مزرعة







صورة قديمة لقناة ري في الأحساء

ما هو جزء من نظام توزيع المياه الذي توارثه المزارعون، وهو جزء مهم من الملكية الزراعية في هذه المناطق. فكل مزرعة معروف من أي قناة (مسقى أو ثبر) تشرب، وكم مدة ريها ووقته. وكان المزارعون الأقدمون يقسمون ماء العين أو المسقى من حيث الوقت أربعة عشر قسماً للأسبوع الواحد تسمى أوضاحاً، لأن الأسبوع سبعة أيام مقسمة بين الليل والنهار، كما قد يقسم الوضح إلى أجزاء بين نصف وربع وثمن وأجزاء من الثمن. وكان لكل مزرعة حقها المعلوم من الماء، ولذا فعند انتقال ملكية المزرعة أو استخراج وثيقة ملكية لها فإن من أهم الأشياء التي تسبق تحديد المُلْك ومساحته، تحديد يوم ووقت الري والقناة (المسقى) أو الثبر الذي تروى منه.

أما نظام الري داخل المزرعة فليس هناك أسلوب واحد. فالأسلوب يختلف من مزرعة إلى أخرى حسب عدد من العوامل، كنوع المزروعات وطبيعة الحقل ومساحته وبعده وقربه من قناة الري. ورغم ذلك فهناك نظام ومصطلحات عامة تشترك فيها معظم المزارع. ففي الأحساء يدخل الماء إلى المزرعة من فتحة تسمى الفوهه، ويجري في قناة تدعى المسقى تقسم الحقل إلى قسمين، حيث يوجد عدد من الأحواض (الأشراب) على جانبيه، تسمى الشطيب أو السّلفْه. وتختلف المزارع في عدد أحواضها وعدد المساقي حسب مساحتها. فبعض المزارع الصغيرة لا يوجد بها سوى مسقى واحد وسلفتين أو شطبين على جانبيه، أما المزارع الكبيرة فقد يكون بها عدد من المساقي (الفحول)، وعدد أكبر من السلف أو الشطبان والأحواض. ويدخل الماء إلى كل حوض من فتحة تسمى الفوهه، وعندما يمتلىء الحوض تُغلق الفوهة بوضع كمية من الطين والتراب فيها تدعى السكار. ويفصل بين كل حوض وآخر حاجز من الطين والتراب يسمى الجاريه. ويوجد في كل حوض أشجار نخيل يختلف عددها حسب مساحته، فقد تكون اثنتين أو أربعا. وللأحواض عدد





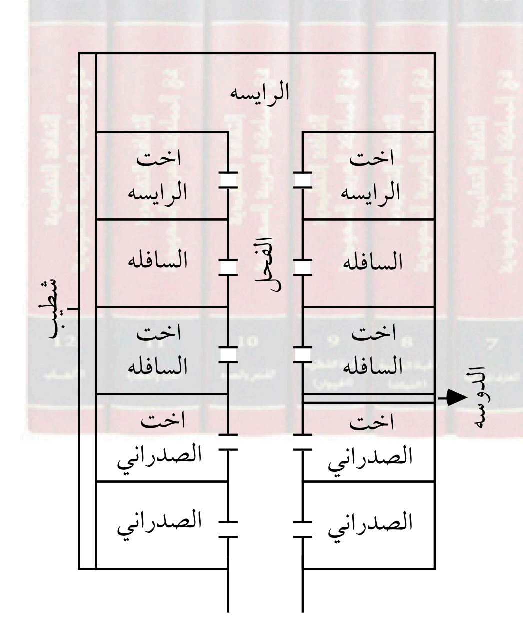


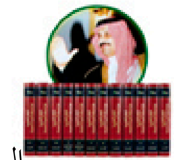
تقسيم الأرض إلى أحواض

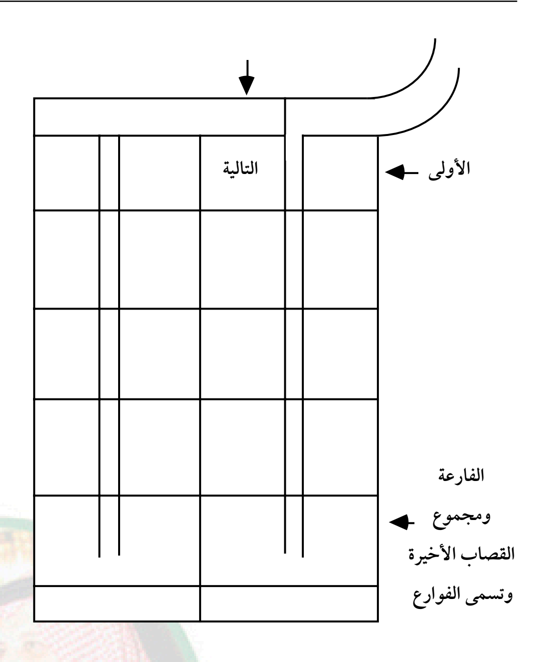
من الأسماء في الأحساء تختلف حسب موقعها على قناة الري الرئيسية. فالحوضان الأولان يطلق عليهما الصدراني، أي الذي يتصدر الأحواض ويكون في بدايتها. ويلي الصدراني حوضان آخران يدعى كل منهما أخو الصدراني ويليهما مجموعة من الأحواض ثم السافله التي تنتهي بحوض كبير يسمى الرايسه. والحوض الذي يليها يسمى اخو الرايسه فأخت الرايسه. وفي نهاية قناة الري يوجد حوض كبير آخر يسمى الرايسه أيضاً.

وتقسم الأحواض في محافظة الأحساء إلى: الفحل وهو الجدول أو الساقي الرئيسي داخل النخل، والشطيب مجموعة الحياض على جانب الفحل وهي تعادل شطر السلفة عند أهل نجد، والدوسة وهي الفاصل بين الحياض وتعرف بالكاله في نجد.

يوزع الركيب إلى جداول هندسية قوامها الأحواض والفلجان -جمع فلج








بالعامية- فيأتي الماء من البئر أو العين ويلج في المربع الأول من القصاب (جمع قصبه) وتسمى في هذه الحالة الأولى، أما المربعات التي بعدها في الحقل الواحد فلا اسم أو رقم لها إلى أن يصل الماء إلى المربع الأخير من الحقل الذي يسمى الفارعه ويسمى الماء في هذه الحالة الوارد، وعندما ترتوي الفارعه يحرف الماء إلى التي بجوارها من نفس الفلج وهي أيضاً تسمى الفارعه ثم يأتي الماء إلى التي بعدها إلى أن يصل القصبة المجاورة للأولى، التي تسمى التاليه، وهنا يكون الماء صادراً لأنه يتهيأ للانتقال إلى الحقل الثاني وهكذا. ويلاحظ أن فلج الماء يروي القصاب التي يخترقها عن يمينه وشماله وكلا الحقلين المتجاورين فلج، أما الحقل الواحد فيسمى شطي، وقد يعرف حجم الركيب بعدد الفلجان التي فيه؛ فيقال فلجان وثلاثة أفلاج، وهكذا.

وإلى جانب أحواض النخيل توجد في بعض المزارع مناطق مخصصة لزراعة الأرز تسمى الضواحي، وهي عادة مناطق منخفضة تحيط بها أشجار النخيل، يُزرع فيها الخضار أحياناً على جداول ومساق صغيرة تسمى بالعراض (وجمعها معاريض).

أما في القطيف فنظام توزيع مياه الري داخل المزرعة، يختلف قليلاً عنه في الأحساء، لتنوع المزروعات من أشجار الفاكهة إلى الخضار إلى النخيل خلافاً للأحساء، التي يعدّ النخيل فيها العمود الفقري للعملية الزراعية. ففي القطيف يدخل الماء إلى المزرعة من القناة الرئيسية (الساقيه) بقنوات تدعى المشروب. وقد يكون في المزرعة مشروب واحد أو أكثر حسب مساحتها. ويوزع المشروب الماء على الأحواض (الأشربه) الموجودة على جانبيه. وهذه الأحواض، خلافاً لما هو موجود بالأحساء، تكون مخصصة لأشجار الفاكهة، ويسمى واحدها الضاحيه. أما أشجار النخيل فتوجد في مناطق مرتفعة محيطة بالأحواض وتعرف





بالجابور. وهذه المناطق تستخدم أيضاً للعبور والتنقل داخل المزرعة. أما فسائل النخيل الصغيرة، فيحفر لها بالجابور عند غرسها، وتوصل هذه الحفرة بقناة صغيرة تصلها بالضاحية لتؤمن الماء للفسيلة إلى أن تكبر فيردم هذا الحوض وتصبح هذه النخيلة، كغيرها من شجر النخيل في الجابور، لا تتلقى مياه الري مباشرة ولكنها تستفيد من رطوبة التربة ومياه الأحواض المجاورة.

وكما أنّ للمزارعين حقوقاً معروفة ومقننة في مياه الري من العيون، فإن عليهم أيضاً مسؤولية مشتركة في تنظيف العين ومجاريها والحفاظ عليها. ويشترك جميع المزارعين، عادة، في تنظيف العين أو الثبر أو البئر الخاصة بهم. وتسمى عملية التنظيف هذه الضراب. فعندما تحتاج العين أو قناة الري إلى ضراب يشترك جميع المزارعين المستفيدين من العين والقنوات في عملية التنظيف، سواء بأنفسهم، أو يرسل كل واحد منهم من ينوب عنه. ويتناسب حجم المشاركة في الضراب غالباً مع حجم المزرعة. فكلما زادت مساحة المزرعة كان على ذلك المزارع أن يزيد رجاله المساهمين بتنظيف المسقى أو الثبر. والثبارة دائماً أكثر حاجة من المساقي للتنظيف الدائم، لأن مياهها تتجمع من مخلفات المزارع فتحمل معها كثيراً من الطين والأتربة وأغصان الأشجار التي يطلق عليها مجتمعة قَمَّه. وعادة يتولى المزارعون الأبعدون عن العين، الدعوة لتنظيف الثبارة والسواقي، لأنهم يعانون أكثر من غيرهم من نقص المياه من جراء انسداد المجاري المائية أو الثبارة. وعند دعوتهم لذلك، يهب جميع المزارعين المستفيدين من ذلك الثبر أو المسقى لتنظيفه وإن كانت المياه التي تصل إلى مزارعهم وفيرة.

وتنظف العين وقنوات الري وتُصان في الأحوال العادية وفق نظام معلوم، إذ تجرى عملية التنظيف ثلاث مرات في السنة. تبدأ الأولى بعد تفلق وتفتح عذوق النخل وبداية التلقيح، والثانية، وهي أهم، في الصيف عند البشرة، وهي الفترة التي تهزع فيها المياه ويقل منسوبها ولذلك فهي أنسب الفترات لتنظيف العيون وقنوات الري. أما الثالثة ففي أواخر القيظ (طلوع المرزم) أي عند تلوّن البسر حيث يقال «لوّن الثمر»، وهي أيضاً من الفترات التي تقل فيها مناسيب المياه وتكون مناسبة للتنظيف والصيانة (الضراب). أما في حالة الطوارىء كما هو الحال عند تهدم العين أو أي جزء من مجراها الرئيسي أو عند انقطاع الماء أو







قناة ري حديثة في الأحساء

شُحِّه عند بعض المزارعين، خاصة أولئك الذين تقع مزارعهم بعيداً عن العين، فليس في هذه الأحوال وقت معين للتنظيف والصيانة، بل يكفي أن يدعو أحد المزارعين لذلك فيهب الجميع لأخذ أدوارهم في هذه العملية. وقد يلجأ بعض الراغبين في الأجر إلى تخصيص جزء من أوقاتهم للمساهمة في صيانة السواقي والجسور.

**أنظمة الري في المنطقة الوسطى.** يقتصر الحديث على نموذجين من العيون؛ وهما عيون الأفلاج وعيون السر. فهاتان المنطقتان كانتا أهم المناطق الزراعية في هذا الجزء من المملكة، التي تعتمد على الري من العيون، ولذلك كانت هناك أنظمة ري واضحة المعالم. ففي الأفلاج توجد حوالي عشر عيون، تمتد في المنطقة الواقعة بين السيح في الشمال وسويدان في الجنوب، في منطقة تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي مسافة تقارب سبعة كيلومترات، ومياهها تغطي مساحة كبيرة من الأرض، حيث تغطي أكبرها، وهي عين الرأس، مساحة قدرها ٢٨٠,٠٠٠م٢ بطول يقارب كيلومترين وعرض يتراوح بين مائتين إلى ستمائة متر.

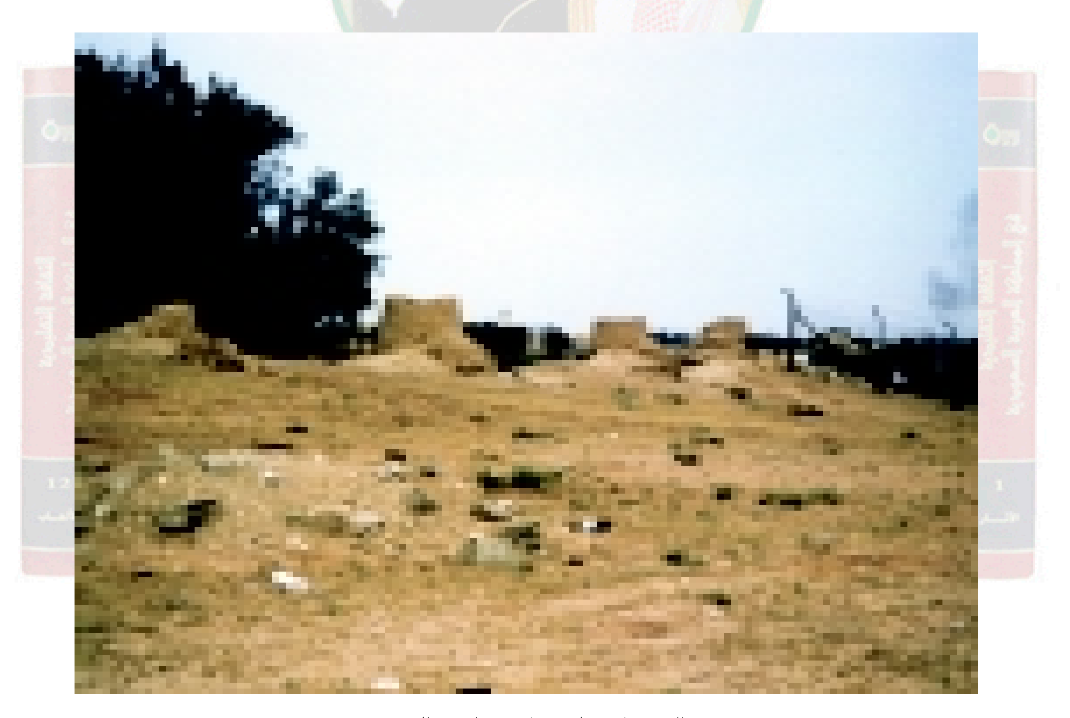
وقد مر الري من العيون في منطقة الأفلاج بثلاث مراحل، ارتبطت جميعها بمستوى الماء في هذه العيون. ففي البداية



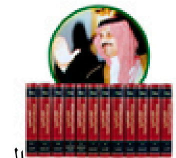


كان مستوى الماء في هذه العيون مرتفعاً عن سطح الأرض، خاصة في فصل الشتاء الذي يزيد فيه المطر ويقل فيه البخر. ولذلك كانت الاستفادة من هذه العيون بشق خنادق مكشوفة (سواقي) تصل العيون بالأراضي الزراعية المنتشرة قرب هذه العيون. وكان المزارعون التقليديون يعملون هذا وفق حسابات دقيقة بحيث يجري الماء في الساقي عند الانتهاء من العمل فيه، بكمية تكفي لري مساحات معينة من الأرض.

أما المرحلة الثانية فبدأت عندما انخفض منسوب المياه في هذه العيون، إلى درجة لم تعد معها المياه تتدفق في هذه السواقي لري الأراضي الزراعية المجاورة. وكان على المزارعين أن يهجروا مزارعهم القديمة ويختاروا مواقع جديدة بعيدة عن العيون، ولكن في مناطق منخفضة بحيث يكون مستوى المزرعة أقل انخفاضاً من مستوى الماء في هذه العيون. ونظراً لبعد المسافة، وإدراكهم أن كمية من المياه ستضيع بالتبخر إذا عملت السواقي بالنمط المكشوف، عمدوا إلى نمط آخر من السواقي المحفورة تحت سطح الأرض (جوفيه)، وهو نمط معروف في مناطق متعددة من الجزيرة



الخرزات على قناة فرزان – الخرج







إحدى الخرزات المهملة على قناة فرزان

العربية وخارجها، كعيون السر والمدينة المنورة بالمملكة وعُمان وإيران وباكستان. وملخص هذه الطريقة أن تُحفر سلسلة من الحفر تسمى الخرز، (واحدتها خرزه)، بعمق يتراوح بين متر ومتر ونصف من العين إلى المناطق الزراعية، يفصل بين كل خرزة وأخرى حوالي ٨-١٠ أمتار في المتوسط. وبعد الانتهاء من حفر هذه الخرز، يوصل بينها من أسفل، فيكون المجرى أو الساقي تحت سطح الأرض، وهو ما يجنبه مشكلات البخر من جهة وتراكم الأتربة والرمال التي تنقلها الرياح من جهة أخرى. وعندما يكتمل توصيل جميع الخرز بعضها ببعض، يوصل الجزء الواصل بين الساقي (الخندق) والعين، فينساب الماء في المجرى إلى الأراضي الزراعية. وتبعاً لشكل انسياب الماء في المجرى، يقتضي الأمر أحياناً مزيداً من الحفر في بعض أجزاء الساقي، حتى تجري المياه بالكمية والسرعة المناسبتين. وعندئذ تغطى الخرز بألواح من الجص أو غيره لتمنع تراكم الرمال في المجرى.

وتبقى هذه الخرز مغطاة حتى يحين وقت التنظيف والصيانة. فترفع الألواح، وتستخدم الخرز لتنظيف الساقي، إضافة إلى أنها تعطي العاملين التهوية والنور اللازمين لهذه العملية. ومن المتعارف عليه أن لكل ساق شخصاً مسئولاً عنه يختاره أصحاب الساقي ويعرف بأمير الساقي. ويتولى هذا الشخص الإشراف على الصيانة والتنظيف والعناية بالمجرى ومحاسبة المزارعين في هذه التكاليف تبعاً لمقدار أسهمهم من المياه. ويعطى أمير الساقي، عادة، مكافأة تعادل عُشر تكاليف الصيانة. وقد كان في الأفلاج عدد من السواقي المشهورة من هذا النوع، بعضها كان يعمل حتى وقت قريب، ومن أشهرها سواقي المنجور وموافق والمدسوس والوجاج والسابر التي تروي مزارع السيح الشمالي، وسواقي برابر وأنباع العويد وسمعان التي تروي السيح الجنوبي. أما السواقي القديمة التي توقف جريانها منذ وقت قديم، فأهمها ساقيا الناهض وسويدان.





ويخضع توزيع الماء بين المزارعين، كما هو الحال في الأحساء والقطيف، لنظام الحصص. فلكل مزارع عدد من الحصص يتناسب مع مساحة مزرعته ومقدار مساهمته في شق الساقي وصيانته والعناية به. وتكون ملكية المياه، عادة، في كل ساق، مقسمة إلى أربعة عشر سهماً أو حصة في الأسبوع الواحد. ويسمى كل سهم أو حصة بالوَقْعَه، وتعادل الوقعة الواحدة نصف يوم، وقد تقسم الوقعة إلى حصص. وتبعاً لذلك يحصل كل مزارع على مياه العين بقدر حصته من الوقعات، فإذا انتهى وقته حوّل الماء إلى مزارع آخر. وعند حاجة أحد المزارعين إلى كمية إضافية من المياه، فإنه يلجأ إلى شراء الماء من المزارعين الآخرين الذين لديهم فائض من الماء.

وقد استمر العمل بهذه السواقي حتى فترة قريبة. فلما بدأت تقنيات الحفر الآلي وانتشرت المضخات الحديثة، أدى ذلك إلى انخفاض المياه في العيون، وتوقف المياه عن الجريان في هذه المجاري. وقد نتج عن ذلك، هجر المزارعين هذه المزارع مما حدا بوزارة الزراعة والمياه إلى إنشاء مشروع الري والصرف في هذه المنطقة، الذي بدأ العمل به سنة ١٩٨١م. ويعتمد المشروع على ضخ المياه من هذه العيون بالأنابيب نحو الأراضي الزراعية. كان المشروع إيذاناً بدخول المرحلة الثالثة من تطور أنظمة الري في هذه المنطقة.

ومن المناطق الأخرى التي كانت تعتمد على العيون، الجزء الشمالي من منطقة السر. ويوجد بها عدد كبير من العيون، بعضها قديم جداً يرجعه بعض الرواة إلى فترة بني هلال (في القرنين الرابع والخامس الهجريين)، ولكنها اندثرت مع رحيلهم عن هذه المناطق.

وتدعيماً لهذا المفهوم يردد الرواة أشعاراً عن بني هلال تدل على أن منطقة السر كانت عامرة بالعيون الكثيرة؛ ومن هذه الأشعار قول أحد شعرائهم:

وردنا السر ثمانين عيلم
ولا سقت كود الفلا والبهايم

ويدل هذا البيت على أن بالسر ثمانين عيناً (عَيْلَمْ) والعيلم هي البئر كثيرة الماء)، كانت تقوم عليها زراعة عامرة، كما تعد مورداً تشرب منه الأنعام. ولا شك أن في البيت شيئاً من المبالغة، لإظهار ضخامة جيش بني هلال وكثرة أنعامهم.

أما العيون المعروفة في المنطقة، التي كانت تتدفق حتى وقت قريب، فيربو عددها على عشرين عيناً. ومن أهم هذه العيون عين الصوينع وعين ابن قنور.







عين قديمة وقناتها

ونظراً لأهميتهما أُعطي اسماهما للقريتين المجاورتين لهما الموجودتين حتى الآن. كما أن هناك عيوناً أخرى كالطرفيه وسِمْرَه والضبطيه وهوينه وكويده وأم أثله وعين ابن روسان، والروسانيه، والريشيه والعيينه وغيرها.

ونظراً لتشابه أنظمة الري في هذه العيون فسنكتفي بتتبع عين واحدة منها هي عين الصوينع، فهي أكثرها شهرة وأهمية. توجد المنابع الرئيسية لهذه العين على بعد كيلومترين تقريباً جنوب قرية عين الصوينع الحالية. ويمتد مجراها نحو الشمال متجاوزاً القرية لمسافة كيلومتر ونصف ليصل إلى المزرع الرئيسي، ويسمى بالحدري، وفيه يزرع القمح والذرة. ويبلغ طول القناة الرئيسية لهذه العين من المنبع إلى حقول القمح حوالي ثلاثة كيلومترات ونصف.

ويرجع تاريخ العين وشق مجراها – كما يعتقد الرواة– إلى فترة بني هلال. ولكنها اندثرت بعدهم وطمرتها الرمال، وظلت كذلك حتى بعثت مرة أخرى على يد الصوانعة منذ ما يقارب مئتي سنة تقريباً. وكان المجرى القديم للعين، كما هو الحال في عدد من العيون الأخرى، ومنها عيون الأفلاج، في معظمه خندقاً تحت سطح الأرض تتخلله فتحة كل بضعة أمتار. وكانت هذه الفتحات تستخدم للتخلص من الطين والتراب، أثناء حفر القناة، ثم تستخدم

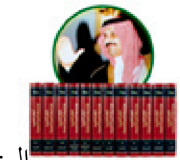




لاحقاً للتهوية والتنظيف، وتعرف هذه الفتحات بالخرز. وقد دلت بعض آثار هذه الخرز، رغم قدمها، الصوانعة على أن هناك عيناً قديمة. فأخذوا يتتبعون المجرى القديم ويحفرونه. فلما كانوا في منتصف المسافة بين القرية الحالية ومنبع العين، تدفق الماء من إحدى الخرز فظنوها هي العين الرئيسية. وكان معهم رجل يدعى صقيرْ، هو أول من استدل على الماء في هذه الخرزة ولذا حملت هذه الخرزة اسمه فأصبحت تسمى عين صقيرْ. وبدأوا يزرعون على مياه هذه العين بضع سنين، حتى هطلت أمطار غزيرة في إحدى السنين مما أدى إلى انخفاض إحدى الخرز القديمة إلى الجنوب من عين صقير. فاستدلوا على أن عين صقير ما هي إلا إحدى الخرز في المجرى القديم وليست العين الرئيسية، مما دفعهم إلى استئناف الحفر مرة أخرى. وتتبعوا المجرى القديم حتى وصلوا إلى العين التي تسمى الأميه، فتدفق منها الماء بغزارة. وإلى جانب هذه العين، توجد أيضاً عينان فرعيتان تتصلان بالمجرى الرئيسي تدعى إحداهما عين الخفس والأخرى أم عثمور.

أما عن نظام ملكية العين وحقوق المياه، فقد كانت على عهد الصوانعة كلها لهم، ولكنها بعد ذلك انتقلت بالبيع والإرث إلى عدد من الأسر، فأصبحت عشرة أسهم يشترك فيها عدد من الأسر. والذي يميز هذه العين، وغيرها من العيون الأخرى في هذه المنطقة، هو عدم وجود مَزارع خاصة لكل عائلة أو مُزارع. فكل المزارعين يعملون معاً ويزرعون أرضاً واحدة هي روضة الحدري، التي تقع على مسافة كيلومتر ونصف شمال القرية. وبعد أن تخصم تكاليف الزرع، ومنها أجرة الرايس، يتقاسم الجميع المحصول حسب أسهمهم. كما أنهم يشتركون أيضاً في محصول النخيل التي تغرس على طول المجرى الرئيسي لهذه العين.

ولكي نلقي مزيداً من الضوء على نظام الري العام من هذه العين، يحسن أن نتتبع مجرى العين نفسه. فمجرى العين يمكن تقسيمه إلى أربعة أجزاء؛ يبدأ أولها من الأميه، ويستمر شمالاً مسافة تقارب ٩٠٠م. وهذا الجزء، باستثناء الوصلات الفرعية التي تصل العيون الفرعية بالمجرى الرئيسي هو قناة سفلية وخرز، وليس عليه أي نوع من الزراعة. أما الجزء الثاني فيبدأ من نهاية الجزء الأول، مسافة ٦٠٠م أخرى، وهو مجرى مفتوح ولكن ليس عليه أي زراعة أيضاً. أما الجزء الثالث فيبدأ بعد ذلك

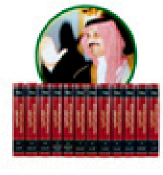




ولمسافة ٧٠٠م تقريباً، حيث ينتهي في بركة تجميع تقع بجوار القرية تسمى هدباء، وهذا الجزء هو أهم أجزاء مجرى العين، لأنه الجزء الذي توجد فيه أشجار النخيل في هذه القرية. والنخيل هنا قسمان؛ أحدهما يوجد على جانبي المجرى الرئيسي ويشرب منه طوال العام، وهذا القسم ملك لأهل العين يقسم عليهم حسب أسهمهم. أما الصنف الآخر فيوجد على جوانب فرعية، تتفرع من هذا المجرى يصل عمقها من متر إلى متر ونصف، وتسمى السُجُوْر (مفردها سَجْر). والنخيل هنا على خلاف النوع الأول، خاضع لما يعرف بنظام المُغَارَسَة، أي المشاركة بين مُلاَّك العين، ومن يقوم بغرس هذا النخل وتلقيحه والعناية به. والنخيل في السجور لا تُسقى بانتظام، بل تعتمد على رطوبة التربة في معظم أيام السنة، ويقتصر ريها من العين على مرتين في السنة؛ إحداهما بعد الانتهاء من زراعة الشتاء (القمح)، وحتى تحضير الأرض لمحصول الصيف وهو الذرة. والأخرى تعقب حصاد الذرة حتى بداية موسم زراعة القمح مرة أخرى. ولذا فإن السجور تبقى مقفلة، لا يأتيها الماء خلال فترتي زراعة الحبوب في الشتاء أو الصيف. أما أثناء الفترات الفاصلة بين هذين الموسمين، فيغلق المجرى الرئيسي للعين من نقطة بجوار القرية وتفتح السجور فتمتلىء بالمياه.

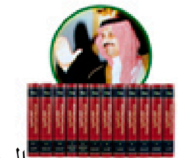
أما الجزء الثالث من مجرى العين، فيمتد من بركة التجمع، مسافة حوالي كيلومتر ونصف، حتى يصل إلى روضة الحدري، التي يمارس فيها الشركاء زراعة القمح والذرة. وهذا الجزء قنوات سفلية وخرز، ولكن يمكن تقسيمه قسمين؛ أحدهما خنادق محفورة كما هو الحال في الجزء الأعلى من المجرى، أما الآخر فهو قنوات سفلية وخرز ولكنه مبني بالأحجار، ومسقوف بحجارة مرصوصة جنباً إلى جنب بطريقة لا تدع مجالاً لتساقط الأتربة إلى الخندق الذي يجري فيه الماء.

وللحفاظ على تدفق المياه من هذه العين بصورة مستمرة وكافية، تصان ويعتنى بها باستمرار. فنظافة العين ومجراها من الطين والنبات، وكل ما يعيق تدفق الماء، عملية مستمرة طوال العام. فالرجال دائمو العمل في تنظيف العين والمجرى، مبتدئين من العين نفسها حتى يصلوا إلى أسفلها (المزرع). ولا يكادون ينهون عملية التنظيف، حتى يبدأوا في التنظيف مرة أخرى. ولا يتوقف أصحاب العين عن التنظيف إلا





نظام الري في عين الصوينع - السر





في فترة قصيرة، هي الفترة الفاصلة بين موسمي زراعة الشتاء (القمح) وزراعة الصيف (الذرة).

ومن القصص التي تدل على مقدار الجهد المبذول لتنظيف العين والعناية بها، أنه قد فرض على أهل السر دفع ضريبة مقدارها ٦٠٠ صاع من القمح على عهد حسين بن جراد أمير السر؛ فرضها ابن رشيد. وقد قسمت هذه الضريبة قسمين، نصفها على أهالي العيون (عين الصوينع وعين ابن قنور والطرفيه والريشيه وهوينه)، والنصف الآخر على أهالي القصور (أهالي القلبان). فاحتج أهالي القلبان بأنهم ليسوا كأهل العيون، لأنهم يستخدمون السواني فتكون تكاليف الزراعة أكبر. وكان جواب أهل العيون أن سوانيهم أفراد منهم لأنهم يحتاجون إلى عمل دؤوب ومتواصل لتنظيف العيون ومجاريها وصيانتها والعناية بها وهو مجهود يعادل عمل السواني.

ونتيجة للعناية الكبيرة التي كان يوليها المُلاَّك لعيونهم والحفاظ عليها وصيانتها باستمرار، ظلت متدفقة وعامرة حتى فترة قريبة تعود إلى حوالي سنة ١٣٨٤هـ. ثم كان لانتشار طرق الحفر الحديثة والمضخات الضخمة، أثر كبير في انخفاض منسوب المياه الجوفية، فغارت المياه وتوقفت كثير من العيون عن التدفق ومنها عين الصوينع والعيون الأخرى في منطقة السر.

**أنظمة الري في المدينة المنورة وينبع.**

كانت العيون حتى فترة قريبة أحد أهم المصادر المائية التي تعتمد عليها الزراعة التقليدية في أماكن متفرقة من المدينة المنورة والمناطق المجاورة. فقد كان في ينبع النخل، مثلاً، ما يربو على خمسين عيناً متدفقة تقوم عليها زراعة عامرة. كما كان يوجد مثل هذا العدد تقريباً في المدينة المنورة نفسها، والقرى المجاورة لها، بالإضافة إلى عشرات العيون الأخرى، في وادي الصفراء ووادي الفرعه ووادي العقيق وغيرها. وتوجد عدة عيون تسقي الخيوف في منطقة وادي الصفراء مثل عين أم ذيان وعين غريسه وعين الحمراء، كما توجد عيون في وادي ألاب كعين خيف الكساء وعين خيف الظهير فضلاً عن العيون التي تظهر في مواسم الأمطار. وكانت بعض هذه العيون طبيعية متدفقة، سواء من بطون الأودية، حيث يرتفع مستوى الماء الجوفي، أم على جوانب الحَرَّات المنتشرة في هذه المنطقة، التي هي خزانات مائية تفيض المياه من أطرافها بغزارة خاصة في الفترات التي تزيد فيها الأمطار. أما

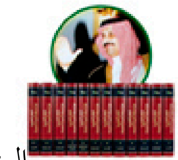




الصنف الآخر من العيون في المدينة فهي من عمل الإنسان، أي أنها حُفَر وآبار يدوية، حفرها المزارعون في بعض الأودية. ونظراً لارتفاع مستوى الماء الجوفي في هذه الأودية، فقد كانت المياه تتدفق منها وتسيح على سطح الأرض.

والواقع أنه ليس هناك اختلاف كبير في أنظمة الري في كل من هذين الصنفين، كما أن أنظمة الري من العيون والتقاليد المرتبطة بها متشابهة إلى حد كبير في مختلف أجزاء هذه المنطقة. فلو أخذنا مثلاً العيون التي تعتمد عليها بساتين النخيل في قرية العيون الواقعة إلى الشمال الغربي من المدينة المنورة، لوجدنا أنه لما كانت مياه هذه القرية مالحة نتيجة لانخفاض سطحها وملوحة تربتها ظل المزارعون منذ القدم يعتمدون على مياه العيون، التي توجد منابعها في المناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية من المدينة حيث المياه العذبة. فكان المزارعون يعمدون إلى حفر عدد من الآبار الصغيرة المتقاربة التي يتراوح عمقها بين متر ومترين وتعرف بالفُقَر، ثم يصلون ما بينها بقنوات سفلية تسمى الدبول يصل طول كل منها حوالي ١٥م. وتتصل جميع هذه الفقر بواسطة الدبول بالمجرى الرئيسي، وهو على شكل قنوات سفلية (دبول) وفقر (خرز) تجري فيه المياه من منطقة المنابع (المناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية) حتى تصل إلى بساتين النخيل في شمال المدينة. ويختلف عدد الفقر من نظام ريٍّ إلى آخر، حيث تتراوح عادة بين ٢٠٠ و٨٠٠ فقرة، ولكنها قد تصل إلى ألف فقرة تبعاً للبعد الفاصل بين بداية هذه الفقر (الآبار) والبساتين المعتمدة عليها، حتى يفيض فيها الماء متدفقاً على سطح الأرض. لذلك فإن طول المجرى الرئيسي، قد يتراوح بين ٣ و١٢كم حسب بعد منابع المياه عن المزرعة. ويطلق المزارعون في المدينة المنورة وينبع وبعض مناطق الحجاز الأخرى اسم الخيوف، وواحدها خيف على البساتين التي تروى من عين جارية، وقد يشمل هذا الاسم البستان ومصب العين ودبلها (قناتها) ومنابعها (الفقر).

أما عن نظام تقسيم الماء فهو يشبه مثيله في الأحساء والقطيف، حيث يوزع الماء بين البساتين (الخيوف) بالحصص أو الوجبات. وتقسم مياه العين، عادة، إلى ٢٤ وجبة وكل وجبة تعادل ١٢ ساعة. فاليوم وجبتان، النهار وجبة والليل وجبة. وكان يطلق على هذا النظام نظام الوخر، فالوخر اسم لما خُصصت له مياه الري ليوم أو ليلة (وجبة)، كما يطلق عليه





أيضاً اسم العظم. وتتفاوت الخيوف بطبيعة الحال بنصيبها من الماء حسب أحجامها ومساهمة أصحابها بحفر الفقر وشق القنوات (الدبول). فقد يحصل أحد الخيوف على وجبة واحدة، أو جزء منها، ويحصل خيف آخر على عدد من الوجبات كما هو متبع في توزيع عين خيف الظهير وعين خيف الكساء في وادي ألاب. وهناك طريقة أخرى في توزيع ماء العين كما هو متبع في عين الحمراء في وادي الصفراء حيث يوزع الماء بالقِدر؛ وصفة ذلك أن يترك القِدر في الحوض مدة من الزمن حتى يمتلىء بالماء ويغطس في الحوض. وعندما تكرر هذه العملية اثنتي عشرة مرة فإن ذلك يعادل ساعة من الزمن. فمن يملك مقدار ساعة من ماء العين فإنه يفتح مجرى العين لتصب في مزرعته مدة من الزمن تعادل زمن امتلاء اثني عشر قدراً بالطريقة السابقة. ولكل عين مشرف يسمى القيِّم، يحفظ لديه سجلاً بأسماء مُلاَّك العين وحصة كل منهم من المياه، كما يشرف أيضاً على صيانة العين والحفاظ عليها. ويشترك مُلاَّك العين جميعاً في تنظيف الفقر والدبول بشكل دوري، تحت إشراف قيِّم العين، حيث تنظف عن طريق الفقر المنتشرة على طول المجرى. وتسد هذه الفقر بصفائح من الأحجار الضخمة ولا تفتح إلا في أوقات الصيانة والتنظيف.

وفي بعض المناطق -كينبع مثلاً- يوجد نظام مرتبط بتنظيف العين وصيانتها يعرف بالنشيل. وملخصه أنه عندما تحتاج مجاري العين وآبارها (الدبول والفقر) إلى صيانة وتنظيف، يوقف العمل بنظام توزيع المياه، ويطرح ماء السقيا من العين للبيع يومياً بالمزاد. وصاحب الدور في الماء (الحصة) يشتري كغيره، فقد يكون الماء لأحد الخيوف في ذلك اليوم فيأتي مزارع آخر فيزيد على صاحبه ويأخذ الماء. ويستمر العمل بهذه العملية (النشيل)، حتى تنتهي عملية الصيانة، فيعود كل مالك لحصته السابقة. وهكذا يكون لكل عين رصيد من المال والمدخرات يشرف عليها القيِّم، تستخدم في عمليات التنظيف والصيانة والوقاية من أخطار السيول.

وهكذا كانت العيون وأنظمة الري المعتمدة عليها، إحدى الدعائم التي قامت عليها الزراعة التقليدية في المدينة المنورة والمناطق المجاورة. وقد استمرت على هذا النحو حتى فترة قريبة تعود إلى منتصف القرن الهجري الماضي. ففي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) سال وادي العقيق بشدة وجرت مياهه الغزيرة نحو منابع

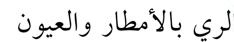




العيون المنتشرة في أعالي الوادي، مما أدى إلى تدمير معظم الفقر والدبول التي كانت تعتمد عليها قرية العيون في شمال المدينة. وإذا كان لهذا العامل الأثر الرئيسي في اضمحلال أهمية العيون حول المدينة، فإن انتشار وسائل الحفر الآلية والمضخات الحديثة في هذه المنطقة منذ سنة ١٣٨٠هـ كان العامل الأكثر أهمية، كما هو الحال في مناطق المملكة الأخرى، في انخفاض الماء الجوفي وجفاف معظم العيون المعروفة في سائر أنحاء المنطقة والمناطق الأخرى من المملكة.

**مكونات المزارع البعلية في منطقة ما بين المدينة المنورة وينبع.** الروضة؛ وهي أكبر القطع الزراعية الطينية مساحة وتتكون من:

- الطين أو المدر: وهو عمق الروضة ويتكون من الطين الخالص المترسب من السيول.
- صدر الروضة: وهو منتهى اندفاع السيل ونثيلته يزرع فيها الدخن والذرة والبطيخ لهشاشة أرضها.
- الجسر: وهو الذي ترتكز عليه الروضة وقبل نهايته يعمل المفيض وهو منخفض في الجسر يخرج منه الماء الزائد عن حاجة الروضة، ويمتد الجسر من بُعَيد المفيض، فالمفيض حتى صدر الروضة.
- المقلب: وهو مجرى جاف يزود الروضة بجزء من سيل الوادي حتى إذا ما أخذت الروضة حاجتها من السيل سد بالحجارة أو شق إلى الوادي، ويسمى أحياناً مشربْ.
- المشرب: وهو مجرى في الجبل لجمع سيوله وتحويلها إلى الروضة، وللروضة منه مشارب عدة.
- الحضار: وهو رضم من الحجارة لا تجتازه الماشية يمتد محيطاً بالروضة من أعلاها متصلاً بجانبي الجسر ويغطى أحياناً بالأغصان الشائكة ليصعب تجاوزه؛ ويتخلل الحضار فتحات لدخول مياه المشارب لا تستطيع أن تنفذ منها المواشي، والحضار الجيد يوضع على فتحاته أغصان لئلا تدخل الأرانب والذئاب والضباع وأمثالها إلى الروضة وتفتك بمزروعاتها.
- الخيام: واحدة فأكثر وهي مصفوفات من الحجارة مسقوفة بأعمدة الشجر ومغطاة بالتبن والطين لئلا يتسرب المطر إلى داخلها وتحفظ فيها لوازم الروضة من المعدات والتبن والحبوب ونحوها، وقد يكون بعضها سكناً لصاحب الروضة.
- البئر: بعض الرياض تحفر فيها آبار لري النخيل وري بعض المزروعات وشرب المزارع.


- البديع: أصغر من الروضة وأجد منها نشأة ويلتقي مع الروضة في بعض مكوناته.
- الرجع: وهو كالروضة وتكون من رجع السيول وارتدادها.
- الخليج: وهي سفوح تزرع شعيراً وقمحاً وليس له تربة نقية وهو سريع الحصاد وقد تكون قراراته طيناً ويلتقي مع الروضة في بعض مكوناته.
- الشاطن: وهي مسطحات متجاورة تشبه الخلجان.
- الركيب: وهو قطعة صغيرة من الأرض البعلية.
- المغرس: وهي أرض قريبة الماء مرسلة لا جسور ولا حظائر يغرس فيها النخل فقط وتكون في الأودية والجبال حيث تجرى السيول الخفيفة أو تكون في الأرض المرتفعة قليلاً عن مجرى السيل.





# الري بالآبار

## حفر البئر وطيُّها

الآبار (القلبان) هي المصدر الرئيسي لمياه الري في الزراعة التقليدية في مختلف مناطق المملكة، حتى في تلك المناطق التي تستفيد من مصادر مياه أخرى، كالأحساء والقطيف، حيث المصدر الرئيسي مياه العيون، أو في المناطق الجنوبية الغربية، حيث تكثر الأمطار والسيول. ويعزى ذلك إلى أن الأمطار متذبذبة من حيث كميتها ومواسم هطولها، مما يقلل من أهمية الاعتماد عليها. ولذلك يلجأ المزارعون في هذه المناطق، إلى حفر الآبار لأنها توفر لهم مورد مياه ثابتاً طوال فترة الزراعة، خاصة إذا وافق هطول أمطار غزيرة بداية موسم الزراعة، حيث تمتلىء هذه الآبار بالمياه.

وتنتشر الآبار، بشكل خاص، في هذه المناطق على سفوح جبال الحجاز الشرقية، وعلى طول الأودية المتجهة إلى الشرق بشكل عام، حيث تقل الأمطار ويقل انتظامها. كما تكثر الآبار أيضاً في جبال الحجاز نفسها، وأجزاء قليلة قريبة من سفوح الجبال في تهامة. أما في معظم أراضي تهامة، خاصة تهامة الساحلية، فمن اللافت للنظر أن الآبار لم تكن تحفر مطلقاً بهدف ري الأراضي الزراعية، على الرغم من أنها من حيث المياه الجوفية أمكن من المناطق الجبلية، لوجود طبقة من الترسبات السميكة التي تختزن ماءً أغزر. ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها أن أكثر الأراضي الزراعية في تلك المنطقة واسعة، واستخدام تقنيات الري التقليدية المعتمدة على الآبار يستغرق وقتاً ويكلف كثيراً من المال. وأنَّ المزارعين في هذه المناطق لم يكونوا بحاجة ماسة إلى الآبار نظراً لاستفادتهم من مياه السيول الغزيرة التي تأتي بها مئات الأودية من جبال الحجاز، خاصة

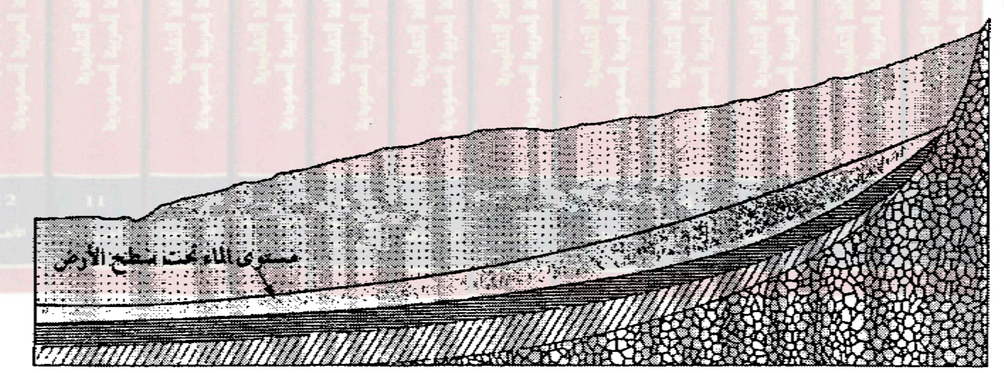




أن تربة الأراضي الزراعية على جوانب تلك الأودية، هي من نوع التربة الطينية التي تحتفظ بالرطوبة والمياه لفترة طويلة. ومن الأسباب الأخرى لقلة الآبار في هذه المنطقة والاستغناء عنها، أن المحاصيل الرئيسية التي تزرع في هذه المنطقة، وهي الذرة والدخن والسمسم، جميعها أكثر مقاومة للجفاف من المحاصيل الشائعة في المناطق الأخرى. ويمكن أن تنتج إنتاجاً جيداً، إذا توافرت لها رية واحدة جيدة من مياه السيول.

ولأهمية هذا المصدر وأهمية التقنيات المرتبطة به، سواء استخراج الماء أم توزيعه داخل المزرعة، ولما لهذه التقنيات من أهمية في تراث الأولين، فسنولي هذا المورد اهتماماً يوازي المنزلة المهمة له. وسيكون حديثنا عنه منصباً على محوره الأساسي وهي؛ القليب (البئر)، سواء من حيث تحديد موقعها أو كيفية حفرها وطيها والعناية بها، وتقنيات وطرق استخراج الماء منها، وتوزيعه داخل المزرعة.

**تحديد موقع البئر.** كان المزارعون الأولون يدركون تمام الإدراك أن الأراضي والمواضع تتفاوت تفاوتاً كبيراً في كمية مياهها الجوفية ونوعيتها. فليس كل مكان يصلح موقعاً لحفر بئر. وتزداد هذه الحقيقة أهمية في المناطق الصخرية، كما هو الحال في المناطق الجبلية والمناطق الجنوبية الغربية من البلاد بشكل عام، حيث لا توجد المياه الجوفية على شكل طبقات مستمرة بل في خزانات ضيقة المدى، يحكمها إلى حد كبير توزيع الصدوع والكسور والشقوق الموجودة في الصخور الأصلية المملوءة بالترسبات الحديثة. وكان المزارعون يدركون هذه الحقيقة من مجرد



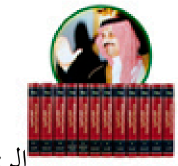

مقطع لطبقات الأرض يبين نوعاً من مخازن المياه





المقارنة بين الآبار الموجودة في المنطقة الواحدة. فبعضها يكون أوفر مياهاً من بعض، وبعضها قد يجف إذا شحت الأمطار، ويبقى بعضها وافر المياه رغم تقارب مواضعها، بحيث لا يفصل بينها إلا بضع عشرات من الأمتار. وما يقال عن كمية المياه يقال أيضاً عن نوعيتها، فقد تحفر بئران لا تفصل بينهما إلا مسافة قصيرة ويكون ماء إحداهما عذباً قراحاً ويكون ماء الأخرى ملحاً أُجاجاً.

إن معرفة مواضع المياه الجوفية والكشف عن مكامنها وتحديد نوعيتها ووفرتها، لم يكن أمراً ميسوراً لكل الناس، بل إن أُناساً معينين من ذوي الخبرة، أعطاهم الله سر هذه المعرفة دونما دراسة أو تدريب، يحددون مكامن هذه المياه حسب ظواهر معينة، يحتفظون لأنفسهم بأسرارها ويتوارثونها. وكان الاستدلال على مواقع الماء بباطن الأرض يسمى قديماً الريافة ويطلق على هذا النفر ممن اشتُهروا به أسماء متعددة تختلف من منطقة إلى أخرى، أبرزها سوّاس الماء أو السايوس أو الصَّنَّات أو الصنيته، كما في الطائف وحائل ومعظم مناطق نجد، والمهندس وقد يسمى الفرّي وهو لقب عائلة أحد سواس الماء في الباحة والمُسَمِّع والمُورّه والمُبصر في عسير والشَمَّام في نجران. وكان يعرف من يقوم بهذه المهمة عند العرب على مدى قرون باسم القِنقِن. فكانوا قبل بدء حفر البئر يُحضرون هذا الرجل الذي يعرف، بقدرة الله ثم بخبرته، أماكن وجود الماء في باطن الأرض بعلامات تظهر على سطحها وهي ما يعرف باسم الحشاة أو الجادة. وهي مسار بعرض متر أو مترين يتميز بحجارة وتربة يختلف لونها عن لون الأرض المجاورة. فإذا حُفر بئر على مسار الجادة فإن الماء يوجد فيه بإذن الله. وكان ثَمَّ قلة من هؤلاء الخبراء قد لا يتجاوز اثنين أو ثلاثة في كل منطقة، ولكنهم كانوا معروفين؛ يعرفهم كل مزارع، وقلَّما يقوم المزارع بحفر بئر دون الرجوع إلى أحدهم، ويستعين بعضهم على عمله بسيخ له طرف معقوف يقبض عليه، ويمده (الصنيته) أمامه أفقياً فإذا وقع على أرض فيها الماء انحرف السيخ عن اتجاهه. وكان المزارعون في بعض مناطق المملكة يعتقدون أن هؤلاء الأشخاص غير عاديين ويعتقد البعض أن بهم مَسّاً من الجن، وأن الجن يساعدونهم في أداء مهماتهم. بل إن بعض المزارعين كانوا يعتقدون أن بمقدور هؤلاء السواس أن يروا الماء في باطن الأرض. إن هذا التصور الذي ينسجه





الناس حولهم، ناتج في معظمه عن الهالة التي ينسجونها هم حول أنفسهم. فهم يحيطون أنفسهم بنوع من الكتمان، فلا يتحدثون عن كيفية معرفة موقع البئر، ويتجاهلون أي سؤال يوجه لهم عن سر هذه الموهبة، ويتحدثون بكلمات قليلة عند الإشارة إلى موقع البئر، والبعض يتظاهر بأن به مساً من الجن بما يبدي من حركات غير مألوفة وغير مقبولة في الأوضاع الطبيعية، إلا أن المزارع يتقبلها مؤمناً بحقيقة مس الجن للبشر. ومثل هذه التصرفات التي يلجأ إليها بعض السوّاس في بعض المناطق، كانت بمثابة نوع من الإقناع للمزارع بأن الشخص الذي أمامه وسيساعده على تحديد موقع البئر، هو شخص غير عادي، ولكن الحقيقة أن هؤلاء السواس أشخاص عاديون تماماً، ولم يمسهسم جن، ومعلوماتهم هي حصيلة التجارب والملاحظات التي توارثوها جيلاً بعد جيل. فمعرفتهم مبنية على الاستفادة من ظواهر السطح وأنواع التربة والنبات، للاستدلال على أماكن وجود الماء وبعده عن السطح وكميته ونوعه، وما يصادفه أثناء الحفر من طبقات صلبة أو لينة وما إلى ذلك من المعلومات المهمة. وفي بعض الأحوال قد لا يكون لدى السايس معرفة مميزة تزيد عن معرفة الآخرين، ولكن لديه كثير من الجرأة والمغامرة والقدرة على الإقناع واستغلال بساطة المزارعين.

وعندما يريد المزارع حفر بئر جديدة، ويأتي بأحد هؤلاء السوّاس فإن أول ما يعمله السَّايس، أن يقف في وسط المزرعة، ويمعن نظره في مختلف معالم سطحها والمناطق المجاورة لها. ثم يبدأ بالتجوال صامتاً في أنحائها المختلفة، فإذا ما وجد الدلائل التي تشير إلى وجود الماء، توقف فجأة وأشار إلى الموقع المقترح لحفر البئر. فإن كان الموقع يناسب المزارع اكتفى به وحدَّده، وإذا لم يكن الأمر كذلك، كأن يكون الموضع وسط المزرعة، فإن المزارع يطلب من الخبير تحديد مكان آخر. ويبدأ البحث من جديد متفهماً رغبة المزارع حتى يجد له موقعاً آخر. ولا يكتفي المزارع عادة بتحديد الموقع فقط بل إنه يسأل عن بُعد الماء من السطح بالقامة أو البوع أو الذراع، وكم يحتاجون من قامة لإتمام حفر البئر، وعن طبيعة الصخر صلبة أم لينة، وعن مقدار الماء ومن أي جهة يأتي النبع. وبعد أن يتلقى المزارع الإجابات الوافية عن أسئلته، التي تصيب أحياناً وتخيب أحياناً أخرى، يبدأ بتحديد أركان البئر بوضع حجر كبير أو



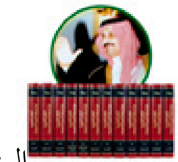


مجموعة من الأحجار في كل ركن من أركانها تدعى المَرَاسِيْم، (ومفردها مرسام) في معظم المناطق، ويطلق عليها رُدَمْ (ومفردها رُدمَة) في مناطق الطائف والباحة وعسير وجازان والقنفذة. وبعد أن ينتهي من تحديد موقع البئر، يعطي المزارع هذا الشمام أو السّواس، مبلغاً من المال المتعارف عليه أو مجموعة من الهدايا مقابل عمله.

ينتهز الشمام، فرصة وجوده في المنطقة، فيتجول في عدد من القرى المجاورة. وقد يقضي أسبوعاً أو أسبوعين قبل أن يعود إلى أهله مرة أخرى. وفي الوقت نفسه ينتهز بعض المزارعين فرصة وجوده إذا أرادوا حفر آبار جديدة، أو على الأقل تحديد مكانها حتى يتمكنوا من الحفر في وقت لاحق، وبذلك يتجنبون مشقة الذهاب إلى هذا الشخص في قريته التي قد تكون بعيدة عنهم.

وعلى الرغم من حرص هؤلاء الخبراء على التكتم وعدم إفشاء معارفهم التي يستدلون بها على وجود الماء، فإن كثيراً من هذه العلامات والدلائل معروفة لدى عامة المزارعين، بل إن بعضاً منها كان معروفاً لدى العرب ومدوناً في مؤلفات علمائهم منذ أكثر من عشرة قرون. وعلى سبيل المثال فقد ذكر الكرخي أن لون الجبال ينبيء عن الماء فيها، فالجبال السود رخوة الحجارة يكون الماء فيها أكثر غزارة من الجبال الصفر أو الحمر، أما الجبال البيض فلا ماء فيها. كما أن الجبال المتصلة التي تكثر فيها الشعاب وتظللها الأشجار غالباً ما تكون أوفر ماءً من الجبال المنفردة القاحلة (صالحية ١٩٨٢ : ٢٠-٢١). ومن الأشياء التي يلجأ إليها القِنقِن في تحديد مكان الماء، السماع بالأذن حيث يميز بين دوي الريح في باطن الأرض وصوت الماء وخريره.

ومن الأشياء التي استدل بها العرب على وجود الماء وامتلأت بها كتبهم - ككتاب الفلاحة لابن بَصَّال وكتاب الفلاحة لابن العدام ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي- نوع النبات. فالقصب والثيل والحلفاء والسرو والعوسج ولين الحشيش، لا سيما إذا نمت في الصيف والخريف، جميعها تدل على قرب الماء وعذوبته، لأن جذورها تغور في الأرض باحثة عن الماء. ومن الدلائل التي كانوا يستدلون بها على وجود الماء قديماً نوع التربة ولونها وروائحتها، بل إن المسعودي قد ذكر أن وجود قرى النمل يدل على وجود الماء من عدمه، فإذا كان النمل غليظاً أسود





ثقيل المشي دل على قرب الماء، وإذا كان النمل عكس ذلك كان الماء بعيداً (محمدين ١٩٨٦ : ١٠). ولا يزال هذا الأمر مما يستدل به خاصة في المناطق الباردة حيث تكون قرى النمل أو بيوته مصطفة فوق المجرى، لأن المواقع التي تعلو المجاري المائية أو الجوفية أو السواقي يكون سطح الأرض فوقها أدفأ في الشتاء من الذي ليس تحته ماء، وأبرد منه في فصل الصيف.

أما العلامات والدلائل التي كان يستدل بها الأولون عبر العصور الماضية، على وجود الماء ووفرته، فتشمل أشياء كثيرة. بعضها موروث من العصور الحضارية السابقة في المنطقة، وبعضها كان نتاج تجاربهم في بيئاتهم المحلية. ومن هذه العلامات والدلائل التي يتحدث عنها المزارعون، خاصة في المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية، ما يطلق عليه اسم الشينان (ومفردها شان)، وتكون واضحة في الجبال كأنها العروق وتختلف تربتها عن تربة ما حولها. والشان هو مكان جريان الماء الجوفي، أو ما فيه الماء في جوف الأرض. فالمياه الجوفية، كما يروون، توجد على شكل مجارٍ، فقد تحفر فتوافق ذلك الشان (مجرى الماء الجوفي)؛ ويعرف في منطقة حائل بالساقية، وحوالي المدينة المنورة الحشاة، وتجد ماءً غزيراً، وقد تحفر على بعد بضعة أمتار ولكنك لا تقع على ذلك الشان فتكون البئر جافة. ومن الدلائل التي يستدلون بها على وجود الشان أو مجرى الماء الجوفي أن الأرض إذا كان بها حزوم أو تلال صغيرة فيها أحجار، فإن علامة الشان وجود أحجار مرتكزة قائمة (منغرسة بشكل رأسي)، وتربته تختلف عما حولها ومن يتتبع هذه الأحجار (قَصّهَا)، التي توجد على شكل مجموعات هنا وهناك، يمكنه الاستدلال على مجرى المياه الجوفية. فيختار المزارع نقطة قرب هذه الأحجار وتحفر بها البئر، وأي بئر تحفر على الشان، تصادف الماء نفسه سواء من حيث الكمية أو النوع. وهذه الطريقة للاستدلال على المياه الجوفية، طريقة متوارثة، وليست وليدة فترة زمنية معينة أو منطقة محددة. وقد يأتي من يكتشفون المياه الجوفية ببعض الوسائل البدائية كأن يمسك أحدهم بغصن تين رطب ويسير بشكل مستقيم، فإذا ارتعش الغصن في يده أثناء السير فإنه يعيد الكرة فإذا تكرر ارتعاش الغصن تأكد لديه وجود الماء في ذلك المكان. وأحياناً يستخدمون قضباناً من النحاس بحجم الشماعات





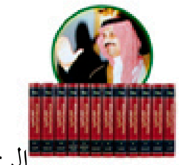
لتعليق الملابس -تقريباً- ويسيرون بها وهي ممتدة أمامهم بشكل أفقي فينجذب طرفها الأمامي بصورة تشبه الارتعاش الخفيف، فيحفرون في الموقع فيظهر لهم الماء.

إن وجود هذه الشينان أو السواقي لا يرتبط دائماً بمجاري المياه السطحية كما أنه لا علاقة له بالأشكال التضاريسية. وكان المزارعون في الماضي يقولون إن الماء مثل الصقر الحر لا يوجد إلا في مرافع الأرض. وقد ذكر أحد المزارعين في جبال أجا (قرية عَقْدة)، حيث توجد مزرعته على جانب وادي عقدة، إنهم كانوا سابقاً يعتقدون أن المنطقة الواقعة بجوار الوادي أوفر حظاً في مياهها من أجزاء المزرعة الأخرى. وكان اعتقادهم مبنياً على مثل متداول يقول «الماء يتبع الماء»، أي إن الماء الموجود في باطن الأرض يتبع مجاري المياه السطحية. وقد تبين لهم خطأ هذا الاعتقاد بعد أن حفروا اثنتين وعشرين بئراً جميعها على حافة الوادي (الشعيب)، ولكنهم لم يجدوا فيها كلها إلا مياهاً قليلة. وفي النهاية وجدوا الماء في جادة، أو درب (شان) متعامداً مع مجرى الوادي، يشق المزرعة من أدناها إلى أعلاها، فإذا انحرفت عنه يميناً أو شمالاً فلا يوجد ماء كاف. وقد



سحب الماء من البئر بالجهد البشري

حفروا عدداً من الآبار على طول هذا الخط فوجدوا مياهاً غزيرة. ولتمثيل هذه الحقيقة يتداول الأقدمون مثلاً يقول «الما مغازّ ريش» فقد تحفر في مكانين متجاورين فتجد في أحدهما ماءً ولا تجد في الآخر شيئاً. وقد روى عدد من المزارعين، أنه حدث غير مرة أن حفرت قليب وعمقت ولكن لم يظهر فيها أي مياه، فيأتيهم بعض أصحاب الخبرة والفراسة ويخبرونهم بأنهم قد تجاوزوا الماء، وهو في الجانب الفلاني من البئر. فيحفرون في المكان المحدد شيئاً قليلاً فيتفجر الماء.





ومن ذلك ما حَدَّث به أحد المزارعين، وكانت له قليب في قرية الودى في منطقة حائل، قال إن السائس أخبرني أن أحفر في موضع معين، وخط لي حلقة فم البئر، وقال لا تتجاوزها جنوباً فإنك ستجد صخرة، ولا تتجاوزها شرقاً فتخطئ معمق الماء، فالماء يأتي من شعبتين من الغرب ويجتمعان هنا، وخلال الحفر زحف العمال جنوباً لتوسيع فوهة البئر حوالي نصف متر، وعندما وصلنا الماء إذا بجنوبيه صخرة ضخمة صلبة، وإذا الماء يأتي من شعبتين من الغرب ويلتقيان على أساس هذه الصخرة.

ومن الجدير بالذكر أن الشيـنان أو السواقي ليست سواء. فهناك شينان حلوة وعذبة، وهناك شينان مياهها مالحة. وكثيراً ما يوجد شانان، أحدهما حلو، والآخر مالح، لا تفصلهما إلا بضعة أمتار. ومن الأمثلة القائمة على ذلك بئر في شعيب المعيذر بمدينة المجمعة، لها شانان: أحدهما مالح (هماج)، والآخر عذب. ولذلك فليس المهم في تحديد موقع البئر الوصول إلى الماء فقط، بل تحديد المكان ذي المياه العذبة.

ومن العلامات الأخرى التي يستدل بها على وجود المياه الجوفية، ما يسمى بفوح الماء أي تأثيرات المياه الجوفية على سطح الأرض. ففي الشتاء تكون المناطق التي فيها مياه أدفأ من المناطق المجاورة. ويستطيع الإنسان، أن يتلمس وجود الماء على شكل واد أو مجرى جوفي، من تتبع أكثر المناطقَ دفئاً على سطح الأرض. أما في فصل الصيف فإن هذه الشينان أو الأودية الجوفية، تكون أبرد من المناطق المجاورة. وهذه الأودية أو المجاري الجوفية قد لا تكون مستقيمة بل تعترضها صخور وجبال، تجعلها تتعرج كما تتعرج الأودية السطحية. ومن العلامات المرتبطة (بفوح الماء)، انبعاث بخار الماء من جوف الأرض. فإذا أراد شخص أن يحفر بئراً يأتي مع وقت طلوع الشمس، وخاصة في فصل الشتاء، ويجعل المكان الذي يريد أن يحفر فيه بينه وبين الشمس، فإن رأى انبعاث ما يشبه الدخان الخفيف (الضباب) أو البخار من أمكنة معينة، كان ذلك دليلاً على وجود الماء.

**حفر البئر.** بعد أن يحدد مكان البئر، يشرع المزارع في الحفر، معتمداً على أدوات يدوية بسيطة، مثل المسحاة والعتلة والمحافر والفاروع والهيب والهيم وغيرها.

والآبار على أربعة أنواع ومستويات هي: البئر العادية وهي التي يزيد عمقها عن ثلاث قامات (حوالي ستة أمتار)،





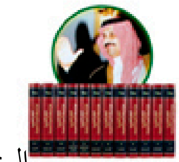


ثميله

والركيَّة وهي أقصر منها ويتراوح عمقها من قامتين إلى ثلاث قامات، (من أربعة إلى ستة أمتار تقريباً)، والثميلة أو الخريقة وهي التي يتــراوح عمقها من قامة إلى قامتين، (من متــرين إلى أربعة أمتار)، والعُقْلَة وهي التي يقل عمقها عن مترين، ويمكن أن يُستقى منها بحبل طوله طول عقال البعير، ومن هذا اشتقت التسمية. أما الخليقة فهي تكوين جوفي في باطن الأرض في شكل كهوف بها مياه، وهي موجودة في المناطق الشمالية من المملكة قرب الحــفر من الشــمال. ويوجد فــي الباحة ضرب من هذه الآبار التي يطلق عليها (الكرُّ) أو (الكرُّة).

وتوجد الثمائل والحساوه بقرب بطون الأودية أو في بطونها، ونظراً لقرب الماء فإن الطيور ترده لتشرب منه. أما الآبار العاديــة والركايا، فــتوجد في مواضــع متعددة قد تكون بقرب الأودية وقد تبعد عنها.

وعمليــة حفر البئــر أو القليب في معظم منــاطق المملكة، عمليــة تعاونية يشترك فيــها أقارب المزارع وجيرانه من غير أجر. ولكن الأمر ليس كذلك في كل الأحوال والمنــاطق، خاصــة عندما يصل الحفر إلى مناطق صخرية صلبة. ففــي هذه الأحــوال يلجأ المزارع إلــى استئــجار عدد من الرجــال ذوي الخبرة





والدراية في معالجة هذه الصخور وتكسيرها، خاصة أن الأمر قد يستدعي أحياناً استخدام تقنيات معقدة لا يتقنها إلا قلة كاستخدام البارود والديناميت مؤخراً في تكسير الصخور، وهؤلاء الرجال هم المُلغبُون في بعض المناطق كالمناطق الجنوبية الغربية أو الملغمون في مناطق أخرى. أي واضعو الألغام لتفجير الصخور بالبارود والديناميت.

وتختلف المدة التي يستغرقها حفر القليب اختلافاً كبيراً، تبعاً لاختلاف نوع الصخر وسعة البئر وعمقها وعدد العاملين وتوافر المال وفترات الجفاف والأمطار. وفي الغالب لا يقتضي الأمر أكثر من شهرين أو ثلاثة في معظم المناطق الشرقية والوسطى، ولكن المدة قد تزيد كثيراً لتصل إلى خمس سنوات أو أكثر في المناطق الصخرية، كما هو الحال في المناطق الجنوبية الغربية، خاصة جبال السروات. ويعزى طول مدة الحفر في هذه المناطق إلى عدة أسباب مهمة أولها أن حفر البئر هنا يعد مشروعاً كبيراً يكلف المزارع، وهو يوازي تكاليف بناء بيت كامل، بل إن حفر بعض الآبار في الزمن الماضي، كان يكلف أكثر من بناء منزل. ويرجع ارتفاع أجر الحفر وطول مدته إلى أن طبيعة الصخور الصلبة تستوجب استئجار واحد أو اثنين من أصحاب الخبرة في معالجة الصخور وتكسيرها، خاصة إذا اقتضى الأمر استخدام المتفجرات (البارود والديناميت) في تكسير الصخور. وكان هؤلاء المُلغْبُون قلة في الماضي وأجورهم مرتفعة. ولذلك يضع المزارع مراحل لحفر البئر تتناسب مع دخله السنوي. وهناك حادثة لأحد الفلاحين في مدينة الروضة بمنطقة حائل في القرن الثالث عشر الهجري، تذكر أنه عندما وصلت بئره إلى طبقة صخرية صلبة، عجز عنها فتركها بضع سنوات حتى جاءت سنة مجاعة، شحت فيها لقمة العيش فقال لمن يستطيع من العمال: كل من حفر من صخر هذا البئر وأخرج منه كمية من سحيل الصخر، فإنني سأكيلها له وأعطيه على قدرها من بغيث القمح والشعير أي مخلوط قمح وشعير، فتسابق الناس إلى هذه البئر، ينحتون صخرها، وما هي إلا بضعة أسابيع حتى قطعوا تلك الطبقة الصخرية بعمق (طولين)، حوالي أربعة أمتار وتفجر الماء في البئر، وهي لا تزال باقية حتى وقتنا الحاضر بمائها الغزير.

أما السبب الثاني لطول مدة الحفر في المناطق الجنوبية الغربية فهو أن البئر لا تحفر إلا في مواسم الجفاف، عندما





يكون المزارع غير مشغول بالبذر أو الري أو الحصاد. كما أن العاملين هم في الأصل من المزارعين أيضاً الذين يذهبون لمزارعهم في موسم الزراعة. والحفر في موسم الجفاف أسهل؛ لأن الحفر أثناء موسم المطر، يؤدي إلى تسرب المياه إلى داخل القليب، وهو ما يضيف أعباءً إضافية على الحفارين لسحب هذه المياه والتخلص منها. أما السبب الثالث فهو أن المزارع يحاول أن يوزع الحفر على مواسم الجفاف، حتى يكتشف البعد الحقيقي للمياه، وهل هي كما أفاد سوّاس الماء. فكلما وجد المزارع المياه على عمق قليل أثناء موسم الجفاف، كان ذلك مؤشراً على أن البئر جيدة، أما إذا سقطت الأمطار أثناء الحفر، وبالذات في بدايته، فإن ذلك سيلغي هذه الميزة ويجعل المزارع ينتظر موسم الجفاف الثاني أحياناً.

وعند بداية الحفر يحفر الجزء الأعلى من البئر، وهو أسهل أجزائها لأنه يتألف من الأتربة والرمال وفتات الصخور، ولذلك لا يقتضي الأمر في معظم الأحيان إلا استخدام المسحاة والزنابيل الصغيرة (المحافر) المصنوعة من سعف النخل أو مما كان يسميه العامة (جلد الخنزير)، وهو المطاط المقوى (الربّل). ويتم التخلص من الرمال المعبأة في هذه الزنابيل، بتناولها بالأيدي مباشرة دون الحاجة إلى أي معدات إضافية في هذه المرحلة. ويستمر الحال كذلك حتى يصل عمق البئر إلى أكثر من قامة (مترين تقريباً)، فتصبح مناولة الزبلان يداً بيد من الحفارين أسفل القليب إلى الرجال في أعلاها متعذرة، ولذلك يستعاض عنها برفع الزنابيل بالمحّالة والرشا. ويقتضي الأمر هنا تركيب عدة الحفر والسحب، التي تتألف من مركازين من خشب الأثل أو الطلح الغليظ تثبت عليهما المحالة (البكرة) وهو ما يسمى المقام. ويثبت المركازان على فوهة البئر باتجاه مائل قليلاً صوب بطن البئر حتى لا تصطدم الزنابيل بجدار البئر أثناء سحبها إلى أعلى. وتكون المسافة بين هاتين الخشبتين (المركازين) حوالي متر ونصف المتر وارتفاعها مترين. وتوضع


المركازان والمحالة





خشبتــان بالعرض تثبــت بينهما المحالــة (البكرة). وفي بعض المناطق، مثل نجد ونجران، يستعاض عن الخشبتين القائمتين (المركازين) بخشبة واحدة لها فرعان من أعلى تثبــت بهما البكرة. وتسمــى هذه الخشبة في نجران بالنَّعَامَة. وعلى أي حال فإن هذه الأخشاب مؤقتة تنتهي مهمتهــا بانتهاء حفر البئر، ويــستعاض عنها بعد ذلك بزرانيق وأخشاب دائمة لها أسمــاء عدة.

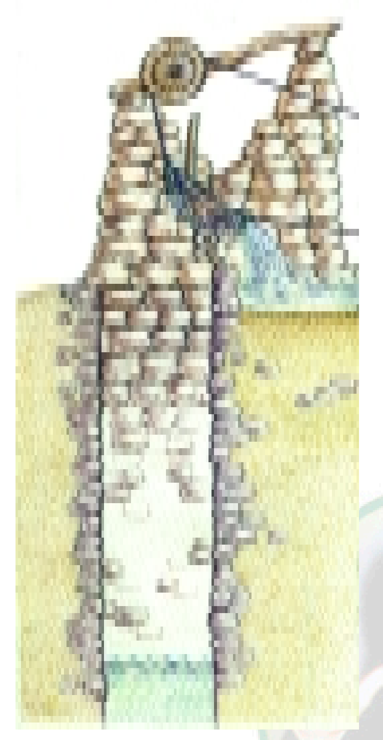
ويستخدم حبل غليظ ومــتين يصنع من ليف النخــل أو من الجلد أو منهما معاً، يسمى الرّشا لــرفع الزنابيل المعبأة بالأتربة والصخور من قاع البئر، حيث يُرَكَّب على المحالة، ويسحبه الرجال أو الدواب. ويشترط أن يــكون هذا الحبل قوياً جداً، لأنه لا يــستخدم فقط لرفع الزنابيل المعــبأة بالأتربة والصخور، بل أيضاً يستخدم لصلّ الرجال (إنزالهم) في قاع البئــر وإخراجهم مرة أخرى. كــما يوجد حبل متين آخر مثله يربط في أعلى أحد الأركان الأمامية للبئر، ويتدلى إلى قاعها ويسمى المصبَّع أو البيطه وهذا الحبل يمسك به عــادة من ينزلون إلى البئــر أو يصعدون منها حتى لا تتأرجح أجسادهم أثناء عملية النزول أو الصعود فتصطــدم بجنبات الــبئر. ولذلك عادة ما يتكــون الرشا من ثلاثة حبال (بتوت) من ليف النخل، ملفــوف على كل فرع سريحة طويلة مــن جلد البعيــر أو الثيران، ثم تجدل هذه البتوت الثلاثة بعضها مع بعض لتصير حبلاً متيناً وقوياً. ويتصل بطرف الرشا مما يلي البئر، زوج من المحاجــين أو الجوازل (مفردها محجــان أو جازل) مصنوعان من فروع الأشجار عند التقاء غصنين أحدهما بآخر، بحيث يكون كل منهما على شكل رقم ٧ ولكن أحد طرفيه أطول مــن الآخر. ويــربط المحجــانان أحدهما بآخر، بحبل غلــيظ من الليف يتصل بطرفيــهما الطويلين ويثبت حبل الرشا في منتصــف ذلك الحبل الواصل بين المحجانين. ويستخدم هذان المحجانان لتعليق الــزنابيل ورفعها بالرشا من قاع البئر إلى أعلاه.

أما طرف الرشا الآخر الموجود خارج البئر، فيستخدم لرفع الزنابيل من أسفل البئر، فعادة توضع في نهاية الرشا قطعة خشبية سمكها في حدود بوصتين وطولها حوالي متــر ونصف، وعندما يــسحب الرجال يمســك كل رجل بأحد طرفيــها لتسهل علــيهما السحب. أما في حالة استخدام الحيوانــات كالجمال أو الثيران أو الحمير، وهو ما تزيد الحاجة إليه مع زيادة عمق الــبئر، فإن طرف الرشــا مما





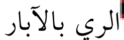
يلي الدابة ينتهي بوصلة مثنية تثبت بالقتب المركب على ظهر البعير أو الثور أو الحمار وتسمى عين الرشا أو الرأس. واستخدام الحيوانات للسحب، يجعل من الممكن زيادة الزنابيل، بل إن هذا يزداد باطراد مع زيادة عدد الحيوانات. وعند استخدام الحيوانات في السحب فلا بد من أن يسير أحد الرجال خلف هذه الحيوانات ويوجهها، ويقوم رجل آخر، يقف على جانب البئر، بتلقّي الزنبيل المرفوع عندما يصل إلى فم البئر فيضعه جانباً ويسمى علاقي، ويعلق بالمحجان زنبيلاً فارغاً ينزله إلى الحفارين في قاع البئر. وفي الوقت الذي يُفرغ فيه الزنبيل المملوء بالرمال والأحجار (نثيلة البئر) جانباً،



مقطع لبئر

يكون الرجال في قاع البئر قد ملأوا زنبيلاً آخر، فيرفع ويفرغ، ويستمر العمل على هذه الوتيرة حتى نهاية الحفر. وعندما ظهر الأسمنت والبناء المسلح، عمد الناس في المناطق الرملية إلى الحفر في الأرض بعمق مترين فأقل، ثم بنوا صبّة من الأسمنت والحديد على هيئة جدار، ذات ثقوب جانبية بمقدار ٤ بوصات تقريباً على مستويات مختلفة من هذا الجدار. وبعد أن يجف الجدار يحفر تحته تجويف آخر بمقدار ارتفاعه ثم تبنى صبة أخرى تلتحم بالصبة الأولى وبها أيضاً ثقوب جانبية كالتي قبلها. ويستمر الحفر بهذه الطريقة حتى بلوغ الماء أو تجاوزه بالمقدار التي يسمح بالحفر. وهذه الطريقة التي تشبه حديثاً عملية البناء الهديروليكي، أي البناء من أعلى إلى أسفل، يسرت الطيّ وحمت العمال من الانهيارات. أما الثقوب والفتحات الجانبية فتعمل لتسرب المياه الجوفية إلى البئر عندما يرتفع منسوب المياه في مجاريها الجوفية.

وتتفاوت أعماق الآبار تفاوتاً كبيراً بين المناطق المختلفة بل حتى داخل المنطقة الواحدة. وبوجه عام يتراوح العمق بين



عشرة وعشرين متراً في المنطقة الشرقية، وبين خمسة عشر وأربعين متراً أو أكثر في المناطق الأخرى خاصة المناطق الغربية. ولكل منطقة أعماق معروفة للوصول إلى المياه الجيدة. ولكن ماذا يحدث لو حفر أحد المزارعين بئراً وعمقها إلى نفس أعماق القلبان المجاورة، أو كما حدد له الخبير (سوّاس الماء) ولم يجد مياهاً كافية؟ فالماء ليس أمراً خفيّاً متى نقب عنه قالوا في المثل «الما ما يغطيه النبيث» أو «الماء ما يغطيه الدفين» أي إن الماء إذا كان كثيراً في البئر فإنه يبين ولا يخفيه التراب؛ يضرب للشيء الواضح الجلي. قد يكون الأمر يسيراً في بعض المناطق التي لا يكلف الحفر فيها جهداً كبيراً، فيترك المزارع هذه القليب ويبحث عن مكان آخر لعله يكون أوفر ماءً. غير أن الأمر ليس بهذه السهولة في كل الأحوال، خاصة في المناطق الصخرية كالمناطق الجنوبية الغربية، والغربية من البلاد، التي يكلف الحفر فيها مالاً كثيراً وزمناً طويلاً قد يمتد إلى خمس سنوات. إن الحل هنا أن يطلب المزارع النصح والإرشاد من سوّاس الماء الذي حدد له موقع البئر في البداية، فيأتي هذا الخبير إلى القليب ويتفحصها ومن واقع مشاهدته لنوع صخورها ولونها وما يشاهده من دلائل وعلامات أخرى، يطلب من صاحب البئر أحد أمور ثلاثة؛ فإما أن يطلب منه زيادة الحفر لقامة أو



بئر دائرية





قامتين أو نحو ذلك، أو أن يقول للمزارع إنه قد انحرف عن مكان الماء وهنا عليه أن يدخل شرقاً أو غرباً أو شمالاً أو جنوباً من قاع البئر لمسافة معينة قد تكون ذراعاً أو ذراعين أو أكثر، وتسمى هذه الدخلة الدحلة أو الغار. أما الاحتمال الثالث فهو أن يجمع بين العمليتين السابقتين معاً. وفي الغالب فإن هذه الحلول التي يقترحها سوّاس الماء تفلح في الحصول على مياه أوفر نسبياً.

وكما أن الآبار تتفاوت في أعماقها، فإنها تتفاوت أيضاً في سعتها وشكلها. فقد تكون القليب دائرية الشكل، وقد تكون مربعة وأحياناً تكون مستطيلة. يتراوح قطر أو ضلع القلبان الدائرية والمربعة عادة بين مترين وستة أمتار. وهذا النوع من الآبار لا يكون له غالباً إلا سانية واحدة ومنحاة واحدة. أما البئر المستطيلة فيكون لها، عادة، منحاتان وسانيتان في جهتين متقابلتين، وتسمى؛ القليب ذات الفرغين أو المفروغة أو أم فرغين. كما تسمى في الباحة أم راسين وغالباً يكون أحد الرأسين أعلى من الآخر، ويكون أصحاب الرأسين معاً جماعة واحدة، وقد يكون كل رأس لجماعة مختلفة حتى لو كانت الحفرة واحدة.

وتتحكم في سعة البئر حاجةُ المزارع إلى الماء. فكلما كانت مزرعته كبيرة كانت حاجته إلى مزيد من المياه، فيزيد في سعة البئر. فالآبار الضيقة لا تحتمل إلا عدداً قليلاً من أدوات رفع الماء (الغروب)، قد لا تزيد عن واحد أو اثنين ولكن كلما زاد اتساع البئر كان المجال مفتوحاً لزيادة أعداد الغروب، ومن ثمّ زيادة كمية المياه المرفوعة.

ويترنم الرجال عند حفر البئر، عادة، ببعض الأشعار والكلمات التي تعينهم على أداء عملهم وتذهب عنهم الملل؛



بئر ذات فوهة ضيقة، لا تصلح للسني





ومن الكلمات التي تقال أثناء عملية الحفر قول الرجل الذي في قاع البئر «**يالله الأول**» وذلك إيذاناً بإخراج الزنبيل الملآن، فيجيبه مَنْ على فم البئر «طالع من شره» وعندما يسمع سائق الحيوان ذلك، يأمر بعيره أو ثوره أو حماره بالحركة والسحب (يصدّر) ويقول «عل» في بعض المناطق الجنوبية. وعند موازاة الزنبيل للرجل الواقف على فم البئر يمسكه ويقول «عوّد أو أهها» ويكررها مرتين أو ثلاثاً، كما في بعض المناطق الجنوبية الغربية، فيتوقف سائق الدواب بينما يأخذ مَنْ يقف على فم البئر الزنبيل الملآن ويرسل الفارغ إلى من بقاع البئر وهكذا. ويستمر الحفر حتى الوصول إلى الماء؛ ومن الأشعار التي يرددها العاملون في حفر الآبار وطيها قول الشاعر:

واونتي ونة عليلٍ يداوونه
ويطوّح الونات عند المريكاني
قال المداوي ياهله لا ترجُّونه
لو عاش يومٍ ما تنى يومه الثاني

ومنها قول الشاعر:

يالله اليوم يارواف
يابا الافراج عاونِي
خوفوني وانا ما اخاف
واحسب الضلع يِزبنّي
قلت ياراعي الميلاف
ما تشوف الجمل حني
يحسبني عمى ما اشوف
يتقي بالنخل عني
وانعولي غدن رهاف
والحفا يرعب الجِنِّي

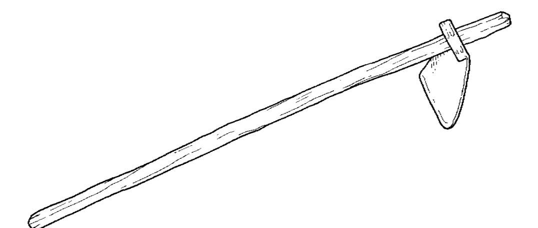
ومن أناشيد الباحة في هذا المقام:

يالله اليوم طيب
وانت والي النصيب
وانت معطي العطايا
وانت جلا بها

**أدوات حفر البئر**. يحتاج حفر الآبار إلى مجموعة من الأدوات، يدخل الحديد في أغلبها. وأهم هذه الأدوات المِسْحَاة أو الصَّخِيْن، وهي قطعة من الحديد مثلثة الشكل، يتوسطها من قاعدتها فتحة تدخل فيها عصاً بسمك بوصة إلى بوصة ونصف، وطول هذه العصا أقل قليلاً من المتر في الغالب. وتستخدم المسحاة في الحفر، خاصة في الطبقة الهشة الرملية والطينية الصلبة، كما تستخدم في تنظيف الأحواض والأفلاج والسواقي والمشاعيب. وكان الحدادون يصنعونها بإحماء قطعة من الحديد وطرقها، حتى تتخذ الشكل النهائي، ويعمل المزارع العصا الخاصة بها من أغصان السدر أو الطلح أو الأثل وغيرها من الأشجار







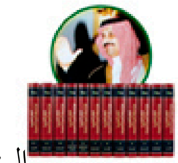
مسحاة

المتوافرة، وتعرف في الأحساء بنصاب الصخين. ولفظ المسحاة شائع في المنطقة الوسطى، ويقابله لفظ الصخين في المنطقة الشرقية وبعض الجهات الشمالية والغربية. وفي منطقة حائل يستعمل المِنْساف للحفر بدل المسحاة.

وتتكون المسحاة، وتسمى الماصولة من ثلاثة أجزاء هي؛ الوصلة وتسمى في نجد الريشة، وهي صفيحة عريضة من الحديد الصلب، يجعل في وسطها أثناء طرقها ظهر بارز طولي متين يحفظها من الانثناء أو الكسر. والحران، وهي حديدة قوية مطروقة ومتينة، في مؤخرتها زاويتان وفيها ثقب واسع يركب فيه النصاب. أما مقدمتها فعريضة وفيها ثقبان. وفي بعض المناطق يجعلون فيها ثلاثة ثقوب تُسَمرُ فيها الوصلة بمسامير متينة وقوية وهي أهم ما في المسحاة. وعندما تنحل الوصلة من العمل تخلع من المسحاة وتركب فيها وصلة جديدة. والنصاب، وهو عصا قوية يثبت طرفها في ثقب الحران.

ومن الأدوات المستخدمة في الحفر الفارُوْع أو المَنْقَبَة، وهي قطعة من الحديد، يصل طولها إلى أكثر من أربعين سم، مذببة من أحد طرفيها وعريضة من الطرف الآخر، وبين الطرفين من وسطها توجد فتحة يُدخل فيها النصاب، وتستخدم في تفكيك الطين الصلب، وكذلك الصخر اللين، وتكسير الحجارة الدقيقة وهي أداة حديثة إذا قورنت بالمسحاة. وتسمى العصا الخاصة بالمعول والمسحاة والفأس في الباحة الهراوة وهي تختار عادة من شجر الزيتون نظراً لصلابته المتناهية، فضلاً عن وجوده بالمنطقة.

أما العِتْلَة أو المَعْتَلَة أو العمود، فهي قضيب سمْكه بوصة وهي حديدة يصل طولها إلى ١٧٠سم أو مترين. يمسك بها الرجل بكلتا يديه ويضرب بها على الصخر لكي يصدّعه. وهي حادة من طرفيها كليهما، وقد يكون أحدهما مذبباً والآخر مفلطحاً. وعندما يحدث صدع في الصخر يعمل على توسعته بهذه الأداة فتحرك يمنة ويسرة، أو أماماً وخلفاً حتى تنفك أجزاء الصخر. وتستخدم العتلة أيضاً لعمل حفرة في الصخر الصلب، أسطوانية الشكل يصل عمقها ٢٠-٤٠سم، ثم يوضع فيها البارود ليفجر الصخر. وفي عصور متأخرة استخدمت





أصابع الديناميت بدلاً من البارود. ويصنع الحداد هذه الأداة كما يقوم بحدادتها وشحذ طرفها بعد استخدامها في الصخر الصلب، لأن استخدامها لإحداث حفر في الصخور، يجعلها بعد عدة أيام بحاجة إلى حدادة. فخلال حفر بئر ذات صخر صلب، قد يأخذ المزارع العتلة إلى الحداد لحدادتها أكثر من مائة مرة. والعتلة أداة أساسية في حفر الآبار، كما تستخدم في قلع الحجارة لبناء المنازل، ولزحزحة الأحجار الثقيلة ودحرجتها من مكان إلى آخر.

وهناك الهيب، وهو يشبه العتلة تماماً إلا أنه أثقل وزناً منها وأكبر حجماً، ولذلك فإن الحفارين إذا استعصت عليهم صخرة أثناء حفر البئر قالوا عطنا الهيب، ويرفعه، عادة، اثنان فأكثر، نظراً لثقل وزنه.

وهناك أيضاً الفَانُوس لدى أهل الباحة ويشبه المطرقة تماماً، وهو كتلة من الحديد الصلب، إلا أن وزنه يصل إلى سبعة كيلوجرامات. وتتوسطه فتحة تثبت بها عصاً غليظة وصلبة، تتحمل هذا الثقل ويبلغ طولها متراً واحداً. ويصنع الحداد الفانوس، وهو يستخدم لتفتيت الصخور الضخمة بالضرب عليها عدة مرات متتالية، حيث يمسك الحفَّار عصا الفانوس ويرفعه إلى أعلى ويهوي بكتلة الحديد بكل قوة، على الصخر فيصدعه. ويسمى في منطقة عسير ونجران الهيب، وفي الأحساء ونجد المرزبّة، وفي حائل الهيم أمّا في القصيم فيطلق الهيم على مرزبة ضخمة مخروطية السن.

أما المِفْراص، فهو أداة من الحديد الصلب بكامله، سمكه في حدود بوصة وطوله حوالي ٢٠سم شبيه بالأزميل، مفلطح من أحد طرفيه ومستدير من الطرف الآخر، يستخدم لتفكيك الصخور وذلك بوضع طرفه الحاد في الصخر، حيث يمسكه أحدهم، ومن ثم يضرب الآخر على طرفه العلوي المستدير بالفانوس أو المرزبة الضخمة، عدة مرات حتى يتم اتساع الصدع، ومن ثم تستخدم



المفراص



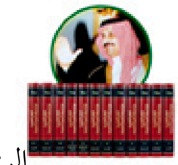


العِتْـلَة. ويسمـى في الأجزاء الجنوبـية الغربية بالفراص.

وينتشر في عسير استخدام الفِرْسَة، وهي أداة مستطيلة طولهـا قرابة ٣٠سم وعرضها ٤سم وسـماكتها ٥مم، حادة من أحد طرفيها وفي الطرف الآخر ثقب، تدخل فيه عصا طولها مـتر، وتستخدم في حفر الطين الصلب والصخر اللين. ويصنعها الحداد، ويُعد المزارع الـنصاب الخاصة بها.

ومـن أدوات الحفـر المـرِجْس أو المِطْرَقَة، وهي كـتلة من الحديد يصل وزنها إلى نصف كيلوغرام من الحديد الصلب، تتوسطها فتحة تدخل بها عصا طولـها قرابة ٤٠سـم، تستخـدم في الطرق على المَدَك لرص الحجارة والطين داخل الحفرة التي حفرت في الـصخر الصـلب، بهـدف التفـجير بـواسطة البـارود. والمرجـس تسـمية خـاصة بنـجران، وتسمـى في بقـية المنـاطق مِطرقة. ويشبه المفراص، ولـكنه أرفع منه، ما يعرف بالمَدَك، وهو قطعة من الحديد، أنبوبي الشكل يصل طوله إلى ٤٠سم، وسماكته ربع بوصة تقريباً حاد من أحد طرفـيه، ومستدير من جزئـه العلـوي، ويستخـدم خِصِّيصاً لـرص الحجارة في الفتحة التي تحفر في الصخر الصلب بهدف التفجير. وتسمى الحفرة التي تحفر في الصخر النَّقْر.

أما الـعَيْن، فـهي أداة من الحـديد الصلب، يصل طولها إلى نصف متر، مذببـة من أحد طرفيـها، وفي الطرف الآخر حَلْقـة قطرها في حدود ٥سـم، تسـتخدم في عـمليـة تفجيـر الصخـر باستخدام البارود. فبعـد أن تحفر حفرة في الصخر الـصلب، تنظف وتجفف، وتوضع كمية من البارود في أسفل هذه الحفرة تصل إلى ١/٤ كيلوجرام تقريباً، ثم ترص على هذه الكمية الحجارة وطين الصخر. ثم توضع هذه العين المدببة على طرف الحفرة، بحيث يصل رأسها المذبب إلى البارود، ويكون الطرف الآخر، الذي ينتهي بحلقة، أعلى الحفرة وبارزاً عنها بما لا يقل عن ٥سم. وأثناء رص الحجارة والطين، تـدخل قطعـة من الخشب أو الحديد في هذه الحلقة، وتدار رويداً رويداً حتى يسهل استخراجها فيما بعد. وعند الانتهاء مـن ملء هذه الحفرة (النّـقَر)، تسحب العين بتدويرها بشكل بطيء فتترك مكانهـا فتحة ضيقة موصـلة بين أعلى الحفـرة والبـارود. فتمـلأ هذه الحفـرة بالبارود، كما يُنـثر البارود حول الحفرة من الخارج وتقذف عليها شعلة من النار فيشتعل البارود، حتى يصل إلى أسفل



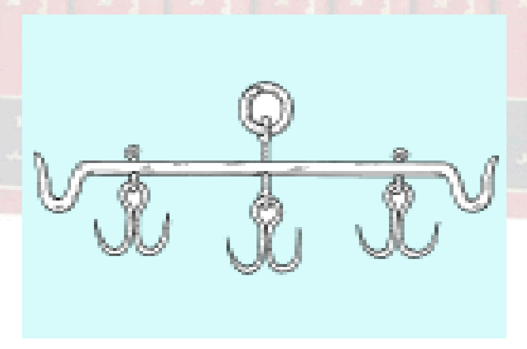


الحفرة فيتفجر وتتحطم الصخور. والعين تسميـة معروفة في كل مـناطق جنوب غرب المملكة.

كما يستعمل المِنْزَاف، وهو أداة من الحديد، طـولها حوالي مـتر وسمكهـا حوالي ٨مم، معـقوف من أحد طرفيه بحيـث يكون حاداً، وأبعـاد هذا الجزء حوالي ١سم×١سم. وهو يستخدم في تنظـيف الحفرة التـي تحفر في الصــخر الصلب بهدف التفجير. وعندما يضرب (المُلغِّب) بالعتلة، فإنه يدورها في الهواء لتـكون كل ضربـة في الصخـر بزاوية تختلف عن الزاوية الأولى، وإن كانت في الموقع نفسه، حتى تأخذ الحفرة الشكل الدائري الأنبوبي. ولأن الصخر صلب، فإن المُلغِّب يصب قليلاً من الماء بين فترة وأخرى لتبريد رأس العتلة الحاد، ولكي يتجـمع تراب الصخر عـلى هيئة طين يسهل استخـراجه من هذه الحفرة بهذه الأداة.

والعوقدة خطاف وهو حديدة تطرق بشكل خاص، بحيث تبرز منها كلاليب معقوفـة إلى أعلى. ويربط بهـا حبل. وهي تستخدم أثناء الحفر وبعده، لإخراج ما يسقط في الآبار العميقة، دون الحاجة للنزول إلى قاعها. وتسمى المخطافة في بعض مـناطق جنـوب غرب المملكـة، ويستخرج بهـا الدلو والغرب وغيرهما إذا سقطت في أعماق البئر.

كما يستخدم الزِنْبِيل وهو وعاء يصنع في معظـم المناطق من خوص النـخل، ويصـنع من شجـر الدوم الذي يـعرف بالطَفْي في المناطـق الجنوبية الغربية. له مقبضان مفتوحان على هيئة نصف دائرة، يسمى كل منهما عروة، يتميزان بقوتهما ومتـانتـهما. والـزنابـيل تـتفاوت فـي أحجامها، فمنها ما ينقله شخص واحد، وسعته تصل إلى ثلاثين كيلوجراماً، ومنها ما يحمله اثنـان وسعته تصل إلى ستين كيلوجراماً، ومنها ما تستخدم الحيوانات في جره، حيث يتسع لأكثر من مائة كيلو جرام. وفي هذه الحالة يسمى في بعض المناطق، مثل الطائف والباحة، بالمكتْل، ولا بد أن يـكون قوياً، وفـي الأحساء يسمى المرحـلة. وأما المحفر فهو زنبيل صغير في العادة، ولكنه يتميز عن الزبلان



عوقدة (خطاف)

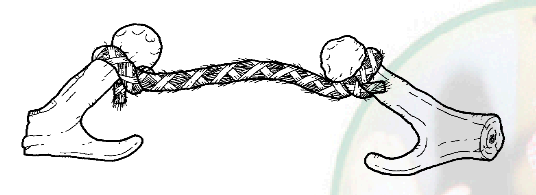




الأخرى بقوته ومتانته. وكان المزارع يغطي الزنبيل إذا استخدمه، في إخراج التراب من الآبار، بغطاء من الجوت أو الربل حتى يصبح أكثر قوة.

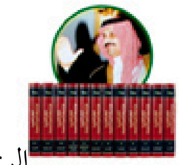
وفي المناطق الجنوبية الغربية يقوم بصناعته حرفيون في مناطق تهامة بشكل رئيسي، حيث يوجد شجر الدوم في البرك والقحمة ووادي بيش. كما أن بعض المزارعين، وهم قلة وفي قرى قليلة من قرى السراة، يصنعون الزنابيل أيضاً، حيث يشترون السعف من الأسواق الأسبوعية، ثم يسفون الزنابيل بأحجام مختلفة. ويسمى الزنبيل في منطقة عسير المِقْطف أيضاً. وفي المناطق الوسطى والشرقية والشمالية تصنع الزنابيلَ نساءُ المزارعين، من خوص النخيل الأخضر الخشن. ويقوي المزارعون، في هذه المناطق، حافة الزنبيل أو المحفر بخلب من الليف، تخاط عليها كما يلف الليف على أسفل المحفر وفي عروتيه. وأما مقبض اليد فتُلفُ خِرق حوله. وأحياناً تمتد أطراف العراوي مخيطة من الجانبين إلى أسفله، ثم يجمع بينها تحت المحفر فتكون منها عروة جيدة تحمل المحفر إذا كان مملوءاً، وينزع بها إذا كُبَّ ما فيه. وبالإضافة إلى استخدام المحفر في حفر الآبار، يستخدم أيضاً في تفريق السماد في الأحواض والأشراب ونقل التراب، لردم الحفر ومساواة الأرض، ونحو ذلك من الأعمال المشابهة.

أما الجوازل أو المحاجين، فتصنع من فروع أغصان الشجر بسماكة بوصة ونصف على هذه الهيئة ⸸⸸ وتربط بطرفي حبل يتصل بالرشا يعلق بها المحفر المملوء بالتراب ويخرج من البئر.



المحاجين (الجوازل)

**طي البئر.** تطوى الآبار للمحافظة عليها وعلى نظافة مائها الذي يشربه الإنسان والحيوان ويسقى به الزرع والنبات. ويقصد بطي الآبار تقوية جوانبها وجدرانها الداخلية المعرضة للانهيار، بتدعيمها بجدران من الأحجار المرصوصة بعضها فوق بعض بطريقة متقنة. وتختلف حاجة الآبار إلى الطي حسب طبيعة الأرض. فالآبار المحفورة في مناطق صلبة أو صخرية (عزا)، لا تحتاج إلى طي، أما الآبار المحفورة في المناطق الرملية أو الهشة (هيار)، فإن جدرانها معرضة للتهدم والهدد





والانـهيـار، ولذا لا بـد مـن طيـها وتقويتها. وتكون بعض أجزاء الـبئر، عادة، رملية ومعرضة للانهيار، وأجزاء أخرى قاسية وصلبة. والشائع أن يكون الجزء العـلوي من البئر أكـثر أجزائها حاجة لـلطي، لأنه دائمـاً يتألف من الطـبقة الـرملـية وفتـات الصخـور. ويختلـف مقدار هذا الجزء من مـكان إلى آخر، ففي حـين لا يتجاوز ثلاثة أمتار في معظم المناطق الغربية والجنوبية الغربية، باستثناء سهول تهامة، فإنه قد يمتد إلى عشرة أمتار أو أكثر في بعض المناطق الأخرى. بل إن بعضاً من الآبار في هذه المناطق يكون عمـقها كله في الطبقة الهشة المعرضة للانهيار.

ولّما كان الجزء العلوي من البئر هـو أكثـر أجزائهـا، في الغـالب، عرضـة للانهيار، فـإن حافري القلبان يأخذون



بئر غير مطوية حفرت في أرض صلبة

في اعتبارهم حاجة البئر للطي. فيزيدون من سـعتـها عـن المقـاس المطـلوب، ويستمرون على هذا النهج حتى يصلوا إلى طبقة صلبة أو صخرية. فإذا وصلوا إلى هذه الطبقة الصلبة (العزا)، اتخذوها أساساً للطي بالحـجارة. وبعد أن يتموا عملية طي البئـر يستأنفون عملية الحفر مرة أخرى في الطبقة الصلبة، ولكن مع تضييق سعة البئر بمـا مقداره نصف متر تقريباً من كل جانب ويسمى الجزء البارز من الصخر في منتصف البئر (الطفه)، نظراً لصلابة الصخور ولعدم حاجة هذا الجزء إلى طـي. وفي حين يشـيع طي الجزء العلوي من البئر، خاصة إذا كان معـرضاً للانهـيار والهـدد أولاً، وقبل استئناف الحفر في أسفل البئر، فإن عملية الطي في بعض المناطق، خاصة المناطق الجنوبية الغربية قد تتأجل إلى نهاية الحفر تماماً. ويعـزى التأجيل، خاصـة إذا لم يكن هناك خطر مباشر من انهيار أجزاء البئر العليا، إلى انتظار استخراج الحجارة اللازمة للطي من صخور البئر نفسها أثناء حفرها بدلاً من اقتلاع الأحجار من مكان آخر. وهـذا الأمر يـقلـل من الأعبـاء والوقت والتكاليف على المزارع. ولذلك يراعى في هذه المناطق عند إخراج التراب والحجارة من البئر، أن توضع الأحجار





الكبيرة والمتوسطة الصالحة للطي وحدها، وتوضع الأحجار الصغيرة والتراب في مكان آخر.

وعلى الرغم من أن الشائع في معظم الآبار أن يكون المطوي متصلاً من أعلى البئر حتى العزا أو الساس، فإن بعض الآبار التي تتعاقب فيها المناطق الهشة والصلبة ليست كذلك. ففي مثل هذه الآبار يقتصر الطي على الأجزاء الرملية الهشة المعرضة للانهيار، التي على شكل عروق أو جيوب بين المناطق الصلبة التي تبقى على حالها دون طي. وعلى هذا الأساس فإن المطوي في هذه الآبار، قد يوجد على شكل حلقات منفصل بعضها عن بعض، يعتمد سمكها وعددها على سمك وعدد الطبقات الهشة في هذه البئر أو تلك. ويوجد في أسفل بعض الآبار فجوات كبيرة تسمى سلالا (ومفردها سلّة) وهي توجد حيث تكون هناك أرض سهلة بين طبقتين صخريتين، فيُضطر عند الحفر أخذ مسافات من كل جوانب البئر لئلا يسقط ترابها في قاع البئر.

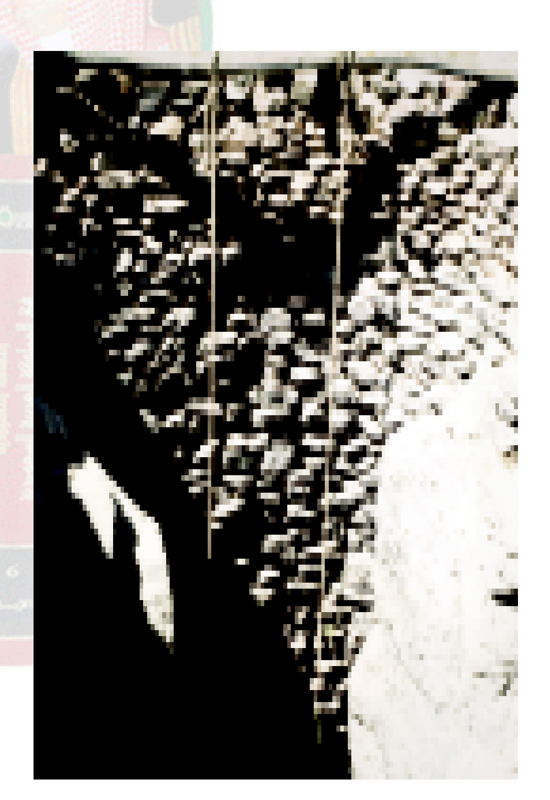
وطي الآبار بالأحجار عملية فنية دقيقة، لا يتقنها إلا قلة من المتخصصين المشهورين. ويسمى الطاوي في معظم المناطق الوسطى والشرقية استادْ (وجمعه استوديّه وستاديّه)، أما في المناطق الغربية والجنوبية فيعرف هؤلاء بالبنَّاية، (واحدهم بنَّاي)، كما يطلق على من يقوم بهذا العمل في منطقة جازان العمّار، وقد يكون هؤلاء ممن يعملون في بناء المنازل أو من غيرهم. ويعتمدون في عملهم على تهذيب الأحجار ورصها بعضها فوق بعض من دون أي مادة لاحمة كالطين ونحوه ولذلك قد يؤدي سقوط حجر منها إلى سقوط بقية الأحجار؛ وهذا ما يفهم من المثل «إلى طاح من طي الركّية طيَّه فاعرف ترى طي الركية طاح» الطي جمع طيَّه وهي الحجارة التي ترصف في جوانب البئر، والمعنى أنه إذا سقط حجر من أحد جوانب البئر فإن بقية الأحجار ستتهاوى بعده. ويضرب المثل للحث على التعاون، والتكاتف وعدم الفرقة إذ الخير في الاجتماع على الحق؛ أو يضرب مثلاً لاختلال الصف بعد فقدان جزء من أجزائه الصغيرة، لأن البنيان يشد بعضه بعضاً، فإذا انهار جزء تبعته الأجزاء الأخرى.

وتثبت هذه الأحجار أحياناً بوضع جذاذات صغيرة من الأحجار في بعض أركانها لتحفظ توازنها وثباتها. وتسمى هذه الأحجار الصغيرة الشِّقَايص أو الشُّقُوص، وواحدتها شِقصْ وشقاصة، كما تسمى اللزايز في أغلب مناطق جنوب

غرب المملكة، كما تسمى -أيضاً- الشفيف وتسمى في نجد الشظيف. وتتفاوت في حجمها وسمكها حسب موضعها من الطي. ومن الأشياء بالغة الأهمية في الطي أن تكون الحجارة مصقولة، ولا يوجد بها أي نتوءات أو أجزاء مدببة، حتى لا تتلف الغروب وتمزقها. كما أن من الأشياء التي تراعى دائماً عند طي البئر، أن يكون أعلى المطوي في جهته الأمامية الملاصقة للزا (الكافة) بارزاً نحو البئر قليلاً، حتى تمنع الغروب من ملامسة المطوي.

وللمحافظة على سلامة الغروب، يحرص المزارعون أثناء الحفر في أجزاء البئر الصلبة خاصة إذا كانت صخرية وليست بحاجة إلى طي، على أن تكون جوانب البئر خالية من النتوءات. كما يجب أن يكون قاع البئر أيضاً ناعماً أملس متساوياً، حتى يتسنى للغرب إذا قلّ الماء، أن يمتلئ دون التعرض للتمزق نتيجة لبروز نتوءات صخرية.

ويعدّ الوصول إلى الطبقة الصلبة أمراً مهماً في طي الآبار، لأنها الأساس والقاعدة التي يستند عليها المطوي. ولذلك فعندما يواجه المزارع أحياناً بأن أحد أجزاء البئر ليس قوياً بما فيه الكفاية، أو أن جزءاً من الطبقة الصلبة في هذا الجزء أو ذاك من البئر قد انهار، نتيجة لعملية الحفر فإن الأمر هنا، يتطلب وضع أساس قوي يبنى عليه جدار المطوي. ويكون هذا الأساس عبارة عن

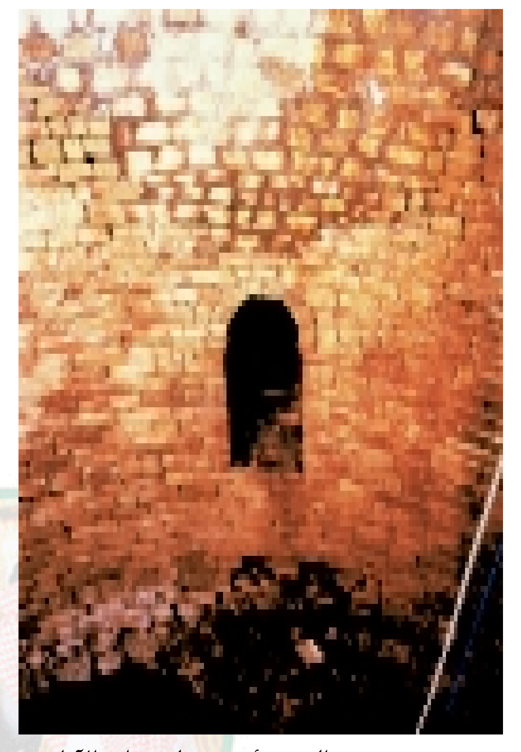




بئران مطويتان بالحجارة، ويلاحظ تفاوت اتقان الطي





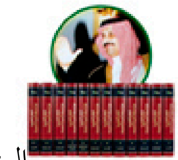
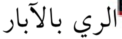


بئر زبيدة قرب البدع، أنموذج لفن طي الآبار

خشبة غليظة أو خشبتين بعرض أحجار المطوي بحيث تدخل رؤوسهما في ركنين من أركان البئر لمسافة لا تقل عن خمسين سنتيمتراً من كل جهة، ويتم البناء عليهما. وغالباً ما تكون هذه الأخشاب من أشجار الزيتون (العتم) أو الأثل أو السدر أو العرعر أو الطلح القوية، التي تدوم لأكثر من مئة سنة دون أن تتلف.

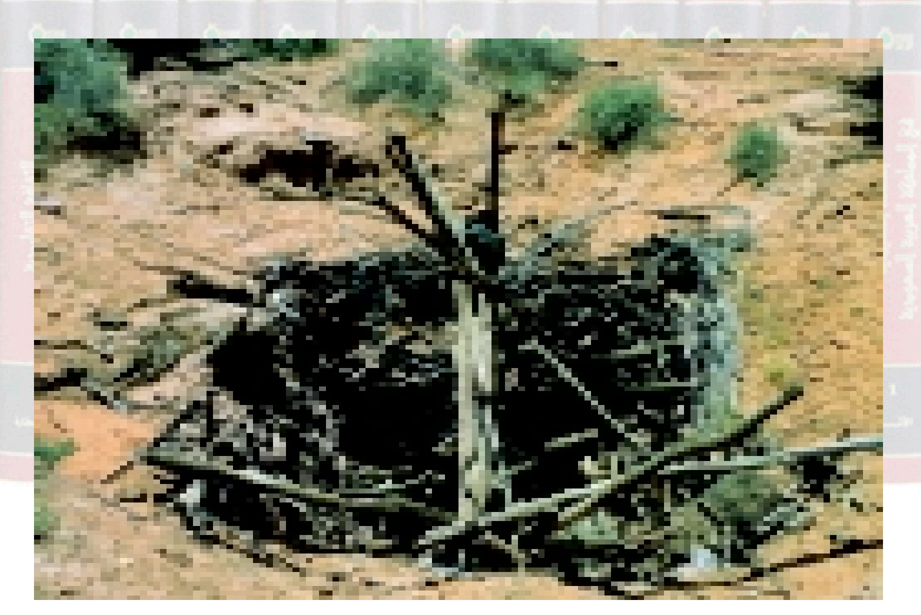
وفي أحيان أخرى قد يحفر المزارع حتى يصل إلى الماء دون أن يجد طبقة صلبة أو صخرية ليعتمد عليها بناء المطوي، كما هو الحال في الآبار المحفورة في المناطق الرملية والنفود، أو في الأودية ذات الترسبات السميكة، مثل وادي نجران. ففي هذه الحالة يستعيض المزارع عن الطبقة الصلبة، بوضع أخشاب غليظة في قاع البئر، بجوار جيلان البئر الأربعة وتشبك بعضها ببعض، وتثبت في أركان البئر مفترشة القاع ثم يبنى عليها. وتكون هذه الأخشاب هي الأساس الذي تعتمد عليه عملية طي البئر. وتسمى هذه الأخشاب في نجران وبعض المناطق الجنوبية الأخرى أَمْتَانْ، وهي لا بد أن تكون من الأشجار الصلبة كالسدر والطلح حتى تتحمل الثقل الهائل الذي يعلوها. وفي جازان يكتفى غالباً بطي الجزء السفلي من البئر اعتماداً على هذه الأمتان، بارتفاع يصل إلى مترين في المتوسط. ويسمى هذا الجزء المطوي أسفل البئر بالتابوت.

ورغم أن الشائع في تقوية جوانب البئر، هو طيها بالأحجار والصخور، لمنع تهدمها وانهيار جوانبها، إلا أن الأمر ليس كذلك في جميع الأحوال. ففي بعض المناطق الزراعية في حائل، مثل قرى اللقايط والنيصية والمناطق المجاورة شمال مدينة حائل، تكون عملية الطي باللبن المشبع بالتبن والطين. ويكون


استخدام اللبن والطين، عادة، في المناطق البعيدة عن مستوى الماء أو التعرض له. فالطي هنا يقتصر على الجزء العلوي من البئر البعيد عن المياه، لأن الآبار هنا تحفر في طبقة صخرية لا تحتاج في معظمها إلى طي. وفي حالة وجود بعض العروق الرملية بين المناطق الصخرية، فإنها تطوى أيضاً باستخدام اللبن والطين، ما لم تكن قريبة من مستوى المياه الجوفية.

وفي أحيان أخرى يستعاض تماماً عن عملية البناء والطي سواء بالأحجار أو اللبن، بتدعيم جوانب البئر المعرضة للانهيار، وذلك بتغليفها بشبكة من الأخشاب المرصوصة بعضها فوق بعض، أو بجانب بعضها بعضاً. ويشيع استخدام هذه الطريقة في المناطق الزراعية الواقعة داخل النفود، كما هو الحال في مناطق العقل في الزلفي والخبوب في بريدة وقنا، وأم القلبان في النفود الكبير شمالي حائل. ففي هذه المناطق لا توجد أحجار وصخور لاستخدامها في الطي، كما أن جلب الأحجار من مناطق أخرى كان مكلفاً وفي غاية الصعوبة، لأن وسائل المواصلات المتوافرة آنذاك لا تتجاوز الإبل والحمير. ولا يقتصر استخدام الأخشاب في تغليف جوانب البئر وتدعيمها على المناطق الرملية داخل النفود، بل يوجد حتى في بعض المناطق الأخرى، كبعض مناطق تهامة مثل (القنفذة) وفي الأحساء والقطيف. كما أن المزارع الفقير الذي لا



بئر مطوية بالأخشاب



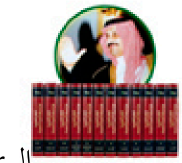


يستطيع طي بئره بالأحجار، قد يلجأ إلى الأخشاب بل إلى عسبان النخل لصفها ومداخلتها بعضها مع بعض بطريقة تحمي جوانب البئر من الانهيار، خاصة في الجزء الأسفل حيث تعمل المياه على تهدم جدران البئر. ويوجد بئر في النفود شمال الخطة في منطقة حائل، مطوي بكامله بخشب أشجار الأرطى، ويسمى رطيانْ نسبة إلى هذه الطريقة.

واستخدام الأخشاب في تغليف جوانب البئر يبدأ، عادة، بوضع أربع خشبات كبيرة في أسفل البئر من الأشجار الموجودة في المنطقة، كالغضا والأرطى والسدر والطلح والأثل، بجوار جدرانها الأربعة، لتشكل القاعدة التي تستند عليها الأخشاب الأخرى. ويتم تثبيت طرف كل خشبة بالأخرى، إما بحفر إحداهما وإدخال طرف الأخرى فيها (ذكر وأنثى)، أو أن يكون في طرف كل خشبة فرعان رئيسيان تدخل بينهما قاعدة الخشبة الأخرى، وتسمى هذه الأخشاب المحامل. وتصف أخشاب أخرى بالطريقة نفسها فوق هذه الأخشاب حتى ارتفاع قامة أو قامتين، وأحياناً في المناطق الرملية تماماً، قد تصل الأخشاب حتى رأس (فوهة) البئر. ولتسهيل هذه العملية فإن الأمر قد يقتضي أحياناً وضع أربع خشبات بشكل عمودي في أركان البئر الأربعة، لتكون دعائم تعتمد عليها الأخشاب الأخرى. وتُحشى المناطق الفاصلة بين الأخشاب وجوانب البئر، ببعض الأشجار مثل الأرطى والثمام وغيرها، حتى تمنع تسرب الأتربة إلى جوف البئر. وتسمى الآبار من هذا النوع بالقلبان المُنعَّشَة واللفظ مأخوذ من النعش وهو ما ينقل عليه الميت.

وتُصف الأخشاب في بعض المناطق كما هو الحال في منطقة القنفذة، بشكل عمودي لتكسو جدران البئر الأربعة، بارتفاع يتراوح بين مترين إلى ثلاثة؛ ويسمى هذا الجزء من البئر المكسو بالأخشاب الحَلْق. أما في الأحساء والقطيف، فنظراً لكثرة أشجار النخيل، يستعاض عن الأخشاب بجذوع النخل (النبوع) لتدعيم جوانب الآبار وتقويتها.

وخلاصة القول، إن المزارعين الأوائل نظراً لضعف إمكاناتهم المادية، ولضعف وسائل النقل والمواصلات كانوا يعتمدون في تقوية آبارهم وحمايتها من الانهيار على مواد البيئة المحلية؛ فالمناطق التي توجد بها المحاجر والصخور، تستخدم الأحجار في الطي، في حين تستخدم أخشاب الأشجار المحلية في المناطق التي لا توجد أحجار بالقرب



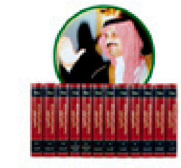


منها، مثل المناطق الزراعية داخل النفود. وعموماً فإن الآبار المطوية بالأحجار أقوى بكثير من تلك الآبار والقلبان غير المطوية أو المغلفة بالأخشاب والأشجار والمعروفة بالآبار الهيام أو الهباة. ونتيجة لتفاوت القوة بين هذين النوعين من الآبار والقلبان، فإن المكونات الأخرى التي تبنى على رأس البئر لإعدادها لعمل السواني واستخراج الماء، تختلف بين هذين النوعين.

**الزرانيق وتوابعها**. الزرانيق أو المداميك، وواحدها زرنوق، ومدماك، أو المرازيز كما يطلق عليها في الأحساء (واحدها مرزوز)، هي أهم أجزاء البئر الخارجية في المنطقة الوسطى والشرقية، سواء أكانت البئر مطوية أم محفورة في طبقة قوية (عزا)، حيث يشرع في بنائها بعد الانتهاء من حفر البئر وطيها. والزرانيق أو المرازيز، جداران متقابلان بارزان من اللبن والطين أو الأحجار والطين، يبنيان على جانبي البئر (القليب). ولكل جدار منهما رأسان بارزان، بحيث يكون الرأس الذي يلي اللزا (الأمامي) أكثر ارتفاعاً من الذي يكون في مؤخرة البئر. ولهذا الارتفاع يعد الزرنوق علامة على البئر؛ وضرب به المثل على الأمر الواضح، قالوا «شاهدها زرنوقها»، فوجوده دليل على البئر وإن كانت مطمورة، والمشاهد من بعيد يمكن أن يهتدي به أيضاً. وفي بعض الآبار يكون هناك أربعة زرانيق أو مرازيز منفصلة، توضع خلف كل ركن من أركان البئر، أماميان وخلفيان. وفي بعض الآبار -خاصة في منطقة حائل- تبنى الزرانيق على شكل قوس يحيط بالبئر من ثلاث جهات، ويكون الجزء المفتوح هو المجاور للزا والمنحاة. أما الآبار غير المطوية (الهيام)، فيستعاض عن الزرانيق بأخشاب غليظة تسمى النواعير أو المراكيز. وفوق هذه الزرانيق



منظر جانبي لأحد الزرانيق





أو النواعير وبينها توضع عدة السانية. وسنعطي هنا صورة عامة عن هذه الأجزاء والمكونات.

فالدوامغ أو الحوامل (جمع دامغة وحاملة)، هي أخشاب غليظة وقوية من أشجار الأثل أو السدر أو جذوع النخيل، تصل بين كل زرنوقين متقابلين. وتسمى الأمامية منهما التي تكون في مقدمة البئر وفوق اللزا، الدامغة أو الحاملة الأمامية، كما تُدعى الأخرى، الواصلة بين الزرنوقين الخلفيين، الدامغة أو الحاملة الخلفية، كما تسمى في بعض المناطق المعروضة. والدوامغ من أهم مكونات عدة السانية، لأنها تحمل المكونات الأخرى، ولذلك تختار بعناية فائقة من أجود وأغلظ الأشجار أو جذوع النخل، لأن أي خلل فيها يؤدي إلى تعطيل عمل السانية تماماً.

أما النبوع أو الأنباع أو الجنابيع (وواحدها نبع وجنبوع)، فهي عدد من أخشاب الأثل أو جذوع النخل المشقوقة إلى نصفين، تصل بين الدامغة الأمامية والدامغة الخلفية. ويختلف عددها باختلاف عدد المحّال والغروب، فكل محَّالة (بكرة) تحتاج إلى زوج من الأنباع. وتثبت هذه الأنباع بالدوامغ بشكل وثيق يربطها بسرائح من الحبال المصنوعة من الليف وجلد البعير (القِدّ)، ويكون في منتصف كل نبع فرض (شق) يسقط فيهما محور المحَّالة.

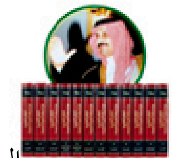
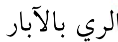
وتقع فوق الزرانيق خشبة من الأثل أو السدر تعرف بالسماح تصل بين الزرنوقين، مما يلي اللزا، وتكون تحت الأنباع بحوالي متر تقريباً. ومهمة هذه الخشبة تثبيت عمد الدراج، كما يستفاد منها أيضاً في الصعود إلى موقع الدرّاج لتركيبها أو إصلاحها عندما تمرس المحاله،



الدوامغ فوق الزرانيق



الأنباع (الجنابيع) الواصلة بين الدوامغ

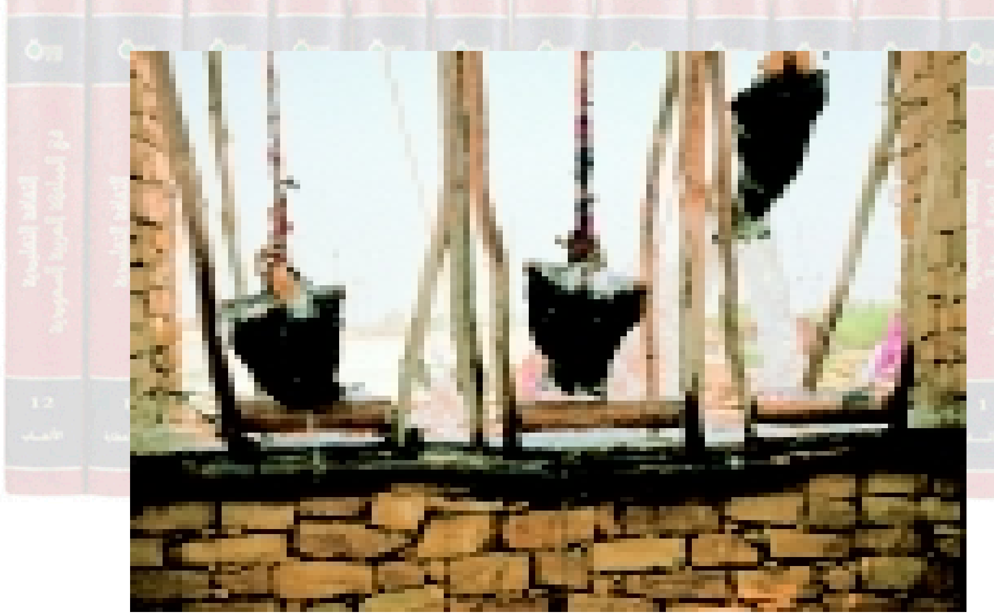




أي يخرج محورها عن موضعه أو يخرج منها الرشا أثناء السني.

ولمنع حركة محور المحالة يقومون بتثبيته بحصى يستخدم كشقايص للمحور ومنعه من الرفل؛ ويقال «فلان يحصّي المحال». ويدهنون لقمة المحالة بالودك لإخفاء صوتها ومنع احتكاكها ولكنهم قد يضعونه لتصدر المحالة أنيناً يغنون عليه ويشبه صوت المزمار، وهم قد يضعون الفحم لإصدار الصوت وقد يضعون بين المحور والنبع عوداً يسمى التابوك، ولمزيد من رفع الصوت توضع صفيحة أي تنكة. ولقمة المحالة هي شكل مربع ١٠×١٠سم تقريباً من الخشب تثبت في (قب) المحالة من الجانبين لحماية القب من التجوهر (التآكل) ويدهن بالودك لتسهيل حركة دوران المحالة.

ويصل بين الزرنوقين الأماميين من أسفل خشبة معترضة كسابقتها تسمى الكافة، وفي بعض المناطق الجازي، بحيث تكون تماماً على حافة بركة الماء (اللزا أو المقام). وفائدة هذه الخشبة أنها تثبت بها أعمدة الدراج من أسفل، وتكف الماء عن العودة إلى البئر عند انصبابه من الغرب في اللزا (المقام).

وتصل بين الخشبتين العرضيتين أعمدة الدراج، وهي أخشاب متوسطة الحجم. ويختلف عدد هذه الأعمدة، باختلاف عدد الدراج والمحَّال والغروب.



خشبة الكافة (الجازي)





فكل غرب له محالة ودراجة؛ والدراجة لها عمودان تثبت عليهما. ويثقب هذان العمودان من أسفلهما (حوالي ٤٠سم فوق بركة الماء)، حيث يثبت بهذه الثقوب محور الدراجة. وتثبت أعمدة الدراج من أعلى، بربطها بشكل وثيق في خشبة السماح، فإنها تثبت من أسفل بحفر خشبة الكافة، وتسقيط هذه الأعمدة بتلك الحفر الصغيرة غير النافذة. والشائع في معظم المناطق وجود السماح والكافة، ولكن في بعض الحالات قد يستغنى عن إحداهما أو كلتيهما. ففي حالة الاستغناء عن السماح، تثبت أعمدة الدراج من أعلى في إحدى الدوامغ، والغالب الدامغة الخلفية (المعروضة). أما في حالة الاستغناء عن الكافة، فتثبت الأعمدة من أسفل بحافة اللزا، حيث تثقب الصخور، كما هو الحال في الكافة تماماً بعدد أعمدة الدراج، وتوضع أطراف الأعمدة السفلى في هذه الثقوب.

أما في المناطق الجنوبية الغربية، فإن رأس البئر وأجزاءها الخارجية تختلف، إلى حد ما، عنها في المنطقة الوسطى. فبدلاً من الزرانيق يبنى جداران عريضان ينطلقان من ركني البئر الأماميين نحو الخارج لمسافة حوالي متر ونصف أو مترين. ويدخل هذان الجداران إلى جوف البئر لمسافة حوالي نصف متر، ويستندان على حجارة طويلة أو أخشاب. ويصل ارتفاع هذين الجدارين إلى متر ونصف على الأقل ويكون ارتفاعهما متساوياً. ويختلف اسم هذين الجدارين من منطقة إلى أخرى فيدعيان القُصَّه أو الصَّوْمَعَة في منطقة الطائف، والاصْطِوَانَه أو الرأس في الباحة والسَاوَري أو اليد في عسير والرّمَّة في نجران.

ويحمل الأجزاء الأخرى وعدة السانية قائمان من الخشب، يقامان على حافة البئر الأمامية، بجوار الجدارين المذكورين من الداخل، يكونان قريبين من حافة الجدار المطل على البئر، بحيث يميلان إلى داخل البئر. ولذلك فلا بد أن يكونا قويين وغليظين، ويتخذان من الخشب الصلب، مثل السدر والطلح أو الزيتون، ويصل ارتفاعهما إلى أكثر من مترين ونصف المتر. ويطلق على كلٍّ منهما سَهْمْ في الطائف، ورَعْلْ في الباحة، وعارضْ أو قرنْ في عسير، وصِنْخَة في نجران. وهذا الجزء قد يغني عن الجزء الأول، وخاصة عندما تكون البئر ضيقة وقليلة العمق.

ويصل بين الخشبتين، سالفتي الذكر، من المنتصف خشبة توضع بالعرض، يدخل طرفاها في الجدارين





العرضيين أو يتكئان عليهما، وهي أيضاً من الخشب الصلب وتعادل الدامغة الأمامية في المنطقة الوسطى. وتسمى هذه الخشبة مَسَدٌ في الطائف، وعارضه وخشبة السهمين في الباحة وعسير، وزنده وسطى في نجران. ويوازي هذه الخشبة على مسافة متر تقريباً خشبة تصل بين الخشبتين القائمتين، من أعلاهما أو قبل نهايتهما بقليل. وهي تعادل الدامغة الخلفية (المعروضه) في المنطقة الوسطى. وتثبت هذه الخشبة، مثل سابقتها، بالخشبتين القائمتين بحبال من الليف أو الجلد، يربطان ربطاً قوياً لا يتيح أي مجال لتحركهما. وتسمى هذه الخشبة في الطائف القناع، وفي الباحة وبعض قراها (القناع أو الوساد)، وفي عسير قُلُنْصُوَه، وفي نجران زَنْدَه عليا. وتقع أسفل الخشبتين القائمتين مما يلي البئر، مثبتة في الجدارين العرضيين، خشبة تسمى في الطائف وفي نجد الكافة، بينما يطلق عليها في الباحة المسَد، وفي عسير زنده، وفي نجران (زنده سفلى).

وللدراجة أعمدة تصل بين الخشبة السفلى (الزنده السفلى) والخشبة الوسطى (الزنده الوسطى)، وتثبت بالطريقة نفسها سالفة الذكر في المنطقة الوسطى. ويطلق على كل عمود منها ضلعْ في كل من الطائف وعسير، وسَهمْ في الباحة، وسَنَفْ في نجران. ويقوم مقام الأنباع في المنطقة الوسطى عدد من الأخشاب الرفيعة، تصل بين الخشبتين العرضيتين الوسطى والعليا يفصل بين كل اثنين منهما حوالي نصف متر، تثبت عليها المحالة.

وهكذا فإن هذه المكونات مهما اختلفت أشكالها وبنيتها ومسمياتها، فإن وظيفتها الأساسية هي حمل عدة السانية. وعدة السانية متشابهة، بل متطابقة تقريباً في مختلف المناطق.

**اللزا.** وهو حوض الماء الذي تصب فيه الغروب، ويقع على حافة البئر، بينها وبين المنحاة وهو حوض مستطيل، وقد يكون مربعاً أحياناً، ويكون امتداده، عادة، بنفس طول امتداد البئر نفسه بين الزرنوقين الأماميين أو المرازيز، أو الجدارين العرضيين، كما في المناطق الجنوبية الغربية. واللزا في الفصيح هو الإزاء؛ جاء في لسان العرب «والإزاء مصب الماء في الحوض؛ وأنشد الأصمعي:

ما بين صنبور إلى إزاء

وقيل: هو جمع ما بين الحوض إلى مهوى الركيّة من الطيّ، وقيل: هو حجر أو جُلّة أو جلد يوضع عليه... قال أبو زيد: هو صخرة أو ما جعلت وقاية على





مصب الماء حين يفرغ الماء؛ قال امرؤ القيس:

فرماها في مرابضها
بإزاء الحوض أو عقره

... وفي قصة موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنه وقف بإزاء الحوض، وهو مصب الدلو».

ويعرف هذا الحوض بعدة أسماء، أشهرها في المناطق الوسطى والشمالية والشرقية اللزا، كما يطلق عليه في بعض هذه المناطق اسم المقام. أما في المناطق الغربية والجنوبية الغربية فيعرف بالقُف، كما يعرف بالحوض في نجران وجازان والقنفذة. ويمتد جزء من اللزا عادة إلى داخل القليب، مسافة نصف متر تقريباً معتمداً على أحجار طولية، تكون جزءاً من مطوي البئر إن كانت البئر قوية ومطوية طياً محكماً، وتسمى هذه الأحجار القرون. أما إذا كانت البئر ضعيفة، فإن الأمر يحتاج إلى عمل ما يسمى الوسادة، وهي خشبة غليظة طويلة، تعرض على طرف البئر، وتركب عليها أخشاب أخرى تقوم مقام القرون في البئر المطوية. وعلى هذه القرون تُصف أخشاب متعددة بعضها بجانب بعض، تسمى سقف اللزا، ثم تغطى بطبقة من الطين الجيد. وبذلك يكون ثلث حجم اللزا، تقريباً، فوق فوهة البئر والباقي خارجها. ويكون اللزا، عادة، مرتفعاً عن المناطق المجاورة بحوالي ٧٠سم أو أكثر، حتى يتسنى تدفق الماء إلى جميع أنحاء المزرعة

وتبنى جوانب اللزا إما بالطين الجيد أو بالأحجار. وفي الأحساء يقوى اللزا، في كثير من الأحيان، بالجص بارتفاع متر تقريباً، وتوضع على الجدار المجاور لفوهة البئر خشبة غليظة تسمى الكافة، تحفر في عدة أماكن وتدخل في هذه الحفر أعمدة الدراج. وقد يستعاض عن هذه الخشبة بنقر جدار اللزا نفسه، وإدخال أعمدة الدراج في هذه الحفر المحفورة في الصخر -كما سبقت الإشارة- ويسمى هذا الجدار جدار الكافة، في حين يعرف الجدار المقابل له، والذي يشرف على المنحاة بجدار الرّدف أو المنشع في الأحساء. ونظراً لمرور أسرحة الغروب على هذا الجدار أثناء عودة الحيوانات نحو البئر، بعد أن تفرغ الغروب، مما يُعَرِّضه للتلف، توضع، عادة، خشبة في أعلاه أو بعض الصخور المستطيلة، لتقيه من تأثير مرور الأسرحة المتكرر فوقه. أما الجداران الآخران للزا فيطلق عليهما الساعدان (واحدهما ساعد). ولما كانت الدراجة شكلاً اسطوانياً تمر عليه







اللزا في مقدمة البئر

الأسرحة (المقط) وكثيراً ما تمرس، أي ينزلق عنها المقاط فإنهم يضعون لها من الجانبين أعمدة رأسية يسمى كل واحد منها مِمراساً يمنع انزلاق السريح يميناً أو شمالاً.

ويغطى قاع الحوض وجوانبه، بعناية فائقة، بعدد من المواد تختلف من منطقة إلى أخرى، ولكن القاعدة العامة في جميع الأحوال، أن لا يكون هناك أي مجال لتسرب الماء من قاع الحوض أو جوانبه، لأن ذلك سوف يؤدي إلى انهياره وانهيار جانب البئر معه. ففي الطائف والباحة وعسير مثلاً يغطى قاع الحوض وجدرانه بحجارة متساوية ومرصوفة بإتقان بعضها بجانب بعض، وتلحم بعضها ببعض بشيء من المواد اللاحمة. ويزاد على ذلك في نجران وجازان والقنفذة تغطية سطحه بسعف النخل أو الدوم. أما في المناطق الوسطى فيغطى باطن اللزا إما بالصهروج أو بجريد النخيل. والصهروج نوع من الطين الموقد عليه بالنار في مكان مكتوم، فيصبح الطين بعد حرقه أحمر اللون، وبعد خلطه بالماء يصبح مادة لاحمة قوية مثل الإسمنت. وفي الأحساء يغطى باطن اللزا بالجص، كما يُغطى قاعه بهذا الصهروج بعد خلطه، ثم يضرب مدة طويلة بخوص النخل، حتى يقوى ويتماسك ولا يتسرب من خلاله الماء. أما في المناطق التي لا يتوافر فيها هذا النوع من الطين، فيُغطى قاع اللزا وساعداه بعسبان النخيل المربوطة بعضها ببعض، وتسمى الرمِّيلة؛ وهي تصنع من جريد النخل الأخضر بعد إزالة خوصه وأطرافه، ثم يرصف بعضه إلى بعض متخالفة رؤوسه وتربط بحبلين أو ثلاثة، اثنان منهما بالقرب من أطرافه. وهكذا تصبح الرِمِّيلة بساطاً من الجريد يفرش في الحوض ليغطي قاعه وساعديه. وعادة توضع بعض الحصر المصنوعة من سعف النخيل أسفل الرِمِّيلة. واختيار جريد النخيل لعمل الرميلة من دون غيره، راجع إلى أنه يتضخم ويزيد حجمه عند تبلله بالماء، مما يزيد التصاق بعضه ببعض





فلا ينفذ الماء من خلاله. كما أن له خاصية مهمة أخرى وهي أنه يمنع حفر أرضية اللزا أو المقام أثناء انسكاب الماء من الغروب.

ويوضع في اللزا المطلي بالصهروج عادة، حجر مستدير في وسطه، يسمَّى العروس مثبت بالصهروج. ويستخدم الحجر ممراً لمن يريد اجتياز اللزا لإصلاح شيء في الدراج أو الغروب أو الزرانيق أو غيرها. وفي أحيان أخرى قد يكون هناك ثلاث عرائس. فعوضاً عن تلك الموجودة في الوسط تماماً توجد واحدة أمامها وأخرى خلفها بجوار جداري الكافة والردف. ومن الفوائد الأخرى للعرائس أنها تعدّ مقياساً لمستوى الماء في الحوض.

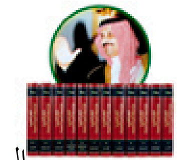
ولا يحتاج اللزا المملوط بالصهروج إلى أي إضافات أخرى. أما اللزا المفروش بالرميلة فيحتاج عادة إلى عدد من الأحجار، التي توضع في اللزا في مواجهة صب الماء من الغروب لتخفف من اندفاع الماء وتصده عن الاصطدام بقوة بجدار الردف، وتسمى هذه الأحجار الوظايم، (وواحدتها وظيمه). وقد تكون الوظايم أحياناً من أشجار الثمام أو الرمث أو غيرها، وهي توضع ملاصقة لجدران اللزا، خاصة جدار الردف لتقيه كَرّات الماء المتتالية. وقد تكون الوظايم من الأحجار والأشجار معاً؛ يقول الشاعر مرزوق بن صقر:

وادموعي من عيوني غرقني
مثل غرب قام يلفظ مع وظيمه

ويخرج الماء من اللزا من فتحة في أعلاه أو أسفله، في إحدى زاويتيه الخلفيتين تسمى مطلاع الماء. ويتدفق في ساقٍ رئيسي نحو بركة لتجمع الماء قبل توزيعه داخل المزرعة، تسمى الجابية على نحو ما سنفصله لاحقاً.

ويطلق على جميع مكونات رأس البئر وحوض الماء وما حوله، في بعض مناطق المملكة اسم عام يشملها جميعها، فيعرف في الباحة والطائف الرَكاب أو الرَعَل، وفي عسير يدعى الرأس، وفي نجران يدعى الشُرعَه، وفي جيزان والقنفذة يسمى العرش.

**المنحاة.** يقصد بالمسنى (المنحاة) الطريق الذي تسير فيه الحيوانات السواني ذهاباً وإياباً لرفع الماء من البئر، والسواني جمع سانية. وهذا الطريق يعرف بأسماء متعددة، أشهرها في معظم مناطق المملكة المنحاة، ومن أحاجيهم وألغازهم «وش بالمنحاة؟» وجوابه «قطعة مسحاة» وتجمع على مناحي، وهو لفظ عربي فصيح ورد في شعر جرير يهجو الفرزدق حيث يقول:





لقد ولدت أم الفرزدق فخة
ترى بين فخذيها مناحيَ أربعا

كما تعرف بالمسنى والمسناة وجمعها مسان، وتسمى في الأحساء الأشطان وهيٍ جمع شطن. وأشطان لفظة عربية فصيحة، وردت في بيت من معلقة عنترة بن شداد، حيث يقول:

يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر في لبان الأدهم

أما في مناطق جنوب وغرب المملكة فللمنحاة أسماء متعددة؛ يطلق عليها المجَرَّه في الطائف والباحة والقنفذة والمدينة، والمَنْحَى في عسير، والمَدَاحْ في نجران والمَجْلَبَه في جازان، والمجرّ في حائل. وفي نجد يسمى الشطن، حسب أعداد الغروب، فيقال شطن أو شطنان أو مثلوثة.

وتبدأ المنحاة من حافة اللزا الخارجية ويكون طولها مساوياً لعمق البئر. أما عرضها فيعتمد على عرض البئر واللزا وعدد الحيوانات التي تعمل فيها دفعة واحدة. فكلما زاد عدد الحيوانات كانت الحاجة أكثر لزيادة عرض المنحاة. وبوجه عام فإن عرضها يتراوح بين ثلاثة إلى سبعة أمتار تقريباً. وتأخذ المنحاة بالانخفاض التدريجي من بدايتها الملاصقة للزا، التي تدعى المعَدّل أو المعدَل بتخفيف الدال أو المستوي، كما تسمى في الأحساء الردف، حتى نهايتها المعروفة باسم المَصَبّ أو المفر. وبذلك يكون ارتفاع المعدل أقل من مستوى اللزا بقليل، ثم يزيد الانخفاض شيئاً فشيئاً حتى تكون نهاية المنحاة (المَصَبّ) هي أقل أجزائها انخفاضاً. والهدف من جعل المنحاة متدرجة في الانخفاض بهذا الشكل هو مساعدة الحيوانات في سحب الغروب المثقلة بالماء، أما حين عودتها من المصب إلى المعدل فتكون الغروب خالية من الماء ولذلك يسهل عليها السير حتى لو كانت تصعد صعوداً. وسمي المعدل بهذا الاسم لأن السواني عندما تصل إليه تعدّل مسارها فتنحرف يمنة ويسرة وتعود مرة أخرى، أو المستوي، لأن السواني تستوي فيه واقفة برهة حتى تمتلئ الغروب بالماء. أما المصب فسمي بذلك لأن الغروب تصب في اللزا عندما تصل حيوانات السواني إليه، كما يسمى المرفع لأن السواني إذا وصلت إليه تكون الدلاء قد رفعت. ويسمى المفر لأن الدواب تفترّ فيه. وإلى جانب المعدل والمصب، يطلق على بداية المنحاة ونهايتها أسماء أخرى فيسمى المعدل المقرب في عسير لأن السواني تقترب من الحوض، والموقف في القنفذة لأن السواني تقف فيه حتى





تمتلـىء الغروب، والمستوي في حائل والمناطـق الشمالـية. أما نهـاية المنحـاة (المصب) فتسمى في عسير ومعظم المناطق الجنوبية المرد، وتسمى المـرفع والمرد في حائل والمناطق الشمالية. كما تسمى نهاية المجرة في الباحة النهايا لأن الثيران التي تجر الغروب تنتهي إليها عندما تُفرغ المياه في القف، إذ توضع أربعـة حجارة في حجم الـبطيخة المـدورة، تقف الثيـران عندها تلقائياً بحكم التعود؛ وقد يجلس خلف هذه الأحجار مُعلف الثيران أثناء السـوق، وقد يُـقرب المـزارع الحجارة ويُبعدها حسب منسوب الماء في البئر.

ويحيط بجانبي المنحاة ونهايتها جدار يـبنـى من الـلبن والـطين، أو الـطين والحجـارة، أو الحجارة فقـط، ويكون ارتفاعه ما بين متر ومتر ونصف. ونظراً لانخفـاض نهاية المنحـاة (المصب) عن بدايتها فإن الجدارين يأخذان في الارتفاع التدريجي باتجاه نهاية المنحاة بحيث يصل أقصى ارتفاع لهما عند نـهايتها. وعلى عكس ذلك فإن جداري المنحاة يأخذان في الانخفاض الـتدريجي بالاتجاه نحو المعدَل، حتى إنهما قد يتـلاشيان أحياناً في هذه المنطقة، ويستعاض عنهما بوضع بعض الأخشاب لتمنع خروج حيوانات السني وتسمى هذه الأخشـاب الردامة. وفي بعض المناطق يوضع على جوانب المنحاة عدد مـن الزرانيق (المداميك) أو أخشاب قائمة تنصب عليها عريشة مرتفعة



المنحاة





من الخشب وسعف النخيل، لتقي الحيوانات والساني أشعة الشمس الحارقة. وفي الغالب يقتصر وجود مثل هذه العريشة على المعدل، نظراً لوقوف السواني فيه لمدة دقيقة أو أكثر لتمتلىء الغروب. وأحياناً يكون هناك ظلال على المنحاة لوجود أشجار فاكهة على جانبي المنحاة كالعنب الذي يتمدد فوق العريشة.

وتدخل حيوانات السني إلى المنحاة وتخرج منها من مدخل صغير في أحد جوانبها، يتسع لدابة واحدة فقط، يسمى مطلاع المنحاة، كما يطلق عليه في بعض المناطق، كالمناطق الجنوبية الغربية القِرَاعَه. وعادة لا يكون عليه باب، بل يوصد بوضع خشبة معترضة أو خشبتين ويفتح بإزالتهما.

وفي مقدمة المنحاة (المعَدَّل) توضع، عادة، مجموعة من الأحجار، أو خشبة معترضة تدعى الرَّسله أو الردامه، الهدف الأول منها حماية جدار الردف واللزا من احتكاك الحيوانات به. أما الهدف الثاني فهو أنها ميزان لمستوى الماء في البئر، فتقدم أو تؤخر حسب ارتفاع مستوى الماء وانخفاضه. فإذا ارتفع الماء في البئر، كما هو الحال في فصل الشتاء وعند هطول الأمطار فإنها تسحب نحو



مقدمة المنحاة (المعدل)
ويظهر الحجران البارزان (الدوار)

المنحاة بمقدار ارتفاع مستوى الماء. أما إذا انخفض الماء فتقدم ناحية اللزا حتى تمكن السواني من التقدم لتصل الغروب إلى مستوى الماء. وفي بعض المناطق يستعاض عن أحجار الرسله، بوضع أحجار بارزة تدور من ورائها البهائم بدلاً من أن تقف عندها. والهدف هنا لئلا تعود الحيوانات أدراجها قبل أن تمتلىء الغروب بالماء. وتسمى هذه الصخور البارزة الدوار. أما في المناطق الجنوبية فإن مثل هذه الخشبة توضع في مكان من المنحاة حسب مستوى الماء، فإذا ارتفع الماء في البئر





سحبت باتجاه اللزا وإذا انخفض الماء في البئر سحبت باتجاه نهاية المنحاة. والهدف من هذه الخشبة هو منع السواني من سحب الغرب أكثر مما ينبغي، مما قد يؤدي إلى تمزيقه، وتعرف هذه الخشبة أيضاً بالقِراعَة أو المرد.

ويوجد بالقرب من المنحاة مكان يسمى الملقّم أو المعلّف، يجلس فيه شخص يعمل لقيمات من العلف الأخضر المخلوط بالتبن أو الرمث أو العرفج، وتوضع في أفواه الحيوانات خاصة الإبل أثناء عملها تنشيطاً لها. وقد يكون الملقم عند نهاية المنحاة، بحيث يكون مرتفعاً عن مستوى بطن المنحاة بمتر على الأقل، تجلس عليه المرأة وتعطي السانية عند وصولها لنهاية المنحاة اللقم، ويحدث هذا، في الغالب، عندما يكون مستوى الماء في البئر عند أدنى مستوى له، وذلك لتشجيع السواني على سحب الغروب، والإسراع نحو نهاية المنحاة (المداح) للحصول على الغذاء. وقد تقف المرأة عند القراعة الموجودة في مكان من المداح، وتعطي السواني الطعام، وتعود لتصنع لقماً أخرى في المكان المرتفع في نهاية المداح. وعادة تستغرق عملية اللقام ساعتين أو أكثر قليلاً، وقد تكون لساعة واحدة أو في أوقات متقطعة في بعض المناطق.

## عدة السانية

وهي تلك الأدوات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعملية استخراج الماء من البئر باستخدام الحيوانات، وتشمل؛ المحالة والدراجة والرشا والسريح (المقاط) والغرب والقتب. وسنعرف تعريفاً عاماً هذه الأدوات، ونشرح تفاصيل مكوناتها وأجزائها، ودورها في عملية رفع الماء.

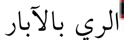
**المَحّالة**. وهي ما يعرف بالعجلة في الوقت الحاضر في بعض المناطق، وجمعها (محَّال أو محاحيل)؛ قال مشعان الرشيدي:

لجة محال البير يوم يتدارج
تقبل وتقفي به ثلاث عداوي

وقال ابن جعيثن:

كن النعابين عقب ما جرى
محاحيل حراث تسقى زروعها

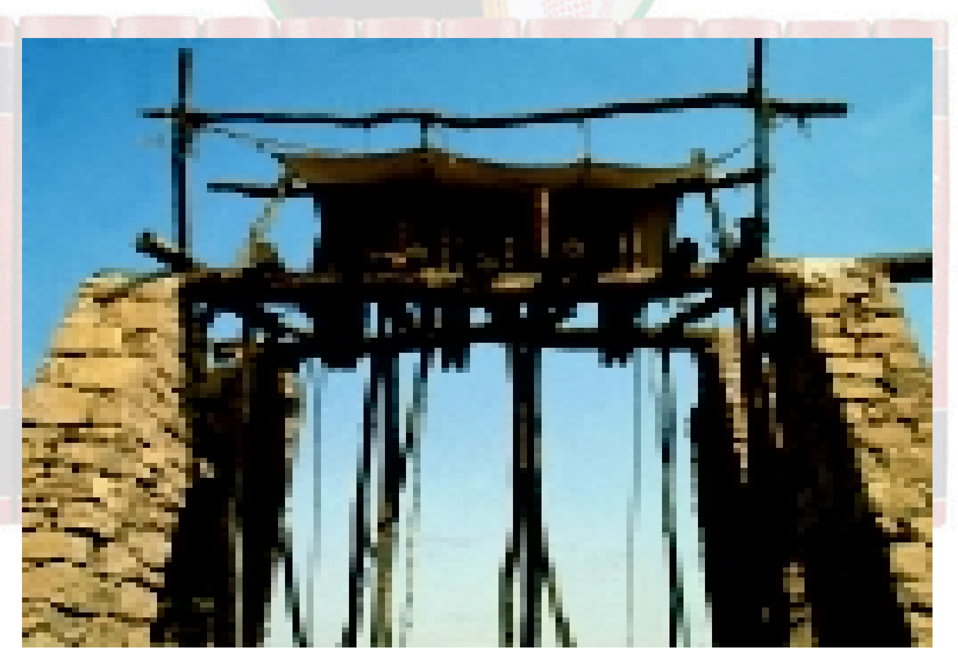
والمحالة كتلة خشبية أسطوانية الشكل في مجملها، منحوت جزؤها الأوسط بشكل دائري بحيث يبرز طرفاها على شكل دائرتين كاملتي الاستدارة مرتفعتين عن وسطها المنحوت. ووسط كل دائرة من جانبي المحالة يثبت محور من الحديد بعرض ١٠سم وسمك ٢سم. هذان المحوران يدخل كل منهما في ضلع، أحدهما على اليمين والآخر على اليسار، من



خلال ثقبين وضعا خِصِّيصاً لذلك بحيث يدور داخلهما المحوران بسهولة ويسر أثناء سحب الماء من البئر بالسواني. وتوضع المحالة في الجزء العلوي بين قائمتين عرضيتين وأخريين قائمتين. وتصنع المحالة من خشب صلب ولكنه قابل للتشكيل. ومن أشهر الأشجار المستعملة لهذا الغرض الأثل في المنطقة الشرقية والوسطى، وشجر الغَرَب في الجنوب الغربي لأنه شجر صلب سهل التشكيل ولا يتشقق، ما عدا قبَّها فيصنع من الطلح إذا توافر. والمحالة اسم شائع يطلق على هذه الأداة في معظم مناطق المملكة، كالمناطق الوسطى والشمالية والشرقية وفي منطقة الباحة ومنطقة الطائف. كما يطلق عليها عَجَلَه في منطقتي عسير ونجران، وبَكْره في جازان والقنفذة، وإن كان الاسم المحلي لها في القنفذة هو الفَايْقَه. وبعد ظهور السيارات استخدم جنط إطارات السيارات وذلك بوضع كتلة خشبية اسطوانية الشكل داخل تجويف الجنط وتثبت المحاور في طرفي هذه الخشبة.

وفي حين تتكون المحالة من قطعة خشبية واحدة في بعض المناطق، كالمناطق الجنوبية الغربية، فهي قد تتكون من عدة أجزاء في معظم المناطق الأخرى. فمن هذه الأجزاء القُب أو



المحالة فوق الزرانيق





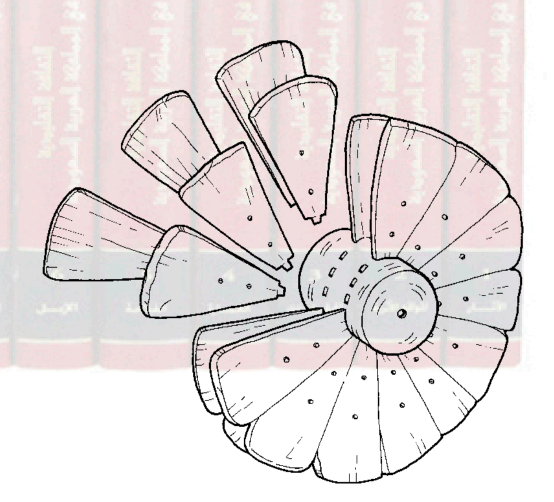
الجوشن، وهو خشبة أسطوانية الشكل مثقوبة ثقباً طولياً، ويحز طرفاها حزاً دائرياً ثم يوسران بالجلد أو القد لتقويته لئلا يتفلق نتيجة لثقل الغرب. ويحفر في ظهر القب حفر صغيرة مستطيلة دائرية حول القب تركب فيها الأسنان. والأسنان قطع من الخشب متساوية في طولها، وذات رؤوس كبيرة. وتفرض رؤوسها فرضاً متساوياً واسعاً، وتُصَفَّح أسافلها لتسقط في حفر القب وتثبت فيه بطريقة الضغط. وتركب مصطفة بشكل دائري مع القب مكونة دائرة جميلة متناسقة. ويساوى بين فروض رؤوس الأسنان لتكون مستوية ناعمة للرشا حين يجري عليها، ثم توسر بالقد وتجمل بالخطوط الملونة من الأصباغ. ويوجد عادة بأحد الأسنان انخفاض على الجهتين لتسهل إعادة الرشا إذا خرج عن مساره، أي أمرس؛ يقول محمد بن سليمان:

الى قرّبت ذروه وبنت الجهامه

محالها مثل البني المخاضيب

وفي ثقب القب يدخل المحور، وهو عصا يتحرك عليها القب ويدور حولها حين جذب الرشا للغرب على متن المحالة. ثم تركب على الأنباع المثبتة على الدوامغ في صف متوازن ولكل محالة رشا خاص.

والمحاور نوعان؛ محور من خشب صلب يتناسب مع ثقب أو خرق قب المحالة بحيث يسمح له بالدوران حوله بسهولة، وهو الأكثر استعمالاً، ومحور حديد يختص بالمحالة الجديدة التي لم يتوسع ثقبها.



أجزاء المحالة



محالة صغيرة من قطعة خشبية واحدة

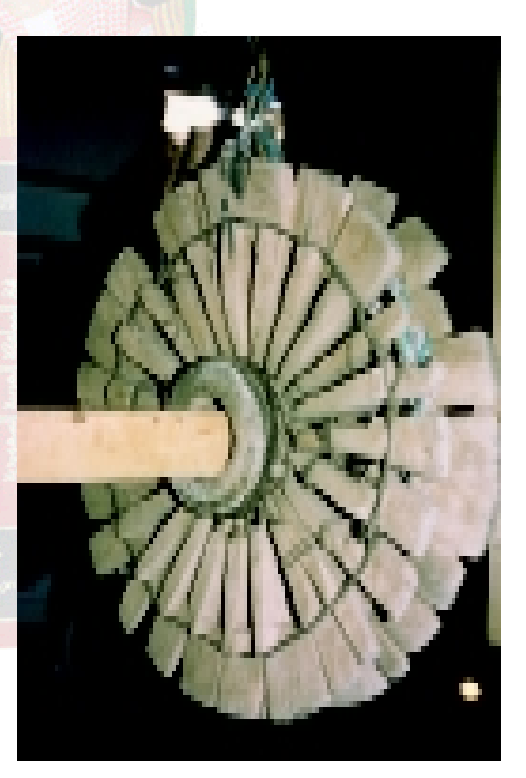






محالتان صغيرة وكبيرة

وقد كان الفلاح القديم يعتني بالمحور، ومنه المحور المعروف بالجاهوش أو البرهام ويتخذه من أعواد الأثل لصلابتها ونعومتها، أو من السدر



المحور في المحالة

أو التين. وكانوا يصفحونه ويشقرونه (يشقونه) من أحد طرفيه ويدقون فيه عوداً يسمّى التابوك ويركبونه في المحالة. والغرض من ذلك هو أن يحدث أصواتاً منتظمة تتجاوب مع غناء الساني. وفي الباحة يستخدمون الودك، فيضعون قدراً قليلاً منه في أعمدة المحال والدراج التي تدور في داخلها المحاور، فتّسهل دوران الآلات. وضرب بدهنة المحالة المثل قالوا «راح دهينة محاله» أو «راح ملح» راح بمعنى ذهب، والمحالة هي البكرة، أي إن حاله يشبه الدهن القليل الذي مسحت به المحالة وهي تدور؛ يضرب المثل لمن يتعرض لأحداث عاتية تسحقه.

**الدَّرَّاجَه.** وهي أداة شبيهة بالمحالة في وظيفتها وفكرتها، ولكنها أطول من المحالة حيث يصل طولها في المتوسط ما بين ٥٠-٨٠سم، كما أن قطر دائرتها في الطرفين حوالي ١٥سم وبكل منهما محور من الحديد. ويدخل كل منهما في ضلع به ثقب مخصص لذلك بحيث تدور الدراجة عندما يمر عليها السريح المربوط في أسفل الغرب، فيسهل على السواني سحب الغرب من البئر. وتكون الدراجه غالباً من شجر الطلح لأنه صلب وقوي وقد تتخذ من





خشب الأثل. والدراجة هو الاسم الشائع لهذه الأداة في مختلف مناطق المملكة، بما في ذلك بعض المناطق الجنوبية الغربية كالطائف وعسير، غير أنها قد تعرف بأسماء أخرى مقاربة. وعلى سبيل المثال تسمى في الباحة دَارجَه كما تسمى في قرى جنوب الباحة الدَّراجة، وفي جازان والقنفذة دَرّاج. ويقوم بصناعة هذه الأداة النجّار ويمكن للمزارع شراؤها من السوق. كما يمكن للمزارع أن يحضر قطعة الخشب المناسبة من شجر السدر أو الطلح إلى النجار ويدفع له مقابل نجارتها.

والمحالة والدراجة من الأدوات التي تدوم سنين طويلة، على الرغم من كثرة استعمالهما وتعرضهما للكسر أحياناً، خاصة عند سقوطهما في البئر وارتطامهما بالجدران، (خاصة إذا كان ماء البئر غائراً). وكثيراً ما تسقط المحالة أو الدراجة



الدرّاجة

ولكن في الغالب تسقط في الماء مباشرة وتطفو على السطح مما يسهل استخراجها. وفي أمثالهم «المعروف كسر المحّاله».

**الغَرْب**. وهو الوعاء الذي يستخرج به الماء من البئر؛ قال عبدالله بن سبيل:

ياتل قلبي تلة الغرب لرشاه
على زعاعٍ حايلٍ صدّرت به

يصنع الغرب من جلود الإبل لسانية الإبل بعد دبغها. كما يصنع من جلود الماعز لأنها أكثر متانةً من جلود الضأن وفي هذه الحالة يكون أصغر من غرب جلود الإبل. ولسانية البقر والحمير يصنع الغرب من جلد الماعز فقط. وفي جنوب غرب المملكة يصنع الغرب فقط من جلد الماعز، ولا يصنع من جلد الجمال أو الضأن مطلقاً. ولذلك عندما يذبح المزارع ذبيحته وتكون من الماعز فإنه يحرص كل الحرص ألا يحدث ثقباً بالجلد أثناء السلخ. وتقوم النساء بدباغة الجلد ووضعه جانباً لحين الحاجة.

وأجزاء الغرب في مختلف المناطق متشابهة، وإن اختلفت في التسميات وبعض التفصيلات. ففي مناطق جنوب غرب المملكة مثلاً، يتكون الغرب من ستة أجزاء؛ الجزء الأول هو البطن،







عَراقي الغرب

ويسمى أيضاً صدر. ويسمى الغارف في بني مالك جنوب الطائف، ويسمى القبة في حائل، وهو الجزء العلوي من الغرب والأكثر اتساعاً. والجزء الثاني هو الجزء الأسفل من الغرب وهو الجزء الأضيق. ويسمى الكُم في نجد وفي منطقتي الطائف والباحة، كما يسمى غُفْرَه في منطقة عسير، والوَذَمْه في منطقة نجران. والجزء الثالث من الغرب مؤلف من قطعتين خشبيتين متقاطعتين على شكل + تثبتان في أعلى الغرب من الخارج، بحيث يكون الجزء العلوي مفتوحاً دائماً لكي يمتلىء بالماء عند إنزاله إلى البئر؛ وتسمى هاتان القطعتان الخشبيتان عَرَاقي ومفردها عِرْقاه في نجد والشرقية وكل الجزء الجنوبي الغربي باستثناء جازان فإنها تسمى فيها غِرْبَة.

والجزء الرابع قطعة من الحجر تزن ما بين ٢ كيلوجرام إلى ثلاثة، تربط في العرقاة من أعلى بحيث تصبح مدلاة إلى الخارج أو في الجزء الأوسط من الغرب من الخلف، وتسمى هذه القطعة الثِّقَل أو الثِّقْل (بفتح القاف أو تسكينها). ووظيفة هذا الثقل زيادة وزن الغرب بعد إفراغه في الحوض ليعود بسهولة إلى البئر، وكذلك لجذب الغرب إلى الماء ليمتلىء بسرعة خاصة إذا كان الماء قليلاً في قاع البئر، ويختار من الحجارة ما يصلح ثقلاً؛ قالوا في المثل «ما كل حصاة تصلح ثقل» الثقل حصاة، في حجم رأس الخروف أو أصغر، تربط بالغرب لتجعله ثقيلاً يغوص في ماء البئر ويمتلئ قبل إخراجه. يضرب المثل في تفاوت أقدار الناس، ومدى الاعتماد عليهم. وفي بعض الأحيان يضع المزارع ثقلين، أحدهما في الأعلى والآخر في الوسط لنفس الوظيفتين السابقتين. والسبب في عدم وضع ثقل واحد مع زيادة في وزنه، هو الخوف من أن الثقل الزائد على أي جزء قد يقود إلى تمزيق الغرب والاخلال بتوازنه. ويربط الثقل بحبل من الأدم يسمى الوسار ويصغر على وسيّر. الجزء الخامس من الغرب هو قطعة صغيرة من الحبل، عادة من ليف النخل، تربط في فتحة الغرب التي يتدفق منها الماء عند إفراغه في





الحوض أعلى البئر؛ وهذه الفتحة تشبه فم السمكة، ولذلك تربط هذه القطعة في الجزء العلوي وكذلك السفلي ليربط السريح فيها. وتكون من ليف النخل ليسهل فك السريح منها إذا انقطعت، أو انقطع السريح قريباً منها، لأن هذه القطعة إذا كانت من الجلد والسريح كذلك من الجلد، فإن المزارع يواجه صعوبة في حل العقدة. وتسمى قطعة الحبل هذه زِمَامْ في منطقتي الطائف والباحة، كما تسمى وذَمَه في منطقتي عسير ونجران. وهناك جزء سادس هو الصُّرار ويربط بين جانبي الغرب من الداخل في جزئه العلوي. ويُزاد فيه وينقص بحيث يتسع الغرب ويضيق، فتزداد عبوته أو تقل حسب قدرة الحيوانات التي تجره أو خبرتها في السني. وعلى سبيل المثال فإن الغرب في الباحة يتكون من الأجزاء الآتية:

١) العراقي وهما خشبتان متقاطعتان، وهما اللتان تتحملان الغرب في الصعود والنزول لأن الرشا يربط بهما.
٢) الصدر وهو الجزء الأمامي العلوي من الغرب.
٣) القفا وهو الجزء الخلفي العلوي.
٤) السِّعْن وهو الجزء السفلي ومنه يخرج الماء ليصب في القف.
٥) الصرّ وهو جهاز جلدي يربط عندما يراد تصغير الغرب ويحلّ إذا أريد توسيعه.
٦) الوذم وهو الحبل الذي يربط به المقاط.
٧) الثقل وهو الحجر الذي يساعد على هبوط الغرب وغطسه في الماء.

ويقسم أهل نجد الغرب إلى عدة أقسام: الغَارِبَة أو القُبَّة وتسمى أيضاً الفارية وهي وسط الغرب من الجهة الخلفية. وتتكون من قطعتين: قطعة جلد قديمة (شنَّه)، وأخرى جديدة تخرزان متقابلتين مكونتين أعلى الغرب. وتكون الشنة في الجانب الذي يلي الماء مباشرة، وذلك لأنها قد تصلبت فلا تنثني عند نزول الغرب في الماء بل تجعله مفتوحاً.

أما الكُمّ، فهو يشبه كم الثوب يضيق طرفه تدريجياً ويتصل طرفه الأعلى بالغاربة أو القبة، وطرفه الآخر يبقى مفتوحاً يصب منه الماء في اللزا.

وكذلك العُيون أو التَخَارِيْص، والكبرى منهن تسمى البنيقة، وهذه القطع من الجلد الجديد تصل ما بين الغاربة وبين الكم، وتضيق الغاربة تدريجياً حتى تتصل بالكم. أما البنيقة فإنها تُوَسعُ وسط الغرب ليحمل مزيداً من الماء. وللغرب أربع آذان في فوهته العليا، وأذنان في طرف كمه وهي قطع صغيرة من الجلد



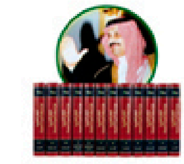


صورة للغرب من الخلف، ويبدو الثقل الحجري معلقاً به

السميك. وقد يكون من بينها واحدة شنَّه تثبت في أعلى الغرب عند شفته. وكل أذن تقابلها أذن في أربعة مواضع متوازنة، ثم يثقب فيها ثقبان تشد فيهما العرقاة بالوذم مع شفة الغرب. وآذان الكم لا يثقب فيها إلا ثقب واحد يشد فيه طرف الشرعة بعود صغير يطلق عليه الجازل، يدخل في طرف الشرعة بعد إدخاله في الأذن.

ومن الأقسام الرئيسية للغرب صرار الغرب، ويقال له خبن الغرب. فإذا كان الغرب ثقيلاً والسانية غير قادرة على الصدر به إلا بمشقة، فإنهم يعمدون إلى وضع معقد له يضم وسطه قليلاً فيضيق ويخف ماؤه. ولهم في ذلك طريقتان؛ إما أن يوضع في أحد جنبيه من الداخل سير قوي في طرفه زرار وفي الجنب المقابل سير في دركه ويزر قدر الحاجة، وإما أن يثقبوا ثقباً ويدخلوا حبلاً مفتولاً من الليف من خارجه في طرفه عقدة جيدة تحجزه، وفي مقابله يضعون ثقباً مماثلاً ويخرجون معه طرف الحبل ويعقدونه عقدة جيدة ويكون ما بداخل الغرب منه بين الثقبين بقدر الحاجة.

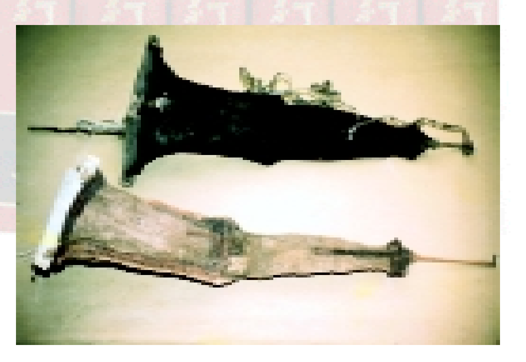
وتجدر الإشارة إلى أن أجزاء الغرب تخرز بعضها مع بعض بسيور قوية من الجلد. كما تلف حافة الغرب مع حبل مفتول من الليف وتخرز عليه لتكون له





شفة متينة لا تتأثر بجذب الرشا ولا بالماء فتبقى صلبة مفتوحة لاغتراف الماء من البئر. ويسمى الحبل المصنوع من الليف حول فم الدلو الندا.

وهناك أشياء تتصل بالغرب منها الكَرَبَة، وجمعها كَرَب، وهي حبل من الليف يشد على عراقي الغرب ثم يثنى من فرعين ليكون هو الذي يلي الماء فلا يتعقّن الحبل الكبير، وبه عارضة من خشب تجمع طرفي الكربة من تحت جانبي العرقاة وفوق وسطها. والعرقاة (العرقوه)، وهي خشبتان متقاطعتان فرض وسطهما وأسقطت إحداهما في الأخرى تعترضان على فوهة الغرب. وفي أطرافهما ثقوب تدخل فيها الوذم لتثبتها على آذان الغرب، أو فروض في أعلاها مكان الثقوب. والوِذَم حبال من الليف، وقد تكون سيوراً من الجلد، يربط بها عراقي الغرب في آذانه. يثبت على ظهر



منظر جانبي للغرب يبين أجزاءه

العرقاة مما يلي ظهر الكرب حجر اسطواني يسمى الثقل أو الرجام.

أما الشرعة، فهي حبل جيد من الليف قصير يدخل كل طرف من طرفيه في آذان كم الغرب من داخله، وتضمن طرفاه من خارج الكم بأعواد قصيرة يقال لها جوازل، ويكون وسطه مثنياً وتوصل به مقدمة السريح. ويربط طرفا الكربة أو الكرب، من تحت العارضة وفوق العرقاة، بحبل من الليف يسمى خناق عارضة الكربة.

أما الصدريّة فحبل من الليف المفتول من جهة القتب يصل بين السريح والرشا وكذلك المَوْرِدَه؛ وهي حبل أيضاً من الليف يربط بالغرب ويتصل بالعرقاة وبه يربط الرشا ويسميها بعض الناس بالكراب؛ فيقال مثلاً إذا ارتفع الماء في البئر من كثرة السيول «يؤخذ بكراب الدلو». أما الكعابة فقطعتان من القدّ تتصلان بالموردة.

ويقوم بصناعة الغرب شخص متخصص يسمى السَرّاد في منطقتي الطائف والباحة، ويسمى خَرّازْ في معظم مناطق المملكة، ويسمى صانع سَيْر في منطقة عسير. ويعد الخراز من طبقة المزارعين في بعض المناطق ومكانته الاجتماعية كأي مزارع آخر، وليس له





هذه المكانة في بعض المناطق. ويعطي المزارع الخراز مجموعة من الجلود المدبوغة التي يكون المزارع قد هيأها خلال مدة، وقد يشتري من السوق جلوداً أو قد يكمل ما نقص منها، ويدفع أجرة للخراز بعد الانتهاء من العمل.

**الرِّشَا**. جمعه أرشية؛ يقول عبدالله بن دويرج المعروف بهدبان:

قلبي طواه الهوى ياشعيل
طي الرشا من على القامه

ويقول آخر:

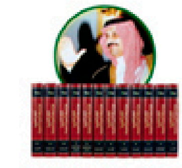
أرجيك رجوى واحد زراع
ركب محاحيله ومد رشيه

والرشا هو الحبل الذي يوصل بالغرب أو بالدلو، ويركب على ظهر المحالة لرفع الغرب وإنزاله إلى ماء البئر. ولأنه حبل كان من المفارقة قولهم في المثل «الرشا قالبين عليه العَشَا» الرشا: الحبل كما هو معروف، وقالبين أي جافين، ولهذا المثل قصة تروى عن جحا، أنه ذات ليلة طرق عليه جاره بابه وقال: أعرني رشاءك، فقال له: إن رشاءنا قد قلبنا عليه عشاءنا، فقال الجار: وهل الرشا يقلب عليه العشاء، فقال له جحا: عذر إن كنت تقبل العذر. يضرب المثل لمن يعتذر بغير ما يقبل من العذر. وفي المنطقة الوسطى يصنع الرشا من ثلاثة حبال طوال من الليف ملفوفة بالخرق ومفتول بعضها مع بعض ولا يلف طرفاه بالخرق. ثم حبل متين ومفتول من القد يسمى كعب الرشا، ويوصل بطرف الرشا بسير من القد يسمى النشابه، وفي طرفه عود (جازل) قوي وقصير يعلق به في علق القتب الموضوع على ظهر السانية يسمى عود الكعب.

من جهة أخرى يتصل طرف الرشا مما يلي الغرب، بقطعة أخرى مصنوعة من الليف تدعى الكربه أو الوصله. وهي تتصل من ناحية بطرف الرشا ومن الأخرى بالكربة، حيث تلف حولها بإحكام. وتسمى في الباحة الوارده لأنها




الرشا





هي التـي ترد الماء حمايـة للرشا الـذي يتضرر من ملامسة الماء، ومزارعو الباحة يشترونها من بيشة لأنها تصنع من ليف النخل ولا يوجد في الباحـة نخل كافٍ يؤمن صناعتها.

وفي المنـاطق الجنوبـية الغربيـة من المملكة يصنع الرشـا من حبل سميك، سمكه في حدود بوصة، يصنع من جلد الأبقار، ويعـمله المزارع بنفسه؛ إذ فـي الغالب يشتري المزارع جلد ثور أو بقرة من أحد الجزارين، أو من إحدى الأسواق الأسبوعـية، وهو حديث السـلخ، أي مسلوخ في صبـاح ذلك اليوم أو الليلة السابقة. ويعود به إلـى المنزل ويبدأ في ذلك اليوم بقدّ الجلـد من أحد أطرافه. ويستمر في القدّ على هيئة الدوران حول الجلد حتى ينـتهي كل الجلد، ليحصل بعد ذلك على حبل طويل متصل يتناسب طوله مع طول المنحاة ومع بُعْد الماء في القليب. وقد يصل طوله أحياناً إلى أكثر من ٥٠ متراً، وعرضه في حدود ٣سم. أي أن جلد الثور بالـكامل يصنع حبلاً واحداً متصلاً؛ ويقولون في هذه الحالة «فلان يحذي الجلد». أما الخطوة الثانية فيـربط المزارع أحد أطـراف هذا الحبل الطويل في عود طوله حوالي ١٥سـم، ويمسك العود بيده اليمنى ويبدأ في إدارته مع عقـارب الساعة ممسكـاً حبل الجلد الطويل باليد اليسرى. ويأخذ في التراجع إلى الوراء، ليبدأ الحبل في الامتداد ليصل به أحياناً إلى أكثر من ٣٠ متراً. وعندئذ يقطع المزارع الحبل الطويل ويربط عوداً آخر في النهاية الأخرى للحبل الذي في يده، ويمسك به شخـص آخر من ذلك الطرف، ويـبدأ الاثنان في إدارة الحـبل بينهما، واحد مع دوران عقارب الساعة والآخر عكسها حتى يشتد الحبل. ويمد بعد ذلك على جدار بيت طـويل، وقد يلف على جدران البيت الأربعة حسب حجم المنزل لكي يجف. ثم يكمل بقية الحبل الطـويل بتقسيمه واتـباع الطريقة السابقة نفسها حـتى يحصل على أربعة حبال مـتساوية الطول. وبـعد أن تجف هذه الحبال تجمع بعضها مع بعض ويلف بها بالطريقة السابقة باتجاه عقارب الساعة وعكسها. وبذلك يـحصل المزارع على حبل سميك هو الرشا.



أرشية من الليف





والرشا تسمية تطلق في كل المناطق على هذا الحبل المتين. ويربط هذا الحبل بالجزء العلوي من الغرب، أي العراقي مباشرة في بعض المناطق. إلا أنه في مناطق أخرى يربط بحبل بمتانة الرشا من الليف، طوله متران تقريباً، يسمى المَدَسه، ويربط هذا الحبل بالعراقي. والحكمة من ذلك تجنيب الرشا الدخول في الماء. ويمتد الرشا من الغرب إلى قطعة حبل مربوطة في القطعة الخشبية الموجودة على رقبة الثور الواحد أو الجمل الواحد أو الثورين. وتسمى هذه القطعة الحِلاق، في جنوب غرب المملكة. وهو في هذه الحال يلتقي في هذا الحبل مع الحبل الرفيع (السريح) الذي يربط في أسفل الغرب. ولا شك أن هذا الحبل سيكون فيه زيادة قد تصل إلى ١٥ متراً، وكذلك الحبل الرفيع. وتلف الزيادة بطريقة جيدة على القطعة الخشبية الموجودة على رقاب الحيوانات المختلفة أو ظهورها ليزاد فيها مع هبوط الماء في البئر، على أن طول الرشا حسب عمق البئر، ومن الآبار ما لا تحتاج إلى الرشا؛ جاء في أمثالهم «سميراء واقصبْ الرشا» سميراء: المدينة المعروفة بمنطقة حائل، ومشهورة بقصر آبار الماء فيها، واقصب الرشا: اطوه، ويعني المثل التوقف عند حد معين لا يصح تجاوزه. ويصنع الرشا أيضاً من ألياف شجيرة الخزم، ومن لحاء بعض الأشجار مطعماً بالليف حيناً وبالجلود أو الصوف حيناً آخر. وقد ورد ذكر الرشا في الأمثال الشعبية؛ منها قولهم «قطعة رشاه ولا امتالاه» متالاه: متابعته، ويعني المثل التوقف عن الأمر الصعب خيرٌ من متابعته على غير طائل.

**السرِيْح (المقَاط).** في المنطقة الوسطى هو سير يقد من جلد البعير قبل دبغه، وأفضله جلد الرقبة لأنه متين وقدُّه يكوِّن حبلاً واحداً مستقيماً. ويتكون السريح من حبل طويل بطول عمق البئر، وعليه وعلى الرشاء يكون مدى اتزان الغرب وجذبه من البئر حتى يصب في اللزا.

وانقطاع السريح يعني فقدان حمل الغرب للماء لأنه مربوط بِكُمِّ الغرب ويتحرك على الدراجة؛ وكذا قالوا:

دايم والعامل يصيح
بت ياعم السريح

ويوضع في السريح مما يلي الغرب، توصيلة من حبال الليف طولها متر تقريباً، تسمى مقدمة الغرب لأنها تربط في شرعة الغرب. والبعض يسمونها





تبلغة السريح والغرض منها سهولة فصل السريح من الغرب عند الحاجة، ومنع سريح القد من النزول في الماء مع الغرب لئلا يتخمر ويتمزق.

وفي طرف السريح مما يلي السانية، مقدمة ثانية من الليف تسمى مقدمة الرشا لأنها توصل فيه. ويكون مربطها غالباً في كعب الرشا لتسهيل فصله عند الحاجة.

ونظراً لأن طرف السريح مما يلي الغرب، يتعرض للتخمر بالماء أثناء صبه في اللزا ونزوله في البئر فينقطع، يعمد بعض المزارعين إلى وضع عقدة تصنع من الليف يجعلونها على طرفي السريح ويعقدونها فتثبت العقدة. وفي منطقة حائل يطلق اسم السريح على ما هو مشروح من القِدّ. أما المفتول من الليف فيسمى المقاط، وهو من الليف الناعم، مجدول من ثلاثة فروع من كم الغرب إلى مكان تثبيته في الرشا. ويوجد جزء من المقاط أو السريح فيما يلي معلقه في الرشا يسمى المكرابه. وهذا الجزء يوزن به الغرب، فإن كان رخواً صار الماء يصب من كمه أثناء إخراجه من البئر، وإن كان مشدوداً صار الماء يصب من فوهته العليا أثناء خروجها. لذا فهذا الجزء هو الذي يتحكم في ميزانية الغرب.

وللسريح أثر في إضعاف الدرَّاجة، من حيث درجة سماكته. فثقل الغرب يجعل السريح يحز ظهر الدرَّاجة فيحدث فيها آثاراً تضعفها، مما يضطر المزارعين إلى استبدالها بين حين وآخر.

ويسمى السريح المقاط في المناطق الجنوبية. وهو ربع حجم الرشا لأنه واحد من الحبال الأربعة التي يعملها المزارع من جلد الثور، وهو بطول الرشا تقريباً. والمقاط تسمية خاصة بمنطقة الطائف والباحة، أما في منطقتي عسير ونجران فيسمى السُّعُن. والمقاط أكثر عرضة للقطع من الرشا لأنه أكثر احتكاكاً بالأرض أثناء سير حيوانات الري لسحب الماء من البئر. ولذلك فإن كثرة العقد شيء ملاحظ في هذا الحبل. ولا يمكن جعله أمتن من المألوف لأنه يثقل على الحيوانات والسائق، خاصة عندما يكون ماء البئر غوراً لأن من يسوق الحيوانات يمسك بهذين الحبلين معاً ويخفف عن الحيوانات حتى لا تعود بسرعة بعد إفراغ الماء في الحوض.

**الحِلاق.** وهو حبل متين متانة الرشا نفسه، طوله حوالي مترين، يُربط طرفاه معاً ويلف على القطعة الخشبية التي على رقبة الثورين أو على ظهر الجمل أو الثور الواحد. وتبقى له ثنية إلى الخلف يدخل





فيها الرشا والمِقاط أو السريح ويعقدان عقدة واحدة، بطول مناسب لعمق الماء في البئر ويلف ما تبقى منهما على هذه القطعة الخشبية ليكون احتياطاً. فعندما يتناقص الماء في البئر يمدد في الرشا والمقاط من هذا الاحتياطي الملفوف على هذه القطعة الخشبية. ويعرف في المناطق الوسطى بكعب الرشا. ويقال عند نقص الماء في البئر «زد في العِدَاد»، أي الرشا والسريح، أو «قصّر العداد»، إذا زاد الماء في البئر.

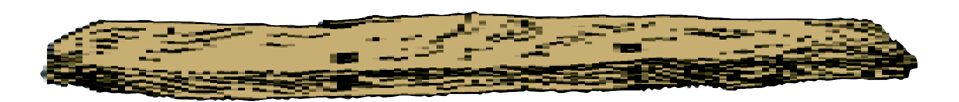
**الضمد.** أما الضَّمْد فهو قطعة خشبية معقدة التكوين بعض التعقيد ولذلك لا يصنعها إلا النجّار. يصل طولها إلى قرابة ١٢٠سم، وتستخدم لقرن ثورين معاً أثناء الحرث أو الدوس أو الري. ويُوضع الضمد على رقبتي الثورين، حيث إن هناك تجويفين مقعرين يحتضن كل تجويف منهما سنام الثور من الأمام. وحول رقبة كل ثور ثقبان على اليمين وعلى اليسار، يُسقط في كل منهما عصا صغيرة طولها ٦٠سم تقريباً، الجزء العلوي لهذه العصا مستدير أو له شعبتان قصيرتان، حتى تمنعا سقوطه إلى الأرض. وتسمى هذه العصا في منطقتي الطائف والباحة زُرَارْ، وفي عسير صَلَبْ، وفي منطقة نجران مِقْرَنْ، وفي جازان والقنفذة عرقْ. تربط كل اثنتين من هاتين العصوين بحبل من الجلد حول رقبة كل ثور، ويسمى هذا الحبل في مناطق الطائف والباحة وعسير وراطْ، وفي منطقة نجران يسمى مَخْنَقَه. ويتوسط الضمد حلقات حلزونية يلف عليها الحبل الذي يصنع في الغالب من



الضمد







المدمسة

جلد الأبقار، أو ليف النخل ليربط فيه المحراث وغيره مما يحتاج إلى جر. ويُسمى هذا الحبل الحِلاق. واسم الضمد يطلق في منطقة الباحة كما يطلق أيضاً اسم المقرنة.

ويسمى الضمد في نجران الرّعوه وفي جازان الضماد وفي القنفذة المضمده وفي بعض أجزاء من الباحة، وفي منطقة عسير يسمى مِضْمَدْ.

وتسمى أداة الضمد في منطقة الطائف، وبعض قرى الباحة المغرفه وتختلف أسماؤها، ويصنعها النجار من شجر خاص يُسمى الغَرَب.

أما المَدْمَسَه فهي لوح من الخشب يصل طوله ما بين متر ونصف إلى مترين وعرضه في حدود ٤٠سم وسماكته في حدود ٥سم، بها ثقبان في وسطها، يفصل بين الثقبين حوالي ٥٠سم، يدخل بكل منهما حبل ويلتقيان ليربطا في الضَمْد أو المِضْمَدَة أو الضِّماد أو المِقْرَنة وتجرها الثيران. وتستخدم المِدْمَسَة لمسح الأرض بعد الحراثة لتغطية الحبوب، وجعل الأرض سهلة التسوية عند توزيعها إلى أحواض وأفلاج ومساق ومشاعيب. وتسمى المدمسة في منطقتي نجران وجازان المَكَمّ أو المِكَمَّه، وفي الباحة المدمسة وكذلك في القنفذة، وفي منطقة الطائف المَدْمَس، وكذلك في عسير وقد تُسمى مِدْسَمْ مقلوب عن مدمس.

**القَتَب**. يعرف بالاسم نفسه في كل مناطق المملكة تقريباً وتكاد تكون تسميات أجزائه متشابهة أيضاً في كل المناطق. وقد ينطق في بعض المناطق الكَتَب بإبدال القاف كافاً. والقتب ما يوضع على ظهر السانية ويربط به الرشا والسريح. وقد وصفه وفصله (ابن جنيدل) في كتابه <u>الساني والسانية</u> فقال:

> هو من أدوات السانية التي تتصل بها في المسنى وتعتمد عليها في تحمل ثقل الغرب وجره من البئر، وفي المنطقة الوسطى يتكون القتب من عدة أجزاء منها ظِلاَف أربع مصفحة يتقابل كل اثنتين منهما مكونتين رأساً واحداً في أعلاهما، أما أطرافهما السفلى فإنها متباعدة.

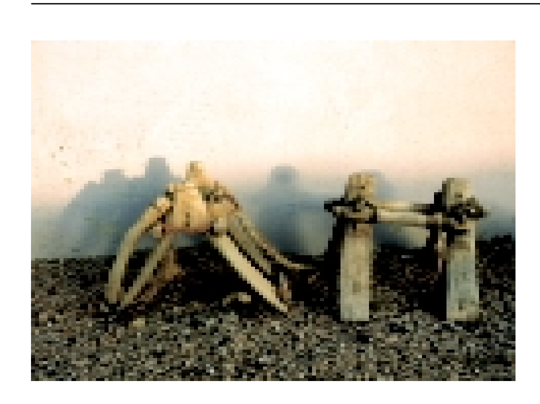




وتكوّن الظلاف الهيكل الأساسي للقتب، إذ تشكل في تلاقيها في الأعلى وافتراقها في الأسفل، مثلثين متساويي الساقين إلا أنه لا وجود لقاعدتي هذين المثلثين بحيث يثبتان على ظهر الجمل أو غيره. والدخاش، وهو عود صغير مصفح يدخل في شق أعد له في رأس الظلفتين فيشدهما معاً مكونتين رأساً واحدة (١٩٨٨: ٤٥-٥٠).

وهناك عصوان مصفوحتان تثبت كل واحدة في جنب من جنبي القتب، موسورة الطرفين في أسفل الظلفتين لتشدهما وتسمى في منطقة حائل بالزنافير واحدها زنفره.

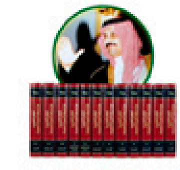
أما المصاليب فهما عصوان قويتان تثبتان في أعلى الظلاف تحت أطراف الدخاشين، كل واحدة منهما في جنب من جنبي القتب ولهما من الأمام طرفان بارزان في مقدمة القتب أمام رأسه الأمامي يسميان العصاريف والعصافير، وفيهما يشد العلق. أما المصلاب الثالث، ويقال له مصلاب العلق أو عصا العلق، فهو عبارة عن عصا قوية محدبة الوسط منحرفة التركيب، يشد أحد طرفيها في مقدمة المصلاب العرضي فوق أعلى الظلفة الأمامية، ويشد طرفها الآخر في



قتب بعير

طرف العصا على أسفل الظلفة الخلفية. ولتحدبها أهمية في توسيع ما بينها وبين ظلفتي القتب، ليتحرك فيه العلق بسهولة، وكذلك لتوجيه العلق، المفتول من القد، يمنة ويسرة حسب مسار السانية أثناء السني. وعلى المصاليب الثلاثة يكون ثقل جذب الغرب. وتشد أجزاء القتب بعضها إلى بعض بسيور من القد. ويبطن القتب مما يلي ظلافه بلباد من الليف، ثم يلبب مما يلي ظهر السانية بلباد من الصوف أو بعباءة من الصوف. والهدف من ذلك وقاية ظهر الدابة من الاحتكاك ولامتصاص العرَق أيضاً. ولذلك يعرف هذا اللبّاد بوقاة القتب. وهذا الوصف خاص بقتب سانية الإبل.

أما قتب سانية البقر والحمير فإنه يختلف قليلاً عن قتب سانية الإبل، خاصة في رؤوس الظلاف إذ يدخل أحدهما في الآخر وتظهر ظلافها متخالفة





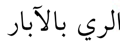


قتب ثور

ولا يحتاج إلى دخاش وليس له مصلاب طولي لتوجيه العلق. والقتب على كل حال، وفي جميع أنواع السواني يكون في مقدمة الظهر بحيث يكون بطان السانية في مقدمة بطنها وأمام سرتها.

وقتب سانية الإبل نوعان؛ أيمن وأيسر، ويحدد ذلك موضع مصلاب علقه. فإن كان في الجانب الأيمن، يكون القتب أيسر ويكون مسناه إلى اليسار، والعكس صحيح. وقد يصلح القتب لليمين ولليسار وهو الذي يركب له مصلابان، أحدهما يكون يميناً والآخر شمالاً.

ومن لوازم القتب وضرورياته للعمل؛ البطان وهو الرباط الذي يدار بشدة حول بطن السانية موصول الطرفين بالقتب ليثبته على ظهر السانية. وموضع البطان على صدر البعير من أسفل خلف الزور أو الكركرة. ويتكون البطان من ثلاثة حبال من الليف، وقد يكون من حبلين مفتولين فتلاً جيداً، ثم يُجمع بينهما بشرائح من الخرق تنسج بينها فتصبح حبلاً واحداً عريضاً. ويوصل أحد طرفي البطان بعود (جازل) بالمصلاب المعترض في أعلى الظلفتين، ثم يدار حول بطن السانية ويربط طرفه الثاني بوقلة صغيرة بالمصلاب الثاني المقابل، والوقلة معلقة فيه بحبل من القد. والغرض من وجود الوقلة هو سهولة شد البطان على السانية شداً قوياً دون أن تتأثر الحبال، لأن ثقب الوقلة الذي يشد به الحبل أملس. وأما اللبب أو اللباب فيشبه البطان في شكله وحباله ونسجه بشرائح الخرق، غير أنه يختلف عنه في موضعه من السانية، فهو يأتي تحت نحرها. ويشد أحد طرفيه وهو الأيمن بالمصلاب الأيمن، ثم يدار من تحت رقبتها ويشد طرفه الآخر بالمصلاب الأيسر. يكون له زر يعرف مقاسه ويقرن عليه قرناً، ولا يكرب حتى لا يختنق البعير أو غيره من السواني. والهدف من اللبب منع القتب من التزحزح إلى الخلف عندما تنحني السانية مع المسنى أثناء تصديرها مثقلة بالماء. واللبب متساوٍ في جميع حيوانات السني من إبل وبقر وحمير.



ويشبه الحقبُ اللبب والبطان، إذ هو الحزام الذي يلي حقْوَ البعير ويمنع تقدم القتب. ويختلف حقب البعير عن حقب البقر والحمير، إذ إن حقب البعير يدار حول بطن البعير مما يلي ذيله أو خلف سرته، أما حقب البقر والحمير فإنه لا يدار حول بطنها بل يدار خلفها أي على مؤخرة فخذيها من تحت ذيلها. وفي كل الحالات يعمل الحقب من الليف، وبعضهم ينسجون ما بين حباله بالقد بدلاً من الليف، خاصة حقب سانية الإبل.

أما العلق، فهو الذي يعلق به رشا الغرب بقتب السانية، ويعرف في منطقة حائل باسم الكدان؛ وهو حبل متين مفتول من الليف وملفوف بالقد، وقد يفتل من القد الخالص. ويثنى على هيئة عروة طويلة ويثبت طرفاه مجموعين في رأس المصلاب العرضي البارز أمام رأس القتب في أحد جانبي القتب ويدخل مثناه ممتداً إلى الخلف تحت مصلاب العلق. وفي مثناه يدخل عود (جازل) كعب الرشا، ثم يحبس بخيط صغير متحرك على هيئة حلقة يقفله لئلا يتوسع فيخرج منه الجازل. وهذا الوضع يكون لسانية الإبل لأن العلق أو الكدان يخرج من بين الضلفتين على الجانب الأيمن أو الأيسر، وبذلك يُتجنب احتكاك العلق بسنام البعير والتأثير فيه لأن سنام البعير يكون خلف القتب. أما البقر فإن السنام يكون أمام القتب،



القتب على ظهر بعير السني، وتظهر الحبال وبقية أجزاء القتب





ولذا فالعلق أو الكدان يخرج من تحت رأسي القتب من الداخل، ولا ضرر منه، وكذا شأن الحمير؛ ومنه جاء المثل «فلان علق حمار يسقي في الفرد وفي الطارف» أي يصلح لأن يكون في الوسط أو أحد الأطراف. وكدان الثور يدور يميناً وشمالاً؛ وبه ضرب المثل للإنسان الذي لا يكون على قاعدة ثابتة، فيقال «فلان كدان ثور يسني على كل جر». أما سانية البقر والحمير فإن قتبها لا يوضع له مصلاب طولي يوجه العلق، لأنه ليس في شيء منهما سانية يمنى وسانية يسرى بل توثق رؤوس العلق في العصاريف (رؤوس المصلابين الأماميين) ثم يدخل مثنياً تحت رؤوس القتب بينها وبين أوتار القتب فتتحرك به السانية في أي اتجاه وجهت. وقد يثبت في طرفه المثني جازل، وتكون العروة في كعب الرشا فيدخل هذا الجازل فيها معترضاً، وكلا الطريقتين مستعملتان.

وهناك أعواد صغيرة مهذبة الطرفين تسمى الجوازل يعتمد حجمها على الغرض الذي عملت له. ويحز في وسطها حز يثبت فيه حبل من الليف، وقد يفتل من القد ويشد في المكان الذي صنع من أجله.

وهناك أيضاً السجاج وهو حبل يمتد من المستوي إلى المرفع يدخل في بكرة (حلقة) خشبية تسمى البطرنجه وتربط في شكيمة السانية حديثة التدريب على السني (الصعّبة) والتي لم تتحول إلى مرجعانية؛ والمرجعانية هي السانية من الإبل التي تعودت على السني بعكس الصعبة. والبطرنجه وهي حلقة من الخشب تدخل في السجاج وفي شكيمة السانية لمنعها من الخروج من (المجَر). والمسوقة وهي العصا التي يحملها السائق ليهوز بها على السانية. أما الوقل أو الأقل أو الشنبره، فهي خشبة صغيرة مصفحة ومستطيلة وزواياها مدورة. فيها ثقبان أحدهما أكبر من الآخر وهي تعلق من الثقب الصغير في مصلاب القتب في الجانب الأيسر، وتشد بها حبال القتب والبطان والحقب واللبب، وكل واحد له وقلة خاصة. والهدف من الوقلة سهولة شد الحبل وحلِّه دون أن تتأثر مشادها. وأخيراً المِشَدَّةْ، وهي حبل من الليف الناعم، طوله حوالي متر، يثبت طرفاه بالدقل أو بمصلاب القتب، ويشد بها البطان الذي يمسك القتب على ظهر البعير.

**القَحْفَة**. هي قطعة من الخشب الصلب على هيئة قوس وهي بديلة





للقتب، خاصة قتب الثور كما في منطقة الباحة، ولكنها توضع على رقبة الثور فقط. وللقحفة في جزئها الأوسط من الخلف، تجويف مقعر يحتضن سنام الثور. وبجانب هذا التجويف ثقبان يخترقان القحفة، اتساع الثقب بوصة تقريباً، أحدهما من اليمين والآخر من اليسار. ويدخل في كل من هذين الثقبين قطعة خشبية على هيئة عصا متنها أقل من سعة الثقب قليلاً، بحيث يمكن أن تدخل فيه وتصبح مدلاة دون أن تسقط لأن جزءها العلوي أمتن من الجزء السفلي، أو أن هذا الجزء ذو شعبتين. أما الجزء السفلي فمستدق نسبياً، وينتهي بحز ليمكن ربط حبل ما بين هاتين العصوين المدلاتين عند وضع القحفه على رقبة الثور. وهاتان العصوان اسم كل واحدة منهما زرار كما هو الحال في الضمد. ويصنع القحفة النجار من شجر الغَرَب الصلب السهل التشكيل.

## استخراج الماء (السواني)

يقصد بالسني رفع الماء من البئر بالسانية التي تجذب غرب الماء، وسائقها (الساني) الذي ينظم سيرها في المنحاة. وتبدأ هذه العملية عادة قبل صلاة الفجر، وتسمى غبشه أي التبكير بالعمل. وتسمى بداية السني شدّه أو إعلاقْ أو تصديرْ، لأن الساني من حين يعّلق علق القتب بالرشا يدفع السانية في المنحاة فتكون البداية. كما تسمى في بعض المناطق الجنوبية تركيبْ، أي يركب العِداد على السواني، والعداد هي عدة السني، وهي الرشا والمقاط والضمد وذلك إيذاناً ببدء السني في المنحاة أو المصدر. وعندما تكون السواني في مقدمة المنحاة من جهة اللزا (المعدل)، تكون الغروب في جوف الماء حتى إذا سارت السواني في المنحاة نحو نهايتها (المصب)، بدأ الرشا، الذي تحمله المحالة والسريح فوق الدراجة، برفع الغرب بعملية متوازنة ومتقنة، بحيث تكون كلا فتحتي الغرب إلى أعلى فلا ينسكب منه الماء. وعندما تصل السواني إلى قرب نهاية المنحاة، تكون الغروب قد خرجت من جوف البئر وأصبحت على فمها، وهنا يستمر الرشا برفع الغرب إلى أعلى في حين يبدأ السريح بسحب الغرب نحو اللزا حتى إذا بلغه صب الماء من كُمِّ الغرب في حوض الماء (اللزا). ومع عودة السواني مرة أخرى من المصب نحو اللزا، يبدأ الرشا والسريح بإنزال







مقدمة المنحاة (المعدل) وتظهر الغروب وهي تصب الماء في اللزا

الغـروب إلى جوف البـئر، حتى إذا وصلت الحـيوانات إلى المعدل تـكون الغروب قد وصلت إلى الماء.

وحتـى يتأكـد السانـي من امـتلاء الغروب فإنه يجذب عادة أرشية الغرب مرتين أو ثلاثـاً، عندما تكون السـواني في مقدمة المنـحاة (المعدل). ويستخدم لذلك، عـادة، حبل يسـمى المنهـاز أو المنهزه، يربط طرفاه في رشائي كل زوج من الـسواني. وتـسمى هذه الـعملـية بالنهازه، وهي عملية تزداد أهميتها عندما يكون ماء البئر قليلاً، وذلك لئلا تكون «سواني بلا ما» وهو مثل يضربونه للشيء يحدث ضجيجاً بلا فـائدة. أما إذا كان ماؤها كثيراً فلا حاجة لهذه العملية لأن الغروب تمتلىء تلقائيـاً. فإذا ما امتلأت الغروب صـدَّرت السواني، أي سارت نحو نهاية المـنحاة حتى تصب الغروب في اللزا. وتستمر الحركة على هذا النحو حتى تنتهي عملـية السني ويسمى ذلك وَضْعه؛ فقولهم «أوضعت السواني»، أي توقفت. كما تسمى نهاية السني في بعض مناطق الجنوب الغربي تَعْقيْل أو إطلاقْ ويقولون «يُعَقِّل الْعْداد أو يُطَلِق السواني»، وفي المنطـقة الشمالية يقـال «يحط عن السواني».

وعندما يُقال في الباحة «عقَّل الثيران، أو عقَّل العداد»، فإن ذلك يعني توقف عملية الري مؤقتاً، كأن يخلد العاملون إلى الراحة ظهراً؛ أما عندما يُقال «أطلق







حيوانات السني عند نهاية المنحاة (المصب)

العداد» فذلك يعني انتهاء عملية الري لذلك اليوم.

ولإعجاب الشعراء بهذا الاختراع العجيب الدقيق، سطروه في أشعارهم، ووصفوا عمل السانية وصفاً دقيقاً. وسنختار نموذجين فقط من هذه الأشعار، أحدهما فصيح، والآخر من الأشعار الشعبية؛ فالأول قول زهير بن أبي سلمى:

كأن عيني في غربي مقتلةٍ
من النواضح تسقى جنة سحقا

تمطو الرشاء فتجري في ثنايتها
من المحالة ثقبا رائدا قلقا

لها متاع وأعوان غدون به
قتب وغرب إذا ما أفرغ انسحقا

وخلفها سائق يحدو إذا خشيت
منه اللحاق تمد الصلب والعنقا

وقابل يتغنى كلما قدرت
على العراقي يداه قائما دفقا

يحيل في جدول تحبو ضفادعه
حبو الجواري ترى في مائه نطقا

ومن الشعر الشعبي الحديث في وصف السواني قول الشاعرة هيله العقل بعد زيارتها سواني مزرعة السلمان في حويلان في بريدة، التي أقيمت للذكرى فأثار المنظر شجونها فقالت قصيدة منها:

لقيت عنده صعبة الهجن مرجاع
عندي عليه شهود شي يشاف

سبحان من حطه بيمناه مطواع
أنا اشهد ان اللي عسفها سنافي





جاهـا برفـق ولا غشمـها بـصلـواع
وابـرم رسنـهـا وادرعـه للـعساف
دوك العـلق وسط القـتب له تزلـواع
حـتـى يـلـين ارشـاه لـلانـحـراف
ودوك الـبطـان مريّـحٍ تقـل مـقلاع
ودوك الحقب مـشطون مثل الـكتاف
والا الـلبـب خطـرٍ عليـه الـتمـزاع
لـى نزعـت وان وردّت بـه عـوافي
هجـنٍ هجاهـيجٍ همـيمات واسـراع
مـثـل الـنـعـام مـدرّبـاتٍ خفـاف
لا وقّـفن صـيـدٍ من الـرمـي ملاع
كنـه يقـضى الـسعي بـعد الـطواف
محالهـن تقنب كما الذيـب لى جاع
قـد قالـه الشـاعر بـنظـم القـوافـي
وغروبـهن بـلزاه تـصفـق وتنـصاع
وترجـع سريع وتـطلع الجـم صافي
شدوا عـليهـن وافجروا كـم مطلاع
وتـبـاشـرن بالـعـد زرق الخـوافـي

ومهـمة السائـق توجيه الـسواني، خاصة عند وصولها إلـى مقدمة المنحاة (المعـدل) أو مؤخرتهـا (المصب)، لأن السـواني هنـا لا بد أن تنحـرف، يمنة ويسرة، اسـتعداداً للعودة مـرة أخرى. ويمشي السانـي خلف السواني، يحثها على السير بالمسوقة عندما تكون متجهة نحو نهاية المنحاة (مصدره) وبيده عصـا غليظة طـويلة تسمى المِسْوِقة، أما عـند عودتها (ورودها) فلا يحثها على السير لأنها تكون منهكة من سحب الغروب، ولذا يترك لها فرصة لالتقاط الأنفاس، خاصة أنها تـسير نحو المعدل صعوداً. وللسبب نفسه فإن الساني، عادة، عند ورود السواني نـحو البئر يمسـك بحبل مربوط في كَتَب إحدى السواني، يسمى (العلاَقه)، لمساعدته في صعود المنحاة.

## حيوانات السانية

الحيوانات المستخدمة في السني هي الإبل والثيران والحمير، ولكـن أهميتها تختلف من منـطقة إلى أخرى. فالإبل هي الحيوانات المفضلة في معظم المناطق الوسطى والـشمالية، ويشيـع استخدام الثيران في جميع المناطق الجنوبية الغربية، ولا يستخدم غيرها إلا نادراً. أما الحمير فيشيع استخدامها في بعض المناطق مثل سدير والعارض والأحساء، ولا تستخدم في المناطق الأخرى إلا إذا تعـذر وجود غيرهـا. وبوجه عام، فـإن تحديد نوع الحيوانات المستخدمة في السني، تحكمه، عادة، عـدة ضوابط، منـها؛ بُعْد المـاء وقربه، وقـدرة الفلاح المادية، وبـعض التقاليد والعادات الاجتماعية، التي تجعل استـخدام بـعض الحيـوانات، خـاصة الحمير، نوعاً من العيب. وتسمى الإبل







الإبل، من حيوانات السني

التي يُسنى عليها بالمعاويد (جمع معواد أو معيد)؛ يقول محسن العلي، من أهل السبعان بمنطقة حائل:

يـاما عـيـونـا دونهـن كـل معـواد
يشـهد علـى جمهـور هرجي فـعال
كـم مـن فتـاة فـاردينـه مـن اذواد
لـو هي سـمينٍ مـا تعـقب الـهلال

أما عدد الحيوانـات التي تعمل معاً في وقـت واحد، فيـعتمـد على عـدد الغروب وكمـية الماء التي يحـتاج إليها المزارع. فالمزارع الـذي يحتاج إلى مياه كثيرة، لا بد أن يزيد عدد الغروب فعدد حيوانات السواني. وفي الأعم الأغلب يكون عدد المعاويد ثلاثة من الإبل للبئر الواحدة في منطقة حائل، يعقبهـا ثلاثة أخرى؛ قال دخيل الخوير من أهل قفار:

نصـيحة يـاهل القـلوب الـنصاحـي
يـاتايـهين الـراي خـوذوا نصـيحـه
حـطـو ثـلاثٍ يـجـذبـن الـقـراح
ثلاث مـن غيـر العـقايـب مريـحه
تلـقى الـوديه مـن شخـيل البـطاح
قنـاه فوق الـعسـب مثل الـبطـيحه
القـلب مـن كثـر الهـموم اسـتراح
والـبن يـقعـد دايـخ الـراس ريحـه

وقالت إحدى الشاعرات في منطقة حائل:

يـاونـتـي ونـة ثـلاث هـجـانـي
سـواقهـن عـبـدٍ علـى بـيـر دواس



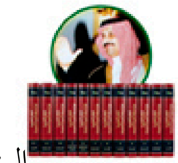


ويكون لكل غرب، عادة، سانية واحدة (بعير أو ثور أو حمار) ولكن قد يكون للغرب الواحد ثوران، كما هو الحال أحياناً في منطقة الباحة، حيث يقرن الثوران بقطعة خشبية توضع على غاربيهما، تسمى الضّمد أو المقرنه، ويشتركان في سحب الغرب معاً. وهذا النمط يستخدمه أهل شمال الباحة، أما في جنوبها فيستخدمون القتب، وكل ثور مختص بغرب مستقل به.

وتسمى القليب التي تحتوي على غربين وسانيتين؛ بذات الغربين أو شطنين، وعندما يزيد عدد السواني والغروب إلى ثلاثة تدعى مثلوثة، أما إذا بلغت الغروب والسواني أربعاً فتسمى مربوعة، ثم مخموسة وهكذا. كما يطلق على الحيوانات حسب موقعها في المنحاة بعض الأسماء. فالسانية التي على الطرف تسمى الأمام أو المقدم، لأنها هي التي تنحرف أولاً عند الوصول إلى بداية المنحاة ونهايتها أما التي تليها فتسمى الوسطى، ويليها الباين. أما إذا كانت السواني أربعاً أو أكثر فيكون هناك أمامان هما اللذان على الأطراف، وعند وصولهما إلى المعدل أو المصب ينحرفان أولاً، أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار، ثم تتبعهما الحيوانات الأخرى (الوسطى) مهما بلغ عددها. وفي الأحساء تقسم إلى يمين ويسار، وبعض الحمير لا تستطيع أن تعمل إلا في اليسار والبعض الآخر في اليمين.

ويبدأ السني، عادة، قبل طلوع الفجر بساعة أو ساعتين، أما نهايته فتختلف حسب نوع المزروعات ومراحل نموها. ففي فصل الشتاء حيث يزرع القمح بأنواعه، تستمر عملية سقي الزرع حوالي أربعة أشهر وعشرة أيام، ويمكن تقسيمها إلى فترتين؛ الفترة الأولى تستمر طوال الأشهر الثلاثة الأولى من عمر الزرع، وفي هذه الفترة لا يحتاج الزرع إلى مياه كثيرة، بسبب صغره من ناحية وبرودة الجو من ناحية أخرى. ولذلك تعمل السواني في هذه الفترة دون جهد كبير، ويكون العمل عادة من قبل صلاة الفجر حتى غروب الشمس. ويتخلل هذا الوقت فترة راحة لحيوانات السواني وللساني خلال الظهيرة. أما المدة المتبقية من عمر الزرع وهي حوالي أربعين يوماً، ففيها يحتاج الزرع إلى مزيد من المياه نظراً لبدء نمو سنابل القمح من جهة ولزيادة حرارة الجو من جهة أخرى؛ يقول الشاعر واصفاً ذلك:

يسقى على ما هان تسعين ليله
وشهرٍ وعشرٍ ما لماه فتور





ومــن عقــب عشــرينٍ تــدانا أوايــله

تــلقــى العــشا مــن ميــر كل بــكور

أي يُروى الزرع (القمح) خلال الثلاثة أشهر الأولى (تسعين ليلة) دون مشقة على السواني، بل تؤخذ بالهون والتروي، حتى لا تفتر قواها في نهاية الموسم، عندما تكون الحاجة ماسة إلى مزيد من المياه. أما الأربعون يوماً الأخيرة (شهر وعشرة أيام)، فيكون سقي الزرع من غير توقف طوال الليل والنهار، وتسمى هذه الفترة بفترة (الشربه).

وبعد عشرين يوماً، يبدأ النضج والاستواء. ويكون تمام المدة ٩٠+٤٠+٢٠=١٥٠يوماً أي خمسة أشهر تمثل عمر الزرع، من بداية البذر إلى الحصاد؛ ويقول آخر:

ومن لا يــسقّي كــنة الــصيف زرعــه

فهــو مفلــسٍ مــنهــا نهار الحــصايــد

ويختلف نظام السني في هذه الفترة عن الفترة السابقة، حيث يطبق هنا نظام تناوب الحيوانات في المسنى. فيكون لدى المزارع مجموعتان من الحيوانات، على الأقل، تعمل إحداهما خلال الليل ثم تستبدل بعد صلاة الفجر، لتحل محلها حيوانات أخرى حتى غروب الشمس. وبعد المغرب تستبدل حيوانات النهار، وتحل محلها المجموعة الأخرى التي استراحت طوال النهار. ونظام تعاقب الحيوانات لا يوجد في جميع المناطق؛ ففي المناطق الجنوبية الغربية، يبدأ السني قبل صلاة الفجر ويتوقف قبل صلاة الظهر للقيلولة والراحة، ثم يستأنف السني مرة أخرى قبل صلاة العصر بساعة ونصف تقريباً. ويُعرف استئناف العمل بالثواره حيث يثور (أي يقوم) كل شخص إلى عمله. وتنتهي هذه الفترة عند أذان المغرب، ولا يستأنف العمل بعدها؛ ويصف أحد الشعراء نظام مواصلة السني وتعاقب الحيوانات فيقول:

أو وجد من صدر على اربع محاحيل

لــهن الــى غــاب الرقــيب مــعــلوم

أربــع عقــايبــهــا أربعٍ كــنّسٍ حــيل

يــشيــلــن المـا في وســاع الــكمــوم

والمحاحيل جمع محّاله، أي أن هذه القليب لها أربع محال وأربعة غروب، والرقيب هو نجم السماك الرامح رقيب الثريا وغيابه حوالي منتصف الليل. والمعنى أن العمل يبدأ في منتصف الليل، وتكون السواني أربعاً من الإبل الحِيْل، فتُعاقب السني مع أربع أخرى تحمل الماء في وساع الكموم، أي الغروب الكبيرة.

وقد يكون لدى بعض المزارعين المقتدرين ثلاث مجموعات من حيوانات السواني، تتبادل السني كل ثماني





ساعات. أما المزارعون الذين لا تساعدهم إمكاناتهم المادية على توفير أكثر من مجموعة واحدة من حيوانات السواني، فيضطرون إلى جعل حيواناتهم تعمل ليلاً ونهاراً، مع بعض فترات للراحة، أو يجعلونها تعمل طوال الليل وجزءاً من النهار، ثم تستريح لبضع ساعات يعملون هم خلالها على رفع الماء بأنفسهم بالزّعابة، أي استخراج الماء من البئر بالدلاء أو الغروب التي يسحب أرشيتها الرجال. وهناك فئة من المزارعين لا يملكون شيئاً من حيوانات السني، فهم من ثمّ يتولون رفع الماء من البئر بأنفسهم. فيقف أحدهم طوال يومه في مكان الدابة، ليقوم بدورها الذي تؤديه في هذه العملية.

وقد حدثنا أحد قدامى المزارعين من أهالي حَرْمَه، إحدى قرى منطقة سدير، بأنه لا يزال يعاني من بروز في صدره من أثر عدة السني التي كان يضعها على صدره وهو يقوم بعملية السني بنفسه، على مدى سنوات طويلة، نظراً لقلة ذات يده.

أما في فصل الصيف (القيظ) حيث تزرع الذرة غالباً، فإن فترة السقي تستمر حوالي ثلاثة أشهر. ويركز في عمل السواني في هذه الفترة على الليل وأطراف النهار، اتقاءً لأشعة الشمس اللاهبة. وتكون هناك أيضاً مجموعتان من حيوانات السواني، إحداهما تعمل طوال الليل، والأخرى تعمل من صلاة الفجر إلى الضحى، ثم تُوضع أي تتوقف حتى صلاة العصر تقريباً لتعمل حتى المغرب. وبعد المغرب تحل محلها سواني الليل، وهكذا. ونظراً لعمل السواني هذا العمل الدؤوب المستمر، ضُرب بها المثل على الصبر وقوة التحمل؛ فهذه الشاعرة عليا بنت ضاوي الدلبحي تقول:

أصبر كما تصبر سواني السفاله
سواقها يكثر عليها الترداد
ياعالم ميل الفتى من عداله
يالله يالمعبود للخلف رداد

والسفالة تطلق على المزارع في أسفل الوادي، أو على أسفل المزرعة، وعكسها العلاوة وهما اسمان شائعان في المنطقة الوسطى.

وما يقال عن استبدال الحيوانات (السواني) يقال أيضاً عن الساني والرايس (الكالف) الذي يعمل على رياسة وتوزيع الماء داخل الحقل. فعندما تستبدل الحيوانات، غالباً، يستبدل الساني معها. ومن النظم السائدة أن يتبادل الساني والرايس العمل في السني والرياسة (التفجير)، فيحل أحدهما مكان الآخر،







صورة قديمة لحمير تسني

لكي يستـريح الساني بعض الوقت من عملية السني المضنية. ويكون هذا النظام عندما يكـون الساني والرايس من أفراد عائلة المزارع أو شركائه. أما إن كان الساني والرايس يـعملان بالأجر فـإن عملهما يحكمه طبيعة ونوع اتفاقهما مع المزارع. وفي الباحة -مثلاً- يُسمى مَن يتولى مهمة تصـريف الماء وتنـظيمـه داخل المزرعـة بـ(المحرِّف) لأنه يحرف الماء عن الحوض إلى غيره عندما يمتلىء؛ ومن الأمثلة التي تُضرب في حـالة عدم التحكم في أمـر من الأمور قـولهم: ضعنـا بين السائق (الساني) والمحرِّف (الرايس).

## أغاني السني

من الأشياء المعروفة في حياة المزارعين التقليديين، أنهم يرددون بعض الأشعار بألحان مختلـفة، سواء بشكل فردي أو جماعي، في مختلف العمليات الزراعية، كالسني والرياسة وحصاد الزرع ودياسته وتأبير النخيل وصرامها وغير ذلك. ومن أشهر الأعمال التي يـرافقها عادة ترديد





الأشعار والأغاني العمل على السواني، حيث يكون الساني وحيداً يسير خلف سوانيه، فيحاول أن يطرد عنه الملل والنوم، خاصة بالليل، بترديد هذه الأشعار. ومن الأشياء التي تساعد الساني وتحثه (تهيضه) على الغناء صوت محال السواني الناتج عن احتكاك المحالة بمحورها عند إدارتها بالأرشية (جمع رشا) التي تجرها السواني، خاصة إذا كانت السواني مصدِّرة أي مثقلة بماء الغروب حيث يزيد الثقل على المحالة فيزيد صوتها؛ ولذلك كثيراً ما يتغنى الشعراء بصوت المحال، مثل قول الشاعر:

إلى غابن النسرين دنيت سنس
ثمان سمان من بنات جمال

إلى ساقهن العامل القرم واحتدى
تصايحت من ضيم الدلي محال

لا غنى عليهن نور عيني محمد
لحنهن دقاق ومشيهن اهذال

وقول الشاعر:

يالجتي لجة محاحيل عباب
سنايهن باصواتهن معجباته

ويزداد صوت المحَّال ويكثر الغناء عليها كلما كانت المنحاة طويلة. وقد يعمد الساني لزيادة صوت المحال وتهذيبه، بدهن محورها ببعض المواد، كفتات الفحم كما يفعل مع الربابة التي يدهن وترها بالجاوني،



صورة قديمة للسني

أو بوضع نصلة فاروع في محور المحالة أو بدهنها بالعقرب المحموسة بالودك. والقصائد التي تردد على السواني جلها من أشعار الغزل، التي تغنَّى على لحن المسحوب حيث يتوافق مع صوت المحَّال. وكلما زاد عدد محال القليب وكثرت غروبها، زادت أصوات المحال وأصبحت رغبة الغناء لا تقاوم لدى الساني.

ويبدأ الغناء في المنحاة عادة منذ التصدير، أي اتجاه السواني من المعدل، جوار حوض الماء، إلى المصب نهاية المنحاة، حيث يكون صوت المحَّال على أشده فيبدأ الساني بشطر من البيت ويسحب لحنه، ولا ينهيه إلا عند توقف السواني في المصب. فإذا أقبلت مرة أخرى نحو المنحاة، شرع في الشطر الثاني يغنيه رويداً رويداً ولا ينهيه إلا عند المعدل وهكذا.





ومن نماذج الأشعار التي تردد أثناء العمل على السواني؛ قول الشاعر عبيد الحمود راعي بقعا:

لا والله الا دوبحن الليالي
واقفن بشيمات العرب والمرواه
أقفن ولا خلن للاجواد تالي
إلا ذنانة واحدٍ وين ابلقاه
العود يوم انه يجيب العيالي
يبغى بتالي العمر لذه وطرباه

وقول الشاعر:

ليت الشحم يجلب كما يجلب العيش
كان اشتري لك ياالوضيحي سنام

وقول الشاعر عبدالله بن سبيل:

لولاي اوسع خاطري بالتنهات
وأبصر بروحي من خلاي بخلايه
لاغدي كما المذهب وارمّي بالاصوات
خبلٍ على ما قال راعي الروايه
واليوم شبت وتبت عن كل ما فات
وطويت عن كل الموارد رشايه
الا فيوم اذكر خطاة الخوندات
اللي جدايلها تعدّى الحضايه
وتجازي الهراج باغضاي واسكات
ولا تبيّن له سريره وغايه
وتصد عن ما اقول من غير مجفاة
وتعرض بخد كن فيه المرايه

وهي أطول من ذلك؛ وقول آخر:

يابنت يام القرون السود
خوفي من الله وحبيني
وان ما حصل حبّةٍ بركود
لاموت وانتِ تشوفيني

وقول آخر:

يالله ياسماع صوت الداعي
جزل العطايا مغني الفقريه
أرجيك رجوى واحد زراعي
ركّب محاحيله وجر رشيه
وأرجيك رجوى البدو للمرباع
وارجيك لو عقب أربعٍ حوليه
إن ترحم اللي عن هواه يصاع
والعين عن خلانها مجفيه

وقول الآخر:

عديت بام عنيق ما فيه تبريق
هلت دموع العين من شن حداها
وانا احسب ام عنيق تفرج عن الضيق
واثر الحظيظ اللي سلم ما رقاها
ياتل قلبي من علو المعاليق
تل المعيد اللي طويلٍ رشاها
لى تلته من بين عوج الزرانيق
من عيلمٍ ما يلحق الشوف ماها
على وليفٍ حرق القلب تحريق
حبه برى حالي وكبدي كواها

ومن الأحساء:

يازارع المشموم فوق السطوحي
لا تزرعه ياشيخ عذبت روحي





أوه...يا مال أوه... ياما ل أوه يا مال

ومن الشاعـرات المجيدات في هذا اللون نورة الحوشان خاصة قصيدتها التي مطلعها:

يـاعين هـلي صـافيَ الـدمع هِـلّيـه
وليـا قضـى صافيه هـاتي سـريبـه
اللـي يبـيـنـا عَيَّـت الـنـفس تـبـغـيه
واللـي نبي عـيّا الـبخت لا يـجيبـه
يـاعين شـوفي زرع خـلك وراعـيه
هـاذي مـعـاويده وهـاذي قـلـيـبـه

وفي المناطق الجنوبية الغربية، خاصة الباحة، يبدأ الساني (السايق) عملية السني بترديد بعض الأدعية؛ مثل:

عــــــل يـــــــاغـــــريـــــــب
فـــــــرج الله قـــــــريـــــــب
أقـرب مـن الـداعـي للـمـجـيـب

ويردد هذا الدعاء ومـا شابهه كلما وصل بالسواني رأس البئر. أما أثناء سير السواني في المنحاة (المنحى) ذهاباً وإياباً، فإنه يـغني بألحان تـتجاوب مع صوت المحَّال. ومنها هذه الأبيات التي هي عبارة عن محاورة بين الساني والبئر؛ فالساني يدعي الاسـتعداد لنزف كل مـا بداخل البئر:

سرحت راس الـبير يوم اشرق الـنور
وقلت هـيا ان كان في حجتـك غور
عـيت لـك سـهلان الايـدى وعـده

أما البئر فتتحدى الساني وتقـول إن ماءها لا ينضب وإن من سبقوه لم يتمكنوا من استخراج كل مائها.

انا دخـيلك عف مـن الكفر والجـور
لا تذبـح الثـور، ما بتـلحق الـغور
يـاما نـشـا قبـلك صـفـوف وشده

ومن ذلك قول الشاعر:

الـى اذن المـذن وراحـو يـصـلــون
فرشـت انا ردن الحـبيـب وصلـيت

ومنها قول الشاعر منيع السلمان:

يـافهـيد شـلـنا بالمـعامـيل والـكار
ويـاهـو مرض يافهـيد فرقـا الجماعه
ميـر الرجل لى حـس بامره بيـختار
يصـبر على الـكايد ويلـقى جمـاعه
واقـلبـي اللـي صـايبـه سـم طيـار
والـكبـد مـن بين المـعالـيـق ماعـه
أنـا بـحـدري حـايـلٍ نـازلٍ جـار
تـالٍ رسـم جـدانـنـا رسـم قـاعـه



الغروب قصب الماء





سميت وادنيت السواني على الكار
بعزمٍ على مغني الفقارى بساعه
بعيلمٍ ما خبرته كل حفار
لا قيل هاتوا ذا المحافر لقاعه
وحيلٍ يواطن مشيهن تقل بهجار
من فوقهن مثل الفراد الوداعه
يبرى لهن قرم العيال ابن غشار
ما يطلب العقبه ولا ربع ساعه
حنا علينا جر الاسلام وابذار
والله بتدبيره وكيل الزراعه

وقول الشاعر:

البارحة عيني جزت عن منامي
سهرٍ طوال الليل وادير الافكار
سهرٍ واجاوب راعبي الحمام
والقلب يكفخ بين الاضلاع ما طار
عليك ياللي مثل ظبي العدام
ومستانسٍ يرعى الزهر فيه ما دار
أبو جديلٍ ياصلن الحزام
والردف طعس جابر غب الامطار

ومن القصائد المشهورة التي يرددها السناة (السواويق) قصيدة (بصري)، وكان شاعراً، ولما تقدمت به السن أخذه ولده ليحج ويتوب إلى الله ولكنه لمّا دخل البيت الحرام رأى عند الكعبة بنتاً جميلة فقبَّلها، فقالت له: خِبْت وخَسِرت. قال ابنه يؤنبه: يالتّايه، بمعنى يا أيها الضائع، فرد الأب عليه بهذه القصيدة:

حجيت ابي من والي البيت جنه
وعودت في عمياي عقب افتراضي
التايه اللي جاب بصري يقنه
جدد جروح العود والعود قاضي
ياجرح قلبي جرح واد وطنه
غر المزون وسيّلنّه وفاضي
لا ريحةٍ زفره ولا هي مصَنّه
ريح النفل بمطمطمات الفياض
يامن يعاوني على وصف كنه
اشقح شقاحٍ لاهق اللون ياضي
دنوا لها من زمل أبوها مضنه
أشقح يداني خطوته يوم ناضي
ياشوف عيني والخدم يركبنه
ركبه عليه تشنطح باعتراضي
ونهود للثوب الحمر شلعنه
حمرٍ ثمرهن غاطسٍ بالبياض
ومشجرٍ من سوق هجرٍ مغنه
على خياطه ناب الارداف راضي
البيض قبلي محسنٍ عذبنه
نمرٍ على وضحا كما وصف حاضي
والبيض قلبي بالخفا يبسنه
يبست شماشيل العذوق النفاض
ياليت سني بالهوى وقم سنه
أيام ما بيني وبينه بغاضي
أيام جلد الذيب عندي محنه
نصبح وزرق الريش لهن انتفاض





وغيـر ذلك مـن هذا الـنمـط من القصائد.

ومن الجدير ذكره أن الغناء في المنحاة عـلى أصـوات المحَّال ورفـع الصـوت بذلك، لا تـقتصر فوائـده على تسليـة الساني وطرد النعاس عنه، خاصة أثناء الليل، بل هو أيضاً مهم بالنسبة للسواني نفسـها خاصة الإبل (المـعاويد)، فمن الشائع أنها تطـرب للصوت وتشتاق له ويساعدها على العمل، فترفع الغروب بكل نشاط.

## نظام الري من الآبار

يشمل الحديـث عن نظام الري من القلبان نقطتين رئيسيتين هما؛ توزيع الماء داخل المزرعة؛ والطرق المختلفة لاقتسام المياه عنـد الاشتراك في ملكيـة البئر أو الاشتراك في حق استغلال الماء منها.

**توزيـع الماء**. عندمـا تصب غـروب السواني في حوض الماء (اللزا)، ينتـقل الماء من هذا الحوض عبر فتحة في أعلاه أو أسفله، تقع في إحدى زاويتيه الخلفيتين أقربهما للـمنحاة، تسمى مطلاع الماء. ويسير الماء عبر ساق رئيسي إلى حوض تجميع يسـمى الجابيةً أو البرْكه وتسمـى في الباحة الماجل، وهي فصيحـة؛ جاء في اللسان: الماجل؛ الذي فيه ماء، فإذا بزغ خرج منه الماء، ومن هنا قيل لمستنقع الماء ماجلْ.

ومطلاع الماء اسم يشمـل في بعض المناطق فتحة اللزا ومعها الساقي الرئيسي المؤدي إلى الجابية. كما يطلق على هذا الساقي أسماء أخرى مـثل القُود والمسنَّه والساقي والمسقى أو الخوصه في الأحساء.

ومن القواعد الرئيسية للري مـن الآبار، ضرورة أن يكون اللزا والجابية أكثر ارتفاعاً من جميع أجزاء المزرعة الأخرى، حتى يتسنى للماء التدفق بيسر إلى جميع هذه الأجزاء، ولكـن يحدث أن يكـون هذا الجزء منخفضاً، ولذلك يرفع الساقي عن المناطق المجاورة، وفي هذه الحالة يطلق عليه اسم القنطرة. وللحفاظ على جوانب البئر من تسـرب المياه من هذا الساقي، خاصة الجزء المجاور منه للزا والبئر، فقد يوضع في بعض المناطق جذع نخلة غليظة مفرغ من الأعلى والداخل، ليجري الماء فيه ويحـد من تسرب المياه نحو الـبئر.

ومن الإضافات الأخرى التي توجد في هذا الجزء من المزرعة في بعض المناطق، حوض صغير يوجد بعـد اللزا مباشرة، وهو أقل منه حجماً وارتفاعاً وأقرب منه للمنـحاة، تشرب منه الحيـوانات، كما يستخـدم عادة لغسيل التـبن والحشائش والعلف وإزالة ما بها من الأتربة والرمال،





قبل تقديمها إلى حيوانات السواني. ويسمى هذا الحوض البلعه كما يسمى العلف المغسول به الصفو. ولذلك يسمى هذا الحوض في نجد المصفاة لأن الصفو -وهو غسل التبن وتنقيته- يتم فيه. ويكون اللزا، عادة، أرفع من المصفاة ويسمى الموضع الذي تصب فيه المصفاة الخارة وهي مأخوذة من صوت خرير الماء. ويوضع عادة حجر عند مطلع الماء من اللزا إلى المصفاة والجابية ليحدّ من سرعة اندفاعه، ويسمى هذا الحجر القاروعه، كما يوجد على جانبي الزرانيق من ناحية المنحاة قرن من الحجارة مثبت في الزرنوق على ارتفاع متر ونصف تقريباً يسمى المكلاب، والغرض منه ربط الأرشية بعد الفراغ من الصدر. كما يوجد على جانب أحد الزرانيق حجرة تسمى حجرة العدة يوضع فيها ما يزيد من الأرشية والسرح والغروب وغيرها من عدة الفلاح وأدواته.

أما الجابية فبركة كبيرة لتجميع المياه من البئر قبل توزيعها داخل المزرعة. وتتخذ الجابية أشكالاً عدة، أكثرها شيوعاً الشكل المستطيل، وقد تكون دائرية أو مربعة. ولتقليل التسرب من قاع وجوانب هذه البركة تُلبّس بطبقة جيدة من الطين الجيد، وقد تُبطّن بالطين المحروق (الصهروج) أو الجص. وفي المزارع ذات النخيل والأشجار، كما هو الحال في المدينة والأحساء والمناطق الوسطى والشمالية ونجران، تُحاط هذه البركة بأشجار النخيل والأشجار الأخرى للاستفادة من رطوبة التربة والمياه المتسربة من الجابية. وعوضاً عن ذلك فإن وجود الأشجار محيطة بهذه البركة، يجعل جزءاً كبيراً من الجابية مظللاً طوال اليوم، وذلك مما يقلل من عملية البخر ويوفر كثيراً من المياه.

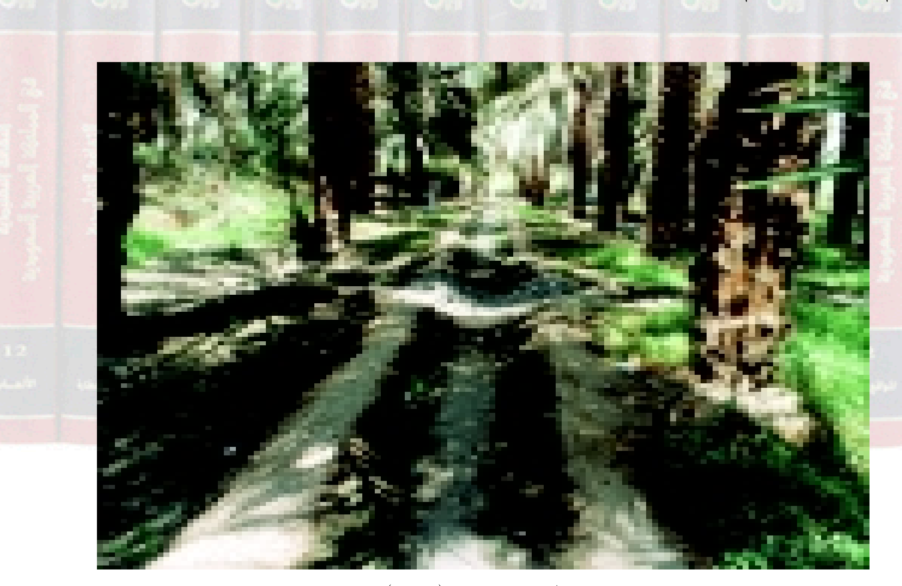
وفي نهاية الجابية من الجهة الأخرى، توجد فتحة أو أكثر يتدفق منها الماء إلى (ساق) رئيسي، يمتد إلى المزرعة. ويطلق على هذه الفتحة عدة أسماء منها المطلاع والراقود والقب والمفجر وتبقى هذه الفتحة مغلقة، حتى تمتلىء الجابية بالماء. ولما كانت السواني تبدأ العمل في ثلث الليل الآخر، فما أن تطل تباشير الصباح الأولى، حتى تكون الجابية قد امتلأت. فيفتح الفلاح المطلاع ليبدأ عملية توزيع الماء داخل المزرعة (الرياسة أو التفجير). وعادة يكون مطلاع الماء (الراقود)، قطعة كبيرة من الصخر قليلة السُّمك، على شكل مربع وفي أسفلها فتحة دائرية الشكل، ليخرج منها الماء، تسمى في بعض المناطق الخرزه. ويصنع لها سدة من الصخر الأملس أو القماش الخيش تسمى السدة أو القرّاعة أو السدادة. وهناك الملزمة، وهي خرقة أو





خشبة تسد فوهة المفجر ويوضع عليها كمية من الطين لمنع تسرب الماء من فتحة المفجر. ويقال «الزم الجابيه بالملزمه أو افجر الملزمه». وعندما تفتح القرّاعة ويتدفق الماء من الجابية نحو المزرعة، تستمر السواني في عملها، لتعويض نقص الماء في البركة، وتسمى هذه العملية بالحدو. ويكون هناك تناسب، عادة، بين المياه الخارجة من الجابية والداخلة إليها بحيث لا تنخفض المياه في الجابية، لدرجة لا تكفي للرياسة إلا في نهاية فترة العمل اليومي، بعد مرور جزء من الليل، وعندها تغلق فتحة الجابية (تسد) حتى فجر يوم جديد. ولأن المقام (اللزا) مرتفع بمستوى مطلاع الماء إلى الجابية، ومن الجابية يخرج الماء عبر المفجر إلى القائم الذي ينقسم إلى سريان منخفضة عن مستواه، كان لا بد من وضع مصبات أولاً ثم وضع مغضان بعدها لتحد من اندفاع الماء مع السري. وتكون بشكل عقبة من الليف أو بعض النباتات اسمها مغيض؛ أي أنه يغض من اندفاع الماء أي يقلل منه.

وتتدفق المياه من الجابية إلى المزرعة عبر ساق رئيسي تطلق عليه أسماء متعددة مثل القايم أو المحزوم والقايد والقنطرة والقيُّوم، ويستمر عادةً حتى نهاية المزرعة. ويتفرع من هذا الساقي الرئيسي القايم، سواقٍ فرعية تسمى سريان ومفردها سريٌ، وقد يتفرع منها سواق أخرى يعرف أحدها عضده، وعبر هذه السواقي الفرعية يتم توزيع الماء على النخيل والمزروعات الأخرى، المقسمة إلى أشراب



ساقٍ رئيسي (قيوم)







بئر قديمة ويظهر الساقي الرئيسي (القيوم) على يمين الصورة
والمنحاة في عمق الصورة بمحاذة الجدار الحجري

وحيضان وهي الحياض والأحواض (جمع حوض). ويدخل الماء في الحوض أو الشرب عبر مقسم يسمى المِعْرَاض أو المْعَدَل، وهو كمية من الطين تسد بها الفتحة التي يدخل الماء عبرها للحوض أو الشرب أو يسد بها الساقي، عندما يراد دخول الماء إلى أي منها. ومن الأحاجي التي يرددها العامة «وش الشيّ اللي ما يشرب لين يِقْطَع راسه؟» أي ما هو الشيء الذي لا يشرب إلا إذا قُطع رأسه؟ ويقصدون به الحوض أو الشِّرب. ومن الأمثال المرتبطة بهذه المنطقة أيضاً قولهم «سرو معراض» وهو مثل يقال للشخص المنعم المرفه الرقيق الحال، الذي لا يحتمل المشاق، لأن سرو المعراض يكون رقيقاً ضعيفاً وطويلاً لا يستطيع تحمل الشمس أو الحر. وتختلف أشكال الأحواض والأشراب وأحجامها، وتتعدد الأسماء المتعلقة بها تبعاً لاختلاف المحاصيل والمناطق. وسنفصل الحديث عن ذلك لاحقاً عند التطرق للمحاصيل المختلفة.

ويطلق على من يقوم بتوزيع الماء وتوجيهه وتحويله من مكان إلى آخر الرايس أو الكالف في معظم مناطق المملكة، كما يسمى المُحَوِّل أيضاً، في بعض المناطق الجنوبية الغربية كالطائف وعَطَوِي في الباحة لأنه يعمل بعطاء أي







ساقٍ فرعي (سري)

أجرة، والساقـي أو المُسْقي ومَعَلـي في عسـير وجازان والقـنفذة، وعامـلْ في نجران، والمُـفَجّرِ في حـائل. والرايـس كـالسـانـي يردد عـدداً مـن الأغـاني والأهازيج، التي تبعد عنه الملل والسأم والنعاس؛ يقول الشاعر:

كم كـالفٍ قد رخـص عنده مـقامـه
لى صـرصرت علقـانها بـالمصاليـب
لـى قـربت ذروه وبـنـت الجـهامـه
مـحّالـها مـثل الـبنـي المخـاضيـب

وهكذا يشترك في عملية الري داخل المزرعة شخـصان على الأقل في وقت واحد. أحدهما هو الرايس (الكالف)، والثاني هو سائـق الحيوانات في المنحاة الذي يعمل مع حيواناته لاستخراج الماء من البئر، ويعرف بالساني. وقد تطـلق عليه أسماء أخرى مثل السائق أو الساقي أو العامـل في بعض المـناطق الجنوبـية الغربية. والسـاني والكالف قد يكونان من الأُجراء الذين يـعملون عند المُزارع مقابل سهم من المحصول أو أجرة معينة، وقد يكونان من أفراد عائلة المُزارع. فإذا ما كانا من الأجراء (العمال أو الصبيان) (والواحد صِبِي)، ويقال عنه إنه ضمّ أو هو ضامّ عـند فلان (صاحب المـزرعة) الذي يسمى المعزّب، ويتحدد نظام العمل ومدته تبعاً للاتفاق مع صاحب المزرعة (المعَزِّب). فقد يشترط العمل ليلاً ونهاراً، أو من قبل صلاة الفـجر (طلوع النجم الفلاني) حتى صلاة العشاء وهكذا. وفي







رياسة الماء

هذه الحال على العامل أو الصبي أن يقوم بعمله بصورة مستمرة، فإن لم يستطع فيمكن له الاستعانة بأحد أقاربه لبعض الوقت.

أما إذا كان الساني والكالف من أفراد عائلة المُزارع، فعادة يتناوب الاثنان العمليتين، بل ويكون هناك بعض الأفراد الآخرين الذين يعملون معهما لبعض الوقت، حتى يتسنى لكل منهما أن ينال وقتاً من الراحة.

**الاشتراك في ملكية البئر.** الشائع في معظم مناطق المملكة أن يكون مالك البئر (القليب) أو الوكرة، وهي المكان الذي يتجمع فيه الماء من البئر الرئيسي وتقام عليها السواني، شخصاً واحداً أو عائلة واحدة، أي أن البئر تكون خاصة بمزرعة واحدة، ولذا فليس هناك أي عوائق تعوق استغلال المُزارع لهذه البئر. فله أن يستغلها كيف يشاء ومتى يشاء وبالكمية التي يحتاجها، حسب قدرته على توفير حيوانات السواني ومعداتها. وأحياناً قد تشترك مزرعتان (مزارعَان) أو أكثر في ملكية بئر واحدة، فيوزع الماء بينهما بالأيام، حسب نصيب كلٍ منهما. فيأتي أحدهما بسوانيه، ويسني ليوم أو يومين ويترك المكان لشريكه، فيسني للمدة نفسها أو حسب أسهمهما واتفاقهما. وفي هذه الحالة ليس هناك سوى منحاة واحدة وحوض مياه واحد (اللزا)، وقد يكون هناك جابية واحدة أو جابيتان.





أما الطريقة الأخرى لاستغلال البئر بين المُزارِعَين، فهي أن يكون لكل منهما منحاة وحوض ماء (لزا) وجابية خاصة به، ويسني الاثنان في الوقت نفسه. وتكون المنحاتان في جانبين متقابلين من البئر، وكل واحد منهما يذهب ماؤه عبر (لزاه) وجابيته إلى مزرعته. ويسمى هذا النوع من الآبار في نجد بالقلبان ذات الفرغين. ويكون هذا النوع، دائماً، من القلبان الكبيرة غزيرة المياه، ويكون شكلها غالباً مستطيلاً حتى لا تتشابك الغروب بعضها ببعض. ونظراً لكبر حجم هذه الآبار فعادة يعمل بها ثماني سوانٍ في وقت واحد، كل أربع منها في منحاة، وتسمى القليب المثمونة أي ذات الثمانية غروب. وعندما تكون القليب وافرة المياه فلكل مزارع أن يسني متى شاء، وأن يضع في منحاته من الغروب والسواني العدد الذي يريد، على شرط ألا يحدثُ ذلك إرباكاً لشريكه. أما إذا كانت المياه قليلة أو يخشى عليها من النضوب، فعادة يتفق الشريكان على مدة السني (الصدر)، وعدد الغروب لكل منهما، خاصة في الفترة الأخيرة من نمو الزرع (وقت الشرّبة) حيث تزداد الحاجة إلى المياه، في حين تنخفض مياه الآبار بشكل ملحوظ.

أما في المناطق الجنوبية الغربية، فالاشتراك في ملكية البئر الواحدة بين أكثر من مزارع يعد أمراً شائعاً. فقد يشترك اثنان أو ثلاثة بل حتى خمسة مزارعين في ملكية بئر واحدة، ويكون لكل منهم مزرعة مستقلة عن الآخر. وتعدد الشركاء للبئر الواحدة في هذه المناطق، راجع إلى صعوبة حفر الآبار وتكاليفها الباهظة، والمدة الطويلة التي يستغرقها حفر البئر وطيها وتهيئتها للعمل. لذلك كان نظام الاشتراك في ملكية البئر الواحدة، المخرج الوحيد لكثير من المزارعين منذ القدم. وكانت حصة كل مزارع من الماء تخضع دائماً لحجم الأراضي الزراعية التي يمتلكها. ويظهر هذا التوزيع في جميع هذه المناطق على نمط واحد، حيث تقسم الأراضي الزراعية إلى حلق، والحلقة هي مقدار ما يمكن للمزارع أن يحرثه في يوم، وكل أرض زراعية قد تكون حلقة أو نصف حلقة أو أكثر من ذلك، وكل حلقة لها يوم في الري. وهذا يعني أنه قد يكون لبعض المزارعين أربعة أيام أو خمسة، في حين يكون لمزارع آخر يوم واحد أو نصف يوم.

ووفقاً لهذا النظام فإن كل مزارع يعرف دوره ومدته، ولا يمكن لأي مزارع أن يتقدم على الآخر في نوبة الري. ويسمى





دور المزارع في الري الطوف في الطائف والباحة ونجران، والنوْب في عسير. وإذا استصلح مزارع أرضاً جديدة مقابلة لأرضه القديمة أو مجاورة لها، فليس من حقه أن يطالب بنصيب جديد من البئر، ولكن له أن يرويها من نصيبه المحدد سلفاً. فإذا كان له أربعة أيام فإنه لا يزيد عليها، ويمكن أن يوزع الماء خلال هذه الأيام أينما يشاء داخل أرضه الزراعية. وكما تتحدد حصص المزارعين من الماء تبعاً لمساحات أراضيهم الزراعية، فإنهم أيضاً يقتسمون تكاليف الحفر والطي والصيانة تبعاً لذلك. وغالباً ما تكون هذه القسمة بين المزارعين الشركاء موثقة في وثائق تتوارثها الأجيال. أما الآبار الحديثة نسبياً فإن المشاركة فيها حسب الاتفاق. فقد لا يكون معيار تقسيم الحصص مساحة الأرض الزراعية بل قدرة المزارع على المساهمة في تكاليف البئر. فقد يرغب مزارع لديه القدرة المالية على دفع نصف تكاليف البئر، أن يمتلك نصف عدد أيام الري، في حين يدفع آخران التكاليف الباقية بالتساوي ويكون لكل منها ربع أيام الري.

وعوضاً عن الاشتراك في ملكية البئر فقد يشترك مزارعان أو أكثر في استغلال بئر إحدى المزارع لزراعة أرضها لقاء نصيب من الزرع للمالك. ويبلغ في معظم الأحيان عشر المحصول، وتسمى هذه العملية في نجد المِقْضَاب أو القضابة أو المزارعة. فيحضر كل من الشركاء سانية أو سانيتين، ويتحمل الشركاء سوياً جميع أعمال الزراعة، كالسني والرياسة والحصاد والري وغيرها. كما يتقاسمون تكاليف شراء البذور وأجور العمَّال وغيرها من التكاليف ويكون مزرعهم واحداً. وبعد الحصاد يتقاسم الشركاء المحصول، بعد أن يخصموا حق المالك والعمال. وقد يكون مالك البئر والمزرعة أحد الشركاء، فيكون له حق الملكية (العشر) أما سهمه من التكاليف والمحصول فكبقية الشركاء الآخرين.

**صيانة البئر.** تتفاوت الآبار في حاجتها للصيانة تفاوتاً كبيراً، حسب قوة جوانبها أو ضعفها، وكونها بئراً مطوية ومحكمة أو غير ذلك. كما أن للمناطق المحفورة بها البئر، شأناً رئيسياً في التأثير على البئر من هذه الناحية. فالآبار المحفورة في مناطق رملية تتعرض دائماً للهدد وسفي الرمال التي تحملها الرياح من المناطق المجاورة، أما تلك الآبار المحفورة في مناطق صخرية أو قاسية (عزا)، فأقل عرضة لتراكم الرمال في قاعها.

وبوجه عام فالآبار تحتاج دائماً إلى صيانة منتظمة، بمعدل مرة واحدة ما بين

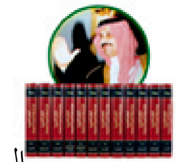




كل سنتين إلى خمس سنوات، لتنظيفها مما قد يتساقط فيها من رمال وأحجار، وما قد ينتج عن تهدم لبعض أجزائها. وتكون هذه العملية عادة في الفترة التي تقل فيها المياه في البئر، أي عندما تغور المياه ويحل موسم الجفاف. فينزل عدد من الرجال إلى قاع البئر ويملأون الزنابيل الكبيرة (المحافر)، بما يكون قد تجمع في قاع البئر من الأتربة والأحجار. وترفع هذه الزنابيل الحيوانات، باستخدام محَّال السانية. وتدعى المواد المستخرجة من جوف البئر النثيلة، كما تعرف العملية بالاسم نفسه، فيقال «فلان ينثل بئره» أي ينظفها مما سقط فيها من أتربة وأحجار. وإذا كان هناك اشتراك في البئر أسهم جميع الشركاء في عملية التنظيف، أو اقتسموا التكاليف، حسب حصة كل منهم من مياه الري، إذا استأجروا عمالاً للتنظيف والصيانة.

أما النوع الآخر من صيانة الآبار وإصلاحها فلا يخضع لوقت معين، بل يجب أن يشرع فيه فوراً حال حدوثه. ويكون ذلك عندما تتعرض البئر لخراب شديد، يتعذر معه استخدامها، كأن يتهدم أحد جدران الطي أو جميعها لأي سبب من الأسباب، خاصة عندما يجتاح البئر سيل قوي، أو يتلف الخشب الذي بنيت فوقه جدران البئر، إن لم يكن لقاعدتها طبقة صلبة، أو يتآكل بمرور الزمن. وقد يكون تهدم جدران البئر المطوي ناتجاً عن تسرب الماء من الحوض (اللزا) في بعض الحالات، مما يؤدي إلى تهدم الجدار الواقع أسفله وسقوطه في جوف البئر. وتزداد مثل هذه الحوادث، كتهدم الجدران وسقوط اللزا، في حالة الآبار غير المطوية، أو تلك المغلفة بالأخشاب وجذوع النخل ونحوها. ففي مثل هذه الحالات يبادر الفلاح بإصلاح الخلل بإزالة ما وقع في قاع البئر، وتنظيفها وإعادة طي ما تهدم، أو صف الأخشاب على الجدران مرة أخرى. وغالباً ما يهب جيران الفلاح وأقرباؤه لمساعدته في ذاك الوقت العصيب، خاصة إذا كان العمل لا يحتمل التأخير، كأواخر فترة الزرع (وقت الشَّربة)، حيث لا بدّ من الري وإلا هلك المحصول. وتسمى عملية المساعدة هذه في المنطقة الوسطى فزعة. كما تسمى في غيرها عونة.

وبعض آبار الباحة عرضة لسقوط الثيران فيها إما في حالة هيجان وتمرد، أو أثناء المرور من جانب فوهة البئر خطأ، وعندما يصيح الناس القريبون من الحادث يُهرع أهل القرية بحبالهم، وينزل بضعة رجال إلى الماء ليوثقوا الثور بالحبال حتى لا يغرق وبعد أن يربط جيداً يرفعه الذين حول رأس البئر إلى خارجها فإن نفق





قام أهالي القرية بتعويض صاحبه كل على قدر استطاعته وما يقدم له يسمى غرمْ.

**الآبار الأنبوبية اليدوية.** ظلت القلبان والسواني الطريقة الوحيدة للوصول للمياه الجوفية واستغلالها في مختلف مناطق المملكة لقرون عديدة. ولم تبرز أي طريقة أخرى للوصول إلى هذه المياه الجوفية إلا في منتصف القرن الرابع عشر الهجري (١٣٥٠هـ)، عندما ظهر إلى الوجود آلة شبيهة إلى حد كبير بالحفارات الميكانيكية الموجودة حالياً وتسمى الدقّاق، ولكنها كانت تعتمد على القوة العضلية للإنسان بدلاً من الرافعات والمركبات. وقد عرفت هذه الآلة في أماكن محدودة من نجد كالقصيم والسر والخرج وبعض المناطق الأخرى. وظلت حتى في هذه المناطق تستخدم على نطاق ضيق. ولما كانت هذه الآلة لم تنتشر إلا بعد بداية اكتشاف النفط وحفر آباره في المنطقة الشرقية، فالراجح أن تصميم هذه الآلة قد تأثر إلى حد كبير بالحفارات الميكانيكية هناك حيث لم تكن بعد قد عرفت الآلات الميكانيكية للوصول للمياه الجوفية.

وتتألف آلة الحفر الدقاق أو الحديد، كما يطلق عليها أحياناً، من عدة أجزاء هي:



القناره

القِنّارة: وهي ثلاث قوائم من الخشب أو الحديد، يثقب أحد أطرافها ثم تربط بعضها ببعض بشكل جيد بحبل يدخل من هذه الثقوب. وقد تربط هذه الأطراف بطريقة أخرى. ثم ترفع هذه الأخشاب الثلاث، وتركز في الأرض بحيث تشكل أطراف الخشبات الثلاث (قواعد القنارة) مثلثاً متساوي الأضلاع.

المحالة أو البكرة: وهي بكرة صغيرة من الحديد أو الخشب تثبت في أعلى القنارة.

الرشا: وهو حبل قوي من الليف أو أسلاك الحديد ويوضع فوق المحالة. ويتصل أحد طرفيه بيد حديدية أسفلها عتلة. أما النهاية الأخرى للرشا فتستخدم لرفع العتلة وإنزالها.







العامل ممسك بعتلة الدقاق

العتلة: وهي آلة حفر وتشبه العتلة في حفر الآبار اليدوية ولكنها أكبر منها حجماً وأثقل، وتصنع من الحديد الصلب المطروق، وتوجد تحت اليد الحديدية التي يمسك بها الرجل الذي يتولى توجيه عملية الحفر. وعندما يستمر الحفر ويكون عمق البئر أبعد من طول العتلة، توصل العتلة من أعلى بأسياخ من الحديد، تكون متصلة بيد القيادة والتحكم.

الميزانية: وهي خشبة طويلة، تتصل بطرف الرشا الآخر، حيث يربط في طرفيها حبل وفي منتصف هذه الوصلة (الحبل) يربط الرشا. وعند هذه الخشبة يوجد عدد من الرجال (من اثنين إلى خمسة رجال) مهمتهم أن يدوسوا بأرجلهم على هذه الخشبة، ثم يرفعوا أرجلهم عنها، ويدوسوا مرة أخرى. وتبعاً لحركتهم ترتفع العتلة وتنزل، داخل الحفرة المراد حفر البئر فيها، وتكون في مركز القنارة تماماً. ويتولى الحفار (استاد الحفر) توجيه العتلة، بيد القيادة والتوجيه التي يمسك بها فيهزها يمنة ويسرة ويصب بعض الماء لتسهيل عملية الحفر.

العارضة: وهي خشبة تثبت بين القائمين القريبين من الميزانية، على ارتفاع حوالي ١٣٠سم، ومهمتها أن يستند عليها الرجال العاملون على الميزانية، فلا يندفعون مع حماس العمل نحو البئر (الجبو). كما تربط الميزانية من الخلف بحبلين (طنبين) وتثبت في الأرض، حتى يحافظ على توازنها.

الشفّاط: وهي آلة من الحديد تشبه الماسورة، ولكنها أخف منها وتكون مغلقة من أسفل وأعلى عدا فتحة دائرية تكون في أحد جوانبها من أعلى، كما تكون في نهايتها العليا حلقة أو يد يربط بها الرشا عند الحاجة. ويستخدم الشفاط لتنظيف البئر من تراب الحفر بين فترة وأخرى حيث يكون هذا التراب على شكل طين وغرين ممزوج بالماء. فعندما يحفرون بوعين أو ثلاثة، يكون جوف البئر (الجبو) مليئاً بهذا الخليط من الطين والماء، وعند إنزال الشفاط يدخل الطين







عمال يدوسون على (الميزانية)، وهم يمسكون بـ(العارضة)

والماء مع فتحته العليا وعندما يمتلىء يرفع ويفرغ ثم يعاد مرة أخرى حتى ينتهي ما في جوف البئر من هذا الخليط ليبدأ الحفارون مرحلة أخرى من الحفر وهكذا.

وعند بداية الحفر يكون حجم فوهة البئر حوالي عشر بوصات أو أكثر بقليل، ويستمر حفر البئر وتنظيفها من طين الحفر حتى الوصول إلى قرب الطبقة الجوفية الحاملة للماء (جبل الماء)، حيث يتم إنزال مواسير التغليف، قطرها ما بين خمس إلى ست بوصات حتى الوصول إلى الجبل، ثم تغلق الفتحات الموجودة على جوانب هذه الماسورة. وبعد أن تكتمل هذه العملية التي تشبه عملية الكيسنج في الآبار الحديثة، يستأنف الحفر حتى الوصول إلى الماء.

وكما كانت هذه الطريقة في حفر الآبار مقتصرة على تلك المناطق التي تتمتع بارتفاع مستوى الماء الأرضي ووجوده تحت ضغط جوفي، فإن المياه من هذه الآبار تندفع إلى أعلى وتتدفق مع هذه الماسورة تلقائياً، لتجري على سطح الأرض، ولذلك كان يطلق عليها عيونْ في تلك المناطق. وكان عدد من المزارع يعتمد عليها، خاصة مزارع النخيل.

وقد استمر هذا النوع من الآبار في التدفق حتى شيوع الحفر الآلي للآبار وانتشار المضخات الميكانيكية منذ سنة ١٣٧٠هـ تقريباً، مما أدى إلى سحب المياه الجوفية بكميات هائلة، وإلى هبوط مستويات المياه الجوفية. فتوقف هذا النوع من الآبار عن التدفق.



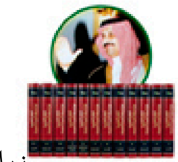
# زراعة الحبوب والخضار والفواكه

نتناول هنا إنتاج الحبوب الغذائية الشتوية مثل القمح والشعير، والصيفية مثل الذرة والدخن، في هذه البلاد، قديماً وحديثاً. وبعد ذلك ننتقل إلى الحبوب الأخرى كالأرز وما في حكمها مثل السمسم.

## القمح والشعير

القمح من أهم الحبوب الغذائية في هذه البلاد قديماً وحديثاً. وكان المزارعون في العصور الماضية يحرصون على زراعته والإكثار منه، لأنه يشكل الغذاء الرئيسي لمعظم السكان في ذلك الوقت. وكانت زراعته منتشرة في مختلف أنحاء المملكة. ولا يستثنى من ذلك إلا سهول تهامة التي لا تناسب ظروفها المناخية زراعة هذا المحصول، فيستعاض عنه بزراعة الدخن والذرة. ومع أن القمح أكثر أهمية من الشعير عند جميع المزارعين، إلا أن كثيراً منهم يحرصون على أن يخصصوا جزءاً من أراضيهم لزراعة الشعير في كل عام. ويرجع ذلك إلى أن الشعير لا يحتاج إلى وقت طويل لاكتمال نضجه، كما أن احتياجه للماء أقل. ولذلك يُكثر المزارعون في المناطق التي تعتمد الزراعة فيها على الأمطار والسيول من زراعة الشعير، لأن الرجاء في الحصول على إنتاج وفير منه في حالة تذبذب الأمطار، أكبر منه في حالة زراعة القمح. أما المناطق التي تعتمد على الري من الآبار أو العيون، مثل المناطق الشمالية والوسطى والشرقية والمدينة وينبع، فكان التركيز على زراعة القمح، ولم يكن يخصص للشعير إلا مساحات قليلة.

ويختلف الهدف من زراعة الشعير من منطقة لأخرى. ففي المناطق الوسطى والشمالية يزرع الشعير أساساً علفاً للحيوان، خاصة حيوانات السواني.





ولذلك يزرع الشعير قبل القمح في العادة، ويحصد ما بين خمس وسبع حصدات، قبل أن يترك لتنمو سنابله وتحصد لتكون بذوراً للموسم القادم ولذا يعد رخيصاً موازنة بالقمح، وفي المثل «لِحْيَة يرضيها صاع الشعير وش تزعل منه» لحية: يقصد الإنسان، وش: لأي شيء، تزعل: تغضب، ويعني المثل أن الإنسان الذي يرضيه القليل من الأمور لا حاجة لإغضابه. وفي سنوات القحط، كان الناس يأكلون من ورق الشعير، عندما يكون غضاً ويسمى في القصيم القصيل، ويؤكل ما دام ورقه غضاً، بدون إضافات. أما في الشمال فيسمى الخافور ويعقف ورقه الغض ويوضع في وعاء، ثم يذر عليه الملح المسحوق، ويؤكل كوجبة غذائية في النهار وأحياناً في الليل. ويمضي الفقراء من الناس في أكله من شهرين إلى ثلاثة، حتى تقسو أوراقه قبيل أن تخرج سنابله. ويخلط علف الشعير عادة مع الأعشاب والأشجار البرية، كالثمام والعرفج والرمث وغيرها، لإطعام حيوانات السواني. ولا يستخدم الشعير غذاء للإنسان في هذه المناطق، إلا على نطاق ضيق، خاصة في الفترة السابقة لنضوج القمح، لأن الشعير يحتاج إلى فترة أقصر لاكتمال نموه ونضجه. وأحياناً يبدأ الناس في أكله قبل أن ينضج تماماً، حيث تحمس سنابله بالمقارص ويطحن ويخلط مع التمر. ويطلق على الشعير المعمول بهذه الطريقة في بعض المناطق اسم السَّوِيْق أو الحميس كما يسمى كذلك البَسِيْس. أما في السروات، فالهدف من زراعة الشعير هو استخدامه غذاءً للناس، خاصة إذا لم يتوافر القمح أو الذرة. وعندما يكون إنتاج المزارع من القمح والذرة قليلاً، فإنه يعمد في الغالب لخلط الشعير مع أي منهما لإعداد الوجبات الغذائية المختلفة، ويسمى البغيث. وإذا كان البُر مخلوطاً بالشعير فإنه يسمى المشعورة.

والقمح أصناف عدة تختلف في أسمائها واستخداماتها من منطقة لأخرى. وعموماً فإن هناك نوعين رئيسيين من القمح أولهما القمح الطري أو اللين (الحنطة) أو (الصمَّا)، والثاني هو القمح الصلب (اللقيمي). ويستخدم النوع الأول في عمل القرصان والمرقوق والمطازيز، ويدخل تحته أنواع فرعية منها الصماء السوداء وتسمى الهلباء في بعض المناطق، والصماء البيضاء وتعرف في بعض المناطق باسم المْعَيَّه نسبة لأنها تعيي، أي تمتنع عن فصل السنابل. ومن أبرز خصائصها، أنها صعبة التفتت من سنابلها، ولذا فعند دياستها تبقى كمية



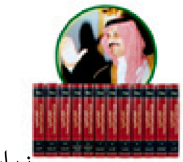




حقل قمح

كبيرة من السنابل على حالها دون أن تنفرط حبوبها، ولذلك فلا بد من دقها بعد دياستها، حتى تنفصل حبوبها عن سنابلها. أما إذا رغب المزارع في تخزينها، فإنها تخزن على شكل سنابل، وتبقى سنين طويلة دون أن تتلف أو تتأثر. ومن أنواع القمح الطري أيضاً الجريباء، ومن خصائصها أنها بدون شعاع (سفا) (واحدتها سفاة)، وأنها إذا نضجت تساقط حبها من سنابلها، ولذا يحرص المزارعون على حصادها قبل أن تجف وتيبس. ومن هذا النوع أيضاً الصماميّة والبذرة ونقية في الزلفي، والسمراء والعربي في نجران، والهميس والعسيرية والمابية في عسير وسائر مناطق الجنوب.

أما النوع الثاني، وهو القمح الصلب (اللقيمي)، فيستخدم لعمل أنواع أخرى من المأكولات أهمها الجريش في المنطقتين الوسطى والشمالية، والهريس والمفلق في المنطقة الشرقية. ويدخل تحت هذا الصنف أنواع متعددة من القمح، منها اللقيمي العربي وهو أفضلها، ومنها الطيارة وهي أسرعها نضجاً، ومنها المتليقمة، ومنها السويداء والرقاد وغيرها. وفي حين يطلق على معظم أنواع القمح الطري اسم الحنطة تندرج الأنواع الأخرى تحت اسم القمح أو اللقيمي.





ويوجد في الفقرة من منطقة المدينة المنورة نوعان من القمح هما الزرَّعية، ولون حبوبه بيضاء ومكتنزة، والآخر السندية، وحبوبه نحيفة يميل لونها إلى الاحمرار. وقمح الزرَّعية أجود لعمل القرصان أو الفطير.

ومن أنواع القمح في الباحة؛ الصيب، والسمرا، والمابية، والخولانية وأفضلها النوعان الأولان، وهي أساس صناعة الخبز، والقرصان والدغابيس والمثريّة.



سنابل قمح

والشعير أيضاً أنواع عدة من أشهرها نوعان؛ هما الشعير العربي والجهيلي. ويطلق على الشعير العربي في بعض المناطق اسم أبو دوسه، وهو ذو قصب طويل وسنابل طويلة، ولكن حبوبه غير متراصة وإنتاجه قليل. ويزرع هذا النوع، عادة، في المناطق الوسطى، مخلوطاً مع القت (البرسيم) ويستخدم علفاً للحيوان. أما النوع الثاني فهو الجهيلي، في بعض المناطق، كما يدعى الشعير الكرز في مناطق أخرى، وهو ذو قصب متوسط الطول وسنبلته قصيرة، ولكنه أكثر تفرعاً وأغزر إنتاجاً، وحبوبه بيضاء سريعة الاستواء. وهناك نوع من الشعير يميل إلى الاحمرار، وتنمو الحبوب فيه على الجانبين من السنبلة، وهي حبوب كبيرة وصلبة، واسمه أبو جنيبة، وهو قليل الانتشار. وكان الناس في بعض المناطق يبيعون القمح لارتفاع سعره فيشترون بثمنه حاجاتهم من ملبس وخلافه أما الشعير فيحتفظون به لغذائهم وربما خلطوه بالقمح، وبعضهم يجعل منه علفاً للمواشي.

كما أنهم يشوون سنابل الشعير عند نضجها وقبل حصادها ويأكلونها وهم يعملون في الحقول بخاصة أيام الحصاد. ويستخدم اليوم الشعير علفاً، كما

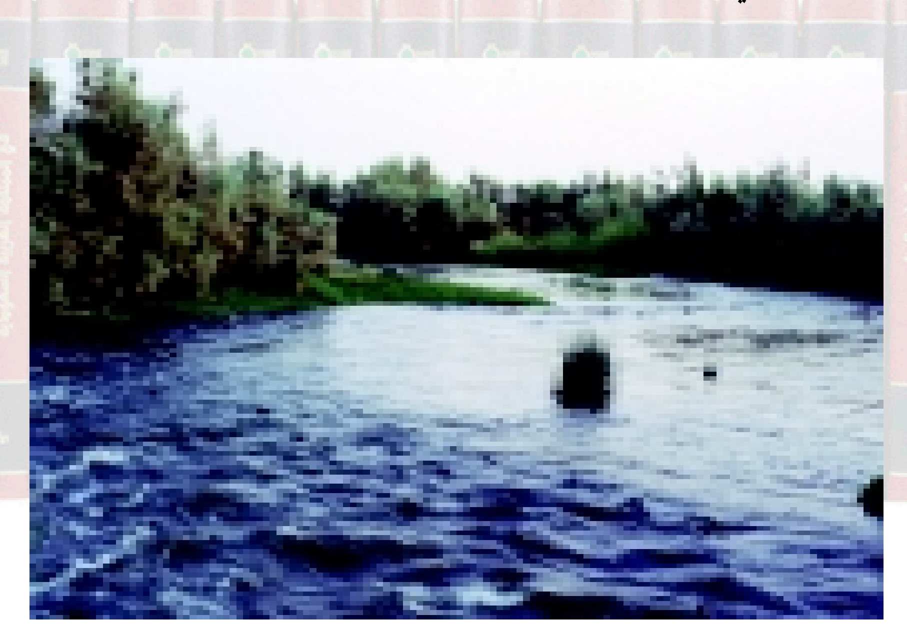




يستخدمه بعضهم بديلاً للقهوة، هروباً من الكافيين الموجود في القهوة.

ويتشابه القمح والشعير تماماً، سواء من حيث موسم زراعتهما، أو في مجمل العمليات الزراعية التي يتبعها المزارع لزراعتهما، بدءاً من وضع البذور في الأرض، وانتهاءً بالحصاد والدياسة وتنقية الحب. وسنتتبع مجمل هذه العمليات على النحو التالي:

**تسوية الأرض وتسميدها.** تحتاج الأرض المزمع زراعتها بالقمح والشعير، عادة، إلى تهيئة وإعداد قبل وضع البذور، ويحتاج الزرع إلى أرض لينة؛ أما الأرض الصخرية التي يعسر شقها فلا تصلح لذلك، فلا أمل في زرعها كما لا أمل في زرع سطح المنزل الصلب؛ قالوا في المثل «ترى التَّمنِّي مثل زرَّاع طايه» أو «كثر التمني مثل مطاخ ماها» الطاية: هي سطح البيت؛ يضرب هذا المثل لمن يعيش على الآمال التي لا نتيجة لها إلا ضياع العمر. ويقولون «ما هي بالشرهة على اللي يزرع بالطايه، الشرهة على اللي يديِّنه» أو «ما الشرهة على زارع بالسطح، الشرهة على اللي يثمنه» الشرهة: ما تشره إليه النفس، وتتطلع إلى الحصول عليه. معنى المثل، ليس الملوم الذي يزرع في السطح، وإنما الملوم هو الذي يداينه لكي يفعل ذلك؛ يضرب المثل لمن أعان على فعل منافٍ للمنطق. ويشمل إصلاح الأرض تنظيفها من الشجيرات والأحجار والرمال غير



بحيرة من مياه السيول





المرغوب فيها. وتتفاوت أهمية هذه العملية من منطقة إلى أخرى. ففي المناطق التي تعتمد على الري من الآبار أو العيون، قد لا يُحتاج إلى هذه العملية بتاتاً أو أنها قد تعمل أحياناً على نطاق ضيق، وفي وقت قصير. ويختلف الحال تماماً في المناطق التي تعتمد على الأمطار والسيول، سواء تلك التي توجد على ضفاف الأودية، أو على سفوح الجبال، حيث تجلب السيول عبر السواقي والخلجان كميات كبيرة من الرمال والأحجار، التي قد تغطي، في حالة الفيضانات الكبيرة، جزءاً كبيراً من هذه الأراضي. وتسمى هذه الرمال والأحجار المتراكمة في المنطقة الجنوبية الغربية النِّثْله، وهي لا بد من إزالتها باستخدام المحرِّ الذي تجره الثيران، والتخلص منها بإلقائها في بطن الوادي أو إلى جانب المزرعة في سفح الجبل. وإذا كانت الرمال قليلة فقد تستخدم المسحاة والزنابيل للتخلص منها.

ومن الجدير ذكره أن السواقي والخلجان التي تربط بين الوادي والمزارع، أو تمتد من أعلى الجبل نحو المصاطب والمدرجات الزراعية على سفحه، مهيأة دائماً لاستقبال مياه السيول لإيصالها للأرض الزراعية، سواء كانت مزروعة أو متروكةً من دون زراعة، لأن هذه الخلجان تحمل مع الماء تربة جيدة وأوراقاً للأشجار تكون بمثابة سماد للأرض. ولكن إذا زاد حجم هذه السيول فإنها غالباً ما تحمل معها مواد غير مرغوب فيها، مثل الرمال والحجارة الكبيرة، وهي مواد يجب التخلص منها، وإزالتها قبل الشروع في الزراعة.

ومتى نظفت الأرض تماماً من الأحجار ونحوها، يشرع المزارع، عادة، بوضع السماد البلدي (العضوي) وتفريقه داخلها. وتتفاوت الحاجة إلى السماد، تبعاً لطبيعة الأرض المزروعة ومدى حاجتها إلى السماد. ففي المناطق الوسطى والشمالية، حيث تكون المزارع أوسع، يتبع المزارعون نظام تبوير الأرض أو تحييلها ولذلك لا تحتاج الأرض، عادة، إلى سماد. ويصور لنا المثل الشعبي أهمية وجود حيالة في المزرعة قالوا «نخل بلا حياله، مثل إبل بلا خيَّاله» أو «نخل بلا حياله مثل خيل بلا خيَّاله» المراد بالنخل هنا حائط النخل. وخيَّالة: جمع خيال وهو فارس الخيل. ومعنى المثل أن حائط النخل بدون أرض زراعية مكشوفة تابعة له كالإبل أو كالخيل بدون فرسان؛ يضرب المثل على أهمية وجود الأشياء التابعة إلى جانب الأشياء الأساسية، فالبستان من دون أرضٍ ملحقة به يظل ناقصاً، والخيل بلا فرسان لا تجد من يحميها. ويقوم هذا النظام على قاعدة





دورة الأراضــي، أي أن المزارع لا يـزرع القـطعة الـواحدة من الأرض موسـمين متتالين، بل يزرعها عاماً ويتركها في العام الذي يليه لتستعيد خصوبتها، بينما يزرع قطعة أخرى إلى جوارها لم تزرع لمدة عام أو أكثر. ويقال في المنطقة الوسطى فلان حيّل الأرض أي تركها حولاً على الأقل من غير زراعة حتى تسـتعيد خصوبتها. والواقع أن هذه الطريقة لا يـقتصر أثرها على زيادة خصوبة الأرض وعدم حـاجة المزارع إلى تسميدها فقط، وهو أمرٌ يمكن القيام به بشيء مـن الجهد والمال، بل إن هذا النظام يقضي على الأعشاب والنباتات الطفيلية التي تنمو مع المحصول مثل الثيّل الذي يضرب به المثل لشدة انتشـاره وقوة تمسكه بالأرض؛ قالوا «عرق ثَيِّلَه» الثيلة: واحد الثيل وهو نبات يشبه النجيل، أي هو كعرق الثيل ثابت في الأرض متشعب الجذور لا يمكن اقتلاعه بسهولة؛ ويضرب المثل للأمر لا يسهل التخلص منه بيسر، كما يسـاهم في تقليـل إصابة المحصول بالأمراض المختلفة. وبوجه عام فقد يلجأ بعض المزارعين، رغم تبويرهم لأراضيهم، إلى تـسميدهـا أحياناً، رغـبة في زيـادة خصوبتها والحصول على محصول وفير. وهذا هو الإجراء الذي ينبغي أن يُجرى. ويقـال في المثل «إذا أردت المـال وغَلب الرجال، ازرع حيال على حيال»؛ أي ازرع أرضاً محيلة على سابقة محيلة، فتكسب وتفوز.



حيالة





أما في المناطق ذوات الحيازات الزراعية الصغيرة، مثل بعض المناطق المعتمدة على الري من العيون في المناطق الوسطى والشرقية والمدينة المنورة، أو تلك التي تتصف بضيق الأراضي الصالحة للزراعة، مثل معظم المنطقة الجنوبية الغربية، فالمزارع في الغالب لا مجال لديه لاتباع نظام تبوير الأرض، فهو يزرعها كل عام. بل إن المزراعين في بعض المناطق، كما هو الحال في المنطقة الجنوبية الغربية، يزرعون أحياناً الأرض نفسها شتاءً بالقمح والشعير، وصيفاً بالذرة والدخن. ولذلك فإن المزارعين في هذه المناطق يلجأون في الغالب لتسميد الأرض قبل الزراعة، وإلا كانت النتيجة هبوطاً حاداً في إنتاج المحصول، وتُحَمِّل المزارع خسائر فادحة. وأسلوب تسميد الأرض قبل زراعتها بالقمح، أسلوب واحد ومتشابه في معظم مناطق المملكة. فالمزارع يعمد إلى نقل السماد العضوي، من حظائر الحيوانات التي يمتلكها إلى مكان مخصص لتجميعه، مجاور للمنزل أو المزرعة، ويبقى السماد عاماً أو نصف عام حتى يشمس. وقد يشتري المزارع السماد من الآخرين في حالات قليلة، وينقله إلى الأرض المزمع زراعتها. وتستخدم الحمير عادة في نقل السماد البلدي من حظائر الحيوانات إلى المزارع، وقد تستخدم الإبل أحياناً خاصة في المناطق الجنوبية. وينقل السماد على ظهور الحمير في المنطقة الوسطى داخل وعاء يدعى الوِقْر، أو المنقله وهو مصنوع من خوص النخل ويشبه ظرف الرسائل المفتوح، ومقاسه ١٥٠سم ×٧٥سم تقريباً. أما في المناطق الجنوبية فيستخدم الهَجِيْر، أو المِرْبَده وتوضع على ظهر الجمل. والأول يصنع من شعر الماعز، أما الثاني فيصنع من جلود الجمال أو الأبقار. والمربدة أصغر من الهجير وتستخدم عند عدم توافر الهجير. أما إذا نقل السماد على ظهور الحمير فتستخدم مربدة أصغر حجماً. وفي الباحة يصنع وعاء نقل السماد من سعف النخيل ويسمى الحصيرة، وتكون حصيرة الجمل أكبر من حصيرة الحمار، كما يسمى أيضاً المربد.

ويطلق المزارعون على السماد العضوي (البلدي) المأخوذ من مخلفات الحيوانات أسماء عدة، ففي المناطق الوسطى والشمالية يدعى الدّمال، وفي المنطقة الشرقية يدعى السماد والعطن، في حين يطلق عليه في المناطق الجنوبية اسم الدِمْن أو الدُّمُن بكسر الميم أو ضمها. كما تعرف عملية نقل الدمن من مكان







الحصيرة (الوقر)

تجميعه إلى المزرعة في هذه المناطق بالسفايَة، فيقال «فلان يسفي» أي ينقل السماد إلى مزرعته. ويطلق على هذه العملية في الأحساء السِّراية، ويقال «فلان يسري»، ويسمى المكان الذي يجمع فيه السماد المحَطّ. أما في الباحة فيُقال لمن ينقل السماد من قرب البيت إلى المزرعة أنه يندر الدمن، ويندر هنا بمعنى يُهبطِ. ويوضع السماد في الأرض المراد زراعتها على شكل أكوام منسقة التوزيع، تختلف المسافة بينها بمقدار حاجة الأرض للتسميد وكمية كل كوم. والكوم عادة يتألف من حمولة ما في الهجير أو الوقر أو المربدة مرة واحدة. ويدعى الكوم من السماد في بعض المناطق كُبَّه فيقال: فلان يكب الدمن أو السماد من على ظهر الجمل أو الحمار، أي يقلبه على الأرض بحيث يأخذ شكل كومة دائرية هرمية. وبعد أن يوزَّع السماد البلدي في الأرض، على شكل أكوام، يبدأ المزارع بتفريقه، لينتشر في مختلف أنحاء الأرض الزراعية، تمهيداً لخلطه مع التربة الزراعية أثناء الحراثة. وتستخدم عادة المساحي والمحافر والمناسيف لتفريق السماد وتوزيعه. وفي بعض المناطق، كالمناطق الجنوبية الغربية، تقوم النساء في الغالب بهذه المهمة، ولكن التوزيع في هذه الحالة يكون بالأيدي حيث ينثر السماد في جميع الاتجاهات، ويقال «فلانة تَبُثُّ الدمن»، أي تنشره وتوزعه.





وعندما ينتهي المزارع من توزيع السماد في مزرعته، تكون الأرض بعدئذ جاهزة للحرث، وخلط السماد بالتربة، ثم مسحها لتصبح جاهزة لنثر البذور والحراثة، إذا نزلت الأمطار خلال تلك الفترة، حيث تجعل عمل الحراثة أكثر يسراً. وفي هذه الحالة يكون المزارع قد وضع بذوره على العفير، أي على رطوبة ماء المطر. أما إذا لم تسقط الأمطار بعد توزيع السماد، أو قبله بفترة وجيزة فإن المزارع في معظم الأحيان، خاصة إذا كانت الأرض قاسية وشديدة، يقوم بري الأرض ثم يتركها لعدة أيام قبل الشروع في وضع البذور. ويطلق على هذه الرية في معظم مناطق الجنوب البَغْرَه، فيقال «فلان يَبْغُرُ أرضه» أي يرويها، استعداداً لبذر القمح أو الشعير، أو حتى الذرة أو الدخن. وإذا ارتوت الأرض من السيل يقال «بَغَرها السيل»، أما إذا ارتوت من المطر مباشرة فيقال «ابْتَغَرَت الأرض من قيسها من السماء» أي مباشرة من السماء، دون ري من الآبار أو سيول الأودية والشعاب. وفي نجران يطلق على هذه الرية تَحمِيم الأرض، أو حمّها فيقال «فلان يُحمِّم الأرض» أي يرويها قبل البذر. وفي الأراضي التي تغمرها السيول يقوم المزارع وعائلته بعد ذلك، وقد يكون قبل البذر بيوم أو يومين، بإبعاد ما أتت به السيول من الأحجار الصغيرة والأعواد الخشبية، حتى تكون الأرض نظيفة تماماً قبل وضع البذور. ويؤدي هذه العملية البسيطة الأطفال الصغار من بنين وبنات، وتدعى في مناطق الجنوب التَبْشِير. وبعد أن تروى الأرض، سواء من المطر أو من مصدر آخر، وتنظف من الأحجار الصغيرة وغيرها تصبح جاهزة لوضع البذور والحراثة.

**الحراثة والبذر.** بعد تهيئة الأرض للزراعة بتسويتها وتنظيفها من الأحجار والأشجار ونحوها، يشرع المزارع في وضع بذور القمح والشعير في الأرض وحرثها بعد ذلك مباشرة. ويبدأ موسم بذر القمح والشعير في الفترة الممتدة من بداية الوسمي (منتصف شهر أكتوبر) إلى منتصف المربعانية (٢٠ ديسمبر). ويبدأ المزارعون في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية في وضع البذور في الأرض قبل المزارعين في المناطق الوسطى، كما أن المزارعين في المناطق الوسطى يبدأون موسم زراعة القمح قبل المناطق الشمالية.

وأفضل الأوقات لبذر القمح والشعير في المناطق الوسطى من المملكة، هي الفترة الممتدة من أواسط الوسمي (منتصف نوفمبر) حتى منتصف المربعانية





(منتصف شهر ديسمبر). وكان أغلب المزارعين في هذه المناطق يزرعون القمح والشعير في الفترة من منتصف الوسمي، حتى منتصف المربعانية، أي إذا صار نجم الثريا يغرب عشاءً، وهم يتّبعون في ذلك مثلاً زراعياً توارثوه جيلاً بعد جيل؛ يقول:

إلى طلعت الثريا من عْشيّا
ترى زرع الشتا قد تهيا

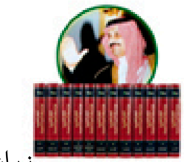
أي إذا طلع نجم الثريا وقت صلاة العشاء الآخر، فذلك بداية وقت زراعة القمح. أما في المناطق الجنوبية فعادة يبدأون البذر مع بداية الوسمي، وهم يتَّبعون المثل نفسه ولكنهم يفسرون العشيا هنا بصلاة المغرب، وهو اصطلاح متعارف عليه قديماً على نطاق واسع؛ وقد يروى المثل في بعض المناطق هكذا «إذا غابت الثريا من عشيا، عيشك من زريعك تهيا»؛ أي يمكن أن تحصل على عيشك منه لأنه قارب الاستواء والنضج. والقمح والشعير الذي يزرع من بداية الوسمي حتى بداية المربعانية يطلق عليه الزرع الربعي، أما الذي يتأخر عن ذلك حتى أواخر المربعانية وشباط، فيطلق عليه الزرع الصيفي. والأول أفضل وأغزر إنتاجاً؛ لذا فإن معظم المزارعين يختارون التوقيت الأول، ما لم يكن هناك سبب قاهر للتأخير، كحدوث خلل في البئر أو عدم قدرة المزارع على توفير البذور وحيوانات السواني في الوقت المحدد.

وفي منطقة المدينة المنورة (ألاب والفقرة) يزرع الشعير في الحقول البعلية (الرياض) التي تقع في الأودية، أما القمح فتفضل زراعته في المناطق الباردة وبخاصة أعالي الجبال مثل الفقرة. وحقول الجبال يغلب الطين على أرضها، أما رياض الوديان فتغلب النثيلة على أراضي حقولها.

ويزرع الشعير في أطراف الحقول (الرياض) لغلبة النثيلة على تربتها أما وسط الحقول (الرياض) فيغلب عليها الطين فتكون أصلح لزراعة القمح. وفي الأراضي الجبلية الباردة يزرع الشعير أيضاً ولكن زراعة القمح غالبة.

أما إعداد الأرض فيبدأ من تخليصها من النجم (النجيلة) وذلك بعزق الأرض عزقاً عميقاً، والنجم أخطر الحشائش التي تنشأ في الأطيان.

وفي الفقرة حيث تنتظم الحقول في الشعاب مُشكِّلَة سلسلة من الحقول (الرياض) كفقرات الإنسان عند تكرار هطول الأمطار وجريان الغيلان من أعالي الشعاب مروراً بالحقول مما يتطلب تصريفها تفادياً لأضرارها؛ فإن المزارعين يعمدون





إلى مد قناة تتوسط الحقول من أعلاها إلى أسفلها حيث الجسر باتساع خمسة عشر سنتيمتراً تتجمع فيها المياه الزائدة وتنصرف إلى فتحة صغيرة في الجسر فتفيض منها، وهكذا في سائر الحقول، وهذه الفتحة غير المفيض، وهي مصرف الزائد من مياه السيول، ترتفع عن سطح الحقل كثيراً بينما تلك تنخفض عنها.

أما السماد فيسمونه في وادي الصفراء كرْمه وله موسم معين (الخريف) فيقال «فلان يكرم بلاده» أي يسمدها، ويُنشر السماد ثم تُعزق الأرض ثم يُسوَّى سطحها وهذا يخص المزارع التي تروى من العيون، أما الحقول البرية فإنه يندر تسميدها لأنها تزرع مرة واحدة في العام (قمحاً أو شعيراً) وربما زُرعت مرة أخرى بطيخاً وقثاء، وتبقى فترة طويلة معرضة للشمس.

وفي الأحوال العادية يكون المزارع مع اقتراب موسم زراعة القمح والشعير، قد جهز بذوره، وأعد عدته، ووفر ما يلزم من نفقات، وأصلح ما يلزم من أدوات ووسائل. والواقع أن عملية انتقاء البذور الجيدة للموسم الجديد، تبدأ في الغالب قبل فترة طويلة من ذلك، أي في نهاية الموسم السابق عند جني المحصول، وفصل الحبوب وتنظيفها. ففي هذه الفترة، يعمد المزارع، عادة، إلى اختيار أجود الأصناف وأنقاها من الشوائب، ويخزنها في مكان منفرد يختلف عن المكان الذي تخزن فيه الحبوب المخصصة للاستهلاك والأكل. وقد يصل حرص المزارع على هذه الحبوب المنتقاة، التي سيستخدمها بذوراً في الموسم القادم، إلى تعليقها بالسقف، أو وضعها في غرف النوم، حتى لا يتم استهلاكها بطريق الخطأ أو النسيان. وكثير من المزارعين يعمد إلى التقاط سنابل القمح أو الشعير الذي سيتخذه بذوراً في حالة الاستواء قبل عملية الحصاد، ينتقيه سنبلة سنبلة، خاصة اللقيمي الذي يسمى المُعَرَّبَة. فيأتي زرعه في العام القادم نقياً صافياً وكأنه سنبلة واحدة. أما إذا لم تتوافر لدى المزارع أنواع جيدة بعد الحصاد، تصلح أن تكون بذوراً، إما لرداءة الموسم أو لاختلاطها بحبوب الشعير، أو لأي سبب آخر، فإن المزارع يلجأ في هذه الحالة إلى الاستدانة من مزارع آخر أو من التجار على أن يسدد لهم عند الحصاد وجني المحصول.

وعندما يحين وقت البذر، يبدأ المزارع بنثر حبوب القمح أو الشعير وبثها في مختلف جوانب الأرض المراد زراعتها، ويلي ذلك مباشرة حرث الأرض، وتغطية هذه الحبوب بقلب التربة عليها،





سواء باستخدام المساحي، أو باستخدام المحراث الذي تجره الحيوانات (الجارَّه). ويطلق على المحراث اسم السبط في الفقرة وما حولها ويتكون من:

الضمد: وهو ساق خشبية توضع على كتفي الثورين.

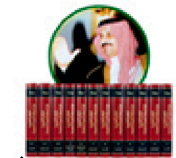
السبط: وهو خشبة يعانق طرفها الأعلى منتصف الضمد وتشد عليه برابط من حبال ويفرغ هذا الطرف بمقدار سمك الضمد من حيث تلاقيهما. أما الطرف الآخر فيتصل بالأرض وهو ذو عقفة تثبت فيها اللومة.

اللومة: سكين حديدية مثلثة وحادة الرأس مثقوبة الطرف الآخر بمقدار ما يدخل في طرف السبط. وهي عربية قديمة؛ جاء في لسان العرب «واللؤمة: جماعة أداة الفدّان، قاله أبو حنيفة، وقال مرة: هي جماع آلة الفدّان حديدها وعيدانها... وقال ابن الأعرابي: اللؤمة السنّة التي تحرث بها الأرض».

القائم: عصا تثبت في طرف السبط من ناحية الأرض يمسكها الحارث لتثبيت المحراث والشد بها عليه لتعميق الحراثة، وتشكل مع السبط زاوية قائمة.

الحبال: وتستخدم إما لشد المحراث حين يستخدمه الرجال أو لتثبيت المحراث على الدابة.

وفي حين يطلق على حبوب القمح والشعير البذر في معظم مناطق المملكة، تسمى الذَرْو في المناطق الجنوبية. وتسمى عملية نثر الحبوب البذر، في المناطق الوسطى فيقال «فلان يبذر العيش أو الصمَّا أو اللقيمي» أما في المناطق الجنوبية فاسمها النِفْح أو السَفْح، ويقولون «فلان يَنْفَحُ الحب» أي يذري أو ينثر الحب، لينتشر في أرجاء الأرض المراد زراعتها، كما يسمى البذر الخفيف بالمنطقة الشمالية النبل أو التنبيل. ومن المألوف أن تلهج ألسنة المزارعين عند البذر بالدعاء إلى الله، أن يبارك لهم في زروعهم وأن يطرح فيها الخير والبركة. ومن الأدعية التي يرددها المزارعون في المنطقة الجنوبية الغربية (الباحة)، بهذه المناسبة قولهم «اللهم إنه من أيدينا في يدك، وإنا متوكلون عليك، وحالنا ما يخفى عليك، اللهم اجعله لنا ولمن شبَره، إلا الشابر اللعين، ذرينا لنا وللشابرين، وللطيور النافرين». ومن أقوالهم أيضاً «للطير وشبّار الخير» أي أنهم لن يمنعوا محصولهم حتى عن الطير، أما «شبّار الخير» فهو الفقير الذي يأمل أن ينال حظاً من المحصول. ومعنى ذلك أنهم إذا أكرمهم الله بمحصول وفير، فسوف يكون ذلك المحصول طعمة للطير وكذلك





للفقير من الناس، ولن يحرمه حيوان أو إنسان يحتاج إليه.

وتعد حراثة الأرض وتسويتها بعد عملية البذر مباشرة، أمراً ضرورياً ولازماً للعملية الزراعية حتى لا تأكل الطيور - خاصة طيور القوبع والعصافير- الحبوب فيذهب جهد المزارع هباء منثورا. ولذلك يعمد المزارع، عند بذاره الأرض، إلى بذر مساحة من الأرض، يستطيع أن يحرثها في اليوم نفسه، ثم ينتقل إلى قطعة أخرى، فيبذرها ويحرثها في اليوم التالي، وهكذا حتى ينتهي من الأرض التي يريد زراعتها في ذلك العام. ونظراً للخطر الكبير الذي تشكله الطيور في هذه المرحلة، فإن المزارع قد يقوم أحياناً بعملية إضافية لحماية بذوره من الطيور. وتدعى هذه العملية في المناطق الوسطى والشرقية نْهامة الزرع، كما يُسمى من يقوم بها النَهَّام أو المندد أو المهيهي. وأدوات النهامة هي المِقْلاَع والمِرْجَامَة، وهما متشابهان في استعمالهما وصنعهما ويستخدمان لرمي الأحجار إلى مسافات بعيدة، في مواجهة الطيور فتطردها وتبعدها عن الحقل والبذور.

والمرجامة أو المرجمة نسيج من الصوف أو الليف أو نحوهما، على هيئة كف الإنسان، ويزيد المقلاع على المِرْجَامَة بأن له أذنين يتصل بهما مسباقان. والمسباقان حبلان، يبلغ طول كلٍّ منهما متراً تقريباً، ويربط كل منهما بطرفي المقلاع أو المرجامة، ويكون في طرف أحدهما عروة ضيقة بقدر إصبع خنصر اليد، يدخل فيه النَّهام خنصره لتبقى مشدودة في يده. أما الحبل الثاني فيبقى طليقاً. ويضع النَّهام الحجر أو مجموعة الأحجار في المقلاع أو المرجامة، ثم يمسك بطرفي حبليها، ثم يومئ بها عدة مرات بقوة، ثم يطلق الحبل الطليق، فتقذف الحجر بعيداً في مواجهة الطيور فتفزعها. ولزيادة إفزاع الطيور يلجأ النَّهام أحياناً، إلى وضع ذؤابة دقيقة في طرف المسباق الطليق وعند إطلاقه بقوة يكون لها صوت مرعب. وتصنع هذه الذؤابة من لحاء شجر الأثل، أو سعف النخل أو ليفه أو من أشجار أخرى كشجر السلب في عسير، وتسمى هذه الأداة الصرقاعة في المنطقة الشرقية والمنطقتين الوسطى والشمالية؛ ومن ذلك قول الشاعر:

والله لين سلمت يالعصفور
لاحط في المقلاع صرقاعه

ويطلق على هذه الأداة المصقاع في الطائف وبني مالك وثقيف، والمِفْقَاع في عسير وجازان والقنفذة، كما تسمى المفراج في نجران.





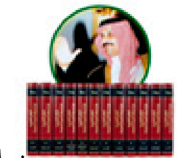
وجدير بالذكر أن النهامة لا تقتصر على فترة بذار الزرع، بل هناك فترة أخرى للنهامة، هي فترة تكوُّن الحب في السنابل، حتى حصاد الزرع وتخزينه. وقد يستخدم لطرد الطيور كذلك أقمشة أو ثياب تُشّد على أعواد تحركها الرياح، وتسمى مهبوبْ وفي الوسطى تسمى مخيولْ أو مخيالْ. كما تستخدم صفائح توضع الحجارة داخلها، فتصدر صوتاً عند مرور الريح عليها، فتُفزع الطيور وتطردها.

ويلي نثر البذور في الأرض حراثتها، إما بالمساحي أو بالمحراث. وتستخدم المساحي في حراثة الأرض عادة في الحيازات الصغيرة، خاصة في المناطق الوسطى. أما في المنطقة الشرقية فحراثة الأرض بالمساحي للأرض الصغيرة والكبيرة. وتتم عملية البذر والحرث بنثر الحبوب في قطعة من الأرض وحراثتها في اليوم نفسه. وتسمى عملية حراثة الأرض بالمساحي العزق، فيقال «فلان يعزق الأرض» أي يحرثها بواسطة المساحي، كما يطلق عليها أيضاً التَضْريب، وفي الأحساء تسمى النذار فيقالَ «فلان ينذر الأرض». وحرث الأرض بهذه الطريقة، عملية تعاونية في الغالب ويسمى هذا التعاون في نجد مداوسْ، يشترك فيها المزارعون متعاونين.

كما قد يستأجر المزارع أحياناً بعض العمال لمساعدته في هذه العملية. ويجري بين الرجال والشباب كثير من استعراض العضلات، والمنافسة في درجة إنجاز العمل، حيث تجرى المباريات في أيهم يسبق إلى طرف الحقل الأول، وذلك بأن يمسك كل واحد بصف من الحياض تسمى الجنب، ويبدأون من نقطة واحدة من أحد أطراف المزرعة إلى طرفها الثاني. ومن يصل أولاً، مع إتقان العمل، فقد كسب السبق. ويجري خلال هذه العملية (العزق)، مثلها مثل العمليات الزراعية الأخرى كالسني والحصاد، ترديد الأهازيج التي تبعث في النفس البهجة والحيوية والنشاط؛ ومن الأغاني التي يرددها العاملون في التضريب قول حميدان الشويعر:

ما يفك الحذر
من سهوم القدر
ياهبيل العرب
لا تكد القصب

والحراثة (النذار) باستخدام المساحي (العزق)، عملية شاقة ومضنية، وتستمر طوال اليوم، حيث يعمل المزارعون والعمال من طلوع الشمس حتى وقت الأصيل، بل أحياناً حتى غروب الشمس. وتقتضي حراثة الأرض بشكل جيد تعميق





المساحي في الأرض أثناء حراثتها وشمول الحرث للأرض كـلها دون ترك بقع لـم تحرث أو حرثت بدون قلب تربتها، لأن ذلك يترك بقعاً في الزرع. والحراثة بهذا تحتاج إلى جهد كبير من العمال، وهو ما يقتضي حاجتهم إلى غذاء جيد (دَسْم)، يُمُدُّهم بالطاقة ويزيد من نشاطهم. ولكن معظم المزارعـين في ذلك الوقت كانت أحوالهم المادية متواضعة، ولا يستطيعون أن يطعموا هؤلاء العمال، إلا ما يتيـسر من البُّر، وغالباً ما يخلطون معه القَرَع، والقرع لمن يعمل بالمسحاة ويحرث الأرض غير ذي فائدة غذائية. ولذلك فإن هؤلاء العمـال الأجراء أو من قدَّموا المـساعدة للمزارع عونة منهم، قد يتغنون في هذه الأحوال بأبيات من مثل:

يـامـعــازيـبـنـا لا تحـطــوا قــرع
فـــان حـــطـــيـــتـــوا قـــرع
أبـــشـــروا بـــالـــبـــقـــع

بمعنى أنه ما دام طعامهم القرع فإنهم سيخففون من جهدهم في عمل المساحي فلا يعمقون الحراثة، وهذا من أكبر عيوب حراثة الأرض حيث تنتشر فيها البقع غير المزروعة. ومن المألوف أن يـقيم المزارع بعد انتهاء بذر المحصول وحراثته وسقيه للـمرة الأولى، ولـيـمة دسـمـة لتكريم المتعـاونين معه. وتـدعى هذه الولـيـمة الختامة.



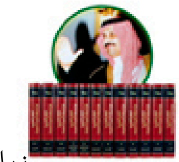
حراثة الأرض





أما الطريقة الأخرى لحراثة الأرض بعد وضع البذور فيها، فبالمحراث الذي يجره جمل أو زوج من الثيران. ويتكون المحراث من ثلاثة أجزاء رئيسية، أحدها خشبة يبلغ طولها ما بين ثلاثة أمتار إلى ثلاثة أمتار ونصف تسمى القايد أو السكة أو الجرْو وهي مشقوقة من نهايتها، بثقب يدخل منه حبل الرشا الذي يربط بالجمل أو الثيران لتجره. وعند النهاية الأخرى لهذه الخشبة، توجد خشبة أخرى تثبت بها ومائلة نحو الأمام، وتنتهي بسن من الحديد وهو الذي يتولى شق الأرض وحراثتها، أثناء سحب الحيوانات المحراث، ويدعى هذا السن الدِّماغ أو اللسان أو السَّلب. وفوق الدماغِ، تثبت عصوان بإدخالهما في ثقبين أُعدا لهذه الغاية، ويرتفع كل منهما بمقدار متر تقريباً، ومهمتهما أن يمسك بهما الرجل الذي يتولى الحراثة، ويوجه بهما المحراث حتى تكون خطوط الحرث مستقيمة ومتراصة، فلا يبقى بقع لم تحرث. ويطلق على هاتين الخشبتين الرفيعتين اسم السيفين، كما تسميان في بعض المناطق السكان تشبيهاً لهما بمقود السيارة. وتسمى في الباحة الأستق، وهي عصا بطول ٨٠سم، وفي رأسها مقبض يمسكه الفلاح أثناء الحرث بيده اليمنى ويمسك سوطاً بيده اليسرى يحث به الثيران إذا أبطأت أو انحرفت عن مسارها. ومزارعو الباحة يحرصون على أن تكون عملية الحرث دقيقة، وتشكل نقشاً في الركيب، وأن تكون خطوطها مستقيمة لا مقوسة. والمحراث لفظ شائع للدلالة على هذه الأداة في مختلف أنحاء المملكة، ولكنها تعرف بأسماء محلية متعددة مثل الشرخ والسِكَّه، في منطقة حائل وسائر المناطق الشمالية، والجارَّة والمحرثة في معظم مناطق نجد، والسحب في المناطق الجنوبية والغربية.

وفي حين يختار أغلب المزارعين ذوي الحيازات الصغيرة، خاصة في المناطق الوسطى والشرقية والشمالية، الحراثة بأسلوب العزق أو التضريب بالمساحي، فإن أصحاب الحيازات الواسعة، غالباً ما يفضلون الحراثة بالمحراث (الجارَّة). ومن ناحية أخرى يعتبر الحرث بالمحراث (السحب)، هو الأسلوب الشائع في بعض المناطق، خاصة المناطق الجنوبية الغربية. والحراثة بالمحراث الذي تجره الإبل أو الثيران، عملية متشابهة في جميع أنحاء المملكة، حيث يعمد المزارع إلى نثر حبوب البذر في قطعة من الأرض، يستطيع حراثتها في اليوم نفسه، ثم يبدأ عملية الحراثة حتى يكمل حراثة ما بذره.





ولا يشذ عن هذه القاعدة العامة إلا منطقة الأحساء وبعض مناطق عسير، كسراة عبيدة، حيث لا ينثر الحب قبل الحراثة، بل بعدها. فيسير شخص خلف المحراث، ليضع حبوب القمح أو الشعير أو غيرها في خطوط الحرث التي تعرف بالثَلَمْ. ويقوم الرجال عادة بعملية الحراثة بالمحراث، كما هو الحال بالنسبة للختام والحراثة بواسطة المساحي، لأن هذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي، يتمثل في دفع المحراث والضغط عليه أحياناً بالرجل ليدخل في الأرض، خاصة في الأراضي الزراعية الصلبة. وتصاحب عملية الحرث أحياناً عملية تنقية الأرض من بعض النباتات التي لا تزول أثناء الحرث، وتعرف في مناطق الجنوب باسم النَّجْمَه. فهذا النبات لا بد من جمعه مباشرة بعد الحرث، لأنه إذا ترك ينتشر بسرعة فيما بعد، ويصبح ضاراً بالقمح والشعير وغيرهما من الحبوب. وقد يشترك في عملية جمع النجمة، جميع أفراد الأسرة، خاصة إذا كانت النجمة واسعة الانتشار.

وتجري عملية الحراثة باستخدام جملين أو ثورين، فيربط المحراث بهما في خشبة توضع فوق غاربيهما، تدعى مقرن الثيران. وإذا كان الجمل أو أحد الثورين أو كلاهما غير مدربين تدريباً جيداً، فلا بد في هذه الحالة من شخص يقودهما، ويمسك بحبل مربوط بهما، ويسير في خطوط مستقيمة متجاورة، حتى تكون خطوط الحرث كذلك. وقد تقوم المرأة بهذه المهمة، إن كان المزارع وحيداً ولا أجير (صبي) لديه. كما أن المرأة تقوم بأعمال أخرى في عملية الحرث، كإطعام الإبل أو الثيران، وتجهيز أكل وشراب العُمَّال وإحضاره لهم. وفي حالة الضرورة تقود المرأة الإبل التي تجر المحراث.

وكما يحدث عند الحراثة بالمساحي، يردد المزارعون الذين يحرثون أراضيهم بالمحراث، العديد من الأهازيج التي تبعد عنهم، وعن حيواناتهم، السأم والتعب؛ ومن الأهازيج التي تردد في منطقة الباحة على سبيل المثال قولهم:

يالله اليوم يا ربي
ياعوينا لطلابه
يالذي تنبت الحب
يابس يوم نذرا به

وقول الشاعر:

أبا اوصيك ياولدي حب حقك
قليلك يغنيك عن أهل الكثير
ومنوك ذولا، وغروك ذولا
تعود على قدمك تستدير



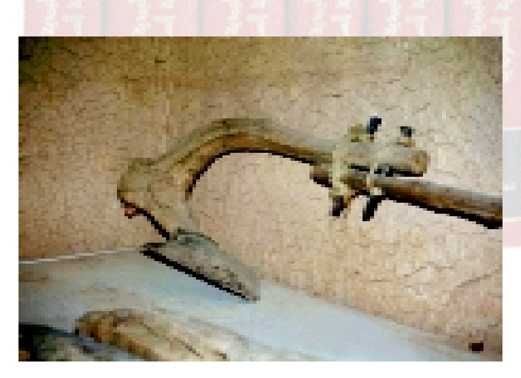


فهذا الشاعر يوصي ابنه بأن يحب مزرعته، ويقبل على العمل فيها فقليلها يغنيه عما بأيدي الناس ولو كان كثيراً.

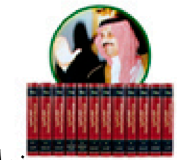
وتتباين الأراضي حسب طبيعتها، في شكل وكثافة الحرث. فالأراضي ذات التربة الهشة، تحرث مرة واحدة. ويقال في هذه الحالة إن هذه الأرض يكفيها وجه حرثٍ واحد. أما إن كانت الأراضي صلبة وقاسية فغالباً ما يعمد المزارع إلى حراثتها مرتين في اتجاهين متعاكسين. وفي هذه الحالة يقال إن الأرض تحتاج لوجهين من الحرث. وعندما تكون الأرض وسطاً بين الحالتين المذكورتين، فالمزارع يكتفي بوجه واحد من الحرث، إلا أن خطوط الحرث لا بد أن تكون متجاورة، بل متراصة. وفي هذه الحالة يقال إن هذه الأرض بحاجة إلى تدقيق الحرث، أي جعل خطوطه متراصة أو متقاربة. وبعد أن يتم المزارع عمل وجه أو وجهين من الحرث، بعرض أو طول القطعة الزراعية، يُنهي عمله بحرث المناطق القريبة من حدود تلك القطعة، أي المناطق التي تنتهي عندها خطوط الحرث. فيحرث على الأقل عشرة خطوط بشكل متعامد مع الخطوط السابقة، حتى يضمن ألا تبقى هذه النهايات صلبة، بل محروثة ومفككة التربة فتساعد على دفن البذور وانتشارها. ويطلق على هذه العملية الختامية تَمْخِيْر الأرض، فعندما يُمخّر المزارع أرضه، يكون ذلك دلالة على أن الحراثة على وشك الانتهاء في تلك القطعة الزراعية، أو على الأقل الانتهاء مما يجب أن يحرثه في ذلك اليوم.

**أدوات الحراثة والبذر.** تتشابه أدوات الحراثة بشكل كبير وإن اختلفت في مسمياتها، أو أسماء بعض أجزائها. وتنفرد بعض المناطق في المملكة العربية السعودية أحياناً بأداة أو أداتين، قد لا توجد في مناطق أخرى.

يعد السحب أو الحرّاث في منطقتي الطائف والباحة، هو الأداة المستخدمة في حرث الأراضي الزراعية وتجره الثيران أو الإبل. ويتكون الحرّاث من أربعة أجزاء، كلها من الخشب، باستثناء جزء واحد يتكون من الحديد. الجزء الرئيسي



السحب (المحراث)





قطعة من الخشب الصلب، معقوفة من أحد أطرافها متخذة شكل زاوية حادة، يطلق عليها في نجد البرك، لكي يثبت بها قطعة من الحديد، تدخل في الأرض، وهذا الجزء يسمى السحب. أما الجزء الثاني فهو قطعة من الخشب، طولها حوالي متر ونصف، بها ثقبان من أحد طرفيها لكي تثبت في السحب، والطرف الآخر ينتهي بقطعة شبيهة بالكرة الصغيرة التي هي جزء من هذه القطعة الخشبية، ولكنها معمولة بهذا الشكل الدائري، كقبضة اليد ليسهل ربطها بالحبال (المقرنة أو المِضْمَدَة)، التي تقرن الثورين ليجرا السحب، ويسمى هذا الجزء الوصلة. والجزء الثالث قطعة خشبية أو قطعتان، بطول متر مدببة من أحد أطرافها ومعقوفة من الطرف الآخر، على شكل زاوية قائمة. وهذا الطرف المدبب يدخل في نهاية السحب، ويثبت في ثقب مخصص لذلك. والجزء العلوي الذي على شكل زاوية قائمة مقبض يمسك به الشخص الذي يحرث ويسمى التابع. أما الجزء الرابع فهو قطعة من الحديد مثلثة الشكل، من أحد طرفيها محدودبة من الظهر، ومنتهية بفتحة تدخل في الجزء السفلي من السحب، الذي على شكل زاوية حادة ويثبت بالطرق، وهذه القطعة الحديدية، هي التي تشق الأرض أثناء الحرث، وتسمى حديدة السحب أو السن ويمكن أن نضيف جزءاً خامساً وهو خشبتان طول كل منهما ١٥سم، ويدخلان في الثقبين الموجودين في الوصلة والسحب لربطهما معاً، ويسمى كل منهما صِكَاكْ. وقد يتكون السحب في هاتين المنطقتين الباحة والطائف من ثلاثة أجزاء فقط، ولكن انتشار ذلك النوع قليل جداً بمعنى أن السحب والوصلة جزء واحد. والهدف من جعله جزءين أي سَحْباً ووصلة، هو المرونة في التحرك أثناء الالتفاف في الحرث أما الوصلة الواحدة فأكثر عرضة للكسر. ويمكن للمزارع أو النجار أن يصنع السحب أو يشتريه من الأسواق الأسبوعية.

وتشبه أداة السحب السابق شرحها، ولكنها تختلف عنها ببعض الجزئيات والتسميات، الجارَّة أو المحراث أو المحرثة أو السكة أو الشرخ وجميعها أسماء لشيء واحد في معظم المناطق الوسطى والشمالية والشرقية من البلاد. وتتكون الجارَّة في هذه المناطق غالباً من أربعة أجزاء، هي المِقْوَد ويوصل طرفها بحبل جيد في قتب البعير أو الثور، الذي يجرها، من الجانبين؛ والبِرْك وهو خشبة



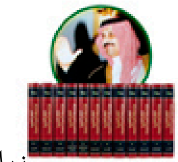


متينة وقصيرة، يتراوح طولها من متر ونصف إلى مترين ونصف، تثبت في خشبة المقود مما يلي طرفها ويثبت بها سن المحراث؛ والسِّن وهي صفيحة حديد صلبة ومتينة مستطيلة، ومحدد طرفها تثبت في خشبة البرك، وهي التي تشق الأرض؛ والسِّيْفَان وهما عودان قويان يثبتان في ظهر المقود فوق البرك، يمسك بهما من يقوم بالحرث، لتنظيم حرث التربة، وبهما يزن آلة المحراث ويثبتها في الأرض.

أما الشَّرْع فهو السّحب نفسه، ولكن هذه التسمية هي الرئيسية بل الوحيدة للمحراث في منطقة نجران. ويتكون من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول قطعة خشبية دقيقة من أحد طرفيها، وعريضة من الطرف الآخر، يربط طرفها الدقيق على رقبتي الثورين لسحب الشرع، أما الطرف الآخر العريض فتدخل فيه قطعة أخرى خلال ثقب مخصص لذلك. وهذه القطعة الخشبية هي الجزء الثاني من الشرع ويكون أحد طرفيها مثلث الشكل، وهو الجزء الذي يثبت به قطعة حديدية تدخل في الأرض أثناء الحرث، والطرف الآخر هو المقبض، ويسمى هذا المقبض عُرفْ، كما يسمى الجزء الأول مِعْنَقَه، أما الجزء الثالث قطعة حديدية، تدخل في الأرض أثناء الحرث تسمى سِنَّه. ويستخدم هذا النوع من المحاريث عند بذر القمح.



محراث (جهاز)





وهناك محراث آخر يُستخدم في نجران عند بذر الذرة، ويسمى أيضاً شرعْ، ويتكون أيضاً من ثلاثة أجزاء ولكنه مختلف نسبياً، ويكمن هذا الاختلاف في أن الجزء الأول؛ وهو المعنقة أو الثور معقوف من نهايته على شكل زاوية حادة، بمعنى أن هذا الجزء ملتحم بالجزء الأول، كما أن المقبض مجوف ومفتوح من الأعلى والأسفل وتوضع فيه البذور لتصب خلف السِنّة مباشرة، وسنته الحديدية أصغر من سِنّة محراث القمح، حتى لا تتعمق البذور وتتأخر في الظهور على سطح الأرض. ويستخدم الشرع الخاص بالقمح في منطقة عسير، وهو واحد من الأنواع الموجودة هناك، ولكن حجمه أصغر ويستخدم في المدرجات بشكل خاص، وتختلف أسماء أجزائه إذ إن الجزء الأول يسمى جَعْبْ والمقبض يسمى سُكّه والسنة تُسمى سَحْبْ. كما يسمون هذا النوع أيضاً الشُّعْبَه.

كما يشبه السحب في الطائف والباحة عُود الحَرث (اللُوْمَه) السِّلْبَ، وهذه الأسماء موجودة كلها في منطقة عسير، ولكنهم يسمون المقبض القَايِم ويسمون الجزء الذي به هذا القائم السلب، ولذلك يطلقون على المحراث كله أحياناً اسم السلب، لأن السلب يمثل الجزء الرئيسي. وقد نسمع كلمة عود الحرث، تطلق على المحراث في بعض أجزاء منطقة الباحة أو الطائف. وقد يكتفى بنطق كلمة عُوْد عند الحرث، فيُفهم من ذلك أنها عود الحرث، وكذلك الحال في القنفذة.

ويسمى السحب في بعض أجزاء عسير الجهاز، والملاحظ أن هناك تسميات عديدة للمقبض في منطقة عسير. فهذا المقبض في بعض الأماكن يسمى القائم، وفي البعض الآخر سُكّه وعند البعض الآخر يُسمى هُدْهُدْ.

ويختلف الحَلِي عن السحب في منطقتي الباحة والطائف، بوجود قطعة إضافية خامسة تستخدم عند بذر الذرة. وهذه القطعة عود مجوف في أعلاه محقان، أو بالأصح جزؤه العلوي شبيه بالمحقان توضع فيه حبوب الذرة، أثناء البذر، وجزؤه السفلي مثقوب تتساقط منه الحبوب أثناء الحرث. ويقع هذا الجزء بين المقبض والسِّنة الحديدية، ويسمى جِلاَبْ أو جَلَبْ. وتسمية الحلي موجودة في منطقة جازان وبعض الأودية المجاورة لها من الشمال، وهو موجود بالأجزاء نفسها في القنفذة والمناطق المحيطة بها، ولكن المحراث يسمى هناك عُوْد الحرث ويُسمى المقبض المَلْزَمَة في القنفذة كما يسمى السَاقه في جازان.





أما الشريع فهي أداة للحرث تختلف تماماً عن كل الأدوات السابقة، وتستخدم عند بذر الذرة. وهي عبارة عن قطعة خشبية مجوفة تنتهي بانحناء عند أحد طرفيها. وفي بداية هذا الانحناء يوجد ثقب لتسقط منه الحبوب أثناء بذر الذرة. وهذا الجزء المنحني هو الذي يدخل في الأرض ليشقها أثناء الحرث، من خلال وجود قطعة من الحديد مثلثة وشبيهة تماماً بحديدة السحب والشرع والجهاز والحلي وعود الحرث، وهذا هو الطرف السفلي. أما الطرف الآخر وهو العلوي، فينتهي بمقبض يعدّ جزءاً من هذه القطعة الخشبية المجوفة ولكنه إلى الجهة الخلفية أي إلى الجهة المعاكسة للانحناء من الطرف السفلي. ويتوسط هذه الأداة حلقة تأخذ الشكل المستطيل، وهي من الحديد مثبتة في هذه القطعة من الأمام ليُربط فيها حبل تجره الثيران أثناء الحرث. وتستخدم هذه الأداة في بعض من مناطق عسير، خاصة عندما تكون الرطوبة قليلة أثناء بذر الذرة.

أما المُنْدل فهو عصا طويلة في حدود مترين، تثبت في أحد أطرافها آلة حادة مدببة يصل طولها إلى ١٥سم، تستخدم عند بذر الدخن. وتُعرف هذه الأداة في منطقة جازان والأودية المجاورة لها، حيث يمسك المزارع بطرفها العلوي، ويدخل طرفها الحاد في الأرض ويحفر حفرة صغيرة ثم يضع فيها كمية من حبوب الدخن برؤوس أصابعه، ويمسح هذه الحفرة بقدمه ليغطي الحبوب.

وفي القنفذة وما جاورها، يستخدم المندل لبذر الدخن ويسمى المغراس. ويشبه المندل والمغراس المغراب ولكن قطعة الحديد المذببة أطول وأقوى، لأنها تستخدم لقلع النباتات الضارة التي بين نباتات الدخن والذرة.

والمِدْمَام أو الموساة أداة تسوية التربة بعد حراثتها، ولذا فهي مشابهة للمدمسة من حيث العمل ولكن المدمام كالمسحاة يستخدمه الرجال ولا تجره الحيوانات. والمدمام أو المسواة مشتق من ردم التربة وتسويتها، ويستخدم بوجه خاص في المناطق الوسطى والشرقية والشمالية. ويسمى في نجد الموساة. ويتكون المِدْمام من جزءين: رأس المدمام وهو خشبة مستطيلة وقد تكون على هيئة مثلث. وفي بعض المناطق تكون لها أسنان يثبت في وسطها ثقب واسع يركب فيه النِّصَاب. والشائع أن يصنع رأس المدمام من الخشب، ولكنه قد يكون أحياناً من الحديد، كما في حائل وبعض المناطق الشمالية والوسطى. وفي هذه الحالة يطلق





عليه غالباً المِنساف وليس المدمام أو المسواة. والنّصَاب أو يد المدمام، وهي عصا قوية وتركب في ثقب الرأس وغالباً تكون أطول من نصاب المسحاة لأن أغلب استعمالها في حالة الوقوف.

والمَقْصَب هو أداة من الخشب بكاملها، تشبه المدمام وتقوم بعمله. وهو قطعة خشبية مستطيلة بأبعاد ٤٠سم×٢٠سم، وله ستة أسنان طول كل سن ١٠سم وعرضها ٣سم تدخل في القطعة المستطيلة، قابلة للتغيير بين فترة وأخرى. ويستخدم المقصب في توزيع الأرض بعد بذرها ومسحها لتقسيمها إلى أحواض وسواق، وهو يسمى في منطقتي الباحة والطّائف المقصب، وفي منطقة عسير المِجْنَب ولا يستخدم في نجران. وهو يصنع من شجر الغَرَب.

**تسوية الأرض وتقسيمها.** بعد انتهاء عملية وضع البذور وحراثة الأرض، يصبح من الضروري تسوية الأرض ومسح خطوط الحرث وتغطية البذور بالتربة، ومن ثم تقسيم الأرض إلى أحواض أو أشراب. ويستخدم في ذلك أدوات متعددة مثل المسحاة والمنساف، والمدمام (المِدَمَّة)؛ وفي المدمام تقول إحدى الشاعرات:

ياخالك شال مدمامه
كداد ويكرب حْزامه
ياجعل الوقت ما ضامه

ومن أدوات التسوية أيضاً (المنساف)، وهو شبيه بالمدمام ولكن أداة التسوية فيه قطعة مستطيلة من الحديد بدلاً من الخشب. وفي المناطق الجنوبية تستخدم قطعة خشبية عرضها حوالي خمسين سنتيمتراً وطولها متر ونصف المتر يجرها ثوران. ويركب المزارع على هذه القطعة الخشبية لترتص التربة جيداً، وتعرف هذه الأداة بأسماء متعددة، فيطلق عليها المكَمّْ في نجران، والمِدْمَسة في القنفذة وبني مالك والطائف، والمِدْسَم في عسير. وتبعاً لذلك يطلق على عملية تسوية الأرض ومسح خطوط الحرث في سائر المناطق الوسطى والشمالية، اسم الدَّم فيقال «فلان يَدُم الأرض دماً» أي يسويها، في حين تعرف هذه العملية بالدمس أو الدسم في الطائف وعسير والباحة والدسم مقلوب عن الدمس.

وفي الأحساء بعد عملية الحرث الندارة، يقوم المزارع بعملية تكسير قطع التربة، إلى أجزاء صغيرة تسمى التكشيح. وتستعمل هذه الأجزاء الصغيرة في تغطية الطبينة، ثم تسوى الأرض وتقسم إلى أحواض. وقبل عملية الدمس





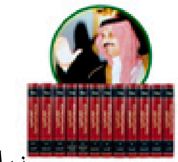
يقوم المزارعون في الـباحة بعملية زنَّاق الركيب، أي يتـتبعون الأماكن التي لم يصل المحراث إليها، كالأركان والأماكن الضيقة، فيحرثونها بالمسحاة.

وبعد الدمس يقسم المزارعون الأرض إلى حقول طولية تسمى الشُّطْيان وواحدها شطـي، ويقَّسم كـل حقل طولـي إلى أحواض متعددة ومتناسقة تسمى القِصاب وواحدتها قصبة.

وبـعد الـفراغ مـن مـسح الأرض وتسويتهـا، تأتي عملية تقسيـم الأرض إلى أحواض صغيرة أو أشراب، إذا كانت تعـتمد عـلى مياه الري من الآبـار أو العيون. أما الأراضي الزراعية التي تعتمد على مياه المطر، كأراضي الزراعة البعلية التي تنتشر في الرياض والقيـعان بجوار القرى الزراعية في سائر المناطق الشرقية والـوسطـى والشـمـاليـة، أو أراضي المدرجات الجـبلية في المنـاطق الجنوبية الغربية، فهذه تمسح وتسوى دون تقسيم، بل قد يكـتفى بحرثها بـعد بذرها دون مسحها وتسويتها، وبخاصة في المدرجات الزراعية الصـغيرة. ففي هذه الأراضي المعتمدة على المطر (الـزراعة البعلية) لا يقوم الفـلاح بأي أعمال إضافيـة، عدا حماية المحصول من الطيـر وتنظيفه من الأعشـاب الضارة. بل إن بـعض أهل البادية الذين يمارسون الزراعة البعلية في بعض المناطق كما في منطقة حائل (أجا وسلـمى ورَمّان)، قد يـبذرون الأرض ويحرثونها ثم يرحلون إلى منطقة أخرى ولا يعـودون إلا وقت الحـصاد لجـني المحصول. ومن الطبيـعي أن هذا النوع من الزراعـة يعتمـد نجاحه علـى نزول الأمطار وكميتها وتـوزيعها على موسم الزراعة.

وفي الفـقرة حيث الزراعة الـبعلية تحرث الأرض للتشـميس وتنظيفها من حشائش الـنجم وبقايا جـذور القمح. وعند ارتوائها من المطر تحرث ويبذر الحب وتسوى الأرض لـدفن الحبوب، وعنـد الإنبات تزرع المساحات والبقع الـتي لم تنبت وذلك بالشتل أو البذر ويصاحب هذه الـعمـليـة التخـلص المـبكـر من الحشائش، ولا يهمل المزارع زراعته من تفقدها من حين لآخر.

أما في الـزراعة المروية، سواء مـن الآبار أو العـيون، فيلي حراثـة الأرض وتسويتها تقسيمها إلى أحواض صغيرة، يفصل بـينها حاجز مـن التراب يُسمى المرز، وفي حائل يُسمى جاربة. ويتوسط كل مجموعة من الأحواض قنوات ري فرعية (سواقي أو سريان) تتفرع من قناة الري الرئيسية، وتروى منها الحياض على





الجانبين. وتقسم الحياض على جانبي كل ساق بأحجام متساوية ومنتظمة تكبر وتصغر تبعاً لدرجة استواء الأرض ومساحة القطعة الزراعية. ويقوم بتقسيم الحياض ونظامها العام شخص ذو خبرة في هذا المجال، خاصة في المناطق المعتمدة على الري من العيون، كما هو الحال في الأحساء والقطيف حيث يوجد أناس متخصصون في هذا المجال، يدعى أحدهم استاذْ وهو الذي يخطط الحياض (الأشْرَاب) ويعدلها ويساعد في وضع النظام العام للري، بحيث تكون الأحواض متساوية السطح فلا نتوء ولا انخفاض، وعادة ما تكون أجرته ضعفيْ أجرة العامل العادي. وبعد أن تخطط الحياض وقنوات الري، يبدأ الرجال بوضع الحواجز الترابية بينها. وتسمى في نجد الكِوالّ بالكاف النجدية (مفردها كَالّه) وعمل السواقي، وتستخدم المساحي والمناسيف في ذلك.

وفي المناطق الجنوبية يستخدم أيضاً محراث يجره ثوران، لتقسيم الأراضي الزراعية إلى أحواض صغيرة. فتُعمل شبكة من الخطوط الطولية والعرضية، هي خطوط التقسيم بين الأحواض وبينها وبين قنوات الري. وفي الحالات القليلة التي لا يستخدم فيها المحراث في التقسيم، خاصة في الحيازات الصغيرة، أو عندما تكون الثيران مستخدمة في مزرعة أخرى، يستعاض عن ذلك بسحب المزارع رجله على الأرض الزراعية الممسوحة، وتقسيمها إلى مربعات، أو استخدام المسحاة وجرها بيده لعمل هذا التقسيم. ولا شك أن استخدام المحراث في هذا التقسيم أفضل، وتقسيمه هو الذي كان منتشراً لأن خطوطه أكثر استقامة. كما أن عمق أسنان المحراث في التربة يسهل سحبها لتكوين الحواجز والحدود بين الأحواض، ويساعد على تغلغل الجذور في التربة. وتسمى عملية تقسيم الحياض بالمحراث الشَّطّاة في الطائف والباحة وعسير، ويقال «فلان يُشطي» أي يقسم الأرض بالمحراث إلى أحواض. أما في نجران فتسمى هذه العملية التَّخْطِير (والفعل منها يُخَطِّر).

وعقب هذا التقسيم الأولي للحياض، هناك خطوة أخرى تقوم بها النساء في الغالب في سائر مناطق الجنوب عدا نجران، حيث يقمن بتثبيت هذه الخطوط وتدعيمها، على شكل مربعات أو مستطيلات وذلك بحجز التراب وتكويمه وسط هذه الخطوط، إذا كان الخط فاصلاً بين حوضين. أما إن كان ساقياً أو فلجاً، فيُجعل التراب على جانبي





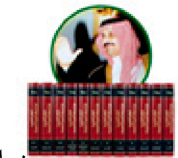


تقسيم الأرض إلى حياض

خط الحرث. وتسمى عملية تقسيم الحياض وعمل السواقي في معظم المناطق الوسطى والشمالية وفي الطائف وبني مالك والباحة وعسير التَّقْصِيْب، في حين يطلق عليها في نجران التَّضْرِيْب؛ فيقال فلان يُقَصِّبْ أو يُضَرِّب أرضه أي يقسمها إلى أحواض تتخللها سواقي الماء، وفي الأحساء يقال تمسيحْ، وللمشاعيب تشعيبْ.

وعندما يكتمل تقسيم الأحواض وتدعيم جوانبها وتسوية بطونها، تكون عندئذ جاهزة للري. غير أن بعض المزارعين في بعض المناطق، خاصة في نجد، يعمدون بعد تقسيم الأحواض إلى بذرها مرة أخرى وحرثها وتقليبها بواسطة المساحي ثم تسويتها. وفي هذه الحال تكون عملية البذار على مرحلتين؛ إحداهما سابقة للحراثة وتقسيم الأرض، وعادة تكون عملية أولية يرش فيها البذر رشاً. أما الثانية وهي أهم فتلي تقسيم الأحواض، وهي مرحلة البذر الرئيسية، حيث يراعي المزارع أن تنتشر البذور بشكل متساوٍ في كافة أنحاء الحوض قبل أن يحرث ويقلب مرة أخرى، ثم يسوى بالمساحي والمدمام.

وبعد أن تقسم الأحواض وتقام السواقي يشرع الرايس (المفجِّر) بريّ الأحواض مباشرة إلاّ في المناطق الجنوبية





الغربية، فإن الرَّيَّة الأولى قد تتأخر إلى ما بعد أسبوعين من عملية البذر. والواقع أن جميع العمليات السابقة، بدءاً من وضع البذور فحراثة الأرض وانتهاء بتقسيم الأحواض وتسوية أرضها وريها، جميعها عمليات متصلة ومتتالية لا فاصل بينها. ومن الممكن القيام بها جميعاً خلال يوم أو يومين. ففي الأحساء بعد عملية الحرث، تترك الأرض لمدة طويلة، قد تتجاوز الأشهر ثم تأتي عملية التكشيح، وتنظيف الأرض من جذور الحشائش وتجميعها وعمل الطبائن، وإحضار السماد وخلطه مع التربة والطبائن وتقسيم الأرض، ثم ريها وبذرها. والغالب أن تسير هذه العمليات بعضها إلى جانب بعض. فما أن تبذر وتحرث قطعة من الأرض، حتى تجزأ إلى أحواض وتسوى أرضيتها، ويكون الرايس جاهزاً لريها. وما إن تنتهي حتى تكون قطعة أخرى مجاورة، قد بذرت وحرثت وقسمت فيشرع في ريها، وهكذا حتى تنتهي الأرض المزمع زراعتها في ذلك الموسم. وتسقى الأحواض والأشراب من قنوات ري فرعية (سواقي)، تتصل بقناة الري الرئيسية التي يتدفق فيها الماء، من بركة التجميع (الجابية)، وتسمى في الأحساء البركة. فإذا امتلأت الجابية بالماء الذي يرفع من الآبار بواسطة السواني فتح الرايس مطلاع الماء، فيتدفق الماء عبر الساقي الرئيسي ثم إلى أحد السواقي الفرعية. ويدخل الماء إلى الحياض والأشراب، عبر فتحة تسمى المعراض، توضع فيها كمية من الطين تُسد بها الفتحة عند امتلاء الحوض، ويسد بها الساقي عندما يراد دخول الماء إليه، وهي بمثابة سد صغير من الطين والحجارة الصغيرة يحركه الرايس بالمسحاة بين المعراض والساقي، عندما يريد إدخال الماء إلى الحوض أو تحريكه إلى حوض آخر، ويسمى المعدل.

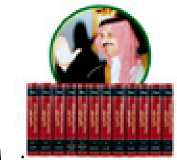
وتتفاوت التسميات المتعلقة بالأحواض والأشراب من منطقة إلى أخرى داخل المملكة. ففي الأحساء، حيث الري غالباً من العيون، يدخل الماء إلى المزرعة عبر فتحة تسمى الفوهة، ويجري في قناة تدعى الفحل أو المسقى أو المحزوم، تقسم الحقل إلى قسمين، حيث يوجد عدد من الأحواض (الأشراب) على كلا جانبيه. وتسمى مجموعة الأحواض على كل جانب من جوانب الفحل الشَّطِيب. أو السلفه أو القايم، وتتفاوت المزارع في عدد الفحول والأشطبة والقوّم حسب مساحتها. ويدخل الماء إلى كل حوض من





الأحواض بفتحة تسمى السكار، ويغلق الحوض عند امتلائه بكمية من الطين والتراب تسد هذه الفتحة وتسمى السْكَار أيضاً. ويفصل بين كل حوض وآخر حاجز من الطين والتراب يسمى الجاربة أو الدوسة. ويطلق على الأحواض أسماء متعددة تبعاً لموقعها في الشطيب فالحوضان الأولان على جانبي الشطيب يطلق على كل منهما اسم الصدراني، ويليهما أخو الصدراني فالرايسة أو السفالة فأخت الرايسة وأخيراً ينتهي الشطيب بحوض كبير آخر في نهايته يعرف بالرايسة كما مر سابقاً.

وفي القطيف يدخل الماء إلى المزرعة عبر قناة رئيسية تسمى السَاقِيَة، وتتفرع من الساقية قنوات فرعية يسمى أحدها المَشْرُوْب، تروي الأحواض والأشراب التي تفصلها عن بعضها مناطق مرتفعة، تسمى الجَابُورْ. وفي حائل والمناطق الشمالية يدعى الساقي الرئيسي القائم كما تدعى السواقي الفرعية السِّرْيان، ويسمى الفاصل بين الأحواض المـرْوَز. وفي المناطق الوسطى تسمى قناة الري الرئيسية التي يتدفق الماء عبرها من البركة (الجابِيَة) إلى المزرع القايد أو القايم أو القيوم، وتتفرع منه قنوات فرعية يمنة ويسرة تدعى السواقي، ومفردها ساقٍ، ويتوسط كل ساق مجموعة من الأحواض على جانبيه. ويكون القايد غالباً مرتفعاً نسبياً عن المناطق المجاورة، كما تكون جوانبه قوية وبطنه مردوماً بالطين الجيد لمنع تسرب الماء. وفي الحالات التي يكون فيها ميل الأرض كبيراً، يعمد المزارعون إلى تقسيم هذا الساقي الرئيسي إلى مراحل، تنتهي كل مرحلة بوضع ما يسمى الخارة أو المصبَّة وهي أحجار توضع في بطن الساقي في نقطة معينة، حتى تعمل على تصحيح الميل فتصبح كل مرحلة من مراحل الساقي متساوية الميل تقريباً. وعند الخارة ينزل الماء على شكل شلال صغير له خرير (ومنه اشتق اسم الخارة) إلى المرحلة الثانية من الساقي، وهكذا. وتكثر الخَوَارُّ عادة كلما زاد الميل، وتقل أو تنعدم تماماً عندما يكون ميل الساقي خفيفاً. وعندما يكون الانحدار أقل مما تتحمله الخارة أو المصبَّة، فإنه يوضع له ما يعدل اتزانه من هدب الأثل أو التبن وغيره بالساقي نفسه، ويسمى مَغِيْض (يجمع على مغضان)، فيمنع الانجراف في بطن الساقي. والغرض من عمل الخوار، هو تهدئة اندفاع الماء حتى لا يجرح جوانب الساقي، خاصة إذا كانت ضعيفة، أو معمولة من الرمال وحتى لا يسلب انحدار الساقي الماءَ فرصة البقاء حول الغراس





التي في الساقي. ومع أن الخوار عادة يتركز وجودها في الساقي الرئيسي، إلا أن السواقي الفرعية قد يستلزم الأمر أحياناً وضع خوار فيها إذا كان ميلها شديداً. وتعرف فتحة دخول الماء إلى الأحواض في المناطق الوسطى باسم المِعْراض، أما الفواصل بين الأحواض فتدعى الكُوَال (مفردها كالَّه)، وتستخدم كذلك في الأحساء. ويطلق على مجموعة الأحواض في كل جانب من الساقي اسم سلفه أو كراع، وينتهي الكراع أو السلفة بحوض يعرف بالرايسه. وتسمى الخارة في وادي الصفراء شاروقْ والمصب نشاغْ والساقي ساقي أو مشقوقْ، والمزر هو عقم كبير.

وفي المدينة وينبع تسمى القناة الرئيسية التي يتدفق فيها الماء من بركة التجميع إلى الزرع القنطرة الأميه، وتتفرع منها قنوات فرعية تدعى القناطر. ويطلق على الحوض اسم الشرب، كما يطلق على مجموعة الأحواض على جانب القنطرة اسم الفَلَجْ، أما إذا كان هناك فلجان على جانبي القنطرة فيدعيان مجتمعين النبيقة (تجمع على نبايق)، وإذا كانت هناك عدة نبايق أطلق عليها جميعاً اسم القطعة. وللقنطرة الأمية والقناطر أسماء في مزارع المدن أو القريبة منها. والفلج غير ذلك وربما جاء تجاوزاً، والمعروف أن الفلج هو ذلك الممر المائي الذي يمتد مسافات طويلة تحت الأرض تزيد أحياناً عن العشرة أميال، ويصان من خلال فتحات تسمى الخرز ثم يفيض الفلج في مكان يسمى العين أو الشريعة ويقع عند بداية مزروعات القرية، ثم يشق القرية من وسطها أو جانبها المرتفع فيسمى هذا المجرى دبْلْ وهو القناة الرئيسية التي تتفرع منها السواقي التي تروي المزارع ولا يكون الدبل مكشوفاً بل هو مغطى في بعض أجزائه وله فتحات لتوزيع المياه.

أما في المناطق الجنوبية فتسمى الأحواض في بني مالك والباحة وعسير القِصَاب (مفردها قصبه)، كما تدعى الرُوَب في نجران (مفردها رُوْبَه). ويدعى الحد الفاصل بين الأحواض عَذَبَة (جمعها عِذَاب) في سائر مناطق الجنوب، عدا نجران حيث يدعى السَوْم (جمعها سِيْمَان). أما الساقي الفرعي الذي يوصل الماء إلى الأحواض فيسمى الفَلَج في عسير والباحة وبني مالك، كما يطلق الاسم نفسه (الفلج) على مجموعة الأحواض الصغيرة على جانبيه. أما الشُطي فيطلق على مجموعة الأحواض على جانب واحد من الساقي، وهذا يعني أن الفلج يتكون من شطيين. وفي نجران يطلق





على قنوات الري الفرعية الساقية، كما يطلق على الأحواض على جانب الساقية اسم الشريعه ولذا فالساقية تضم شريعتين؛ وتقول الأهزوجة:

عريسنا دخل دخل
بين الشريعه والنخل

أما القطعة الزراعية كاملة فيطلق عليها في منطقة الطائف والباحة الرَكِيْب (تجمع على ركبان)، أما في عسير فتدعى الذِرَاع أو الجِرْمَه، كما تعرف في نجران باسم الجِرْبَة.

**توزيع الماء في وادي الصفراء.** أما في وادي الصفراء فإنهم يوزعون الماء في مزارعهم حسب الطرق التالية:

الفلج: وهو مجرى الماء تحت الأرض من عمل الإنسان، ويمتد إلى ما يزيد عن ١٥ كيلومتراً أو أقل.

الخرز: وهي فتحات متتالية فوق سقف الفلج تفتح عند الحاجة لصيانة الفلج ثم تغطى وتُدفن.

العين أو الشريعة: وهي مفجر الماء عند بداية المزارع (البلدان) ومنها تؤخذ مياه الشرب.

الدبل: وهو المجرى المائي المرتفع عن سطح المزارع (البلدان) وهو مغطى بسقوف من الصخر وله فتحات عند المساجد ومداخل المزارع لمدها بالماء وبعض المساجد في داخلها فتحات من الدبل للاستحمام والوضوء.

الساقي: وهو المجرى المتصل بالدبل لتوزيع المياه على المزارع المحيطة به.

البلاد: وهي المزرعة وتتكون أجزاؤها من:

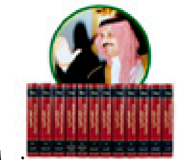
أ) البقع: وهي بقعة مربعة أو مستطيلة حديثة العطاء. (بقعة واحدة).

ب) المشقوق: وهو الساقي الكبير في وسط البلاد (المزرعة) ومن حواليه العقوم والمروز وعندما يشتد انحداره يوضع مرتفع من جذع أو حجارة مستطيلة تحد من انحدار المياه وتكون شلالاً يسمع خرير الماء من فوقه ويسمى الشاروق وقد يسمى المشقوق، أي الساقي.

جـ) المشغل: ويكون في طرف البلاد أرضاً بوراً تم استصلاحها حديثاً وبها غراس، وعندما تكبر وتثمر قد يتحول المشغل إلى بقع.

د) النشاغ: وهو مدخل البقع أو المشغل أو المشقوق، أو موزع الماء داخل البلاد يفتح برفع سدادة أو تربة عنه ويسد بإعادة السدادة أو التراب.

هـ) الزبارة: وهي منطقة تجميع التربة الزائدة المخرجة من أجزاء البلاد نتيجة ردمها من جراء السيول أو الرياح.





الحوض: هو أصغر مـن البلاد وله مجرى مائي يزوده بالماء من الدبل ويكون أحياناً جزءاً من البلاد.

الرقـيبة أو الـرقبة: أول بلاد تـلي الشريعة.

الزنيبة: آخر بلاد في أسفل المـزارع والبلدان.

الوجبة: اثنتا عشرة ساعة.

القلد: حصة البلاد الواحدة من الماء.

الزيادة أو المبيـوع: ساعات لصالح القرية يباع الماء فيها على الذين يرغبون في زيادة حصصهم من الماء ويحفظ الثمن لدى أمين القرية، وكلما قلت المياه يزداد ثمنها ويصرف من هذا الدخل على صيانة الفلج والدبل.

القِدْر: إناء نحاسي يملأ ماء ويتـبعه إناء صغير (طاسة) ذات ثقب في قعرها توضع فـوق سطح الماء في الـقدر فإذا امتلأت غـطست ويمثل ذلك جـزءاً من الساعة، ويسـتخدم عقد الحوض كلمـا غاصت الطاسات لحساب الساعات التي تخص كل مزراع.

المطراق: وهو الطريق والدروب التي تخترق المزارع.

وفي الباحـة إذا كان الركيب كبـيراً فإنه بعد حـرثه يقسم إلى جزءين بقنـاة رئيـسية في وسـطه علـى شكل الوتـر الهندسي، تتولى هذه القناة نقل الماء إلى ميمنة الركيب وميـسرته وتسمى الحامل (جمعها حُمّل) ويقال للركبان من باب المدح «عوج الحُمل» وهذه أعلى مراتب الركبان خاصة عند البيع أو الشراء.

**السقي**. ما إن يلتقط الفلاح أنفاسه، بعد عناء البذر والحراثة وتقسيم الأرض إلى أحواض، حتى يبـدأ موسم سقي الزرع الذي يستمر في المتوسط مـا بين أربعة أشهر إلى أربعة أشـهر ونصف. وقد يصل الموسم إلى خمسة أشهر في بعـض أنواع القمـح، خاصة الـقمح الصلـب (اللقيـمي). ويروى القـمح والشعير خلال هذه الفترة ما بين ٦–٨ مرات، يطلق على كل منها اسم طوف، وفي القصيم يطـلق عليها دورْ. وتبدأ هذه الأطواف، بالرية الأولى المصاحبة لوضع البذور في الأرض، ويطلق عليها طوف الخِتام أو الخَـتَام، وينتهي الـري بطوف الوداع، حيث يُحصد الزرع بعده بأسبوع أو أسـبوعين. وإذا كان الزرع قد حرث على العفير، أي على المطر، فإن أول رية له تسمى التسمير. ويقوم المزارع بهذه الرية ليثبت مروز أحواض الزرع، ويساوي بطون الأحواض، هذا في منطقة حائل. ولا يتوقف المزارعون عن ري محاصيلهم طوال هذه الفترة،





إلا عندما تنزل الأمطار فتتوقف السواني عن رفع الماء من الآبار. وتسمى هذه الفترة الحطة أو الإناخة، أي إناخة الإبل عن السني.

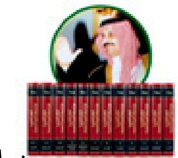
وتقسم فترة ري القمح والشعير إلى فترتين رئيسيتين، إحداهما تستمر طوال الأشهر الثلاثة الأولى من عمر الزرع. وفي هذه الفترة لا يحتاج الزرع إلى مياه كثيرة، لأنه في بداية نموه، ولبرودة الجو من ناحية أخرى. ولذلك يروى الزرع في هذه الفترة خلال فترات متباعدة. كما أن السواني -إذا كان الري من الآبار- تعمل دون جهد كبير، حيث يقتصر عملها على فترة ما قبل صلاة الفجر حتى غروب الشمس. أما الفترة المتبقية من عمر الزرع وهي حوالي أربعين يوماً، فيحتاج الزرع إلى مزيد من المياه، نظراً لبدء نمو السنابل ولازدياد حرارة الجو، ولذلك تستمر عملية السني والرياسة ليلاً ونهاراً، ويطبق هنا نظام تبديل حيوانات السواني. وتسمى هذه الفترة فترة الشربة، وفيها يعلن الفلاحون حالة الطوارئ للعمل الدائب، حتى إنهم أحياناً قد يعملون بأنفسهم لرفع المياه من الآبار، خاصة إن لم يكن لدى المزارع القدرة على جلب مزيد من الحيوانات لتطبيق نظام تعاقب حيوانات السواني؛ ويشخص الشاعر هذه الحالة واصفاً الزرع في كلا مرحلتيه فيقول:

يسقى على ما هان تسعين ليله
وشهر وعشرٍ ما لماه فتور
ومن عقب عشرين تدانى أوايله
تلقى العشا من مير كل بكور

أي يسقى بالهون ودون مشقة مدة ثلاثة أشهر (تسعين ليلة)، أما الفترة الثانية وهي أربعون يوماً (شهر وعشرة أيام) يضاف إليها عشرون يوماً، فيسقى بشكل دائم ومستمر دون أي هوادة أو فتور؛ ويصف شاعر آخر هذه الفترة الجادة من سقي الزرع (الشربة) فيقول:

إلى صارت الجوزا أمامٍ لكنها
جريمة صيد لاحها اللواح
فالزرع بين فتاقةٍ وخناقه
واشتد زند العامل الفلاح

أي إذا ظهرت الجوزاء (وهي ثالث بروج فصل الربيع)، وأصبحت أمامك كمثل مجموعة الظباء (جريمة صيد) التي لاحها الصياد (اللواح) بسهامه، فإن هذه الفترة هي فترة خناقة الزرع (أي تكون السنابل في أعالي القصب) أو خروجها من أكمامها (فتاقه)، وعندئذ يشتد ساعد (زند) العامل الفلاح حيث يحتاج الزرع إلى مزيد من مياه الري، وهو ما يقتضي العمل الدائب ليل نهار؛ ويقول الخلاوي





واصفاً حاجة الزرع إلى الماء في هذه الفترة:

ومن لا يسقي كنة الصيف زرعه
فهو مفلسٍ منها نهار الحصايد

والعامة كانوا يطلقون على فصل الربيع (الصيف).

وهكذا فإن المزارعين (فترة الشربة) أي خلال الأربعين يوماً الأخيرة من عمر الزرع، يبذلون جل طاقتهم في خدمة الزرع وريه، لعلمهم أنه بقدر ما يعطون الزرع من ماء خلال هذه الفترة، يعطيهم إنتاجاً ووفرة في المحصول؛ ونجد في المثل الشعبي تصوير معاناة زارع القمح، يقولون «لولا العقارب كان كلّ يزرع، حتى العجايز ناحلات المرافق».

قال العبودي شارحاً المثل «أي لولا الوقت الذي فيه نوء العقارب وهو آخر الشتاء وأول الربيع، لكان بإمكان كل أحد أن يزرع القمح حتى العجائز اللاتي قد نحلت مرافقهن من الكبر؛ يضرب في أن القمح يحتاج في آخر فصل الشتاء إلى سقي عظيم وجُهْد مضنٍ» (١٩٧٩، ج٣: ١١٥٢).

وجدير بالذكر أن المزارعين إلى جانب ريهم للزرع، سواء أكان قمحاً أم شعيراً، يقومون بعدد من العمليات الأخرى في الفترة الواقعة من وضع البذور والحراثة حتى الحصاد. فبالنسبة للشعير في المناطق التي يزرع فيها لاستخدامه علفاً للحيوانات، يحصد خلال هذه الفترة ما بين ست إلى ثماني مرات قبل أن يترك لتتكون سنابله، ومن ثم يحصد الحصدة الأخيرة لتستخدم الحبوب بذوراً في الموسم التالي، وغذاء لطبقة الفقيرة من الناس. أما القمح، فإن من أهم ما يقوم به الفلاح في هذه الفترة، خاصة مع بداية نمو الزرع وارتفاع سيقانه، هو تخليصه من الأعشاب والحشائش الضارة التي تزاحمه في النمو وتمتص الغذاء عنه. ومن العمليات الأخرى في بعض المناطق، خاصة المناطق الجنوبية الغربية، ما يسمى العَصْف أو العَصِيْف، أي تقطيع الجزء العلوي من الزرع بعد أن يبلغ طوله حوالي ٣٠سم، ويؤخذ العصيف ليقدم علفاً للحيوانات. والغرض من عملية العصف، هو التخفيف على سيقان القمح والشعير إن كان النبات غزيراً، ولذا فإن عملية العصف ليست ضرورية دائماً، وقد لا تجرى أحياناً خاصة في الأوقات التي تكون الأمطار فيها قليلة، ويكون فيها نمو القمح والشعير ضعيفاً. ولذلك فإن عملية عصف المحصول دليل على أن السنة سنة خير وأمطار، ومع زيادتها يزيد نمو القمح والشعير، وتزيد



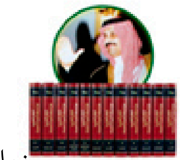


أوراقهما اخضراراً ووزناً نظراً لزيادة كمية الماء فيها، مما يجعلها ثقيلة على الساق. وحتى لا تسقط السيقان على الأرض، أو تتكسر تحت زيادة وزن الأوراق، يلجأ المزارعون إلى عصف الأوراق والتخفيف منها. وقد تكفي عملية عصف واحدة، وقد تتكرر مرتين أو ثلاثاً، إذا كانت المياه كثيرة، وكان نمو الزرع سريعاً.

وعندما تبدأ سنابل القمح بالظهور، وحبوبه بالتكون فالنضوج، تبدأ المرحلة الثانية وهي نهامة الزرع أي طرد الطيور عنه. وتستمر هذه الفترة حتى حصاد المحصول. وغالباً ما يلجأ المزارعون لطرد الطيور عن المحصول، في السنوات التي يكون المحصول فيها ضعيفاً وقليلاً، أما السنوات التي تغزر فيها الأمطار وتجود المحاصيل، خاصة في المناطق الجنوبية الغربية، فلا يعمد المزارعون لطرد الطيور في هذه الحالة. وتسمى هذه العملية في المنطقة الوسطى رقابه ويقال عن المزارع الذي يقوم بها «يرقب الزرع». كما يسمى مندِدْ لأنه يندد الطيور عنه.

والقمح كغيره من النباتات، يصاب أحياناً ببعض الآفات والأمراض. ومن أهم هذه الأمراض مرض الصفار، ويدعى أيضاً السيمور أو الرناق، وهو تحول أوراق القمح إلى الاصفرار، مع ميله للضعف والهزال. ويعتبر هذا المرض من الأمراض شديدة الفتك بنبات القمح، حيث يهلك الزرع ويكون محصوله هزيلاً جداً. ويسمى في الفقرة بمنطقة المدينة المنورة السويد، ويصيب السنابل بالتسوس. وأفضل ما يفعله المزارعون لعلاج هذا المرض وتقليل أثره هو حبس الماء عن الزرع حتى يشفى. ويسمى اصفرار الزرع في بعض المناطق محضْ إذا كان بسبب نقص العناصر الغذائية. ويسمى غَـرقْ وهو بسبب كثرة الماء مما يقلل الغذاء في التربة واحتقان الماء بين الأوراق ويقال جرْبن.

ويطلق على القمح والشعير عدة أسماء تبعاً لمراحل نموه. فعند خروج نباتات القمح أو الشعير من الأرض، يقال «أَحْقَل القمح» أي نبت، وعند بلوغه ٣٠سم تقريباً يقال «أَعْصَفَ القمح». وعندما تتكون السنابل في أعالي القصب، وقبل أن تتفتح أكمامها يقال «خَنَّق القمح» كما يقال «جرْبن»، فإذا ما بدأت أكمام الورق تتفتح من السنابل فتبدو ظاهرة للعيان يقال «فَتَّق القمح». أما إذا ظهرت السنابل تماماً فيقال «نسف أو جَرَد القمح فأصبح جارداً». وعند بداية استواء الحبوب يقال «أَشْوَطَ القمح» أي يستطيع المزارع أن يأخذ منه شَوَيْطَه





أو شلواطه أو شويّه، أي عدداً من السنابل التي تشوى على النار، ثم تفرك حبوبها فتؤكل. أما إذا ما استوى تماماً، فيقال «نجح القمح أو الحنطة أو الشعير». وعندما يتأخر المزارع في حصاد القمح ويجف، يقولون «هَصَدَ المحصول» أي أصبح القمح في خطر من سقوط سنابله عند الحصاد.

**الحصاد وأدواته.** بعد أن يروى القمح أو الشعير الرية الأخيرة (طَوْف الوَدَاع)، يترك المحصول برهة من الزمن قد تمتد من أسبوع إلى أسبوعين، حتى يكتمل نضجه وتستوي سنابله ويظهر عليه الجفاف، وعندئذ يبدأ حصاده. وعندما ينضج القمح وقبل أن يجف، وخصوصاً اللقيمي يحضر بعض الأطفال القريبين من الفلاح فيحصد لهم من الزرع ويعطي كل واحد صرة سنبل وهذه الصرَّة فيها عشر سنابل (سبل) تقريباً ويحزمها بأحد السيقان. فيذهب الأطفال إلى بيوتهم ويشوونها على نار هادئة لأنهم لا يأكلون الشعاع الموجود بأطرافها وهي كالحسك رفيعة أبرية وغالباً تلتصق بالفم والحلق إذا لم تحرق؛ ويضرب بها المثل فيقال للشخص الذي لا تستطيع إقناعه أو التخلص منه ومن مناقشته بأنه «شعاعه، ينشب في الحلق» وعند شويها تنضج الحبوب ويُحرق جزء من القشور ثم تؤكل حسب الرغبة، فإما أن تفرك باليدين وتنفخ القشور فيبقى الحب صافياً، أو تؤخذ كل حبة وتوضع بين الأسنان للتخلص من القشور، أو تغرز شوكة نخل في حبة القمح لإخراجها وأكلها. وشعاع السنبلة مستقيم لدن حتى إنه ليضرب بها المثل؛ قالوا «سنبلة تطلع من المخباة» والمخباة ما يسميه الناس اليوم الجيب، ويضرب هذا المثل لمن لا يستقر على حال أو الذي لا شأن له، لأن السنبلة خفيفة الوزن تعلق بجوانب الثوب فلا تنزل إلى القاع. وعملية الحصاد من العمليات الرئيسية، التي يظهر فيها تعاون مجتمع الفلاحين رجالاً ونساءً وصبياناً. فما إن يعلن أحدهم أن عنده حصاداً في ذلك اليوم، حتى يهب الجميع لمساعدته، سواء على سبيل العانية (المعاونة) إذا كانوا مزارعين، أو لقاء كمية من القمح أو الشعير المحصود، إذا كانوا من غير المزارعين، خاصة الفقراء. وتكون أجرة الرجل أو المرأة عادة غمْر من المحصول في نهاية اليوم، وهو ما يستطيع الرجل حمله بين يديه.

وعندما يكون لدى المزارع شعير وعدة أنواع من القمح، يُبدأُ بحصاد الشعير أولاً ثم الأنواع الطرية من القمح الصماء، ثم





يختمون عملهم بحصاد اللقيمي. ويبدأ الحصاد بعد صلاة الفجر ويستمر حتى الظهر، ويأخذ العاملون قسطاً من الراحة بعد الظهر ثم يستأنفون العمل حتى الليل. ويصطف العاملون في الحصاد صفوفاً، كل واحد منهم يأخذ صفاً من الأحواض (سُلْفه) ابتداءً من طرف المزرعة إلى طرفها الآخر. وإذا كان عدد الحصادين أكثر من صفوف الحياض (السُلَف)، فقد يشترك اثنان في السلفة، وقد يعملان جنباً إلى جنب أو يتقابلان، يبدأ كل واحد من جهة من جهات السلفة. ويحصد الحصّاد كل ما أمامه من الزرع إلا البقع الخضراء، فتؤجل إلى آخر يوم من أيام الحصاد فإذا ما انتهى كل شيء حصدت هذه البقع، حتى لو لم تجف.

وعملية الحصاد من العمليات المهمة التي يظهر فيها التنافس بين الحُصَّاد، أيهم يحصد سلفته أو نصيبه من الأحواض قبل الآخر. كما أنها من المناسبات المهمة، التي تردد فيها الأهازيج، التي تنطلق فيها حناجر الحصادين، تعبيراً عن الفرحة والسرور بجني المحصول بعد فترة العناء الطويلة؛ ومن هذه الأهازيج في بعض مناطق المملكة قولهم:

يافرحتي بالغالي
من سهرن ليالي
نبدا بحصد الحب
بارك لنا يا ربي

وعندما يبدأون الحصاد يرددون:

أول ما نبدى نصلي
نصلي يانبي عليك

وعند الانتهاء يختمون بقولهم:

والشغل هذا تمامه
تمه الله بالسلامه

ومن أناشيد جنوب الباحة قولهم:

ياالله اني طلبتك
جيدا لا تعوقه
مثل ما عقت زرعا
والسبل في حلوقه

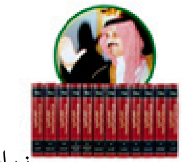
وفي المناطق الجنوبية الغربية يردد الحاصدون عند بدء الحصاد والانتهاء منه:

بسم الله الرحمن
ياساعة الرحمن
بسم الله الرحمن
ساعة سرحنا فيها
بسم الله الرحمن
سميت به وهدان

كما يرددون أثناء حصادهم، عدداً من الأهازيج منها قولهم:

غطرفي ياحديا وانت ياذيب غنه
من تمنى لقانا بشره بالمجنه

وغطرفي تعني زغردي، والمجنة هي المقبرة؛ ومنها قولهم:





يـالله يامـحيـي الـعظـام الرمـيـمه
تقـطع الـراس الذي مـا فيه شـيمـه

ومن هذا النوع من الأهازيج قولهم:

يـالله اليـوم يالله زرعـنا لا تـعـوقه
يـابـر المـصـامـه والـدراج بـيـنك

ومنها قولهم:

الـبيـض لـلعـمال يـستاهـلـونها
لـو كان مـية زمـل مـا ينـقـلونـها

وعند العونه إذ شوهد أحدهم واقفاً لا يمد يد لمساعدة للآخرين، صاحوا به:

واقــفـــا عــنـــدي يــــشـــوف
كـــنــه الـعـيــر الـصــنــوف
مـــن يـعـــاونـي طـــوبـــى
كـــان أخـــيــر مـــن الـــوقـــوف

ومن الأهـازيج الـتي يـرددها مـن يستعان بهـم في الحصاد، عند غدوهم ورواحهم قولهم:

مـا سـرحـنـا مـع الـفـجـر الأول
غـيـر حـشـــمـه وقـدر الـرفـيـق
حـي مـن يـــهـزع الـصـف الأول
مـثـل هــزع الـبـرد جال فـــيـق

ويُحصد القمح والشعير بأداة تدعى المحش، ويـطلق عليـها أيضـاً المنجل والمخلـب، في بعـض المناطـق ومنهـا القصيم. كما يطلق على عملية الحصاد في بعض المناطق الصِّرَام والصَّرَام بكسر الصاد وفـتحها. وعنـد حصاد القمـح يطرح الحصَّاد ما يـحصده من القمح، على شكل صفوف مجاورة له وتجمع، سواء قام بذلك الحصَّاد بنفسه أو عامل آخر يمـشي خلفـه، على شكـل أكوام صغيرة تدعى غُمُور وواحدها غِمْر. وفي بعض المناطق، كالباحة وبني مالك، لا يُطـرح القمح والـشعيـر على الأرض كالحالة السابقة، بل تربط كل مجموعة من السيقان في حزم صغيرة تأخذ الشكل الأسطواني، ويصل قطر كل حزمة إلى ٣٠سم، وتسمـى هذه الحزمة العُصْدَة وتجمع عـلى عُصَد. ويتـرك المحصول مطروحاً على الأرض، أو عـلى شكل غمور أو حـزم لعدة أيام إذا لم يجـف تماماً. أما إذا كان جـافاً فيشرع مباشرة في تجـميعه فـوق بعضه (تـكديسـه). ويسمى القمـح أو الشعير المجمع بهذا الشكل تكسْ (تجمع على تكوس) وكُدْسْ وكِدْسْ وكَدْسْ، بضم الكاف وكـسرها



المنجل



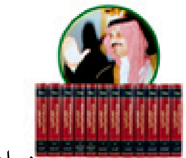


وفتحها، (تجمع على أكداس وكدوس) في المناطق الوسطى والشمالية. أما في نجران فيطلق على عملية تكديس القمح والشعير السَّرْف، وعلى الكدس السَّرِيْف. وفي الباحة وبني مالك يطلق على التكديس التحبيل فيقال «فلان يَحْبِل القمح» أي يكدسه، كما يطلق على الكدس الحَبيل.

ويكدس القمح والشعير في المزرعة أو الحقل نفسه، بحيث تكون كل سلفة كدساً واحداً. ويشرع في التكديس مباشرة بعد الحصاد، إذا كان المحصول قد جف، بحيث يتولى بعضهم الحصاد ويخلفهم عمال آخرون، يجمعون ما حُصِدَ ويكدسونه. وإذا كان الحصاد مشاركة من الرجال والنساء، فقد يقوم الرجال بالحصاد والنساء بجمع القمح أو الشعير وتكديسه، وقد تقوم النساء بالحصاد والرجال بالتكديس. وفي بعض المناطق، كالمناطق الجنوبية الغربية، لا يكدس الزرع المحصود في مكانه، بل يترك عدة أيام حتى يجف، ثم ينقل إلى مكان آخر مجاور لمكان الدياسة (الجرين) ويدعى المِسْطَار أو المُسَطّح حيث يكدس. ويحمل المحصول من المزرعة إلى جوار الجرين، على أكتاف الرجال وظهورهم في نجران، حيث توضع كمية من سيقان القمح أو الشعير على سنابلها، في وعاء مستدير مصنوع من خوص النخل اسمه مِهْجَانْ، ويربط بحبل ثم يحمل إلى الجرين أو المجرن.



الجرين





أما في مناطق الجنوب الأخرى فيحمل المحصول على ظهور الجمال، وأحياناً على ظهور الحمير.

وتكديس القمح والشعير يأخذ أشكالاً عدة؛ أولها أن توضع السيقان بشكل عمودي، بحيث تكون سنابلها إلى أعلى، ويكون كل كدس أو تكس على شكل دائرة، قد يتراوح قطرها بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وتُتَّبع هذه الطريقة في تكديس الشعير بشكل خاص.

أما الطريقة الأخرى، فهي أن توضع السيقان على الأرض بشكل دائري، بحيث تكون السنابل إلى الداخل نحو مركز الدائرة، والسيقان نحو الخارج، ويشكل الكدس في هذه الحالة دائرة قطرها ما بين ثلاثة إلى أربعة أمتار، وهذه العملية تسمى بيادرْ (واحدها بيدر). وفائدة هذه الطريقة، أنها تحمي السنابل من أن تأكلها البهائم أو الطير، ولكن من مساوئها، أن السنابل قد تتعرض للعفن عند سقوط الأمطار.

أما الطريقة الثالثة، وهي أكثرها شيوعاً، فيرص المحصول صفين متقابلين، بحيث تكون سنابلهما إلى الداخل، وسيقانهما نحو الخارج. ويحرص المزارعون في هذه الحالة على أن يكون أعلى الكدس على شكل هرمي، حتى يساعد على نزول مياه المطر عند هطوله، دون أن تتوغل داخل الكدس.

وأثناء حصاد الزرع وتكديسه ونقله من الكدوس إلى الجرين (القوع) أو المِدْرَس، يتساقط بعض السنبل ويبقى في الأرض الحصيدة، فتأتي نساء من ذوات الحاجة، فيتتبعن ما سقط ويلتقطنه ويجمعنه في زبلانهن. ويقال لهذه السنابل لقاط ولتلك النسوة لقّاطات. ومن الفلاحين من يعطيهن نصف ما التقطن، ومنهم من يدعه كله لهن صدقة. وفي منطقة حائل، كل ما يسقط في الحصيدة من سنابل، وما يسقط أثناء نقل الزرع، وهو الحفال يكون من نصيب زوجة الفلاح، بالإضافة إلى كدس كامل تتصرف به أو بثمنه؛ ومن أمثالهم الشعبية، قولهم «ما في حصيدته لقاط»؛ وهو يضرب مثلاً لمن لا يُلتمس من جانبه الخير والمنفعة؛ وعبروا عن القلة والشحاحة بالمثل الشعبي، قالوا «ما لقى الحَصَّاد يلقى المِتْلَقِّط» أو «ما لقى الجداد يفذ المتسقط» المتلقط: من الالتقاط، أي إن الذي يحصد الزرع لن يدع فيه سنبلاً فيه حب، فكيف بمن يأتي بعده يحاول أن يلقط ما يبقى بعد الحصاد من سنبل؟. يضرب المثل إلى





أن الفوز يكون في المبادرة؛ ولعله يضرب أيضاً على نحوٍ ساخر ليدل على الزهد في المحصول.

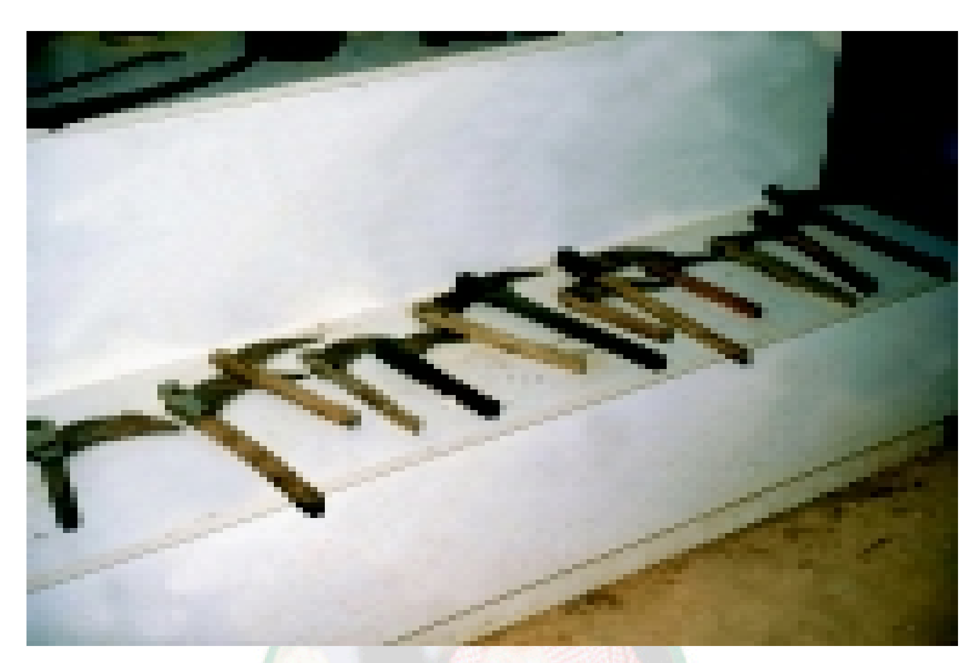
وتتشابه أدوات الحصاد إلى حد كبير في معظم مناطق المملكة، مع وجود بعض الاختلافات القليلة. ولكنْ هناك بالتأكيد اختلاف في المسميات، كما هو الحال في بقية الأدوات الزراعية المختلفة. كما أن هناك اختلافاً واضحاً بين أدوات حصاد القمح من جهة، والذرة والدخن من جهة أخرى.

ومن أهم الأدوات الشريم (المنجل، المخلب، المحش)؛ وهو أداة كانت تصنع محلياً في مناطق جنوب غرب المملكة كلها من الحديد. نصلها الذي يحصد به القمح على شكل قوس مسنن، مقبضها قطعة من الحديد بسمك بوصة، طولها حوالي عشرة سنتيمترات، تمسك به اليد أثناء الحصاد. وهذه التسمية موجودة في منطقة نجران، وكذلك في منطقة عسير. وقد عرف في منطقتي الطائف والباحة، بعد نجران وعسير، بهذا الاسم أيضاً، ولكن مقبضه مصنوع من الخشب ومستورد. وتسمى هذه الأداة في المنطقة الوسطى والشرقية المحش، والمخلب، والمنجل، وهو أي المنجل أكثر استقامة في جزئه المسنن مما هو مستخدم في الجزء الجنوبي الغربي، كما أن مقبضه من الخشب، ويعاد توشير المخلب بالموشر كلما دثرت أسنانه وضعفت حدتها، فتعود إليها حدتها وفاعليتها؛ ويبين أهمية هذه الأداة قولهم في المثل «اسمي بالحصاد ومنجلي مكسور» وقد يقرأ المثل بتوجيهه للغائب فيقال «اسمه بالحصاد ومنجله مكسور»؛ ويضرب المثل لمن يشارك في عمل الخير، ولكن بالقول فقط، بينما هو قادر على أن يشارك مشاركة فعلية.

والمَحَش، وهو أداة لحصاد القمح، يستخدم أيضاً لحصد البرسيم وحش الحشيش وهو من أهم أدوات الحصاد ولوازمه لذلك قالوا في المثل «مِن يعِير مخلبه يوم الحصاد؟» المخلب: المنجل. والمعنى من ذا الذي يُعير منجله لغيره يوم حصاد زرعه؟ وهذا استفهام استنكاري يضربه من طلب منه متاع من متاعه في وقت حاجته إليه. ويوجد في المنطقة الجنوبية الغربية بوجه خاص، ويتكون من قطعتين: قطعة من الحديد حادة من إحدى حافتيها ومسننة، وهي تأخذ شكل منقار الصقر، بمعنى أنها معقوفة ودقيقة من أحد طرفيها، وعريضة من الطرف الآخر، تُثْقَب ثقبين من الطرف السفلي العريض، يدق فيهما







مجموعة محاش

مسماران لتثبيت القطعة الثانية التي هي مقبض من الخشب طوله حوالي ٢٠سم. وهذه التسمية موجودة في منطقتي الباحة والطائف، كما في بعض أجزاء عسير، وهو في النهاية يكّون شكل زاوية قائمة. وهذه الأداة تختلف عن المحش المسنن المستخدم في المنطقة الوسطى الذي يشبه الشريم.

والمِجْرَدَه أو العَكْفَاء تشبه المحش، ولكنها أصغر منه، ورأسها معقوف بشدة، وتستخدم في المنطقة الوسطى لتشويك النخل أو تشييفه أو جرده، وهي عملية نزع الشوك من النخل. وفي منطقة حائل يستخدم لهذا الغرض مخلب ذو أسنان صغيرة حادة وتسمى المشيافة لأنها تجّرد الشيف وهو شوك النخل. والمجردة تكون مسننة، أما العكفاء أو المعكف كما يطلق عليها في الأحساء، وتستخدم عندهم لإزالة الكرَب فقط، فرأسها أكثر إنعكافاً، وهي غير مسننة ولكنها حادة وتستخدم في تنظيف النخل وسحت الجريد. كما يستخدمها صناع الأقفاص أيضاً لسحت الخوص وتنعيم الجريد، بعد قطع العسبان من النخل. وتعرف العكفاء والمعكف في منطقة القطيف باسم المنجل أيضاً، بينما تطلق تسمية المحش والمخلب على الأداة المشابهة ذات





الأسنان. وفي المنطقة الوسطى تختص بالتشويك، وهو إزالة أشواك سعف النخل قبل بدء عملية التلقيح. ولما بين المخلب والمجردة من فرق ضرب بهما المثل لمن يجمع بين وظيفتين «مخْلَبٍ مِجردَه» أو «محش مجردة» والمراد هو كالمخَلب المجردة، أي كالمنجل الذي يستعمل في الوقت نفسه في عمل المجردة. يضرب للرجل يؤدي مهمتين مختلفتين أو مهام مختلفة، كما يضرب للآلة تستعمل على وجهين أو وجوه مختلفة.

ويشبه المِحْطَبُ المحشَ غير المسنن، ولكنه أكبر حجماً سواء في مقبضه الذي يصل إلى قرابة ٨٠سم، أو في الجزء المصنوع من الحديد. وهذه الأداة تستخدم لقطع سيقان الذرة خاصة والأعلاف والشجيرات الضارة المجاورة لأطراف الزرع. وهذه التسمية موجودة في منطقتي الطائف والباحة.

أما المِسْلا فهي أداة شبيهة بالمحش، ولكنها أكبر منه وتستخدم في قطع أعواد الذرة، وكذلك قطع عذوق النخل. وهذه التسمية معروفة في منطقة نجران فقط.

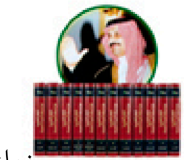
ومن الأدوات المهمة التي لا يستغني عنها أي مزارع في ذلك الوقت المِقْشَعة، حيث تستخدم، بالإضافة إلى بعض



المقشعة

الأدوات السالف ذكرها، لتقطيع وحش الحشائش والأعشاب والشجيرات البرية، التي يقدمها الفلاح علفاً لحيواناته، خاصة حيوانات السواني، حيث يؤدي سحبها على هذه الحشائش إلى اقتلاعها من جذورها. وتتألف المقشعة من قطعتين رئيسيتين، إحداهما قطعة من الحديد حادّ أسفلها، عرضها في حدود ٣٠سم وارتفاعها حوالي ٥–٨ سم، وفي أعلى وسطها ثقب واسع، توضع فيه الوصلة الأخرى (النصاب)، وهو كنصاب المسحاة يصنع من الخشب، ولكنه أطول منه قليلاً.

أما الحَيْف فهي أداة من الحديد تشبه السكين وتسمى في نجد المخشلة، وفي الشمال المقراضة، ويبلغ أقصى طول لها ٤٠سم وعرضها يتراوح بين ١٠–١٥سم، حادة من أحد جانبيها مثل السكين، يُقَطَّع بها العلف الأخضر والجاف للسانية حتى يصبح قطعاً صغيرة،





قابلة لـلتعليف. وللحـيْف مقبض من الحديدة نفسها، وأحياناً يكون له مقبض خشبي.

ويروى أن فتـاة تزوجت من شاب رقيق الجسم اسمه صالح، وكان يعـمل عند فلاح اسمه فـهد. فأسند فهدٌ إلى صالح العـمل بالخشيل أي دق الـعلف للـبهائم، فـقالت زوج صالـح، وكان اسمها رقية:

قـالت رقـيه يـافهـد لا تـخشـلون

يد صالح على شيل المخاشل حسـافه

وهذه الآلة تسمى في الباحة بالمقطع لهـا رأس حديدي، وقاعـدة خشبـية، وتوضع القـاعدة تحت قدم العامـل من باب تثبيتـها أثناء القطع، ويمرر العلـف على السنون الحادة صعوداً وهبوطاً حتى تقطع.

**الدياسه.** في الوقت الذي يكدس فيه الزرع ويترك ليـجف، يكون المزارع قد أعد مكان الـدياسة، الذي يطلق عـليه الجرين أو القوع أو المداس أو المَدْرَس. ويسمى في المنـطقة الوسطى والأحساء القـوع، والعمـلية تـسمى الـدواس أو الهواس. ويشـترط في القوع أن تكون أرضه مستوية وصلبة وفي فضاء معرضة للهواء، حتى يذرى الحب فيه، وقد يعمد المزارعون أحياناً إلى تغطية القوع بطبقة من الطين الجيد المشبع بالتبن، حتى يكون أملس قوياً. وقبيل نقل القمح أو الشعير إلى الجرين (القوع)، ينظف بالمـلفاع أو العسو، وهو عذق نخلـة، مما تبقى فيه من الأتربة والحصى والأعواد ونحوها. والشائع أن يكون لكل مزارع قوع، ولكن ذلك يعـتمد على سعـة المزرعة وكمية المحصـول وعلى عوامـل أخرى. فقد يكون لمزارع واحد أكثر من قوع واحد، وفي حالات أخرى قد يشترك أكثر من مزارع في قوع واحد، خاصة إذا كـانوا شركاء في البئر حتى لو لم يكونوا شركاء في المحصول.

وبعد أن يعدّ القوع وينظف، تثبت في مركزه خشبة قائمة، أو يوضع بدلاً منها حجر كبير يخرق من أعلاه، ويدار عليه حبل من الجلد (القد)، ويوضع فيه المِجْوَل وهو حلقتان يصل بينهما محور يمكن إحداهما من الالتفاف بمرونة، وقد وصف في مجلد الصناعات. ويربط في هذا المجول أو في العمود الخشبي حبل غلـيظ وطـويل، تـقرن بـه حيوانـات الدياس. وهذه الطريقة في الدياس هي الشائعة في معظم مناطق المملكة، خاصة المناطق الشرقية والوسطى والشمالية.

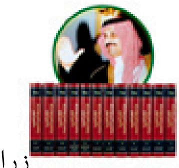
ينقـل الزرع وهو في سـنابله إلـى الدوسة (الـقوع)، ويُفَرَّق فـيه بشكـل





يجعل السنابل منتشرة في كافة أنحائه، ثم يقلب ويعرّض لأشعة الشمس لعدة أيام حتى يجف تماماً، ويصبح جاهزاً للدياس. وتستخدم في تقليب القمح أو الشعير المَشاغِيْر أو المَقَالِيب أو المحاريث، والمشغار عبارة عن عصا قوية متفرعة في مقدمتها (رأسها) إلى فرعين. أما المقلب أو المقلاب فلا فروع له ولكن نهايته تكون معقوفة، حتى تساعد على قلب سيقان القمح وسنابله. وفي حين يعرف المقلاب بهذا الاسم في معظم المناطق، فإن المشغار يسمى بعدة أسماء منها المِرْدَاد في الباحة وبني مالك والطائف، والمِذْرَى في عسير ونجران. وبعد عملية تقليب القمح أو الشعير، وبعد أن يكون جاهزاً للدياس، يحضر المزارع عندئذ حيوانات الدياس، وتقرن من رقابها بحبل طويل، تكون نهايته مربوطة في عمود الدوسة، أو مجول الحجر الكبير الموضوع في مركز القوع. ويتراوح عدد هذه الحيوانات بين خمسة وخمسة عشر، وعادة لا تزيد عن هذا العدد، وتسمى مجتمعة القَرَن (بفتح القاف والراء). وحيوانات الدياس قد تكون من الإبل، أو البقر أو الحمير، وتفضل الأبقار، عادة، في حال توافرها. وتقرن الحيوانات في القرن حسب قوتها ونشاطها، فتوضع الضعيفة بجوار عمود الدوسة (المركز)، وتدعى القاعد، لأنها أقل الحيوانات سيراً في المداس (القوع). وترتب بقية الحيوانات، حتى يصبح أقواها في الطرف الخارجي للقرن، وتسمى الطايف أو الدائر. والعادة أن تكون الحيوانات من نوع واحد، ولكن الظروف أحياناً قد تحتم على المزارع، أن يستخدم أكثر من نوع، كالحمير والأبقار، وفي هذه الحالة، توضع الأبقار مجاورة لمركز الدوسة في حين توضع الحمير في الجزء الخارجي للقرن لأنها أكثر قوة ونشاطاً من الأبقار. فالبقرة ينالها التعب حتى ضرب بذلك المثل؛ قالوا «بقرة دايسه» دايسه: من الدياس، أي دوس القمح والشعير ونحوهما، وإذا فرغت البقرة من الدياس فإنها تبدو متعبة، خائرة القوى لأنها لم تعتد على ذلك؛ ويضرب هذا المثل للشخص المنهك خائر القوى.

وتكون عملية الدياسة بأن تدور هذه الحيوانات حول محور الدوسة (عمود الدوسة)، وتدوس الزرع بأظلافها وحوافرها، ويكون وراءها سائق يحثها على السير. ويركز السائق في عمله على الحيوان الواقع في نهاية القَرَن (الطايف)، لأنه بمثابة القائد الذي إن أحسن السير



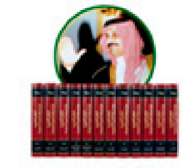




الدياسة

تبعته جميع الحيوانات. وبينما تدور هذه الحيوانات وتدوس الزرع، يكون هناك عدد من الرجال معهم مشاغير ومقالب يقلبون بها الزرع بين الفينة والأخرى، حتى لا تبقى في أسفله سنابل لم تدس. وقد يستدعي ذلك إيقاف الحيوانات عن السير لتقريب أطراف الدوسة الخارجة عن المحور الذي تدور فيه الحيوانات. وتستمر عملية دوس الزرع بمرور الحيوانات عليه وتقليبه وجمع ما يوجد على الأطراف من السنابل، ودفعها نحو وسط الدوسة حتى يداس المحصول تماماً، وتتفكك سنابله وتندق سيقانه وأوراقه. وفي الحالات التي يكون فيها لدى المزارع أكثر من دوسة واحدة (مكان للدياسة)، تنقل الحيوانات (القَرَن) من الدوسة الأولى، بعد دياستها، إلى الدوسة الثانية في الوقت الذي تقلب فيه الدوسة الأولى. وتتعاقب الحيوانات على الدوستين مع تقليبهما حتى تكتمل دياستهما معاً.

وفي بعض البلدان لا يقتصر دور الرجال الدوّاسين على تقليب الزرع بين وقت وآخر، بل يأخذ بعضهم عصياً من خشب التين، تكون خفيفة وقوية ولينة، يضربون بها الزرع والسنابل فيساعدون في تفكيكها، وفي القصيم يستخدمون جريد النخل. ومن الأعمال المألوفة عندما





تكون حيوانات الدياسة من الحمير، أن يأخذ بعضهم طاساتٍ في أيديهم، وعندما يهم أحد الحمير بالتبول أو إخراج الروث يتلقون بوله أو روثه بتلك الطاسات، حتى لا يقع على الحبوب، ولكن جهودهم لا تتكلل بالنجاح في جميع الأحوال. وإذا ربض أحد الحيوانات أثناء الدياس، فإنه يعوق العملية كلها ويصعب إنهاضه، ومن هنا جاء المثل الذي يقول على التشبيه «فلان رابض بالدوسه».

والدياس من العمليات التي يكثر فيها تعاون المزارعين، وغير المزارعين، سواء بالعمل بالأيدي أو المساهمة بحيوانات الدياسة. ومن الأشياء المألوفة في هذا الموسم، أن يعمد المزارع إلى تجميع الأبقار أو الحمير من مراعيها حول البلدة، لاستخدامها في الدياس دون إذن أهلها. ومناسبة دياس الزرع كغيرها من العمليات الزراعية الأخرى، كالسني وحراثة الأرض والحصاد، من المناسبات التي يردد فيها العاملون كثيراً من الأهازيج والأشعار، التي تبعد عنهم السأم وتجدد نشاطهم. بل إن العاملين في الدياسة في بعض البلدان، يحرصون دائماً على أن يكون بينهم أحد الشعراء، يشاركهم في الدياسة ويرتجل لهم الأشعار وهم يرددونها خلفه؛ ومن الأشعار التي كانت تردد في هذه المناسبة قول الشاعر سليمان القباع، من أهل الرياض:

ياعاذلي في الهوى وش لك بعذلي
راعي الهوى بالهوى ماله ملامه
من شرب كاس الهوى ما عاد يسلي
والحب في القلب شيد له خيامه

وقول الشاعر محمد بن سويلم:

حبيب قلبي ترى حبه ذبحني
عزي لمن بالهوى بيح كنينه
في بعض الايام ليت انه نطحني
والا تلاقى نظر عيني بعينه

وفي بعض المناطق تختلف عملية الدياسة في بعض جوانبها عما ذُكر، ففي المدينة وينبع والمناطق المجاورة، لا يوضع عمود أو حجر كبير في مركز الدوسة، كما هو الحال في معظم المناطق الأخرى. ولذلك عند قرن الحمير بعضها ببعض تربط نهايتها في ظهر رجل يقف في المركز، وتدور الحيوانات حوله. ويطلق على هذا الرجل اسم الركيزة، ويستبدل متى تعب من الوقوف. وترتب الحمير حسب نشاطها، فالأضعف يكون بجوار الرجل، ويدعى أيضاً الركيزه أما أنشطها فيكون على طرف الدوسة ويسمى الطائر، ويليه حيوان يماثله في النشاط، ويدعى أخو الطائر.

وفي الفقرة تحصد نباتات القمح بجزها بالمحش وربطها حزماً بمقدار قبضة





اليدين وتستخدم السيقان رباطاً ثم تنقل الحزم إلى الجرين حيث تعرض للشمس، وعندما تجف تنقل إلى موقع يسمى المقر وهو بقعة صخرية مسطحة أو تربة صلبة، ثم تدق أطراف الحزم من ناحية السنابل بأداة خشبية تسمى المنجمة، ويكون الدق بمقدار تفكيك السنابل وعدم تعريض الحبوب للتكسير، وبعد تفكيك السنابل وتحويلها إلى كومة من الحبوب والتبن يجيء دور التذرية، ويكون برفع أجزاء الكومة في زنابيل أو قدور ونحوها إلى الأعلى وتعريضها للهواء الذي ينقل التبن بعيداً وتسقط الحبوب رأسية.

أما في المناطق الجنوبية الغربية فتختلف الدياسة كلياً عما هو شائع في المناطق الأخرى، حيث يداس بأن تجر الحيوانات حجراً فوق الزرع المعد للدياسة حتى تُفتت سنابله تماماً. وصفة هذه الطريقة أن يُنشر القمح والشعير، ويفرّق داخل الجرين (المجرن)، ثم يؤتى في الغالب بثورين، وإلاّ فيؤتى بحمارين، فإن عدما فجمل. ويربط في أي من هذه الحيوانات حجر كبير يصل وزنه إلى حوالي ١٠٠كجم، يطلق عليه في نجران الجُمَير، وفي عسير المدْوَسَه، وفي الباحة وبني مالك الخورمة. وتجر الحيوانات هذا الحجر وراءها، جيئة وذهاباً، حتى يداس القمح أو الشعير تماماً وتنفرط سنابله.

ومن الأهازيج المصاحبة لهذه العملية في هذه المناطق (منطقة الباحة) قولهم:

يامبارك أبا اشكي عليك الذرا
وانت لا ترتضي لي السبب
حي من في أول عياله برا
برناقي كنه الذهب

وقولهم:

تدق لو كانت عصيفا أخضري
الى احتداها الخورم المنخبري

أي إن الدوسة سوف تندق وتنداس، حتى لو كانت أعوادها لمّا تزل خضراء، ما دام يتدحرج عليها هذا الحجر الكبير الذي اختير بعناية. والخورم يعني الخَوْرمة وهو الحجر الكبير المستخدم في الدياس.

وإلى جانب هذه الطريقة الشائعة للدياسة في مناطق الجنوب المعتمدة على جر حجر كبير، توجد كذلك طريقة أخرى، تستخدم على نطاق ضيق، خاصة في مناطق عسير وبني مالك، عندما لا يتهيأ للمزارع ثوران لجر حجر الدياسة. وتجرى هذه الطريقة بتجميع عدد من الحمير، يسوقها الدواسون لتدك القمح أو الشعير بحوافرها، ولكن دون أن يربط بها حجر، ودون أن يكون هناك عمود أو حجر في وسط الدوسة،





تدور حوله كما هو الحال في المناطق الوسطى.

وتعرف عملية فرط الحبوب من سنابلها، بالدوس أو الدياسة في معظم أنحاء هذه المنطقة، وكذلك في مناطق المملكة الأخرى، إلاّ في نجران حيث يطلق عليها الكَيْد، فيقال «فلان يكيد الزرع» أي يدوسه. وتبدأ عملية الدياس في هذه المناطق، كمعظم المناطق الأخرى، من بعد صلاة الفجر حتى الظهيرة. فإن لم ينته الدياس عندئذ، استؤنف بعد وقت قصير من الراحة حتى المساء. ويشترك الرجال والنساء في هذه المناطق في عملية الدياس. فالرجال يوجهون الحيوانات ويراقبونها، والنساء يدفعن القمح أو الشعير من الأطراف، نحو وسط الجرين حتى تتمكن الحيوانات من المرور عليه مروراً تاماً. وتسمى هذه العملية التَوْريد أو الترديد، وتستخدم في ذلك عصا ذات رأسين (مشغار) يطلق عليها في هذه المناطق، المرداد أو المِذْرَى. وبالإضافة إلى توريد وترديد القمح والشعير من أطراف الجرين نحو وسطه، يقلّب الرجال والنساء أيضاً، الزرع بين وقت وآخر. وفي المناطق التي يربط فيها القمح والشعير على شكل حزم أثناء حصاده، مثل الباحة وبني مالك، تراقب النساء الحزم التي لم تنفك ويقمن بتفكيكها حتى تسهل دياستها. ويقال «النساء تُفَرِّث العصّد أو الحزم» أي تفك وثاقها.

ويردد العاملون أثناء تقليب الدوسة عدداً من الأهازيج؛ ومن أمثلتها قولهم في منطقة الباحة:

جرينـنـا ومـا فيـه
ومـا ضمـت حواشيـه
البركـات كلهـا فيـه
تصابحـه وتماسيـه
وللشابـر حق فيـه
ونعشـره ونوفيـه
ولراعيـه يبارك فيـه

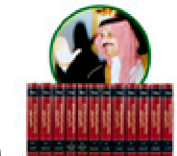
والشابر هو الفقير الذي يطلب المساعدة.

وعملية الدياس وما يصاحبها من تقليب وتوريد، من العمليات الشاقة التي لا يستحبها بعض الناس؛ ويجسد هذا الشعور أحد الشعراء فيقول:

ياليتني يوم الدياس غايب
وارعى الغنم في غمق الشعايب

وهذا البيت من الأهازيج التي يرددها العاملون في الدياس في تلك المنطقة.

وبعد أن يكتمل دياس الزرع، بأي من الطرق المذكورة، وتنفرط الحبوب من السنابل، وتندق سيقان الزرع يجمع المزارعون هذا الخليط من الحبوب والتبن،







الذراية

ويجعلونه على شكل كومة هرمية الشكل، في أحد جوانب القوع، أو في مركزه إذا كان المداس لن يستخدم في الدياس إلا مرة واحدة. ويطلق على هذه الكومة من خليط الحب والتبن دُوَيْخه أو دَرَيْخَة في معظم المناطق الشمالية، والعَرَمَه والإقعاد في المناطق الوسطى، والحُرَيْصه في الباحة والطائف وبني مالك، والعُرَمه في عسير، والعُرَنَه في نجران. وأما إن كان المزارع يستخدم المداس نفسه في دياسة عدة أنواع من القمح والشعير، بعضها وراء بعض، فيعمد في هذه الحالة إلى جعل كل نوع في كومة مستقلة. أما إذا كان للمزارع أكثر من مداس واحد، فيكوم الزرع، عادة، في كل مداس كومة واحدة. وعادة يكون مكان تجميع كومة الزرع المُداس (العَرَمَه) في الجهة التي تهب منها الرياح. ففي المناطق الوسطى والشمالية والجنوبية الغربية، حيث تكون الرياح السائدة هي الرياح الشمالية الشرقية والشرقية، يكوم الزرع بعد دياسته في الجهة الشرقية أو الشمالية الشرقية من القوع. أما في المدينة وينبع والباحة، حيث تكون الرياح السائدة هي الرياح الغربية (البحرية)، فيكوم الزرع، عادة، في الجانب الغربي من الجرين.

**الذراية.** هي تعريض الزرع المدوس للرياح بعد اكتمال دياسته لتصفيته وعزل الحبوب عن التبن. والذراية أو التذرية هي الاسم الشائع لهذه العملية، التي تعني تعريض خليط الحبوب والتبن للرياح، والفعل منها يَذْري أو يُذرِّي. أما في نجران، فيطلق على الذراية التريبح، أي تعريض الزرع المدوس للرياح، ويقال «فلان يُرَيّح» أي يذري. وتبدأ عملية تذرية الزرع عند هبوب الرياح متوسطة السرعة، حيث يهرع المزارعون وعمالهم وأحياناً نساؤهم إلى زروعهم، ويعرضونها للرياح لينفصل الحب عن التبن؛ ويقول المثل الشعبي «إلى هبت فاذر» أي إذا هبت الرياح فاغتنمها لذري دوستك، فإن الرياح لا تلبث أن تسكن وتهدأ. وهكذا فإن الذراية ليس لها وقت





معين، لأنها تعتمد على هبوب الرياح. فمتى هبت الرياح، بدأ المزارعون مباشرة في ذراية زروعهم حتى تتوقف الرياح. ولأن نجاح هذه العملية يعتمد على هبوب الرياح المناسبة، نجد معظم الأهازيج التي يرددها العاملون في الذراية، تتركز على الدعاء بأن تهب الرياح وأن يستمر هبوبها حتى الانتهاء من هذه العملية. فتأخرها قد يعرض المحصول للتلف، إن هطلت أمطار غزيرة. ويزيد هذا الاحتمال في المناطق الجنوبية الغربية التي تزيد فيها الأمطار خلال فترة الحصاد.

ومن نماذج أهازيج الذراية في هذه المناطق خاصة منطقة الباحة ما يلي:

يالله في هبوب ريح
وحظ ما يطيح
يالله في هبوب ريح
ونتنسم ونستريح

ونتنسم ونستريح؛ أي ننهي عملنا ونريح قلوبنا وأجسادنا من المعاناة؛ ومنها قولهم:

ياارياح السعود
استهبي وعودي
ولما تهبي
طفيتك بعودي
وعلقت راسك
براس العمود

ورياح السعود من السعادة؛ وفي منطقة حائل تردد الأهازيج التالية:

هب الهوى ياذاري
لا تفوته وتداري
أسرع ومعك مباري
انته وأم الخزاري

أو قولهم:

هب الهوى شمالي
جتنا بريح الغالي
نذري القصب ونوالي
حلالي ياحلالي

ومن ذلك قول الشاعر:

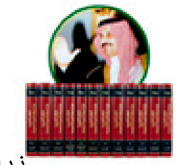
هبي يانود ياناواده
يانسمة جود منقاده
ولك عوده وعواده
عودة شيخ بين اولاده

ومن هذه الأهازيج:

ياارياح الجود هبي
وانصبي عيدانها
ان قومي حن تشبي
ياعمى ديانها

فالشاعر -هنا- يفتخر بقومه ويقول إنهم عندما يزرعون، فإنه سيفي بحقوق الديانة الذين يحضرون أثناء الذراية لأخذ حقوقهم، ولا يجعل لهم باباً للتضييق عليه.

أما كيفية الذراية فأن يصطف العاملون من الرجال والنساء صفاً واحداً،





بجانب كومة الزرع المدوسة (العرمه)، بحيث يجعل كل منهم أحد جنبيه مما يلي الرياح، ويكون هذا الجنب مجاوراً للعرمه ويأخذ كل منهم غرزة ملء يديه، ويرفعها إلى محاذاة رأسه، ثم يفلتها شيئاً فشيئاً، حتى ينتهي ما معه فيسقط الحب عند الأقدام، وتحمل الريح التبن إلى مسافة متر أو مترين أو ثلاثة. وفي القصيم يستعمل المزارعون محافر (زنابيل) صغيرة يملأونها بالخليط، ثم يفرغونها شيئاً فشيئاً، بعد رفعها إلى محاذاة الرأس، حيث يُمسك المزارع عروتي المحفر مجموعتين بيد، بينما اليدُ الثانية ترفع المحفر. وفي بعض المناطق يتقابل كل رجلين أو امرأتين أو رجل وامرأة، ويحملان معاً ملء أيديهما من هذا الخليط، ويقومان بالعملية نفسها. وعندما تشتد سرعة الرياح، يقوم العاملون بالذراية بحني أظهرهم قليلاً، حتى لا تحمل الرياح الحب مع التبن. أما إذا خفت سرعة الرياح عن المعتاد، يحاول العاملون أن يرفعوا أيديهم إلى ما فوق مستوى رؤوسهم، ليعرضوا هذا الخليط إلى المزيد من الريح، حتى لا يسقط التبن على الحب. وفي كل الأحوال يوضع، عادة، حاجز بين الحب والتبن. وهذا الحاجز خشبة أو عدد من الأحجار يطلق عليها المِرداد أو المَرَد. وتكون



أحجام مختلفة من الزنابيل



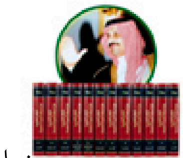


الحبوب المجاورة للمرداد، عادة، مختلطة ببعض التبن، ولذلك يأخذ العاملون بتذرية هذا الخليط ويعرضونه للرياح ما بين وقت وآخر.

وبعد أن ينتهي العاملون من تعريض الزرع المدوس للرياح، ويصبح الحب في جانب والتبن في جانب آخر، تنتهي المرحلةً الأولى من عملية تصفية الحب وتنقيته. ولكن هذا الحب رغم ذلك يبقى مختلطاً، بدرجة أو بأخرى، بالسنوف أو القروط الصغيرة التي لم تفتتها الدياسة، وبالتبن الذي لم تبعده الرياح. ولذلك فلا بد من ذرايته، وتعريضه للرياح مرة أخرى. فيعبأ الحب في زنبيل، ويرفعه العامل إلى ما فوق رأسه أو على منكبه، ثم يصبه قليلاً قليلاً، فتحمل الرياح ما اختلط به من التبن والسنوف الصغيرة. وتدعى هذه المرحلة من التذرية الكراية أو الكري؛ فيقال «كرينا الزرع» أي ذرَّيناه وصفيناه. وفي نجران تسمى هذه العملية التَّهْبِيْب، كما تدعى في عسير الصَّوْل والسَّرْب؛ فيقال «فلان يهبب الزرع أو يصوله أو يَسْربه» أي يكريه ويذريه ويصفيه بتعريضه للريّاح لتحمل ما به من شوائب.

وتترك في منطقة حائل القروط - وهي السنابل التي لا تتفكك- لزوجة الفلاح وتسمى الحفال ويستعيب الرجال الاستيلاء عليه، وكما هو معروف فإن المرأة تستخدم هذا الحفال لاحتياجاتها الخاصة التي تعود إلى مصلحة بيت الزوجية كأن تشتري بعض الأواني المنزلية وغيرها.

وعند هذه المرحلة، أي بعد تذرية الزرع وكريه، يكون الحب خالياً من كل ما تستطيع الرياح حمله من التبن وغيره، ولكن الحب يبقى مختلطاً ببعض الشوائب، كالسنوف والحصباء وغيرها، فيعمد المزارعون في هذه المرحلة إلى تصفيته تصفية نهائية، بالغرابيل ثم المناخل، إذ يغربل ثم ينخل ليعزل عنه ما علق به من الحصباء والأتربة، ويبقى حباً صافياً نقياً. وتدعى هذه العملية الغربلة كما تدعى في بعض المناطق المَرْح فيقال «فلان يغربل الحب أو يمرحه» أي يصفيه تصفية نهائية. وتمر عملية الغربلة بمرحلتين رئيسيتين، أولاهما يستخدم فيها الغربال، ويكون الهدف منها عزل السنوف (السنابل غير المفككة) وكبار الحصى والحصباء، أمّا الحب فيتساقط من ثقوب الغربال. وتختلف كمية السنوف حسب نوع القمح. فأنواع القمح الطرية (كالجريباء) نقية لا تتبقى منها إلا سنابل قليلة جداً لم تنفرط، أما الأنواع





الصلبة كالمعية (الصماء) والهلباء واللقيمي فعادة ما يتبقى منها سنابل كثيرة لم تنفرط، قد تعادل ما بين ربع إلى ثلث المحصول. ويطلق على هذه السنابل المتبقية في معظم المناطق الوسطى والشمالية الـقُصَاله، وفي حائل تسمى القروط، كما يطلق عليها الكُرْمَه في نجران والقَصْعَه أو القُصَاعَه في مناطق الجنوب الأخرى، كما تسمى في الباحة القَصْرة. وفي المرحلة الثانية من الغربلة يستخدم المِنْخل، وهو يشبه الغربال ولكن ثقوب شبكته أصغر من ثقوب الغربال، ولذا

الغربلة (النخل)

فعند وضع الحب فيه وتحريكه يبقى الحب في المنخل، على عكس الغربال، وإنما تتساقط من شقوقه الحصيات الصغيرة والأتربة وحب الجرجير ونحوها. وبعد هذه العملية يكون الحب قد صفي من الأتربة والشوائب، فتكون في القوع كومة واحدة، استعداداً لكيله ونقله، وتدعى هذه الكومة الجُثْوَه والصُّبْرَة.

أما السنوف أو القروط (السنابل المتبقية) التي تم عزلها عن طريق غربلة الزرع، أو أثناء كريه فتجمع وتدق. وبعد أن تدق هذه السنابل، تذرى وتغربل وتصفى بالطريقة السابقة. وفي بعض أنواع القمح الصلب مثل الصماء (المعيه)، حيث تبقى سنوف كثيرة بعد الدياس، تنقل هذه السنوف مباشرة إلى المنازل، وتخزن وتكون في حالتها هذه مقاومة للتسوس والآفات. ويأخذ المزارع منها بقدر حاجته، فتدق وتذرى وتصفى وتطحن ثم تستهلك.

أما الحب الصافي المنقى، الذي جمّع في القوع. على شكل كومة، فيكال بالصاع وتخرج زكاته، كما يتصدق الفلاح منه على من يطلب العون أثناء الكيل. ويسدد الفلاح ما عليه من التزامات، سواء للعاملين معه كالساني والرايس وغيرهما أو للتجار، إذا كان



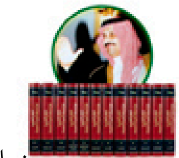




المكيال

قد استدان منهم في بداية الموسم. وما زاد عن ذلك من الحبِّ، فيقسمه الفلاح، عادة، إلى ثلاثة أقسام؛ قسم يختزنه قوتاً له ولأسرته حتى الموسم القادم، وجزء يحتفظ به بذراً للموسم التالي، والجزء الأخير يبيعه ليشتري بثمنه احتياجات أُسرته من مأكل وملبس.

ويحمل القمح المصفى من القوع إلى المنازل في الزنابيل، أو مكاتل الخوص، أو زمائل من جلود الغنم، أو عدول مصنوعة من الصوف؛ ويقول المثل الشعبي «لا تقول بُرّ لين توكي عليه» أي لا تكن مطمئناً على الزرع من الكوارث والآفات، حتى تضعه في عدوله وتربطها (توكيها) عليه، ومثله؛ «لا تقول حب لين توفى قراره» أو «لا تقل حب لين توكي الغراره». وسبب هذا المثل أن محصول البر يتعرض للعديد من العوامل التي يصل بعضها إلى حدود الكارثة ذلك أنه إن سلم من الصقيع فقد لا يسلم من البرد، وإن نجا منهما فهناك مرض يصيب حبيباته بالاحمرار ويسمى مرض اللوس، وأحياناً تمطر السماء وهو في الجرين يداس فيختلط الماء والتبن والبر؛ ولذلك فإن من أمثالهم أيضاً «الصيف صياف ولو تحت الحجر» والصيف هنا هو البر، أما صياف فمأخوذ من الابتعاد عن السلامة في أموره. وتوضع هذه العدول ونحوها، ويتسع أكبرها لحوالي خمسين صاعاً، على ظهور الحمير، وتحمل للمنازل أو





أماكن التخزين. ويكون في المنزل عـادةً غرفة مخصصة لتخزين الحبوب، حيث يوضع الحب على الأرض مباشرة. وتأخذ ربات البيت، عادة، كمية من القمح أو الشعير ويحمصـنه على النار ثم يطحنه ويحفظنه ليكون جاهزاً للأكل لمريض أو مسافر أو ضيف لأنه سريع التحضير ولا يحتاج إلى طبخ. فعند الحاجة إليه يؤخذ المقـدار المطلـوب ويعـجن بماء سـاخن ويضـاف إليه المـلح أو السـكر حسـب الرغبة، ثم يوضع عليه قليل من السمن بعد عـجنه ويقـدم للأكل؛ واسم هـذه الأكلة سهو. وبعض الناس يأكل طحين السهو من غير أن يعجنه، ولكنه في هذه الحالة يؤدي غالبـاً إلى الشرقة ومعروف أنّ شرقته حـادة لذا يقال «شرقة سهـو» وهو مثل يضرب لمن لا يكُف عن الكلام وينشب في الحلق ولا يقتنع بالرغم من الاعتذار إليه. وإذا كان الحب أنواعاً عدة فعـادةً تقسم هـذه الغرفة إلـى أحواض صغيرة (ميناء) جدرانه قليلة الارتفاع، ويوضع كل نوع في حوض خاص. وفي بعض المنـاطق كنجران يذر فـوق الحب مقدار زنبيلين أو ثلاثة من التراب الناعم منعاً للتسوس. أما في عسير فيخلط الحب في الجرين بالتراب الناعم، قبل أن ينقل إلى مكان التخزين، ويقال لهذه العملية «يُتَيَّس الحب» أي يخلط بالتراب. ومكان التخزين في عسير، برج مستقل عن المنزل شكله أسطواني، قد يـتكون من دورين أو أكثر، ويوضع فيه الحب على الأرض مباشرة. وفي مناطق أخرى كالباحة وبني مالك، تخزن الحبوب في أوعية أسطوانية الشكل مصنوعة من الخوص، تسمى قُفَّه أو قُفْعَه تصل سعة إحداها إلى خمسمائة كيلوجرام، ولا يخلط الحب مع التراب أبداً.

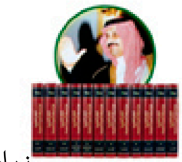
وبعد أن ينـتهي المزارع من تصـفية الحب وتخـزينه، ينصـرف لجمع التبن وحمله إلـى أماكن تخزين خاصـة به، تكون عادة في الجزء الأسفل من المنزل، إذا كان المنزل مـكوناً من أكثر مـن دور واحد، أو بإحدى غرفه المتطـرفة إذا لم يكن كـذلك. والتبن موازنة بـالحب لا قيمة تذكر له إذ لا يعدو أن يكون علفاً ولذلك قالـوا كناية عن خسران مـا فيه الخير «مـا فاتك من الـزرع إلا السبل» وقالوا في الشتم أو الدعاء عليه «تبن في وجهه» أو «تبن في وجه العدو» يقال في الدعاء على الشخص بعـد الغُنْم، شأن من فاته الحصول عـلى القمح المرغوب فيه، ولم يجد من الزرع إلا التبن الذي يطير في وجهه ويؤذيه. ولذلك لا أهمية لمفاتيح حرزه؛ قالوا في المثل الشعبي «ما





عنده إلا مفاتيح التبن» التبن أرخص الأشياء، ومفتاح دار التبن هو مفتاح أهون مخزن، ويعني المثل أن هذا الإنسان لا يملك من الأمر شيئاً، وليس له حق الإيراد أو الإصدار. والتبن هي الكلمة الشائعة في مختلف مناطق المملكة، للدلالة على ما تبقى من سيقان وأوراق القمح أو الشعير بعد دياستها وتصفية الحب، ولكنه يعرف بأسماء أخرى في بعض المناطق فيطلق عليه في عسير مثلاً الحَثْي، وفي الباحة وبني مالك الرُقَّه والعَلَفْ. ويأخذ المزارع من هذا التبن بقدر الحاجة لتعليف حيواناته، خاصة حيوانات السواني، حيث يخلط التبن مع البرسيم (القت) أو الشعير أو الأعشاب البرية أو الخَبَط وهو ورق الطلح. ولكثرة استخدام التبن علفاً قالوا «تبينك ياعوفه ومويهكِ البارد»، عوفه: اسم يطلقونه على البقرة. والمعنى الزمي تبنك وماءك البارد يا أيتها البقرة؛ ويضرب لمن حاول أن ينال منالاً ليس في استطاعته.

**دق الحب وتنقيته وطحنه.** تُستخدم في هذه العمليات مجموعة من الأدوات منها: الكابُون أو الميجمة؛ وهو قطعة خشبية أسطوانية الشكل يخرق وسطها ويوضع فيها عصاً قوية (نْصَاب) ولا يستفاد من الكابون قبل خرقه؛ ولذلك يقال عن الشخص البليد «كابون ما خرق» كناية عن أنه بلا فائدة. والكابون أداة شائعة بهذا الاسم في مختلف المناطق، أما في عسير فيطلق عليه المِدمّه يستخدم في الأساس لدق وتفتيت سنابل القمح التي لم تنفرط أثناء الدياس. كما يستخدم لدق أشياء أخرى كالعرفج والحشائش والشجيرات البرية قبل أن تخلط مع البرسيم وتقدم للحيوانات. وكذلك لدق نوى التمر بعد تربيصه وطبخه، قبل تقديمه علفاً للحيوانات. أما في منطقة حائل، فيدق نوى التمر بحجر كروي ملء قبضة الكف يسمى مدقاقة الفصم وتسمى في نجد الفهر. ومن المستلزمات الأخرى لدق الفصم عروة من الليف تسمى وقاة أو كوّاره، توضع فوق الصخرة التي يدق عليها الفصم، ويوضع الفصم بداخل هذه العروة الدائرية التي قطرها حوالي عشرة سنتيمترات، وذلك حتى لا يتفرق أثناء رضّه بالمدقاقة، بالإضافة إلى صخرة صلبة مفلطحة بالحجم المناسب للعملية تسمى مرضحه؛ ولذا يقال «فلان مثل رضاح العبس» الذي رضح العبس كله إلاّ واحدة فقط تركها لأنه تعب؛ ويضرب المثل لمن يعمل عملاً ويُبقى منه قدراً لا يكمله. ويستخدم الكابون لدق الأوتاد.





وقد ذكر ابن جنيدل في كتابه السافي والسانية أن هناك اختلافاً بين الكابون المستخدم في تفتيت السنابل والكابون المستخدم في دق الحبوب، من حيث نوع وصلابة الخشب المصنوعين منه؛ فالأول يصنع من الخشب الخفيف كخشب العُشَر، ليكون خفيفاً لا يكسّر الحب، ويصنع الثاني من شجر الطلح، أو الأثل ولذا فهو ثقيل صلب.

ويستخدم الكابون كثيراً بعد دياسة الأنواع القاسية من القمح، مثل الصماء، واللقيمي، إذ تتخلف، بعد الدياس، كمية كبيرة من السنابل التي لم تنفرط. ويعمد الفلاح، عادة، إلى تخزين هذه السنابل على حالها، خلافاً لأنواع القمح الأخرى، ليأخذ منها بقدر الحاجة. فيدق بالكابون وينقي (يُطيَّب) ثم يطحن أو يجرش. ودق السنابل بالكوابين عمل تقوم به النساء في الغالب، وقد يقوم به الرجال في بعض المناطق. ومن المألوف أن ثمّ مكاناً مخصصاً لدق السنابل، إما داخل المنازل، أو في قوع الدياسة، حيث تفرش في أحد أطرافه صفائح من الحجر مخصصة لهذا الغرض. (١٩٨٨: ١٢١).



الكابون

ومن تلك الأدوات المَرْدَع وهو شبيه بالكابون، ولكنه يختلف عنه شكلاً. فالمردع يتكون من صخرة من الجرانيت الصلب، أو ما شابهه، بحجم أكبر من الطوبة العادية. ويوضع في أعلى المردع مكان لمقبض من الخشب يوسر عليه بالقد، وله رأس واحد، ويستخدم لتكسير الأشياء الصلبة التي لا تكسر بالكابون، مثل دق خشب العرن الذي تدبغ به الجلود وما شابهه من الأشياء الصلبة

وهناك المِطْبَلة وهي عصا قوية مفلطحة الرأس، تستخدم في بعض المناطق، عوضاً عن الكابون لدق السنابل والسنوف المتبقية من الدياس. وعلى خلاف الدق بالكابون، يقوم الرجال، عادة، بهذا العمل. وتصنع المطبلة من أغصان أشجار الأثل أو الغرب أو الطلح، كما قد تصنع في مناطق أخرى من الخضر وهو جريد النخل الرطب، خاصة في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل كنجران، وتعرف هناك باسم الغُلب،





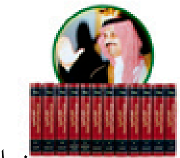
وتسمَّى في منطقة الباحة المِخْبَاط أو الجَدَله.

وهناك أيضاً المنخل والغربيل أو الغِرْبَال، وهما أداتان متشابهتان إلى حد كبير، تستخدمان مجتمعتين أو متفرقتين لتنقية الحبوب بعد دياستها وذريها، مما يكون قد خالطها من الحصى والحصباء والرمال والأعواد ونحوها. وتعرف عملية تنقية الحبوب بالمنخل، أو المنخل والغربال بتطييب الحب. ويتكّون المنخل والغربال من إطار خشبي مدور خفيف وقوي، قد يقوى أحياناً بشريحة من القِدّ تطوى عليه بإحكام. ويغطى أسفله بشبكة دقيقة قد تصنع من جلود الضأن والماعز، أو من شرائح عذوق النخل بعد تنقيعها بالمياه ودقها، وقد استعيض عن هذه المواد بشبكة من أسلاك الحديد، في العقود الأربعة الأخيرة. وأمّا صنع هذه الشبكة من القِدّ، فإن عملها يبدأ بقدِّ الجلد بعد أن ينظف من الصوف فيكون على شكل سيور دقيقة، تبرم بعد تنقيعها بالماء حتى تصبح خيوطاً دقيقة وقوية، ثم تنسج منها شبكة المنخل أو الغربال حسب المقاس المطلوب، وتشد على الإطار وتثبت عليه في ثقوب فيه بسيور من القد مبرومة، تدخل فيها ثم تترك لتجف، فإذا جفت أصبح المنخل أو الغربال صالحاً للاستعمال. كما تعمل شبكة المنخل أو الغربيل من عذوق النخل وتثبت على الإطار الخشبي بالطريقة نفسها.

وتوصف هذه الأداة بأنها منخل أو غربال، حسب سعة ثقوب الشبكة أو ضيقها. فالغربال شبكته ذات ثقوب كبيرة، أما المنخل فشبكته ذات ثقوب صغيرة ومع ذلك فإن «الشبكة تعير المنخل» بأن ثقوبه واسعة تدخل منها أشعة الشمس، وهو مثل يكنى به عن من يعيب غيره بصفة هي أصدق عليه نفسه، والشبكة حبال مشبوكة تنقل بها الحشائش والأخشاب ويرد تفصيل ذكرها في مجلد الصناعات التقليدية. وأحياناً توجد أداة ثالثة تدعى المِحَص، تكون ثقوب شبكتها متوسطة بين الاثنين. ويبدأ، عادة، بتنقية الحب بالغربيل، حيث تتساقط عبر ثقوب شبكته جميع الحبوب وصغار الحصى والرمال، وتُستبعد كبار الحصى والسنوف



أحجام مختلفة من المناخل





ونحوها. أما المِحَصّ والمنخل فيبقيان الحب وتتساقط من شبكتيهما صغار الحصى والرمال، ولذلك يستخدم المحص ثم المنخل لتصفية الحب تصفية شبه نهائية.

ومع أن الشائع في المنخل والغربيل والمحص، أن تأخذ شكلاً دائرياً، فإن بعض أنواع الغرابيل تكون مربعة أو مستطيلة، خاصة القديم منها.

أما المِنْسَفَه أو الطِّبق فهي أداة أخرى تستخدم لتنقية الحبوب تنقية نهائية، مما تبقى بها من القشور والتراب والأعواد الصغيرة وغيرها من الشوائب وقد ورد وصفها في مجلد الصناعات التقليدية. وتستخدم، عادة، قبل طحن الحب أو جرشه. والمنسفة أو الطبق كالصحن له حواف ترتفع عن قاعه بحوالي ٥سم، قد تكون قائمة تماماً، وقد تكون مائلة ميلاً يسيراً نحو الخارج. وتصنع المنسفة من الخوص السفيف، أو من الخوص وعراجين النخل (العذوق) حيث يلف الخوص الأبيض الناعم على شرائح من العذوق بعد تنقيعها بالماء (تربيصها) ودقها. وهي تحاك (تسف) بطريقة دائرية، وتزين، عادة، بنقوش من الخوص الملون. وبالإضافة إلى استخدام المنسفة أو الطبق لتنقية الحب، فإنها تستخدم أيضاً لتقديم التمر والرطب للضيوف، خاصة إذا كان عددهم كبيراً. ولهذه الأوعية في الباحة اسمان؛ فالوعاء الصغير الذي يقدم فيه التمر وما يشاكله يسمى مَقْدَمْ، أما الوعاء الكبير الذي تقدم فيه وجبات الإفطار من الأقراص والمرق والسمن فيسمى مَحْصَلْ، كما يصنع من سعف النخل في قطاع تهامة بالباحة وعاء رقيق دائري الشكل وله أطراف عمودية بحيث يكون عمقه ٢٠سم أما قطره فأقل من المتر ويسمى المنشره لأن الأسرة تعرّض الأشياء التي ترغب في جفافها فيه لأشعة الشمس.

ويذكر الخويطر أن الرَّحى هي الأداة الرئيسية المستخدمة قديماً لطحن الحبوب وجرشها؛ وهي فرشان متماثلان من الحجر الصلب الثقيل، ينحتان على شكل دائري بقطر ٥٠سم غالباً. ويهذب الفرشان بأدوات حديدية متنوعة. وتثبت القطعة السفلى منها في الأرض، كما يُثبت محور حديدي أو خشبي في مركزها يسمى القطب تدور حوله القطعة العليا. ويمر المحور بقطعة خشبية (بكرة) مثبتة بفتحة في منتصف القطعة العليا من الرحى، ومن خلالها يوضع الحب لطحنه، تسمى التُّبْرِقَه أو عين الرحى (١٤٠٩، ج١: ١٦٤). وتسمى قبضة





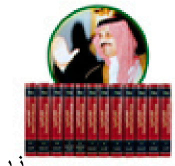
الحب التي توضع في عين الرحى اللهوة، من اللـهى. ويطحـن الحب بتحـريك القطعة العليـا من الرحى بشكل دائري حول المحور بيد الرحى، التي هي وتد من الخشب مـثبت بشكل رأسي قـرب محيط هذه القطعة الدائرية. وتُبنى قاعدة الرحى من الطين كما يبنى حوض دائري يكون عمـيقاً في أحد جوانـبه. أما ما يحيط بالرحـى فيكون أقل عمقاً، وله حافة تـرتفع حوالي ٣سـم، وفي هذا الحوض الـدائري يـهلّ الطـحين بـعد خروجه مـن بين حجريْ الـرحى، ثم يجمع ويهال في الجزء العميق حتى تنتهي العملية ثم يؤخذ الطحين كاملاً. وأحياناً توضع الرحى على سفرة من الخوص أو الجلد تـسمى الثفـال إن كانت صغيـرة الحجم، أو في الأحوال التي تـستدعي التنـقل الدائم كـما هو الحال بـالنسبـة للبادية. وفي بعـض الرحي يجعل في الفلقة العليا ثقبان غير نافذين يوضع في كل منهما عود تدار به الرحى حين يديرها اثنان وعود واحد حينما يديرها شخص واحد، ويسمى هذا العود الريد، وكثرة استعمال الرحى يجـعل داخل الفلقتين أملس ناعماً فتصعب إدارتها، فيعمد إلى نقشها وتخشينها. ويـنهال الدقيق على شكل شلالات دائرة من كل إطار الفلقة



رحى

السفلى ويـتلقاه نطع من الجلـد يوضع تحت الفلقة السفلى.

ويتم التحكم بنعومة الدقيق وخشونته بالقطب والبكرة (التبرقة) أو (المِنْخَاس)، التي تستخدم للتحكم في ميزانية الفلقة العليا من الرحى، من حيث رفعه وإنزاله؛ فعندما يرفع يخف ثقل الرحى وتجرش الحب جرشاً، وعندما ينزل تثقل الميزانية وتطحن الحبوب وتحولها إلى دقيق ناعم. وتحتـاج الرحى إلـى النقـش لتخـشين سطحهـا الداخلي بين حين وآخر. أما في الباحـة فالرحى تختلـف من حيث الهيكل فهي هناك يبنى لها عريش مربع ١,٥ متر بارتفاع متر إلى متر وعشرين سنتميتـراً بحيث تكون المرأة واقفة عند استعمال الرحى، وهذه الطريقة فيها إبداع هندسي، وغالباً ما تجمل الرحى بزخارف معينة تبعاً لذوق الأسرة المالكة لها.





والرحى من الأدوات المهمة جداً لدى المزارعين وغيرهم، حيث لا يستغني عنها أي منزل. والعمل على الرحى من الأعمال التي تختص بها النساء. ولما كانت المرأة تقضي الساعات الطوال لطحن الحب، خاصة عند إعداد وليمة أو تجهيز زاد المسافرين أو الحجاج، فإنها عادة ما تلجأ للغناء متجاوبة مع صوت الرحى. والغناء على الرحى فضلاً عن أنه نوع من التسلية والترويح عن النفس، ففيه كذلك تنفيس عن مشاعر الكبت بأنواعه العاطفي والاجتماعي، وما تعانيه المرأة من المشكلات الاجتماعية وما تريد أن تعبر عنه بطريقة غير مباشرة. ولما كان من الشائع في بعض القرى أن توضع رحى سبيلاً، أي حقاً مشاعاً يستخدمها كل من يحتاج إليها، فكثيراً ما تجتمع النساء حولها، ويغنين على صوتها بألحان تشبه الغناء على السواني. ومن المناسبات التي يكثر فيها الغناء إذا تقابلت امرأتان على الرحى، فتتجاذبان وتدها وترددان القصائد الطوال على صوتها؛ ومن هذه القصائد قصيدة محمد بن راشد الحمد التي من أبياتها:

أمس الضحى نطيت راس المذيريب
من طلعة البيضا لما قيل غابه
وانا على حسي عوى عاوي الذيب
والقلب ذاب ودمعة العين رابه
ياسعود قل لامك ترى جاك خطيب
يبغاه مني مار قولي هلا به

وقول الآخر:

نطيت بالمرقاب واوميت بالخمس
واقول يا واد الغضا وين خلي
كان امس مثل اليوم واليوم مثل امس
وان كان باكر مثلهن زاد غلي
خلي عقد لي عقدتين بلا لمس
وانا عقدت الثالثه ما تحلي

وكانت الأسر الكبيرة في الحجاز عموماً تستأجر عمالاً لطحن الحب؛ ويقال إن رجلاً وامرأته كانا يقومان بهذا العمل يوماً فلاحظ الرجل إهمال المرأة وعدم اهتمامها بتدقيق -تنعيم- الطحين فزجرها شعراً:

يا عايضه دققي طحين العرب لا تهرشينه
عماننا طيبين ياعايضه لا تفضحينا

وبالإضافة إلى الرحى الصغيرة التي توجد في معظم البيوت، يوجد هناك أيضاً نوع كبير من الرحى كانت تستخدمه الحكومة قبل ظهور مكائن الطحن الحديثة. ويسمى هذا النوع المدار وتديره الحيوانات، مثل البغال أو البقر. وأثناء دوران الحيوان يجلس رجل (عامل) فوق الغطاء العلوي للرحى ليضع الحبوب في خان الرحى. وينتج هذا النوع من الرَّحى كميات كبيرة من





دقيق البر، تتناسب مع الاحتياجات الضخمة للحكومة.

ولا تختلف المِجْرَشَة عن الرحى في شيء من هيئتها أو شكلها، غير أنها تستخدم في جرش قمح اللقيمي، ولذلك تكون طبقتاها من الداخل خشنتين، وضغط العليا على السفلى أقل من الرحى. وقد يستعاض عن المجرشة في معظم الأحوال، وتقوم الرحى مكانها في جرش القمح، ويتحكم في ذلك من خلال الميزانية (التبرقه). وفي الأحساء تصنع المجرشة من الطين لجرش الأرز الحساوي، ويخلط الطين، عادة، مع الرماد والتمر لصنع المجرشة.

ويستخدم المِهْرَاس (المهباش) لهرس بعض الحبوب الصلبة التي لا تنطحن مثل قمح اللقيمي وبعض أنواع الدخن. فهذه الأنواع يصعب طحنها بالوسائل المتوافرة في ذلك الوقت، ولذلك تهرس حتى تذهب قشرتها العليا ثم تطبخ بعد ذلك أو تجرش مرة أخرى. ومن الحبوب الأخرى التي تحتاج إلى هرس (هبش) الأرز الحساوي الأحمر، ونوع من الأرز العراقي المعروف بالتِّمَّن، وكان يستورد في بعض المناطق، خاصة المناطق الشمالية. فهذان النوعان من الأرز يتصفان بوجود قشرة تغلف الحبة، ولذلك يهرسان للتخلص من القشور، ثم ينقيان ويصفيان تمهيداً لطبخهما. وبالإضافة إلى ذلك يستخدم المهراس في دق أو هرس احتياجات المنزل الأخرى.

والأداة التي يهرس بها، تدعى المهراس، كما تدعى المِهْبَاش والمَيْخَف وهي خشبة غليظة بطول المتر تقريباً، تختار من أخشاب الأثل أو الطلح أو ما شابههما -أو من جذوع النخيل كما هو الحال في الأحساء- وتحفر من أعلاها بعمق حوالي ٥٠سم، فيصبح هذا الجزء على شكل قمع مفتوح توضع فيه الحبوب المراد هرسها. وتهرس هذه الحبوب بعد ترطيبها بالماء، لتسهيل عملية الهرس، بعصا (يد) المهراس، التي يصل طولها حوالي متر ونصف المتر وقطرها حوالي ١٠سم. وقد يكون للمهراس عصوان بدلاً من واحدة. وفي هذه الحالة تتقابل امرأتان عند الهرس، تمسك كل منهما بإحدى العصوين، وتسمى في الأحساء موجنة، وتتناوبان الهرس. فإذا أهوت إحداهما بالعصا (أوردت)، رفعت الأخرى عصاها، وهكذا حتى تهرس كمية الحب الموجودة في المهراس، فتفرَّغ وتوضع كمية أخرى. ويستمر العمل على هذا المنوال حتى تنتهي المرأتان من هرس الكمية المطلوبة.





وكما هو الحال في الطحن على الرحى يحلو الغناء على المهراس -على لحن السامري- خاصة إذا تقابلت عليه امرأتان؛ كما أشار أحد الشعراء بقوله:

طرابة الدنيا معاميل وفراش

وصينية يركض بها مثل مسعود

وبيضٍ تعاطن اللحن فوق مهباش

واحلو بين كفوفهن قاسي العود

ومن نماذج ما تردده النساء في هذه المناسبة قول الشاعر:

يابن سالم ترى قلبي عليكم حزين

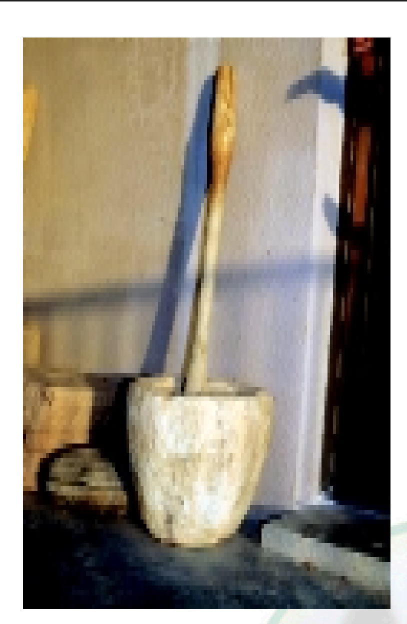
والسبب صاحبي زعلٍ ولا ارضيت اناه

صاحبي ينقش الحنا بكف حسين

مثل نقش المطوع بالقلم والدواه

أما المـيْجَـمَه فهي مثل المهباش (المهراس) في الشكل والاستعمال، ولكنها تصنع من جذع النخلة، ويحفر وسطها وتدق وتهرس به الحبوب خاصة الأرز وحب الهريس. ويكثر استخدام هذا النوع في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل كالأحساء والقطيف، ويسمى هذا النوع في الأحساء الميجمة الأنثى، في حين يطلق على ما يصنع من الخشب الميجمة الذكر، وهي المهراس أو المهباش المعروف في المناطق الأخرى.

والمِنْحَاز، وهو إناء منحوت من الحجر، يستخدم كالمهراس والميجمة في هرس الحبوب بعصا خشبية (مدق)، تصنع من شجر الأثل أو الطلح ونحوهما.



المنحاز

ومن الأدوات التي تستخدم لطحن الحب وعجنه في المناطق الجنوبية الغربية المِدْلاَق حيث ينقع الحب في الماء ثم يدلك بالمدلاق أو المدلاك ليتحول إلى عجينة وتستخدم (المسحنة) أيضاً.



المسحقه (المرهكة)





## الذرة

يبدأ موسم زراعة الحبوب الصيفية، بعد انتهاء موسم الزراعة الشتوية، عند طلوع نجم الثريا، وهو أول نجوم الصيف (القيظ)، ويوافق اليوم الثامن من شهر يوليو. ويستمر موسم بذرها حتى طلوع نجم الشعرى (المرزم) ويوافق ٣٠ من شهر يوليو. ويمتد الموسم في المناطق الشمالية، حتى طلوع نجم سهيل الموافق ٢٥ أغسطس، ولكن المزارعين في هذه المناطق لا يبدأون، عادة، في زراعة هذه المحاصيل قبل طلوع المرزم. بل يبدأون بزراعة الدخن غالباً بأنواعه المختلفة، ويلي ذلك زراعة الذرة؛ ومن الطريف تندر شاعر بقوم يمتدحون الدخن ويعدونه شيئاً نفيساً:

ما كنت أحسب أن الدخن فاكهة

حتى مررت على أرض ابن عمار

للذرة نوعان رئيسيان، هما الذرة الصفراء والذرة البيضاء أو الحمراء، وتعرف الصفراء بالذرة الحبشية، وهي ذات عذوق طويلة مكتنزة وملتبدة، ولذا كان يطلق عليها في بعض المناطق اللبدا أما في الحجاز فيسمى كوز الذرة الحبش وتسمى هذه الذرة في نجد ذرة عبيد. أما الذرة البيضاء فذات عذوق متفرعة عند النضوج وشعاع كثيف، ولذا تعرف محلياً في بعض المناطق باسم الشعشاعه. وتعد الذرة بكلا نوعيها من المحاصيل المهمة التي تزرع على نطاق واسع في مختلف مناطق المملكة، إذ إنها تزرع أساساً كغذاء للإنسان، حيث تُعمل منها أكلات شعبية رئيسية أهمها العصيد والهبيشي أما العصيدة فهي من ألذ الأطعمة، ولعل المثل الشعبي يكشف شيئاً من ذلك؛ قالوا «جوعان طاح بعصيده» جوعان أي جائع، طاح: عثر على الشيء فجأة. ومعناه كالجائع الذي وجد عصيدة مواتية للأكل دون مشقة؛ يضرب لمن وقع في خير هو في حاجة إليه. ولأن العصيدة ليست من طعام البادية، فإذا وجدها البدوي انجذب إليها لشدة اشتهائه لها، فكان حاله كمن سقط في بئر عميقة وعجز عن الخروج منها. والطيحة تعني السقوط فجأة ودون قصد؛ ولذلك قالوا «العصيدة عند الفقرا طريفه» أي أن العصيدة عند الفقراء كاللحم. يضرب المثل لنفاسة الشيء، ولو كان رديئاً، عند المحتاجين له. يعمل الهبيشي من الدقسة والحضية أي الدخن، التي تعد من أهم الأكلات التي يقبل عليها الناس في فصل الشتاء.

الذرة مهمة لكل مزارع، في مختلف المناطق، وهي أهم في تلك المناطق، التي لا تساعد ظروفها المناخية على زراعة





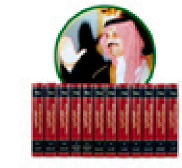
الحبوب الشتوية كالقمح والشعير، وهي مناطق تهامة، حيث تعدّ الذرة والدخن الغذاء الرئيسي للسكان فيها. كما أن للذرة أهمية كبيرة في المناطق التي يزرع فيها القمح، اعتماداً على مياه الأمطار المتذبذبة كما هو الحال في جبال الحجاز من الطائف حتى نجران، خاصة أن نسبة كبيرة من الأمطار في هذه المناطق تهطل خلال الصيف والخريف. وتتعدد الأكلات المصنوعة من الذرة في هذه المناطق، حيث تؤكل الذرة مطبوخة (طبيخة) وتؤكل محمصة (قَليَّة)، ويعمل منها بعد طحنها العديد من الأكلات مثل العصيده والجريشه والفريكه والعريكه والقرصان والمثريه؛ ولذلك هناك العديد من الأمثال، التي تبين هذه الأهمية؛ ومنها قولهم «لا بيت إلا مَرَة ولا زرع إلا ذُرة» أي أن ضرورة زراعة الذرة كضرورة وجود المرأة في البيت. والذرة لا تسمى في الباحة قلية وإنما تسمى حميصه؛ أما القلية فإنها من حبوب البر وتوضع في مقلاة بدون إضافات حتى تحمرّ، وتجمع أيضاً عند حصاد البر السنبلات وهي ما تزال في قصباتها وتحزم على شكل كتلة صغيرة ثم تعرض للهب النار حتى تنضج فتفرك باليد ويستخلص الحب ويؤكل وهذه تسمى الحنكيته.



نوع من الذرة

ومن ناحية أخرى، فالذرة بكلا نوعيها، تعد علفاً جيداً للحيوانات، سواء خلال فترة نموها، أو بعد حصادها وجفافها. والذرة إذا توفرت المياه، ذات إنتاج وفير في حبوبها وأعلافها، ولذلك فلا غرابة إن زُرِعت على نطاق واسع في مختلف المناطق.

والواقع أن المراحل التي تمر بها زراعة الذرة لا تختلف عن تلك المراحل المتبعة في زراعة القمح والشعير، من تنظيف الأرض من الأحجار والأشجار والرمال





ونقل السماد وتوزيعه، وريها الرية الأولى وحراثة الأرض بعد ذلك.

وفي مناطق الجنوب تروى الأرض هذه الرية، إذا لم تسقط الأمطار، وتحرث قبل موسم البذر بحوالي ثلاثة أسابيع، ثم تمسح وتترك للراحة. ويطلق على هذه العملية تربيح الأرض، كما يطلق عليها رَدْم الأرض؛ فيقال «ردم الأرض استعداداً لزراعة الذرة». ومن المعروف أن عملية إراحة الأرض (ردمها) من الخطوات المهمة، خاصة إذا كانت الأرض قد زرعت قمحاً أو شعيراً خلال موسم الشتاء، كما يحدثُ في بعض المناطق ذات الحيازات الضيقة كبعض مناطق جبل السراة. يلي ذلك عملية تهيئة البذور وإعدادها للزراعة، وهي مشابهة لمثيلتها بالنسبة للقمح والشعير، سواء بوضع الحبوب في المياه للتخلص من البذور الفاسدة، أو لجعلها لينة حتى تنمو سريعاً بعد وضعها في الأرض. ويختلف أسلوب إعداد البذور وتهيئتها، وكذلك طريقة نثرها وحراثة الأرض حسب اختلاف التربة من بلد لآخر، ومن منطقة لأخرى.

ويردد العاملون عند بذر الذرة وحراثة الأرض، كما هو الحال في باقي العمليات الزراعية الأخرى، العديد من الأهازيج؛ ومن أمثلة ذلك ما يردده المزارعون في تهامة بهذه المناسبة، نظراً لما للمحصول من أهمية كبيرة في تلك المنطقة، مثل قولهم «اللهم اجعله لنا ولمن شَبَره وللطير والفيرة» من شبره أي من طلب العون منه؛ والفيرة جمع فأر؛ كما يرددون على سبيل المثال عند العمل في الحراثة:

يا الله على بابك
ما خاب طلابك

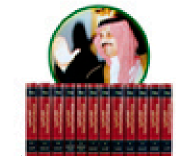
وقولهم:

واغبوني ما دام بدع التماثيل
على الرجاجيل
اللي راحو مقاتيل
واللي توفاه القدر وجه بيته
كما تغبان المخلط على السيل
في قبلة الليل
ما يشرب مالكها ليل
ما يشرب إلا ما الخرق والنحيته

المخلط: اسم أحد المزارعين، والخرق: هي الأودية الصغيرة، أما النحيتة فتعني الآبار.

ولما للثيران من أهمية كبيرة، فإن بعض هذه الأهازيج يطنب في الثناء عليها، ومنها قولهم:

وثيران وادي الضمو غال فيها
وثيران سبه وثيران محلا
وثيران دو محدودبات الظهوري





الضمو وسَبَّه من أودية تهامة المشهورة بجودة أبقارها.

ويقوم مزارع الذرة بعدد من العمليات الزراعية، خدمة لمحصوله، يتفاوت عددها وأهميتها من منطقة لأخرى، تشمل سقي الزرع وحمايته من الطير. وتحتاج الذرة، عادة، إلى ما بين خمس إلى سبع ريات خلال فترة الزرع، وقد تزيد أكثر من ذلك في حال التربة الرملية أو ذات الحرارة العالية. ويطلق على الرية الأولى في معظم المناطق الختام، لأنها تتزامن مع نهاية أعمال البذر والحرث وتسوية الأرض وتقسيمها إلى أحواض، كما تسمى الرية الأخيرة بالوداع. وتختلف هذه التسميات في بعض المناطق، ففي عسير مثلاً، يطلق على الرية الأولى الإهلاله وعلى الأخيرة الغذا، وفي نجران يطلق على الرية الأولى تنفيلْ بينما يطلق على الأخيرة الوداع.

وتنفرد منطقة نجران بعملية خاصة، غير موجودة في المناطق الأخرى، وهي عملية تقسيم الأرض إلى أحواض بعد أن تنبت الذرة ويصل طولها إلى حوالي ٣٠سم، أما في المناطق الأخرى فتقسم الأرض إلى أحواض بعد البذر بيومين أو ثلاثة. وفي عسير يعتقد المزارعون أن جذور الذرة في الأسبوعين الأولين تتعرض للتآكل إذا لم تسق خلال تلك الفترة، لذلك يسرعون بالرية الأولى بعد الإنبات. ويعتقدون أنهم بعملهم هذا يقضون على الدودة التي تأكل الجذور، وتسمى هذه الرية التطفية؛ فيقال «فلان يطفي الذرة» أي يرويها أو يسقيها خلال هذه الفترة. ويعقب ذلك عملية التخفيف من كثافة الزرع، حتى يكون إنتاجه جيداً، خاصة بعد أسبوعين من الإنبات، وتسمى هذه العملية في مناطق الطائف وبني مالك والباحة التزعير وفي نجران نتافه وفي عسير وجازان والقنفذة تنقيص الذرة. ولمعالجة البُقع التي تظهر على الزرع فإن المزارع يعاود من جديد وضع بعض البذور خلال عملية التزعير، أو التقليل منها بدفنها بيده أو بمسحاة صغيرة، إذا كانت البقع قليلة. أما إذا كانت البقع كثيرة ومنتشرة، فإن المزارع يعاود حرثها من جديد وبذرها، عندما تسقط الأمطار خلال الأيام الثلاثة الأولى من البذر، وتسمى هذه العملية في عسير وجنوب الطائف والباحة النكيثة، وفي جازان والقنفذة والليث وغيرها من مناطق تهامة المعاودة، كما تسمى في نجد الترقيع، وهي عكس عملية بذر القمح، إذ إن بذور الذرة توضع على عمق أكبر من بذور القمح.





كما نجد في منطقة نجران عملية تسمى الشَرْيَعة وتسمى في الباحة التخشير، (مفرده خشره وجمعه خشير). وهي تختص بتخفيف أوراق الذرة بعد ظهور السنابل، بقصد تخفيف الحمل على الساق حتى لا يتمايل ويسقط على الأرض. ولعل السبب في ذلك وفرة المياه التي تتسبب في زيادة عدد الأوراق، فثقل وزن أعواد الذرة نتيجة لما تحمله من مياه. وربما ساعد قص الورق على توجيه الماء إلى الحبوب. وزراعة الذرة البعلية أقل حاجة للخدمة من القمح البعلي بسبب عدم نمو الحشائش الطفيلية حولها.

وتبدأ حماية المحصول من أسراب الطيور، خاصة العصافير والقوبع، بعد ظهور سنابل الذرة. وهي العملية المشابهة لمثيلتها في حماية محصول القمح والمعروفة بالنهامة أو حامي الزرع (المندد أو الشارح). ويتخذ حماة الزرع عريشاً عالياً ليكشف لهم قدوم أسراب الطير، وهم يعتلون سطح هذا العريش الذي يسمى في بعض قرى الباحة السهوة إذ لو بقي الحامي على الأرض فإنه لن يرى الطيور نظراً لارتفاع قصب الذرة. وتعد عملية (التحزيم) آخر العمليات قبل الحصاد، بمعنى تربيط الذرة، بحزم كل ما بين عشرين وثلاثين قصبة بعضها مع بعض، حتى تأخذ هذه الحزم خطوطاً مستقيمة من أي اتجاه. ويكون ذلك عادة قبل الحصاد بثلاثة أو أربعة أسابيع، للحفاظ على سيقان الذرة من الميل أو السقوط على الأرض.

وتحصد الذرة بطريقتين مختلفتين، ففي المنطقة الممتدة من الطائف حتى شمال عسير، يفصل المزارعون العذوق عن أعواد الذرة وهي لا تزال قائمة (تسمى غلة الذرة والدخن قبل الحصاد عذوقْ)، حيث يثنى رأس ساق الذرة إلى أسفل مع قطف العذوق باليد أو قطعها بأداة كالمحش أو الشريم، وتسمى هذه العملية الصرام؛ قال الشاعر:

يادخن دوقه
يامدلي عروقه
بخت الفقير
والغني ما يذوقه

والطريقة الثانية تشبه مثيلتها المتبعة في حصاد القمح، وهي الشائعة في معظم مناطق المملكة. وخلال حصاد الذرة يردد الحاصدون العديد من الأهازيج المماثلة عند حصاد القمح والشعير، كما هو متبع في المناطق المختلفة من المملكة؛ ومن أمثلتها قولهم:

القصب ماله ضلوع
اركبه حد يلوع





لا يـــروعـــك يـــاالخـــروع
يـــاالخـــروع ابـــن الخـــروع

الخروع من الرجـال: الجبان شديد الخوف؛ ومنها قولهم:

يا ودنـة الخير جـانا الليل ما رحـنا
واللـه يجيـب الذره بعـد العسيريه

والعسيرية: نوع من أنواع الحنطة الفاخرة؛ ومن ذلك قول الشاعر:

سـلام يـاصـرام سـد الحـويـه
تـدارجـوا والا لـكـل شـطـيـه

ومن نماذج هذه الأهازيج قولهم:

مـحـشـي قـطـع يـديـه
يـلـعـن بـو حـداده

ومن ذلك قولهم:

مـا عـاد إلا شـويـه
ونـكـشـف المـغـطـى
يـاتمـر مـن بـرنـيـه
عـلـى الـسـعـف تـوطـا

ومنها قولهم:

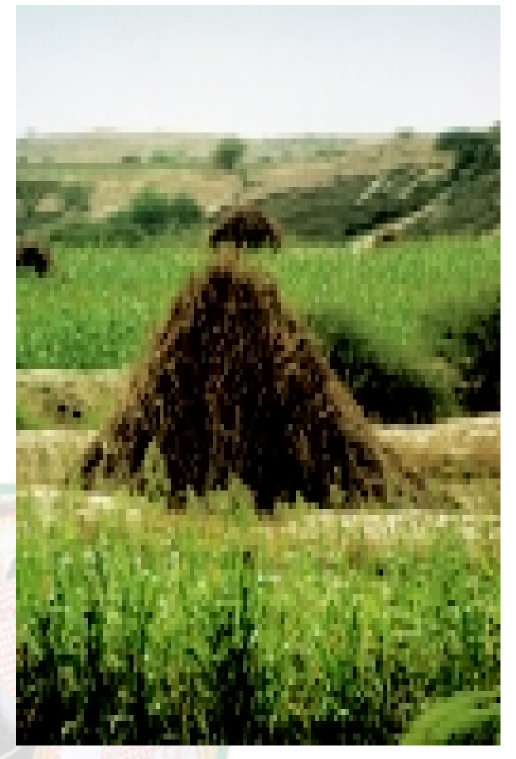
الحـول ورد والـدانـي ورد
مـا يـلـحـقـه إلا الـصـرد

والحول هو ما يكون أمام العامل من زراعة، بحيث يتقاسم الذين يصرمون الحصيلة فيما بينهم، ونصيب كل منهم يسمى حُولْ. والصَرد، بفتح الصاد، هو الهواء البارد. وبما أن الذرة زرع طويل القصب، فقد يختبئ فيها من يهاجم أصحاب المزرعة، وقد يكمن فيها المدافعون للانتقام من المهاجمين ومن هذا المفهوم تولد المثل القائل «ما بالذره أحد» و«الغشيم يدخلك الذره» وقولهم «دخل الذره» كناية عن الخوف.

أما دق الذرة وتصفية الحبوب وتخزينها، فتأتي مباشرة بعد نقل سنابل الذرة إلى القوع (الجرين)، حيث تنشر هناك وتظل فترة حتى تجف تماماً، ثم تبدأ عملية فرط العذوق وفصل الحبوب. وتختلف الذرة عن القمح في هذه العملية، فلا تُداس الحبوب إلا على نطاق ضيق جداً، وذلك عندما يكون المحصول كثيراً. والطريقة الشائعة في مختلف مناطق المملكة لفصل حبوب الذرة عن العذوق هي دق العذوق أو ضربها، حتى تنفرط حبوبها. ويستخدم في ضرب الذرة إما عسبان النخيل الخضراء التي تعرف بالعراجين، أو أعواد وعصي غليظة يطلق عليها في نجد المقاصل، في حين تعرف في عسير باسم المخباط، وفي نجران باسم الغُلب، وفي تهامة باسم البسه. وتتم عملية ضرب الذرة أو دقها (التخبيط)، في مكان صلب سواء في القوع نفسه أو حتى في داخل المنازل، حيث تقسم عذوق الذرة على قدر المشتركين، ويبدأ كلٌ منهم بخبط نصيبه حتى تنفصل







بقايا الذرة بعد حصادها

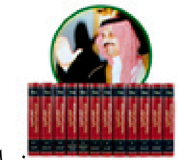
الحبوب. وقد يتقابل اثنان على كمية من عذوق الذرة يتناولان خبطها. ويفضل استخدام الأبقار والثيران في دياسة الذرة، لأن حوافرها أقدر على تفتيت العذوق من الحيوانات الأخرى.

تُذرى بعد ذلك الحبوب، كما يذرى القمح. وبعد تصفية الحبوب وقبل أن تنقل إلى أماكن التخزين يبدأ المزارع بإعطاء كل ذي حق حقه؛ الزكاة أولاً، ثم حقوق العاملين في المزرعة، ثم يسدد ما عليه من دين، ويعطي المحتاجين والفقراء (المتشكده) كما يعرفون في عسير والباحة، و(المحتضره) في جازان والقنفذة والساحل الغربي.

وفي الباحة عندما يحين صرام المحصول ذرة كان أو قمحاً، فإن الفقراء يطوفون على المزارع أثناء الحصاد ليعطوا من الثمار من باب الصدقة وتسمى الهبة فريكه، ومعناها لكي يقطفوا سنابلها ويفركوها بأيديهم ويتناولوها لأنها قليلة ولا يمكن أن تعتبر غذاء، لكن عندما تتجمع -فيما بعد- تشكل محصولاً، وأثناء تصفية الحب عند الدياس يحضر الأولاد لكي ينالوا نصيباً فيعطي الفلاح حفنة لكل واحد، وهذه تسمى الكُسابه وكل ذلك يقدم بطيب خاطر ولا يدخل في مفهوم الزكاة الشرعية لأنه خارج عنها.

وتشبه طريقة تخزين الذرة مثيلتها طريقة تخزين القمح، باستثناء جازان والقنفذة وتهامة، حيث تخزن الذرة في حفرة بعمق ثلاثة أمتار وتُغطى بالبغه، وهي البقايا الناعمة المتخلفة عن خبط الذرة وتصفيتها، ثم يهال عليها التراب. وتظل لمدة ستة أشهر قبل أن تنقل إلى إحدى غرف المنزل.

وتعد عملية تجميع قصب الذرة وتخزينه من العمليات المهمة نظراً لاستخدامها علفاً للحيوانات في مختلف





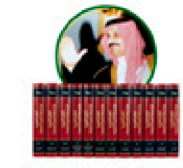
المناطق، حيث يطلق على هذه العملية القنا في الطائف والباحة، والعُجور في عسير. والشائع في مختلف المناطق، بوجه عام، ترك القصب بعد صرامه لمدة أسبوع أو أسبوعين، حتى يجف تماماً ثم ينقل إلى أماكن تخزين العلف. وفي المناطق الجنوبية الغربية التي تزرع فيها الذرة على نطاق واسع يقوم المزارع بتكويم الفائض في مكان مرتفع قريب من الأرض الزراعية أو المنزل، ويُصَفّ القصب في هذا الكوم بطريقة واحدة، بحيث توضع أسافل القصب على الأرض ورؤوسه إلى أعلى، ويكون مائلاً قليلاً ليسمح بتسرب مياه المطر على الجوانب دون الدخول إلى وسطه. وتدعى هذه الطريقة العوم في الطائف والباحة، والمزاوم أو الصومعة في نجران، والمرماد في القنفذة.

## الدخن

عرف المزارعون في هذه البلاد أنواعاً متعددة من الدخن، كان يزرع أساساً للاستفادة من حبوبه غذاء، وفي بعض المناطق علفاً للحيوان. ومن أهم أنواعه الدخن العادي، والمليساء أو الحصنية، والتكسية أو الدقسة، والأخير هو النوع الجيد من الدخن في المناطق الوسطى.

وهو ذو قصب طويل يصل إلى مترين، وسنابله مستطيلة تتراوح بين ١٠سم-٣٠سم، وتخرج من الساق الواحدة مجموعة من العذوق في القصبة الرئيسية وفروعها، ويمكن أن تقطف العذوق أكثر من قطفة على فترات متتالية. ولذا فهذا النوع كثيف قياساً بالأنواع الأخرى. أما النوع الذي يسمى المليساء أو الحصنية فذو قصب قصير يتراوح بين ٥٠سم-٨٠سم، وعذوقه متوسطة الطول (١٠-١٥سم). وتخرج من الشجرة عذوق قليلة لفترة واحدة فقط. أما الدخن العادي فله قصب قصير، لا يزيد في الغالب عن ٦٠سم، وعذوقه قصيرة أيضاً (٥-١٠سم)، وهي ذات خصل متراصة مملوءة بالحب. ويخرج من الساق عدد من العذوق لفترة واحدة فقط. ويعرف الدخن في منطقة القصيم وسدير باسم الشاميه.

تتفاوت أهمية الدخن كغذاء للإنسان، تبعاً لاختلاف المناطق. ففي المناطق الوسطى والشرقية والشمالية تقل أهميته، ولا يقارن مطلقاً بالقمح والذرة، إذ غالباً ما يستخدم علفاً للحيوانات. وطرق زراعة الدخن بدءاً من البذر وحتى الحصاد لا تختلف كثيراً عن زراعة الذرة، إلا أنّ النوع المخصص علفاً للحيوان،





لا يزرع، عادة، في أحواض خاصة بل يزرع في أحواض النخيل، وعلى السواقي الرئيسية في المزرعة.

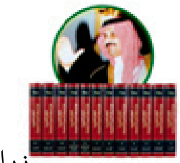
والواقع أن زراعة الدخن لها أهمية كبيرة جداً في تهامة بشكل عام، وهو بذلك يضاهي الذرة من حيث الأهمية، بل قد يزيد عليها في معظم الأحوال. ولذلك فإن حديثنا عن زراعته وحصاده سيتعلق بتهامة بشكل عام نظراً لأهميته من جهة، ولانفرادها ببعض العمليات التي لا توجد في غيرها من المناطق من جهة أخرى.

وزراعة الدخن في تهامة زراعة بعلية تعتمد على المطر. فالمزارع يظل ينتظر هطول الأمطار قبل أن يشرع في وضع البذور في الأرض، حيث يبدأ بالبذر بعد سقوط الأمطار بأربعة أيام إلى أسبوع. ويشترك في زراعته مجموعة من المزارعين يتعاونون في ذلك دون استخدام المحراث، إلا في مناطق قليلة كتلك القريبة من الجبال.

تستخدم في بذر الدخن عصا يبلغ طولها مترين تقريباً، وفي أحد طرفيها أداة حادة مذببة تسمى المغراس في القنفذة والمُنْدلُ في جازان وما جاورها. وتتم عملية البذر بأن يصطف العاملون وهم الغرَّاسة في صف واحد في أحد جوانب الأرض الزراعية، بحيث يكون بين كل غرّاسٍ وآخر مسافة ٥٠سم تقريباً، ويحملُ كل عامل منهم كمية من البذور في حِجرْه، حاملاً أداته في يده يضرب برأسها الحاد الأرض لحفر حفرة ويضع فيها عدداً من الحبوب (حوالي ٥٠حبة). ثم يدفنها برجله ويترك مسافة حوالي ٣٠سم، ثم يحفر حفرة أخرى ويضع فيها كمية من البذور. ويستمر في ذلك حتى يصل إلى الطرف الآخر المراد زراعته، ليبدأ من جديد. وهكذا يكون الدخن بعد أن ينبت صفوفاً مستقيمة، تفصل بينها مساحات خالية من النبات.

أما الطريقة الأخرى لبذر الدخن، وتستخدم على نطاق ضيق في المناطق الشرقية القريبة من الجبال في تهامة، فيستخدم لها المحراث الذي تجره الثيران. ويشترك في العملية عاملان، أحدهما يمسك بالمحراث والآخر يمسك بحبوب الدخن ويضع كمية منها في خط الحرث على شكل مجموعات يباعد بينها بمسافة ٥٠سم تقريباً، كما يباعد بين كل خط من خطوط الحرث بالمسافة نفسها. ولا يمسح المزارع الأرض بعد الحرث أو يقسمها نظراً لاعتمادها على الري من الأمطار.

أما كيفية بذر الدخن في مناطق المملكة الأخرى، فلا تختلف عن طرق





بذر الذرة حيث تتبع طرق نثر البذور وحرث الأرض، أو الغرس عن طريق استخدام المحراث، أو التنقير كما هو الحال في سهول تهامة. ونقطة الاختلاف الرئيسية هنا، أن الأرض تحتاج إلى تسوية وتجزئة إلى أحواض لأنها تعتمد على الري من الآبار أو العيون. ويروى الدخن، عادة، لمدة ثلاثة أشهر، أما الأراضي المعتمدة على الأمطار، كما في سهول تهامة، فتعتمد جودة المحصول فيها على كمية الأمطار الساقطة. وينتج الدخن، عادة، كميات جيدة اعتماداً على الرية الأولى السابقة للبذر، خاصة إذا كانت الأمطار غزيرة والتربة مرتوية بالمياه.

ومن عمليات خدمة محصول الدخن، كما هو الحال في الذرة والحبوب الأخرى، تنظيف الأرض بعد الإنبات من الحشائش والنباتات المرغوب عنها التي تنمو بين صفوف المحصول. ويفعل هذا، عادة، بعد أسبوعين إلى شهر من إنبات حبوب الدخن، سواء بحرث الأجزاء المفتوحة بين الصفوف بالمحراث، أو بتقليع هذه النباتات بالمسحاة أو المغراب. ويفعل هذا، عادة، العمال أنفسهم الذين تولوا بذر المحصول، ما لم يكن المحصول قليلاً حيث يكتفي المزارع في هذه الحال بأفراد أسرته للقيام بهذا العمل.

وبعد أن يكتمل نمو الدخن وتنضج حبوبه تبدأ حماية المحصول من الطير أي النهامه. ومن الملاحظ أن المزارعين في تهامة لا يحمون محصولهم من الدخن كحرصهم على محصول الذرة، لأن الإنتاج عادة يكون كبيراً والأراضي التي يزرع فيها الدخن واسعة ومتفرقة ومن الصعب حمايتها جميعها. ولذلك تقتصر الحماية في معظم الأحيان على الأراضي القريبة من سكن المزارع.

ويحتاج حصاد محصول الدخن كبذره إلى عدد كبير من العاملين، سواء من المتعاونين من المزارعين أو من العمال الآخرين الذين يأخذون لقاء عملهم كميةً من المحصول. وتبعاً لطريقة بذار الدخن، سواء بوضع مجموعة من الحبوب في حفر متفرقة، أو وضع البذور على مسافات متباعدة خلف المحراث، تنمو نباتات الدخن على شكل مجموعات يطلق على كل منها رِزْوَه، وتشكل الرزوات خطوطاً مستقيمة متوازية. ولذلك فعند الحصاد، يبدأ كل عامل من بداية كل سطر (صَفّ) ويحصد الرزوات واحدة بعد الأخرى. ويحدد أجر العامل، عادة، تبعاً لعدد الرزوات التي قام بصرامها، كأن يأخذ رزوة من بين كل ست أو سبع رزوات.





ويحصد الدخن بفصل العذوق من أعلى الساق، الذي يسمى جِثْمْ، وتجمع عذوق كل رزوة علـى حدة وتربط في مجموعة تـسمى جَنْبْ. وتترك سيقـان الدخن قائمة، لأن العذوق تعاود الظهور مرة أخرى من المكان الذي قطع منه العذق الأول، ويقال في هذه الحالة «إن الدخن يُشْكر». ويستمر صرام الدخن مرة ثانية وثالـثة ورابعـة حسب كـمية الرطـوبة الموجـودة في الأرض، وحسـب رغبة المزارع في إبقاء السيقان؛ ويقال في هذه الحال «حصـلنا علـى ثلاث أو أربع أو خمس صُوبّات للدخن في هذا الموسم». وبعد أن تتم عملية الحصاد، تجمع عذوق الدخن، في مكان صلب ثـم تنقل إلى الجرين (المجرن) لتجفيفها.

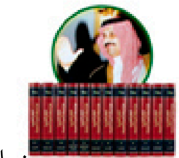
وبعد أن تنـشر العذوق في الجرين لعدة أيام وتجف تماماً، تعـامل بالطريقة نفسها المتبعة في فصل حبوب الذرة عن عذوقها، بأن تخبـط (تدق)، ثم تذرى وتصـفى وتخزن. أمـا إن زادت كميـة المحصول، كما هو الحال في تهامة عندما يهطل مزيد من الأمطار، فقد يلجأ المزارع في هذه الحالة إلى دياسته بأسلوب دياسة القمح. وقد يلجـأ بعض المزارعين إلى تخزين بعض محصولهم من الدخن على شكل عذوق، في غـرف خاصة لتبقى



الدخن

مدة طويلة، قد تصل إلى بضع سنوات، دون أن يصـيبهـا عطب وذلـك تحسبـاً لسنوات الشدة، خاصة أن بعـض أنواع الدخــن يزداد جودة مع مـرور الزمن. ويصــنع مــن الدخــن السـويق وذلـك بتحميصه وطحنه وخلطه بالسكر والهيل ونحوهما.

أما بالنسبة لسيقان الـدخن، فمثلها مثل سيقان الذرة، تحصـد وتخزن علفاً للحـيوانات، ولكن أهـميتهـا الغذائية للحيوانـات ليست واحدة. ولذلك قد يكتفي بعض المزارعين خاصة في تهامة، حيث تكون حقول الدخن واسعة، بأن يجمعوا بعض هذه السيقان، ويخزنوها





إلى جانب الأعلاف الأخرى، أو يجمعوها في أماكن مرتفعة قرب المنازل وحظائر الحيوانات. أما غالبية السيقان، فتترك قائمة في المزرعة وتطلق عليها الأبقار والأغنام لترعاها. ونتيجة لذلك يبقى جزء كبير منها متساقطاً على الأرض، ويختلط بتربتها ويتحلل داخلها ليكسب التربة مادة عضوية مفيدة، ويزيد من خصوبة الأرض استعداداً لموسم الزراعة القادم.

## الأرز

لم تعرف زراعة الأرز في المملكة، إلا في منطقتين رئيسيتين هما الأحساء والقطيف، وكان النوع المزروع هو الأرز الأحمر، الذي تشبه حبوبه حبوب القمح شبهاً قويّاً. وكان محصول الأرز في هاتين المنطقتين من المحاصيل الرئيسية، بل كان في الأحساء يسبق من حيث الأهمية الحبوب الأخرى ويلي أشجار النخيل في اهتمام الفلاح به. وكانت المناطق المزروعة بالأرز هي المناطق القريبة من الينابيع الرئيسية التي تحظى بنسبة كبيرة من مياه الري، لأن هذا المحصول يحتاج إلى غمره بالمياه معظم فترة الإنبات، التي تمتد لأكثر من خمسة أشهر. والأرز من الحبوب الصيفية التي لا تحتمل البرودة، ولذا يزرع، عادة، في بداية فصل الصيف (شهر يوليو)، ويحصد في نهاية نوفمبر. وقد أخذت المناطق المزروعة بالأرز تتقلص تقلصاً شديداً، منذ تنفيذ مشروع الري والصرف، لأن هذا المشروع توخى توزيع المياه على المزارعين بالتساوي، فقلَّت المياه الفائضة التي كانت تستخدم لزراعة الأرز قرب العيون الرئيسية. كما أن منافسة الأرز المستورد والتكاليف العالية للإنتاج، جعلت المزارعين في هذه المناطق يحجمون عن زراعته في السنين الأخيرة.

ويطلق على المناطق المزروعة بالأرز في الأحساء اسم الضواحي. وهي الأراضي الخالية من أشجار النخيل أو الفاكهة، حيث توجد هذه الأشجار على أطرافها وليس داخلها. وتحتاج زراعة الأرز إلى عناية خاصة بالتربة قبل وضع البذور، حيث تُقلّب وتخلط بالسماد البلدي وبأغصان الأشجار وسعف النخيل وجذوعها بعد حرقها، وهي ما تعرف بالطبينه. والطريقة الشائعة قديماً لبذر الأرز هي وضع البذور في الحقل مباشرة، حيث توضع كمية من البذور في حفر متجاورة على شكل خطوط مستقيمة. وهذه الطريقة أشبه بطريقة بذر الدخن في سهول تهامة. أما الطريقة الثانية المعتمدة على الشتل فمن المرجح أنها لم





تعرف قديماً، إلا في نطاق ضيق، ولكنْ أكثر المـزارعون من استـخدامها خـلال السنوات الخمسـين الأخيرة. وتتلخص هذه الطريـقة في بذر حبوب الأرز في مشاتل، وريها لمدة شـهرين تقريباً، ثم نقل الشـتلات إلى حقل الزراعـة الذي يكـون قد أعـد سلفـاً. وتوضـع هذه الشتلات، على شكل صفوف متوازية، تفـصل بين كل شـتلة وأخـرى مسافة بسيطـة. وبغض النظر عن طريـقة بذر الأرز، فإن من الأمور المهمة أن يستمر غمره بالميـاه، حتى اكتمال نمو السنابـل والحبوب ثم يقطع عنه الماء، مدة تتراوح بين ثلاثة وأربعة أسابيع حتى يجف.



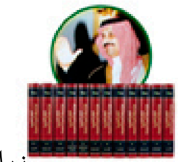
الأرز

ويحصد الأرز بعدئذ كحصاد القمح بالمحش، كما يشبه القمح في العمليات التي تـعقب الحصاد، حيـث ينقل إلى منطقة صلبة بجوار القرية (القوع) لتدوسه الحمير، ثم يذرى ويصفى. كما يستفاد من تبنه في تغذية الحيوانات.

## السمسم

تتركز زراعة السمسم بشكل أساسي في سهول تهامة. وكـانت زراعته قديماً منتشـرة بشكل جيد فـي هذه المناطق، ولكنـه لا يقارن بدرجة انتـشار الدخن والذرة ولا بالمسـاحات المزروعة بهما. وحتـى في هـذه المناطـق، فإن زراعـة السـمسم تقـتصر علـى الأراضي ذات التربات الطينـية الجيدة، التي تقع على ضفـاف الأودية، أو التـربات الطـينيـة المختلطـة بالرمل التي تـعرف بالتربات (الخِرشْه).

والسمسم من النباتات الصيفية التي تتأثر بالبرودة، ولذا تبدأ زراعته، عادة، في نهاية فصل الصيـف (برج الأسد)، وتستمر حتى منـتصف فصل الخريف. فإذا هطـلت أمطار خلال هذه الـفترة، تركـت الأرض لمدة أسبـوع، ثم شرع المزارعون بحرثهـا ومسحها ثم بذرها. أما إذا هطلـت الأمطار في فترة مبكـرة





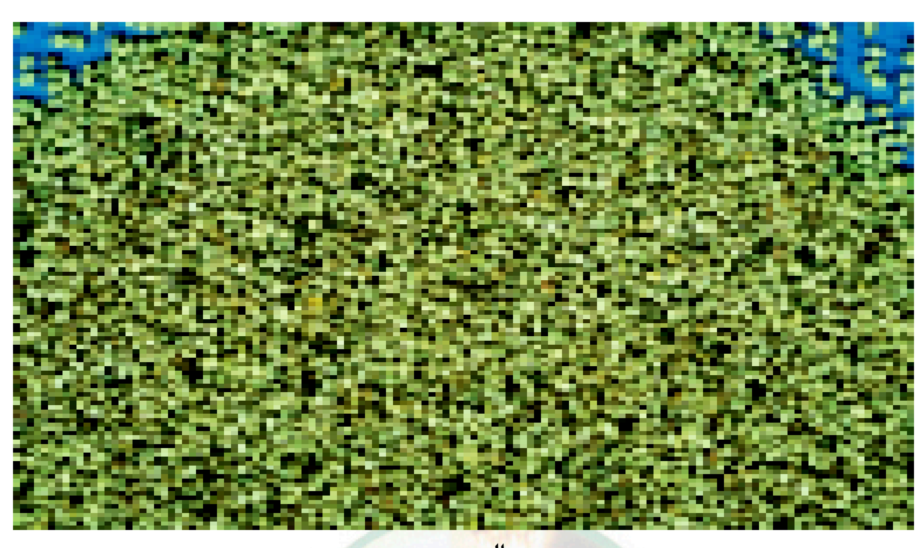
على موسم البذر، فإن الأرض تحرث وتمسح، ولكن لا يشرع في البذر إلا مع دخول موسمه. ويبذر السمسم بنثره على الأرض مباشرة، مثل القمح تماماً ويقولون في جازان «يسفح السمسم»، وفي القنفذة «ينشح السمسم» أي ينثره على الأرض. ونظراً لصغر حجم حبيبات السمسم، تخلط البذور بقليل من الرمال حتى لا تتراكم البذور في بعض المواقع دون بعض، خاصة إن لم يكن المزارع ماهراً في هذه العملية. ويخلط مع بذور السمسم أيضاً قليل من بذور الذرة لاستخدام قصبها فيما بعد لتربيط السمسم عند الحصاد.

وبعد أن تبذر الأرض، تحرث ثم تمسح ويطلق على هذه العملية الدمس أو الكم، فيقال «فلان يدمس الأرض أو يكمها» أي يحرثها ويمسحها بعد بذرها. ولما كانت زراعة السمسم من نوع الزراعة البعلية (المطرية)، فإن المزارع لا يقوم بأي عمليات إضافية، عدا إزالة بعض النباتات والأعشاب الضارة، ثم يترك المحصول حتى فترة الحصاد. وينضج السمسم، عادة، بعد شهرين ونصف إلى ثلاثة أشهر من وضع بذوره في الأرض.

ويحصد السمسم بطريقتين؛ أولاهما، وهي الشائعة، اجتثاث نباتات السمسم من جذورها بالأيدي، أما الأخرى فحصده بالمحش أو الشريم، وتبقى جذوره في الأرض، مثل حصاد القمح في المناطق الأخرى. وتستخدم الطريقة الأخيرة، عندما تسقط الأمطار بعد البذر مباشرة، فتتصلب الأرض على جذور السمسم وتطبق عليه بشدة، فيصبح انتزاعه عند الحصاد صعباً. كما تستخدم هذه الطريقة أيضاً عندما تسيل الأودية، فيجري الماء غيلاً ويدخل إلى الأراضي المزروعة بالسمسم عن طريق الغيل (القنوات الفرعية)، فتشتد الأرض على جذور السمسم. وعلى أي حال، فبعد حصاد السمسم أو اجتثاثه ينشر على الأرض، حتى يجف ثم تزال أوراقه وتربط كل حزمة من السيقان الخضار، والحزمة يصل قطرها حوالي ٣٠سم. وتستخدم في التربيط سيقان الذرة التي نثرت مع بذور السمسم عند البذر، ويطلق على هذه الربطة أو الحزمة مِشقابْ أو شُقْبه وتجمع على مَشَاقيب أو شقب. وتنقل هذه الحزم إلى المجران (الجرين)، وتجمع في (مزوام) أي خيمة، وتترك على هذا الوضع مدة شهر أو أكثر استعداداً لفصل الحبوب عن السيقان والسنابل. ويحرص المزارع على أن يكون المكان الذي يجمع فيه السمسم سواء كان







السمسم

المجران أو غيره، غير معرض للهواء حتى لا تحمل الحبوب مع الرياح.

وبعد أن يجف السمسم تماماً وتبدأ سنابله بالتفتح (تُفَقِّر)، يشرع المزارع بعملية فصل الحبوب عن السنابل فيفرش حصيراً من الخوص على الأرض، ثم يحمل مجموعة من ربطات أو حزم السمسم جاعلاً سنابلها إلى أسفل ويهزها بيديه حتى تتساقط الحبوب. ويضرب شخص آخر السنابل ضرباً خفيفاً، بعصاً خفيفة ليتساقط ما بقي من حبوب. ويطلق على هذه العملية حت السمسم، وعلى من يقومون بها الحتّاته. وتجمع الحبوب بعد ذلك ويقوم الفلاح بذرايتها في الهواء، وتصفيتها. ثم تكال وتخزن في أوعية من الخوص تسمى عِجَارْ أو قِفَاعْ.

ورغم أن حبوب السمسم تستهلك أحياناً بخلطها مع بعض الأغذية والحلويات، إلا أن السمسم يزرع أساساً لاستخراج زيته. معصرة السمسم جذع شجرة كبير الحجم أسطواني الشكل، يحفر له في أرض مستوية ويثبت بإحكام لمنع الاهتزاز أثناء عملية العصر. ويجوف الجزء الأعلى من هذا الجذع، ليكون على شكل قمع توضع به حبوب السمسم المراد عصرها. ويعصر بالمهراس، وهو عصاً غليظة مدببة يثبت طرفها الأسفل داخل التجويف في حين يربط طرفها الآخر بقطع من جذوع الأشجار تتصل بقتب الجمل. وعند دوران الجمل حول المعصرة، يبدأ المهراس بعصر حبوب السمسم بالضغط عليها في الجزء الأسفل



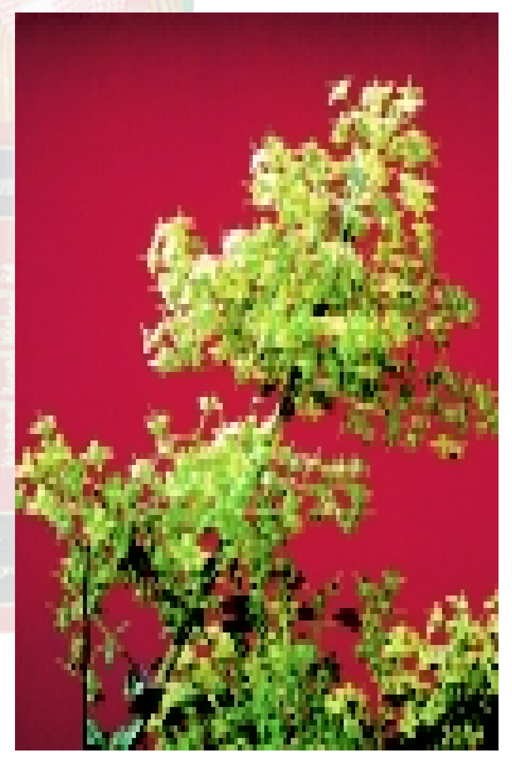


من التجويف. وبعد أن تكتمل عملية العصر يستخرج خليط الزيت وبواقي الحبوب، ثم يصفى الزيت وتؤخذ بواقي حبوب السمسم، التي يطلق عليها عُصارْ أو تُنحْ، ويستفاد منها أعلافاً للحيوانات.

## البقول والتوابل

تضم هذه المحاصيل الحلبة والرشاد والحبة السوداء، والحبة الحلوة، والكمون والكزبرة والنعناع والخس والرِّجلة (الفرفخ) والجرجير. وفي بعض مناطق المملكة تقوم النساء، عادة، بزراعة هذه المحاصيل والعناية بها وتصفية حبوبها، ومن ثم استخدامها في تجهيز الطعام أو أدوية لبعض الأمراض، خاصة أمراض النساء والولادة.

ويمكن أن يضم إلى هذه المجموعة من المحاصيل، عدد من النباتات التي تستخدم زهورها أو أوراقها في التزين والتجمل، خاصة تزيين الشعر والكفين. ويأتي على رأس هذا النوع من النباتات الحناء والعصفر. وتتركز زراعة الحناء، بشكل رئيسي، في منطقة المدينة المنورة وينبع النخل والمناطق المجاورة، وفي بعض أجزاء من تهامة، وينتقل إنتاجها من هناك إلى مختلف المناطق. أما زراعة العصفر فتتركز في المناطق الوسطى والشمالية، كما توجد نباتات مشابهة، تستخدم في الزينة في كل منطقة من المناطق الأخرى. وأصل الحناء أشجار تؤخذ أوراقها وتدق، ثم تستخدم بعد



الحناء



البقدونس





إضافة الماء إليها لصبغ باطن الكفين وباطن القدمين وكذا شعر الرأس، فيتحول لونه إلى لون قريب من الأحمر أو إلى أشقر جذاب. أما العصفر فهو نبات قائم زهري يرتفع إلى حوالي ٨٠سم، ذو أزهار كثيفة صُفْرٍ مرة المذاق. ويضاف مع البهارات الأخرى لإعطاء الطعام لوناً ورائحة، كما يضاف مع الأرز لإكسابه لوناً كالزعفران وتستخدم بذوره في علاج الرق، وتسمى الكبوس حيث تطحن وتذر في العين المصابة بالرمد فتطهرها. كما تلتقط النساء أزهار العصفر، ويجففنها ثم يسحقنها لتضاف إلى بعض مساحيق التزين والعطور. كما يستخدم مسحوق أزهار العصفر، مثله مثل الحناء، لمشط الشعر، حيث يكسبه لوناً أشقر جذاباً، ويزيده نعومة وطراوة، كما تسهم مرارته الشديدة في قتل الحشرات التي تعيش على فروة الرأس؛



الجرجير



لخس

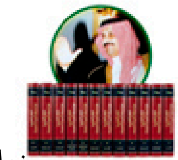
وفي هذا الشعر الممشوط بالعصفر تتغنى إحدى المشاطات فتقول:

أصفر معصفر ليت محسن يشوفه
توه على حد الغرض ما بعد لمس

كما يزرع الريحان الذي يسمى في الأحساء المشموم، والذي تضعه النساء في جدايل شعر الرأس لرائحته الطيبة. ومن النباتات المماثلة نبات البعثيران والبرك والكادي والعطر وهي مما تستخدمه نساء الباحة في التجمل ولذلك يُعنين بزراعته.

## الخضار

يطلق كثير من الناس في المملكة العربية السعودية هذا المصطلح على طائفة من المزروعات منها الخضراوات ومنها الفواكه. فقد يقولون عن الفلاح إنه قد خضّر أي بذر بذور البطيخ والشمام وغيرهما كالقرع. ولذلك سنعرض لزراعة الخضراوات والفواكه تحت هذا المدخل.





إن أبرز خصائص الزراعة التقليدية وسماتها في المملكة في الأزمنة الماضية أنها زراعة هدفها الرئيسي سد الاحتياجات الغذائية الضرورية للفلاح وأسرته. لذا كان التركيز على المحاصيل الغذائية الرئيسية؛ وهي النخيل والحبوب الغذائية لأنها الغذاء الأساسي لسكان البلاد في مختلف المناطق. وكان الاعتماد على إنتاج أي منهما (النخيل والحبوب) يختلف من منطقة إلى أخرى فتزيد أهمية أشجار النخيل في مناطق، كالأحساء والقطيف والمدينة المنورة وينبع النخل وخيبر وبيشة ونجران وبعض المناطق الوسطى والشمالية، وتزداد أهمية الحبوب، سواء أكانت قمحاً أم شعيراً أم ذرة أم دخناً، في مناطق كتهامة وجبال الحجاز وأجزاء من المناطق الوسطى والشمالية. وتحقيقاً لهدف الاكتفاء الذاتي كان المزارعون في هذه البلاد يحرصون على أن يزرعوا أكبر مساحة ممكنة من هذه المحاصيل الرئيسية، حتى يلبوا الاحتياجات الغذائية لأسرهم، ويفوا بما عليهم من التزامات وديون للعمال والتجار والحرفيين، الذين يتعاونون معهم ويمدونهم بما يحتاجون إليه من أدوات وحيوانات وبذور وغيرها. ثم يبيعون ما فضل عن ذلك، ليشتروا بثمنه بعضاً من احتياجاتهم الأخرى، كالملابس والفرش وأدوات الطبخ والبن والهيل والسكر والملح ونحو ذلك.

وانطلاقاً من هذا المنظور العام، فإن بقية المحاصيل التي تشمل الخضراوات والفاكهة والبقول والأعلاف وغيرها، لم تكن ذات شأن يذكر ولم يكن معظم المزارعين يعيرونها الكثير من الاهتمام. وعندما تزرع تكون زراعتها، غالباً، على هامش الأراضي الزراعية، وإذا خصص لها المزارع مساحات فإنها غالباً ما تكون صغيرة ومحدودة، لسد احتياجات أسرته، أما ما يزيد عن ذلك فغالباً ما يوزع دون ثمن على الأقارب والجيران والأصدقاء والمحتاجين. ولا يبيع المزارع أياً من هذه المحاصيل ولا يقايضها بغيرها من السلع، إلا في حدود ضيقة وتحت ظروف معينة.

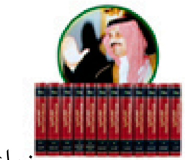
والواقع أن عدم تركيز الفلاح على هذه المحاصيل بنفس درجة تركيزه على أشجار النخيل ومحاصيل الحبوب الغذائية إلى جانب السمسم، يعود في الأساس إلى محدودية الموارد الطبيعية والمالية المتاحة للفلاح، ورغبته في توجيه هذه الموارد لخدمة المحاصيل الأساسية وأيضاً لقلة الطلب. فمحدودية موارد المياه في معظم المناطق، ومحدودية الأراضي الصالحة للزراعة في مناطق أخرى، ومحدودية قدرة الفلاح على خدمة الأرض الواسعة





نظراً لاعتماده على الجهد العضلي للإنسان والحيوان، في جوانب متعددة من العملية الزراعية كرفع الماء من الآبار والحراثة والرياسة والحصاد والدياسة والذراية وجني المحاصيل، جميعها تجعل قدرة الفلاح مقتصرة على زراعة مساحة محدودة من الأرض في كل سنة. وما دام الأمر كذلك فإن الفلاح يحاول أن يستغل هذه المساحة المحدودة بالتركيز على زراعة المحاصيل الضرورية (النخيل والحبوب الغذائية والسمسم)، التي تشكل الغذاء الأساسي للسكان وهي السلع الرائجة في البيع والمقايضة. أما المحاصيل الأخرى فكانت تعد محاصيل ثانوية لدى جمهور المزارعين، لأنها لا تشكل أهمية تذكر في غذاء الناس، ولأن استهلاكها مقصورٌ على مواسم محدودة في السنة، فكان المزارعون يزرعونها على نطاق ضيق.

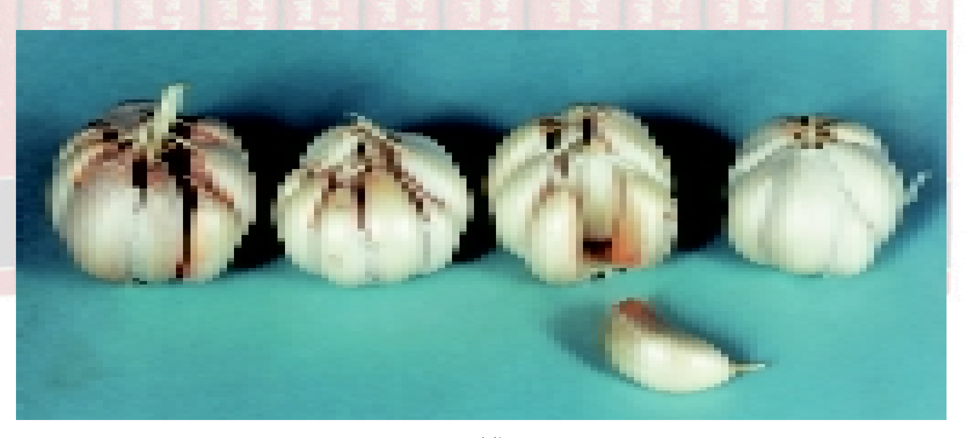
تشمل الخضراوات التي كانت تزرع في هذه البلاد نوعين رئيسيين؛ أحدهما الخضراوات التي تستهلك وتؤكل مطبوخة كالقرع والباذنجان والطماطم واللوبيا (اللوبا) والباميا والفلفل الحار (الحبحر، ويعرف في الأحساء بالدراز)، والثاني الخضراوات التي تستهلك طازجة وهي البطيخ (الحبحب) والشمام والطروح والخيار. ويأتي القرع على رأس محاصيل الخضراوات من حيث الأهمية وسعة الانتشار، وكان يزرع منه عدة أنواع، أهمها القرع الشامي (الدُّبا)، وهو أبيض كبير ذو شكل كروي، والقرع الأبيض ذو الرقبة الذي يسمى في بعض المناطق الرقيبي، ثم القرع الأصفر المستطيل الذي يسمى القرع المصري. وترجع أهمية القرع إلى أنه يمكن الاحتفاظ به لفترات طويلة بعد أن يقطف من دون أن يتلف أو يفسد، ولذا كان المزارعون يتوسعون في زراعته أكثر من أي نوع آخر من أنواع الخضراوات. وكانت الطريقة المتبعة للاحتفاظ به والمحافظة عليه بعد قطفه، في ضوء انعدام وسائل الحفظ المبردة، أن يوضع في إحدى الغرف فوق كمية من التبن ويغطى بأخرى. ويأخذ المزارع منه ما بين وقت وآخر بقدر الحاجة. وإذا كانت غرفة التخزين هذه جيدة من حيث التهوية وعدم التعرض لأشعة الشمس المباشرة، فقد يستمر القرع محتفظاً بطراوته، وعناصره الغذائية لفترة قد تصل إلى سنة كاملة. ولذا فلا غرابة أن كان القرع من العناصر الغذائية الشائعة التي تضاف إلى كل وجبة من وجبات الفلاحين، كالمرقوق والمطازيز (القبابيط)، خاصة عندما يكون لدى الفلاح عمال (شواغيل أو حرفيه)، يعملون في أي من أعمال الزراعة، كالحراثة وتقليب الأرض أو السواني أو الرياسة أو موالاة





النخل. ولما كان هؤلاء العمال، خاصة أولئك الذين يعملون في حراثة الأرض بالمساحي (الختام)، يحتاجون إلى غذاء جيد ودسم، فلم يكن يستهويهم أكل القرع فقد ملّوه من كثرة ما أكلوه.

ويلي القرع من حيث الأهمية وسعة الانتشار الباذنجان (البيدجان) والطماطم (البندوره أو القوطه أو الطماط) والفلفل الحار (الحبحر) ثم اللوبيا والكوسه والفجل والجزر والباميا والبصل والكراث والثوم. ويعد البصل محصولاً ثانوياً رخيصاً؛ قالوا في المثل «بايعها ببصله» كناية عن تفاهة الثمن؛ ويضرب هذا المثل لمن سئم الحياة، ولم يعد يبالي بما تبقى من أيامٍ له فيها؛ كما يضرب لمن يُخشى أن يتصرف تصرفاً أهوج لأنه لم يعد يحسب للنتائج أي حساب؛ وهناك مثل يقول «ولا يسوى بصلـه» بمعنى إنه تافه لا قيمة له ولا اعتبار، كالبصلة. وأرخص منه الثوم، وقلّ من يقبل على أكله في المناطق الوسطى من الجزيرة؛ يكرهون رائحته وأثره على العين، وجاء في أمثالهم «حب العين لفص الثوم» أي هو يحبه كحب العين للرأس من الثوم؛ ويضرب المثل في التهكم أو الأمر المفتعل غير الحقيقي، وتسمية الرأس من الثوم بالفص تسمية قديمة. وقالوا «طعم الثُّوم وَاحِد»؛ يضرب في الأشياء المتشابهة. وكانت بعض هذه الخضراوات تعرف في المنطقتين الشرقية والغربية من المملكة. أما المناطق التي ليست على اتصال قوي بالبلدان الأخرى، كمعظم المناطق الوسطى، فلم تعرف بها كل هذه الخضراوات إلا في أوقات متأخرة، وإن عرفت قديماً في منطقة القصيم.



الثوم





أما الخضار التي تستهلك طازجة بدون طبخ، وهي البطيخ (الجح أو الحبحب)، الذي يسمى في الشرقية عامة الرقي، ومن الخضار الجرو (الشمام أو الخربز)، والطروح والخيار، فقد كانت معروفة في جميع المناطق منذ عهود بعيدة. وكان النوع المعروف من الحبحب هو الحبحب الأخضر ذو الشكل الدائري، أما الحبحب الأبيض المستطيل الذي يدعى (السيدلان) فلم يعرف في معظم مناطق البلاد إلا في عصور متأخرة.

ولزراعة البطيخ بأنواعه أهمية خاصة في المنطقة الوسطى بالذات، حيث كان كثير من المزارعين من غير الملاك يشتركون على شكل مجموعات، تتفق كل مجموعة على زراعة أرض معينة بالبطيخ. وذلك بأن يجتمع اثنان أو ثلاثة أو أكثر من المزارعين ويتفقون مع صاحب المزرعة على استثمار رقعة من الأرض المجاورة لمزرعته، وتسمى حياله (تجمع على حيايل)، ويطلق على العقد الذي يبرم بينهم قضابه وهو عقد شفهي في الغالب، أي غير مكتوب، نظراً لقلة القادرين على الكتابة في ذلك الوقت، ونظراً للشقة الكبيرة التي كانت سائدة بين الناس في تعاملاتهم.

كما يسمى العقد بين الشركاء شراكه، وتعقد هذه الشراكة، عادة، بالاتفاق على

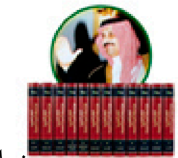


البطيخ

نسب متساوية من المحصول بين الشركاء، مع احتساب نسبة محددة لصاحب الملك.

وفي الغالب تكون الأرض المخصصة لزراعة البطيخ خاليةً من أي زراعة أخرى، وقد تسقى من بئر المزرعة، وقد تكون بها بئر خاصة تسقى منها، حيث تنظف الأرض، وتخطط على شكل جداول متقاطعة، يمرر من خلالها الماء لتكتسب الرطوبة، وتسمد، ثم يغرز بذر البطيخ على جوانبها الداخلية.

ويتعاقب الشركاء على رياسة الماء في مزرعة البطيخ، ويشتركون في حمايتها من الآفات. فإذا ظهرت نباتات البطيخ الزاحفة ونمت وأخذت وضعها الطبيعي في التمدد على سطح الأرض، فإنها تأخذ في التبرعم ثم طرح الحدج الذي يشبه حدج الحنظل البري في الاستدارة، ثم يكبر مع الأيام حتى يكتمل نموه.





وعند اكتمال نمو البطيخ تشتد حمايته من اللصوص، ومن الثعالب والنسور، وذلك بالمبيت داخل المزرعة ليلاً، وبرصدها ووضع الفزاعات في أماكن متفرقة في النهار، ويتبادل الشركاء الأدوار في سقي المزرعة وحمايتها حتى يكتمل نضوج المحصول.

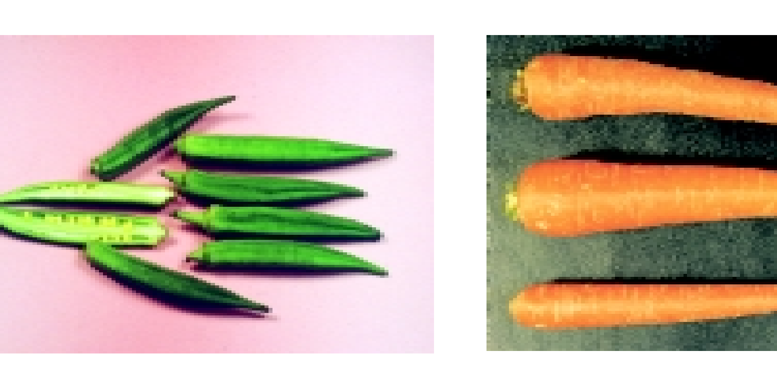
بعد ذلك تأتي عملية جني المحصول، وجلبه إلى الأسواق بشكل يومي تقريباً. فإذا كان المحصول كثيراً فإنه قد يصدر إلى المدن المجاورة، خاصة بعد وجود وسائل النقل اللازمة (اللواري والونيتات).

ولما لهذه الطريقة في الزراعة من أهمية وشأن كبير لدى المزارعين، فإنها قد تضطرهم إلى ترك مساكنهم والانتقال للسكن المؤقت داخل المزارع. كما قد ينتقل بعض المزارعين من بلد إلى بلد آخر لممارسة هذا النوع من الزراعة أثناء الموسم، حسب قلة مياه الآبار أو توافرها من منطقة لأخرى، وبعد انتهاء الموسم يعودون إلى قراهم.

وتبدأ زراعة الخضراوات عموماً في فصل الربيع، على فترات متفاوتة أولها يزرع بعد ظهور نجم البلدة (السماك الثاني) بعشرة أيام، وهي فترة نهاية (الشِّبْط) عند أهل الحساب. ويبدأ، عادة، بزراعة القرع، ثم يتبع ذلك الحبحب والشمام والطماطم والباذنجان وسواها من الخضراوات الأخرى. وتستمر زراعة الخضراوات قديماً حتى نهاية الحميم الأول (سعد الأخبية)، الموافق لبداية شهر أبريل بالتقويم الحديث. وتتوافق زراعة معظم هذه الخضراوات واشتداد حاجتها للماء، مع انتهاء زراعة الشتاء (القمح والشعير). فما أن يقطع الفلاح الماء عن حبوب الشتاء، حتى يصرفه إلى النخيل وزراعة الخضراوات، إن وجدت، إلى أن يحين موسم زراعة حبوب الصيف (الذرة والدخن).

وتتباين طريقة زراعة الخضراوات وريِّها حسب طبيعتها، فالقرع والحبحب والشمام وغيرها من الخضار التي تزحف وتتفرع وتتمدد بشكل أفقي على سطح الأرض، تزرع، عادة، إما على السواقي أو قنوات الري الرئيسية، خاصة الساقي الذي يدعى القائم أو القيُّوم، الذي يمتد من الجابية (بركة الماء) إلى الأحواض، أو على سواق خاصة اسمها المشاعيب أو الأمديه. والمشعاب أو المديّ ساق كالسواقي الأخرى، ولكنه لا يوزع الماء على الأحواض، بل يقتصر على إرواء الخضار والمزروعات المزروعة على كالّتيه أي ضفتيه. وعادة يزرع الساقي الرئيسي بالقرع، ولذا فالقرع لا يكلف الفلاح





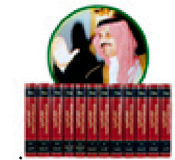
لجزر

الباميا

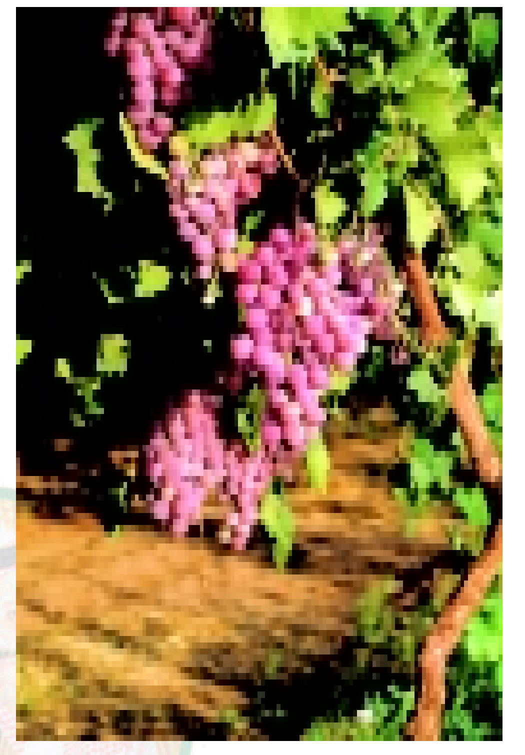
كثيراً، ولذلك يعد شيئاً رخيصاً؛ يكشف هذا، المثل الشعبي «أغلى من قرعة البصرة». ويضرب هذا المثل في الشيء الرخيص الذي يتكلف غالياً. وقد يخصص المزارع للقرع أيضاً مشعابين أو ثلاثة، في حين يزرع الحبحب والشمام (الجرو)، إما مجتمعين أو منفردين على مشاعيب خاصة، تمتد نباتاتهما على كلا جانبي كالَّتيْ الساقي. أما الخضراوات الأخرى القائمة كالباذنجان والفلفل الحار (الحبحر) والطماطم، فتزرع، عادة، في أحواض صغيرة أولاً، على شكل شتلات تسمى في المنطقة الوسطى حكيرة، ثم تؤخذ شتلاتها، عندما ترتفع قليلاً وتغرس في أحواض أكبر على مسافات متباعدة بعض التباعد. ومن الخضراوات التي تزرع كذلك البامية والملوخية والقثاء والفجل والجزر والبصل والكراث والثوم.

ويختار المزارع لمحاصيل الخضراوات أرضاً جيدة ومشمسة، تحرث وتسمد وتشق مشاعيبها، أو تعمل أحواضها ثم تبذر ببذور الخضار المختارة. وتزرع الخضراوات في بعض المناطق، التي تحتل أشجار النخيل الجزء الأكبر من أراضيها الزراعية، كالأحساء والقطيف، في مناطق خاصة خالية من أشجار النخيل تعرف بالضواحي. أما أحواض النخيل فتزرع بها، عادة، محاصيل أخرى، كالبرسيم والدخن والذرة وبعض أشجار الفاكهة.

أمّا أشجار الفواكه فعرف المزارعون في مختلف مناطق المملكة زراعة أنواع عديدة منها منذ فترة طويلة. وتتفاوت أهمية كل فاكهة من منطقة إلى أخرى. ويأتي العنب بجميع أنواعه، الأبيض والأسود والأحمر، على رأس قائمة الفواكه من حيث الأهمية وسعة الانتشار.



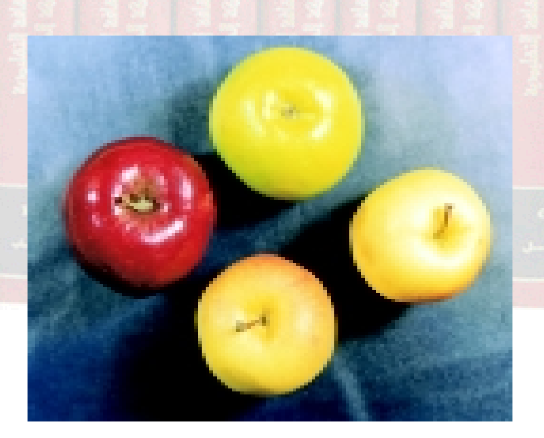




العنب

فقد كان معروفاً في جميع مناطق المملكة، وكان كثير من مزارعي النخيل يغرسون عدداً من أشجار العنب لتغطي احتياجات الأسرة والأقارب والجيران. والعنب أنواع عديدة، ولكل منطقة من المناطق أنواع معينة، تتفاوت من حيث شكل الحبيبات ولونها وطعمها ومواسم نضجها. وتوضع أشجار العنب، عادة، إما على الساقي الرئيسي، الذي يمتد من الجابية إلى المزرع والنخيل، أو على جوانب الجابية نفسها، وقلما يخصص لها سواقٍ خاصة بها.

ويلي العنب من حيث سعة الانتشار الرمان والأترنج، ثم الليمون (أبو زهيرة) والتين والخوخ والمشمش وبعض أنواع البرتقال والتفاح. وهذه الأنواع الأخيرة قد توجد في مناطق دون الأخرى، خاصة في الطائف وجبال السروات والأحساء والقطيف والمدينة، وبعض مناطق الشمال. كما أن اليوسفي والبرتقال والليمون تنمو نمواً جيداً في منطقة حائل كذلك، فضلاً عن الزيتون الذي ينمو في مناطق الشمال بصورة طبيعية. كما كان الموز معروفاً في بعض المناطق منذ القدم، كالقطيف وبعض مناطق تهامة. وبوجه عام فإن هذه الأنواع جميعها كانت تزرع في الغالب الأعم على السواقي الداخلية للمزرعة وبين أشجار النخيل، وكان المزارعون القدماء يكتفون عند زراعة هذه الفواكه ببضع أشجار من كل نوع،



التفاح





لأن الهدف من زراعتها، كما هو حـال الخضار، هو سد احتياجات الأسرة، ثم توزيع بعضها على شكل هدايا للأقارب والجيران والأصدقاء.

ويبدأ غرس معظم أشجار الفواكه المذكورة بعد انـقشاع برد الشتاء، أي نهاية الشِّبط وبداية العقارب عند أهل الحساب؛ يقول الشاعر محمد العبدالله القاضي المعروف بإلمامه الكبير بالفلك والحساب، قاصداً نجمي النعايم والبلده (الـشـبـط) ومـحدداً وقـت غـرس الأشجار، ما يلي:

نجمـينٍ تسمى الـسماكـين وبعضهـم
يـسمـونهـن الشـبط بـالبـرد عالـق
ترى بـرجهن بـالدلو والـظل سبعه
ومحـسوبهـن سته وعـشرين شـارق
بهن يـظهر الهدهـد والاشجار كلهـا
تغـرس ويجـرى الماء بالـعود سـابق

ويقول في وصف الفترة التالية وهي فترة العقارب الثلاث عند أهل الحساب، وهي الأسعـدة الثلاثة (سـعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود) ويطلع أولها في ١١ فبراير الموافق ٢٢ من برج الدلو، والثاني في ٢٤ فبراير الموافق ٥ من برج الحوت، ويطلع ثالثها وهو سعد السعود في ٩ مارس الموافق الثامن عشر من برج الحوت:



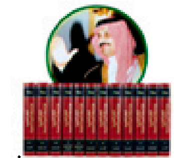
الرمّان

وتطـلع سـعودات الـنجـوم الثلاثـه
وهن الـعقارب عنـد بعض الخـلايق
فـالـورد والـرمـان والخـوخ يـورق
بالاولـى وينظـر تين غصن المـطارق
والـثانـيـة هـي آخر الـبـرد وابـتدا
ربيعه مع انـوا الصيف والعرق عالق
وبالـثالـثه يـورقن الاشـجار كـلهـا
وتـزهر ريـاحين بـهـا الـبـرد خافـق

فهذه الفترة، وهي فصل الربيع، هي فترة ظهور أوراق الأشجار وجريان المياه في العروق والأغصان.

ويحدد القاضي وقت نضـج معظم هذه الفواكه بظهور نجم الجوزاء (الهنعه)؛ ويوافق ١٧ مـن يوليو أو ٢٦ من بـرج السرطان:

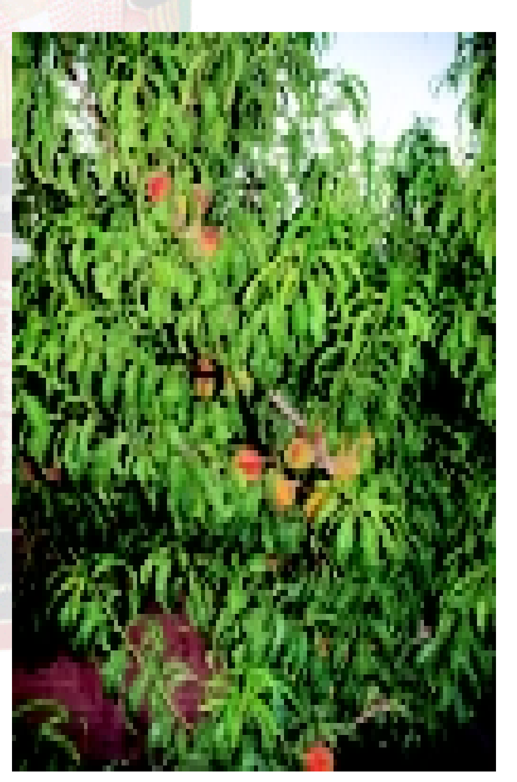
عقب تـظهر الجوزا كـشلفا شـمالها
نـظـيـم تـلالا كالـدراري لـواهـق





تبـرا لها الـهقعـه وبالهـنعه انـتهت
تهـب السـمايم فـيه والـظل سـايق
سته وعـشريـن السـرطان بـرجهـا
يصـلح بـفصـله كـل حلو وحـاذق

ويسـتمر موسـم قطف ثـمار هذه الفواكه معظم فصـل الصيف (القيظ)، أي طوال بـرج الأسد (٢٢ يوليـو-٢١ أغسطس)، حيث تقطف معظم الثمار، ولا يتبقى منها بعد ذلك إلا القليل. ولما كانت هذه الفترة هي فترة نضج التمور في معظم المناطق، فإن المزارعين كثيراً ما يستقبـلون العديد من الضيوف والزوار



الخوخ



التين الشوكي (البرشومي)

للتمتـع بأطايب الرطب وما لذ وطـاب من أصناف الفواكه والخضر، يقدمها لهم المزارع بالترحاب ويحتفل معهم بمـوسم من مواسم جني الثمار بعد عناء العمل الطويل.

## الأعلاف

تعـتمـد الزراعة الـتقلـيديـة على الاستخدام الكثيف للحيوانات في العديد من العمليات الزراعية، خاصة عملية رفع المـياه مـن الآبار (الـسوانـي) وحراثـة الأرض. ولذلك كان المزارع في العصور الماضيـة يحتاج إلى كـميات كبيـرة من الأعلاف على مدار السنة، لتقديمها إلى هذه الحيـوانات وسواها من الحـيوانات الأخرى داخل المزرعة. وكان المزارع في ذلك الوقت يـعتمد على ثلاثة مـصادر رئيسية لإمداده بما يحتاجه من أعلاف، أولها مخلفات المحاصيل التي يزرعها،





بخاصة التبن المتخلف عن تصفية حبوب القمح والشعير، أو القصب المتخلف عن قطاف الذرة والدخن، أو نوى التمر (العبس) بعد تنقيعه ودقه أو طبخه. أما المصدر الثاني لعلف الحيوانات، فهو النباتات البرية، فقد كان من الشائع أن يخصص كل فلاح جملاً أو حماراً يستخدمه أحد الرجال لجمع الحشائش والأشجار والأعشاب البرية، على مدار العام، كالعرفج والثمام والنصي والحمض والجثجاث والشيح وغيرها. والمزارع عادة لا يكتفي بذلك، بل يدعو جميع من في المزرعة من الرجال، وأحياناً من النساء أيضاً، أثناء وقت فراغهم، خاصة في الفترة التالية لحصاد حبوب الشتاء ودياستها وتصفيتها، إلى الذهاب للبر وجمع المزيد من الحطب والحشائش والأشجار، التي تخزن ويؤخذ منها بقدر الحاجة، خاصة أثناء فصل الشتاء حيث تقل الأعلاف في الوقت الذي تزداد فيه الحاجة إليها.

وتأتي الأعلاف الخضراء التي يزرعها المزارع، مصدراً ثالثاً من مصادر العلف لحيواناته، وهي تشمل أساساً البرسيم (القت)، ثم بعض محاصيل الحبوب التي تزرع علفاً للحيوان، كالشعير والذرة وبعض أنواع الدخن والدقسيه (الشاميه).

كما تزرع بعض أنواع الحشائش، مثل الرشيدي في الأحساء. وعادة يكتفي المزارعون بمساحات قليلة من الأرض لزراعة هذه الحشائش لأنهم لا يحتملون أن تُنافسَ البرسيم، الأكثر منها أهمية، على الماء. من جانب آخر فإن مما جعل المزارع في العصور الماضية لا يتوسع في زراعة محاصيل الأعلاف الخضراء ما اكتسبه من خبرة مفادها أن هذه الأعلاف وحدها لا تفيد الحيوانات ولا تقيم صلبها لمواجهة العمل الشاق. ولذلك يعمد المزارعون إلى خلط هذه الأعلاف مع التبن وقصب الذرة والأعشاب والحشائش والشجيرات البرية، فتشكل مجتمعة علفاً متوازناً ومتنوعاً يدعى الصفو أو الصَّويل يقدم للحيوانات، خاصة حيوانات السواني أثناء عملها وفي أوقات راحتها، وهو يقدم عادة في الشتاء ليمنح الحيوانات دفئاً وحرارة.

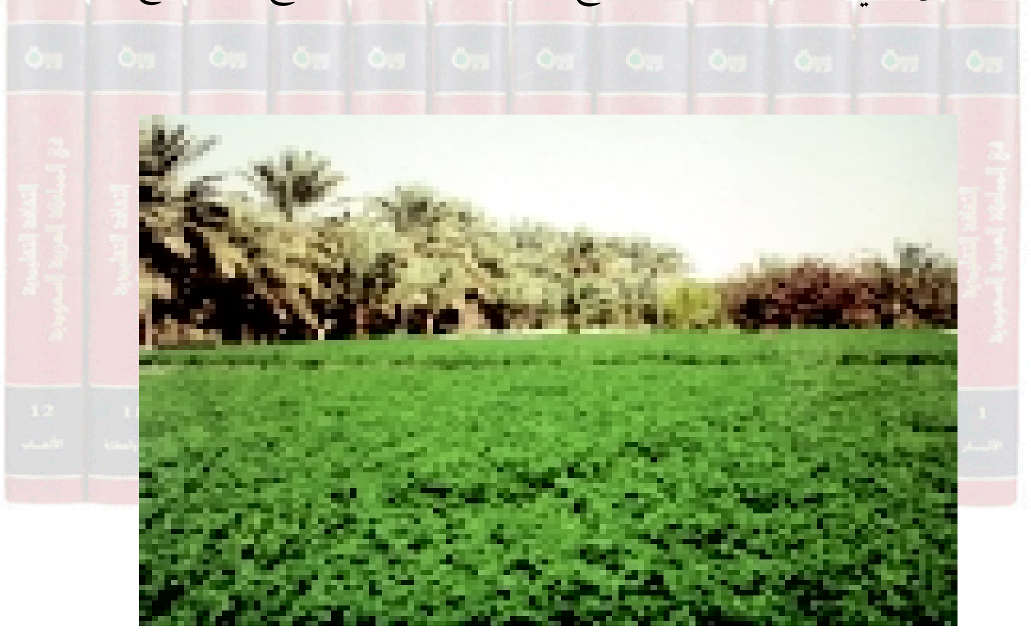
وتزرع محاصيل الأعلاف، سواء أكانت برسيماً أم شعيراً أم ذرة أم دخناً أم دقسيه، إما في أحواض مستقلة أو في أحواض أشجار النخيل. وقد سبق أن بينا أبرز العمليات الزراعية المرتبطة بزراعة الحبوب المستخدمة غذاء أو أعلافاً. فالبرسيم تبدأ زراعته عادة مع انقشاع البرد، أي في نهاية العقرب الثالثة (سعد





السعـود)، وبداية فصل الـربيع (سعـد الأخبية) الموافق لأول يوم من برج الحمل أو الحميم الأول عند أهل الحساب. وتعد الأرض لزراعة البرسيم بتنظيفها وحرثها ثم تقسم إلى أحواض كأحواض القمح، وتسمد ثم تبذر فتحرث مرة أخرى حراثة خفيفة لإخفاء هذه البـذور، تحت طبقة من التربة. وفي الأحساء بعد عملية البذر يقوم المزارع بالدَّمَام، أي تغطية البذر ولا يحرث مرة أخرى. وفي كثير من الأحيان يزرع مع البرسـيم الفجل. وفي بعض المناطق كنجران، لا تحرث الأرض بعد وضع البذور بـل تضرب البذور، التي تدعى الصَّيِّب، بجريد النخل وسعفه، حتى تدخل فـي باطن التربة. ويوضع فوقها بعض السماد (الدمن) ليساعد في إخفاء البذور، فلا يأكلها الطير.

وتروى الأحواض المبذورة بالـبرسيم الرية الأولى بعد البذر مباشرة. ثم تتوالى الرَّيات بعـد ذلك مرة كل أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع. ويحصد الـبرسيم الحصدة الأولى بعد أربعين إلى خمسين يوماً، من بدء زراعته. ثم يتوالى الحصاد بعد ذلك مرة كل ثلاثة إلى أربعة أسابيع، لفترة قد تمتد من أربع إلى خمس سنوات وقد تزيد عن ذلك في الأراضي الخصبة، التي تسمد دورياً وتروى وتخدم خدمة جيدة. وفي الباحة يؤكل القضب إذا كان غضاً صغيراً مع الملح من باب التفكه، وأحياناً يـسلق بكمية كبـيرة ويصبح أحد أنواع الغذاء؛



حقل برسيم





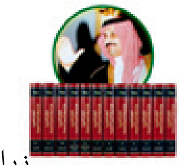
وفي هذه الحالة يدعى القرّاص إذا كان مضافاً عليه نبات القُرّاص.

وعندما يلبث البرسيم في الأرض بضع سنين، ويأخذ إنتاجه بالانخفاض التدريجي، يكون الوقت قد حان لحبس الماء عنه وزراعة أرض جديدة. وعندئذ يلجأ المزارع إلى ما يسمى تعييش البرسيم أو تحييله، أي تركه دون حصاد حتى يزهر ويثمر وتنضج حبوبه، حيث تقطف هذه الحبوب، وتخبط وتصفى لتبذر في أرض جديدة. ويختار المزارع تعييش البرسيم، عادة، في الفترة اللاحقة لحصاد القمح ودياسته حيث يتوافر التبن علفاً للحيوانات. كما أن هذه الفترة (فترة الوقفة) يقل فيها عمل الحيوانات خاصة حيوانات السواني ولذا تنخفض حاجتها واستهلاكها للأعلاف.

وبإيجاز فإن تحليل التركيب المحصولي في الزراعة التقليدية في المملكة، في العقود الماضية، يظهر أن قلة الموارد الطبيعية والإمكانات المتاحة لدى المزارع، تجعله دوماً يختار من المحاصيل الأهم فالمهم منها. ولذا فلا غرو أن احتلت المحاصيل الغذائية الرئيسية، وهي النخيل والحبوب الغذائية والبرسيم، الجزء الأعظم من الأراضي الزراعية. أما المحاصيل الأخرى، التي تشمل الخضراوات والفواكه والبقول ومحاصيل الأعلاف وغيرها، فجميعها لا تخرج عن دائرة المحاصيل الثانوية. وهي إذا زرعت لا تحتل سوى مساحات ضيقة، وبالقدر الكافي، وفي الوقت الذي لا تؤثر فيه على التتابع الدوري للمحاصيل الرئيسية. والواقع أن عمل الفلاح في العصور الماضية، لم يقتصر كله على زراعة المحاصيل، وما يرتبط بها من عمليات زراعية متعددة، بل إن جزءاً مهماً من وقته وجهده، كان موجهاً لجمع الحشائش والأعشاب والشجيرات البرية والحطب، خاصة في موسم الوقفة؛ أي الفترة التالية لانتهاء زراعة محاصيل الحبوب الشتوية وجني ثمارها. وهكذا فإن الفلاح في العصور الماضية كان دائم العمل طوال العام، فما أن ينتهي من عملية زراعية أو جني ثمرة محصول، حتى يبدأ عملية أخرى، أو إعداد الأرض لزراعة محصول آخر ومن هنا سميت الزراعة الكدادة إذ الكد هو العمل المتواصل الذي لا راحة فيه.

## الموازين والمكاييل

**القبان (القفان).** وهو الأداة التي كانت تستخدم قديماً لوزن الحبوب والتمور بل والأعلاف أيضاً، سواء التي تزرع





كالبرسيم أو التي تجمع من البر مثل العرفج والسبط والثمام وغيرها. والقفان خشبة طولها في المتوسط حوالي ٣ أمتار وقطرها حوالي ٥سم، يثبت بها قطعة من الحديد تحمل بها وتعلق. ويتوسط هذه الحديدة لسان من الحديد متصل بالخشبة، وهو الذي يحدد اتجاه الوزن لأي من جانبي الميزان. وتقسم هذه الخشبة إلى قسمين على جانبي اللسان، أحدهما محزز (مدرج) تعلق فيه قطعة من الصخر تسمى حصاة القفان (القبان)، في حين يعلق ما يراد وزنه من التمر أو البُر أو غير ذلك من المحاصيل في الجهة الأخرى. وتحرك حصاة القفان في الجزء المدرج نحو الداخل أو الخارج لتحديد الوزن، فكلما حركت نحو طرف الجزء المدرج زاد الوزن والعكس بالعكس، وعندما يتوازن وزن الحصاة مع السلعة



القبان (القفان) والمرحله



حصاة القبان

المراد وزنها، ويكون لسان القفان عمودياً عليه تماماً، يتحدد الوزن حسب موقع الحصاة من الجزء المدرج.

**الميزان ذو الكفتين**. ويستخدم هذا النوع في وزن السلع الاستهلاكية المختلفة، كالسكر والبن والهيل والأرز وغيرها. والوزن أن توضع وحدة القياس (الوزنة)، أو مضاعفاتها أو أجزاؤها، في إحدى الكفتين، والسلعة المراد وزنها في الكفة الأخرى. ويزاد في السلعة وينقص حتى تتوازن مع الوزن المطلوب. وهذا النوع من الموازين يصنع جميعه من الحديد، ويستخدم بوجه خاص لدى التجار.

والوحدة الرئيسية المستخدمة في الوزن قديماً هي الوزنة، والوزنة تعادل حوالي ١/٣ ١كجم، وهي أكثر المقاييس ثباتاً في مختلف المناطق. وإلى جانب الوزنة توجد مقاييس أخرى للوزن، ورغم تشابهها في الاسم، إلا أنها تتفاوت في وزنها بين منطقة





وأخرى، بل ربما داخل المنطقة الواحدة. وعلى سبيل المثال فإن المَنّ الحساوي الذي يعادل حوالي ١٥٠ وزنة أو ٢٥٠ كيلوجراماً تقريباً، يعادل ستة عشر منّا في القطيف حيث يعادل حوالي ١٥,٥كجم أو ٩,٤ وزنة فقط من الحبوب.

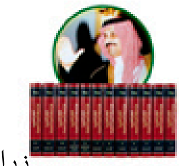
ومن أهم هذه الموازين، كما ذكر السبيعي؛ الرُّبْعَه؛ وتعادل حوالي ٠,٧٠ من الرطل أو ٠,٣٢كجم. والرطل؛ ويعادل حوالي ٠,٤٥ من الكيلوجرام. و(الأُقة)؛ وتعادل حوالي ٤/٣ وزنة أو ٤/١١كجم. والثمين (الحق)؛ ويعادل ٤ ربعات أو ٤/١١كجم. والقياسه؛ وتساوي ٧ وزنات أو حوالي ١٠,٦٨كجم. والقَلّه (خص)؛ وتعادل ٦ قياسات في المتوسط أو حوالي ٦٤ كيلوجراماً. والمَنّ؛ ويعادل ٤ قلال أو حوالي ٢٥٠ كيلوجراماً. (١٩٨٧: ١٠٨-١٠٩).

وفي حين يقتصر استخدام المقاسين الأخيرين (القلّه والمن) على وزن التمور فقط، فإن المقاييس الأخرى تستخدم لوزن سائر السلع، بل وتوجد أجزاء منها مثل ربع وثلث ونصف لوزن السلع المرتفعة الثمن.

**المكاييل**. تصنع المكاييل بمختلف أحجامها من أخشاب الأثل أو الطلح أو السدر أو الغرب؛ يصنعها النجارون، خاصة المتخصصون منهم بصناعة ونحت الأواني الخشبية كالصحاف والمواقع (جمع مُوقَعه أو مِيقَعَه) والمغارف وغيرها. أمّا صنع هذه المكاييل فيتم بأن يقطع الخشب بالمقاس المحدد، ثم ينحت من الداخل بأدوات خاصة حتى تأخذ شكلها المطلوب، وقد يدار عليها من الخارج شريحة من القد أو الحديد لتقويتها، كما قد تزين ببعض النقوش المحفورة في إطارها الخارجي؛ وأشهر أنواع المكاييل:

الصَّاع: وهو أداة الكيل الرئيسية في مختلف المناطق منذ عهد النبي ﷺ بل قبل ذلك حتى الوقت الحاضر. والصاع يعادل حوالي ٢,٤كجم وزناً. وجاء ذكر الصاع في المثل الشعبي؛ قالوا «يكيل له على قفا الصاع» أي أنه يعطيه أقل الأمور وأتفه النتائج كما يكيل الكيال على قاع الصاع المكفي فلا يأخذ شيئاً.

المُد: وهو ثلث الصاع، ونصف المد هو السديس أي سدس الصاع، وقد ورد في المثل؛ قالوا «أول السِّدِيْس ثقالة واليوم له مقالة»، والثقالة الجريش ونحوه يوضع مع طبخة المرقوق، ويسمى ثقاله. ويعني المثل تغير المقاييس حيث أصبح ينظر إلى الشيء القليل، وكأنه كثير، ويحدث ذلك عند شح الأرزاق. أما المد الموجود على عهد النبي ﷺ فيعادل ربع الصاع أي





مكاييل بأحجام مختلفة

أن الصاع يساوي أربعة أمداد. وقد ورد ذكر المد والصاع في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة، خاصة ما ورد في الدعاء للمدينة المنورة وأهلها وأن يبارك الله في أرزاقها. ومن هذه الأحاديث ما ورد عن أبي هريرة # قال: كان الناس إذا رأوا أول التمر جاءوا إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله قال «اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا...». ومنها ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك # أن الرسول ﷺ قال «اللهم بارك في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم»؛ يعني أهل المدينة. وكانت المدينة المنورة مشهورة بالكيل والمكاييل، أما مكة والطائف فمشهورة بالوزن والموازين. والمد في الباحة والمناطق الجنوبية يزيد كثيراً عن المد في المناطق الأخرى، حيث يعادل صاعين تقريباً أو ما يعادل حوالي خمسة كيلوجرامات وزناً.

النُّصَيف: وهو يعادل نصف المد، أي أن الصاع يعادل ٦ نصيفات. والنصيف في منطقة الباحة والمناطق الجنوبية يساوي نصف المد هناك وهو ما يعادل حوالي ٢ ١/٢ كيلوجرام.

الرُّبَيْع: ويعادل نصف النصيف، أي أن الصاع يعادل ١٢ ربيعاً. أما في منطقة الباحة ومناطق الجنوب فهو يعادل نصف النصيف هناك أيضاً أي حوالي ١ ١/٤ كيلوجرام.

الثِّمِيْن: وهو نصف الربيع، ويسمى في الباحة الرابعة.

وكان يستخدم في وادي الصفراء (الشطر) وهو نصف الكيلة.



# النخيل

## مكانة النخيل

إن اهتمام إنسان هذه الأرض بالنخلة وعلاقته الحميمة بها أمران قديمان. ولعله قد زاد اهتمام الناس الأولين بالنخلة والتمر، منذ بزوغ شمس الإسلام، نتيجة للمنزلة العالية الرفيعة التي احتلتها النخلة في القرآن الكريم والحديث الشريف، فوصفت بالشجرة الطيبة والشجرة المباركة، وحث المصطفى ﷺ على أكل ثمرها والتطبب به وأخبر أنه غذاء ودواء. وقد فضل الله تعالى النخلة على باقي الأشجار وذكرها في ثلاثين موضعاً في كتابه العزيز؛ منها قوله تعالى ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ (مريم: ٢٥)، وقوله تعالى ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد. رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾ (ق: ١١, ١٢). وذكر الله سبحانه وتعالى أن ثمار النخيل من طعام أهل الجنة: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ (الرحمن: ٦٨).

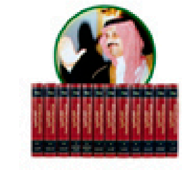
وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أُتي بِجمَّار نخلة، فقال النبي ﷺ «إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم» قال: فوقع الناس في شجرة البوادي فوقع في نفسي أنها النخلة، فأردت أن أقول إنها النخلة، ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم سناً فسكتُّ، فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة، فذكرت ذلك لعمر فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا». وتشبيه النخلة بالمسلم دليل على فضلها ومنزلتها وعلو شأنها. وورد في حديث آخر «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم». وعلى الحث على زراعة النخيل واستنباته ما ورد في الصحيحين «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى

يغرسها فليغرسها». ويقول ﷺ عن بركة النخيل وفضلها «النخل والشجر بركة على أهله وعلى عقبهم»، ويقول ﷺ «ليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولَدت تحتها مريم ابنة عمران». وذكر في الحديث؛ سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره منهن من حفر بئراً أو غرس نخلاً.

أما عن الترغيب في أكل التمر وذكر ما فيه من فوائد فقد وردت فيه أحاديث عدة منها قوله ﷺ «إن التمر يذهب الداء ولا داء فيه». وروى ابن عباس # في فضل العجوة؛ وهي نوع من التمر، أن رسول الله ﷺ قال «إنها من الجنة وفيها شفاء». وعن سلمة بنت قيس أن رسول الله ﷺ قال «أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها حليماً فإنه كان طعام مريم حين ولَدت، ولو علم الله طعاماً خيراً من التمر لأطعمها إياه». وفي أهمية التمر كغذاء متكامل يقول ﷺ «لا يجوع أهل بيت عندهم التمر» ويقول في حديث آخر «بيت ليس فيه تمر جياعٌ أهله». وفي فضل التمر يقول ﷺ «من أفطر بشق من التمر كفاه الله شر ذلك اليوم». ومن ذلك استحباب الإفطار على التمر للصائم قوله ﷺ «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه له طهور».

النخلة

وإذا كانت هذه هي منزلة النخلة في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي منزلة رفيعة كريمة عالية فلا غرو إن تعلق بها الناس وأحبوها، كما لم يحبوا شجرة أخرى، فامتلأت بها آثارهم وأشعارهم تمجيداً وإطراءً وتخليداً. فمن الآثار المشهورة؛ وصف خالد بن صفوان النخيل لهشام بن عبدالملك، إذ قال «هن الراسخات في الوحل، المطعمات في المَحْل، المُلَقَّحَات بالفحل، تخرج أسفاطاً عظاما، ثم تفترُّ عن قضبان اللجين





منظومة باللؤلؤ المزين فيصير ذهباً أحمر منظوماً بالزبرجد الأخضر، ثم يصير عسلاً في لحاء معلقاً في الهواء».

وقد ورد عن العرب قديماً تسميتهم للنخل بنات الدهر لأنها لا تهلك في السنوات الممحلة التي تهلك فيها السوائم كالإبل والأغنام. ويصدق هذا المثل الشعبي «اشتر البيت عامر والنخل دامر» إعمار البيت صعب، أما النخل فعماره أَسهل من عمار البيت، فقد يبدو النخل حقيراً بأعين الناس، ولكن عقب ريه يكون كأحسن النخل؛ قال المرار بن منقذ العدوي:

ضربن العرق في ينبوع عين
طلبن معينه حتى روينا
كأن فروعها في كل ريح
جوار بالذوائب ينتصينا
بنات الدهر لا يحفلن محلا
إذا لم تبق سائمة بقينا
إذا كان السنون مجلحات
خرجن وما عجفن من السنينا
يسير الضيف ثم يحل فيها
محلا مكرما حتى يبينا
فتلك لنا غنى والأجر باق
فغضي بعض لومك ياظعينا
بنات بناتها وبنات أخرى
صواد ما صدين وقد روينا

والبيت ما قبل الأخير يوافق القول المشهور عند المتأخرين «الفلاحة أجر وغنيمة».



مصنوعات من السعف







استخدام سعف النخيل في بناء الحواجز

وقال ابن دريـد: سألت أعرابياً مـا أموالكم؟: فقال: النخل، فقلت أين أنتم من غيره؟: فقال: النخل سعفها صلاء، وجذعها غماء، وليـفها رشاء، وفروها إناء، ورطـبها غـذاء (الخليفـة وجوانة ١٩٨٣: ٣٥).

ويمثل التمر الخيـر في قولهم «عطه تمره وان عافها فعطه جمره» يعني ابـذل المعروف والخير لمن يريده، أما الـذي لا يريد الخير فابذل له الشر. ويضرب مثلاً لمعـاملة الأشـرار بالشر الـذي ينـاسـب طباعهم، ويكون فيه ردع لـهم وتأديب لغيرهم.

وهذا أحد المزارعين عندما سئل عن ثمار بلده أجاب: إنه التمر، فكرر السائل السؤال قائلاً ثم ماذا؟ فرد المزارع الـتمر أيضاً، وعندما رأى استغراب السائل من جوابه قال «إننا نستفيد من النخل فوائد عديدة فإننا نستظل به من وهج الشمس، ونأكل ثمـرته، ونعلف ماشيـتنا بنواه، ونعلن عن أفراحنا بـسعفه، ونتخذ من عصارته عسلاً ودبساً، ونصنع من جريده



زنبيل من سعف النخيل







حبال من ليف النخيل

وخوصه (الأواني) والحصر، وغيرها من الأثاث، ونصنع من جذعه خشباً لسقوفنا وأعمدة لبيوتنا ووقوداً لطبخنا» (العباسي ١٩٦٤: ١١).

وانبرى الشعراء قديماً وحديثاً لهذه الشجرة يصفونها ويمجدونها ويتغزلون بها ويشبهون محبوباتهم بها في جمالها وشموخها وصبرها وعلوها وأنفتها؛ فهذا امرؤ القيس يصف محبوبته فيشبهها بالنخلة فيقول:

وفرع يزين المتن أسود فاحم
أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقال أبو نواس:

كرائم في السماء زهين طولا
ففات ثمارها أيدي الجنات
تراثا عن أوائل أولينا
بني الأحرار أهل المكرمات
تذب بها يد المعروف عنا
وتصبر للحقوق اللازمات

فحين بدا لك السرطان يتلو
كواكب كالنعاج الراتعات
بدا بين الذوائب في ذراها
نبات كالأكف الطالعات
فشققت الأكف فخلت فيها
لآلئ في السلوك منظمات
وما زال الزمان بحافتيها
وتقليب الرياح اللافحات
فعاد زمردا واخضر حتى
تخال به الكباش الناطحات
فلما لاح للساري سبيل
قبيل الصبح من وقت الغداة
بدا الياقوت وانتسبت إليه
بحمر أو بصفر فاقعات
فلما عاد آخرها خبيصا
بعثت جناتها بمعقفات

وقال حاتم بن عبدالله الطائي:

إذا آزروا بالشوك أعجاز نخلهم
رأيت عذاقي بينهم ما تؤزر
فلست بمؤنيه وأضياف أهله
غراث إلى وقت يجد ويتمر
كلوا ما به خضرا وصفرا ويانعا
هنيئا وخير النفع ذو لا يكدر

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

بها النخل والآطام تجري خلالها
جداول قد تعلو رقاقا وجرولا





إذا جدول منها تصرم ماؤه

وصلنا إليه بالنواضخ جدولا

على كل منهاق خسيف غروبها

تفرغ في حوض من الصهر أنخلا

له غلل في طل كل حديقة

يعارض يعبوبا من الماء سلسلا

ومن التشبيه الجميل قول الشاعر:

باسقات النخل في الطلع النضيد

تتهادى كالعذارى في الحلي

وقال آخر:

والنخل حول النهر مثل عرائس

نقضت ضفائرها على غدران

والطلع من طرب يشق ثيابه

متنشرا كتنشر الجذلان

وقال عبد الرحمن الداخل عندما رأى نخلة منفردة، في رصافة قرطبة التي أنشأها:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة

تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي بالتغرب والنوى

وطول التنائي عن بنيّ وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة

فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن من صوبها الذي

يسح ويستمري السماكين بالوبل

ويقول المعري مادحاً النخلة:

شربنا ماء دجلة خير ماء

وزرنا أشرف الشجر النخيلا

ويقول نفطويه في تشبيه جميل:

كأنما النخل وقد نكست

رؤوسها الريح بأذيالها

محبة فارقها إلفها

فأطرقت تنظر في حالها

ويقول شاعر آخر:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعا

بالطوب يرمى فيلقي أطيب الثمر

وإذا كان شعراء العربية الفصحى قد ملأوا أشعارهم بذكر النخيل وصفاً وتشبيهاً ومدحاً وتقديراً؛ فإن كثيراً من الشعراء الشعبيين، قد سجلوا حبهم العميق للنخلة واعتزازهم بها في عدد كبير من القصائد؛ فهذا الشاعر رشيد العلي الحمد من أهالي الزلفي، يعلن حبه الكبير للنخلة في مراحل متعددة فيقول:

أحبه الصبح واحبه مسياني

والحب الاصغر إلى بين بكافوره

والحب الاكبر إلى خلف بالالواني

على الجرايد سوات الجوخ منشوره

وقال زيد بن سلامة الخالدي من قفار:

لا لفظن عقب القراح الجمامير

تسابقن بالطلع مثل الضلافي





المفرحات المسعدات المباكير
وساع الفروع مسطحات الخوافي
وقالت وضحا بنت هاشم الغريس من الروضة:
له غرسة لى جا ليالي مجده
تخلف قلوب اللي مشوا بالدواة
ما كنه الا ديدحانٍ برده
خضرا ولا جاها الحَلال الشتات
وقال عبدالرحمن بن مناكد بن معيتق العنزي من البلازية:
حب النخل لاجٍ لجا في ضميري
غلاه ركب بين قلب ومعلوق
لى صرت بالدنيا فطينٍ بصيري
خمس النخل يسوى قطيعٍ من النوق
وقال عبدالعزيز بن إبراهيم السويح من الدوادمي:
يسقي نخيل ما منع عنه آكل
ولا جلّبت عجز المبيعه طلوعها
نخيلٍ نهار القيظ يعجبك حسنها
محالها بالليل يسهر هجوعها
وقال دخيل الخوير التميمي من قفار:
لعيون غيد شركت تنثر الليف
اللي شكى وارد قناها عسيبه
اللي نماها للمسايير والضيف
يوم ان ولد النذل حارب قريبه
وقال الشاعر صالح بن محمد العوض من أهالي الرس، مفتخراً بمزرعته ومعلناً عن الحب المتبادل بينه وبين نخيله بأنواعها المختلفة:
يالله بتدبيرك وعزة جلالك
إنك تبارك لي بغرسي وتعفين
ياغرس ما نرضى عليك بهمالك
لمس الخشم تراه به تدمع العين
قالن جميع الشقر واحبنا لك
ما ننكر المعروف نطلع نما زين
السكريه قالت اني حلالك
أنت الذي ساعٍ لنا باول الحين
وام الخشب قالت لي الخير فالك
الله يصلحنا ولا ناخذ الدين
والشقر جمع شقراء والشقراء والسكرية وأم الخشب أنواع من النخيل المعروفة في نجد.

ويؤكد حميدان الشويعر أن النخلة أم الخير وبها الخير وهي شهمة كريمة خاصة إذا ما أدبرت السنين وقلت المؤونة:
ترى الخير في راسيات الجذوع
إلى دلبحن السنين الحطايم
غنين ظليله يطرب مقيله
وسمعك تمتع بصوت الحمايم
توفر حلالك وتفرح عيالك
ويكثر نوالك بيوم الصرايم
إنّ هذا الحب الفياض والتقدير العظيم الذي سجله شعراء الفصحى والعامية لهذه الشجرة الطيبة المباركة لم يأت من





فراغ، بل هو جزء من رد الجميل لقاء العطاء الكبير الذي تقدمه النخلة منذ قديم العصور والأزمان.

وإن من يتتبع تاريخ الزراعة في الجزيرة العربية بشكل عام، وتاريخ النخلة بالمملكة العربية السعودية بشكل خاص، يجد أهمية خاصة وظهوراً مميزاً وموقعاً جلياً للنخلة لدى سكان هذه البلاد، سواء من المزارعين أو غيرهم. ولا تضاهيها في الأهمية شجرة أخرى، ولا يقارن بمحصولها أي محصول زراعي آخر، سواء من حيث المساحة المزروعة، أو من حيث الاعتماد عليها غذاءً أو الاستفادة من منتجاتها الأخرى في جملة أوجه تخدم المزارع وبيئته في مسكنه وعمله وتنقله وإقامته.

ولا غرو إذن أن أولى الأولون النخلة جل اهتمامهم، واعتمدوا على ثمارها وتمورها في غذائهم. فالتمر مع اللبن غذاء كامل يمكن الاعتماد عليه، وله منزلة لا يبلغها أي غذاء آخر. وقد كان الأولون يعتمدون على التمر واللبن لفترات طويلة، قد تمتد أشهراً دون أن يتناولوا غيرهما، ومع هذا كانوا يعملون ليل نهار دون كلل ولا ملل، في خدمة حقولهم ونخيلهم ومزروعاتهم. ومما زاد من أهمية النخلة، لدى مزارعي هذه البلاد، أن معظم أنواع التمور قابلة للكنز والتخزين، لفترة قد تمتد سنة أو سنتين وربما إلى عشر سنوات. وهذا أمرٌ له أهمية كبيرة، بخاصة عندما تتعرض محاصيل الحبوب للآفات، أو يداهمها الدبا والجراد، أو تنحبس الأمطار ويقل الماء. ولذلك حرص المزارعون منذ القدم على الاهتمام بالنخلة، والإكثار من غرسها ومنحها ما تستحقه من رعاية واهتمام. فانتشرت انتشاراً واسعاً وغطت بساتين النخيل معظم الأراضي الزراعية في مختلف المناطق. بل إن غرس النخل دليل تملك للأرض وشهادة إحياء ظاهرة؛ يكشف عن ذلك قولهم في المثل «إغرس لك بها نخل» هذا المثل من دواعي الحث على التملك، أي أنك لن تملك الأرض ما لم تغرس لك بها نخلاً يجعلك تملكها. وغرس النخل في بلد غير بلد الغارس مضيعة؛ وهذا ما يفهم من قولهم من المثل «اللي يغرس في غير بلده لا له ولا لولده» ويعني هذا المثل ضرورة التمسك بتربة الأرض والوطن، وأن أي جهد خارج هذا النطاق هو جهد ضائع، سواء للإنسان أم لذريته.

إنّ الاهتمام بالنخلة وبإنتاجها المتنوع من التمور لم يكن قاصراً على أولئك الذين يمارسون زراعتها، بل إن جميع





سكان البلاد -على اختلاف فئاتهم- كانوا على ارتباط وثيق بهذه الشجرة المباركة. يتابعون مراحل إنتاجها باهتمام كبير، ويترقبون موسم الجداد وجني الثمار بلهفة، لأنها كانت تشكل عنصراً مهماً من عناصر غذائهم. ففي المناطق الشرقية والوسطى والشمالية، حيث كان أهل البادية هم أكثر من نصف السكان، كانوا يتوافدون على المزارع وقت جني الرطب (الْخَرَاف) ووقت جني التمر (الجداد أو الصرام). وكانوا يأخذون حاجتهم من التمور سواء بالشراء أو المقايضة أو الهبة.

ويصور لنا المثل الشعبي بقصته الطريفة جانباً من ذلك؛ قالوا «ما بالقوع رايح؛ الخنافس والسحايح»، وقصته أن بدويًّا مرّ على قاع (مربد) نشر فيه السح، وهو التمر المجفف، فراهن أصحابه بخروف على أن يأكل التمر كله، فلما أكل أحس بالشبع، فطمع باستعادة خروفه، فأخذ يأكل من الخنافس الواقعة في التمر، فلمّا أنكر القوم عليه ذلك قال قولته التي ذهبت مثلاً، وهو يرجو أن يخافوا على تمرهم فيرجعوا عن الرهان. وتروي بعض المصادر نجاحه، وتروي بعض الروايات الشفهية عجزه؛ ويضرب المثل لما يؤول أمره إلى الزوال كله. وكثير من المزارعين في ذلك الوقت كان لهم عملاء من البادية يأخذون منهم الإبل لاستخدامها في السواني، على أن يعطوهم عند جني التمر أو حصاد الزرع جزءاً من المحصول. بل إن العلاقة بين البدوي والمزارع، قد تتوطد في بعض الأحيان، فيعتاد البدوي أن يحل قريباً من مزرعة المزارع وقت الصيف لتشرب أغنامه وإبله، ويمنحه المزارع عدداً من النخل ليأخذ تمورها. وفي المقابل كان هذا البدوي، لا يبخل على صديقه الفلاح بما يتيسر من الإقط والدهن بل قد يمنحه بعض الأغنام أو الإبل.

ومن صور العلاقة القائمة على الثقة المتبادلة بين المزارعين وأهل البادية، حين يحلون إلى جوار المزارع في فصل الصيف، أنهم يتبادلون الودائع بعد انتهاء الموسم. فعندما يهم البدوي بالرحيل قد يترك بعض أمتعته وديعةً عند الفلاح، كما قد يلحق المزارع بعض ما لديه من الماشية مع أغنام البدوي لرعيها وتنميتها حتى حلول الموسم القادم. وتسمى المواشي التي يودعها الفلاح مع البدوي وديعه؛ كما يسمى ما يتركه البدوي لدى الحضري من أمتعة حضار أو وْضَاعَهْ.

ومن جانب آخر كان لسكان المدن اهتمام كبير بالنخيل وإنتاج التمور في المناطق القريبة منهم. وكان التجار منهم

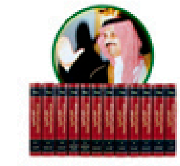




على وجه الخصوص، يعتمدون في جزء من تجارتهم على تمور المناطق المجاورة. كما أن سكان بعض المناطق التي لا تنمو فيها النخيل، لظروفها المناخية والطبيعية، كمنطقة السراة وتهامة الجنوبية، يتابعون بكل اهتمام مراحل إنتاج التمور في المناطق المجاورة لأنهم يعتمدون عليها في سدِّ جزء من احتياجاتهم الغذائية. وكان من الشائع في هذه المناطق أن يمارس بعض المزارعين تجارة التمور في الأسواق الأسبوعية، التي تنتشر في كل منطقة السراة من الطائف حتى نجران. وكان كثير منهم يذهب قبل موعد جداد التمر بشهر على الأقل، إلى مناطق إنتاج التمور المجاورة في كل من بيشة وتربة يستطلع ويستكشف مدى جودة الموسم. وكان هؤلاء التجار يرتبطون بعلاقة تجارية قوية مع منتجي التمور في هاتين المنطقتين. ولم تكن هذه العلاقة مقصورة على التجار وحدهم، بل اعتاد كثير من المزارعين العاديين وسواهم من الحرفيين الذهاب إلى هاتين المنطقتين في موسم جني التمور، للمساهمة في جداد النخل ويأخذون لقاء ذلك كمية من الإنتاج. ولا يكتفي هؤلاء عادة بما يجنونه لقاء عملهم بل يشترون كميات إضافية من التمور تسد احتياجات أسرهم حتى الموسم القادم.



تسويق التمور

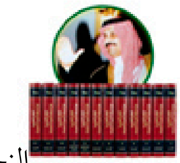




## مناطق النخيل وأنواعها

تنتشر زراعة النخيل في مختلف مناطق المملكة انتشاراً واسعاً، لا يضاهيه انتشار أي زراعة أخرى أو أي محصول زراعي آخر. ولا يستثنى من ذلك سوى منطقتي جبال السروات وتهامة الجنوبية، حيث تحد الظروف المناخية من انتشار النخلة، فتبقى محصورة في بعض البقع الصغيرة المتفرقة. وتختلف مناطق زراعة النخيل اختلافاً كبيراً سواء في مساحة أرض النخيل، أو في أنواع وأصناف النخيل الموجودة في كل منطقة، أو في جودة ووفرة الإنتاج. فبعض أنواع النخيل واسع الانتشار، ويوجد في مناطق متعددة، وبعضها يظل قليلاً ومقتصراً على مناطق محددة. وفي الماضي عندما كان التنقل بين المناطق قليلاً وشاقاً، كانت كل منطقة من هذه المناطق تختص بأصناف معينة من النخيل، ولكن سهولة التنقل بعد ذلك، جعل بعض الأصناف المشهورة والجيدة، تنتقل من منطقة إلى أخرى إما بأسمائها الأصلية أو بأسماء جديدة. ومع ذلك فإن كثيراً من المناطق كانت، وما زالت، تختص بأصناف معينة من دون غيرها، إما لملاءمة ظروف المنطقة لزراعتها، أو لوفرة فسائلها، وسهولة الحصول عليها وكثرة طلب المزارعين لها لما لمسوا فيها من مزايا، كغزارة الإنتاج وجودة النوع والتبكير في النضج.

وجدير بالذكر أن تسمية أصناف النخيل، تخضع غالباً لطريقة إكثارها وزراعتها. فطريقة إكثار النخيل بالغرس، أي أخذ فسيلة من أمها وزراعتها من جديد، يجعل الفسيلة تحتفظ بالنوع نفسه والاسم. فالفسيلة المأخوذة من نوع الخلاص، ستحمل النوع نفسه والاسم، والفسيلة المأخوذة من نوع الرزيز أو الشقراء أو السكرية ستحمل نوع واسم النخلة الأم، سواء غرست هذه الفسيلة في المنطقة نفسها أو في منطقة أخرى. وفي أحيان قليلة قد يغير اسم الفسيلة، خاصة إذا نقلت إلى منطقة أخرى وكانت من النخيل غير المشهورة. وأسماء هذه الأنواع تكون، عادة، متوارثة عبر الأجيال، ولكنها في أحيان كثيرة، تعبر عن صفة مميزة لهذا النوع دون غيره، مثل صفة اللون، كأصناف الشقراء والصفري والخضري، أو الطعم كالسكرية وسكرة ينبع وعسيله والحلوه، أو الشكل كالخوخة وأصابع العروس وأم الكبار. أما الطريقة الأخرى لإكثار النخيل، المعتمدة على إنبات النوى، فتنتج نوعاً جديداً لا علاقة له بالنخلة التي أخذت منها النواة، وفي الأغلب لا تنتج هذه






الأنواع رطباً أو تمراً جيداً إلا أن بعضها قد يجود، ولذلك فإن هذا النوع الجديد يطلق عليه اسم جديد قد يحمل في معظم الأحيان اسم المزارع الذي نبت في حقله لأول مرة أو اسم عائلته. ومن هذه الأصناف مثلاً أبو طمار وبنت سعيد وبنت بقوصي في الأحساء والقطيف، ونبوت سيف في العارض وجنوب المنطقة الوسطى، وعسيلة الفوزان وعسيلة الفايز والقرعاوية ونبتة علي في القصيم، وسمنة مسلم في المدينة ودقلة خلف ودقلة المفتاح في حائل. ويطلق على هذا النوع من النخيل اسم عام، هو النبوت أو الدقل، وفي الأحساء يطلق على هذا النوع من النخيل النشو. وبطبيعة الحال فعندما تكبر النخلة ويكون لها فسائل (فروخ)، وتؤخذ هذه الفسائل لتغرس في مكان آخر، فإنها في الغالب تحتفظ باسم أهلها الأوائل وتشتهر به بين الناس.

ويمكن، بوجه عام، أن تقسم مناطق زراعة النخيل في المملكة، تبعاً للتوزيع الجغرافي ولأنواع التمور السائدة وللأساليب المستخدمة في الزراعة، تحت ثلاث مجموعات رئيسية هي: مجموعة الواحات الشرقية، وتشمل واحتي الأحساء والقطيف وعدداً آخر من المناطق الصغرى. ومجموعة الواحات الوسطى، وتمتد من الجوف وحائل شمالاً عبر مناطق القصيم والسر والوشم وسدير والزلفي والعارض والخرج وحوطة بني تميم والحريق والأفلاج حتى وادي الدواسر. أما المجموعة الثالثة فتشمل جميع القرى والواحات في الأودية المنحدرة من جبال الحجاز، ما بين مكة والمدينة المنورة، حيث يوجد فيها أشجار نخيل كثيرة. وسنحاول أن نستعرض بشكل مختصر أبرز خصائص هذه المناطق وأشهر أنواع التمور فيها، سواء تلك التي تؤكل رطباً أو تلك التي تخزن وتكنز تمراً.

وواحة الأحساء أبرز واحات النخيل في الجزيرة العربية منذ القديم، حيث كانت تحوي حوالي مليوني نخلة، وهو ما يعادل سدس أعداد النخيل في المملكة تقريباً. ويوجد في واحتي الأحساء والقطيف حوالي ٦٠ نوعاً من أنواع التمور، بعضها له شهرة كبيرة في مختلف أرجاء الجزيرة العربية والمناطق المجاورة، كالخلاص والرزيز والشيشي والشبيبي والحاتمي. وتحتل هذه الأنواع صدارة تمور الأحساء من حيث الجودة والعدد، حيث تشكل أكثر من أربعة أخماس أشجار النخيل هناك. وتؤكل رطباً أو تمراً ولكن أهميتها أنها أبرز الأنواع التي تحتفظ بجودتها عند الكنز والتخزين، ولذلك







نخيل في الأحساء

كان التمر منذ القدم غذاء رئيسياً لسكان الواحة. وبينما يحتل الخلاص صدارة التمور في الواحة من حيث الجودة، فإن الرزيز، وهو صنف ممتاز أيضاً، يحتل الصدارة في العدد. فأشجار النخيل من هذا النوع كانت أكثر من نصف أعداد النخيل المثمرة في هذه الواحة. وقد بدأ الناس يعزفون عن زراعة هذا الصنف في الوقت الحاضر، لانخفاض سعر تموره، ويركزون على زراعة الخلاص لجودته وارتفاع سعره، على الرغم من أن صنف الرزيز يمتاز على صنف الخلاص، من حيث سرعة نمو النخلة وكثرة الإنتاج وقلة حبوب اللقاح اللازمة للتلقيح. ولعل هذا ما يزيد حرص الأقدمين على إكثار هذا الصنف. وإلى جانب هذه الأنواع الأربعة توجد أنواع أخرى ترجع أهمية بعضها إلى نضجها المبكر، إذ تؤكل بسراً ورطباً قبل أن تنضج الأنواع الأخرى، ومن ذلك الطيَّار والكاسبي والغرة وأم رحيم والحليلي. ومنها ما ينضج متأخراً فيؤكل رطباً بعد أن تنضج معظم الأنواع الأخرى مثل أنواع الشهل والتناجيب والهلالي والخصاب.

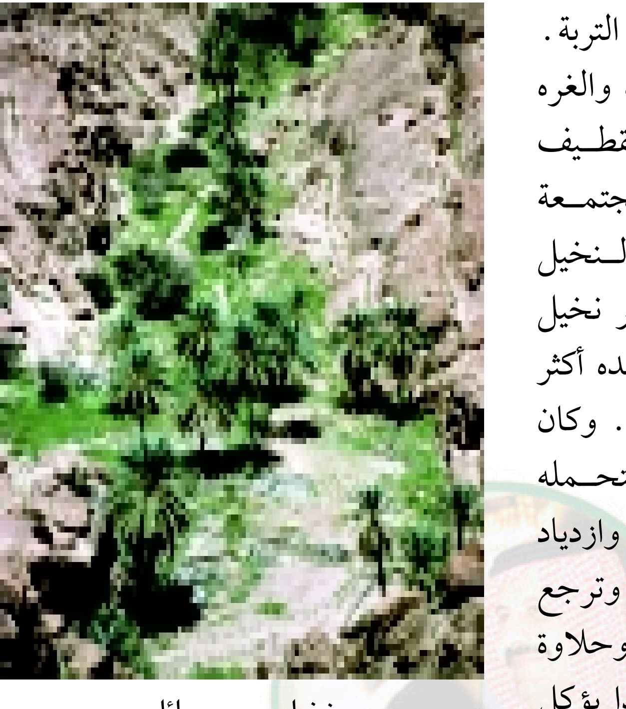
أما في واحة القطيف فثمّ أكثر من ٣٥ نوعاً من أنواع التمور، ولكنها بشكل عام أقل جودة من تمور الأحساء، لارتفاع





درجة الرطوبة في الجو وملوحة التربة. وتتصدر أنواع الخنيزي وبكيره والغره وخصيب رزيز تمور واحة القطيف والواحات المجاورة، وتبلغ مجتمعة حوالي ٩٠٪ من أعداد أشجار النخيل المثمرة هناك. ونوع الخنيزي أكثر نخيل الواحة شهرة وانتشاراً، وهو وحده أكثر من نصف أشجار النخيل هناك. وكان يعتمد عليه منذ القدم نتيجة لتحمله للملوحة والرطوبة، وسرعة نموه وازدياد محصوله رغم هذه الظروف. وترجع أهمية نوع بكيره لنضجه المبكر وحلاوة طعمه ومحصوله الكبير، ولذا يؤكل معظمه رطباً، ويعد مفضلاً لدى مزارعي الواحة. ومن الأنواع الأخرى المنتشرة في الواحة أنواع المواجي وخصيب عصفور وخصيب حسين والشبيبي والخلاص والخضراوي وغيرها.

وفي الواحات الشمالية (الجوف وحائل) تأتي الحلوه في الصدارة، ولا يضاهيها أي نوع آخر سواء من حيث الجودة أو الانتشار. ومن الأنواع الأخرى المشهورة في المنطقة منذ القدم الحمراء والرخيمي ودقلة خلف والخديرية والمجهولة والقسبة؛ والنوع الأخير من أكثر أنواع التمور انتشاراً في حائل، وليس أجودها. ولذا فمن الأقوال الشائعة هناك



نخيل بري – حائل

«القسبه كسبه»؛. قال مبارك بن عبيكة الشمري:

أبي ليا جا طارش البدو منجوش
يصير دبس القسب مثل الخباري

وفي منطقة القصيم والسر كانت الشقراء تحتل الصدارة دون منافسة، وتمثل العمود الفقري الذي يعتمد عليه الناس كغذاء، خاصة أنها من أفضل ما يمكن حفظه وكنزه من التمور. ويلي الشقراء من حيث الأهمية المكتوميه، وهي ذات ثمار كبيرة بيضاوية صفراء وتؤكل بسراً ورطباً كما تؤكل تمراً. كما كانت السكريه، سواء البيضاء أو الحمراء





(سكرية المذنب)، توجد على نطاق ضيق. أما في الوقت الحاضر فقد بدأ الناس يركزون على السكرية، خاصة السكرية البيضاء، والبرحي وعسيله والروثانه ونبتة علي. وبدأ كثير من الناس يزهد بالشقراء فيقلع أشجارها، ويستبدل بها أنواعاً أخرى. ورغم ذلك فالشقراء ما زالت أكثر أنواع النخيل انتشاراً حيث تبلغ نسبتها ما بين ٥٠-٦٠٪ من أعداد النخيل في المناطق المذكورة؛ ويقول الشاعر في ذكر هذين النوعين الرئيسيين من التمور، (الشقراء والمكتوميه):

صاحبي من ورا السمر
وأنا ورا عرق بلعوم
ريقه حلو من طعم تمر
ما بين شقرا ومكتومي

ويقول شاعر آخر:

نزلت بمزرعة فليح
حيث انه من بين لحومي
طلع نخيلاته هيضني
ما بين شقرا ومكتومي

وعنهما وعن البرحي يقول شاعر آخر:

للسيل يا دار السعد والتعاليل
دارٍ مزارعها على طول خضرا
طلع البلح فيها كبار الفناجيل
ما بين مكتومي وبرحي وشقرا

ويقول منصور بن ثنيان متحسراً على بستان من نخيل الشقر هجر حتى اصفرت قلوبه وأوشك على الهلاك:

يامن لقلب يلتوي لية الداب
خص الى شاف الجفا عقب ترحيب
من شوفته للشقر زينات الاهداب
صفر قلوبه قلت فارقنك الطيب
من عقب ما هو طلعها يهدب هداب
لى عدله بيطار حبرٍ بتركيب
وان شفت نجمينٍ مع الصبح غياب
طلعة سهيل يسين المراطيب
مقيضنا ست من الهجن سياب
بيض الكلي من كربنا للمحاقيب

ويأتي الخِضْري في صدارة تمور مناطق كالزلفي وسدير والعارض وسائر المناطق الوسطى، وهو الذي كان يعتمد عليه بشكل أساسي في غذاء السكان بتخزينه على هيئة كنيز. ونظراً لأهميته ومنزلته الرفيعة لدى الناس، فإن لهم فيه أمثالاً، يتناقلونها منذ القدم، تدل على أنه من التمر الجيد النفيس، ومنها قولهم «ميت الخضري شهيد». وإلى جانب الخضري، توجد أعداد كبيرة من أنواع النخيل الأخرى، سواء من تلك السائدة في المناطق السابقة، كالمكتومي والشقرا والسكرية والمسكاني والمقفزيه والحلوه وخصيّه وأمّ الحمام وأم الخشب،





أو أنواع أخرى مثل الدخيني والصقعي والسلج وأم الكبار. ومن الأنواع المشهورة في هذه المناطق نبوت سيف والسلج والونانه والصقعي والصفري والمنيفي والسري والذاويه والقطّاره والحلوه وغيرها. ولكل نوع مذاقه وصفاته فنبتة سيف حلوة ولكنها حارة على المعدة متى أكثر من أكلها؛ ولعل المثل الشعبي يكشف شيئاً من ذلك «جعل سيف في الجنة، جعل سيف في النار» هذا المثل قاله أعرابي عندما استساغ رطب نبتة سيف فبدأ يأكل منه، وهو يردد صدر المثل. ولما شبع من الرطب أحس بحرارته واحتياجه الدائم إلى الماء، صار يردد عجز المثل كلما شرب من الماء. أمّا الصفري فهو تمر رديء سوى مكنوزه؛ قالوا في المثل «حي الصفري ولا الجوع» والصفري لا طعم فيه، ويسمى في بعض المناطق بالضال، ولكن أكله يسد الرمق. ويعني المثل اضطرارك لقبول النزر اليسير، أجدى لك من خروج الأمر كله من يديك. وقالوا «كنز صفري» تمر الصفري يلتصق ببعضه، ويضرب المثل للأمر الحسن الجيد التماسك. وأمّا القطاره فضربوا بها المثل، قالوا «تمرة قطاره، ما تخرف إلا في غضاره» القطارة نوع من النخل كثيرة الدبس فلا تخرف إلا في الصباح وفي إناء أو غضارة أما غيرها فيخرف في المخرف المعمول من الخوص. وحلاوة التمرة شيء من خواصها لا من كيفية غرسها أو من غرسها، ولذلك قالوا في المثل «ركّاز الحلوة وغيرها واحد» أي أن من يركز أو يغرس فسيلة الحلوة ومن يركز غيرها هو شخص واحدٌ، لكن خاصية النخلة تجعلها تمتاز عن غيرها. ويبين المثل أن مدار الأمر على الأصل الذي لا يتغير. على أن جودة التمرة وحلاوتها مدعاة للخشية عليها؛ قالوا في المثل «غَرّاسة الحلوه من الناس مخطين» الحلوة: نوع فاخر من النخل، وهي مشبهة على المرأة الجميلة التي تشد الأنظار إليها فَتُخشى عليها الفتنة وهو شطر من بيت يقول:

غراسة الحلوه من الناس مخطين
تخرف ولو طِوّل عليها جداره

ويفضل الشاعر في هذه الأبيات نخلة الربيعية على الحلوه والخضرية، قائلاً:

من ذاق مي الربيعيه
ما عاد يسلى بلياها
لى عاد حلوه و خضريه
وقريبةٍ بارد ماها

وفي الخديرية يقول الشاعر:

أسق الخديريه نجثه وهي عود
صيور ما يملا المدابل قناها





وفي الحلوه والمكتوميه والصفري والذاويه، ومنها السلج والمسكاني والشقراء والبرني، يقول محمد بن عبدالله المنصور:

حلا ومكتومي وصفري وذاويه
وسلج ومسكاني وشقر وبراني
ياوسع صدري يوم أنا قاعد فيه
عندي عيالي وامهم ما تعداني
حلفت يا غرسٍ لنا ما نخليه
واثر الوحاده تخلف المودماني

وفي السِّلَّج يقول الشاعر:

ياسلّجٍ بجلاجل
يابرد ما القاعيه

وفي المقفزيه يقول آخر:

والله انه خارفٍ قلبي عشيري
مثل ما تخرف عذوق المقفزيه

وفي الشقرا ونبوت السيف والبرحيه يقول الشاعر:

مزرعتنا بها يابو حمد كل خير
طلعها ياطويل العمر ماله وصيف
والنخل واحمد الله يارفيقي كثير
بين شقرا وبرحيه ونبوت سيف

وهذا أحد الشعراء يتندر على صديق له كبير السن يريد تمراً صقعياً رغم أن الصقعي معروف بأنه تمر قاس وصلب ويحتاج إلى أسنان قوية، فيقول:

ابو علي طاحت سنونه
واليا مشى له متر يقعي
حتى الرطب له يلتونه
ومن كبر جوره يبي صقعي

وإذا انتقلنا إلى الواحات الغربية، نجد أن المدينة المنورة وما جاورها، كينبع النخل وخيبر والحائط، تحتل الصدارة من حيث عدد أشجار النخيل وأهميته، حيث يوجد هناك أكثر من مائتي نوع من أنواع النخيل المختلفة. وتعد أنواع البرني والربيعيه والصفاري والشلبي أهم أنواع النخيل وأوسعها انتشاراً في هذه المنطقة، وتقدر أعدادها بحوالي ثلاثة أرباع أعداد النخيل هناك. وتمور هذه الأنواع هي التي كان يعتمد عليها السكان في غذائهم. ويليها من حيث الأهمية أنواع أخرى كالشقرا وشوق والعنبره وروثانة المدينة والحلوه والونانه والبيضاء والمشوكه وروثانة الشرق وسكرة ينبع وبساطه ورباعي وغيرها. وفي الفقرة (منطقة ترتفع أكثر من ألفي متر فوق

نخيل بعلي في الفقرة – المدينة المنورة

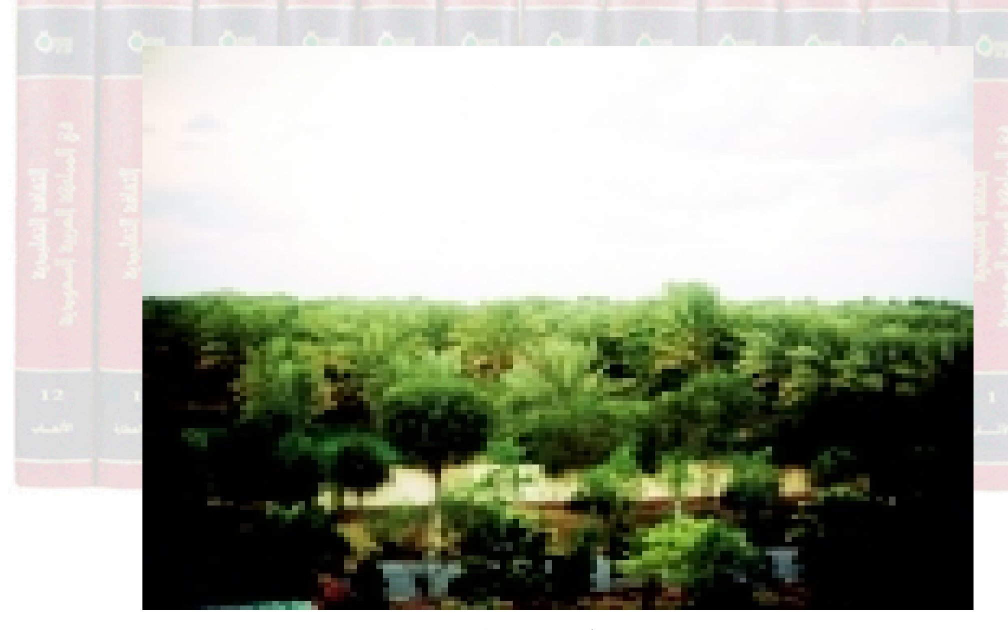





مستوى سطح البحر) وهي غرب المدينة المنورة، يقال إنه يوجد نـخل يُثمر أكثر من مرة في العام، وذلك لارتفاع أرضه وخصوبتهـا وبرودتها، وهو يعتمد فـي الري على الأمطار.

أما فـي الإقليم الجـنوبي الغـربي، فالتركيز الرئيسي لزراعة النخيل، كان في أودية بيشة ورنية إلى الشمال الشرقي من أبها، وفي تربة البقوم والخرمة إلى الشرق من الطائف، وفي بضعـة مواقع متفرقة أخرى، كبلدة العقيق في شرق الباحة، وذي عين فـي تهـامة البـاحة. وعـلى الرغم من ضيق المواقع التـي تتركز فيها زراعة النخيل، فإن أعدادها كانت كبيرة، وإنتاجها وفيراً. وكانت تغطي احتياجات سكان هذه المناطق والمناطق المجاورة التي لا تساعد ظروفهـا الطبيعية على زراعة النخيل، كمعظـم مناطق السراة وبعض مناطق تهامة الجنوبية. بل إن إنتاج هذه المناطق كان ينقل إلى مدن الحجاز الكبرى كمكة المـكرمة والطائف وجدة، حـيث كانت تمور هذه المناطق تشكل عنصراً مهماً من عناصر التجارة الغذائية في هذه المدن، وكذا في منطقتي السراة وتهامة.

وتتشـابه أنواع التـمور في المنـاطق المذكورة، حـيث يحتـل نوع الصفـري صـدارة التـمور، مـن حيـث الإنتـاج والجودة، ولصفري بيشة شهرة كبيرة في أغلب أنـحاء المملكة. ويـشكل نخيـل الصفري أكثر من ٩٠٪ من النخيل في



نخيل في بيشة





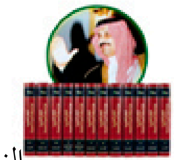
هذه المناطق، خاصــة في منطقة بيشة. وإلى جانبها توجد أنواع أخرى كالبرني والحمرا والسِّري والخِضْري واللحق وبديره والمقفزي وغيرها.

وتعد نجران أيضاً مركزاً مهماً لإنتاج التمور في هذا الإقليم منذ القدم، ولكن الاهتمام بها والتركيز عليها، لم يكن كبيراً نظـراً لأن معـظم الأراضـي الزراعــية، تخصص لزراعة الـقمح والشعير والذرة التي كانت تشكل الغذاء الرئيسي للسكان. ومن هذا المنظور كان مزارعو منطقة نجران، يغرسون النخيل على أطـراف المزارع من جهاتها الأربع. وكانت زراعة النخيل في وسط المزرعة قلـيلة، وإذا وجدت فعادة تغرس على مسافات متبـاعدة، من أجل استغلال ما بينها من مساحات في زراعة محاصيل الحبوب. وأهم أنواع النخيل في هذه المنطقة الـبياض، وهو أكثرها جودة وأكثرها تفضيلاً لدى التجار وعامة الناس. ويليه في الجودة البرني والعلوق والرطب، أما أقل الأنواع جودة فهو الأحمر، ومن المتعارف عـليه هناك ألا يقدم هذا الـنوع للضيوف.

## طرق زراعة النخيل

زراعة النخل شاقة تحتاج إلى سنوات من الصبر والجلد، وقد يخالج من يرى بدايته الشك بنتائجه؛ ولعل خير ما يصور ذلك قولهم «النخل أوله طنز وتاليه كنز»، طنز: محـتقر أو مستهـان به، والنخل عندما يكون فسيلاً فإنــه لا يلفت النظر حتى إذا كبـر وأثمر أصبح بمثابة الـكنز لصاحبه؛ يضرب المثل للشـيء أو الأمر يبدو مستهاناً أول أمره ثم يصير لـه بعد ذلك شأن عظيم. كان المزارعون في هذه البلاد، ومـا يزالون، يتبعـون طريقتين رئيسيتين في إكثار أشجار النخيل وإضافة أشجار جديدة. هاتان الطريـقتان هما؛ الإكثار ببذر النوى (العجم أو العبس أو الفِـصم)، والإكثـار عن طريـق غرس الفسائل (الفروخ).

وتُعد الطريقة الأولى، وهي زراعة النخيل ببـذر النوى، الأصل في تكاثر أشجار النخيل وظهور أصناف كثيرة من التمور، التي لم تكن معروفة في الماضي. وتتلخص هذه الطريقة في أن يأخذ المزارع النواة، وعادة يختار نوى التمور الجيدة، ويضعها في حفرة صغيرة ويدفنها بالتربة ثم يرويها بالماء، حتـى تنمو وتترعرع. ويعمد بعض المزارعين أحياناً إلى وضع نواتين أو ثلاث في حفرة واحدة، حتى إذا ما نمت اختار أقواها، وتتخـلص من النبتتين الأخريين. وهذه الطريـقة متبعة في أكثر من منطقة، مثل نجران والمدينة





المنورة. ويكون المكان المختار لوضع النواة هو المكان الدائم لهذه النخلة مستقبلاً. ولم يُعرف أن المزارعين في هذه البلاد كانوا يتبعون ما يعرف بطريقة المشاتل؛ أي وضع النوى في مكان مخصص حتى تكبر النبتة وتصبح فسيلة، ثم تنقل إلى مكانها المستديم.

وزراعة النخيل بهذه الطريقة ليس لها وقت محدد من السنة، بل يمكن وضع النوى في أي وقت. ولكن معظم المزارعين، يفضلون فترة خراف النخل (تحول البلح إلى رطب)، وهي الفترة الواقعة ما بين طلوع المرزم حتى حلول الوسمي، حيث يساعد دفء التربة على نمو النبتة وترعرعها.

ليس لزراعة النخيل بهذه الطريقة أهمية كبيرة لأن أكثر النخيل المنتج بهذه الطريقة يكون من الذكور (الفحاحيل)، ويكون الباقي من نوعيات رديئة غير معروفة. ويذكر بعض المزارعين أن خَصْيَ النبتة بعد أن تظهر أوراقها؛ أي قطع النواة من عروق النبتة (تشبيهاً بخصي الخروف) يؤدي إلى تحولها إلى نخلة مثمرة، في حين تكون فَحَّالاً في الغالب عند إبقاء النواة. ومما يقلل من أهمية هذه الطريقة أن النخلة المزروعة تستغرق فترة طويلة حتى تثمر قد تمتد إلى عشر سنوات، يكون الفلاح قد بذل خلالها جهداً كبيراً في إنمائها والعناية بها. وبعد هذا الجهد والانتظار الطويل، قد يخيب أمله إذا ما كانت فحّالاً أو كانت ذات نوعية رديئة.

والنخيل المنتج بهذه الطريقة، قد ينمو أحياناً تلقائياً، دون تدخل من المزارع، كتلك النخيل النامية من النوى المتساقط، في البستان بعد أكل التمر. أما إذا كان المزارع قاصداً زراعتها، كما أسلفنا فإنه يختار مكانها بعناية، ولكنه، عادة، لا يخصص لها أمكنة مستقلة، بل يضعها بجوار السواقي والقنوات الرئيسية والفرعية أو داخل أحواض المحاصيل الأخرى، خاصة البرسيم الذي يظل في الأرض لبضع سنين. حتى إذا نمت هذه الفسائل وترعرعت، وخلت الأرض من المحاصيل الأخرى، بدأ المزارع في مد قنوات الري لها وإروائها.

وفي سياق الحديث عن إكثار النخيل بتطوير زراعة النوى، ذكر سعد بن خلف العفنان أحد المهتمين بالنخيل زراعة وبحثاً في منطقة حائل، بعض التجارب المستفادة في مجال زراعة النوى لإنتاج إناث النخيل، وكذلك الفحول التي لا غنى عنها أيضاً، ولو بنسبة قليلة، لأهميتها في تلقيح إناث النخيل (التأبير)





أو التوبير. قال في كتابه طبائع النخيل ومعاملاتها إنه ليس أي نوى يمكن زراعته، بل نوى تمر الأصناف الممتازة هو الذي يمكن أن ينبت أصنافاً مقبولة أو جيدة أو ممتازة.

فإذا أردت الحصول على نخيل مؤنثة أو مذكرة فيمكنك أن تضع قماشاً ذا خلل (خيشاً أو ليفاً) على الموضع الذي تزرع فيه النوى، فالنوى الذي يخترق نباته ذلك الغطاء رأسياً يكون ذكوراً والذي ينثني أفقياً يكون إناثاً لأن النبات المذكر أصلب من النبات المؤنث، وعلى ذلك يمكن استبعاد الجنس غير المرغوب فيه.

إذا أردت تأنيث النخيل المستنبت بالنوى فإنك تعمد إلى حفر أسفل النبتة عندما تبلغ سنتين أو ثلاث سنوات من إحدى جهاتها حتى تصل إلى النواة التي هي أصل النبتة فتقطع الجذر الذي يربط الفسيلة بالنواة الأم فتستأنث الفسيلة وتسمى هذه العملية الخصي.

أما بالنسبة لانتخاب الذكور فإن نبات النوى كلما خشن وغلظ يكون أفضل، فإذا كانت لديك عشرون نبتة أو خمسون أو أكثر فيمكنك أن تختار أيها أخشن أوراقاً وأغلظ قاعدة وجريداً فتعتني به ليكون فحلاً منتخباً لنخلك وتستبعد الباقي أولاً بأول.

وفي عملية زراعة الفحول يقال إن الأفضل هو أن تزرع نوى من صنف نخيل معين ثم تعمد إلى عملية الانتخاب الآنفة الذكر، وعندما يظهر عندك فحل جيد تسميه باسم الصنف الذي استزرعت نواه وتلقح به هذا الصنف فيقبل التلقيح بسهولة ويجود ثمره ويبكر إرطابه. ويقال إذا أردت الحصول على نخيل مطابق أو مشابه لصنف معين من النخيل فازرع شماريخ سوية من ثمر ذلك الصنف كل شمراخ في موضع واحد على أن يكون في الشمراخ الواحد من ٣-٥ تمرات ناضجة منتقاة غير منفصلة عن الشمراخ وقد جربتُ هذه العملية وأنبتت فسائل مماثلة للأم تماماً من حيث طبيعة تكوين الأوراق وشكلها وشكل الليف وحتى الخطوط والانحناءات داخل الأوراق، لكنها لم تثمر حتى الآن (١٩٩٤: ٦٤-٦٦).

وعلى الرغم من أن معظم النخل المنتج بهذه الطريقة أي زرع النوى، يكون عادة من الأنواع القليلة الجودة، فإن كثيراً من النخيل ذات التمور العالية الجودة، قد أنتجت بهذه الطريقة كنبوت السيف والبرحي ونبتة علي، والرشودية والقرعاوية وعسيلة وغيرها. ويطلق على النخيل المنتجة بهذه الطريقة، اسم عام هو النبوت، (واحدتها نبته)، وفي





الأحساء تسمى النشوة، (جمعها نشو). وغالباً ما تنسب للمزارع أو عائلته، عندما تشتهر وتنقل إلى مزارع أخرى. أما إذا كانت من الأنواع الرديئة، فعادة لا يهتم بها أحد ولا يطلق عليها اسم معين، وتظل في الغالب قاصرة في وجودها على البستان الذي نمت فيه. ويطلق على مثل هذه النوعية من النخيل، أسماء عامة في بعض المناطق مثل لون في المدينة المنورة، ودقل في منطقة حائل.

أما الطريقة الثانية لزراعة النخيل فهي طريقة الإكثار بغرس الفسائل والرواكيب، وهي الطريقة الشائعة لزراعة النخيل في مختلف المناطق، وهي ما يفضله جميع المزارعين لأن الفسيلة المغروسة عندما تنمو وتثمر، تحافظ على خصائص أمها تماماً. فالفسيلة المأخوذة من نبتة سيف تصبح نبتة سيف أخرى، والمأخوذة من الشقرا تصبح شقرا، والمأخوذة من السكرية تصبح سكرية، وهكذا.

والفسيلة المفضلة، هي النبتة المتصلة بأمها في نقطة حول فسيلة الأم، وبذلك يكون لها جذور في الأرض. وهذا النوع يطلق عليه الفَرْخ، كما يعرف بأسماء أخرى كالوديّه في المدينة المنورة، جاء في لسان العرب «والودي على فعيل: فسيل النخل وصغاره، واحدتها



فسيلة مغروسة حديثاً

وَديَّة، وقيل تجمع الودية ودايا؛ قال الأنصاري:

نحن بغرس الودي أعلمنا
منّا بركض الجياد في السلف

وفي حديث طهفة: مات الودي أي يبس من شدة الجدب والقحط. وفي حديث أبي هريرة: لم يشغلني عن النبي ﷺ غرس الودي».

أما الفسيلة التي تتصل بأمها فوق مستوى الأرض، وتخرج من جذعها ولا يكون لها جذور في التربة، فتعرف بالراكوب، (جمعها رواكيب). وفي حين

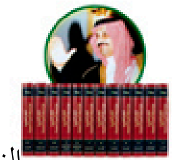




يفصل الفرخ من أمه، ويـغرس مباشرة في المكان المختار ليصبح نخلة بعد ذلك، فإن الراكوب، عادة، لا يغرس مباشرة بل توضع له تربة معلقة، تحت قـاعدته محمولة في زنبيل أو بقطعة من الخيش أو نحوه ومربوطة في جذع الأم، حتى إذا ما نمت جذوره في هذه التربة، فصل عن أمه ونقل إلى المكان المختار ليغرس. وهذا الإجراء غـير شائع، إلا بالـنسبة للأصناف الممتازة النادرة، علماً بأن النخلة الناتجة مـن غرس الراكوب، تكون في الأغلب ضـعيفة. ويراعـى عند فصل الفسيلة من أمها، أن تكون مكتملة النمو (بالغة)، ويعرف البلوغ بوجود رواكيب في الفرخ المراد فصله، أو وجود فسائل، كما يراعى أن تفصل عن أمها بأداة حادة، حتى لا تضار الأم أو الـفسيلة. ويقوم بفصل الفسائل عن أمهاتها عادة، عمال مدربون متـخصصون في هذا العـمل، وهناك أناس مـشهورون بذلك في كـل منطـقة. وهناك طـريقة أخرى لـفصل الفسائل عن أمها، وهي أن تُحفر جميع الجهات حول الفسيلة، ثم تقطع عروقها كلها ما عدا العرق المرتبط بالأم وهو ما يسمى الصـنبور ثم تدفن الحفر بالرمـل وتسقى بالماء وتترك مدة شهرين حتى إذا أريد فصل الفـسيلة عن أمها تكـون قد نبتت لها عـروق جديدة فلا تتأثر غالباً بالنقل. ومن الأقوال الشائعة في بعض المناطق «فلان ما يموت فـرخه»، أي أنه



فسائل بجوار النخلة الأم






يفصل الفسيلة بطريقة فنية ويحافظ على جذورها وجمارتهـا بعناية فائقة، حتى إذا غرست قلما تموت.

والطريقة الثالثة الحديثة وهي لإكثار النخيـل بزراعة براعم النـخيل وأنسجة براعم النخيل أيـضاً. وهي على نوعين كما يلي؛ طريقـة زراعة البراعم؛ إذ إن في النخلة برعم طرفي واحـد في أعلى القمة الناميـة وهو منطقة النمو التي إذا قطعت مـاتت النخلة، وهـناك البراعم الجانبية التي تتكون في جوانب المجموعة الخضرية للنخلة في سنينها الـ٣- ٢٠ سنة الأولى والـتي إذا تركت تـصير أفراخـاً وفسائل على شكل أمها، وقد تنتج النخلة الواحدة ما يزيد على عشرة براعم، ولكن ليس دفعة واحـدة. وهذه البراعم تنمو من العقد الدقيقـة في جمارة النخلة ثم تبرز منها ورقة تتخلل الليف المغلف لنسيج جمارة النخلة مستغلة الفتحة التي تحدثها بواسطة العسيب للخروج، فإذا خرجت نمت وتفرعت حتى يتم فصلها عن أمها.

وتتطلب زراعة البراعم الوصول إلى البرعم وهـو في طور التكوين قـبل أن يكون الورقة الأولى، ويتم ذلك بعملية شاقة أشـق من عملـية فصل الـفسيلة التقليديـة، حيث تجرى عملية للفسـيلة وهي في عمر ٣-٧ سنوات أو أكثر وذلك بأن يؤتى بالفسيلة ثم يزال كربها وليفها المغلف لنسيج جمارتها حتى يتم الوصول إلى البراعـم، ومن ثم تقطع بالأدوات المعمـلية المعـقمة ثم تـزرع في أنابيـب زجاجية في وسط غذائي محضر يحتوي على جمـيع العناصر الـتي تناسب نمو النخلة، وتمر هذه العملية بفترة حضانة لمدة ٦-١٠ أشهر في غرفة المختبر التي يتم التحـكم بدرجة حرارتها وإضاءتها آلياً، وبعد ذلك تمر بفترة أقلمة لمدة ١- ٢ سنة في بيت محمي قبل أن تنقل إلى الحقل. ولا يمكن الحصول على أكثر من غرسة واحـدة من كل برعـم طرفي أو جانبي تتمتع بصفات الأم الوراثية.

أما اعتماد هذه الطريقة لإكثار النخيل لأغراض تجارية أو اقتصادية فإنه غير مجد على الأقل في المدى القريب» (الـعفنان ١٤١٤: ١٠٢-١٠٧).

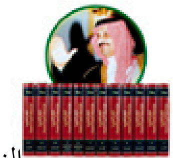
كما يجرى في الوقت الحاضر إكثار النخيل -شـأنه في ذلك شأن كثير مـن أنواع أشجار الفواكـه الأخرى- بطريقة زراعة الأنسجة. وتـعتمد هذه الطريقـة على أخذ البـرعم القمي للفسيلـة المراد الإكثار من نوعها وتعقيمه سطحياً بمحاليل مطهرة للـتأكد من عدم تلوثه بـجراثيم الأمراض المختلـفة مع التأكد مـن خلو الفسيلة التي أخذ منها البرعم من الإصابة





بأي نوع من الآفات والحشرات والأحياء الدقيقة المرضة. ويجرى تقسيم هذا البرعم الطرفي (الجمارة) إلى أجزاء دقيقة بمشرط معقم حاد في وسط معقم خالٍ من الجراثيم ثم تزرع كل قطعة منها في أنبوبة اختبار زجاجية، من ذلك النوع الذي يستخدم في المختبرات، وذلك في وسط غذائي معين يحتوي على جميع العناصر الغذائية اللازمة لنمو النبات، بالإضافة إلى بعض الأوكسينات، أي هرمونات النمو النباتية المساعدة للخلايا الجينية التي يتكون منها نسيج الجمارة على الانقسام بسرعة مكونة كتلة نسيجية من خلايا متماثلة شكلاً وحجماً يطلق عليها العلماء مصطلح الكالوس Callus لا تلبث تحت تأثير الأوكسينات النباتية المضافة إلى الوسط الغذائي أن تتكشف، أي تنمو كل مجموعة منها مكونة أنسجة خاصة تختلف عن المجموعة الأخرى. ثم تتميز إلى أعضاء النبات المعروفة فيخرج الجذير من أسفل كتلة الكالوس وتنمو الأوراق الحوفية الصغيرة والبرعم الطرفي الجديد من قمة كتلة الكالوس وبذلك تتحول إلى نبتة صغيرة كاملة. وتحفظ الأنابيب متراصة في غرفة معقمة تحت ظروف منضبطة من درجة الحرارة والرطوبة النسبية وشدة الإضاءة وطول مدة الإضاءة اليومية ثم تنقل النباتات منها إلى أنابيب أكبر تحتوي على وسط غذائي جديد وهكذا حتى تكبر وتبلغ عدة سنتيمترات في الطول فتنقل كلُ نبتة منها إلى أصيص صغير من البلاستيك يحتوي على تربة زراعة مع مادة البيتموس الحافظة للمياه وتسمد وتحفظ في الصوبة أو البيت الزجاجي، وتنقل بعد ذلك في مراكن أكبر إلى المشتل وتحفظ حتى تباع لتنقل إلى مكان زراعتها المستديم. ويمكن بهذه الطريقة الحصول على حوالي خمسين ألف نبتة من جمارة فسيلة واحدة وقد يزيد هذا العدد أو ينقص حسب حجم الجمارة ومهارة الفني المنفذ.

وكان من المعتقد أنه بهذه الطريقة سوف ينتج هذا العدد الضخم من الفسائل المتماثلة وراثياً والمطابقة للنخلة الأم التي استخدمت جمارتها في صفاتها الوراثية ثم في نوعية ثمرها إلا أنه وجد أنه أثناء تكوين النباتات الصغيرة من كتلة الكالوس بالانقسام الخلوي تحدث طفرات وراثية متعددة قد تبعد ببعض النباتات الناتجة عن صفات الأم، وقد تنتج فيها صفات غير مرغوبة إلا أنه بوجه عام ما زالت هذه الطريقة من أكفأ الطرق المستخدمة لإنتاج النخيل. وهناك معامل متخصصة في بعض الدول الأوروبية لإنتاج شتلات النخيل بهذه الطريقة وتوريدها إلى





الدول العربية حيث يربحون من ورائها أرباحاً هائلة.

وعن الفروق بين زراعة البراعم وزراعة أنسجة البراعم ذكر العفنان أن زراعة الأنسجة تتفق في أساليبها وأغراضها ونتائجها مع زراعة البراعم في بعض الجوانب وتختلف في جوانب أخرى، ولنأخذ جوانب الاختلاف:

١) بينما يمكن الحصول من نسيج جمارة النخلة على آلاف النباتات بواسطة زراعة الأنسجة فإنه لا يمكن الحصول إلا على عدد محدود من النباتات بواسطة زراعة البراعم من النخلة الواحدة.

٢) تنتج زراعة البراعم نخيلاً مطابقة للأم وراثياً ما لم يتم شطرها وتجزئتها، بينما تنتج زراعة الأنسجة نخيلاً هجيناً مماثلاً لما ينتجه النوى، إن لم يقل جودة.

٣) تمر زراعة الأنسجة أثناء فترة الحضانة بطفرات تتطلب إعادة الزراعة من جديد، وكذلك تمر بعمليات شطر، وقد تحتاج إلى وقت أطول بينما زراعة البراعم لا تمر بشيء من ذلك إلا إذا أرتكبت أخطاء تطبيقية.

أما فيما عدا ذلك فإن زراعة البراعم وزراعة الأنسجة تتفقان في الأساليب والأغراض والنتائج التطبيقية بقدر ما تختلفان في الصنف المنتج. (١٤١٤: ١٠٧-١٠٨).

ويغرس النخل في موسمين رئيسيين، في مختلف مناطق المملكة. الموسم الأول في فصل الخريف وبالتحديد، من طلوع المرزم حتى منتصف الوسمي (نهاية شهر أكتوبر)، وقد يمتد حتى دخول المربعانية واشتداد البرد. أما الموسم الثاني والأهم، فهو فصل الربيع، ويبدأ في العقرب الثالثة (سعد السعود) ويستمر حوالي خمسين يوماً حتى يشتد الحر. ويوافق هذا الموسم جني رطب النخيل، ولذلك يشيع لدى المزارعين قولهم «اغرس إذا انتصف الشمراخ» أي إذا أصبح نصف شمراخ النخلة تمراً ونصفه ما زال بسراً وبلحاً. ويقال في الحجاز «كل تمر واغرس»، أي إذا بدأت بأكل الرطب والتمر فذلك موعد غرس النخل. وبوجه عام فإن هذا الموسم مهم ليس فقط لغرس النخل، بل لزراعة معظم أنواع المزروعات، خاصة الخضار الصيفية والحبوب الصيفية، كالذرة والدخن وغيرهما.

وتبدأ عملية غرس النخيل بإعداد النقر أو المخافر أو المخامر، وهي الحفر التي تغرس فيها الفسائل. وهي عادة حفر دائرية أو مربعة، يصل ضلعها أو



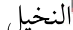


قطرها حوالي متر وعمقهـا كذلك، إلا أن الفسيلة تغرس على عمق قليل، وهذا يتوقف عـلى حجم الفسيلـة المزروعة. ويجـري تنظـيف الحفـر من الأحجـار والشوائب. ويستحسن قبل إنزال الفسيلة في الحفرة أن يوضع في الحفرة قليل من المبيد الحشري لحماية الفسيلة من الحشرات أو الديدان أو الـطفيلـيات حتى تـقوى عروقها. وتقـص عادة أطراف العسبان لئلا تحركـها الرياح، وكذلك لـتحتفظ بكمية الماء لتـروي الباقي من العسبان. وتحفر هـذه النقر أو الحفر عـلى شكل صفوف مـتوازية، يفصل بـين الواحدة والأخرى ما بين ثـلاثة إلى أربعة أبواع (ستة إلى ثمانية أمتار) فإذا كبرت النخيل ونما جريدها لا يلامس بعضها بعضاً ولا تظـلل إحداها عـلى الأخرى. وكلـما ابتعدت النخلة عن الأخرى، كان ذلك أفضل وزاد معدل إنتاجها أيضاً، ولذلك يقولون على لـسان النخلة «أبعد أختي عني وخـذ طلعها مـني». ورغم إيمان جميـع المزارعين بهذه القـاعدة وأهمية تطبيـقها، إلا أن بعضهم تحـت ظروف معينة، لا يطبقها بل يقارب بين أشجار النخيل لمسافة قد تصل إلى ثلاثة أمتار. ويحدث ذلك غالباً في الواحات المكتظة ذات الحيازات الصغيرة، كما هـو الحال في القطيف وبعض أنحاء واحة الأحساء والمدينة. وتغرس الفسيلة بأن توضع في هذه الحفرة، ثم يهال عليها التراب ويرص بالأرجل حتى لا يـكون هناك فراغ في قاعدة الفسيلة. ولضمان ذلك يلجأ بعض المزارعين إلى خلط التراب بالماء بين حين وآخر حتى يـكتمل ردم قاعدة الفسـيلة ورص التراب حولها بقوة حتى مستوى سطح الأرض. وبعد ذلك تروى الفسيلة بقليل من الماء، ويستمر المزارع في ريها يومـياً لمدة أربـعين يومـاً، حتى تـنمو وتضرب جذورها في الأرض. ويـعمد المزارعون، عادة، إلى لف قلب الفسيلة بقطعة من الخيش أو القماش أو الليف، أو إحاطتها بـدائرة من عسبان النخـل، لحمايتها من البرد أو الحر أو الرياح.

وهناك طريقتـان لغرس النخيل في الأحسـاء؛ الطريـقة الأولى، وتـسمى القوام، وفيها تغرس فسائل النخيل على أبعاد متساوية، وعلى خطوط مسـتقيمة ومنتظمة بعد حراثة الحقل حراثة عميقة جداً وتسويته وتسميده. والطريقة الثانية وتسمى الخلـيف، وفيها تغرس فسـائل النخيل في المساحات الواقعة بين نخلتين كل منـهما ذات ارتفاع عـال. وتستمر عملية غرس الفسائل بين النخيل ذوات الارتفاع العالي دون انقطاع.









فسائل وسط البرسيم

وتروى الفسائل عادة بطريقتين مختلفتين حسب أسلوب الغرس؛ إحداهما الري بالسواقي والقنوات التي تصل بين حفر الفسائل المغروسة (الغريس)، وعادة لا تستخدم هذه الطريقة إلا في المرحلة الأولى حتى تنمو الفسائل وتخضر. أما الطريقة الثانية فهي الري في الأحواض حيث يكون في كل حوض ما بين فسيلتين إلى أربع فسائل حسب مساحة الحوض. ويكون الحوض في هذه الحالة مزروعاً في الغالب ببعض المزروعات الأخرى، خاصة البرسيم أو الدخن أو الدقسه. وهذه الطريقة هي الشائعة لري النخيل، خاصة بعد أن ينمو ويثمر. ومن فوائد زراعة أحواض النخيل بالمزروعات الأخرى، كالبرسيم والدقسيه، تلطيف الجو المحيط بالنخلة، حيث تقلل من وهج الحرارة في فصل الصيف وتمنح الغريسة الدفء في فصل الشتاء. كما أن هذه المزروعات، خاصة البرسيم، تساعد في إخصاب التربة ومكافحة النباتات الطفيلية التي قد تنمو حول النخلة وتنافسها في غذائها؛ وقالوا في المثل «وسعوا حوضها تملا الخصفه» يوصي الفلاح عماله بتوسعة حوض النخلة لتعطي ثمرة أكثر وتملأ الخصفة وهي وعاء للتمر يعمل من الخوص.

وجدير بالذكر أن للنخيل طبائع تشبه طبائع الحيوان من بعض الوجوه. يقول العفنان عن ذلك إن طبائع النخيل لا





شك في أنها نباتية بشكل تام، لكنها في بعض الوجوه فيها أشياء تماثل طبائع الحيوان.

والنخيل ينبت بالبذرة ويتكاثر بالتفريخ، وهذه طبائع نباتية مشتركة بين النخيل والنباتات الأخرى.

ومن طبيعة النخيل أنه مخلوق من زوجين ذكر وأنثى وأن ثمر الأم لا يصلح إلا بلقاح من ثمر الفحل وهذه تماثل طبائع الحيوان ولا شيء من النبات له مثل هذه الطبيعة.

ومن طبائع النخيل التي تتميز بها على النبات والحيوان معاً أن الفحول تتكاثر بالتفريخ، ولا شيء من الحيوان أو النبات يماثلها في هذه الخاصية (١٤١٤ : ٧٤).

## خدمة النخيل

وهي عند الفلاحين الموالاة؛ وقالوا في المثل «عزِّي لمال ما يواليه صاحبه»، أي ما أعظم ألمي لمال لا يقوم عليه صاحبه. ويضرب في الحث على أن يتولى المرء العناية بما يخصه بنفسه. فالنخل المهمل لا ينتج إلا نتاجاً رديئاً؛ وفي المثل «فذة همال» الفذة التمرة والهمال هو النخل الذي لا يسقى وإنما يعيش على الأمطار فقط فثمره يكون رديئاً وصغير الحجم. وهناك نوعان من الخدمة يقوم بهما المزارعون للعناية ببساتين النخيل؛ أولهما متعلق بالأرض كالحرث (العزق) والتسميد والري، وثانيهما متعلق بالنخلة نفسها، خاصة في طور الإثمار، كالتكريب ويسمى في الأحساء البطاط والتشويك أو التشييف ويسمى في الأحساء التجنيم أي التقنيم، والتلقيح ويسمى في الأحساء التنبيت والتعديل أو التركيب، ثم الخراف وجني المحصول ويدعى الجداد. وسنلقي الضوء على أبرز هذه العمليات على النحو التالي:

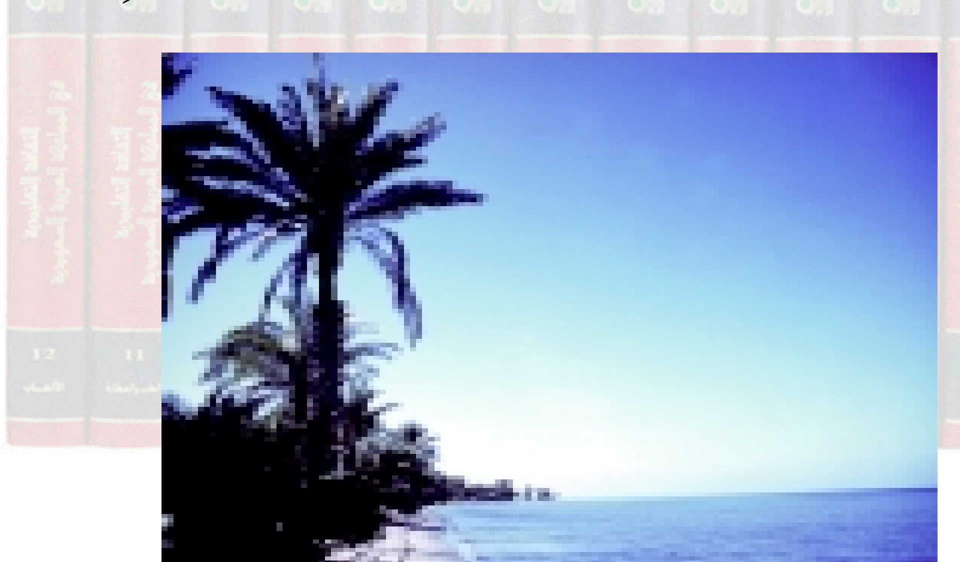
يعد التسميد من الأمور المهمة التي تساعد على نمو النخلة وزيادة إنتاجها. وكان المزارعون الأقدمون يحرصون على خدمة نخلهم وتسميده كل سنة أو سنتين على الأكثر. وكما هو الحال في المزروعات الأخرى فإن السماد المستخدم في النخيل، هو السماد العضوي الحيواني (الدمال)، ويسمى في الأحساء العطن الناتج عن مخلفات الحيوانات والدواجن المختلفة. وفي بعض المناطق يستعاض عن السماد العضوي الحيواني في بعض السنوات، نتيجة لارتفاع أسعاره وقلته، بالسماد العضوي النباتي ويتكون هذا السماد من تجميع بقايا المحاصيل التي





تزرع بين الأشجار، كالبرسيم واللوبيا والحصنيه، مع بعض أجزاء النخيل، كالكرب والعسبان وبعض الجذوع الميتة، ثم تحرق وتوزع في أحواض النخيل والمزروعات الأخرى. ويسمى هذا النوع من السماد المحروق الطبينه. ويوضع السماد في أحواض النخيل، عادة، عند دخول فصل الشتاء، حتى يمنح النخلة الدفء ويقيها من البرد الشديد من ناحية، ويمنحها العناصر الغذائية اللازمة لمواكبة موسم الإثمار الجديد من ناحية أخرى. وبعد أن يوزع السماد العضوي في أحواض النخيل، تتبع ذلك، عادة، عملية حراثة الأرض (العزق) بالمساحي أو المحراث، بهدف خلط السماد مع التربة وتفكيك حبيبات التربة وتهويتها. كما أن من أهداف عزق الأرض القضاء على بعض النباتات الطفيلية التي تنمو بجوار أشجار النخيل، وتنافسها في امتصاص العناصر الغذائية من التربة. وبطبيعة الحال فإن عملية العزق وتقليب التربة، أمر مهم لا بد منه في كل الأحوال على الأقل مرة كل سنتين. أمّا بعض البساتين التي لا يسمّدها أصحابها، كتلك البساتين التي ترتوي دورياً من مياه السيول، فيعوضها الطين والطمي المتجدد، الذي تحمله هذه السيول، أي أسمدة عضوية.

وتحتاج فسائل النخيل الجديدة، كما أسلفنا، إلى ري يومي، لمدة أربعين يوماً حتى تضرب جذورها في الأرض وتصبح قادرة على امتصاص الرطوبة الأرضية. وتوصف النخلة عندئذ بأنها عِلْقَتْ أو



نخيل بجانب مياه البحر المالحة





نَشَرَت -ويقال عنها في الأحساء: ثبتت؛ أي بدأت طور النمو والحياة؛ ولذا تمثلوا بقول حميدان الشويعر:

محا الـله من يزرع عـلى غير عيـلم

ومـن كان يـبـنـي بالـهـيـار جدار

يدعو حميدان الشويعر بالهلاك بقوله هذا على من يغرس نخلاً أو شجراً على غير عيلـم -وهو الماء القوي الثابت فـي الآبار ولا ينقص بالسحب- وكذلك من يبنـي بنيانه بالـهيار أي على أرض غـير صلبة. وبعد أن تعلق النخلة يبدأ المزارع بتقليل عدد الريات شيئاً فشيئاً، حتى إذا ما كـبرت أصبـحت قادرة علـى تحمل العطش. ويـعتمد عدد الريات فـي هذا الطور، على حالـة الجو ونوعية التربة. وتتـراوح عدد الريات، عـادة، بين ريةٍ واحدة إلى اثنتين أسبوعياً، تبعاً لاختلاف الفصل، من الشتاء إلى الصـيف، وتبعاً لنوع التربة، رملية أو طينية.



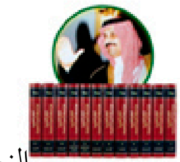
نخيل بجانب فوهة بركان

تصبر النخلة على برد الشتاء القارس وحر الصيف اللافح، وتجود في مختلف أنواع الترب حتى الترابات المالحة التي لا ينمو فيها غيرها. وتقنع الـنخلة بالقليل من الماء، وقد تصبـر أشهراً من دون أن ترتوي بقطرة ماء. وهي مع هذا شجرة كريمة غزيرة الإنتاج تـكرم من يكرمها، وتعطي من يبذل جهده في رعايتها والعناية بها وإعطائها حاجتها من الماء والسماد، ولسان حالها يقول:

أروني بـاسوَد الما مع كـثير الـدمايل

وكل عذق تـشوفه ما يشـيله عسيـبه

وعلى كلٍ فشدة الحرارة وزيادة الماء لا تضر النخلةَ؛ وفي المثـل «بالشمس أحرقني وبالمـاء اغرقني» تقول النخلـة للفلاح اغرسـني في مكان تصل إليـه الشمس، فهي تنمو مع حرارة الشمس. وكذلك تقول أغرقني بالماء؛ حيث نرى أن النخـلة الموجودة عـلى الساقـي أو الحابوط تؤتي ثمرة أكثر من غيرها أما





النخلة التي تغرس في الظل فإن نموها ضعيف وتصاب بأمراض كثيرة مثل؛ القمَّل(الحشرة القشرية). ويعتقد كثيرٌ من المزارعين أن زيادة الماء يزيد نمو النخلة، ويزيد في جودة ثمارها؛ ولذلك يقولون «سماد النخل الماء»، أي أن النخيل، خاصة تلك التي تصلها مياه السيول بين وقت وآخر، لا تحتاج إلى سماد ولكنها تحتاج إلى الكثير من الماء. والنخلة التي على الساقي أجود من غيرها نمواً قالوا «غرسة ساقي»؛ يضرب المثل في الإنسان الذي يعيش في رغد من العيش. «نخلة لزا تشرب ساخن»؛ يضرب المثل للإنسان القريب من الخير فيعيش في رغد العيش.

وبالإضافة إلى خدمة الأرض بالتسميد والعزق والري، فإن أشجار النخيل تحتاج إلى عدد من عمليات الخدمة المتعلقة بالشجرة نفسها. بعضها مرتبط بفترة الإثمار، كالتلقيح والتركيب (التعديل)، وبعضها عام سواء أثمرت النخلة أم لم تثمر ولذلك يحتاج النخل إلى نشاط وهمة. وتعد عملية التقليم، من أهم العمليات التي توجه لخدمة شجرة النخيل. وهي تشمل قطع العسبان (الجريد) اليابس، وقطع الكرب (التكريب)، والتخلص من الأشواك (التشييف)، وانتزاع الليف وإزالة الرواكيب. ويتخلص من العسبان (الجَرِيد) اليابس عندما يميل إلى الاصفرار، ويقال «أصرع العسيب» أي بدأ يصفَرّ. ويطلق على هذه العملية في نجد تشذيب العُسْبَان أو التكريب، في حين يدعى في الأحساء التَّشْحِيْط، كما يطلق على هذه النوعية من العسبان اسم النّسِيْل. وتقتصر عملية شذب العسبان على العسبان اليابسة التي توقفت عن أداء مهمتها في منفعة النخلة، أما الجريد الأخضر فعادة لا يشذب، لأن تشذيبه يضر بالنخلة، إلا في حالات خاصة كأن يحتاج إليه في سقف البيوت ويرد ذكر هذا في مجلد العمارة.



قداديم





وعندما ترتفع النخلة قليلاً، يبدأ الفلاح بإزالة الكرب، وهو أصول الجريد التي سبق أنّ شذبها، وهو كرب يبدأ بالجفاف ولا تطلع فيه الكوافير إذ تطلع في أعلى كرب؛ ولذلك قالوا في المثل الشعبي «حامل في الكرب اليابس» قال الجهيمان:

> الضمير في كلمة حامل يعود إلى النخل. والكرب هو أصل العسيب مما يلي جذع النخلة. يضرب هذا مثلاً للأمر الذي يفوق حد الوصف من الوفاء والنماء والعطاء. ومع أن النخل لا يحمل في الكرب اليابس إلا أن مطلق المثل يقول ذلك من باب المبالغة. وإن النخل قد حمل ثمرة كأكثر ما يمكن أن تحمله النخل (١٤٠٣، ج٢:٢٣٩).

وعملية التكريب، التي يطلق عليها في الأحساء والقطيف البطاط، لا تمارس في جميع مناطق المملكة بل في مناطق دون أخرى. ويزال الكرب عادة بقطعه بالمنجل أو العكفة أو بآلة حادة كالقدوم ونحوه. ويراعى دائماً أن تترك عدة أدوار من الكرب تحت العسبان الخضراء، دون تكريب، حتى يحافظ على قواعد الجريد الأخضر من الضرر والتشقق وعدم الإضرار بجمارة النخلة.



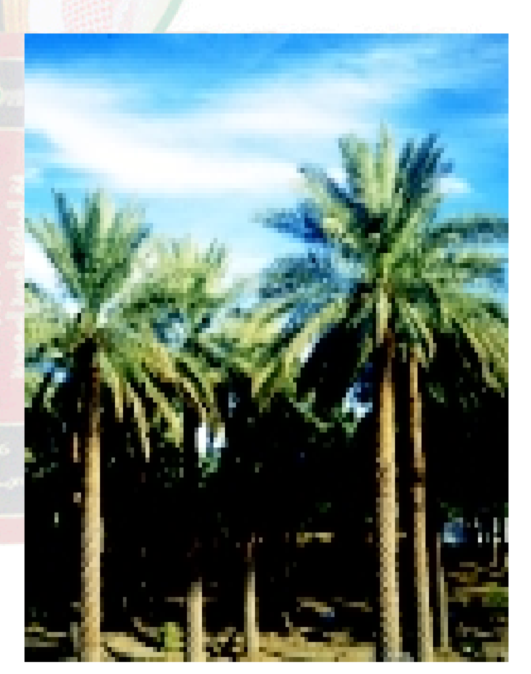
العناية بالنخلة

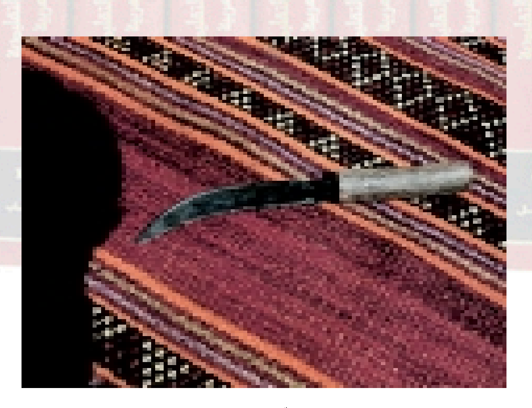




ويصاحب عـملية التكـريب إزالة اللـيف بين الكـرب وأصول العـذوق القديمة، وكـذلك الرواكيب الصـغيرة حتى تصبح النخـلة نظيفة ومتناسقة، فيسهل على الشَّمَّال صعودهـا بالكرّ. وتُجرى عمـلية قطع العسبـان اليابسة والـتكـريب، عـادة، إما فـي فصـل الخريف، بعد جني الثمار مباشرة، أو في فصل الربيع، قبيل عملية التلقيح. وقد يختار بعض المزارعين أن يقوم بهذه الأعمال في أوائل الصيف (القيظ) عند تركيب وتعديل قنيان النـخلة. وتجري عملية قطـع العسبان والتكريب دورياً بعد ذلك، وأمـا قطع العسبان وإزالـة الليف فمرة كل سنة. أما التكريب فمرة كل سنتين إلى ثلاث.

وقد لا يرتبط قطع العسبان والليف بوقت معين، بل تحكمه حاجة المزارع، لأنه يسـتخدم جريد النـخيل في البنـاء وسعفه في عمل الزبلان والحصر وعدة صناعات أخرى، كـما يستخدم الليف في عمل الحبال ونحوها. فكلما احتاج المزارع لشيء من هذه الأشياء، شرع في أخذها من النخلة، من دون التقيد بوقت معين وتسمى الليفة الخلبه؛ قالوا في المثل «امحش افمك بخلبه»، المحش: المسح والخلبة: الليفة، فصيـحة، وهي خشنة على الفم؛ ويعـني المثل أن هذا الشيء فوق طاقتك وعليك أن تيأس منه. وفي المناطق التي لا يُكَرّب النخل فيها، كبعض أجزاء نجد، ينزع بعض المزارعين الليف من بين الـكرب من النـخيل الصـغيرة (الغريس)، حيث يكون ليفها قوياً ولم


نخيل مكرّب


المحش

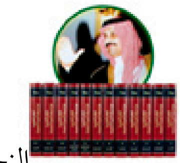




يدب فيه التفسخ. ويستخدم هذا الليف لصنع الحبال. ويرد في مجلد الصناعات التقليدية تفصيل عن الصناعات المعتمدة على النخيل.

ومن عمليات التقليم والتنظيف التي تجرى للنخلة عملية إزالة الأشواك من العسبان (الجريد). وتعرف هذه العملية في معظم المناطق بالتشييف، والشيف هو الشوك، فيقال «فلان يشيف النخلة» أي يزيل أشواكها. كما تسمى التشويك، فيقال «فلان يشوك النخلة». ويُستخدم في ذلك إما المَحَش أو سكّين خاصة (مِشْيَافه). ويطلق على عملية التشييف في نجران وذي عين وبعض مناطق الجنوب الأخرى السِّلا؛ فيقال «فلان يُسلل النخلة أي ينظفها من السلا»، وهو الشوك. ويستخدم في ذلك آلة حادة من الحديد تسمى المِسْلا. ويبدأ المشيف بقطع الشوك، سواء بالمحش أو أي أداة أخرى كالمجردة، مع تحاشي جرح العسيب، كي لا يتشوه أو يجف، ويبدأ من قاعدة العسيب صعوداً نحو الخوص. وفي بعض المناطق لا يكتفي المشيف بقطع الشوك، بل يقطع أيضاً بعضاً من الخوص لاستخدامه في الصناعات المشار إليها آنفاً. ويكتفي المشيف بتنظيف العسبان المحيطة بعراجين الطلع (الثمار)، ويبدأ في السنة التالية من حيث انتهى في السنة الماضية. وتبدأ عملية تشييف النخلة، عادة، مع أول صعود الشمَّال لتلقيح النخلة أو قبيل ذلك، وهو الأغلب. وفي وادي الصفراء يسمى التشييف جروْ. ويشتمل جرو النخل على إزالة السِّلا وتنظيف حلق النخلة وقطع جريدة خضراء (عاهنه) من خيار الجريد الأخضر، أو قطع قلبٍ وهو جريدة سعفها ما يزال أبيض، وتستخدم العاهنة والقلب في صناعة المراوح والحصر ذات المستوى الرفيع ليونة وجودة وشكلاً، ويعتقدون أنه إذا لم تقطع هذه الجريدة تسرب إلى النخلة المرض أو ساء إنتاجها، ولا تقطع إلا في موسم معين.

تبدأ النخلة بالإثمار (تطلع) ما بين ثلاث إلى سبع سنوات من غرسها، وهي كغيرها من النخيل التي سبقتها بالإثمار تحتاج إلى تلقيح، أي نقل حبوب اللقاح من ذكور أشجار النخيل (الفحال) إلى شماريخ أو طلع الثمار في النخلة المؤنثة، وهو أمر لابدّ منه؛ فالطلع إن لم يلقح صار شيصاً لا ينتفع به؛ ويصور المثل الشعبي أهمية اللقاح «البرْد ما يلقح النخل» ذكروا في شرحه أن تلقيح النخل هو قطع الغلاف الذي يستر الثمرة ثم وضع شيء من ثمار الفحل في وسط تلك





الثمرة؛ وقد قال هذا المثل رجل لولده وهو يريد منه أن يقوم بعملية التلقيح ولكن الولد يعتذر بأن الوقت بارد. فقال له الوالد إن البرد لا يلقح النخل. ولابدّ من تحمل البرد لتلقيح النخل. يضرب مثلاً للشدائد التي تكون عذراً في ترك الواجب (الجهيمان ١٤٠٣، ج٢: ١٩). والاسم الشائع لهذه العملية هو التلقيح أو التوبير (التأبير)، ولذا يطلق على من يقوم بهذه العملية الموبر أو المؤبر أو الوبّار، فيقال «فلان يوبر النخلة» أي يضع اللقاح فيها. ويطلق على عملية التلقيح في نجران الفِخَّاط، ويقال «فلان يُفَخِّط النخلة» أي يلقحها، كما يطلق على من يقوم بهذه العملية الطبَّان، وفي الأحساء يطلق على عملية التلقيح التنبيت.

ويسبق تلقيح النخيل إعداد وتجهيز اللقاح، فعندما ينشق كافور (جِراب، كُم)، ذكر النخيل، أو قبيل ذلك بقليل، يُقطع من أسفله بالمحش وتستخرج الشماريخ، وتنشر في مكان غير معرض لتيارات الهواء. وعندما تجف تصبح جاهزة للتلقيح، إذ يضعها المزارع في وعاء مصنوع من الصوف أو القطن أو نحوه يدعى المِلْقَح أو الجِرَاب ويسميها الميبره، وهو خِرْجٌ صغير يصنع من الصوف أو الوبر أو القماش أو الجلد المدبوغ اللين، له حبل متصل بطرفيه يحمل به، يضع فيه الشمَّال بذور اللقاح ويحمله على كتفه عند صعود النخلة، ويأخذ منه لتلقيح النخل واحدة بعد الأخرى.

وتبدأ عملية التلقيح مع بداية تفتح أو تفلق أو تفرج أكمام الطلع، أي تشققها وخروج شماريخ أزهار الأنثى، إذ يقطع المؤبر الأكمام (الكوافير)، ويضع عدة شماريخ من اللقاح في قنا (قنو) الأنثى (التلتال، الجُعبه). ويراعى أن توضع شماريخ اللقاح مقلوبة، كي تتساقط حبوب اللقاح على أزهار وثمار الأنثى. وقد يعمد بعض المزارعين قبل وضع شماريخ اللقاح، إلى نفضها وسط قنو الأنثى ليتشبع القنو باللقاح. ولا يحتاج عذقه بعدئذ إلى ربط، ولكن بعضها يحتاج إلى ربط العذق وشماريخ اللقاح داخله بخوصة من خوص النخلة، تبقى لمدة أسبوعين تقريباً. وقد يحل المزارع الخوصة إن لم تنفك تلقائياً.

ومن طرق اللقاح الأخرى، أن يستخدم مسحوق اللقاح بعد استخلاصه من شماريخ الفحال، على شكل صرار في قطعة من الشاش أو القماش الرقيق، تسمح بخروجه أثناء نفضه. وتجرى عملية التلقيح بضرب (طق) شماريخ





الأنثى بهذا الصرار من اللـقاح، فيتناثر اللقاح داخله فيكون اللقاح والتخصيب. وفي بعض المناطق كالقطيف والأحساء، يضاف إلى ما ذكر لف عذق النخلة بعد تلقيحه بليف النخل، ثم يربط من الخارج بالخوص، ويظل كذلك لمدة شهر تقريباً. والهدف من هذه العملية الإضافية، كما يعتقد المزارعون هـناك، ضمان التلقيح الكامـل للعذق، مما يـقلل من تسـاقط الثمار، والمحافظة عليه من المطر أو الجراد والدبا، أو غيرها من الآفات الزراعية. ولقـد بدأ المزارعـون في الأحسـاء في التخلي عن استخدام الليف إلا لصنف الخلاص لحاجـته إلى كمـية كبيـرة من حبوب اللقاح.

وتتفاوت كمـية اللقاح التي توضع في كل عذق، حسب نوع النخلة وحجم العـذق. فبـعض النـخيـل كالخـلاص والشيـشي في الأحساء، والـروثان في القصيم، والشلبي والربيعيه والروثانه في المدينة، تحتاج إلى كميات كبيرة من اللقاح قد تتراوح بين ٥-١٠ شماريـخ للعذق الواحد. وغيرها من النخيل لا تحتاج إلا إلى كميات قليلة من اللقـاح لا يتجاوز شمروخين أو ثلاثة، لكل عذق كالشقرا والحلوة والرزيز وغيرها، ومنها ما يلقح بما علق بالهواء وجلبته الرياح من لقاح دون تدخل من أحد. كما أنّ نوع اللقاح وكمية بذور اللقاح داخل الشماريخ، تعد أيضـاً عوامل حاسـمة في تحديـد عدد شماريخ اللقاح لكل عذق.

ولما كانت عراجين (كوافير، قنيان) النخلة لا تظهر وتتفتق كلها مرة واحدة، فإن المؤبر يحتاج إلى أن يصعد النخلة، لإجراء عملية التلقيح عدة مرات، يلقح في كل مرةٍ عدداً من القـنيان المتفتحة. وتحتاج كل نـخلة غالباً، مـا بين ثلاث إلى خمس طـلعات لاستكمال عـملية التلـقيح، تبدأ أولاهـا مع بداية طلـوع العراجين وتفتحها. ويحتاج المؤبر لصعود النخلة إلى أداة تسمى الكر، وهو الاسم الشائع في الـدلالة على هذه الأداة في مخـتلف منـاطق النخـيل في المـملكة والبـلدان المجاورة. ويصـنع الكـر من واحدة أو أكثر من المواد الأولية المتوافرة لدى الفلاح، كالليف والخوص، أو الجلد والجلمد، وإن كان الليف والخوص أكثر شيوعاً، لأن الكر المصنوع من الجلد أو الجلمد يتلف عند تعرضه للماء.

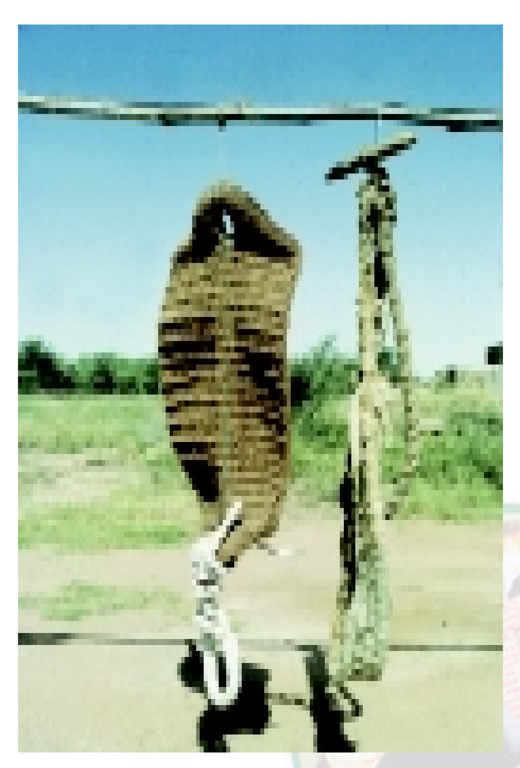
ومع أن الـتفاصيـل الدقيقـة للكـر تختلف مـن منطقة إلى أخرى، إلا أن شكله الـعام واحد في جميع المنـاطق. ويتألف الكـر من ثلاثة أجزاء رئيسيـة؛ أولها، وهو الجزء الرئيـسي منه، جزؤه







صناعة الكر



موالي الكر وحباله

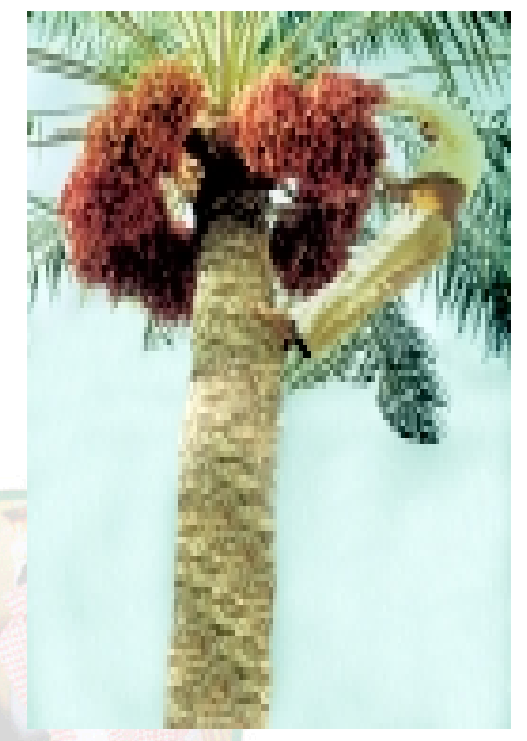
الذي يكون خلف ظهر الصاعد للنخلة (الموالي أو الشمَّال) ويعرف في الأحساء بالسفَّه، ويصنع من عدد من الحبال التي تثنى عدة ثنيات وتشبك بعضها ببعض بحبال أخرى، لتشكل شبكة قوية من الحبال. وقد يستعاض عن هذه الحبال في بعض المناطق بقطعة من السفيف (جريد النخل المحيوك)، يصل طولها ما بين ٥٠-٨٠ سم وعرضها ما بين ٢٠-٣٠ سم، وتنتهي من كلا طرفيها بعروة من الليف مثبتة بإحكام.

ويتصل بهذا الجزء من الكر جزءاه الآخران، وهما عبارة عن حبلين قويين من طرفيه كليهما، ينتهي أحدهما بمقاضيب (محاجز)، والآخر بعصا صغيرة وقوية تثبت فيه بقطعة من القدّ (الجلد) الجيد. وسواء كان الجزء الرئيسي من الكر مصنوعاً من حبال الليف أو السفيف، فإنه يغطى عادة بشيء من الخرق أو الخيش لحماية ظهر الصاعد للنخلة.

ويجعل الصاعد للنخلة، باستخدام الكر، وسط الكر خلف ظهره، ثم يلوي طرفيه خلف النخلة، ويضع عصا الكر الموجودة في أحد طرفيه في المحاجز الموجودة في الطرف الآخر. فيصبح الكر حلقة متصلة تحتوي داخلها كلاًّ من الرجل والنخلة. ويبدأ صعود النخلة بأن يتكىء الصاعد برجليه على جذع النخلة، ويرفع بيديه الطرف الآخر من الكر، الذي يكون خلف النخلة، ثم يصعد برجليه جذع







كيفية استخدام الكر لصعود النخلة

النخلة متكئاً بظهره على الجزء الرئيسي من الكر. وبتعاقب هاتين العمليتين يصعد الرجل النخلة شيئاً فشيئاً حتى يبلغ قمتها، ويوصف عمله حينئذ في المنطقة الوسطى، بأنه يتفرع النخلة أي يصعد نحو فرعتها وهي أعلاها. ومن دواعي سلامة الصاعد أن يكون حافياً؛ ومن طريف ما يتعلق بذلك مثلهم «أخاف يصير الدرب فوقاني».

لهذا المثل قصة ملخصها أن رجلاً جاءه بعض الطامعين في حذاء جديد كان معه، فقالوا له: اصعد هذه النخلة وأحضر لنا منها رطباً، فأدرك حيلتهم فأخذ نعليه ونظمهما بذراعيه، ثم صعد النخلة، فقالوا له: أتصعد وحذاؤك معك؟ فقال: يمكن يصير الدرب فوقاني؛ ويضرب المثل على شدة الفطنة والحرص والاستعداد في كل الأوقات والظروف، أو لمقابلة الخديعة بخديعة مثلها أو أكبر منها.

وجدير بالذكر أن فائدة الكر لا تقتصر على مساعدة الفلاح في عملية صعود النخلة فقط، بل هو أداة أمان تقي الفلاح من السقوط، كما أنه يعطي الصاعد عندما يصل أعلى النخلة حرية تحريك يديه، واستخدامهما كيفما شاء دون خوف من السقوط؛ ويستطيع الدوران حول النخلة باقتدار. ولذلك فإن الكر من الأدوات المهمة التي لا غنى عنها لفلاح النخيل، خاصة عندما تكون أشجار النخيل طويلة. فهو يستخدم في جميع عمليات خدمة النخلة كالتشييف والتلقيح والتكريب والتعديل والخراف والصرام.

ويحدد راشد الخلاوي فترة حمل النخل وطلوع العراجين في نجد بظهور الكانون، وهو النسر الأخير؛ ويوافق وقت خروج مربعانية الشتاء عند أهل الحساب، فيقول:

إذا ظهر الكانون فابشر بحملها
تحت الخوافي كالحراب مويق

وبداية حمل النخل تتفاوت من منطقة إلى أخرى. فتحمل النخيل في مناطق كالمدينة وينبع وبيشة ونجران قبل بداية الطلع في مناطق أخرى. بل إن هناك تفاوتاً كبيراً في بداية حمل النخيل، حتى داخل المنطقة الواحدة لاختلاف نوع النخلة، فبعض النخيل يبكر بالحمل وبعضها يتأخر.

وعموماً فإن فترة الطلع والتأبير، قد تمتد إلى ما بين شهر ونصف إلى شهرين، في الفترة الممتدة من بداية برج الجدي (نهاية ديسمبر) إلى نهاية برج الدلو (منتصف أبريل)؛ ولذلك يقولون في الحجاز عن زراعة النخيل «شهرين طلع وأبار، وشهرين ويشبع الصغار، وشهرين وتجني كل مشهار». أي إن النخل يستمر طلعه وتأبيره لمدة شهرين، وإذا مر شهران آخران وجد الأطفال ما يأكلون منه، وهو نوع من البسر يسمى الغَمق أو الـرِّمخْ، أو السدا يصير كالرطب قبل أن يلون البلح ويأكله الناس في المجاعات ويقول المثل «إذا استدار بقميعاته جلا الهم عن عيلاته» ويعني أنّ الخَلال أو البلح، متى ما أخذ حجمه، وصار بقدر حب الحمص، بدأ الصغار يأكلون منه، وبذلك يذهب الجوع عنهم ويخف عبء رب الأسرة. وبعد شهرين من ذلك يوجد الرطب في مباكير النخل (المشاهير).

وأفضل وقت لموعد التلقيح هو منتصف النهار وأن تكون السماء صافية والرياح هادئة لأن اللقاح هو عبارة عن غبار بودري إذا تعرض للرياح قلّ مفعوله، وإذا كانت الرطوبة مرتفعة إما بسبب تلبد الغيوم أو بسبب قرب الليل قل مفعوله أيضاً. كما أن المطر أثناء التلقيح أو بعده بوقت قليل يلغي مفعول التلقيح تماما.

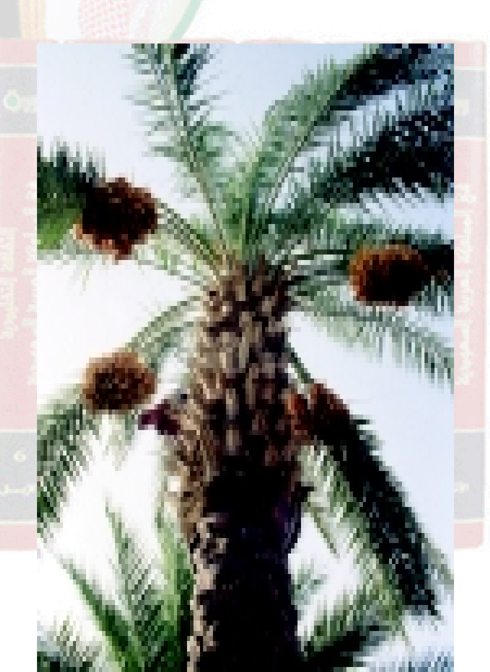
وعندما يكون طلع النخلة كثيراً، يعمد بعض المزارعين إلى التخفيف عن النخلة، إما بقلع بعض العذوق عند التلقيح، بحيث لا يزيد ما تحمله النخلة عن ١٢-١٥ عذقاً، أو بقص بعض الشماريخ من كل عذق بعد أن ينمو البلح ويكبر. ومن أساليب التخفيف على النخلة، أن يمسك الملقح مقدمة العذق عند التلقيح، فيقطع ما أمسكت به يده من مقدمة العذق ويرميه. والهدف من عملية التخفيف، هذه عدم الإضرار بالنخلة من جهة، وضمان جودة المحصول وكبر حجم البلح من جهة أخرى.

وبعد عملية التلقيح بستة إلى ثمانية أسابيع، ويكون البلح قد تكوَّن، ولكنه لم يبلغ بعد حجمه الطبيعي، تبدأ عملية أخرى؛ هي تخليص الشماريخ وتعديل (تركيب) القنيان على عسبان النخل.





والهـدف من هـذه العـمليـة سحـب الشماريخ من مواضعها بين السعف قبل أن تكبر وتتشابك مع السعف والعسبان، فيصـعب جني المحـصول فيما بـعد. ولذلك فإن وضع كل عذق على عسيبين أو ثلاثة وتدلية شماريخه نحو الأسفل، يُسَهِّل عملية جني الثمار، ويمنع تقصف وتكسر القنيان أو العذوق لو تركت دون تركيب، بخاصة بعد أن يكتمل نمو البلح ويثـقل وزنـه. وفي بـعض المـناطـق كالأحساء ونجران تجرى عملية التعديل مبكراً، أي بعد حوالي ثلاثة أسابيع من التلقيح، حيث يُقوَّس العذق ويدلى نحو الأسفل ويـربط من قاعدة الـشماريخ



عذوق مركبة على العسبان

بحبل من الليف أو نحوه بأحد العسبان القريبة. وفي بعض أنواع النخل، كأم الخشب، لا تـستطيع العـسبان، نظراً لضعفها حمل العـذوق ولذلك توضع أخشاب في الأرض تعتمد عليها العسبان الحاملة لـلعذوق، ولذلك سميت بـأم الخشب.

والعمليات السابقة جميعها (التشييف، التلقيح، التركيب)، قد يقـوم بها المزارع نفسه وأبناؤه، خاصة إذا كان عدد النخيل قلـيلاً، أما إذا كان عـدد النخيـل كبيراً وجذوعها طويلة، فقد يستأجر الفلاح من يقوم بهذه الأعمال لقاء جزء من الثمرة. وهناك في بعض المناطق متخصصون في هذه الأعمال، يطـلق على أحدهم اسم الموالي أو الشَّمَّال (يجمع على شَمَّاله). ويستأجـر الفلاح الشَّمَّالـة عادة ليقوموا بأعمال رئيسية. هي التشييف، والتلقيح، والتركيب والتشميل، وهو أن يكسو القنيان بشمالة تحميها من الجراد والعصافير وقد تكمّ بنبات الجثجاث الذي يمنع الجراد من أكل الثمرة، وأجر الشمال كمية معينة من التمر قد لا تتجاوز نصف وزنة عن النخلة الواحدة. أما جداد التمر فلا يدخل تحت التشـميل، وإذا شاء المـزارع أن يستأجر الشَّمَّال نفسـه لجداد نخله، فيكون ذلك لقاء أجر آخر واتفاق جديد.






ويمر ثمر النخل بمراحل من أهمها:

الطلع: وهو بزوغ الخلال.

الجف أو الجفر: وهو الخلال.

الثلة: وهي الثلاث.

المقمري: عندما تبلغ الثمرة حجم عيون القمري (الطائر).

الحتات: وهو ما يحت فيسقط من الخلال.

الشيص: وهو ما لم يلقح من الطلع؛ ويضرب به المثل لما لا نفع فيه قالوا «تبكرت بشيص» والشيص هو البلح الذي لم يؤثر فيه التأبير، ويكون من ثلاث بسرات في القمع الواحد وهو عديم الفائدة والجدوى.

وتبكرت: أطلعت لأول مرة، ويعني المثل أن الأمر لم يحالفه التوفيق من البداية.

البسر: هو الثمر الذي اكتمل شكله وهو أخضر، وقد يطلق مجازاً على ما احمرّ أو اصفرّ منه. ويسمى التمر قبل إرطابه بلحاً، وفي المثل «هَذا وهْو بلح، الله يعين الى صلح»، البلح: طلع النخل قبل نضجه. ومعنى المثل: هذا ما عانيناه عليه وهو بلح لم ينضج بعد ويصبح تمراً، نسأل الله عز وجل الإعانة عليه عندما يصبح تمراً؛ وعادةً يضرب هذا المثل للصبي أو الصغير المؤذي.



بسر

يريدون أنه إذا كان أذاه بهذه الشدة وهو صغير، فكيف به إذا كبر؟؛ وقد يضرب في هذا المعنى للأشياء المعنوية أو المادية.

اللون: وهو عندما يتحول البسر إلى التلون ويسمى في بعض المناطق حمرقان يقولون «حمرق البسر» أي لوّن، ويرد اللون في المثل الشعبي، قالوا «وِشْ لُوْن؟ تَمْر ولُوْن» وش لون: استفهام أصله: كيف حدث ذلك الشيء؟ وكان الجواب على السؤال مأخوذاً من بيئتهم الزراعية التي أهم ما فيها النخلة.



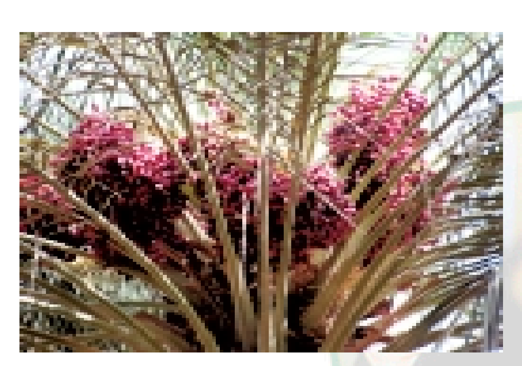




بداية تلوين البسر



تلون الثمرة باللون الأصفر



تلون الثمرة باللون الأحمر

وأهم ما في النخلة هي ثمرتها التمر، وبواكير الثمرة (اللون). وكانوا ينتظرون هذا التمر بفارغ الصبر. يقول هذا المثل من لا يرغب في الإجابة عن سؤال وُجِّه إليه. وربما قيل استغراباً عند حدوث أمرين متناقضين في وقت واحد، ومن شيء واحد؛ فمن العجائب أن يجتمع التمر واللون في نخلة واحدة.

الزهو: وهو عندما تأخذ الثمار لونها الأبيض أو الأحمر.

المنقط: عندما يبدأ تَرطُب البلحة على هيئة نقط متفرقة فيها.

متذنب: عندما ترطب البلحة من أسفلها.

المطاريف: وهو عندما تكون البلحة قد أصبح نصفها رطباً. ويسمى أيضاً (منصف).

المحلقم: الذي بلغ الرطب فيه إلى حلقوم البلحة وهو موضع قمعها.

الزقيط: ويسمى (الزغيغ)، وهي التمرة التي اكتمل إرطابها قبيل تحولها إلى رطب.

الرطب: وهو عندما يتحول الزقيط إلى رطب لدن.



الثمر في مراحل مختلفة من الاستواء

التمر: وهو عندما يستوى الرطب ويأخذ نضجه وتماسكه ويفقد بعض مائه.



تو

الحشف: ويحدث عندما تتعرض الثمار إلى عدم اكتمال النضج فتجف نتيجة لعطش أو مرض. جاء في المثل أحشفاً وسوء كيلة. ويقال عن النخلة إنها (منصفقه). والحشف حالة من أسوأ حالات التمر حتى إنه قد يجعل من طعام الدواب، قالوا في المثل «واقبقي ياحجف خيبر يقرقش بالمواعين» الحجف: الحشف، يقرقش: يظهر له صوت عند تحريك الماعون، وكثير من تمر خيبر يكون جافاً، واقبقي كلمة استهزاء واستنقاص، ويضرب المثل للشيء الحقير. ولذلك كان من الغفلة أن يتجر به وبخاصة عند من يكثر لديهم التمر، يصور هذا مثلهم الشعبي «مِثل جالب الحشف على أهل خيبَرْ»، الحشف: رديء التمر، وخيبر: بلدة معروفة بكثرة إنتاج التمر. والمعنى: كمن يجلب رديء التمر على أهل خيبر، مع أن أهل خيبر يبيعون التمر إلى غيرهم ويصدرونه؛ ويضرب المثل لمن يعرض ما عنده على من عندهم أكثر مما عنده؛ ويوافقه قول الشاعر:

وإنا ومن يُهدي القصائد نحونا
كمستبضعٍ تمراً لدى أهل خيبر

وعند التلقيح يشبه النخل بالمرأة؛ فبعض النخل لا يتطلب لقاحاً كثيراً. وبعض النخل وتسمى شرهات تحتاج إلى





زيادة في اللقاح. وإذا طلع سهيل على النـخل في بـسره أو قبـل ذلك استـاء الفلاح؛ وفي ذلك يقول الشاعر:

أيام فيها الدبادب والحروشيات والفار

وسهيل طالع علـيها زادها بالخرفشيه

والخرفشيه مرض يجعل البسر يتساقط غمقاً له عند جفـافه خرفشة وجلجلة، والعطش وكثرة العذوق يـصيبان النخل بصغر حجم البلح فيسمى البلح دقلْ.

الخنانة: وهي تمرة فسدت في قناها. وقالوا في المثل «الخنانه عنده تمره»، الخنانة نوع من التمر الـفاسد، وقد ينظر إليها أعمى البصيرة على أنها تمرة وهي ليست كذلك، ويـضرب المثل لقـصير البصـر والبصيرة، الذي يُصدر أحكاماً فاسدة؛ وقالوا فـي المثل «الشـكوى لله صارت الخنـانة دبسـه» الخنانـة نوع من الـتمر الفاسد، والدبس معروف، ويعني المثل انقلاب المفاهيم أو الأمور إلى ضدها.

## الخراف والجداد

بعد ثلاثة أشـهر من تلقيح النخـلة يكون بلحها قد اكتمل نموه. وفي بداية الشهر الـرابع، يبدأ اللون، وهو تحـول البلـح من اللون الأخضـر إلى اللونين الأصـفـر أو الأحمـر؛ يـقـول راشـد الخلاوي:

احسـب لهـا عقـب اللـقيـح ثلاثـه

والرابع تـلقى في مـباكيرهـا الصفر

وفترة اللون تبدأ في مـعظم المناطق مع ظهور نجم الجوزاء (الهنعة)، أي نهاية برج السرطان (منتصف يوليو). وقد تلون بعض الـنخيل في بـعض المناطق قـبل ذلك، خاصة في منطقتي المدينة المنورة ونجران؛ يقول راشد الخلاوي:

والى مـضى خمـسٍ وعشريـن ليلـه

ثـقل الـقنـا من فـوق كل عـسيـب

وتطلـع لك الجوزا وهي حنة الجـمل

وتـاتي هـبايـب والسـمـوم لهـيب

ويقتصر الانـتفاع من ثمار النخلة في هذه الفترة على النخل البكائر (التي تنضج مبكرة) ذات البسر الحـلو، مثل الحلـوه والروثـانه فـي نجد والمـناطق الشمالية، وسكَّرة ينبع، وحلوة المدينة المنورة ويـنبع، وبكيره فـي القطيف، والطيار والكاسبي والمجـناز والغره في الأحـساء. ومـع طـلوع نجم المـرزم (الشعرى) الموافق لـنهاية شهر يوليو، تبدأ بواكير الرطب؛ يقول المثل الشعبي «إذا طلـع المرزم امل المحزم» أي إمـلأ محزمك مـن بواكير التمـر والرطب؛ ويقول راشد الخلاوي:

لـيا ظـهر المـرزم شبـع كـل كالـف

من الـغيد وانحـن الليـالي الشـدايد





ويزيد رطب النخل بعد ذلك، فإذا ما طلع نجم النثره (الكليبين) بدأ موسم خراف النخل، أي جني الرطب؛ تقول العرب «إذا طلعت النثرة قنأت البسرة وجني النخل بكرة». ويقول المثل الشعبي «إلى طلعت الكليبين تاخذ الحفنه من المدّين»، أي يؤخذ من كل نخلة هذا المقدار من التمر. والمد وعاء لكيل التمر والحب ونحوه ويبلغ ثلث الصاع. وفي هذه الفترة يمنح الفلاح أقاربه وجيرانه وفقراء البلدة نخلة لكل منهم، تسمى منيحه يلقط رطبها في كل يوم. وهو وقت يلتف الناس فيه حول الفلاح؛ ولعل مثلهم الشعبي يصور شيئاً من هذا قالوا «أنا من خوالي إذا طاح الرطب، ومن عمامي إذا اهتز القنا» طاح: أينع؛ ويضرب المثل لنهاز الفرص الذي يتبع مصلحته أينما وجدت. ووقت الجداد مناسبة تجتذب المحتاج؛ يصورها المثل «شفهم بنخل الهمالى يجدّون» قال الجهيمان «يضرب مثلاً لمن يريد أن لا يعطيك فلا يصرح بذلك وإنما يبعدك عن نفسه بحيلة لطيفة لا تجد من ورائها أي فائدة» (١٤٠٣، ج٤ :٦٢)؛ ويصف راشد الخلاوي هذه الفترة فيقول:

ونجوم الكليبين اللي تنشف الجم
يغور فيها ما العدود الوكايد
والى غابت النسرين بالفجر علقوا
مخارف في لينات الجرايد

ومن الناس من يشتري ثمرة نخلة أو أكثر ليخرف منها كل يوم ويكنز بعد ذلك ما تبقى ليكون طعاماً يكفيه حتى العام القادم ويسمى سقمه، ومنهم من يتاجر بالكنيز. وقد يحتاج إلى من يساعده في الخراف أو الجداد؛ إذ ليس كل إنسان قادراً على تفرّع النخلة، أي صعودها؛ وقالوا في المثل «هذا النخل وصعيداء»؛ لهذا المثل قصة موجزها أن جماعة من الرجال جاءوا إلى أحد الفلاحين، وطلبوا منه أن يحضر لهم رطباً وكان مشغولاً فما زاد على أن قال المثل؛ ويضرب للاعتماد على النفس في الحصول على ما يريده الإنسان.

والمخارف هي الزبلان الصغيرة المصنوعة من خوص النخل، وتستخدم لوضع الرطب والتمر فيها. ويمتاز المخرف عن الزبلان الأخرى بحبل من الليف، يقارب طوله المتر، يربط طرفاه بعروتي المخرف، ويغطى الحبل بطبقة لينة من القماش لئلا يؤثر في يد من يصعد به النخلة. والنخل الذي تجنى ثماره على شكل بسر أو رطب يعرف بالنوايع أو الدقل أو الخرايف، وغالباً ما يؤكل جميع ثمره في هذا الطور،





ويطلق على هذه العملية في المنطقة الوسطى (مقيْظْ).

وعندما يظهر نجم الطرفة (سهيل) في نهاية أغسطس يكون الثمر قد توافر في جميع النخل، حتى تلك الأنواع التي تتصف بتأخر النضج؛ تقول العرب «إذا طلعت الطرفة، بكرت الخرْفَة، وكثرت الطرفة، وهانت للضيف الحرفة»؛ أي هان على المضيف خدمة ضيفه لأنه قد توافر عنده التمر وغيره. ويقول المثل الشعبي «إلى ظهر سهيل تلمَّس التمر بالليل»، أي إن التمر يصبح كثيراً في عذوق النخلة حتى إن باستطاعة الخارف أن يتلمسه ليلاً فيملأ مخرفه.

وفي هذه الفترة يبدأ الاستعداد للموسم الرئيسي وهو موسم الجداد (يسمى قطف الرطب الجني أو الخَراف، أما قطع قنيان التمر فيسمى الجداد أو الصرام) وبعض النخل في وادي الصفراء وبخاصة الربيعيه فإنها تجنى زهواً، ثم تطبخ في ماء ممزوج بالهرد (الكركمه) ليزيد صفارها، والطبخ يمنع تحولها إلى رطب لو خزنت زهوا، وهذه العملية لإنتاج القلائد حيث ينظم الزهو من البلح بعد طبخه وتجفيفه في حبال رهيفة من الليف ويباع في مواسم الحج، وما زلنا نرى القلائد لدى باعة المكسرات. وتبدأ هذه العملية عندما يتمّر النخل، أي يتحول الرطب إلى تمر جاف أو شبه جاف. ويشترك في عملية الجداد المزارع وأفراد أسرته، وقد يستأجر من يساعده في هذه العملية لقاء كمية محددة من التمر عن كل نخلة، سواء كان ذلك هو العامل نفسه (الموالي، الشمّال) الذي تولى تشييف النخل وتلقيحه وتعديله أو سواه.

والجدَّاد أو الصرام -ويسمى في الأحساء القصَّاص- يصعد إلى النخلة بالكرّ، وعندما يصل أعلى النخلة (المُقْلَه) أو الفرعه ويسمى حجرِ النخلة، فيقال «فلان في حجرها» يبدأ بتقطيع العذوق واحداً بعد الآخر. ويدلي العذق بحبل متين من الليف أو غيره، إلى من يتلقاه أسفل النخلة ليضعه على الحصر المفروشة أسفل النخلة لهذا الغرض وقد يستعان على ذلك بزبيل كبير يسمى المحدره لأنه تحدر بها التمر بعد قطعه. ويستمر في هذه العملية يقطع عذقاً بعد آخر حتى ينتهي من النخلة ليصعد غيرها، وهكذا حتى ينتهي من النخل كله. وفي بعض المناطق يشترك في صعود النخلة الواحدة شخصان ومعهما زنبيل كبير ذو أربع عراوٍ وحبل. وتكون مهمة الرجل الأول، الذي يصعد فوق عسبان النخلة، أن يقطع





العذوق واحداً بعـد الآخر ويضعها في الزنبيل. أما الرجل الآخر فيعتمد على الكر، ويمسـك بالزنبيل (المِجْدَاد) وهو زنبيل كبير يـصنع من الخوص الخشن، ويتسع لـثلاثين وزنة من التمـر أو أكثر ويستخـدم لتجميع التمـر أثناء الجداد. والشائع في معظم المناطق، أن من يتولى صرام النخل لا يحمل معه سوى محش (منجل) وحبل متين، فـإذا قطع العذق ربطه بالحبل ودلاه إلى أسفل حيث يتولى رجل آخر وضعه عـلى الحصر والبسط ونقله بالزبلان (المجداد أو المصـرم) إلى مناطق تجميع التمر. أما في بعض المناطق الشمالية، كـحائل، فإن عملية الصرام يتولاها شخصان، يصعدان كلاهما على النخلة ومـعهما مجداد وحبل (مرار)، يتولى أحدهما قطع العذوق ووضعها في المجداد في حين يمسك الآخر بالمجداد، حتى يمتلىء ثم ينزله بالحبل إلى من يتلقاه أسفل النـخلة. ويسمى هذا الحبـل في نجران المَلْغَـبَه أو المِقَاط. ومتى ما امتـلأ المجداد أنزله إلى الأرض حـيث يتلقفه الرجال والنساء ويفرغونه في زنابيل أصغر لينقـل إلى مكان تجميع الـتمر. وتقوم النسوة والأطفال، ومـا تبقى من رجال أيضاً، بجمع ما تساقط من التمر ونقله إلى مكان التجميع. ولا بأس أن يصعد من يريد النخلة لجمع ما حملته الكرب من تمـر متسـاقط ويـسمى المـكرب أو المكرنف ولكن المكرب لن يجد تمراً في نخلة لم تطلع أصلاً، لذلك يضرب المثل لقلة الخير بقولهم «ما لقى الملقح فيلقى المكرب» أي لم يجد الملقح عندما صعد للنخلة شيئاً يلـقحه افيجد المكرب وهو الشخص الذي يصعد إلى أعلى النخلة ليجمع التمر المتساقط بين الكرب.

وتجمع التمور بعد الجداد، عادة، في مكان صلب ونظيف معد لذلك، يسمى في معظم المناطق المِرْبَد ويسمى في نجران الصِّيـب، أما في الأحساء فـإنه يسمى الفَدَاء. وقد يفرش بالحصر لوضع التمور فوقها، خاصة الـعذوق التي لم يكتمل جفافها، أو التـي بها كثير من الدبس. والدبس عسل التمر وعصارته؛ وجاء في الأمثال الشعبية قولهم «ياباغي الدبس من طيز النمس كفاك الله شر العسل» الدبس معـروف والنـمس حـيوان فـي حجم الثعلب، طيز: إست، ويعني المثل عدم طلب الشيء من غير مصدره؛ ويضرب المثل للأمر المستحيل الذي يصعب تحقيقه؛ وقولهـم «يا حلو الدبـيسه لا قشـر ولا عبيسه»؛ ويضرب المثل للشيء الذي يتمناه الإنسـان وليس فيـه تكلفـة أو مشقة. ويصفـى التمر في المـربد فيعزل الـبسر





والرطب ليستهلك مباشرة، كما يفرط التمر من الشماريخ والعذوق لتبقى كل حبة على حده، وينظف من الحبات الفاسدة ومن الأعواد والشوائب. وعندئذ تبدأ مرحلة أخرى من مراحل العطاء المتواصل، فيعطي الفلاح كل ذي حق حقه بادئاً بالزكاة تورعاً ثم الشمَّال والجدَّاد، ثم يسدد للتاجر ما له من حقوق. وفي غمرة فرحة المزارع بجني محصوله لا ينسى أن يعطي الضعيف والجار المسكين كثير العيال والأرملة والصديق والقريب. بل إن كثيراً من هؤلاء المحتاجين يفدون إلى البساتين وقت الجداد ليساعدوا الفلاح في عملية الجداد، ويأخذوا لقاء ذلك ما يكفيهم؛ وفي المثل «أيام الصرام الناس كرام» أي عند جني الثمار(صرام النخل) يكثر التوزيع منه على الأقارب والمحتاجين. كما يفد إلى بساتين النخيل في هذا الوقت أعداد كبيرة من البادية وغيرهم لشراء حاجتهم من التمور. أما ما تبقى بعد ذلك فيتركه المزارع عادة في المربد (الصِّيب) لبضعة أيام حتى يجف تماماً قبل أن ينقله إلى أماكن التخزين. كما أنه يدفع أيضاً المستحقات التي عليه تجاه الجزَّار والخرَّاز الذي يخرز له الغروب والنجَّار الذي يصلح عدة الصدر ويُقلم حوافر الدواب وكذا الحلاق.

تجميع التمر وكنزه في صفائح معدنية

## كنز التمر وتخزينه

يخص الفلاح نفسه بما يكفيه وأسرته من أجاود التمور لمدة عام كامل. فبعد أن يعطي من التمر كل من له حق ويخرج زكاته ويبيع بعضه، ينقل ما تبقى من المربد أو الفداء إلى أماكن التخزين والكنز. والكنز هو رص التمر بعضه فوق بعض في أماكن وأوانٍ معدة لذلك. ومن أشهر طرق كنز التمرً وتخزينه رصه داخل الجِصَص أو الأحواض. والجصص جمع جصة وهي بناء صغير على شكل غرفة





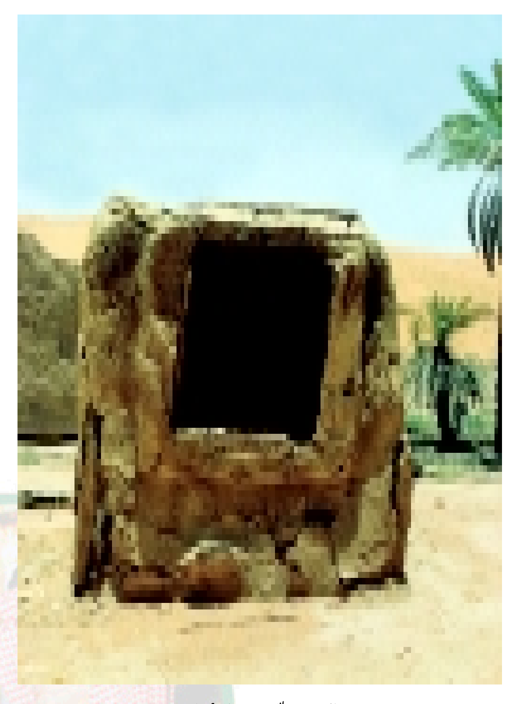


الجصّة من الجانب وتظهر في العراء لتهدم البيت الذي كانت بداخله

تبنى داخل إحدى غرف المنزل الداخلية. وترتفع الجصة حوالي متر ونصف، ويبلغ طولها وعرضها حوالي مترين تقريباً. وتبنى الجصة من الأحجار والطين وتكسى من الداخل بطبقة من الجص، ومن ذلك أخذت اسمها. ويكون للجصة باب صغير في أعلاها منه توضع التمور فيها ويرص بعضها على بعض. ويكون في أسفل الجصة ثقب أو مجرى صغير يخرج منه الدبس، وهو يسمى مكحله (جمعها مكاحل)، ويصنع من الخشب، وطوله حوالي ٢٠سم تقريباً، وسمكه بوصة، وهو مدبب في وسطه، ويثبت في أسفل الجصة. ويكون بالجصة عادة مكحلتان، يصبان في إناء وسط حوض المدبسة، وكلما امتلأ الإناء بالدبس أُعيد صبه في الجصة حتى يغلظ قوامه ويصبح أكثر تركيزاً، لأن التمر قد يُغسل في بعض الأحيان - لإزالة ما عليه من الأتربة أو لتليينه إن كان ناشفاً- ويسمى غطوطْ ويصب في حوض صغير يعرف بالمِدْبِسَه يغرف منه الدبس على قدر الحاجة. وجاء ذكر الدبس في أمثالهم؛ «الدبس ما يعلق إلا بشارب لاحسه» ويضرب المثل في أن الأمر لا يجني ثماره إلا من باشره. وقالوا «طاح في جفرة الدبس» طاح: حصل عليها أو







الجصّة من الأمام

وصل إليها، وجفرة الدبس التي يتجمع فيها الدبس قرب الجصة أو حوض التمر، ويعني المثل أنه وصل إلى موضع الخير أو أن حظه جمع له الخير كله.

ولتسهيل تسرب الدبس من الجصة إلى المدبسة، يراعى دائماً أن تكون أرضية الجصة مائلة نحو المدبسة. وللسبب نفسه ولوقاية التمر من الاختلاط بالأتربة، التي قد تتجمع في أسفل الجصة، توضع، عادة، مجموعة من جريد النخل وسعفه في أسفل الجصة، ثم توضع التمور فوقها. وعندما تمتلىء الجصة بالتمور، ترص بقطع من الحجارة الكبيرة حتى تزيد من تراص التمر، وتمنع دخول الهواء داخله. وجدير بالذكر أن الجصة أحياناً قد يكون حجمها كبيراً، بل قد تكون غرفة كاملة، وفي هذه الحالة تسمى بالرَّمِيْله.

عند كنز التمر في الأحواض، توضع مجموعة من الأحواض في إحدى الغرف شبيهة بأحواض تخزين القمح والحبوب، وتطلى من الداخل أيضاً بالجص وعجينة رخوة، قوامها التمر المطبوخ ومعه الملح حتى يصان التمر من التسوس والتلف، ثم توضع فيها التمور وترص، وتسمى في الأحساء الكِنْدُوج. وتشبه الأحواض في بعض المناطق الجصة، في أن لها فتحة في أسفلها يخرج منها الدبس تدعي المجْبِيَّه، ينطلق منها الدبس ويتجمع في حوض التجميع (المشروب، وجمعه مشاريب). وفي مناطق أخرى لا توضع هذه الفتحة فيبقى الدبس داخل الحوض. ومن فوائد الأحواض أن المزارع يستطيع أن يضع كل صنف من التمور في أحد الأحواض، وهو أمر متعذر عندما يستخدم الجصة إذ لا يكنز فيها سوى نوع واحد، ما لم يكن لديه أكثر من جصة واحدة. ورغم أن الشائع في حفظ التمور في الأحواض أن يوضع التمر فيها مباشرة ويرص، فإن الأمر ليس كذلك في جميع





الأحوال. ففي بعض المناطق كالأحساء، لا يوضع التمر أحياناً في الحوض (الكندوج) مباشرة، بل يرص داخل خصاف منسوجة من سعف النخيل، ثم ترص هذه الخصاف فوق بعضها في الكندوج والخصفة هي القَلّة وجمعها قلال وقد يكنز التمر في شنّ فيسمى مجازاً خصفة. وجاء في لسان العرب «والخصَفَة، بالتحريك: جَلّة التمر التي تعمل من الخوص، وقيل: هي البحرانية من الجلال خاصة، وجمعها خصف وخصاف». والمزارع يحسن تدبير استخدام الجصة، في تخزين أكثر من صنف، تبعاً لعادة استهلاك الصنف، حيث يوضع الخلاص في الأسفل وفوقه الرزيز، لأن العادة أكل الرزيز قبل الخلاص. وفي المنطقة الوسطى تستخدم المنقوله أيضاً لكنز التمر وتخزينه، وهي وعاء كبير بيضيّ الشكل، يصنع من الطين والآجر، لها قاعدة دائرية، وفوهة دائرية أيضاً.

وتستخدم طرق أخرى لكنز التمر، خاصة عند الحاجة إلى نقله من مكان إلى آخر، كما حال البادية، أو عند الحاجة إلى بيعه على هذه الحال. ومن أهم أواني كنز التمر في هذه الحالات استخدام الخصاف (القلال)، والخصفة (القلّة) عبارة عن نسيج من خوص النخل يبطن من الخارج بغطاء من الخيش أو نحوه. وهذه الوسيلة لكنز التمر من الطرق المشهورة في محافظتي الأحساء والقطيف، وكذا لدى أفراد البادية. كما تستخدم العَيْبَه أيضاً لكنز التمر، خاصة لدى البادية، والعيبة وعاء جلدي كبير مصنوع من جلود الإبل المدبوغة، ومخروز بسير من نوع الجلد نفسه وهي من الأواني الجيدة لحفظ التمر ودبسه. وفي نجران يستخدمون إناءً مشابهاً مصنوعاً من جلود الماعز، أو الضأن يدعى شُطَفْ، وتسمى عملية كنز التمر داخله رَجيزْ، ويقولون «يرجز التمر» أي يكبسه في هذه الأوعية الجلدية، ويأكل منه طوال العام، ويبيع ما يزيد عن حاجته في الأسواق الأسبوعية القريبة. وتستخدم أوانٍ أخرى لكنز التمر في بعض المناطق، ولكن على نطاق ضيق. فمن ذلك القرب والقدور والأواني الفخارية والصفائح المعدنية (التنك) والبراميل والصناديق الخشبية وغيرها. ومن الأواني المعروفة لحفظ التمر وكنزه في منطقة المدينة المنورة والمناطق المجاورة، ما يسمى الفاخور، وهو قلة مصنوعة من الفخار. والفاخور إناء أكبر من البرميل، له رقبة تعلوه ويوضع التمر فيه، ويرص ثم تغطى فتحة الرقبة بخيشة وتسد بكمية من الطين أو التمر المعبوط، حتى يبقى الفاخور معزولاً عن الهواء. ويظل الفاخور على هذه الحال حتى







العيبة

يُبدأ بأكل ما به من تمر، إذ تزال ما على رقبته من أغطية.

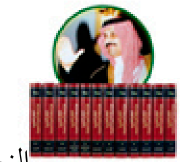
وتخزين التمور في وادي الصفراء – مثلاً– يراعى فيه نوع التمور، فما كل التمور تصلح للتخزين وما كل تخزين يصلح لكل التمور، فمن تمر الصفاري والنبوت ونحوها يخزن الملاصق، وذلك بوضع هذا التمر في صفائح مضغوطة من دون معالجة، ويستخرج فيما بعد كامل التشكيل محاطاً بالدبس ويقدم لكبار الضيوف؛ وقالوا في المثل «ياكل المتلاصقات». قال العبودي «وأصله في التمرات التي التصق بعضها ببعض. يريدون أنه إذا اختلط حقّه بحق غيره أكلهما معاً. يضرب لمن يأكل المال المتشابه» (١٩٧٩، ج٥: ١٦٥١-١٦٥٢). وأحياناً يخزن التمر في الشنان وهي القرب القديمة، أو في القلال. ومن طرق التخزين ما يسمى في القصيم المغمي وهو وضع يبيس الروثان أو السكري في صفائح ويغمر بالدبس حتى يتشربه ويلين به وتزداد حلاوته.

أما الطريقة الأخرى فهي طريقة العجوة، وذلك بأن يعرض التمر للشمس مرصوصاً على حصيرة دائرية كبيرة (الدوارة) بعد تنقيته وتنظيفه وعندما يلين التمر يداس بأقدام الرجال، حتى إذا ما تحول إلى عجوة خزن في قفاع من الخوص تسمى المجلاد أو خزن في غير ذلك. وبعض التمر لا يصلح ملاصقاً أو عجوة فيحفظ كما هو.

وبكنز التمور وتخزينها ينتهي موسم العمل بالتمور، ويعبر عن شيء من ذلك قولهم في المثل «زق العصفور على الضبَّه» زق: ذرق، والضبة نوع من الأقفال الخشبية، تركب على أبواب الدور التي يدخل بها التمر، ومتى انتهى التمر من النخل، فإن العصافير تأتي إلى تلك الدور، فتجد التمر وقد أغلق عليه، وتقف على الضبة لمحاولة المستحيل ثم تذرق عليها وتطير؛ ويعني المثل انتهاء موسم التمر، كما يعني انقضاء أمر من الأمور واستحالة الحصول عليه.

## أمراض النخل وآفاته

قد تتعرض النخلة للإصابة بعدد من الآفات والأمراض والحشرات، التي قد تؤثر على النخلة أو ثمرتها أو كلتيهما معاً.






وتختلف درجة انتشار الأمراض والآفـات من منطقة إلى أخرى، ولكنها تكثر بشكل عام في مناطق النخيل ذات الكثافة العالية، وبخاصة تلك التـي ترتفع فيها الرطوبة، كالقطيف والأحساء وينبع والمدينة المنورة. وبعض هذه الأمراض والآفات والحشرات عامٌّ يصيـب أشجار النخيل وثـمارها في مختلـف المناطق، ويقتصـر بعضها على مناطق معينة دون الأخرى.

ومن أشـهر الحشـرات التي تـصيب النخيل في مختلف المناطق، الحشرة التي تسمى حفّـار جذوع النخل وتعرف أيضاً بأسمـاء أخرى منها العـقر أو الجعران أو النعيجة. وهذه الحشرة خنفساء تنتقل إلى جذع النخلة أو جذورها وتوزع بيضها في أجزاء مختلفة، من الجذع ومنطقة الجذور. وعندما يتفتح البيض، يخرج من كل بيضة دودة صغيرة، تتطور فـي مدة قصيرة إلى خنفساء كاملة. وتبدأ كل دودة (خنفساء) تحفر في جذع النخلة، فيتحول الجذع إلى مادة هشة، ممـا يؤدي إلى ضعف النخلـة وقلة إثمارها بشكل واضح. وعندما تتطور الإصابة بهذه الحشرة يتحول جذع النخلة إلى أنفاق متـعرجة مما يضعفها ويجـعلها تؤول إلـى السقـوط تحت ضغط الـرياح والعواصف وإذا سقطت فإنه لا يمكن لها علاج؛ ويضرب بها المثل «اللي ما له وسط وواسطه، مثل النخـلة الماسطه» الماسطة: هي النخلة التي تـقع على الأرض بسبب ضعفها وقلة العنايـة بها، ومعنى المثل أن الإنـسان الـذي ليس لـه من يـساعـده ويعاضده، فهو مثل النخلة التي تسقط على الأرض بسبـب عدم العنايـة بها. وتكثر الإصابة بهذه الحشرة في النخيل الضعيفة والصغيرة التي يكون جذعها هشاً فيساعد هذه الحشرات على الحفر فيه وإتلافه. ولذا فإن مـن طرق المزارعين لـلتصـدي لهذه الحشرة، التـخلص من النخيـل الضعيفة بحرقها حتى لا تنتقل الإصابة إلى الأشجار الأخرى. كما أن من أسـاليب مقاومتهم لانتـشار هذه الحشـرة، التأكد مـن خلو الفسائل الجديدة قبل غرسها من وجود هذه الحشرة، وإزالـتها إن وجدت من منـطقة جذور الفسيلة، أو التـخلص من الفسيلة كلها إن تكن الإصابة كبيرة.

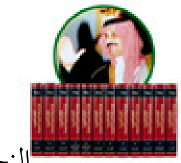
ومن أكثر الأمراض والآفات التي كانت تصيـب النخيل قديمـاً، إصابتها بالـقملة (الرِّقَّط)؛ وهي حشرة قشرية لزجة، تظهر على شكل حراشيف صغيرة منبسطة رمادية وبيضاء، تنتشر على سطوح الخوص والجريد الأخضر فتضعفهـا وعلى الثمار فتتلفها. وتكثر الإصـابة بهذه الحشرة فـي النخيل الصغيرة (الفسائل)، وهي أكثر ما تصيب النخيل التي تنمو في الظل ولا تتعرض كثيراً





للشمس. وهي منتشرة في مختلف المناطق بأسماء مختلفة. وبطبيعة الحال لم تكن لدى المزارعين الأولين محاليل كيميائية ومبيدات لمكافحة هـذه الحشرة، كما هو الحال في الوقت الحاضر، ولذا كانت مكافحتهم لها تنصب على قطع العسبان والجريد المصابة إصابة بليغة وحرقها. كما كانوا يعرضون جذع النخلة لنار مشتعلة للقضـاء على ما تبقى من حشرات متوطنة، مع مراعاة الحفاظ على قلب النخلة قدر الإمكان. وكانت هذه الطريقة ناجحة في القضاء على هذه الآفة الحشرية التي تؤثر تأثـيراً سلبياً على ثمرة النخلة بل على النخلة نفسها. ويذكر أحد المزارعين، أنه قد شبت النار في نخيل بستانه منذ فترة طويلة، ولكن قلـوبها لم تتأثر، وبعد أن أخمدت الـنار وقطعت العسبـان المتضـررة، نمت النخيـل نمواً جيداً وكـان محصولها في السنة التالية عالياً جداً مقارنة بالسنوات الماضية. ويفسر الفلاح ذلك بأن النخيل قد تكون مصابة ببعـض الأمراض والآفات فقضت النار عليها، وقد يكون لهذا الأمر تفسير علمي أكثر صحة.

ومن الأمراض والآفـات المنتشرة في بعض المناطق، كالأحساء والقطيف، مرض الجنان (الجنـون) ويدعى أيضاً (الهـبال)، و(الوجام)، وهـو يصيب قلب الـنخلة، فيتحول إلى أصفر ثم ينثني حتى يلامس الجذع ويتقصف ويهوي إلى الأرض. ويعد هذا المرض من الأمراض المعدية، لذا كان المزارعون في هذه المناطق يحرقون النخيل المصابة في أمكنتها حتى لا تنتشر الإصابة إلى النخيل المجاورة، أو أنهم يتركونها على حالها من دون أن تمس، حتى تموت، ثم تقلـع وتزال عن المزرعـة أو تحرق. ومن الأمراض المنتشرة قديماً في بعض المناطق، كالأحساء والقطيف والجوف وحائل وسواها من المناطق الشمالية، مرض خياس الطلع وهو تعفن القنو أو السـوس. وهو مرض يصيب طلع النخلة في المراحل الأولى من الإنبات، خاصة عندما يوافق ظهور طلع النخلة انـخفاض حاد في درجة الحرارة. ويظهر المرض، عادة، على شكل بقع داكنة متعفنة على السطح الخارجي لغلاف الطلع (الكافور)، وتتـسع وتكبر تدريجياً حـتى تغطي كامل السطح الخارجي للكافور. وفي حالة الإصابات الشديدة، لا يتفتح الكافور وتموت الـشمـاريخ فـي مهـدها. وكان المزارعـون القدماء يـقاومون هـذا المرض بالوقاية فقط، وذلك بالتسميد والري، ثم بقطـع الطلع المـصاب وحرقه بعـيداً عن تجمعات النخيل الأخرى، حتى لا تـنـتقل إليها الإصابة، ثم حزم قـلب النخلة بعد الجداد أثناء فترة الأمطار. وفي نجران وبيشة وتربة وسواها من مناطق الجنوب، تصاب





ثمرة النخيل في الفترة نفسها أي فترة تفتح الكوافير واللقاح بمرض يدعى حوتة النخيل أو أبو الحوت الذي تصاب الثمار، عادة، به، عندما تسقط الأمطار بعد التلقيح مباشرة، حيث تدخل هذه الحشرات داخل حبات الثمر بعد تفتيح الكوافير فتفسدها. وكان المزارعون هناك يقاومون هذه الآفة بأن يصعد الشمَّال إلى النخلة، كل أسبوع، ويهز عذوق النخل المصابة ليتساقط المصاب منه حتى لا تنتقل العدوى إلى السليم.

ومن الأمراض الواسعة الانتشار التي تصيب البلح والتمر في مختلف المناطق، مرض اسمه أبو غبير. وهو مرض ترتفع نسبة الإصابة به في السنين التي تزيد فيها الرياح المتربة والغبار. وتُسبب هذا المرض حشرة صغيرة (عنكبوت)، تتوطن على ثمار النخل وتنسج حولها شبكة من النسيج الرقيق، الذي يجذب الغبار، فتتكون طبقة من الغبار والأتربة تغلف الثمرة وتعرقل نموها بشكل سليم. ويؤثر هذا المرض على حجم حبات التمر وعلى نوعيته، مما يجعل الناس يعزفون عن التمور المصابة. ويذكر أن رجلاً قد اشترى ثمرة نخلة من نوع المقفزي (مقفزيه) من أحد المزارعين، ولكن هذه النخلة أصيبت بهذا المرض (الغبير) فقال قصيدة طويلة يداعب فيها صاحب النخلة، منها:

لا واسفا بالمال بالمقفزيه
أثرك غبير ما دفنت النظر فيك
أرجي الخلف من طيبين العطيه
اللي على عوص النجايب يسقيك

فما كان من صاحب المزرعة، إلا أن عوضه بأطيب منها.

ومن الآفات المنتشرة، قديماً وحديثاً، وتصيب التمور سواء قبل قطع عذوقها من النخلة أو بعد ذلك، الإصابة بالسوس والسرو أو الدود. وتبدأ الإصابة بتجمع هذه الحشرات على سطح الثمار، ثم تدخل داخلها فتتكاثر وتبدأ بالتهام ما حولها، فتتسبب في جفاف الثمرة، وتصبح هشة ذات لون أحمر. وكان المزارعون القدماء يحاولون التقليل من الإصابة بهذا النوع من الحشرات، بلف عذوق النخل بعد التلقيح بالليف أو السعف أو نحوهما، ويسمى الكِمَام وهو ما تُكَمُّ به عذوق النخلة، والشائع أن يكون من الليف، ولكن قد يكون من بعض الأشجار الأخرى كالعرفج والقيصوم والجثجاث ونحوه. وتُكَمُّ عناقيد النخلة (العذوق) في مناسبتين رئيسيتين؛ إحداهما بعد التلقيح كما هو الحال في مناطق الأحساء والقطيف، ويكون الهدف هنا تشبع العذق باللقاح من ناحية، ووقايته من الآفات والأمراض من ناحية أخرى. أما المناسبة الأخرى التي تُكَمُّ فيها عذوق النخيل، وربما

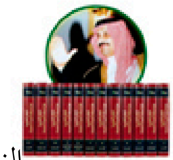




قلوبهـا أيضاً، فهي عندمـا يغشى الجراد والخيفان البساتين، ويكون الكمام هنا من الطرق التي يلجأ إليها الفلاح، إضافة إلى طرق أخرى، لحماية محصوله ونخيله. كما كان بعض المزارعين، يضـيفون قليلاً من الدهن عند قواعد الشماريخ، حتى يتجمع النمل حولها ويلتهم يرقات هذه الحشرات ويقضي عليها. وعموماً فرغم أن التمور المصابة بالتسوس أو السرو تفقد كثيراً من جودتها، فإن المزارعين الأولين تحت ضغط الحاجة يأكلونـها، ولا يأبهون بما بها من سوس أو ديدان (سرو)؛ ولذا فمن أقوالهم المشهورة «سـوسها منها» أي إن الـسوس الموجود داخل التمرة تولَّد منها نفسها، ولم يأت من خارجها وبالتالي فلا ضير من أكله معها وخاصة فـي أيام قلة الإنتاج وجور الزمن. وكان الأولون إلى عهد قريب ينهون أطفالهم عن فتح التمرة قبل أكلها، ويقولون إن في فتح التمرة كشفاً لعورتها، وهم في الواقع يخشون أن يجد الصغير بعض الديدان الصغيرة (السراوة) أو السوس داخل التمرة فيعافها ويرميها.

وعموماً فإن معظم مـا ذكر من آفات وحشرات وأمراض، تظل أخطارها قليلة سواء من حيث الحدة أو الانتشار. لا تتجاوز آثارها عادة جزءاً من النخـيل لدى المزارع الواحد، ومن ثمّ فهي لا تؤثر كثيراً على كمية الإنتاج الاجمالي من التمور. أما التأثير الشديد على الإنتاج، بل على النخيل نفسه وكافة المزروعات والمحاصيل الأخرى، فيأتي من الجراد الذي إذا غشي النخل، قد يقضي على كامل التمور أو البلح، بل قد يتجاوز ذلك إلـى أكل العسـبان والجريـد وسائر المزروعات الأخرى، فتصبح النخلة جرداء من الخضرة والأرض جرداء من المزروعات. وقالوا في المثل «عسى الدبا ما يلحق أمهاته»؛ الدبا: صـغار الجراد وهي شديدة الـفتك بالمزروعات، ويعني المثل الدعاء على الشيء الضار بعدم النمو والاكتمال.

وخطر الجراد، يتفاوت، كما تتفاوت، طرق مكافحته حسب نوعه ومرحلة نموه. فعـندما يغـشى الجراد إحدى المـناطق، ويستوطن بـها عدة أيام يترادف (يركب بعضه بـعضاً)، ثم بعد ذلـك يرمي في الأرض بيضه (نصوصه)، ويقال إن الجرادة الواحدة تنتج ٩٩ من صغار الجـراد التي تدعى الـدبا. ويخرج الدبا مـن الأرض بأعداد كبيرة وهي بيضاء تشبه النمل ولذا يسمى نميلي وعندما يكبر قليلاً يتحول إلى اللون الأسود يسمى قعيسي، ثم بِرقْ ثم دُغْمْ ثم كتفانْ وهو في جميع هذه المراحل لا يستطيع الطيران، ولكنه شديد الضرر على المزروعات إذ يهلكها تماماً فـي فترة وجيزة. ولذلك فعندما يأتي الخبر المزارعين





بأن الدبا قد استوطن قريباً من حقولهم يتلقونه ويخرجون إليه، ومعهم المساحي ويحفرون له حفراً مستطيلة تسمى زبايا أو مشاقيقْ حتى إذا ما امتلأت ضربوه بالعصي ودفنوه فيها لأنه لا يطير. ومن الأساطير الخرافية أن الدبا يأتي ليأخذ الثأر من الذين أكلوا أُمهاته أثناء تراكبها (ترادفها) قريباً منهم فيقول أثناء سيره:

أنا الدبا جيتكم واضرب بزاناتي
وآخذ قضا عمتي وامي وخالاتي

كما يلاحقون بقاياه تحت الأشجار وحول الأحجار، ويضربونه حتى يموت. أما ما أفلت منهم فيكبر وينبت له أجنحة ويسمى عندئذ الخَيْفَان، وهنا يكون خطره عظيماً إذا وصل إلى الأراضي الزراعية. ويحاول المزارعون التقليل من خطره بطريقتين رئيسيتين؛ إحداهما كمام القنيان أو العذوق، أي تغطيتها بالليف أو بعض النباتات، كالجثجاث ونحوه، حتى لا يأكلها الدبا والخيفان. أما الطريقة الثانية فهي النهام، أي محاولة تخويفه وإخراجه من النخيل بالصياح ورفع الصوت وضربه بالعسبان والخوص ونحو ذلك. ومن الوسائل المساعدة لتخويف الخيفان وإخراجه من النخيل، إيقاد النار بأشجار خضراء ويابسة حيث ينبعث منها دخان كثيف يساعد على طرده. وعلى أي حال فعلى الرغم من الجهود التي يبذلها المزارعون لمكافحته، إلا أنهم قد لا يفلحون دائماً في طرده من مزارعهم، ويزيد ضرره إذا ما ترادف وتوالد مرة أخرى تحت النخيل والزروع والبرسيم، حيث يستمر في التهام المزروعات والنخيل؛ ويصف الشاعر إبراهيم المحارب فعل الجراد الذي أكل الزرع والنخل وما أحدثه من أضرار فيقول:

جانا الجراد محدرٍ له عثاوير
من الغرب حوّل من علاوي تهامه

من كل جندٍ حادي له زنابير
حاديه كنه موكلٍ عن صرامه

عرمٍ ودرمٍ ناميات الجمامير
سوق العسق قصّه وهو في كمامه

عرمٍ ودرمٍ ناعمات مخاضير
لين اودعه ما عاد يذري الحمامه

لى واهني اهل الثمار المباكير
عن الدبا يابختكم بالسلامه

والا فراعي الخيس كله غثاوير
إلى توزى به يبني خيامه

نعم لقد أكل الجراد جميع ثمر النخل وعذوقه وعسبانه، وكأنه موكل على صرامه حتى لم يعد ما تبقى فيه كافياً لستر وإيواء حمامة واحدة. فلا غرو إذن أن هنأ الشاعر أولئك المزارعين أصحاب الثمار المبكرة (المباكير)، الذين سلموا من الدبا وآثاره المدمرة.

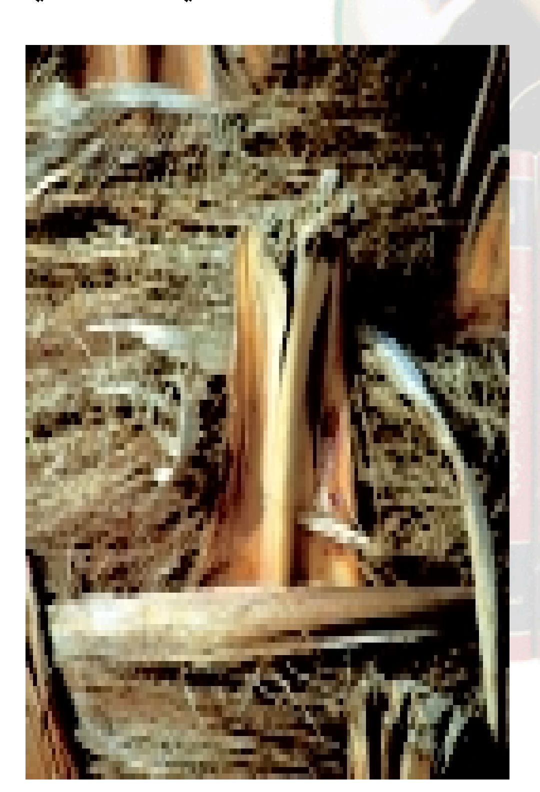


# أدوات الفلاح

اعتمد الفلاح في الماضي اعتماداً كلياً على بيئته الريفية التي يعيش فيها، سواء في سكنه أو أدوات معيشته أو أدوات زراعته. ويعني هذا الوضع تكيفاً كاملاً ومواءمة تامة بينه وبين احتياجاته المختلفة، التي قد تبدو لنا بسيطة ومحدودة في وقتنا الحاضر، إلا أنها كانت معقدة وصعبة في وقتها؛ إذا نظرنا إليها بمنظار الزمن الذي كان الفلاح يعيش فيه، وكيف كانت المجتمعات الريفية خلواً من التقنيات المعاصرة التي قربت المسافات بين المجتمعات وسهلت انتقال الثقافات والتقنيات المتعلقة بجوانب الحياة المختلفة. لم يكن الاستيراد ميسوراً، سواء لمواد البناء أو المنتجات الزراعية أو الأدوات الزراعية. ولتعويض ذلك سخر الفلاح كل قدراته وطاقاته للاستفادة من بيئته الريفية الطبيعية، أو من بعض زراعاته لتلبية احتياجات متعددة.

## المصنوعات المعتمدة على النخيل

تشكل النخلة أهم المصادر التي اعتمدت عليها الصناعة اليدوية في العصور الماضية، خاصة في المناطق التي



جريد النخلة وليفها من أهم مواد الصناعة







أدوات من الجلود والخوص وجذوع النخيل

تنتشر فيها أشجار النخيل بكثرة، مثل الأحساء والقطيف والمناطق الوسطى والشمالية والمدينة المنورة وينبع وخيبر والحائط ونجران. وكان كل جزء من النخلة، كالخوص والجريد والليف وجذع النخلة، يُشكِلُ مادة أولية أساسية لعدد من المصنوعات. كما كان للأشجار التي يرعاها الفلاحون -أو التي تنبت قريباً منهم كالدوم والأثل والسدر والطلح وأشجار الغَرَب وغيرها- أهمية كبيرة، حيث اعتمد عليها المجتمع الريفي في كثير من المصنوعات، خاصة صناعة بعض الأدوات الزراعية كالمحراث الخشبي (الجارَّه) والمحَّاله والدرّاجه المستخدمة في السواني وأنصبة المسحاة والفاروع والمقشعة والمدمام وغيرها، أو في عدد من الأدوات



شجر الدوم





المنزلية المتعددة. وسنورد هنا نماذج من هذه المصنوعات بادئين بتلك المعتمدة على الموارد الشجرية والزراعية المختلفة.

**المصنوعات الخوصية.** يعد خوص النخلة مادة رئيسية، تعتمد عليه جملة من المصنوعات التي تهم الفلاح وربة البيت وصاحب الحانوت وصاحب المبنى وغيرهم. ويقوم هذا النوع من المصنوعات على ضفر أو سَفّ خوص النخلة بعد جرده من الجريد، وتشبه عملية ضفر الخوص (السَّف) أو الوضين -كما تسمى في بعض المناطق كالباحة- إلى حد كبير عملية جدل الحبال أو خصل الشعر. وتبدأ صناعة الخوص بفصل السعف (الخوص) عن الجريد، ثم ينشر الخوص على الأرض لمدة يومين أو ثلاثة حتى يجف، ثم يجمع على شكل حزم ويؤخذ منه بقدر الحاجة. ويؤخذ الخوص المتخذ للسف من السعف القريب من قلب النخلة، ويسمى النواد والحضايا لمتانته. وإذا أخذ الخوص من قلب النخلة كان أشد بياضاً وقابلاً للتلوين بالأصباغ المختلفة، أما ما يؤخذ من أسفل الجريد فإنه يستعمل للمصنوعات الخشنة كالزبلان والمحافر أو لفتل الحبال الخوصية. وعند استخدام الخوص يأخذ الضافر منه ما يحتاجه لعمل يومه، ويضعه في الماء لمدة



عمل السفيف (الضفائر)

ساعة، ثم يبدأ في ضفره (سفه). فيصنع سفيفةً عرضها يتراوح بين ٥-١٠سم يستخدمها فيما بعد ليصنع منها تشكيلة كبيرة من الزنابيل والقفف والأطباق عن طريق خياطتها مع بعضها وتفصيلها حسب الشكل المطلوب.

ومع أن خوص النخلة كله يمكن استخدامه في مصنوعات السفيف، إلا أن أفضله هو خوص جريد الخوافي، أي العسبان القريبة من قلب النخلة، وهو ذو لون ضارب للخضرة. وعلى هذا النوع من الخوص تعتمد معظم مصنوعات السفيف. أما جريد القلوب فهو أفضل





الخوص على الإطلاق، ولونه أبيض ناصع ويؤخذ من الفروخ والرواكيب غير المرغوب فيها. وعلى هذا النوع من الخوص تقوم صناعة عدد من الأطباق الممتازة وسفر الطعام ونحوها.

وصناعة السّفيف من الأعمال التي تختص بها المرأة في جميع المناطق الوسطى والشمالية، حيث تقوم النساء بسف ما تحتاجه أسرهن من الزبلان والأطباق والسفر والمراوح اليدوية وغيرها. ويكون هدف النساء غالباً سد احتياجات الأسرة، إلا أن بعضهن قد يبعن ما يفضل عن حاجة أسرهن أو مقايضته ببعض السلع. ويغلب الإنتاج من أجل البيع عند بعض النساء الفقيرات، من غير نساء الفلاحين، اللاتي يمتهن هذه المهنة فيشترين الخوص من الفلاحين ويبعنه أو يقايضنه ببعض التمر والبر بعد تصنيعه.

ويختلف أمر صناعة السفيف في مناطق الأحساء والقطيف ونجران والمناطق الغربية، حيث يُمارس هذه الصناعة الرجال ويمتهنونها كحرفة أساسية. فيشترون الخوص من الفلاحين أو يقايضونه ببعض إنتاجهم، ويأخذ إنتاجهم من الخوص المصنّع طريقه إلى السوق والباعة. ويطلق على هؤلاء في



صانع المنتجات الخوصيّة

نجران الحُوك (واحدهم حائك)، وكان سكان المنطقة ينظرون إليهم على أنهم من الفئة الغنية؛ ويجسد هذا الاعتقاد قول شاعرهم:

ياسعدكم ياحُوّك لا نورت مرهبه
السمن في الدبدى والبر في الزاويه

أي أن الحوك لديهم سمن وبر وفي رفاهية من العيش.

ومن أهم المصنوعات المعتمدة على السفيف، الزبلان (الزنابيل). وهي أوعية تصنع من سفيف خوص النخل، وقد تصنع من سعف الطفي (الدوم)، خاصة



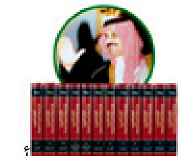




زنبيلان من السفيف

في المناطق الجنوبية الغربية، لكل منها عروتان أو أكثر تحمل بهما، وهي متفاوتة في الحجم والمتانة والاستعمال. وهي في الغالب أداة حمل يستعملها الفلاح وغير الفلاح من بنّاء وتاجر؛ جاء في المثل الشعبي «ما جاب زبيل الجلابه»، والجلابه المرأة التي تحمل البضائع في زبيلها وتدور على البيوت لبيعه بالنقد والمقايضة، وعادة تكون بضائعها رخيصة، ويضرب المثل في الشيء الغالي والنفيس الذي لا يُحصل عليه دون تعب أو عناء. كما أن أسماءها تختلف من منطقة إلى أخرى. ومن أشهر الزبلان زبيل صغير يسمى المحفر ولكنه متين وقوي، ويستخدم في حفر الآبار ونقل السماد وتفريقه داخل الأشراب ونحو ذلك ويسمى في بعض المناطق القفَّه. ويطلق اسم القفه أيضا على نوع آخر من الزبلان حجمه صغير وشكله مدور يستخدم في جني الرطب أو توزيعه على الجيران والأصدقاء.

والوقر (الوجر) أو الفغير أو المنقله ويسمى في الأحساء الخرج، وعاء مصنوع من سعف النخل أو سعف الطفي، على شكل مستطيل. ويصنع عادة من سفيف الخوص الأبيض الناصع، ويكون من طبقتين، وتوشى أطرافه وحوافه بالليف. والوقر بمثابة وعائين أو عدلين يحمل على الدواب مثل الخرج





ويستخدم في نقل الثمار، وقد يستخدم في نقل التربة والسماد وخلافه حيث يوضع على ظهر الجمل أو الحمار. وهذا يعني وجود حجم كبير خاص بالجمل، وحجم صغير خاص بالحمار. ويتشكل الوقر عند وضعه على ظهر الجمل أو الحمار على هيئة وعائين؛ وعاء على اليمين ووعاء على اليسار بشكل متساو، ويعبأ بالتراب أو السماد البلدي (الدمن، الدمال). ويعرف هذا الوعاء في معظم مناطق جنوب وغرب المملكة باسم المِرْبَده أو الحَفْصَه. وقد يكون للوقر أحياناً أكمام من أسفله تربط عند التعبئة، بواسطة أزرار في أعلاه وتفك إذا أريد تفريغ ما فيه، من دون الحاجة إلى إنزاله عن ظهر الجمل أو الحمار.



زنبيل رطب

المِرْحَلَه من أكبر الزبلان حجما وتتسع لـ٦٠ وزنة؛ وضرب باتساعها المثل قالوا «عسى رب عطاك بالزبيل يعطينا بالمرحله»، والمرحلة أكبر من الزنبيل، يقول هذا المثل من يتمنى أن يكون العطاء مضاعفاً؛ ويضرب المثل في عدم اليأس من رحمة الله، لأنها قد تنزل على الإنسان مضاعفة أضعافاً كثيرة.

ومن المصنوعات المعتمدة على السفيف المَكْتَل العمَّاري أو المِذْرَى العَمّاري، وهو عبارة عن وعاء كبير ضيق من الأسفل ويأخذ بالاتساع التدريجي للأعلى وقطر فوهته قد يصل إلى متر، له عروتان، ويتسع لقرابة مائة كيلوجرام من الحبوب. ويستخدم المكتل بشكل رئيسي لنقل التبن من المجرن أو الجرين إلى مكان تخزين التبن. ويصنع من سعف النخيل إن وجد، ولكنه يصُنع غالباً من سعف الدوم (الطفي)، ويوجد بثقيف وبني مالك ومنطقة الباحة، وينسب إلى بني عمّار، وهي قرية بمنطقة الباحة إلى الغرب من مدينة المندق، مشهورة بصناعته.

ويصنع من الخوص نوع آخر من المَكْتَل شبيه بالمكتل العماري، ولكنه أصغر ويتسع لنصف ما يتسع له المكتل العماري أي حوالي ٥٠ كيلوجراماً. ويستخدم





لنقل الحبوب إلى مكان التخزين وكذلك الأعلاف والحشائش الصغيرة، ويصنع من سعف النخيل وسعف الطفي. والمشطر أصغر من المكتل ويستخدم في نقل الحبوب أيضاً؛ كما يستخدم لإخراج التراب من البئر أثناء الحفر، خاصة إذا استخدم الثور في جره، ويوجد في كل المناطق الجنوبية الغربية. والغَلَقَة وعاء شبيه تماماً بالمكتل في صناعته وحجمه، إلا أنها أقل سمكاً ومتانة منه وتستغل لأغراض خفيفة كتجميع صوف الأغنام عند جزها، وشعر الماعز، وتخزين بعض الحبوب قليلة الانتشار، مثل بذور البرسيم أو الدخن.

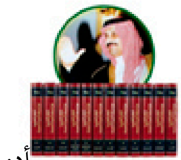
وتصنع الزبلان الكبيرة غالباً من الخوص الأخضر الخشن، ولذا فهي أكثر متانة وخشونة وتحملاً من الزبلان الصغيرة، كما أن عراويها غليظة وقوية تتناسب مع أحجامها الكبيرة. وهي تستخدم أساساً لنقل الحبوب والتمور من المطاحن، كما تستخدم لأغراضٍ متعددة أخرى. ومنها المجداد، ويتسع لحوالي ٣٠ وزنة. ويسمى في الباحة بالمنثل لأن نثيل الآبار يُستخرج به.

وهناك النفيه وهي مدورة صغيرة قطرها ٥٠سم ويزيد، ولها عروتان وتطعَّم بالليف لتقوى وتستخدم في قذف التراب من السواقي إلى العقوم والمروز أو من الفقر التي تحفر للغراس والفسائل.

أما القُفَّه فتشبه الزبيل غير أنها تختلف عنه في شكلها العام واستخداماتها. وهي نوعان؛ القُفَّة الكبيرة، وتسمى القَفْعَه، وعاء كبير يصنع من سعف النخل إذا توافر، ولكنه يصنع في الغالب من سعف الطَفْي في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة بشكل عام. وهذا الوعاء كروي الشكل، حيث الانبعاج والاتساع في الوسط، يتسع لأكثر من مائتي كيلوجرام. وتخزن فيه الحبوب بأنواعها، خاصة في ثقيف وبني مالك ومنطقة الباحة. ويمتلك كل مزارع عدداً منها، تكفي لاستيعاب منتوجاته الزراعية. وتوضع هذه القفاف مصفوفة جنباً إلى جنب في الدور الأرضي غالباً.



مخرف وقفة





أما القفة الصغيرة فإن لها أحجاماً مختلفة منها ما هو بحجم إناء شرب الماء، ومنها ما يستوعب الصاع والصاعين وتكون قاعدتها أضيق من فوهتها بشكل متناسق، وتستخدم لمختلف الأغراض؛ يوضع فيها التمر وغيره؛ قال الشاعر:

ما من ورا قفة فلان هجوري

ولا هم من اللي هجروني بطاسه

وقد وردت القفة في المثل الشعبي قالوا «نبي قفتنا بلا عنب»، أي نريد قفتنا التي وعدتمونا بإرسالها مليئة بالعنب ولو كانت فارغة؛ يضرب لمن رضي من الغنيمة بالإياب.

وتصنع القفه من الخوص الأبيض الناعم، فهي تشبه الزنبيل الصغير، أسفلها واسع ثم تضيق شيئاً فشيئاً نحو أعلاها حتى تنتهي في الغالب برقبة ضيقة دائرية تغطى بغطاء من جنسها. وللقفة عروتان على جانبيها تصل بينهما شريحة من الليف مثبتة فوق غطائها وتحمل بهما. وتستخدم القفة الصغيرة لنقل الأشياء الصغيرة، والأغراض المشتراة من السوق، وتشبه في استعمالها السلال في الوقت الحاضر. كما تستخدم القفف (القفاف) لجمع الجراد ولحفظ القفر (شرائح اللحم المجففة) والكمأة وغيرها.

والمِحْدَره نوع آخر من الزبلان الصغيرة، تصنع من الخوص الرقيق الناعم (سعف القلوب) وهي أخف من المحفر وأقل متانة منه وتستخدم لحمل الأغراض الخفيفة.

المطحن أو المطحان (جمعه مطاحن) أو المِخْرَف أو المقطف أو الملقاطه أو المجنى نوع من الزنابيل الصغيرة، وقد يتسع لصاعين إلى خمسة أصواع، يستخدم لجني الرطب. وهو شبه دائري ويشبه المحدره في حجمه وصنعه ولكنه يتميز عنها بأن له حبلاً يصل بين عروتيه يساعد على حمله أثناء خراف النخلة. وعراوي المطحن رقيقة موشاة بحبل من الليف أو الصوف أو القماش، ويصنع أيضاً من الخوص الناعم ويستخدم لنقل الحب والدقيق والتمر وغيرها. والرطب المتساقط من النخل يجمعونه في زنبيل صغير يسمونه الملقط.

ويستخدم المطحن في خراف النخل أما الوعاء المستخدم في الجداد (الصرام) فهو المعرى وهو نوع من الزنابيل كبير الحجم. وقد يستخدم المعرى في جني الرطب؛ قال: معراك هذا يجى كيله؟ قال: أظن زايد عياره مد. وهناك المعرى الزبيل الذي يستخدم في العمل وهو أقل عمقاً من الآخر.





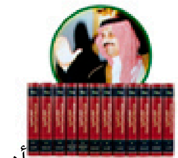
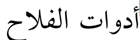
ومن الزبلان الصغيرة التي تستخدم في جني التمر وتخزينه القفعه وهي عبارة عن كيس تستخدم وعاء لعجوة التمر.

ومما يصنع من الخوص الطبق والمِنْسَف. والطَبَق صحن مقعر صغير الحجم مصنوع من سعف النخل أو سعف الطفي، ويستخدم لتقديم الفاكهة أو يوضع فيه الخبز بعد تكسيره أحياناً ويكون غالباً ملوناً. أما المنسف فهو عبارة عن طبق مقعر يصل قطره إلى ٥٠سم أو أكثر، ويصنع من سعف النخل أو سعف الدوم (الطفي). وقد يكون ملوناً أحياناً ويستخدم في تنظيف الحبوب وتنقيتها أثناء استخراجها من التخزين استعداداً لطحنها، وذلك بإمساك المنسف من الجانبين وهزه إلى أعلى وأسفل لكي يخرج الغبار، وترتفع الأشياء الخفيفة إلى أعلى فوق الحبوب ويتم بعد ذلك تنقيتها باليد. والمنسف موجود في كل مناطق المملكة، وإن اختلف شكله قليلاً من منطقة إلى أخرى.

ومِطْعَم التمر أو الطباقه (ويجمع على مطاعم) وهو وعاء يشبه المنسف ولكنه أصغر منه وفيه يُقدم التمر للضيوف. ويتميز عن المنسف بوجود زائدتين مستديرتين على شكل الكف متصلتين به على جانبيه، تعرف الواحدة منهما بالكِفَّه، تستخدمان لوضع النوى (العَبَس) فيهما. وقد يكتفى بكفة واحدة بدلاً من اثنتين وله ركزة من أسفل.

والخَصَف وهي أوعية من سفيف النخل تخاط على شكل أكياس مربعة أو مستطيلة، تستخدم لتعبئة وحفظ التمور، وتستوعب حوالي ٥٠ كيلوجراماً. وتستخدم الخصف لنقل التمور من مكان إلى آخر خاصة في محافظتي الأحساء والقطيف، كما يستخدمها التجار وهي أيضاً من الأوعية المفضلة لدى البادية لأنها تناسب تنقلهم الدائم.

كما يصنع من خوص النخيل بدقة ومتانة، وعاء فردي أو مزدوج متشابك مع بعضه ويسمى الجونه وهو صغير الحجم تضع فيه النساء أشياءهن الثمينة مثل أدوات الزينة، وصانعوه يضيفون له بعض الألوان حتى يكون جميلاً وتزود الجَوَن بأغطية محكمة وسواء كان فردياً أو مزدوجاً فإنّ وحداته دائرية بقطر ١٢سم وعمق ١٢سم تقريباً، كما يُصنع من نفس المادة وعاءٌ مماثلٌ إلاّ أن حجمه أكبر ويشبه الصاع الكبير ويسمى المَلْهى تستخدمه النساء لوضع الحب المراد طحنه بداخله، ولأن القَدْر الذي يسقطنه في حلق الرحى يسمى اللهوة فقد جاءت تسميته من هذا المعنى ويستخدم كذلك


لحمل «المعـروف» وهو أي شيء تهديه امرأة إلى أخرى.

وهناك الغلقة الـصغيرة، وتستخدم لحمل المشتـريات المقاضي من السوق، ولحفـظ بعض الأشيـاء الصغيـرة وهي معروفة بهذا الاسم في ثقيف وبني مالك والباحة وعسير وجازان والقنفذة.

والحَصِير، وهو الفراش المصنوع من سفيف خوص النخل. وهو ذو أحجام مختلفة بعضها صغير يستخدم للصلاة وحجمها لا يزيد عن حجم سجاجيد الصلاة الصغيرة. وبعضها كبير يستخدم بساطاً للجلوس أو يوضع وقاية للفرش الثمينة من الغبار، وحجمها قد يصل إلى خمسة أمتار طولاً وثلاثة إلى أربعة أمتار عرضاً. والحُصُر الكبيرة تصنع على شكل شقائق، عرضها حوالي متر في المتوسط. ثم تخاط فيما بينها لتـشكل حصيراً كبيراً. وهناك نـوع من الحصر يسمى المُسْطَح، وهو حصيرة مستطيلة تحدد الحاجة طولها، تفرش بها المجالس والمسـاجد والغرف. وبـالإضافة إلـى الحُصُر المصنـوعة من سفيف النخل، هناك أيـضاً حصر أخـرى تصنع مـن سعف الطفـي، وهي منتشرة في كل المناطق الجنوبـية الغربية، ولكنها أقـل جودة. ويعرف الحصير في هذه المناطق بأسـماء أخرى، كـالفراش والـهِدْم. والحُصُر بوجه عام، من الفرش رخيصة الثمن، ولـذا يكثر الإقبال علـيها من الطبقات الفقـيرة، كما تستخدم أيضاً لفرش المساجد.


مصلى (خصّاف)



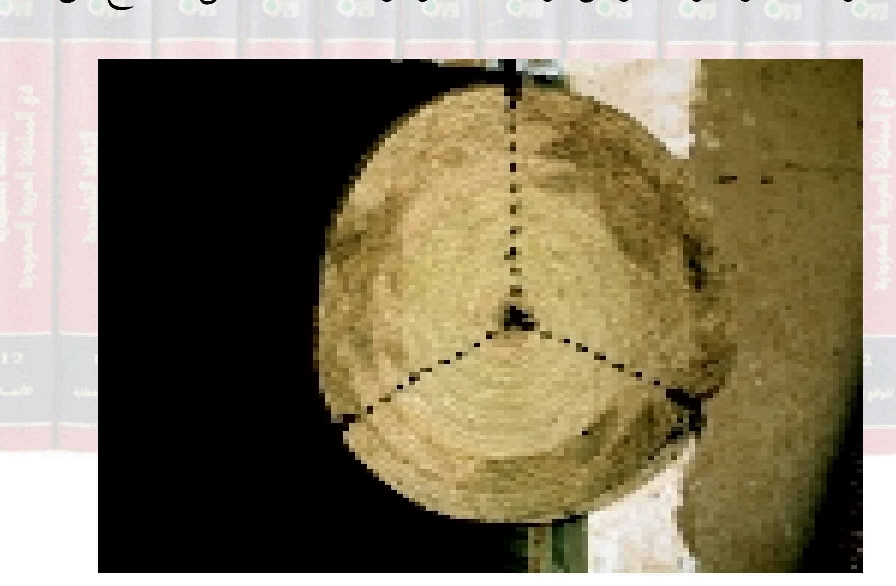


وهناك الدويرة وهي حصيرة مستديرة ذات أحجام مختلفة تفرش بها المجالس وتستخدم في جمع الثمار، وعليها يهز الرعاة الشجر فتتساقط أوراقه وثماره عليها، وأيضاً يستخدمونها في هش الشجر ليلاً في الفصول الباردة عندما يبيت الجراد فوق الشجر فيتساقط على الدوارة لتثنى عليه ويفرغ منها في أكياس الخيش.

ويسف من الخوص الحجو والمعالف. والحجو مُسْطح ملون تغطى به الجوانب الداخلية للغرف والعشاش وهو بمثابة الورق الذي يبطِّن الجدران من الداخل، إلا أن الحجو متحرك وورق الجدران ثابت. أما المعالف فهي عبارة عن دوارة صغيرة، ملونة أو غير ملونة، ترص فوقها الصحاف والصحون الصغيرة، وتكون معالف الرطب أصغر حجماً.

والطْبَاقَه غطاء من الخوص على هيئة هرمية، لها أحجام مختلفة تستخدم لتغطية الأواني.

السُّفْرَه (النَّفْـيَه)، وهي نسيج من خوص النخل تستخدم كالسماط لتقديم آنية الطعام، كالصحون والصواني، عليها عند تقديم الأكل. وتتخذ الشكل الدائري، ويكون لها أحجام مختلفة. فقد يكون القطر متراً وقد يكون متراً ونصف المتر. تصنع السفرة من سعف النخيل إذا توافر، كما هو الحال في المناطق الوسطى والشرقية ومنطقة العقيق بالباحة، وكذلك في نجران وإذا لم يتوافر سعف النخيل فتصنع من سعف



سفرة طعام من خوص النخيل





الدوم، وتلون السفر بألوان عديدة، بحيث تظهر على شكل حلقات متعاقبة من الألوان، ويُنسج طرف السفرة أو إطارها الخارجي من حبل رفيع من الليف مع قطعة من القماش، حفاظاً على أطرافها من التمزق ولبقائها مدة أطول. وللسفرة، عادة، ثلاث عراوٍ تحمل بها، وفي بعض البلدان يكتفى بعروتين. وقد كانت السفرة تصنع من الجلد ويكون داخل حافاتها حبل يُسحب من الجانبين فتتحول إلى إناء يُعلق على الراحلة أو في المنزل.

ويصنع مبرد القهوة من الخوص، وقد يصنع من عذوق طلع النخلة (الصنوخ)، بعد نقعها بالماء ودقها وقد يصنع منهما مجتمعين، كما قد يصنع من سعف الدوم (الطفي)، خاصة في الأجزاء الجنوبية الغربية من المملكة. والمبرد يشبه المنسف وهو ذو شكل دائري. ويكبر حجمه ويصغر حسب الحاجة ويستخدم لتبريد القهوة بعد حمسها، ويسمى في الأحساء السارود.

والمَهَفَّه (المروحة اليدوية) قطعة من نسيج الخوص الأبيض الناعم، شكلها مربع أو مستطيل في معظم المناطق، ودائري في المناطق الجنوبية الغربية وتصنع من سعف الدوم في الغالب.

وللمهفه يد من جريد النخل الناعم المهذب تحمل بها، وهي ملونة وغير ملونة أو مزينة أطرافها بالكثل القماشية وغيرها. وتحرك المهفة يميناً وشمالاً بواسطة اليد وحول الوجه، لتحريك تيار الهواء ولتخفيف الحر عن مستخدمها. والمهاف أحجام مختلفة بعضها كبير وله يد طويلة يستخدم في المناسبات الكبيرة، أثناء تقديم الأكل، بينما يستخدم الصغير منها في البيوت وغيرها. وكان لا يخلو منها بيت أو مجلس أو مسجد لأنها تمثل وسيلة التكييف الرئيسية في ذلك الوقت.

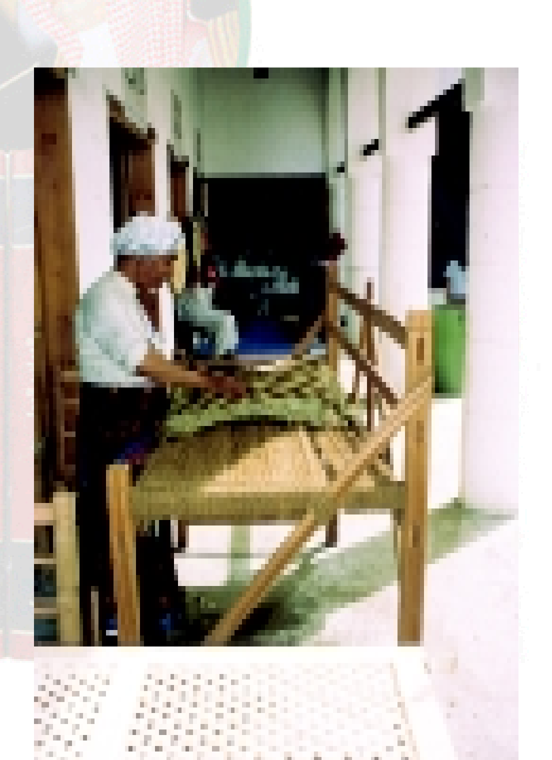
أما المظَلَّه أو الهَطَفَه فهي غطاء يوضع فوق الرأس ليقي من حرارة الشمس. وهي مصنوعة من سعف النخيل أو سعف الطفي على هيئة نسيج هرمي مفتوح من أسفل ومثنية حافتها السفلى إلى الأعلى. وتستخدمها النساء عادة عند العمل في حصاد القمح أو تقسيم الأرض الزراعية إلى أحواض بعد الحرث، أو عند رعاية الغنم، وهي معروفة في كل مناطق جنوب غرب المملكة بهذا الاسم، ومعروفة في المناطق الأخرى بأسماء مختلفة.

وتصنع من خوص النخل، بعد أن يربَّص بالماء ويدق، أنواع متعددة من





الحبال، ولكنها ليست في جودة حبال الليف وأهميتها. من هذه الحبال ما تضفر للكراسي وأبطنة الحيوانات ونحوها. ومنها الأحزمة وإن تكن ضعيفة حتى ضرب بها المثل لذلك، قالوا «حزام خوص»، والحزام أو الحازم هو ما يتحزم به العامل فيشده حول وسطه ليشد ظهره، وحزام الخوص إذا ابتل انكمش وإذا جف ارتخى وتمدد، فهو لا يثبت على حال؛ ويضرب المثل للأمر أو الرجل كثير التقلب والتحول والذي لا يوثق به.

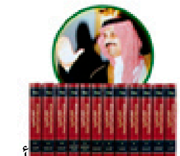


صناعة الكراسي من السعف والجريد

**منتجات الجريد.** يعد جريد النخل سواء قبل إزالة خوصه أو بعد إزالته، من المواد الأولية المهمة متعددة الاستخدامات، التي تعتمد عليها كثير من المصنوعات اليدوية. ومن أهم هذه الاستخدامات وتلك المصنوعات ما يلي:

تستخدم عسبان النخل اليابس في سقف المنازل سواء قبل إزالة خوصها أو بعده. فيرص الجريد فوق أخشاب الأثل في أسقف الغرف، ثم يغطى الجريد والسعف بطبقة من الطين. وهناك أشكال متعددة لرص أعواد الجريد في أسقف المنازل؛ بعضها تتقاطع فيه الأعواد مع بعضها لتشكل منظومة من المربعات الصغيرة المتقنة، وبعضها ترص الأعواد إلى جانب بعضها باتجاه معاكس لاتجاه أخشاب الأثل التي تصل بين جدران الغرفة.

وتستخدم عسبان النخيل أيضاً قبل إزالة خوصها، في عمل السياجات التي تحيط بالبساتين أو الحواجز التي تفصل بينها، حيث ترص العسبان بعضها إلى جانب بعض بشكل رأسي، وتثبت قواعدها في الأرض وتربط مع بعضها بحبال من الليف وغيره. كما تستخدم العسبان أيضاً لعمل سياجات تحيط بالفسائل (الفروخ) الصغيرة بعد غرسها، لتقيها من البرد القارس أو الحر اللافح. وتستخدم العسبان اليابسة





بالإضافة إلى الكرب وقطع الجذوع (النبوع) كمواد للوقود.

ويستخدم سعف النخل، بعد ربطه من وسطه بحبل من الليف أو نحوه، كمكنسة (ملفاع) تستخدمها النساء في تنظيف بيوتهن.

أما العِشَّه (العريش) فهي عبارة عن سقيفة تصنع من عسبان النخل بشكل أساسي، بالإضافة إلى عدد من أخشاب الأثل أو غيره. وقد تكون العشة مربعة أو مستطيلة، تركز في أركانها أربع قوائم من خشب الأثل أو جذوع النخل تصل بينها من أعلى أربع أخشاب أخرى، تربط معها بحبال من الليف ويغطى سقف العشة وجوانبها، بعسبان النخل وقد يترك جانب من جوانبها أو أكثر مفتوحاً. وتستخدم العشة أو العريش مجلساً في أيام الصيف الحارة، حيث يكون الجو فيها بارداً وعليلاً. وقد تستخدم العشة (العريش) استخدامات أخرى، كزرائب للحيوانات أو مكاناً للأعلاف وجمع محصول الخضروات، ونحو ذلك.

ويعتبر جريد النخل بعد إزالة ما فيه من الخوص، مادة أولية مهمة، تعتمد عليه كثير من المصنوعات والأدوات المنزلية، خاصة في المناطق التي تكثر فيها النخيل، كالأحساء والقطيف والمدينة وينبع وغيرها. ومن أهم هذه المصنوعات ما يلي:

صناعة الأقفاص؛ وتعتمد على أعواد جريد النخل بعد إزالة خوصه وتهذيبه، حيث يتم خرق بعض الجريد بأدوات خاصة وإدخال أعواد جريد أخرى في هذه الثقوب، لعمل القفص المطلوب. والأقفاص أنواع وأحجام عدة أشهرها؛ أقفاص التمر، وتعرف بدكوك التمر، وهي من المصنوعات التي تشتهر بها منطقة الأحساء وتستخدم لحفظ التمر، خاصة أثناء السفر على ظهور الإبل. وأقفاص الفاكهة، وهي أقفاص صغيرة تستخدم لحفظ بعض أنواع الفواكه، كالخوخ والتين والعنب واللومي ونحوها. أما أقفاص الدواجن فمتفاوتة الحجم، بعضها كبير وبعضها صغير، تصنع حسب الطلب. ويوضع فيها الدجاج والبط والحمام والأرانب، خاصة عند نقلها من مكان إلى آخر.

والعِرْزَالـه نوع من الأقفاص تتميز باتقان صناعتها بشكل أكبر، كما أنها أكثر متانة حيث يدخل في صنعها، إلى جانب جريد النخل ألواح خشبية وشرائح من القِدّ أو حبال الليف، وتشد أركان العرزالة غالباً بواسطة قوائم من الجريد المتين أو الألواح التي تشد مع بعضها بشرائح من جلد البعير (القد). ويكون



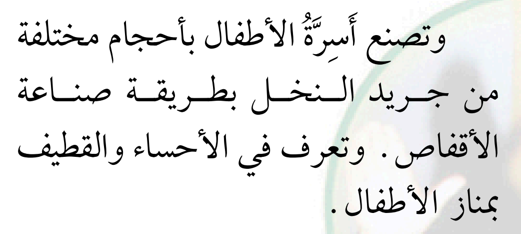




العِرزالة

للعرزالة باب من الخشب أو جريد النخل وقد يكون لها قفل ومفتاح خشبي. وتثبت في أعلى العرزالة حلقة من الليف، يربط بها حبل تعلق بواسطته من خلال محجان خشبي في أسقف المنازل لأن المحجان عبارة عن عصا تستخدم لهذا الغرض، وهو صغير ودقيق؛ أما الجازل فكبير الحجم ويستخدم للتعليق والربط. وتستخدم العرزالة لحفظ اللحوم والأطعمة واللبن، ولذا فهي توضع دائماً في أماكن معرضة لتيارات الهواء، حتى تحافظ على برودتها، كما أن تعليقها يبعدها عن متناول الأطفال والحيوانات والحشرات وخشاش الأرض.





سرير أطفال من الجريد

وتصنع أَسِرَّةُ الأطفال بأحجام مختلفة من جريد النخل بطريقة صناعة الأقفاص. وتعرف في الأحساء والقطيف بمناز الأطفال.

وبالإضافة إلى الأبواب المصنعة من أخشاب الأثل والطلح والغرب وشرائح جذوع النخل، هناك أبواب أخرى تعتمد في صنعها على جريد النخل. وعادة تعزز أبواب الجريد بشرائح من ألواح الخشب، توضع بوجه خاص على جوانبها الخارجية. ويتم صف أعواد الجريد إلى جانب بعضها وشدها بواسطة شرائح من القد. ويستخدم هذا النوع من الأبواب في شؤون الفلاحة والمرافق المنزلية غير المهمة.

ويصنع من جريد النخل بعض أنواع الدرايش (الشبابيك)، خاصة درايش القهاوي (المجالس)، حيث تكون على شكل أقفاص من جريد النخل، لأنها







أنواع من منتجات الأخشاب

تكون عادة مرتفعة بقرب السقف، ولذلك يصعب فتحها وإغلاقها.

وكذلك المِعْصَاد (المِسْوَاط)، وهو من الأدوات المستخدمة في المطابخ القديمة، وهو عبارة عن عصا يحرك بها طعام العصيد والجريش والهريس وما يحتاج إلى تحريك. ويصنع المعصاد في المناطق التي توجد فيها أشجار النخيل من جريد النخل بعد تهذيبه، خاصة قاعدة العسيب أي نهايته مما يلي الكربة، أما في جنوب غرب المملكة فيصنع من أعواد الأشجار المتوافرة، كالغرب والعتم وغيرهما. كما تصنع من جريد النخل أنواع من الصفف مثل؛ العشة وهي عبارة عن ثلاثة سياجات من الجريد على شكل حرف U مسطحة السطح ومن حولها سياج من الجريد يشكل فناء العشة، وقد ينام المزارع على سطح العشة. والجندبة وهي عشة دائرية الشكل وسقفها هرمي لتفادي الأمطار. والصبل وهو عبارة عن سياجين متوازيين يعلوهما سقف، ويفصل بينهما ما لا يزيد عن ثلاثة أمتار، ويشكل الصبل مستطيلاً بضلعين، أما الضلعان الآخران فمفتوحان، ويستخدم الصبل لجلوس الرجال فقط. والصبله ملحق صغير بالعُشة أو الجندبة أو الصبل





توضع به رميلة مرتفعة مصنوعة من جريد النخل ترفع عليها قرب الماء. والقيفه جدران من الحجارة أو الجذوع وسقف من الجريد المرمول يغطى بطبقة من السعف والليف والطين أو بواحد منها؛ ومن الجريد تقام سياجات المزارع وأقفاص الغراس، ولا ينزع هنا من الجريد خوصه. ومن الجريد منزوع الخوص تصنع السرر. ومن الجريد يعمل عصا لعب القال، والطاب والقب والدمى. ومن الجريد وبخاصة منابته في النخلة (الكرب) يؤخذ الحطب وتعمل لعب أطفال. ومن الجريد الأخضر (العواهن) تتخذ راية تنصب في الأفراح تعلق عليها أعلام وتنشد بجوارها البيشانة في الزواج والاحتفال بعودة الحجاج والاحتفالات الشعبية (أم الغيث). ومن الجريد تعمل العِصيّ؛ قال الشاعر:

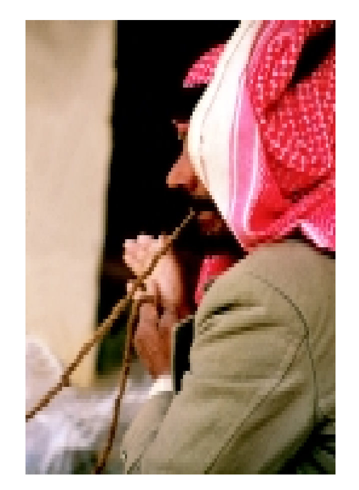
يا رايح الوادي
جب لي معك كادي
والا جريد اخضر
نضرب به العسكر

**منتجات الليف.** يدخل ليف النخلة في معظم المصنوعات اليدوية المعتمدة على أجزاء النخلة، كصناعة السفيف والأقفاص والأبواب. وقد أشرنا إلى أن الليف من المواد المهمة التي تدخل في صناعة الزبلان بأنواعها، حيث تصنع منه العراوي، وتلف خصائل منه على الجوانب. كما يدخل في صناعة الحُصُر والمدَّات وغيرها. ومن الاستخدامات المهمة لليف استخدامه في كِمَام عذوق النخل، سواء بعد تلقيحها أو عندما يداهمها الجراد ويستخدم الليف الناعم أيضاً بوضع خصائل صغيرة منه في ثعبة الدلة، لتحبس ما طفا من قشر الهيل، حتى لا يخرج إلى الفنجان عند صب القهوة. وتدعى هذه الخصلة الصغيرة من الليف الليفه واللثامه. كما استخدم الليف النظيف لترشيح مياه الشرب في المنطقة الشرقية، على نطاق واسع من الآبار التي يشوب مياهها بعض العوالق الطافية.

وتنبع أهمية الليف كمادة أولية، من استخدامه في صناعة الحبال المفتولة، حيث تصنع منه أنواع من الحبال متعددة الأغراض، تختلف سماكتها باختلاف الأغراض التي تستخدم من أجلها. وتصنع هذه الحبال حيث يوجد النخيل، ويصنعها المزارع بنفسه، وقد يستأجر من يفتل له الحبال، خاصة في موسم الزرع والسواني حيث تزداد الحاجة إليها في الوقت الذي يكون المزارع منهمكاً في







فتل الحبال من الليف

أعمال مزرعته. يقوم بفتل الحبال، عادة، الرجال الذين تقدم بهم السن والذين لا يتحملون الأعمال الشاقة كالسني والرياسة. وقد يمتهن حرفة فتل الحبال بعض الناس ويأخذ إنتاجهم طريقه للأسواق، خاصة في المناطق التي لا يوجد -أو تقل- فيها أشجار النخيل كما هو الحال في منطقتي الباحة وعسير. وفي بعض المناطق يلف على حبل الليف، أو يدخل ضمنه قطع من القماش الذي أصبح بالياً، ليقلل من خشونة الليف فلا يُتعب أو يضر الأيدي. وتستخدم مثل هذه الحبال لرفع الدلاء ولربط الأحمال على الجمال. ومن أشهر أنواع حبال الليف؛ الرِّشا وهو الحبل السميك الذي يستخدم لإخراج الماء بربطه في الغرب. والرشا في جميع مناطق المملكة باستثناء المناطق الجنوبية الغربية يصنع من الليف، وكذا الحال في نجران، أما في باقي المناطق الجنوبية الغربية فيصنع كما مر، من جلود الأبقار.



عمل سرير من الحبال





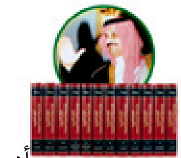


أرشية

أما المِـرْقَد فهو حـبل مصـنوع من الليف، طوله حوالي ثلاثة أمتار، متوسط السـمك، يلفـه الشخـص الذي يقـوم بتنظيـف النخلة أو تلقيـحها، أو جداد العذوق، حول النخلة ومن خلف ظهره لصعود النخلة والنزول منها. وهذا الاسم يطلق عليه في منطقة نجران، وهو يقوم مقام الكر الذي يُصنع من الليف والقد في المناطق الوسطى والشرقية والشمالية.

ومما يصنـع من ليف النخـيل أيضاً المَلْـغَبه (المقـاط)، وهو حبـل متوسـط السمك، يصنع من ليف النخل ويصل طوله إلى قرابة ٤٠ متراً أحياناً، يستخدم عند جداد النخل وقطع العـذوق لإنزال العذق إلى الأرض. وهذا الاسم معروف في منطقة نجران. والمقاط يستخدم لهذا الغرض في منطقة الباحة وفي سائر مناطق المملكة الأخرى، ولكن يطلق عليه حبلْ أو مقاطْ.

وكربة الغرب أو الوصله (المَرَسَه)، وهي عبارة عن حبل سميك من الليف، سمكها بـسماكة الرشا وطولها حـوالي مترين ونصف. وتشكـل الكربة مقدمة الرشـا حيث تـربط في أعـلى الغـرب وتوصل بالـرشا وهذا الجزء يدخل مـع الغرب في المـاء، تحاشياً لدخول الرشا المصنوع من الجلد، في بعض المناطق، في الماء حـتى لا يبتل، ويتـعرض بعد ذلك للـجفاف، مما يؤدي إلـى تفككه وضعفه ثم انقطاعه. وتستخدم هذه المرسه





في المناطق الواقعة جنوب الطائف حتى عسير، أما في منطقة عسير فيستعاض عنها بنبات يسمى السَّلب. وفي المناطق الوسطى تعرف هذه الوصلة، كما أسلفنا، بكربة الغرب.

أما الشَّرَك فهو عبارة عن حبلين مصنوعين من الليف في الغالب، سماكتهما أقل قليلاً من سماكة الرِّشا، ويكونان متساويين في الطول، يربط كل طرفين في عود بنفس السماكة تقريباً، ويأخذ هذا العود شكل الزاوية المنفرجة أو شكل قوس. ويصل طول الشرك إلى نحو أربعة أمتار ويستخدم لنقل القمح أو أعواد الذرة أو الحطب بحيث يربط على القتب أو المِسَامَه؛ وهي الأداة التي تثبت على ظهر البعير أثناء تحميله بهذه الأشياء لتقي ظهره من تأثير الأحمال، ويصبح جزء من الشرك على اليمين والجزء الآخر على اليسار مطروحاً على الأرض، وتصف عليه حزم القمح أو الذرة أو الحطب، ويفصل بين الحبلين مسافة تصل إلى ٥٠سم. وبعد أن يمتلىء كل جزء من الشرك على جانبي البعير، يشد الشرك إلى الأعلى بحيث يرتفع عن الأرض ويثبت في القتب أو المسامه، ويكون الحمل في الجانبين دائماً متساوياً. ويستخدم هذا الشرك في منطقة الباحة وفي ثقيف وبني مالك، كما يستخدم في مناطق أخرى كالمناطق الوسطى والشمالية ولكنه يعرف بأسماء مختلفة مثل المقاط والمرار والعدايل. كما يصنع من الليف حبلٌ يسمى المِجْدل ويستخدم لجمع الكرب والحطب ونحوهما، وهو أصغر من الشبكة.

وتستخدم حبال الليف، بالإضافة إلى مواد أخرى، في عمل عدد من الأدوات والمصنوعات لعل من أهمها الكر وهو أداة صعود النخلة، والشِّبكَه وهي من أهم أدوات الحطابين وجامعي الحشائش والأعشاب البرية؛ والشبكة، كما يدل اسمها، عبارة عن عدد من حبال الليف المتقاطعة مع بعضها، على شكل مربع يوجد في كل ركن من أركانها الأربعة جازل، يصنع من أغصان أشجار الأثل أو غيرها، كما يوجد أربعة جوازل أخرى في منتصف الحبال الأربعة الخارجية، اثنان منهما يتصلان بحبل في منتصف الشبكة يسمى الصقاع أو العناج. وتستخدم الشبكة في حمل الحطب والأشجار والحشائش البرية حيث ترص داخل الشبكة وتربط بحبل طويل يسمى المرار بمساعدة المحاجين والصقاع. وتحمل الشبكة بعدئذٍ على ظهر الحمار أو الجمل، ويبقى أحد الرجال ممسكاً بأحد أطرافها لحفظ توازنها على ظهر الدابة.





أما المِنْبَرْ فعبارة عن كرسي للجلوس، إلا أن ارتفاعه عن الأرض لا يزيد عن ٢٠سم، له أربع قوائم من الخشب، يصل بينها أربع قطع من الخشب طول كل منها ٥٠سم، وله مسند خلفي من الخشب عرضه ٥٠سم وطوله كذلك، وقد تكون القوائم والمسند منقوشة بأشكال جميلة وقد تكون من دون نقش. وتوصل بين الخشبات الأربع حبال رفيعة من الليف، منسوجة بجوار بعض لتشكل المقعد أو مكان الجلوس على المنبر. ويدعى منبر العروس، لأنه كان في الغالب من الاشتراطات التي لا بد أن يوفرها العريس لعروسه. ويصنع النجار الهيكل الخشبي للمنبر، أما نسج الليف فيقوم به أناس متخصصون. ويوجد هذا المنبر في منطقة بني مالك والباحة وعسير، كما يوجد بمواصفات مقاربة، ولكن مع اختلاف الأسماء، في المدينة وينبع ومعظم مناطق الحجاز.

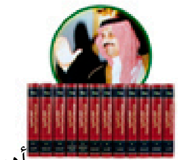
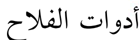
كذلك تصنع المخام (جمع مخمَّه) من الليف، وهي عبارة عن مكنسة، تتكون من مجموعة من الليف يوضع بعضها في وسط بعض، ثم تلف كما يلف الورق، ويربط أحد أطرافها بحبل دقيق، يكون ممسكاً، ويترك الطرف



صناعة الأدوات الخشبية



كرسي مضفور بالحبال


الآخر. وفي وادي الصفراء يُصنع من الليف حبال غير سميكة تنظم فيها القلائد من زهو النخيل.

**منتجات العذوق**. تسمى العذوق عسق النخل أو العراجين أو العراجد في بعض المناطق، ويعتمد عليها في صناعة بعض الأدوات، كاستخدامها بعد نقعها بالماء ودقها في عمل شبكات المناخل والغرابيل، وأيضاً في صناعة السلال والأقفاص، خاصة أجزاءها المعروفة بالصنوخ، وهي أصل العذوق وقاعدتها التي تتفرع منها شماريخ العذق. ومن الاستخدامات الأخرى للعذوق والصنوخ عمل المكانس اليدوية التي تدعى الملفاع والمبراش، والملفاع عبارة عن عذق نخلة ترص أعواده، بعد أن يؤخذ ما فيها من التمر، بعضها إلى بعض، ويربط العذق من وسطه بخيط من الليف أو غيره حتى ييبس، ويستخدم بعد ذلك لتنظيف البيوت. ويعد الملفاع المصنوع من العذوق أكثر أنواع المكانس انتشاراً في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل. وبالإضافة إلى هذا النوع هناك أنواع أخرى من الملافيع تصنع من سعف النخل، ومن بعض الأشجار الأخرى كالعرفج ونحوه. وكذلك المنسف، وهو يشبه إلى حد كبير المنسف المصنوع من سفيف الخوص، وينتج بوجه خاص في مناطق الأحساء والقطيف وما جاورها.


مناسف وقفاف





والمِبْرد ويسمى في الأحساء السُّرُود، وهو ما توضع به القهوة بعد حمسها، وهو أيضاً يشبه المبارد المصنوعة من سفيف الخوص.

وتعد عذوق النخل مادة أولية مهمة، إلى جانب الليف والخوص والصوف والجلود، لعمل الحبال بأنواعها؛ وفي ذلك يقول عبدالله بن دويرج:

أنا ياحج ما عندي بهذا غير غمر صنوخ
أسويهن حبال بين محال ودراجي

ويدل البيت على أن الصنوخ كان يعتمد عليها حتى في صناعة أكثر أنواع الحبال أهمية للمزارع، في الأزمان القديمة، ألا وهي حبال المحّال (الرشا) وحبال الدرّاج (السريح)، التي بواسطتها يرفع الماء من الآبار عن طريق الغروب والسواني.

**منتجات الجذوع**. جذوع النخل (النبوع) من المواد الأولية الأساسية، التي كان الناس في العصور الماضية، خاصة المزارعين، يستخدمونها في العديد من شؤون حياتهم سواءً بحالتها الأولية، أو كمادة خام تعتمد عليها صناعة العديد من الأدوات والمصنوعات المختلفة.

ويمكن بإيجاز شديد أن نلقي الضوء على بعض هذه الاستخدامات، التي مرت الإشارة إلى بعضها فيما سبق، على النحو التالي:

الدوامغ والأنباع (الحوامل)؛ الدوامغ جمع دامغة، الخشبتان الرئيسيتان، اللتان توضعان على زرانيق البئر وعليهما توضع الأنباع التي تحمل محّال السانية. والدوامغ، كما مر من قبل، هما عبارة عن جذعين من جذوع النخل القوية، وعادة يفضل نوع المقفزي أو الفحاحيل لأنها تتميز بمتانتها وقوتها. أما الأنباع التي تعرض على الدوامغ فعبارة عن شرائح من جذوع النخل. وعادة يشق الجذع الواحد إلى أربعة أجزاء تكون كافية لحمل محالتين، حيث تعتمد كل محالة على اثنين من الأنباع. أما الكَافَّه فهي خشبة تصل بين الزرنوقين الأماميين، وتكون على حافة اللزا مما يوالي القليب، وقد تتخذ من جذع نخلة وقد تكون غير ذلك.

وتستخدم جذوع النخل على نطاق واسع في سقوف المنازل في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل. وأكثر ما تستخدم جذوع النخل لعمل ما يعرف بالسَّاكِف أو الكاسور، وهو ما يصل بين السواري (الأعمدة) في المصابيح، لتحمل عليه الأخشاب الأخرى. يشق الجذع الواحد عادة إلى عدد من الشرائح، تكون





أربعاً في الغالب، ويعمل منها هذه السواكف ونحوها.

ويكثر استخدام الجذوع في مزارع النخيل، لعمل القناطر التي تعلو السواقي وقنوات الري للمرور عليها، خاصة في مناطق العيون كالأحساء والقطيف والمدينة وينبع وخيبر. وقد يستخدم الجذع بعد تجويفه لتربية النحل، فيوضع في كهف في الجبل وتبنى عليه حجارة ويسمى (منحلة).

وتستخدم عبّارات المياه (المريان) (احدها مري)، كذلك من جذوع



عبارة مياه (مري) من جذع نخلة

النخل، بعد شقها إلى نصفين وتفريغها من الداخل لعمل عبَّارات تجري فيها المياه. وتزداد الحاجة لعمل هذه العبَّارات في مناطق العيون التي تتقاطع فيها مجاري المياه، وتتشابك فيها الملكيات وحقوق المياه.

والميجمة، أداة تستخدم لدق الحبوب وهرسها، وهي عبارة عن قطعة من جذع النخلة يفرغ من الداخل، وقد سبق الحديث عنها في أدوات دق الحبوب.

وتعد جذوع النخل من المواد المهمة، التي تعتمد عليها صناعة بعض أنواع الأبواب في العصور الماضية. وتصنع هذه الأبواب من شرائح من لب جذوع النخلة (الشطيب) ترص إلى جانب بعضها، وتثبت بمسامير حديدية، أو بربطها باحكام بشرائح من القد الجيد. وهذا النوع من الأبواب، قد يعتمد كلياً في صنعه على شرائح الشطيب، أو قد يدخل أحياناً في صنعه ألواح من خشب الأثل أو غيره، خاصة لتشكيل إطاره الخارجي. وتتصف الأبواب المصنوعة من لب جذوع النخل، كلياً أو جزئياً، بأنها من الأبواب القوية السميكة. وهي ذات أحجام مختلفة، حسب الاستخدام وطول جذع النخلة، وغالباً ما تكون كبيرة. ويكثر استخدامها في المداخل الخارجية. أما





الأبواب الداخلية للمنزل والغرف فتصنع من خشب الأثل أو الطلح أو السدر أو الغرب ونحوها، وغالباً ما تزين بالنقوش والزخرفة، على خلاف الأبواب الخارجية.

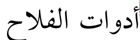
وقد كانت تستخدم جذوع النخل في الماضي، شأنها شأن أجزاء النخلة الأخرى، كالكرب والعسبان اليابسة، مادة للوقود بعد تقطيعها إلى شرائح وقطع صغيرة. كما تستخدم في دعم العقوم أو السدود لحماية المزارع من اندفاع السيول؛ أو هي قد تغرز في الأرض لصد السيول.

## المصنوعات المعتمدة على الأشجار المحلية

تشكل الأشجار التي ينميها المزارعون في حقولهم، أو التي تنمو نمواً طبيعياً في البيئة المجاورة لهم، كأشجار الأثل والسدر والطلح والزيتون والغرب والعرعر وغيرها بالإضافة إلى أشجار النخيل، مورداً أولياً مهماً كان يعتمد عليه الناس في العصور الماضية، في عمل تشكيلة كبيرة من الأدوات والمصنوعات المختلفة. فمن ذلك، الأدوات المستخدمة في الزراعة، وتضم عدداً كبيراً من الأدوات التي يستخدمها المزارع، بدءاً من أدوات السواني، وانتهاءً بالحصاد والدياس وتنقية الحب. وهي تشمل الأدوات التالية؛ أدوات السانية وعدتها، وقد سبقت الإشارة إليها، وأهمها؛ المحالة والدراجة وأعمدة الدراجة وخشبة السماح والكافة، والدوامغ والأنباع، كما تشمل أيضاً كَتَبْ الدابة ومقرن الثيران، والمحاريث الخشبية بأنواعها المختلفة، والأدوات المستخدمة في تسوية الأرض كالمدمام وغيره، وقد فصل الحديث عنها في أدوات الحراثة.

والأنصبة من الأدوات التي يستخدمها المزارعون وغيرهم، في الحفر والحرث والتسوية والحصاد ونحو ذلك. وتضم المسحاة والفاروع والقدُّوم والصلاخ والمقشعه، كما تضم المحش والعكفاء (المجرده) والمحطب والمسلا. وقد أشرنا إلى هذه الأدوات في مواضعها. وكذلك أدوات تنقية الحب ودقه مثل إطارات المنخل والغربيل، والكابون والمطبله والمهراس (المهباش). والمكاييل كالصاع والمد والنصيف والربيع، وقد سبق الحديث عنها.

كما يصنع من الأشجار المحلية الأواني والأدوات المنزلية، وأهمها أواني المطبخ وأدوات القهوة وأدوات التعليق. ومنها الصُّحَفَه أو القدح وتجمع على





صِحَـاف، وهي عبـارة عن إناء يـشبه الصحن ذى شكـل دائري، ينحت من خشب الغرب والعلب والطلح والزيتون في المـناطق الجنـوبية الغـربية، أو مـن أخشاب الأثل والسدر السميكة في سائر المناطق الأخرى. ولها جوانب ترتفع عن سـطحـها مـا بين ٥-١٠سـم، وهـي تستخدم لـتقديم الطعام حيث يكتـسب الطعام فيها نكهة طيبة. والصحاف أنواع وأحجام عديدة، منها الصغير الذي يكفي لشخصين أو ثلاثة، ومنها الكبـير الذي يسـتخدم لتـقديم الطـعام، في الموائـد والمناسبات الكبيرة. والصـحاف الكبيرة لها في العادة عروتان، وربما ثلاث تحمل بها عندما تملأ بالطعام. وتزين الصحاف في الغالب، خاصة في المناطق الجنوبية بالنقوش والزخارف، كما تطلى بالقطران من الخارج والسمن البلدي (البري) من الـداخل، قـبـل أن تـصبـح جـاهـزة للاسـتخدام. وتـعتـبر الصـحاف من مستلزمات البيت الضروريـة في المناطق الجنوبية الغربية، وهي من الأثاث المهم عند تأثيث بيت الزوجية حيث كان الرجل لا يتـزوج إلا إذا زين بـيته بـعدد مـن الصحاف قبـل الزواج. أما في المناطق الأخرى فـانتشـارها قلـيل، ويقـتصر وجودها في معظم الأحوال على بيوت ذوي الثراء.



صحفة وقدح ومشعاب

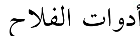




والمِيْقَعَه (الموقَعَه)، إناء خشبي مقعر ذو شكل دائري، يزين بالنقوش والزخارف، وقد يدار عليها من الخارج شريحة من القد لتمنع كسرها أو انفلاقها، والميقعة من الأواني المنتشرة على نطاق واسع في معظم المناطق خاصة في نجد، حيث كانت تقوم مكان الصحفة، التي توجد بشكل كبير في المناطق الجنوبية الغربية. وتصنع الموقعة في الغالب من أشجار الأثل، وهي أحجام مختلفة يكفي بعضها لإطعام خمسة عشر رجلاً أو أكثر. والأطعمة التي تطيب داخلها خاصة، الثريد والجريش والعصيد والقرصان. والميقعة كالصحفة تكسب الطعام نكهة خاصة ومميزة، ولذلك كانت منتشرة عند جميع السكان بمختلف طبقاتهم. ويصنع من خشب الغَرَب وعاء على هيئة نصف كرة ويسمى الكعده وتجمع فيه النساء زبد الأبقار حتى يمتلىء ثم يطبخنه ليتحول إلى السمن. كما يصنع القدحُ من خشب الأثل أو الطلح، وهو بحجم إناء الشرب ويحلب فيه اللبن ويقدم للضيوف. وتصنع المباخر أيضاً من أخشاب الأشجار المحلية كالأثل والطلح، ثم تغلف من الداخل برقائق معدنية أو تزين بالألوان المختلفة.

أما المُغْرُفَه أو المخشاقه أو الخاشوقه كما تُسمى في المدينة المنورة وما جاورها- فهي أداة تصنع من الخشب، لها قدح دائري ويد متصلة به. وهي كالمغارف الموجودة في الوقت الحاضر، تستخدم لغرف الطعام من القِدر في الميقعة أو الصحفة أو الصحن. وتصنع المغرفة في المناطق الوسطى من أشجار الأثل، أما في جنوب الحجاز وجنوب غرب المملكة فتصنع من الأشجار المتوافرة هناك خاصة الغرب والطلح. وتدعى في هذه المناطق المِنطافه أو المنطاف أو المجدح. وللمغرفة (المجدح) أحجام مختلفة، أصغرها تعرف في بعض المناطق باسم الكفشه (القفشه).

والقِنَّارَه، وتعرف في الأحساء باسم السباج، هي عبارة عن ثلاثة أعواد خشبية قوية، يتراوح طولها بين ١,٥ إلى ٢,٥ متر، يتم ربط رؤوسها معاً بواسطة حبل من الليف، عن طريق فتحات معدة لهذا الغرض في كل واحدة منها. وتُنصب القنارة ويباعد بين أرجلها الثلاث، حيث تستخدم في تعليق الأشياء بواسطة محاجين خشبية تتدلى من أعلاها. والقنارة من الأدوات المهمة، التي لا يستغنى عنها في الماضي حيث تعلق بها قرب الماء لتبرد، كما تستخدم في خض اللبن بواسطة الصميل (السقاء). وبالإضافة إلى ذلك تستخدم القنارة أيضاً في تعليق كل ما يحتاج إلى تعليق، من

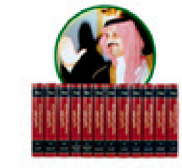

الاحتياجات والمستلزمات المنزلية المختلفة. كما تستخدم لتعليق الذبائح أثناء سلخها.

والمحاجيْـن ومفردها مِـحْجَان، أو الجوازل، ومفردها جازل، هي عبارة عن قطع خشبية من أغصان الشجر، تقطـع عند التقاء غصنين ببعضهما، بحيث يكون المحجان ذا طرفين يحز أطـولهما، عند نهايته ويربط به حبل من الليف كما يربط مع نهايته الأخرى، ويُطلق المحجان في معظم الأحيان علـى العصا نفسها التي في رأسـها محـجان، وهذه المحـاجين والجوازل، أدوات لـلتعـليـق والربط، وتدعـى معـاليقْ، تـعلق بـهـا الـقرب والصملان وما أشـبه ذلك. والمحاجين من الأدوات التي كـانت تنتشر بـشكل واسع في البيوت القديمـة، ولا يستغني عنها أي منزل.

والمُوْجَاه (نجر الخـشب)، والمهابش والنجر هي قـطعة من خشب الأثل أو غيره يحفر أعـلاها فيصبح على شكل حوض صغـير، تستخـدم لدق القهـوة والهـيل كما تـستخـدم لدق البهـارات والمساحيق وغيرها. والموجاه تشبه أدوات دق الحبوب كالمهراس والميجمة والمنحاز، ولكنها صغيرة الحجم، كما أنـها تصنع من الأخشاب. ويستخدم الرعاة محجاناً طويلاً يهشـون به الأغصان أو يميلونهـا لترعاها غنمهم. والمحجان هو المحجن.



محاجين بأحجام مختلفة

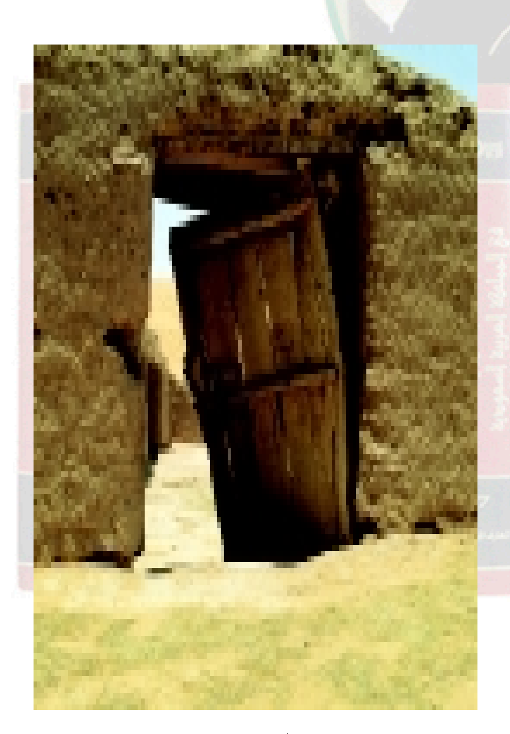




ومُبْـرد الخشب أو المـبراده وهو ما يستخدم لتبريد القهوة بعد حمسها قـبل أن تدق أو تطحـن. ويصنع هذا النوع من المبارد من خشب الأثل أو غيره ويشبه شكـله المبارد المـصنوعة مـن السفـيف وعذوق النخل التي سبقت الإشارة إليها. وبعض المبارد الخشبية قد يختلف شكله العام عن تلك المذكورة آنفاً، حيث يكون شكله مثلثاً تقريباً وله ثعبة في رأسه تفرغ منها القهوة. وقد يزين المبرد الخشبي أحياناً بـبعض الزخـارف والنقـوش المحفورة وببعض المسامير الصغيرة (القمور) متعددة الألوان.

ومن المـصنوعات والاسـتخدامات الأخرى الأبواب والدرايش (الشبابـيك) التي اعتمدت في صنعها علـى عدد من الخامات الزراعية الأولية. وهي تختلف من باب إلى آخر حسب أهمية واستخدام الأبواب ذاتهـا، وحسب ما هو متـوافر من مواد في البيئة المحيطة. وعلى الرغم مـن تعـدد هذه المـواد إلا أن أخشـاب الأشجار المحلية كالأثل والغرب والسدر والـطلـح والزيـتون، تـظل هـي المادة الأسـاسيـة لصـنع الأبـواب والنـوافذ (الدرايش)، سواءً جزئياً أو كلياً. ولقد أشرنـا سابـقاً إلـى أن بعـض الأبواب الخارجية والأبواب غير المهمة، قد تصنع من جريد النخل أو جذوعه، إلا أن هذه الأبواب قـد لا تخلـو في الغالـب من استخـدام ألواح من أخشـاب الأشجار المحلية، خاصة لعمل أطرها الخارجية. أما الأبواب الـرئيسية والمـهمة، خاصة أبـواب الغـرف الداخـلـية والمـساجـد والدكاكين ونحوها، فلا تعتمد على جريد النـخل أو جذوعه وإنمـا على أخشـاب الأشجـار الأخرى كالأثـل في المناطـق الوسطى، والغرب والزيتون والطلح في المناطق الغربية والجنوبية الغربية.

وتتميز الأبواب من هذا النوع بالقوة والمتانة، لأن ألواحها تشد بواسطة مسامير



باب قديم



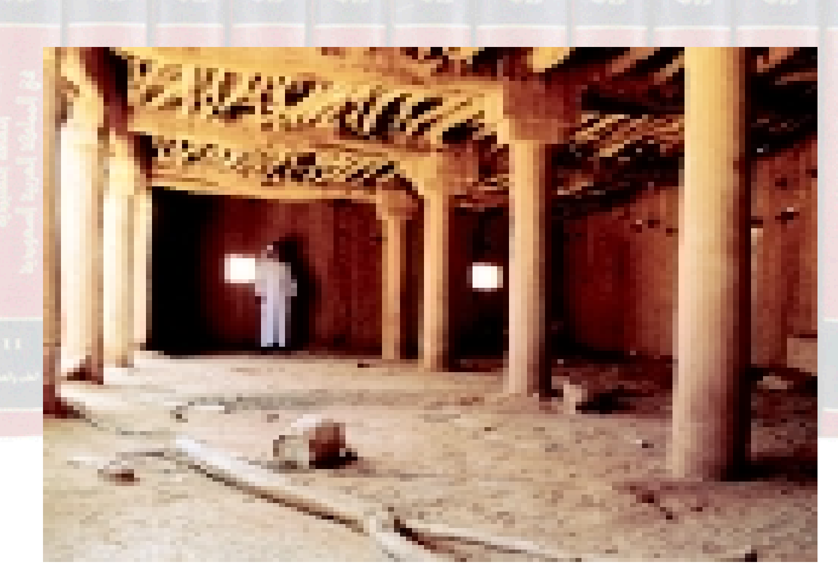


حديدية تعمل محلياً. كما أنها أدق صنعاً وأجمل شكلاً من الأبـواب الأخرى، وغالباً ما تزين بالنقوش والزخارف التي تعمل بواسطة النحـت، ثم تطلى بعدد من الألوان الجذابة.

ويدخل تحت هذا النوع من الأبواب عدد مـن الأبواب الصـغيرة، كـأبواب جصـص التـمر وكمـارات القهـاوي، الموجودة في المجالس الـقديمة، وأبواب العرزالات ونحوها. كما تعتمد على هذه الأخشاب صنـاعة النوافذ (الدرايش)، التـي كانـت توجد بـوجه خـاص في القهاوي (المجالس) والـدهاليز وقاعات البيت الرئيسية والمصابيح (الطبقة الثانية من البيت). وكانت هذه الدرايش تزين بتشكيلة من الزخارف والنقوش الجميلة، وبحلق حديدية ونحاسية، وبالعديد من القضبان الحديدية.

وبالإضافـة إلى هذه الأبواب الـتي تعتـمد في صنـعها علـى موارد البيـئة المحلـية، كانت تـوجد أبواب أخرى، خاصـة في العصـور المتأخـرة، تعرف بأبواب الساج، وهي تعمل من الخشب أيضاً ولكـنه نوع مستورد مـن الخارج؛ وهي كأبواب الأثـل أو الغرب، تنقش وتزخرف ويصـنع منها أبواب مـختلفة الأحجام. ولما كانت هذه الأبواب أعلى في تكلفتها من الأبواب الأخرى، فغالباً ما يـقتصر اسـتخدامهـا على الأماكـن المهمة، خاصة لدى الأغنياء والموسرين.

وتدخل الأخشاب، وخاصـة الأثل في عمل أسقف المساجد والبيوت.



سقف مسجد قروي من خشب الأثل





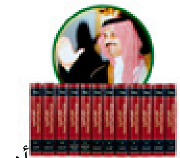
والسَّحَاره (الفاتيه)، هي عبارة عن صندوق يصنع من الأخشاب المحلية، ويكون له غطاء من جنسه وقد يكون له قفل، وبعضها يكون له أربع أرجل صغيرة من الخشب، ترفعه قليلاً عن سطح الأرض. وتزين السحارة بالزخارف والنقوش والمسامير الصغيرة الملونة (القمور). وتستخدم لحفظ ملابس النساء وأدواتهن، وكانت منتشرة على نطاق واسع في معظم أنحاء الجزيرة العربية، بل كانت تعد من المتطلبات الرئيسية لتأثيث بيت الزوجية.

وبالإضافة إلى هذا النوع من السحارات الذي يعتمد في صنعه على الأخشاب المحلية، ويعرف باسم الفاتية، هناك نوع آخر يُصنع من أخشاب الساج المستوردة من الهند، وهو أتقن صنعاً وأغلى ثمناً وأكثر جمالاً وزخرفة. ولذلك توجد الفاتية كثيراً عند متوسطي الحال ومحدودي الدخل بينما توجد سحارات الساج، التي تسمى السيسم، عند الأغنياء وذوي اليسار. وتستخدم السحارة غالباً لدى البدو عند التنقل من مكان لآخر، أما الفاتية فهي ثابتة لدى الحضر ويكون عليها نقوش وزخارف.

ومما يعمل من الخشب الطُّرْمَه وهي على هيئة صندوق تبرز من الجدار الخارجي للمنزل فوق الباب الرئيسي وبها ثقب، يطل منه صاحب المنزل ليرى عابر الطريق أو طارق الباب. وتسمى بمنطقة حائل الكاتوله ولعلها القاتوله من القتل، لأن من بالداخل ينظر من خلالها إلى



صناعة الشداد







الشداد

من بالخارج، فإن كان عدواً قتله. والشُّدَاد وهو ما يوضع على ظهر البعير وهو أنواع عدة، كالقتب والحدجة أو الحداجة والمسامة والغبيط والهودج. والمحامل الخشبية وهي توضع على ظهر البعير أيضاً، وتستخدم لحمل الحصى (الخرز) وما أشبه ذلك، من الأشياء الثقيلة كالأخشاب.

وبالإضافة إلى ما ذكر، تصنع من الأخشاب المحلية مجموعة من الأدوات المختلفة كالأوتاد والأخلة التي تثبت في جدران الغرف والمصابيح وتعلق بها الأشياء، والسُّرر والكراسي والعصي بأنواعها.

وإلى جانب الخامات العديدة المستمدة من النخلة أو الأشجار المحلية، التي كانت تشكل المورد الرئيسي الذي يعتمد عليه في صنع العديد من الأدوات والأواني والمصنوعات فإن ظروف الحياة في ذلك الوقت كانت تحتم على سكان هذه البلاد من المزارعين وغيرهم، أن يستفيدوا من كل ما تقدمه لهم بيئتهم المحلية لاستخدامه في شؤون حياتهم المختلفة.

ويكفي هنا أن نعطي مثالين فقط من استفادة الناس في ذلك الوقت من بعض الخامات والمنتجات الزراعية، ليتبين لنا مدى الارتباط بين الإنسان وبيئته وموارده، وحرصه الشديد على الاستفادة من كل ما هو متاح، وتوجيهه في كل ما يعود عليه بالفائدة.

فالتبن، وهو ما يتخلف من أوراق وسيقان محاصيل الحبوب بعد دياستها وتصفية حبوبها، فإن أوجه الاستفادة منه متعددة غير أن من أهمها بعد استخدامه علفاً للحيوانات؛ استخدامه في حشو الوسائد والمخدات والمساند والمراكي وبدود المسامة والأشدة والحداج، بجانب استخدامه في البناء حيث يخلط مع الطين ليزيد من تماسكه وقوته. ويكثر خلط التبن مع الطين بعد تخميره بالماء ليوم أو يومين في مشاش (تلييس) الجدران المبنية من اللبن أو الحجر. كما يستخدم الطين المخلوط بالتبن في سطوح المنازل، حتى يمنع تسرب المياه، وفي عمل أرضيات الغرف والمجالس والمصابيح وغيرها. ومن الاستخدامات





الأخرى لهذا النوع من الطين المخلوط بالتبن، استخدامه في بعض المناطق في تسوية وتحسين المكان المعد لدياسة الحبوب وذرايتها الذي يدعى القوع أو مكان تجميع التمور وفرزها الذي يدعى المربد.

كما استخدم القَرَع للحفظ، والقرع الذي كان يستخدم لهذا الغرض هو من نوع القرع الطويل، الذي يسمى في بعض المناطق قرع اللام، وفي مناطق أخرى الرقيبيه وهو يشبه اليقطين الذي جاء ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾. ولتحويل القرعة إلى إناء للحفظ يتم تجويفها من الداخل بإزالة لبها وحبها من فتحة في أعلاها (رقبتها)، ثم تترك حتى تجف. تحاط هذه القرعة بعدئذٍ بشبكة من الحبال تتصل بعروة في أعلاها تعلق بها في جازل يتدلى من سقف إحدى الغرف أو تعلق بالقنارة ويخض بها اللبن. وبعضهم يستخدمها لحفظ السمن أو الودك أو العسل.

ومن السدر تصنع أنابيب الغلاوين (الغليون) ذات الرؤوس الفخارية.

كما يصنع منه ومن القصب الناي والمقرون، كما يستخدم ورق السدر بعد تجفيفه وطحنه لغسل الشعر وتنظيفه.

ومن شجر الشوحط تُصنع العصي والسهام والنبال والأقواس.

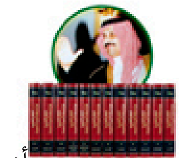
ومن لحاء الأشجار تصنع الحبال والأرشية وفتيل البنادق أم فتيل.

ومن الشجر الجيد يصنع الفحم ويتاجر به وبالأحطاب كما تتخذ الحبال من لحائها. كما تصنع الأرفف في المساجد والدور، وكذلك بعض الألعاب ووسائل الترفيه وأدوات الصيد.

ومن شجر الليمون تصنع النبابيت (جمع نبوت) وهي عصا غليظة ولكنهم يعالجونها بالماء والزيت والدهن حتى تشتد وتستخدم في المضاربات وأكثر من يستخدمها الفتيان (الفتوة).

ولما كانت العصا مهمة في حياة الناس في الماضي فإنهم يستخدمون الباكورة من الخيزران وتنتهي بانحناء دائري، والخيزرانه بدون كوع، والعصا وهي أكثر سماكة من الخيزرانة، والمطرق وهي كالخيزرانة وليس لها لدانة، والمشعاب عصا تنتهي بعكفة تقطع من بداية فرعين. والعجرة وهي عصا غليظة ولا تحمل في المجالس والطرقات ولكنها تعد للدفاع عن النفس مثل الشون أو النبوت.

ومن أعواد العرعر والحرمل والتنضب يتخذ فحم يضاف إلى ملح البارود عند تصنيعه ليكتسب لون السواد وسرعة الاشتعال.





وصناعة الجص والنورة كانتا تعتمدان على الحطب.

ومن ثمار الرمان والعصفر وشجر البشام والعرن تعمل الألوان.

أما المَدَّه فهي تشبه الحصير، ولكنها تختلف عنه في مادتها الأولية وفي طريقة صنعها (حياكتها). وتعتمد صناعة المداد على نبات عشبي طويل يسمى الأسل، ينمو في المناطق التي تكثر فيها المياه والمستنقعات كالأحساء والقطيف، حيث يوجد قرب العيون وفي مجاريها الرئيسية. ولذا فصناعة المدات توجد بوجه خاص في المنطقتين المذكورتين. ويمارس صناعة المدات أو المداد حرفيون متخصصون يتوارثون المهنة جيلاً بعد جيل. ويبدأ الحِرَفِيُّ عمله بجز (حصد) نبات الأسل ونشره في الشمس، قرب المكان الذي حصد منه ليبقى هناك حوالي ثلاثة أسابيع، ليتحول فيها لونه من الأخضر إلى الأبيض أو الأصفر الفاتح. وعندئذ يربط في حزم ويؤخذ إلى بيت الحِرَفِيّ، ليحفظ في مستودعات خاصة. ويأخذ الحِرَفِيُّ منه كل يوم بقدر حاجته، وينقعه في الماء قبل أن يشرع في حياكته. وصنع المداد (حياكتها) تشبه إلى حدٍّ كبير، حياكة النسيج، حيث يتم إدخال نباتات الأسل وسط منظومة من حبال الليف الدقيقة.

والمدات، كالحُصُر، ذات مقاسات عدة منها الصغير، الذي لا يزيد حجمه عن سجادة الصلاة الصغيرة (المصلى)، ومنها الذي يصل طوله إلى عشرة أمتار أو أكثر، وكانت تستخدم لفرش المساجد في السابق، كما تستخدم للجلوس عليها في المنازل ووضعها تحت فرش النوم ونحو ذلك.

وهكذا فإن العرض السابق لمجمل الأدوات والمصنوعات المعتمدة على الخامات والموارد الزراعية، إنما يوضح مدى أهمية هذه الخامات للمزارعين أنفسهم، ويشير أيضاً إلى مدى أهمية هذه الموارد للعديد من الحرفيين الآخرين، كالنجارين والخرازين وفتالي الحبال وصانعي الأقفاص والسلال وحائكي السفيف وغيرهم، لاعتماد حرفهم على تلك الخامات المتعددة. من جهة أخرى فإن المزارع لا يستغني عن معظم هؤلاء الحرفيين لعمل أدواته وحاجياته، كالمحَّال والدراج وحبال الليف وأنصبة المعدات المختلفة والحراث والمدمام وغيرها، ولذلك نشأت علاقة قوية بينهم وبين الفلاح، قامت على تبادل المصالح والمنافع لأن كل واحد منهم يعتمد في حرفته على الآخر.





## المصنوعات الجلدية والصوفية

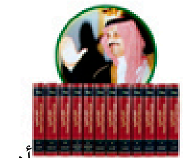
توفر حيوانات المزرعة عدداً من المواد الخام الأساسية تعتمد عليها العديد من المصنوعات والأدوات التي يحتاجها المزارع، سواء لتلبية متطلبات الزراعة أو لسد احتياجاته المنزلية الأخرى. ويمكن حصر هذه المصنوعات تبعاً للمادة الخام الداخلة في صنعها، تحت مجموعتين رئيسيتين هما: المصنوعات الجلدية والمصنوعات الصوفية.

**المصنوعات الجلدية.** تعتمد المصنوعات الجلدية في مناطق المملكة عامة على جلود الماشية من بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم)، وعلى جلود الصيد من ظباء ووعول، بل وتستعمل جلود الأرانب والضبان أحياناً في بعض المصنوعات، حيث تستخدم الأولى لعمل الأحذية في بعض بلدان نجد، وتستعمل جلود الضبان بعد دباغتها لعمل أنواع من العكك الصغيرة لحفظ السمن تسمى ضبيه.

والمصنوعات المعتمدة على الجلود من الأدوات الضرورية لسائر الناس في العصور الماضية، فالفلاح يعتبرها من ضرورياته الملحة لاستعمالها في صنع غروب الماء، وغير الفلاحين لا يستغنون عنها لعمل تشكيلة كبيرة من الأدوات، كالقرب والصملان والعكك ونحوها. ومهنة دباغة وتشكيل وخرازة الجلود مهنة قد يزاولها الرجل والمرأة. فإن كانت المصنوعات المطلوبة من متطلبات الأسرة فإن المرأة تقوم بها لعمل ما تحتاجه من أغراض، خاصة القرب والصملان. أما الإنتاج على نطاق واسع فيتولاه رجال متخصصون في أعمال الدباغة والخرازة، يمتهنون هذه الحرفة كمهنة أساسية أو ثانوية.

ويبدأ الخراز عمله بغمس الجلود المنتقاة في أحواض ملأى بالتمار، وهو عبارة عن حبوب ذرة أو شعير مجروشة ومخمرة بالماء، أو التمر المطبوخ طبخاً خفيفاً. وتظل الجلود في هذه المواد المتخمرة لمدة أسبوع أو أكثر حتى تتشبع من المواد المتخمرة في التمار. وتخرج الجلود من التمار وينزع عنها صوفها وتنظف وتجفف ثم تنقل لأحواض أخرى ملأى بالدباغ، حيث تترك لمدة أربعة أيام ويتم تقليبها بين الحين والآخر حتى تتشرب الدباغ، ثم تخرج منه وتنشف وتدهن بالودك (الشحم المذاب) لتصبح ناعمة قابلة للاستعمال.

وتختلف المواد المستخدمة في دباغة الجلود حيث يعطي كل نوع منها للجلد المدبوغ لوناً ورائحة مميزة وطراوة





ملموسة. ومن أشهر ما يستخدم في دباغة الجلود غصون وأوراق شجر الأرطى والمعروفة في بعض مناطق الأحساء بالدباغ، والجلود المدبوغة فيه تأخذ اللون الأحمر الفاتح. وكذلك نباتات العرن وهي أشجار جبلية لها وريقات صغيرة والجلود المدبوغة فيها تأخذ اللون الأحمر القاني.

ومن المواد المستخدمة في الدباغة ثمر شجر الأثل (الكِرْمع)، وأغصان نبات العاقول، وهو نبات شوكي ينبت بكثرة في السباخ وداخل الحقول. وتستخدم نباتات الشث لدباغة الجلود في المناطق الجنوبية الغربية، كما يستخدم قشر الرمان للغرض نفسه. كما أن هناك العديد من النباتات والحشائش التي تستخدم للدباغة وتختلف من منطقة إلى أخرى.

ويحرص الجزار على سلامة الجلود من الثقوب ونظافة الجلد عند السلخ من اللحم الملتصق به، لأن ذلك يعيق عملية الدباغة. ثم يفرد الجلد ويوضع داخله ملح أو ورق حماط أو تبن مجفف ومطحون وذلك لامتصاص الماء وإذابة الشحوم من الجلد.

ثم يغمر في إناء فخاري أو غير فخاري أو حوض مليء بالماء الممزوج ببعض أوراق الشجر كالشث، ويبقى الجلد فترة أسبوع يقلب كل يوم عدة مرات فيتساقط الشعر وتزول الرائحة.

ثم يخرج من الغمر وينظف ويدهن بالشحوم وينظف من العوالق ويعرّض للشمس ثم يدهن بالسمن أو الزبدة لِيَلين وتُزال منه البشرة وهي النتوءات الداخلية. ويغمر بعد ذلك في ماء العرن، وهو نبات جبلي قصير السيقان تؤخذ جذوره وأخشابه فتدق وتطبخ ولها مرارة ثم تصفى لتوضع على الأدم (جمع أديم وهو جلد الأنعام)، وبعد أن يتشرب الجلد بالعرن يكتسب رائحة طيبة، فإن كان يُعد لحفظ الماء كالغرب والبدار والدلاء ترك بها الماء يوماً أو يومين ثم أفرغ وهكذا حتى يتخلص من مرارة العرن ثم يستخدم، وإن كان لا يستخدم للماء كالعياب والحساكل والجربان (جمع جراب) وغيرها جفف واستعمل. على أن القرب يتغير طعم الماء بها بعد فترة من استخدامها لذلك يعمدون إلى غمرها في ماء العرن مرة أخرى أو ماء البشام لتزول ملوحتها وتتجدد جودتها.

وبعد أن تدبغ الجلود وتدهن بالودك، يبدأ الخراز تشكيلها وخرازتها لعمل ما يريد من أدوات ومصنوعات مثل الدلو ويصنع من جلود الماعز أو الثيران أو الجمال، وهو وعاء شكله نصف بيضاوي



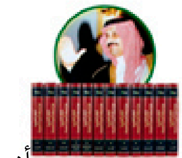


يُسمى القلص، يثبت في أعلاه خشبتان متقاطعتان تسـميان العرقاة، يربط بهما حبل الدلو. ويستخدم الدلو كالغرب في رفع الماء من الآبار، ولكنه يختلف عنه بأن له حبلاً واحداً يحـمله، ولذلك لا يتدفق الماء منه تـلقائياً عندما يصل إلى رأس البئر بل لا بد أن يقف رجل هناك ليتلقفه ويفرغ ما فـيه. ورفع الدلاء من الآبـار (الزعـب) قد تـسـتخـدم فـيه الحيوانات، وقد يكون بسواعد الرجال. وفي حين يكون استخدام الغرب قاصراً على الفلاحين، فإن الدلو يستخدم غالباً من قـبل سكان الـبادية. وفي عـصور متأخرة نسبياً أصبح الدلو يصنع من الربَل بدلاً من الجلود. وهناك نوع من الدلاء يصنع من جلود الإبل وهو أكبر حجماً من الدلاء العادية ويعرف بالقَلَص.

أما القِرْبَـه فتصنع من جلـود الماعز والضأن وتسـتخدم لنقل الماء وتبـريده. وهي عبـارة عن جلد كامل يـخرز من قاعدته وتصر أو تخرز مكان أيدي الشاة وأرجلها ويبقى مكان رقبتها فماً للقربة. ويختار لصناعتها عادة أكبر جلود الماعز والضـأن بشـرط أن يكـون خاليـاً من الثـقوب. والقربـة قد تعـمل بواسطـة النساء، وقـد يؤخذ الجلد للـخراز بعد دباغته ليتولى خرازته وتصنيعه. ويكون للقربة حبل من الليف ملفوف عليه بعض الخِرَق يصل بـين رجليها ويديها. وقـد يكونان حبلين يصل كل واحد منهما بين



القربة





كل يد ورجل على حده. وتستخدم النساء هذه الحبال لتعليق القربة على أكتافهن عند حملها لنقل الماء من البئر إلى المنزل، وقد تحمل القرب على ظهور الحيوانات إذا كان البئر (المروى) بعيداً. وفي بعض المناطق لا تُستخدم حبال الليف في حمل القرب، إنما يُستخدم المجدول والمحقبه، وهما مصنوعان من الصوف.

ويستخدم بعض القرب لتبريد الماء في الصيف، وأفضلها للتبريد ما مضى على صنعه عدة سنوات حتى جف وأصبح قاسياً ويعرف هذا النوع بالشَّنَّه. وتعلق قِرَب التبريد إما بمعاليق مثبتة على الجدران أو بواسطة محاجين (جوازل) تتدلى إما من سقف البيت أو من القنارة. وتكون في كل بيت عادة سقيفة صغيرة، غالباً ما تكون عند مدخل المنزل وفي مكان يطرقه الهواء باستمرار، تعلق فيه القرب، ويكون إلى جانبها أقداح ومساقي (جمع مسقى) للشرب تسمى واحدتها طاسة وهي مصنوعة في الغالب من النحاس الأحمر. والقربة معروفة باسمها واستخداماتها في مختلف مناطق المملكة، غير أنها تعرف أحياناً بأسماء أخرى كما هو الحال في نجران حيث يطلق عليها الغَرْب.

والصِّمِيل أو الشِكْوه (السقاء) أو البدره، وعاء يشبه القربة تماماً، ولكنه أصغر منها حجماً لأنه يصنع من جلود صغار الغنم أو الماعز، وقد لا يحتاج إلى خرازة فيكتفى بربط (صَرّ) قاعدة الجلد وكذا فتحات الأيدي والأرجل؛ يقول الشاعر:

سقى الله سقى الله من سقاني وانا ظمیان
وعلق لي البدره على الدرب واسقاني

ويستخدم الصميل لخض اللبن الرائب، إما على الأرجل مباشرة أو بتعليقه في القنارة أو محجان يتدلى من سقف المنزل. ويُملأ السقاء إلى منتصفه تقريباً باللبن ثم يرفعون السقاء إلى أعلى مفتوحاً ومجوف النصف الأعلى منه بشد يدّى السقاء، فيمتليء بالهواء ثم يحكم ربطه في حالة انتفاخه، فيحتفظ بهذا الانتفاخ، ويهز هذا الصميل حتى يصبح اللبن جاهزاً. وعندئذ يستخرج الزبد ويبقى اللبن في الصميل معلقاً في إحدى زوايا المنزل ليستهلك خلال اليوم، وتكرر العملية في اليوم التالي. وغالباً ما يقوم بهذا العمل النساء الكبيرات في السن في الصباح الباكر.

ويستخدم الصميل أيضاً من قبل الرعاة والمسافرين لنقل الماء وتبريده؛ وفي هذا المعنى يقول عبدالله بن سبيل:







صميل (سعن)

لا تـاخذ الـدنيـا خراص وهـقوات
يقـطعك مـن نقـل الصمـيل البـراد

ويقول عبدالله اللويحان:

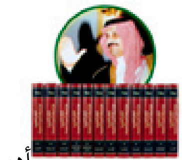
تغير الما القـراح اللي بوسط الصميل
خلان مـا عاد تقبـل شوف خـلانها

ويعرف هذا النوع من الصملان في بعض المناطق، خـاصة المناطق الجنوبية الغربية باسم (السُّعن).

هذا بـالإضافـة إلى أدوات أخـرى تصنـع من الجلود مـثل (المِرْوَب) وهو صميل كبير يستخدم لترويب الحليب قبل خضه، ويوضع في مكان دافىء في فصل الشتاء وبارد في فصل الصيف حتى يروب الحليب فيه.

والعُـكَّه وهـي وعاء صـغير يـشبـه الصميـل، يصنع عادة من جلـود صغار الماعز أو الضأن، ويستخدم لحفظ السمن. وهناك نوع من العكـاك يصنع من جلود الضبان، خاصة في نجـد وهو أصغرها– كما أسلفنا. وتدهن العكة بالدبس أو التمر المطبوخ (الرُّب) قـبل وضع السمن فيهـا حتى يمنعهـا من النَّضح. والنِّحْو ويشبـه العكة في الشكل والاستخدام ولكنه أكبر منها حجماً. والمِكْرَش وهو وعاء من الجلد يحفظ به الزبد بعد أخذه من الصميل بعد خضه. والرَّاوِيَه وتصنع من جلود الإبل، وهي تشبه القِربة ولكنها أكبر منها حجماً، كما أنها مربعة الشكل في الغالب. ويكون للراوية رقبة في أعلاها وعروتان عن يمينها وشمالها تستخدمان لحملها. وتقوم الراوية مكان القربة فـي نقل الماء من مكان إلى آخر، خاصة لدى البادية، ولكنها لا تصلح لتبريد الماء. والعَيْبَه وتصنع أيضاً من جلود الإبل، وتكون مربعة الشكل ذات عروتين ويودع فيها التمر خاصة، وسائر الأطعمة بشكل عام. وقد سبق الحديث عنها.

والحوض ويعد من أكبر المصنـوعات التي تتخـذ من جلد البعير، وهو عـبارة عن وعاء كبير قد يستخدم في صنعه عدة جلود حيث تخرز مع بعضها وتثبت على قوائم خـشبية تحملـه قربَ البئر. ويعـبأ الحوض بالماء لـترد إليه الإبل والبـهائم. كما يُصنع من جلد رقبة البعير وعاء يسمى الركوه في بلاد غامد وزهران يـقوم مقام الإبريق الحديث إذ له فم يدخل منه المـاء عنـد التعـبئـة، وآخر يخـرج منه عـند





الاستعمال وهو أصغر من سابقه وله عروة تساعد على حمله، ولإحكام خروج الماء بقدر عند الوضوء فقد يستخدم عظم الغنم المجوف كماسورة.

والجَاعَد ويصنع من جلود الضأن والماعز، وهو أنواع عدة، بعضها يدبغ ويزال ما به من صوف يلبس على شكل صدرية يتوقى بها المحتطِب والحشّاش. ومنها ما يفترش على ظهر المطية كالنطوع (جمع نطع) والميارك (جمع ميركه)، والبدود جمع بَدّ وهو أحد الأجزاء التي توضع فوقها خشبة المسامة أو الشداد، وتكون، عادة، مقسمة إلى أربعة أقسام متساوية وتوضع على ظهر الجمل يقسمها سنامه وتحشى بالتبن، ومن الجواعد، جاعد الطفل الذي يوضع تحته ليمنع تسرب بوله.

ومن الجواعد ما يدبغ من دون أن يزال صوفه، ويختار عادة من جلود الضأن كبيرة الحجم غزيرة الصوف ويستخدم كفراش للجلوس عليه خاصة في فصل الشتاء لأنه يعطي الدفء للجالس عليه. كما يستخدم هذا النوع أيضاً ليفرش على شداد البعير أثناء الركوب.

أما الرّكْوَه فهي بمثابة سرير لنوم الطفل، ولكنها مصنوعة من الجلد بعد دبغه حتى يصبح ناعماً. طولها في حدود المتر وعرضها أقل من ذلك. يثبت من طرفيها عصوان يربط بطرفي كل عصا حبل، وهي مفتوحة تبسط على الأرض ويفرش عليها فراش صغير ناعم، ويوضع الطفل بداخلها لتضم أطرافها العليا. وبطبيعة الحال تكون مفتوحة من أعلاها، وتعلق في أحد أجزاء البيت وتهز حتى ينام الطفل. وتسمى في بعض المناطق المِيْزَب كما في الأفلاج والمناطق المجاورة. وتستخدم الركوة لحمل الطفل من مكان لآخر.

وتعتبر الجلود، خاصة جلود الإبل، من المواد الأساسية التي تصنع منها الحبال المتنوعة، والشرائح الجلدية (القد) التي تستخدم في ربط العديد من المصنوعات الخشبية وتقويتها كالمحال والأبواب والمواقع وغيرها. ومن أهم أنواع الحبال المصنوعة من الجلود حبل السريح (المقاط)، وهو أحد الحبلين اللذين يحملان الغرب عند رفعه من البئر.

أما الجلمد، وهو العصب الأصغر برقبة البعير، فهو يسرح ويلف ثم يُترك حتى يجف. وعند الحاجة إليه يُخلط قليل من الطين ويدفن فيه الجلمد لمدة يوم أو يومين، وخلال هذه الفترة يسقى بالماء من فترة لأخرى حتى يلين. ويستخدم الجلمد في «وسر» الأشياء ذات القيمة كالبنادق مثلاً، وذلك لجماله وقوته، وهو أفضل من القِد.





وبالإضافة إلى ما سبق بيانه تستخدم الجلود في العديد من المصنوعات الأخرى، كالأحذية (النعال) والبريم (المحزم) وخباء البندقية والدُّف الذي تستخدمه النساء للطبل عليه في مناسبات الزواج والأعياد وغيرها. والطبول أو الدماميم التي يستخدمها الرجال في العرضة والسامري.

ويصنع من الجلود وبخاصة وادي الصفراء وما حوله الحسكل وهو وعاء لحمل النقود وما خف حمله ويزان بالخرز والنقوش والسيور وهو يشبه شكلاً مِنطقة المسدس حيث يشد بمجدول من السيور يسمح بتمنطقه بحيث يتدلى الحسكل تحت الإبط الأيسر ومرتكزاً حزامه أو مجدوله على الكتف الأيمن.

والميسب وهو يشبه العكة ولكنه أكبر منها ويستخدم لحفظ العسل.

والسماط وهو وعاء يحمل فيه المسافرون متاعهم، وهو نوعان.



عيبة

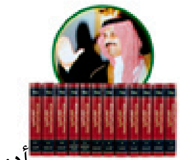
والقذه وهي تنورة من السيور تلبسها البنات قديماً خاصة من كن دون العاشرة من العمر.

والجراب وهو وعاء تحفظ فيه الحبوب والتمور والدقيق.

والحقو أو النسعة وهو حزام من السيور للرجال إما خارج ثيابهم أو تحتها.



جراب





والنطع ويستخدم لجمع الدقيق حيث يوضع تحت الرحى.

والقبيل وهو وعاء أكبر من السماط يحمل على الظهر وقد يقرن القبيلان على الماشية فيصبحان كالخرج.

ويصنع من الجلود مجموعة أخرى من الحقائب والأوعية تستخدم لحمل المال والبن والفناجين وغيرها من الأشياء الخفيفة، كما يصنع من السيور عديد من الأشكال لكثير من الأغراض، والجلود والسيور يمكن تلوينها واستخدامها في أغراض زينة المصنوعات الجلدية.

**المصنوعات الصوفية**. تستخدم أصواف الأغنام ووبر الإبل في حياكة العديد من المنسوجات والملابس والفرش. وتعتبر حياكتها من الهوايات المحببة لنساء البادية؛ تماماً كصناعة السفيف بالنسبة لنساء الفلاحين. وقد تمارس الحياكة أيضاً بعض نساء الفلاحين، كما تعد حرفة رئيسية يمارسها بعض الرجال في بعض المناطق. ومن أهم المصنوعات المعتمدة على الصوف والوبر الجُبَّة أو البِيدي، وتحاك من أصواف الضأن. وقد تكون ملونة إما نتيجة للصبغ أو نتيجة لألوان أصواف الضأن الطبيعية. فتكون حمراء مائلة إلى الأحمر الداكن، أو بيضاء. وهي طويلة تصل إلى القدمين بالنسبة للرجال، وقصيرة تصل إلى منتصف الجسم للنساء. وهي مفتوحة من الأمام، ولها فتحتان تسميان الكُمَّان، يدخل الرجل يداً في كل فتحة. والجبة شبيهة بالبشت في وقتنا الحاضر، إلا أنها ثقيلة الوزن، وتستخدم في الشتاء غالباً داخل المنزل أو خارجه. وتحلّى بخيوط ملونة ومتناسقة وجميلة النقش في جانبي الفتحة الأمامية وعلى امتداد الأكمام وحول فتحاتها التي يلحق بها كتل ملونة، ونسيج البيدي تقوم به النساء أما تزيينه بالنقش فمهمة يتولاها رجال متخصصون.

والفَرْوه، كالبيدي تلبس فوق الثياب، ولكنها أخف وزناً من البيدي، لأن ظاهرها من القماش، أما باطنها (فروتها) فعبارة عن قطع من صوف الغنم. وتصنع من الصوف تشكيلة كبيرة من الملابس، منها مشالح الرجال وعباءات النساء والجوارب الصوفية والقبعات وغيرها. وكذلك البُسط والمفروشات، وتضم عدة أنواع تتفاوت في حجمها ودقة صنعها واستخداماتها وأهمها السَّاحه (جمعها سِّياح)، وهي بساط منسوج من وبر الإبل الأشقر، تزين، عادة، بخيوط من جنسها ملونة بمختلف الألوان، تصنع منها نقوش وأشكال بديعة. وتستخدم السِّياح مفارش في مجالس الرجال وغرف النساء، كما تعلق أحياناً على الجدران للزينة. والفِلِيج



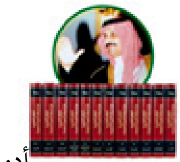


وهي تشبه السَّاحة ولكـنها أسمك منها وأكثر متانة. والشَّمْلَه وهي فراش يصنع من شعر الماعز بعـد غزله، يصل طوله أحياناً إلى أكثر من خمسة أمتار وعرضه ما بين مترين إلى ثلاثة، وتسـتخدم في المناطق الجنوبية الغربية.

أما في المناطق الوسطى فتطلق الشمله (المنثر)؛ وهو ما يسمى في منطقة حائل الشنيف، على قطعة منسوجة (مسدوة) من شعر الماعز أو صوف الضأن، عرضها متر وطولها متران، وفي نهايتيها عروتان في إحداهما حبل (مرار)، يستخدم في رد بعضها على بعض بعد وضع الأعلاف (الحشيـش) فيها، وقد تسـتخدم فراشاً وغطاءً عند الضرورة. والبسط الصوفية، وهي تشبه السَّاحة في شكلها واستخدامها ونقوشها، غير أنها تصنع من الصوف. ومن هذا النوع من البسط ما يعرف في المناطق الجنوبية باسم العَبَاة، وهي تشبه الشملة في هذه المناطق، ولكنها أقل طولاً كما أنها تصنع من صوف الأغنام، وتنتهي أطرافها بكتل مدلاة، وتستخدمها النساء على فراش النوم فقط وتسمى واحـدتها لحافاً (جـمعها لحف). وقد كـانت من المتطلبات الرئيسية لفرش بيت الزوجية.

ومن هذا النوع من الـبسط السوداء أو العدول (مفردها عِدْل)، ما تفرش في بيوت الشعر أو تستعمل كفرش داخلي، ومنـها ما يـصنع من الـصوف النـاعم ويستخدم أغطية. والعدول أكياس كبيرة من الـصوف أو الوبر تـستخدم لحـمل الأشيـاء ولا تسـتخـدم للـفرش، ولا للأغطية إلا في حالات الضرورة ولعدم توافر غيرها من الأغـطية. ومن اسمها يستدل على أنها توضع على ظهر البعير من الجانبين ليتعادل بعضها مع بعض.

أما الخِرْج فيصنع من الصوف أو الوبر ويوضع على ظهر المطية (الذلول) لتزيينها ولذا فهو مزين بالنقوش والألوان المتعددة والكتْل المتدلية من جانبيه. وهناك خرج آخر يستخدم للحمار منسوج من الصوف ومحـلى بالنـقوش في أعلـى صِفنتـيه (مفردها صِفْـنه، تقول صِفنة الخرج). والمِزْوِدَه وهي نسيج من الصوف يستخدم لحمل الأغراض أثناء السفر على ظهور الإبل، وهي من المستلزمـات الضرورية للمسـافر في العصور المـاضية. وتزين المـزودة عادة بـالـنـقوش والـزخـارف والألوان، كما تحاط فـتحتها من أعلى في بـعض الأحـوال بإطار جـلدي بـه حلقات تـدخل ببعضهـا وتنتهي بقـفل وتسمى المقفله أو المقفليه لأنها ذات قفل تقفل به عندما توضع فيها أشياء ثمينة. وهذا النوع الأخير يعتبر بمثابة حقيبة السفر





أو الخزانة لنساء البادية. وأخيراً بيوت الشعر، وهي معروفة وتصنعها النساء في البادية وتسمى المتوبكه.

وهكذا فإن مجمل ما ذكر عن المصنوعات المختلفة المعتمدة على جلود الحيوانات وأصوافها وأشعارها وأوبارها، يوضح مدى الاهتمام الكبير الذي كان يوليه الأولون للاستفادة من الموارد المحلية المتاحة. فقد استفادوا من الموارد الحيوانية، كما استفادوا من الموارد والخامات الزراعية المختلفة لتلبية جميع احتياجاتهم، سواء ما يتعلق منها بمسكنهم أو ملبسهم أو معيشتهم أو أدواتهم المختلفة.

وفي وادي الصفراء وما حولها، وهي منطقة غير رعوية كنجد ويقل فيها استخدام الصوف، يصنعون من الصوف؛ المجدول وهو حبل مبروم ملون تحمل به القرب والسماطات ويسمى كذلك المعصم.

والمحقبه وهي حبل غير مبروم ويندر تلوينه وتحمل به القرب أيضاً.

والريق وهو حبل تربط به السخال.

والحزام وتتمنطق به الفتيات قبل الزواج مزيناً بالخرز الصغير والتل.

والقذه وهي تنورة للبنات الصغيرات تتكون من خيوط من الصوف كقذة السيور.

والصوف أو نسيج الصوف يؤخذ من الضأن، كما يؤخذ الوبر من الإبل، والشعر من الماعز، ويضاف العهن وهو أنعم هذه الأنواع وأقبلها للتلوين إلى الصوف والوبر والشعر فيساعد في تماسك النسيج.

أما التلوين للأصواف والجلود فإن أهل البادية يستخدمون الصدأ في التلوين وذلك بوضع الحديد والصوف والجلود في الماء حسب اللون المستهدف. ويدخل في أعمال النسيج (السدو) وأدواته. وأيضاً مواسم جز الصوف وتخزينه وتنظيفه والمغازل ونحوها.

ومن الصوف تنسج الصفنه وتشبه المزودة وتعلق على جدران الغرف للزينة ولتخزين الحاجات الخفيفة، والصفنة نوعان ملون وغير ملون. وتنسج من الصوف زينة الذلول من المقود والسرج ونحوها. وتصنع من خيوط الأصواف كرة اللعب.

## الحرف المساندة لمهنة الزراعة

لا شك أن المزارع التقليدي كان يحتاج إلى العديد من الأدوات الزراعية التي يستخدمها سواء في الحراثة أو الري أو الحصاد أو الدياس أو عمليات حفر وبناء الآبار. وكان العديد من هذه



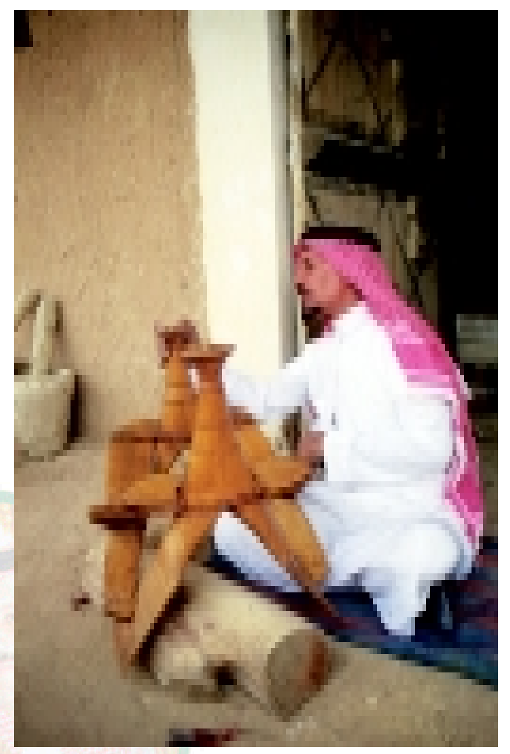


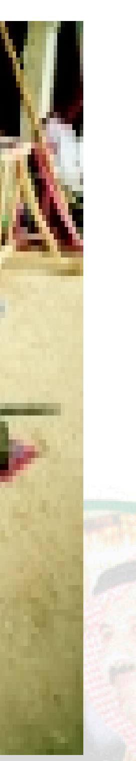
الأدوات الزراعية يحتاج إلى صناعة متقنة، ولم يكن لدى الغالبية العظمى من المزارعين القدرة على صناعة معظم تلك الأدوات الزراعية. قد يكون لدى بعضهم القدرة على صنع بعض الأدوات بإتقان، كأن يكون المزارع نجاراً مثلاً، وقد يقوم بعضهم بصناعة أدوات بسيطة ليس فيها تعقيد ولا تحتاج إلى مهارة خاصة. وعلى هذا الأساس نشأ العديد من الحرف التي يعمل فيها أناس متخصصون، وتلبي كل احتياجات المزارع من الأدوات الزراعية. وحتم هذا الوضع وجود علاقة بين المزارعين وبين مجموعة من الحرفيين؛ وسنورد فيما يلي عدداً من الحرف، وما تقدمه كل حرفة من خدمات للمزارعين وكيفية التعامل بين المزارعين والحرفيين، فيما يتعلق بتبادل السلع والخدمات.

كان النجار مثلاً يقدم خدمة كبيرة للمزارع، من خلال ما يصنعه من أدوات تستخدم في كل العمليات الزراعية. ومن هذا المنطلق تكاد لا تخلو الكثير من القرى، من نجار واحد على الأقل، وهذا يعني أن النجار قد يمتهن الزراعة إلى جانب النجارة، إلا أن النجارين يختلفون في مدى اتخاذ النجارة حرفة أساسية ووحيدة، أو حرفة ملازمة للزراعة أو امتهانها كحرفة ثانوية. وتخضع طبيعة الاحتراف لمدى ما يملكه النجار من أراض زراعية. فإذا كانت لديه مساحات كبيرة فإن امتهانه لحرفة النجارة يكون محدوداً، بحيث يقتصر على صنع أدواته الزراعية وما يحتاج إليه منزله وقد يقوم بإصلاح بعض الأدوات الزراعية لبعض المزارعين في قريته، وفي الغالب يكون ذلك دون مقابل ومن باب التعاون. أما النجارون الذين لديهم مساحات زراعية محدودة أو لا توجد لديهم مزارع على الإطلاق، فإنهم يتخذون النجارة حرفة أساسية، ويسعون دائماً لشراء الأشجار أو قطعها من أماكن مخصصة والعمل على تصنيعها، ومن ثم بيعها سواء للمزارعين في القرية، أو الذهاب بها إلى السوق. ومن المتعارف عليه أن النجار يتقاضى في الغالب أجره نقداً، إذا قام بعمل أدوات يطلبها المزارع، وكذلك يتقاضى قيمتها نقداً، عندما يبيعها في السوق؛ والسبب في ذلك أن النجار يحتاج إلى شراء بعض الأخشاب، ولذلك لا بد من الدفع له نقداً. إلا أن ذلك لم يمنع بعض المزارعين من التعامل مع نجارين بصفة دائمة للحصول على أدواتهم، وإصلاح ما عطب منها، مقابل مقدار معين ومتفق عليه من الإنتاج سواء كان حبوباً أو تمراً.









النجارة

وهذا الأمر كان شائعاً وموجوداً في كل مناطق المملكة، بحيث يكون لهذا المزارع الأولوية عند الشراء، وعند إصلاح الأداة خاصة، لإن الدراج أو المحال أو المحراث عندما ينكسر فإنه يحتاج إلى بديل أو إصلاح سريع، ولا يتم هذا إلا إذا كان هناك نجار، يتم التعامل معه باستمرار من قبل المزارع. وكان النجار يتولى صناعة العديد من الأدوات، مثل المَحّاله والدَّرَّاجه وأنصبة المَحاش والشريم والسكاكين وعراقي الغرب والنُبُوع أو السُهْمان والمِحْرَاث أو الجَارَة وعصِي المَساحي والفُؤوس والفَوارِع والقَدُوم والمَضْمَده أو المِقْرَنه والقَتَب والوَقَل والجَوَازل ومِسَامَة الجمل والمَدْمَسه والمِدْمَام أو المْكَمَّه والمِقْصَب أو المِجْنَب.

ولا يستغني الفلاح عن الحداد أو الصانع، وكانت أعداد الحدادين محدودة، بعكس أعداد النجارين. والسبب في ذلك أن الحدادين أو الصناع كانوا في الغالب، لا يملكون أراضي زراعية، وبالتالي يقتصر وجودهم على بعض القرى والبلدان، بل إن الغالبية منهم، خاصة في المناطق الجنوبية الغربية، لم يكن لديهم مساكن





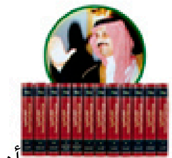
ثابتة في القرى، حيث كانوا يتجولون من قرية إلى أخرى. فقد يستقر الحداد في القرية موسماً زراعياً أو سنة، وقد تطول به المدة لعدة سنين، حسب ارتياحه للمكان الذي ينزل فيه، ومنهم المستقرون في بلدانهم ولهم مزارع وبساتين. وكان الصانع عندما يأتي إلى القرية، يُبدي أحد السكان، عادة، استعداده لإسكانه، ويتم ذلك في الغالب من قبل الأسر المقتدرة، التي تملك بيتاً واسعاً يمكن تخصيص جزء منه محل إقامة للحداد، وغالباً يكون ذلك من دون مقابل. إلا أن الحداد في هذه الحالة يقوم بإصلاح كل أدوات المزارع، الذي ينزل في بيته، وصناعة أي أدوات جديدة دون مقابل نقدي أو عيني.

يقوم الصانع أو الحداد بعد أن يستقر في قرية معينة، بالتجوال في مجموعة من القرى المجاورة لمحل إقامته، ويخبر أهلها بمكان وجوده ويجري معهم اتفاقيات غير مكتوبة لإصلاح أدواتهم الحديدية، بكل أنواعها مقابل مقدار معين من الثمرة. وإذا أراد مزارع أن يشتري أداة حديدية جديدة فإنه في هذه الحالة يدفع نقداً أو مقداراً من الحبوب، وفي نهاية الموسم يتجمع لدى الحداد مقدار من الحبوب، تزيد عن حاجته فيبيعها، للحصول على ما يحتاجه من حديد لصناعة الأدوات.

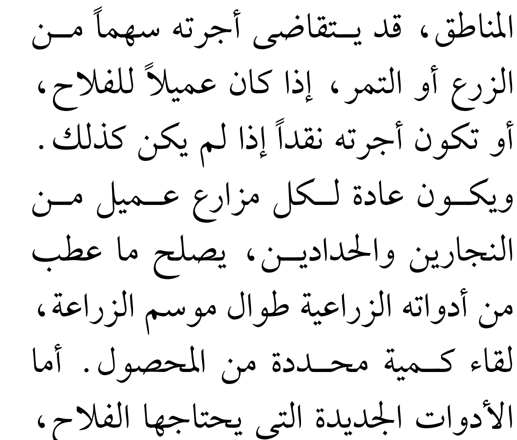
وعندما يربي الحداد بقرة أو عدداً محدوداً من الأغنام، فإن كل مزارع في القرية، وربما قرى أخرى مجاورة، يحدد له مساحة محدودة قد تكون مترين في مترين، مزروعة برسيماً يقوم بحشها حسب الاحتياج، فكل مزارع، خاصة في المناطق الزراعية الواقعة على الأودية التي تعتمد على الري من الآبار، لا بد أن يخصص له مساحة محدودة، قد تصل إلى ٤٠٠م٢، يزرعها برسيماً.

كما يحصل الحداد على حاجته من الأعلاف عند الحصاد، سواء حصاد الذرة أو القمح والشعير. ويقوم بتخزينها مع مخزون المزارع الذي ينزل ببيته، وقد يُسمح للحداد أو الصانع ببناء منزل خاص به، ويظل مستوطناً بالقرية إذا رغب الإقامة فيها، وهذا غالباً يحدث بعد إقامته أكثر من خمس سنوات.

وإذا كان هذا هو الحال في المناطق الجنوبية الغربية، فإن طبيعة معيشة الحداد في المناطق الأخرى، خاصة المناطق الوسطى والشرقية، تختلف سواء في نوع إقامته أو أجرته. ففي هذه المناطق يغلب أن يكون الحداد كالنجار، أحد سكان القرية الدائمين وتكون لديه مزرعة أو بستان، ويمارس مهنته خدمةً للمزارعين وغيرهم. وهو، كالنجار في هذه

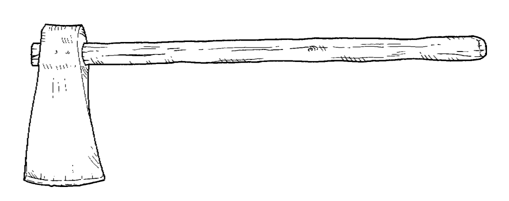






المناطق، قد يتقاضى أجرته سهماً من الزرع أو التمر، إذا كان عميلاً للفلاح، أو تكون أجرته نقداً إذا لم يكن كذلك. ويكون عادة لكل مزارع عميل من النجارين والحدادين، يصلح ما عطب من أدواته الزراعية طوال موسم الزراعة، لقاء كمية محددة من المحصول. أما الأدوات الجديدة التي يحتاجها الفلاح، فعادة لا تدخل في هذا الاتفاق وعلى المزارع أن يدفع ثمنها إما نقداً أو كمية إضافية من المحصول.

ويصنع الحداد العديد من الأدوات الزراعية، مثل الحَديْدَه أو سِنَّة الحرث التي تشق الأرض عند الحرث، مَحَاور الدَرّاج والمحّاله. المِسْحَاة أو الصخين، القَدّوُم، الفَأس، الشَرِيم–المَحَش، المَعْتَله أو العَتَله، المِطْرَقه، الهَيْب أو الفَانُوس، المفراص، المَدَك، المِنْزَاف، العَيْن، الفَارُوع أو المَنْقَبه، السكاكين بأنواعها الصغيرة والكبيرة، المسامير لتثبيت بعض الأدوات الزراعية، المَحَش، والمَحْطَب. وكثيرٌ من هذه الأدوات تحتاج إلى حدادة دائمة، لذلك يحمل المزارع عند موسم الحصاد كل ما لديه من محاش ومحاطب ويذهب بها دفعة واحدة للصانع أو الحداد لحدادتها. وهكذا يبدو واضحاً وجلياً أن المزارع لا يستغني عن الحداد أبداً. وبعض



الفأس

الحدادين الذين أتيحت لهم فرصة الاستقرار صاروا يعرضون مصنوعاتهم في الأسواق، ويحصلون على النقد. ومثل هؤلاء يكونون مهرة جداً في مصنوعاتهم الحديدية، لذا يجدون من يفضل الشراء منهم، خاصة المقتدرين الذين تتوافر لديهم سيولة نقدية. كما يصنع الحدادون أيضاً العديد من الأدوات المنزلية.

وفي القرى المتجاورة الصغيرة قد يوجد صانع غير متخصص ولا محترف، ولكن كل مجموعة من هذه القرى لها حاضرة أي قرية كبيرة يقام بها سوق ويفد إليه أهل القرى للتسوق وإصلاح معداتهم من أدوات زراعية ومنزلية كحد السكاكين والفؤوس والمناقيش والعتل ونحوها أو رب القدور والصحون النحاسية، ولحام الأدوات الأخرى.

أما القرى الكبيرة فقد يكون بها صانع وغالباً ما يكون متخصصاً في المصنوعات المحلية. وفي أيام الصيف يفد إلى القرى صناع متجولون ينزلون في أطراف القرى





فيهرع إليهم الناس لإصلاح معداتهم المعطلة أو شراء معدات جديدة.

وأصحاب القرى القريبة من المدن يصلحون معداتهم في المدن. وكانت الحيطة والمحافظة على المعدات كفيلة بتخفيف حاجة المزارع إلى هؤلاء الصناع.

وللخراز أهميته لدى المزارع التقليدي، خاصة في كل أداة تتعلق بإخراج الماء من الآبار أو نقله إلى المنزل. وقد يكون الخراز في بعض المناطق مزارعاً، ولكن لديه براعة في هذه الحرفة فيقوم بهذا العمل بين وقت وآخر مقابل أجر نقدي. وقد يقوم بالعمل لبعض المزارعين عوناً منه، من دون مقابل، خاصة لمن لا يستطيع الدفع منهم. وفي بعض المناطق يكون الخراز متخصصاً في هذه المهنة وليس لديه أملاك زراعية، فيأخذ مقابل عمله نقوداً أو قد يكون الاتفاق معه على مقدار معين من الحبوب أو التمور. وهذا الصنف من الخرازين، في الغالب، تكون لديه الجلود مدبوغة جاهزة وتشترى منه الأداة كاملة بينما الخراز المزارع تجلب له الجلود المدبوغة ويقوم بصناعة الأداة المطلوبة.

ويصنع الخراز الغرب، القربه، الدلو، وقد السريح، ويقوم بعمل الحبال والأرشية والأحذية، كما يقوم بترقيع الغرب والقربة عند حدوث شقوق أو ثقوب بها قابلة للترقيع وفي أحيان كثيرة يقوم بذلك المزارع نفسه؛ يقول فلاح



الخراز



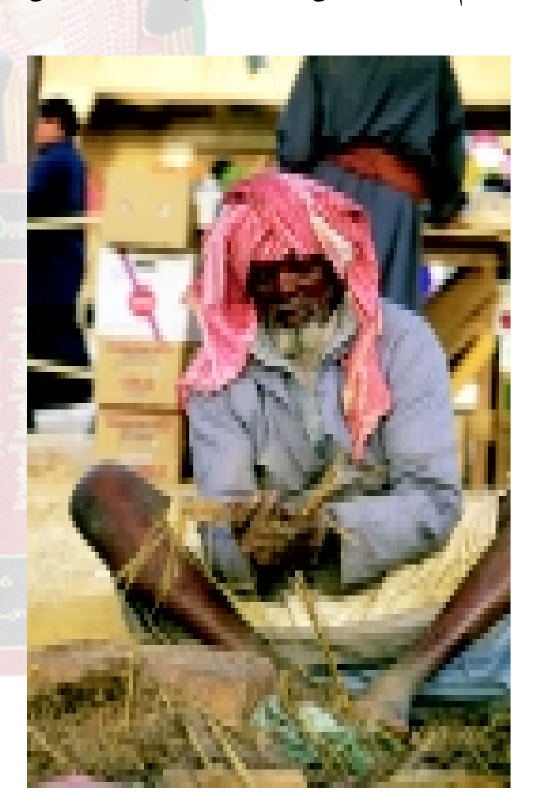


من أهـل قفار مـتضـجراً من هـموم الفلاحة:

شـيـتـنـي وانا مـا كـنت شـايـب

أرقـع الـدلـو، يـنـشــق المـقـام

والوضّان أو الفتال هو الشخص الذي يقوم بصناعة بعض الأدوات من سعف النخيل أو ليفها، والكثير منهم في الغالب من المزارعين وأفراد أسرهم، الذين لديهم المهارة في عمل الأدوات المـصنوعة من النخـيل، مثل المكتـل والزنبيل والقـفه والمربده والخوص والمـذرا والمهفه. كما يقوم الفتال بفتل الحبال من ليف النخل



الفتَّال

أو سعـفه لتسـتخدم بـشكل كبـير في استخراج الماء من البئر سواء بالسانية أو الدلاء.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن أعـمال السفيف المعتمدة عـلى سعف النخل، وبعض الـنباتات الأخرى كـالأثل في الأحساء والقطيف، وسعف نبات الدوم في المناطق الجنوبيـة، قد تتولاها نساء الفلاحين في بـعض المناطق، كما قد يمتهنها بعض الرجال في مناطق أخرى.

أما فـتل الحبال مـن الليف والـسعف وعذوق النخل فـعادة يقوم بها المزارع نفـسه، وقـد يتخـصص بـها بعـض الرجال، خاصة من كـبار السن حيث يستأجرهم الفلاح لهذا العمل في مواسم الزراعة الرئيسية.

ويعمل البنَّاء في بناء المنازل وكذلك بناء الآبار وطيّها، بخاصـة ما كان منها في المناطق الطينـية والرملية. وكثيراً ما يمارس المزارعون في بعض المناطق مهنة البناء، إلا أن المهـارة في البناء تختلف من شخص إلى آخر. وفي الوقت الذي نجد فيه بنائين يقومون ببناء المنازل وطي الآبار معاً، نجد بعض البنائين لا يجيدون سوى طـي الآبار، لأن الـبئر مـحددة ويسهل بناؤها بينما المنزل تحتاج جدرانه إلى موازنة أكثر دقة.



# حياة الفلاح

## الحالة الاقتصادية

تتصف الحياة الاجتماعية للأسرة الزراعية، بأنها حلقات متشابكة متماسكة من الأعمال اليومية. ينهض أفرادها من نومهم مبكرين، لأداء صلاة الفجر ثم يشرعون بأعمالهم اليومية، بل إن الساني يباشر عمله قبل أذان الفجر بحوالي ساعتين؛ يقول أحمد العلي الطريقي:

ترى الفلاحه تبي رجل يعومل هدة الطير
ما هو سواتي قليل المال والحيل متواني

ومن القصص الطريفة عن الفلاحة وصعوبتها أن رجلاً كان له عدد من الأبناء، وفي وقت إقبال الناس على المزارع بسبب تشجيع الدولة بالقروض الممنوحة لهم؛ طلبوا من والدهم شراء فلاحة لهم فقال لهم إن الفلاحة متعبة وأنتم شباب مرفهون لا تقدرون على العمل فيها فقالوا له لا تخف، سوف نعمل بكل جد واجتهاد. فاشترى فلاحة ولكن الأبناء عندما وجدوا صعوبة العمل فيها أعرضوا عنها وتركوها فقال:

الفلايح تبي من عقّد ردونه
ما تبي مثلكم تضحون بغطاكم

ومعنى تضحون أي تنامون إلى الضحى في أسرتكم.

ويتجه كل فرد من أفراد الأسرة أو الصبيان أو الكلاليف إلى مهامهم. لا فرق في ذلك بين الذكور والإناث؛ إذ إن المرأة تشاطر الرجل في جوانب عديدة من عمليات الزراعة. وقد اكتسبت المرأة النشاط والصلابة والصمود والشباب المتجدد من خلال تلك الممارسات. والرجل يتولى الأعمال الشاقة، مثل حفر الآبار وحرث الأراضي وزرعها وسقيها وحصاد الزرع وذرايته وتلقيح النخل وتعديله وتركيبه في المراحل الأولى، ثم الصرام والجداد والرياسة -أو التفجير- والسني، وجلب الحشائش والأعشاب



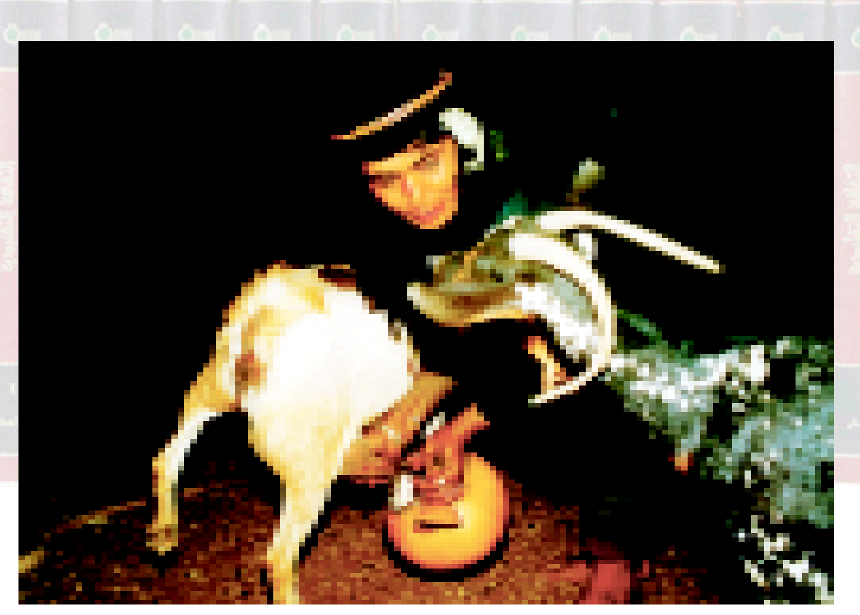




مطبخ في بيت فلاّح - جنوب المملكة

من البر، أمّا المرأة فتقوم بأعمال المنزل المعتادة من تنظيف وطبخ وطحن وهرس بعض الحبوب وجلب المياه إلى البيت على رأسها، وتجهيز علف السواني وتعليفها أو تلقيمها، وذلك بوضع العلف في أشداقها لقمة بعد لقمة. كما تشارك في جلب الأعشاب أو الحشائش من البرية.

ويبدأ عمل المرأة قبيل صلاة الفجر، بحلب البقر وعمل اللبن وتجهيزه، ثم استخراج المياه من البئر وتهيئتها لوضوء زوجها وأبنائه، ثم المبادرة إلى عمل القهوة وإعدادها قبل عودة الرجل من صلاة الفجر. كما أن تجلية الأواني النحاسية وتلميعها يعد واجباً يومياً، وكذلك تكسير الحطب وإعداده للاستخدام اليومي. كما تقوم المرأة



حلب الماعز





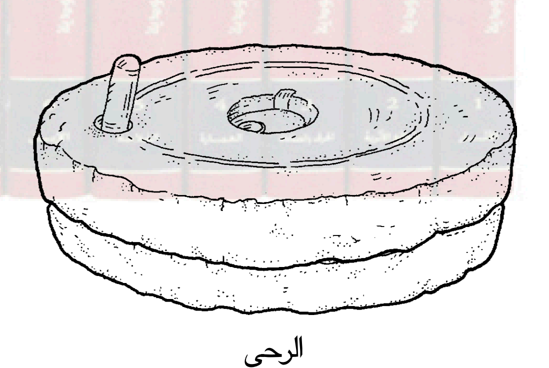


منثرة لنقل الحبوب



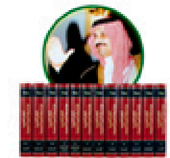
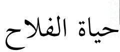
ابنة فلاّح تحمل شقيقتها

بطحن الحبوب في منزلها؛ إذ لا يكاد يخلو منزل من رحى ومجرشة. كما أن تجهيز التمور للكنز، وإزالة الأقماع أو القموع، والشماريخ والحشف، وتنقيتها للخزن يعد من عمل المرأة. كذلك تعمل المرأة بعض الأدوات والأواني المصنوعة من جريد النخل وسعفه، كالأقفاص



الرحى

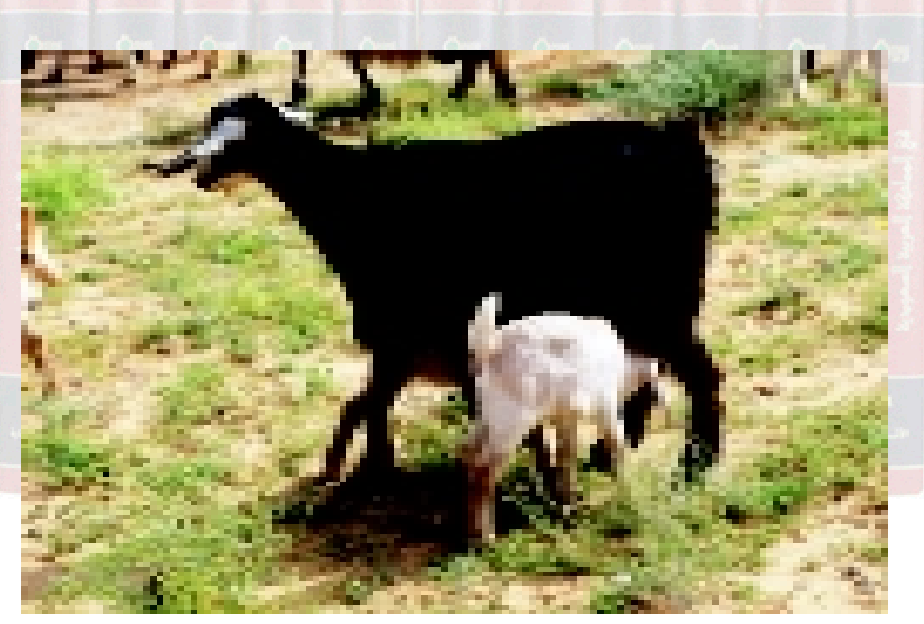
والزنابيل والسفيف والمهاف والسفر والحُصُر التي تعد صناعة منزلية. وقد تقوم بعض النساء بتسويقها أسبوعياً. وتصنع المرأة في بعض الأحيان -ولو بالمشاركة مع النساء الأخريات- البسط الصوفية، كالساحة التي تستخدم للجلوس. كما تجلب مياه الشرب من الآبار أو الحساوة القريبة من القرى، وتحملها إما في القرب أو الجرار المصنوعة من الفخار أو من النحاس. ومن هنا نلاحظ أن النساء والفتيات الصغيرات أيضاً يشتركن مع الفلاح في تقديم عمل متكامل، يقوم على التعاون والتكاتف تحقيقاً للمصلحة المشتركة بينهما.



**نظم المعيشة وأساليبها.** تتصف حياة الفلاح بالتقشف، والاعتماد الكلي على المواد المحلية لسد الحاجات الغذائية وشؤون الحياة الأخرى الأساسية. وكانت المنتجات الزراعية، بنوعيها النباتي والحيواني، كالتمر واللبن والزبدة والحنطة وصيد البحر الطري أو المجفف في بعض المناطق الساحلية، هي مكونات الغذاء السائد في منزل الفلاح. وكان الفلاح ينتج في السنوات التي تخلو من الكوارث الطبيعية، التي تلحق أضراراً بزراعته، محاصيل زراعية تكفي غذاءه وتزيد؛ فيصيب بفضله بقية سكان القرية، وأصحاب المهن المساندة الذين يعيشون معه في القرية أو حوله، كالبدو النازلين حول القرية طلباً للمياه في فترة الصيف.

وكانت الأسرة الزراعية ذات نظام تموين غذائي واضح، فرضته مهنة الفلاحة والظروف الأمنية السائدة في ذلك الوقت. فثمّ حوش للإبل أو حظيرة في كل منزل لتربية الأبقار أو الأغنام أو الدواجن أو الطيور، وبئر ومستودع لتخزين التمر والمواد الغذائية الأخرى. وكان من عادات الفلاح أن يخزن من التمر والحنطة، أو الأرز كما في محافظة الأحساء، والسمك المجفف كما في القطيف، والحطب وأعلاف المواشي ما يكفي احتياجاته لعام كامل تقريباً. وخزن التمر داخل المنزل، من



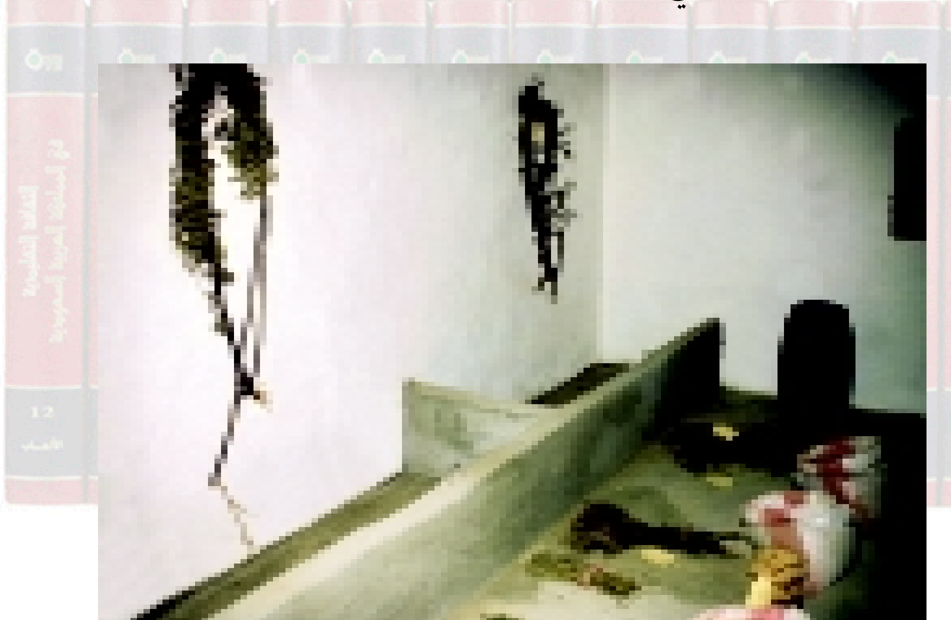
الماعز





أهم سمات نظام الخزن الغذائي. وتختلف طريقة خزن التمور في منازل الفلاحين من منطقة إلى أخرى، كما عرضنا لذلك.

والغرض من خزن التمور، المحافظة عليها في أماكن آمنة، وإخراج كميات منها للبيع في أسواق التمور، حسب قوة الطلب أو الاستهلاك. كما كان الفلاح في بعض المناطق، كالأحساء والقطيف، يخزن الأرز والسمن والحنطة والسمك المجفف، في مكان يطلق عليه دار الجازه، وتكون الحبوب معبأة في أوان فخارية مصنوعة محلياً تسمى الخروس، أما السمن فيحفظ في أوانٍ فخارية ناعمة يطلق عليها الخابية. أما في وسط نجد وشمالها، فالحبوب تحفظ في أحواض داخل الغرف، وهي حُجَرٌ في الطابق الثاني، وتكون الأحواض مفصولاً بعضها عن بعض، لحفظ أنواع عديدة من الحبوب. أما السمن فيحفظ، عادة، في العكك والدباب الجلدية، وهي تشبه في شكلها الأواني الفخارية، ولكنها مصنوعة من الجلد. وقد يحفظ في أوان فخارية تسمى الدِّنان (واحدها دَنّ). كما يحفظ الفلاح علف حيواناته في غرف، يطلق عليها في وسط المملكة الصّفّاف أو الدور، وفي الأحساء والقطيف جازة البقر، وفي المنطقة الجنوبية الغربية السفول أو السفالي، أي الطابق السفلي من البيت.

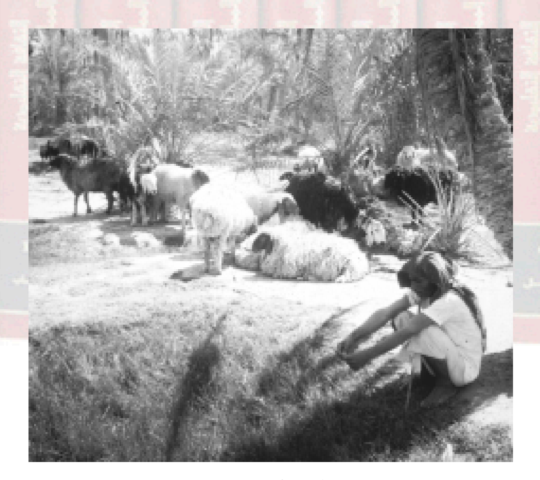


حياض تخزين الحبوب داخل المنزل





وتعتمد الوجبة الغذائية للفلاح على اللبن والتمر والأطعمة المصنوعة من أنواع الحبوب، ولا يشتري اللحم من الأسواق إلا نادراً؛ ومن أمثالهم الشعبية ما يصور ذلك قالوا «أُكلْ السَّحَّهْ والذبيحَهْ لَهَا حَالْ» السحة التمرة وهي فصيحة؛ يضرب المثل لاغتنام الفرصة وتناول الحاضر أو ما تيسر، أما ما في الغيب فله شأن آخر. وفي بعض المناطق لا تأكل الأسر اللحم إلا في عيد الأضحى، لقلة ذات اليد. وكانت وجبة العشاء هي الوجبة الغذائية الأساسية، وتقدم قبل صلاة المغرب ثم تحوّل الناس إلى تقديمها بعد صلاة المغرب مباشرة، وتتكون غالباً من البُرّ الطري أو الصلب أو الأرز. وإذا حدث أن حصل الفلاح على لحم بالاشتراك مع مجموعة من الناس، ويسمى شركْ، عن طريق شراء بعير أو ثور أو بقرة أو شاة وذبحها، وفاق رغبته أو قدرته المالية، فإنه لا يترك جيرانه الذين ليس لديهم لحم من الحذية والهدية من غير طعام. ويندر وجود جزارين في كل القرى، إلا أنهم يوجدون في القرى الكبيرة. ويوم الجمعة يقومون بذبح الأغنام والماعز وينادى لها الدهيْم، وإن كانت إبلاً ينادى لها «صبح ربح الدهيْم» ويكرر الجزار النداء للإعلان عن ذلك، ويسبقون النداء بقولهم الله أكبر، وبدلاً من وضع اللحم في أكياس البلاستيك فإنهم يربطونه بخوص النخل؛ ويباع بالوزن، أما القافله وتتكون من الراس والأحشاء والكبد والرئتين والقلب فإنها تباع مجزأة دون وزن. وإذا لم يوجد جزار واحتاج جماعة إلى اللحم فإنهم يشتركون في ذبيحة ويوزعونها عن طريق الاسم أنصافاً وأرباعاً وأثماناً وأجزاء تضاعف أو تختصر؛ هذا في قرى وادي الصفراء. ويحدث أحياناً توفير اللحم من صيد الوعول والغزلان. وفي عيد الأضحى، حيث تكثر الذبائح ويتوافر اللحم، يعمد الفلاح إلى التقفير أو التوشيق، وذلك بتقطيع اللحوم وتشريحها وتمليحها وتعليقها على حبال حتى تجف. وفي نجد عندما يتوافر اللحم، كانوا يقطعونه قطعاً صغيرة مع



تربية الضأن في المزارع





قطع من الشحم، ثم يحمّس في قدر على النار، ثم يضيفون إليه ملحاً ويجففونه؛ فيصبح صلباً غير قابل للتعفن ويسمى حميسْ. وفي بعض المناطق، يعمد الناس عندما يتوافر اللحم بكثرة إلى تقطيعه أوصالاً صغيرة، ويطبخونه طبخاً وسطاً، ويضيفون عليه ملحاً كثيراً، ويجففونه ليصبح بعد ذلك صلباً غير قابل للتعفن والتلف ويسمى القَلِيم؛ وهو القديد المعروف. وله في الباحة ثلاثة أسماء هي الجليم (وهي فصيحة)، والقليم والحميس.

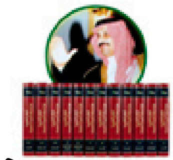
أما وجبة الإفطار، التي يتناولها الفلاح بعد صلاة الفجر عادة، فهي من القهوة العربية والتمر والحليب الساخن والخبز والإقط أو الخبز والسمن واللبن وغيره، كل حسب مستواه المعيشي. وعلى كلٍ فهذا الإفطار يتناوله المزارع الموسر؛ إذ ربما اكتفى بعضهم بالتمر أو اللبن أو أحدهما. ويُعد وقت الظهر من ساعات الاسترخاء إذ ينام الفلاح نومة القيلولة المعروفة. ولا ينام الفلاح ضحى ولا عصراً لأن نوم الضحى يبعث على الكسل؛ ونوم العصر مكروه، وينفرون منه؛ ويقولون «إذا نمت العصر صدَّروا عليك الجن» أي جعلوك سانية لزرعهم كناية عن إصابة المرء بسوء من تعب أو تغير مزاج بسبب نومه ذلك؛ قال الشاعر:

ألا إن نومات الضحى تورث الفتى
هوانا ونومات العصير جنونُ

ألا إن بين الظهر والعصر نومةً
تحاكي إلى أهل العقول فنون

والذي لا ينام بعد صلاة الظهر، يجتمع مع بعض رفاقه بالقهاوي، والقهاوي مجالس الرجال في بيوتهم أو مزارعهم، وهي ليست كالقهاوي المعروفة اليوم، حيث (شبة الظُّهْر) ويتناولون وجبة خفيفة تكون من التمر عادة، ويطلق عليها هجورْ أو قدوعْ. وهذه الوجبة يتناولها العمَّال، عادة، لتكون عوناً لهم على أداء أعمالهم. وتزيد أهمية هذه الوجبة في بعض المناطق، كالمناطق الجنوبية الغربية، حيث تعد وجبة رئيسية شأنها شأن العشاء. فتتكون من خبز البر أو الذرة أو الدخن ومعه اللبن أو السمن، وقد يكتفى بالماء إذا لم يتوافر سواه. وهناك في الباحة وجبة خفيفة تؤكل بعد العصر أثناء العمل في المزارع ولها اسمان؛ ففي شمال المنطقة تسمى الخُلّة وفي جنوبها تسمى اللطَف وهي إحدى عادات المزارعين الكبار.

وعلى كلٍ فالفلاح يغبطه العمال لديه، فهو إذا دخل البيت وهم جياع قالوا إنه ذاهب ليأكل؛ وإن كانوا شباعاً





قالوا إنه ذاهب لينام مع أهله. ولما كان الفلاح ملزماً بإعاشة عماله (صبيانه) أدرك أثر تغير الجو في تكيف الإعاشة معه، ونقل ذلك مثلهم «طال النَّهار، وغنَّت الهَدَاهِد، والصبي باليوم ما يبزيه غدا واحِد» أو «لا يبزي السواق غدا واحد» الصبي: العامل الأجير عند الفلاح. ويبزيه: يكفيه. وهذا من الأمثال التي تكشف عن إدراك الفلاح الدقيق لاحتياجات محاصيله والعاملين عليها؛ إذ إن طول النهار وتغريد الهدهد يعني إلزامه بأشياء كثيرة.

وتوارثت البيئة الزراعية آداباً تتعلق بالأكل؛ إذ تظهر الأمثال أن لنوع الطعام طريقة خاصة يتناول بها؛ قالوا «أكل التمر خص وشرب الماي مص» ويروى أيضاً كما يلي «أكل التمر خَصْ والعيش قَصْ» الماي هو الماء؛ ويضرب لإتيان الأمور أو فعلها على الوجه المتعارف عليه، ومنها آداب الطعام والشراب.

**المستوى المعيشي.** يُعد صاحب الحقل والنخل غنياً مهما اشتد عليه الدهر، وأثقلت كاهله الديون والهموم؛ فهو أبداً يجد في حقله وغلته ونتاج عمله ملاذاً وسنداً من الجوع وأخطاره على البدن والنفس والقيم. وقد عاش الفلاحون في شبه الجزيرة العربية بكل حيوية ونشاط، فنعموا برغد من العيش أعواماً كثيرة كما قاسوا من الحاجة والعوز أعواماً أخرى، لكنهم صمدوا لإيمانهم بأن عمل الفلاح التقليدي مردوده خير كثير؛ وربما يصبح الفلاح مع مرور الوقت تاجراً كبيراً، على حد قول حميدان الشويعر من قصيدة طويلة له:

الى جاك الولد بايديه طين
ولـه غرس يدفن في جفاره
ترى هذاك ما ياخذ زمان
الا هو جامعٍ عنده تجاره

وإذا كان أفراد عائلة الفلاح يعملون جميعهم في الحقل، فإنهم يعيشون عيشة قد رضوا بمستواها؛ على حد قول أحدهم:

مستانسين في عسرنا
لو كان عيشتنا نواتيف
اللي يبي زين الغنا ينحرنا
والا ترى غيره ما عندنا شيف

وقد ترتفع هذه المعيشة وتنخفض تبعاً لعوامل كثيرة ومتنوعة بل متداخلة؛ ولهذا يمكن القول إن المستوى المعيشي للمزارع التقليدي، أبعد ما يكون عن الاستقرار؛ فهو في سني الأمطار والخيرات يصل إلى مستوى معيشي طيب، حيث تتوافر له جميع أصناف الأرزاق ويعيش الناس في رغد من العيش؛ حتى يقال في المثل







مزرعة هالكة

«النَّز، مْـنَ الدَّز» النز. ظـهور أثر الماء أسفل الحائط وعلى ظهر الأرض. والدز الرفع، أي إن ظهور أثر الماء هو بسبب وجود الماء بكثرة؛ يضرب للدلالة على ظهور أثر النعمة على من أنعم الله عليه بخير كـثير. أمـا في سـني الجدب، فينخفض مستواه المعيشي إلى الحضيض، حتى إنه يأكل جـلود الحيوانات اليابسة والنوى والأعشاب التي تسد رمقه بغض النظر عن قيمتها الغذائية. فعندما أصاب البلاد الجوع عقب الحرب العالمية، مزج الناس الدقـيق بأجزاء من كرب النـخل المطحونة وثمر العرعر والدعاع والخردل؛ كما طبخوا السلق البري وبعض الأعشاب الأخرى.

يقول سلطان بن عبدالله الجلعود:

مـر يـبدل ربـنـا الـعـسر بـيـسـور
ومـر نـدنّق عـن صـديـقٍ يجـيـنـا
نشـري قراهـم والمسـاعر هكـالدور
الحـب صاع وبـالـرطـب وزنتـيـنـا

وقال شاعر من أهل مدينة قفار بمنطقة حائل:

ول هـمـلانـةٍ تعـطـى الـلـهـايب
طـلـعـهـا مـا يـجـي عـشـر تمـام
راعـيه مـن هـموم الـلـيل شـايـب
صـاحي الـراس مـجـلي الـعـظـام
طـول ليـلـه مـع الملقـى يـهايـب
يـرقــع الـدلـو يـنــشـق المـقـام

وفوزان بن مـحمد المحارب، وهو فلاح وشاعر عاش حتى منتصف القرن





الثالث عشر الهجري، وقد ضاع شعره إلا الأبيات التالية وهي من قصيدة طويلة. ويرجع سبب حفظ هذه الأبيات إلى أنها جاءت وليدة حادث مر بالشاعر؛ ويتلخص الحادث في أن الشاعر كان له غرسٌ في أرض تسمى فيد العميش بروضة سدير، وبعد أن بدأ النخل يؤتي ثمره انهدمت قليبه فأخذ يضرب كفاً بكف، حيث لم يكن في استطاعته إعادة حفرها وبنائها مرة ثانية لقلة ما في يده؛ فاستنجد بأهالي روضة سدير وجماعته في مَلْهَم وصلبوخ والمجمعة؛ يقول في مطلع القصيدة:

طاحت قليب الغرس وش حيلتي فيه
تهدّم المطوى ولحق المقاما
لو في يدي مالٍ احفره واصاليه
واعيد طيٍ صار وسطه هداما
ياجمر قلبي يوم يبست جوابيه
عقب الرطايب ما تذري الحماما
يالله من رايح سحابك تسقّيه
روايحٍ ترعد وترزم رزاما
قمت اتفكر وافتكر قاعد فيه
ولا ذكرت الا عيالٍ العماما

والصورة العامة للمستوى المعيشي للفلاح التقليدي في الجزيرة العربية قد اعتمدت في مجملها على المتغيرات البيئية، خاصة الظروف المناخية. فالمياه في الآبار السطحية تعتمد على كمية الأمطار الشتوية، في معظم أجزاء المملكة، وهي أمطار تتسم بقلتها وتذبذبها. ولهذا لازم القلق الفلاح التقليدي خوفاً من انقطاع الأمطار، التي هي مصدر مياه آباره ورخاء عيشه. وإن كان يحدث في بعض المناطق، كالأحساء، أن ترتفع أسعار التمور وغيرها من المواد بسبب المحل، ويكسب الناس حتى قيل في المثل «سعورها في محولها».

وفي صورة أخرى لعدم الاستقرار الاقتصادي والمعيشي للفلاح القديم يحدثنا الشاعر سويلم العلي السهلي، بأن الظروف المناخية قد تقضي على زرع الفلاح، فيصبح خالي اليدين يتوجد ويندب الحظ:

ياوجد من صدّر على اربع محاحيل
لها ليا غاب الرقيب معلومي
صدّر على اربعمايةٍ كلها كيل
حبٍ حمر تسقي نواحيه كومي
أربع عقايبها أربعٍ كنسٍ حيل
يشيلن الما في وساع الكمومي
يوم استتم الزرع شال النما شيل
نشت بردها كبر روس البهومي
وهلّت على وسط المفالي هماليل
وصارت على روس النواحي رجومي





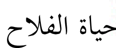
واللـي بقي من حـبها شـاله السـيل
غثـو السبل بـالسيل مـثل الهـدومي
واصبح يصيـح ويزعج الويل بالويل
عن نـول ما نـالت يديـه محـرومي
الله يـكـفـيـنـا شـرور المخـايـيـل
الا عـطا رحـمه كـما انـه رحومـي

وإذا كان البَرَد في الصورة الأولى قد أهلك الزرع، فـإن السيول الجارفة هي الأخرى تهـلك الزرع وتلـوع الفلاح، وتضطره للأنين من شدة المصيبة، بل إن جماعته يأتون لتعزيتـه كمن فقد قريباً؛ يقول فهيد بن سكران:

يـاونّــة الـلـي دايم يــزرع الـبــر
يسنـي على تسـعين ملحا مـطيعات
عـمالـها وان نـامو الـنـاس تسـهر
سـوانيٍ لـى نامـو النـاس شقـيـات
مـحـالـهـا كـنـه سـبـاعٍ تجـضـور
عقب الـشديد وتالـي البدو حولات
يوم اسـتتم الزرع واقـتم وجا اصفـر
قرب الـفرج زلت ليـالي شطـيطات
هـبـت جنـوبٍ ثـم قـام يـتـظهـر
مـزنٍ كمـا جـدران حضـرٍ مبـنـات
صـاح الملـك فـيهـا وقامـت تـزبر
والـبـرق كان بمـقـدم المـزن سلات
قـامت عـلى زرع الاجـاويـد تـنـثر
لـين انه ادعـى الزرع مـالـه أمارات
قـامـوا يـعـزونـه وقـام يـتــعـبـر
مـقرود يـابـاكٍ عـلى فـايـتٍ فـات

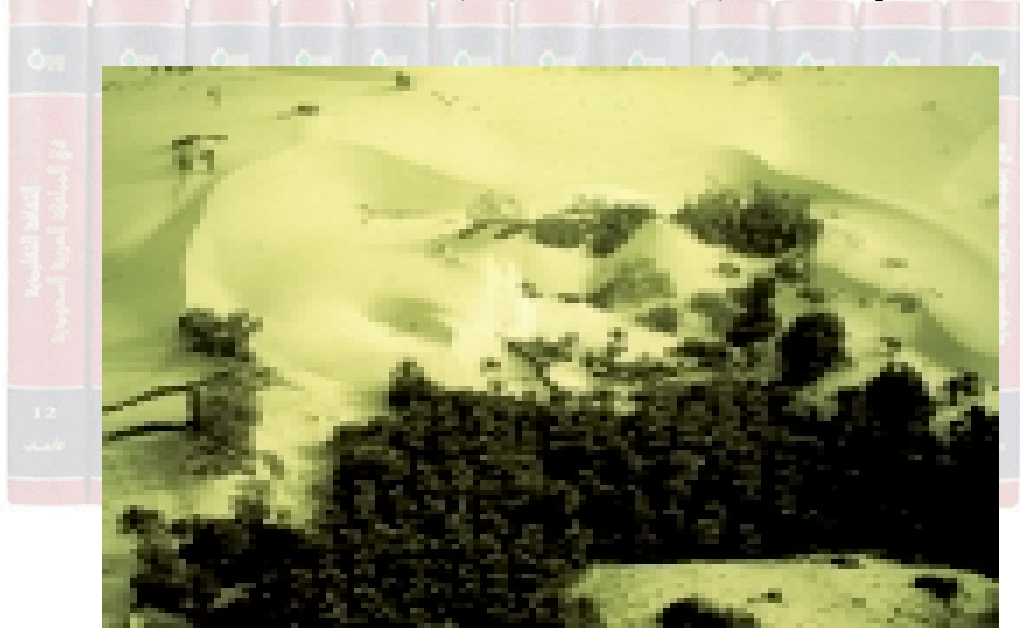


سيل جارف


وإذا كان هذا هو الحال في القرى الزراعية في وسط نجد، فإن المناطق الزراعية التي تمتاز بوفرة عيونها لم تسلم من التغيرات البيئية، التي تكشف في مجملها عن عدم الاستقرار المعيشي للفلاح في الماضي؛ فعلى الرغم من أن الأحساء تعد نموذجاً مثالياً لاقتصاد المحصول الواحد، وعناصره المهمة ذات العلاقة المتبادلة وهي الماء والتمور، وقد ساعدت هذه العناصر مع عناصر أخرى، على جعل مجتمع الأحساء مجتمعاً اقتصادياً فعالاً، فقد ذكرت بعض الدراسات أنه لم يكن مستقراً اقتصادياً. وعللت ذلك بمتغيرات بيئية، أهمها انكماش المساحة المزروعة ببطء نتيجة لتناقص غزارة المياه وقلة تدفقها وزحف الرمال وطمرها لبساتين وقنوات ري قديمة، بل حتى مواقع استيطان بشري يمكن تحديد معالمها بسهولة.


زحف الرمال على المزارع


زحف الرمال على المزارع



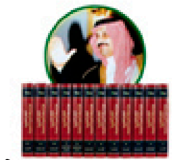


وذهبت الدراسة إلى أبعد من ذلك حين ذكرت أن خراب المساحة المزروعة، جاء من ارتفاع منسوب المياه الجوفية، التي صاحبت سوء طرق الري للفلاح التقليدي في الأحساء، مما شبع الأرض بالمياه المتسربة، من خلال السدود غير المسامية، وجعل طبقة التربة لجذور النباتات متشبعة بالمياه بشكل غير مناسب. وإذا تعرضت التربة للجفاف، تراكمت الأملاح، فحدت من إنتاج الأرض من جانب، واستلزمت مياهاً كثيرة لغسل التربة من الأملاح، من جانب آخر.

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في الاضطراب الاقتصادي والمعيشي للفلاح التقليدي، الآفات الزراعية والأمراض التي تصيب المحاصيل. وقد يضطر المزارع بسببها إلى العزم على ترك الزراعة كمهنة، ولولا الصغار من أولاده وخوفه عليهم من الضياع لرحل عن البلاد، إلى ديار لا يُعرف فيها وابتاع واشترى كغيره من التجار؛ يقول علي المحمد العلولا على لسان إخوانه من الفلاحين الذين تصاب زروعهم بالأمراض:

يا الله ياوالي الاقدار
تفرج لمن زرعهم دون
أشوف زرعي غشاه صفار
والبيت بالدين مرهوني
ياطارشٍ نبه السيار
قل للرويشد يمرون
هجسني أمشي مع السيّار
وابيع واشري على هوني
أهل مراجل وشبّة نار
بالضيف دايم يهلوني
واشري مع العير زود حمار
يشيل عفشي وماعوني
والله لولا الغويش صغار
واخاف عقبي يضيعوني
اني فلا لي عن الامصار
بديار من لا يعرفوني
وابيع واشري مع التجار
والرزق يأتي ومضموني

وبجانب الأمراض التي تصيب المحاصيل الزراعية فتتلفها، تنتشر الحيوانات القارضة كالجرذان والفئران والجراد التي تتلف المحاصيل وتفتك بها، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار قلة المحاصيل الزراعية للفلاح التقليدي، وقلة إمكاناته في دفع أذى تلك القوارض. وقد سجل التاريخ حوادث كثيرة حول الدمار الذي لحق بالزراعة، خاصة في المناطق المجاورة لساحل البحر الأحمر، حيث يعبر الجراد من أفريقية إلى الجزيرة العربية، فيقضي على المحصول وينتشر الجوع ويهجر الناس





مزارعهم وقراهم إلى مناطق لم تتضرر؛ ولعل في مقطوعة إبراهيم بن محارب، التي يصف فيها فعل الجراد الذي أكل المزارع والنخيل، وأحدث في صغاره ضرراً أكثر مما أحدث في كباره ما يغني عن كل حديث، والقصيدة طويلة جداً ولم يبق منها على ألسنة الناس إلا هذه الأبيات:

جانا الجراد امحدرٍ له عشاوير
من الغرب حوّل من علاوي تهامه

من كل جندٍ حادي له زنابير
حاديه كنه موكل عن صرامه

عرّم ودرّم ناميات الجمامير
سوق العسق قصه وهو في كمامه

عرّم ودرّم ناعمات مخاضير
لين اودعه ما عاد يذر الحمامه

لى واهني اهل الثمار المباكير
عن الدبا يابختكم بالسلامه

والا فراعي الخيس كله غشاوير
إلى توزى به يبني خيامه

ونظراً لأن الجراد كثيراً ما يقلب حياة الفلاح التقليدي من اليسر إلى العسر، شبه الشعراء وجدهم على معشوقاتهم، كوجد الفلاحين على زروعهم المتضررة بتلك الآفة لما يعرفه الجميع من قوة الألم، الذي يعتصر قلب الفلاح التقليدي على زرعه حين يغزوه الجراد؛ يقول نافع خليفه المطيري من قصيدة طويلة:

او وجد راعي زرع جاه التهامي
جاه الجراد عصير واصبح وضحا

وقال حويدي بن طهماج العتيبي من عفيف:

وجدي عليهم وجد راعي مذاخير
ذخر لابوه الفين غرس وقليب

صفط له الله واقطعت جمة البير
وجاه الدبا الرنان واخلى الركيب

وقال فهد الفويه السبيعي من حائل:

أو وجد من له غرسةٍ بين فرعين
ليل ونهارٍ ما يبطل سياقه

وقع قليبه واهشمن البساتين
وموّت غريسٍ فوق زمّة شقاقه

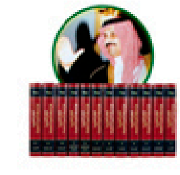
ويتوجد عثمان الزامل على معشوقته، ويقرن ذلك بتوجد المزارع الذي أصاب زرعه الدبا لما بينهما من صدق الوجد فيقول:

وجدي عليها وجد زراع بيرين
سوانيه ستة عشر ماه مقرون

عمالها خمسه ورواسها اثنين
واهل الخلا عشرين اللي يجثون

يوم انجرد زرعه وبالعيش بهشين
جاه الدبا حرش العراقيب ساحون

يوم اصبحوا واقفوا على الزرع مشفين
والاه في روس السنابل يخرفون







الجراد آفة المزروعات

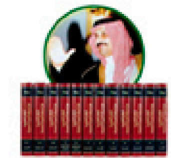
ردوا وقالوا اوضعوا ما قسم شين

ما من عوض قالوا من الله يرجون

وإضافة إلى التغيرات البيئية والآفات الزراعية، ثمَّ عوامل أخرى ساهمت في الاضطراب الاقتصادي للمراكز الزراعية التقليدية في هذه البلاد. فعلى الرغم من إنتاج التمور والحبوب فإن كمياتها وأسعارها كانت تتذبذب تذبذباً شديداً، فقد ترتفع الأسعار بشكل كبير جداً، أو تهبط هبوطاً حاداً في المناطق التي تتعرض للحروب أو الفتن المحلية أو القبلية.

كما ساهمت بعض العوامل، مثل ضعف الأمن والغارات على قوافل التجارة، على طول الطرق البرية قبل توحيد المملكة، في خلق صعوبات في تصدير فائض الإنتاج من مراكز الإنتاج الزراعي الكبيرة، مثل الأحساء، واستيراد مواد أخرى. وكانت وطأة ظروف الأمن على المناطق الزراعية تختلف باختلاف قوة الفلاح. فالفلاحون الصغار هم من يتأثرون، عادة، بمثل هذه الظروف الآنية، إذ يستطيع الفلاح الذي يملك القوة توفير السلاح والحماية لقوافله وتصدير إنتاجه.

**مصادر التمويل**. كان الاعتماد على الذات في تمويل الزراعة التقليدية لدى ممتهنيها نادراً. ولعل ندرته جاءت من أن عدد كبار المزارعين التقليديين قليل جداً، موازنة بعدد المشتغلين بها. ثم إن الزراعة التقليدية في المملكة كانت زراعة اكتفاء ذاتي (معايشة)، فالعمليات الزراعية توجه





عادة لسد حاجات المزارعين، ولغرض الاستهلاك المحلي مهما كثر عدد المشتغلين بالزراعة، ومهما صغرت المساحة المزروعة. ولذا انحصر التمويل ورأس المال الزراعي على المداينه أو الكَتّب أو الثُّمْنَه من التجار أو رهن المزرعة أو المنزل إن كان رأس المال كبيراً. ولما كانت الكتابة، عادة، غير مضمونة بسبب ما ذكرناه سالفاً عن العوامل التي تجعل مستوى الفلاح التقليدي غير مستقر؛ فقد جاءت وصية الشاعر حميدان الشويعر في الأبيات التالية:

ياهبيل العرب لا تكد القصب
لين سيله يعقب الرقيبيه
اكتب الغرس قبل دينٍ يجيه
اكتبه للعييّل بطلحيه
عز عييلك لا تدور النقاد
في همال القصب من جنوبيه
إن بقن الزرانيق لك هاالسنه
فاجغط الدين والعب البيه
وخذ منه ماطرا لك على ما ترى
واذخره فالليالي لها نيه
وواعده مع وقيان لك ناقة
خِلّيت في نفود الشماسيه

والقصيدة في مجملها تكشف صوراً عديدة عن الزراعة التقليدية في شبه الجزيرة العربية، فقد حذر مخاطبه من الكد، وهو القيام على النخل في بلدة القصب، إلا إذا كان السيل قد تعدى بئر الرقيبية، وهو إشارة إلى أن المزارع التقليدي، يمكن أن يتأكد من المياه السطحية فقد لا تكون كافية، إلا إذا كانت الأمطار قد وصلت إلى المدى الذي حدده. وقد استقى ذلك من خبرته، فالقصب مسقط رأس الشاعر، ولذا فهو يعرف كمية الأمطار التي يمكن أن تكون كافية لتغذية مياه الآبار التي تعتمد عليها الزراعة في تلك الأرجاء. أما في البيت الثاني من قصيدته، فهو ينصح المزارع التقليدي بأن يكتب الغرس، ويقصد به مزرعة النخيل، للعييل (تصغير عيال)، وهم الأولاد ذكوراً وإناثاً، بطلحيَّه، وهي الورقة الموثقة خوفاً من أن يستوفي به صاحب الدين دينه. فالتمويل ورأس المال الزراعي، يعتمد في مجمله عند معظم الفلاحين التقليديين، على المداينة والكَتّب أو الثُمنة والرهن. وفي كتابة الغرس للأولاد ضمان وعز عن البحث لإطعام أنفسهم من همال النخيل.

ثم يختم نصيحته بقوله؛ إذا ما بقيت الزرانيق تحت تصرفك، وهو كناية عن عدم رهنها، فإنه بإمكانك أن تزرع ولو تديَّنْت، ولكن عليك أن لا تنسى الادخار، فالليالي لها (نيَّات) أي تقلبات، فإذا جاد محصولك هذه السنة، فقد لا





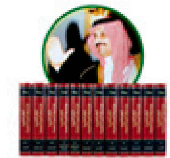
يجود في السنة الأخرى، وهو تصريح لما سبق أن ذكرناه من اضطراب الوضع المعيشي للفلاح القديم.

وصفة الكَتْب، أو الثمنة كما تسمى في حائل، أن يقول المزارع للتاجر؛ أريدك أن تسقمني، وذلك بإعطائي شيئاً معلوماً من النقد ثمناً لمحصولي الذي سوف أزرعه، ويحدد نوع المحصول. وبالطبع يكون ثمن ما سوف يشتريه التاجر من محصول الفلاح، أقل من الثمن الحالي للمحصول سواء كان تمراً أو حباً. فإذا كان الصاع يباع بأربعة ريالات في فترة الشراء، فإن التاجر يعطي المزارع رأس المال المطلوب على أن يبيعه المزارع الصاع عند الحصاد بثلاثة ريالات أو أقل. ومدة الكتب عمر المحصول المكتوب عليه. أما صفة المداينه أو المغايبه أو الوعده فهي أن يبيع التاجر للفلاح من سلعه كالأرز أو القهوة أو الهيل أو القماش ونحوها، ويعطيه إياها بسعرها الحاضر على أن يرد قيمتها بعد سنة كاملة، بزيادة نسبة محددة عن سعر الحاضر. فإذا كان ثمن السلعة ٣٠٠ ريال فإنه سوف يردها بعد عام ٣٦٠ ريالاً أو ٣٩٠ ريالاً وهكذا. فإذا قبل الفلاح أَخذَ السلعة وباعها لمن يرغبها وقبض ثمنها، لشراء ما يحتاجه من سوانٍ أو أجور عمال ونحو ذلك.

وإذا كان المال المأخوذ من التاجر كبيراً، فإنه يعمد، عادة، إلى طلب الرهن، ليكون أكثر اطمئناناً على استرداد حقوقه. ويكون الرهن، عادة، لملك الفلاح أو منزله أو شيء من ممتلكاته. ومن الطرق الأخرى التي يلجأ إليها المزارع استئجار الجمال من البدو، مقابل كمية من الزرع أو التمر في نهاية الموسم تسمى الكروه.

واعتماد الفلاح التقليدي على الدين والكَتْب، في تمويل نشاطاته الزراعية لا يسلم منه إلا النزر اليسير. ولعل في قصة الرجل الذي سأل رفيقه في السفر عند مروره بمزرعة قمح وقوله له: هل تعتقد أن الفلاح أكل زرعه؟ قال له رفيقه: كيف؟ إنه لا يزال أخضر!! وكان السائل يقصد هل استدان الفلاح من التاجر أم لا؟ إذ العادة أن المزارع لا يصله من محصوله إلا القليل بسبب الدين أو الكتب، يقول هويشل بن عبدالله مصوراً جشع التجار الذين كان الفلاحون يستدينون منهم لسد احتياجاتهم، وكان التجار يثقلون كواهلهم بالدين، ويرهنون منازلهم وسوانيهم وكل أدوات الزرع:

السقيم السقم والوجه اللديد
وان ولى المعسر حصد عرقه حصاد
يرهن الرفه وبيته والمعيد
وكل شيٍ ياخذه حتى العتاد





وقال عبدالله بـن فرحان القضاعي من أهالي مدينة الروضة بمنطقة حائل:

ما احلاك يا غرسٍ على مجنب السوق
لى شـافهـن مولّـع الغرس يـشتـاق
غيـدٍ عليـهن ناخـذ الطاق مـطبوق
غـيد يـقـطّعن الـدفـاتر والاوراق

وكان جشـع التجار وقسـوتهم في استيفاء حقوقهم، من أشد الهموم التي أقلقـت بال الفلاح التـقليدي في شـبه الجزيرة العربية؛ فجاء شعر كثير من أهل الحرث مليئاً بذكـر التاجر أو العميل أو المسقِّم أو المعزِّب؛ ولذا قالوا في أمثالهم الشعبية «الكد نكـد ولو ركد». والمعنى أن الفلاحة مليئة بنكد العيش ولو كانت في بعض الأحوال راكدة؛ ومن أصدق صور هموم الفلاح ما يلي:

الـيوم صـرنا فـي هـمومٍ وفـي كد
نـفلـي شـقوق غـروبـها بـالخـرازه
يـاالله لـعـلـه كـلمـا هـل وارعـد
يـسقـى غـروسٍ به عـليـهـن عازه
بـيـارهـا تـرجـع ومـاهـن يـرتـد
والـديـن يـوفـى مـالـه إلا نجـازه

وقال أيضاً:

نصـيحـةٍ ياهـل الفـياض اشتـروها
وان مـا شريـتوهـا تجـيكـم هـياتـه
تـصبروا بـنخـيـلكـم وعـمروهـا
والـكـد مـا يـنـفـع رديٍ بـتـاتـه
رجـلـيـنكـم ويـديـنكـم شغـلوهـا
صيروا كـما ابن عمـير سووا سواتـه
واهـل الديـون الـغالـيـه جنـبـوها
تـتعـب عـليـه ويـاكلـون ثـمراتـه

وقال عبدالله بن سبيل:

الفـاطر الـلي بـاول الوقت سـبيـت
الـيـوم عـنـدك جلدهـا تقـل مدهون
اصلف عـليها كلمـا اقبلت واقفيـت
الـزرع يبـغـى الما وراعـيـه مـديون

وقال سعد بن محمد بن يحيى في قصيدة له:

يـاالله من قـلـبٍ تـلوعـه هـمومـه
كمـا يلـوع الهيـف عشـب المسيـله
مـا عـاد ألـد بخـد زاهـي رقـومـه
وأنا مـن اول في الـطريق انـثني لـه
الـهم بـانـت بـى بوايـن سـهومـه
الله يـبـدلـهـا بـحـال جـمـيـلـه
يـاالله مـــن نـوٍ تـرادف غـيـومـه
نـوٍ من الـقـبلـه حـقوق مـخـيلـه
نـوٍ سرى كـن الـرواسي خـشومه
هـبت لـه انسـام الجنـوب ورفى لـه
وتـطلّـقت مـثـل الغـرايـر فعـومه
فـي دبرة الـلـي سيّـره مع وكـيـله
يـدير حـوله والـنـدى في حـزومـه
والعـشب ينـبت في مدامـث رميلـه
راعي المـطالـب راح يقـضي لزومـه
وراعي الـفلاحه ريـع كده يـجي له





حـب العـراق يجـنـبه مـا يسـومـه
فـشلٍ بـتـدبـيره وفـشـلٍ مـكيـلـه
وراعي العبس ما خاشره فـي سهومه
ولا اوقف الـنـاظـر بوجـهه عميـلـه
يـجيـه مخـلاصـه بليـا خصـومه
والـسـتـر يشـرونـه رجال الـقبـيـلـه
ومن كان له مطلب خلص في يمـومه
وتواضـعت عـنا الحـمول الـثقـيـلـه

وقال ناصر بن سليمان بن عمير:

يـالله يـاقـابـل دعا كـل مـضـطـر
يامظـلل يونس عن الـشمس بظلال
إلى بـغيـنا شـي ما احـرز ولا اقدر
واصبر كما صـبر الصعينى إلى شال
والـعفـو يـالاجٍ بقـلـبـي من الحـر
ومـشكـاه لـلـي عالـمٍ كل الاحـوال
جـيـت المعزب هـم قـام يـتـعـذر
ويـقول عـيـا يـفهـقـه راعـي المال
وعـز الله إنى مـجهـدٍ ميـر مـا سر
صارت عـليـنا عمـلة القرم غربـال
مـن جا عـمـيـلٍ لـلـكداديـد يصبر
وإلـى بغـوا شيٍ يـحايـل ويـحتـال
ورعـاننـا قـامـت تصـيـح وتعـبـر
والـورع ما يـصبـر إلى حـده الجال
العـام ماكـوله مـن التـمر الاصـفر
وعمـيلنـا في عمـلتـه يطرب الـبال
والـيـوم دمـع الـورع قـام يـتـنـثـر
إلا إن شريـنا لـه من الـسوق بريـال
وإن كان مـنهـم مطـلبـي ما تـيسـر
فانا اشـهد إن رزقي كما رزق حـبال
ويـالله مــن نـو مــزونـه تــزبـر
نو عـروض وبارقـه يشـعل اشـعال
ونهـار ثالـث يرخـص التمـر والبـر
وكلٍ تـبـجّح بـالحيا عـقب الأمحـال

وقال سويلم العلي السهلي:

من الهجس والهاجوس وهموم ديان
رجلٍ يـبي حـقه مصـيب ونـصاني
والحق ديـن وصاحب الحـق سلطان
لـولاه هـاقٍ بـالوفـا مـا عـطـانـي
والعـسر شـينٍ يودع الـرجل يـنهان
ويقـصر لـسان الـبارع الـترجمـاني

ولعـل في اسـتغاثـة عبدالله بـن دويرج ولقبه هدبان، ما يوضح المعاناة التي يلاقيها الفلاح من جشع المعزِّب أو التاجر، ويكشف سر طلبـه الغيث لا لمنطقـة السر حيث يقـيم الشاعر، ولكن كل المناطق التي تعتمد الزراعـة فيها على الأمطار التي ترفع مياه الآبار؛ يقول:

جـزا الـنـوم عـن موق عـيـني وفـر
ولا عـاد لـه فـي نـظـيـري مـقـر
الى اغـلـنـطس اللـيـل اعـد الـنـجوم
مـن الجـدي لـسـهـيل لـين المجـر
ولا اتقـن عددهـن برسـم الحـساب
حـذا ما هـفـا لـلـمـغـيـب وظهـر





واصنف بعقلي على ما يليق ... وسقا ساق واسواج وبل حقوق

وش اسباب عين جداها السهر ... وأجا هو وسلمى وابان الحمر

ولا شفت لي بالخلايق سناد ... وبسطة خياله تعم القصيم

سوى من عليمٍ يدير النظر ... كثير المنافع قليل الخطر

إلـه عليم السراير ودود ... الى هب نسم الصبا وارتدم

مدير الفلك في جميع القطر ... تعزّل ربابه وماه انتشر

احدْ فرد جِزل العطايا عظيم ... جرى جور صافيه فوق الوطا

تجلى لموسى وذاب الحجر ... غديرٍ يدم السهل والوعر

أساله بسبع المثاني تمام ... تحرب الحيوان منه الجحور

وعم وطه وباق السور ... تشوف الغثا فوق روس الشجر

عليه اشتكى الحال في كل حال ... ثلاثة عشر يوم منهن ودون

له المجد والجود واله الفخر ... ولا يلحق الناس منه الضرر

وعد بالصخا والرخا والمزيد ... الى زل عشرٍ وسبعٍ تمام

من اثنا بحمده عليه وشكر ... مع اللي مضى له يتم الشهر

يقود الرجا للخلايق عموم ... فلا زال حسبة شهر واربعين

أهل بر الاسلام واهل البحر ... ترى الفقع بالنقع هو والزهر

بنوٍ صدوق المخايل عريض ... تدور السنه والمفالي بحور

دفوقٍ رفوقٍ حقوق المطر ... ولا يلتوي كل عودٍ خضر

نشا من كريمٍ يسوقه مطيع ... على شان عقبه تلين القلوب

سكب وارتكب واعتدل واعتمر ... ولا يربح اللي قنط واحتكر

علاويه جدّه وحدّه جنوب ... الى قالوا الناس فيها بروق

على اطراف صنعا وهاك الدير ... كمش وانقبض خاطره وانقهر

غشا النير وطويق شهلول ماه ... فالى اصبح وهو ما لفى علم سيل

وهو بامر منشيه مجرى القدر ... ضحك وانشرح خاطره واستسر

ويغشى المدينه وينبع سحاب ... عسى الله يذله بعز الضعيف

على جو تيما ومنه انحدر ... إلهي ومحصي حساب الدهر





قـلـيـل المسـاحـي لحـقـه الـدرك
كـسـره المعـزب وهـو مـا انكـسـر
يـدير الـروابـع عـلى وش يـصـيـر
فـالـى هـم فـي ديـنـةٍ مـا جـسـر
اقـولـه وانا مـن زمـانـي مْـخيـف
قـزا الـنـوم عن حـجـر عيـني وفـر
صلاتـي علـى المصـطفـى والسـلام
عـدد ما غـطا الـلـيل نـور السـفـر
كـذا آلـه والـصـحـابـه جـمـيـع
عـداد الـشـجـر والحـجـر والمـدر

ويقول أبو عليان من أصحاب الحرث في قرية القرائن بالوشم:

الـلي يـبـي دينـه يـجي لـه لحـاقه
يـزرع ترى بـعض الـزرايـع توفّـيـه
عـزّي لمن تـوخـذ عـلـيـه الـوثـاقه
والـى بغـى لـه حاجـةٍ بـرّقوا فـيـه

لقـد أفزع حـلـول الـدين الـفلاح التقليدي القديـر، مثل كليب بن ناجي الـدوسري مـن أهـالي الأفـلاج وهو صاحب نخل تراكمت عليه الديون، على حد قول حميدان الشويعر:

وكـل مـن تـديـن لـيـوفـى ديـون
يـحسـب انه نـفه مـن ديونـه واراح
مـا درى انـه يـزيـد الـديـن ديـن
وزاد هـمه هـمومٍ وهـو ما اسـتراح

حتى وصل بـالغريم التفكيـر بأخذ النخل مقابل الدين، لأن الديون تراكمت على كليب بسبب طول الإمهال. فكلما طالت المـهلة زاد الدين، وعنـدما تحدد بيع النخـل لجأ كليبٌ إلى جماعتـه من البادية لمساعدته، لتسديد ديـنه، لإنه لا يمكن أن يستغني عن حقله بأي حال من الأحوال لـلأسباب الـتي شرحـها فـي القصيدة، وهي:

لى شفـت راعى الدين فزيت مـرتاع
حيث ان راعـى الحق ما هو بمـمنوع
يـالله يـامـن هو لـداعـيـه سـمـاع
والـى دعا غـيره فـلا هو بمـسمـوع
افـرج لمـن وجـهـه غـدا فيـه لمـاع
من كـثر دكات الـهواجيـس مرموع
ياغرس يـاللي في الفضـا كنه اقطاع
مثل الجـهام اللي عـلى العد مـقروع
خمـس قوانـينـه علـينـا لهـا اتبـاع
شـرعٍ لـنا مـا هـوب تـوه بمـبـدوع
لى مـن دخلـه الجار ما هـو بيـرتاع
وبـناه مـا هـو دون الأدنين مـرفـوع
مـا خز بـالجـدران عن كـل طـماع
لـو كان فـي بـرٍ فلا هـو بمطـمـوع
سوره مـواصيـلٍ بيد كـل صعـصاع
ومـسـلـبـات زادهـا الـدرج ممـيـوع
والثـانيه لى جـوا هل الهجـن خراع
يشكـون اهلها لاهب الـقيظ والجوع
نبدي لـها الترحيـب ما مست الـقاع
مانـي بمن كنه عـن الضيف مـقموع





والـثالـثـه ندنـي قـنا كـل مـسراع
مانـي بصعـب مير قـدني لها طـوع
والـرابعـه زادٍ بهـا الـسمـن منداع
ومر مـعه كبـشٍ من الضـان مفدوع
والخـامسـه خصـة رفـيقٍ لـنا جاع
يـلقـى بنـا في غـبر الايـام منـفوع
يالـلي تسـوم الغرس مـا نيـب بيّاع
يامـا اهبلك يـاللي تـسومه بمقـطوع
اطـريـت بـيـعه بـاغـيٍ بـه تمـنـاع
مـن واحدٍ ديـنه مـن العـام مدفـوع
نشـري الثني مـن مال بياعـة الصاع
كم لـيلـةٍ نشـبع وهـو طاويٍ جـوع
وان بعـت انا غرسي فـلا نيب بـيّاع
ياويش اسـوي منه ليا رحت مـقلوع
مـانـيب لا عـامـل ولا نـيب زراع
ولا نيـب سراحٍ لـه الشـرط مدفوع

أما الشاعر عـبدالله اللويحان فقد كـان فلاحـاً يقـطع الخـبط ويـحـش الحشيش. ولمّا أصابت المساغب الناس في عام ١٣٣٥هـ، ذكر أن غزة الناعور أي ركز أدوات السقي، وهي كناية عن امتهان الزراعة، ألحقت به الدين، وكان قبل ذلك سالماً منه، ذاك أن كل شيء في الأعمـال الزراعية يتطـلب منه أن يستدين:

حداني على قطع الخبط غـزة الناعور
وانا قبل غزه سالم الدين واشوى لي
أصافح بعمري بالشقا واشغل المقدور
ولا لي بكتب الدين والزرع مدخالي
ولا عرف جلوى والمخانيق وام القور
كليـفٍ تعبهـا والله اعلم بالاحـوالى
كليـفٍ تعبهـا كن شغّالـها مصخور
ولو نام طول الـليل ما منش مقيـالى
تمنيت والاي اني على اللي تكب الكور
طلـيق الأيادي تقـطع الفـتق الخالى
ابا انحـر ديار تسمـع الريل والبابـور
ديار الـرخا ما قـالو الـصاع بريـالى
أبى اهدي عليكم يافلاليح مني شور
إلى صار كلش دين من صاحب المالى
ترى تركته في مطلـب العز والمذخور
اقوله وانا ما انذرت حالي عن افعالى

وعلى الرغـم من أن هموم الديون والاستدانة كانت تلاحق الفلاح القديم، نظراً لـقلة الإنتاج وتـعرضه في بعض السنـين للآفات والأمراض أو انحبـاس المطر من السماء، إلاّ أنّ حالات الكَتْب والمداينة، كثيراً ما تنتهي بالوفاء، خاصة إذا كان الدائـن والمدين صادقـي النية. وحالات الوفاء بالدين تفوق في مجملها حالات بيع المرهون أو تراكم الديون على الفلاح القديم. ونجد في قصيدة للشاعر عبـدالرحمـن بن عبـد اللطـيف دعاءً واستغاثة لله بأن يبارك له في نياقه، وأن يبدل حال العسر باليسر ليوفي دينه ويحرق

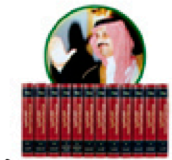




صك المداينة بالنار؛ يقول في تلك القصيدة:

يالله ياااللي في السماوات عالي
يالمعتلي فوق الخلايق رقيبه
يالله انا طالبك تقبل سوالي
اتخلي لنا اللي كلنا نعتزي به
يارب بارك له بكل الحلالي
بالدق هو والجل تعلق نصيبه
يارب بارك في بنات الجمالي
اللي تسقي ناعمات الرطيبه
اللي تجر الغرب فوق المحالي
لكن بين انباعها صوت ذيبه
يارب هون غرسنا بالخيالي
من رايحٍ مزنه رعوده ضبيبه
عساه يسقي الغرس هو والحيالي
وعسى عباره ياصل الملتهي به
يارب توفي عنه دين الرجالي
توفي ديونٍ كايداتٍ صعيبه
يارب توفي ديننا بالكمالي
ديانننا صكه بضوٍ رمي به
عساه للجنه وطيب العمالي
عساه جارٍ للنبي من قريبه
وعساه يشرب من نهرها عسالي
ومقابلٍ حورٍ ضحوكٍ عجيبه
صلاة ربي عد نفد الرمالي
على النبي عدة نجوم المغيبه

ومن تلك الصور استغاثة سلطان ابن عبدالله الجلعود، من مزارعي الجبل وشعرائهم المشهورين، التي ينادي فيها ربه جل وعلا بأن يجلي الليل بأبلج النهار، ودياجير الظلام بأشعة النور، ويقصد بذلك تغيير حالات العسر إلى حالات اليسر. ويتمنى أمنية غالية يتمناها كل إنسان يعيش على أرض هذه الجزيرة ملتصقاً بترابها، وهو خيال السحاب المبشر بنزول المطر، إذ هو أساس بقاء واستمرار الحياة على هذه الأرض، لا سيما عند المزارع والراعي، إذ هو مصدر رزقهما جميعاً. فنزول المطر يعني امتلاء المزارع وازدياد المياه الجوفية داخل الآبار التي يُسنى عليها لسقي المزارع والنخيل، التي هي مصدر رزق الفلاح ولقمة العيش الكريمة. وفي هذه القصيدة يصف الشاعر أدوات السواني وحيواناتها، وصف المحب العاشق لهذه المهنة. وينتهي إلى أن استغاثته هذه جاءت نتيجة لتكتيف يده، وإثقال كاهله بالديون، ومنعه من التصرف بالمال إلا بعد وفاء دين التاجر، ولا يمكن أن يتحقق ذلك الوفاء إلا إذا أثمرت النخيل الباسقات اللواتي تناضد التمر في فروعها بعد سقوط الأمطار. يقول من قصيدة طويلة:





يالله يـا اللـي تجلـي اللـيل بـالنـور
يـا اللـي تجيـب لدعـوة الطـالبـينـا
زان الخـيال وبـت بالـلـيل مـسرور
أطـلـب لعـل الله يـرجـع علـينـا
أطلـب يعله لـى نوى الوسم بـبدور
يـاعـل برقٍ فـوق اهـلـنا يـجـينـا
نفـرح ليـا قالـوا لنـا اللقـم ممطـور
مـغـانـي السـمـره شـمـام تجينـا
نجـذب قراح مـشـمر كـل عـنقـور
نسـقي الغريـس ونفرح اللـى يجينا
مـحال يـا جرّن تـقـل حس بـابور
لادنـدنـن نقـعـد بـهـا النـايمـيـنـا
مـن فوق حـيلٍ ربّـعن كـنسٍ حـور
لـى صدّرن كـن العـرب مطـلبـينـا
واحلـو جرتهـن ليا صـرت بقصـور
وعلـيك مـن دين الأجـاويد شـينـا
سريـهن تحـت الحلـى تقـل خابـور
كـل يـقول لخـيرهـم مـعـقديـنـا
تلـقى القـنا يا جـيت هو تـو مابور
وليـا انهـزع ما تـنهـضه بـاليـمينـا
كم واحد يـكتف من الـدين ماسور
وليـا اثمـرن يطـلق كـتاف اليدينا
وكم دفتـر قِطّع على الحـول مجرور
وكم مـن عمـيلٍ قـال حنـا رضيـنـا
يـالله يالـلي تجـلى الـلـيل بـالنـور
يـا مـوفـيٍ ديـنٍ هـلـه ميّـسيـنـا
يـاموفـيٍ دينٍ عـلى الجـسم مـزبور
تـوفيـه يـالـلي تـبعـث الميـتيـنا
تم الـكلام وكـان ما قـلـت به زور
يـاغـافـر الـزلات لـلـمـذنـبـيـنـا
وصلوا على اللي خص بالوحى مامور
واصـحابـه اللـي بالحرم ساكـنينـا

**التسويق**. إذا استثنينا الحبوب والتمور والأعلاف، كـالبـرسيـم والذرة، فـإن المحـصولات الـزراعيـة لـدى الفـلاح التقليدي لم يكن الهدف منها التسويق؛ فالمنتجات الزراعية المستثناة هي في أغلب الأحوال مكتوبة أو مرهونة بدين التاجر،



تسويق الماشية





على نحو ما ذكرناه، في توفير رأس المال الزراعي للفلاح التقليدي. ففي المراكز الزراعية الكبرى، كالأحساء والمدينة المنورة وبيشة والقصيم، التي اشتهرت بتمورها، كان مزارعوها يسوِّقون إنتاجهم على مستوى المملكة بل تجاوزوها في بعض السنوات إلى الدول المجاورة. ولكن يظل المزارعون الصغار، حتى في محافظة الأحساء، يبيعون منتجاتهم الزراعية بالتجزئة في الأسواق المحلية العامة التي لها استقلال ذاتي، إذ تقوم على المنتجات الزراعية المحلية مثل الحبوب والدجاج وصغار الحيوانات، ويتم التبادل التجاري داخل هذه الأسواق بالنقد.



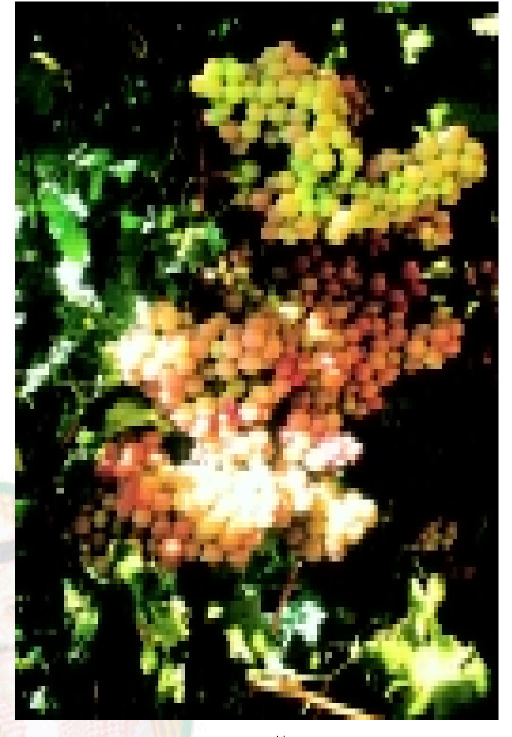
العنبروت

وقد ينضم لمهنة التسويق هذه بعض تجار التجزئة، أو أولئك الباعة الذين يتنقلون بين الأسواق حاملين معهم بعض المنتجات الصناعية الثانوية، مثل الصابون وأعواد الثقاب والعطور والهدايا التقليدية. وتبلغ الأسواق قمة نشاطها التجاري أثناء فترة الحصاد، إذ يقدم الفلاحون الفائض من منتجاتهم إلى هذه الأسواق، التي تكون عادة في وسط القرية وبالقرب من المسجد الجامع، حيث المساحات الواسعة المعدة لهذا الغرض. وفي هذه الأسواق يحصل الفلاح على النقد من أولئك التجار الذين يحضرون لشراء المنتجات الزراعية، ونقلها إلى الأسواق الإقليمية أو الكبرى.

وفي بعض المناطق، كالأحساء والباحة وجازان ونجران، تكون الأسواق أسبوعية، ويختلف اليوم المحدد لإقامة السوق من منطقة إلى أخرى. أما المكان فيشترط فيه أن يكون واسعاً، بحيث يتسع لآلاف الأشخاص. كما يكون ثابتاً عند تقاطع طرق أو بالقرب من قرية صغيرة. أما رواده من المتسوقين والباعة، فيأتون إليه من الأماكن القريبة مشياً على







العنب

وجازان والخرج وغيرها من المراكز الأساسية، مكاناً لوجودها. وتختلف هذه الأسواق عن الأسواق المحلية، في أنها دائمة ويومية، وإن كانت بعض المنتجات الزراعية تتوافر في أيام دون أخرى. كما تختلف عنها في أن بضائعها معالجة ومعدة للتصدير الخارجي أو التسويق الداخلي البعيد.

ومن الصور الأخرى للتسويق الزراعي لدى الفلاح التقليدي المقايضة، وهي أن يعطي الفلاح التاجر بعض إنتاجه الزراعي كالحبوب والتمور، ويأخذ عوضاً عنها بعضاً من احتياجاته كالبن والهيل والسكر والشاي أو بعض الأقمشة الرجالية والنسائية. كما تتم صورة أخرى من صور التسويق الزراعي للفلاح التقليدي بين الفلاحين أنفسهم، وذلك بتبادل منتجاتهم



سوق السمن

الأقدام، أو على ظهور دوابهم ويعودون إلى أماكن إقامتهم، في اليوم نفسه. وتسهم النساء إسهاماً فعالاً في مختلف النشاطات داخل هذه الأسواق، كما تقوم هذه الأسواق بدور اجتماعي مهم؛ إذ يلتقي الأقارب والأصدقاء داخل هذه الأسواق أسبوعياً.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك أسواقاً تقع في أعلى النظام التسويقي الزراعي المحلي في الماضي، وتتخذ من المراكز العمرانية الكبرى، كالرياض وبريدة ومكة والمدينة والهفوف والمبرز والدمام ونجران







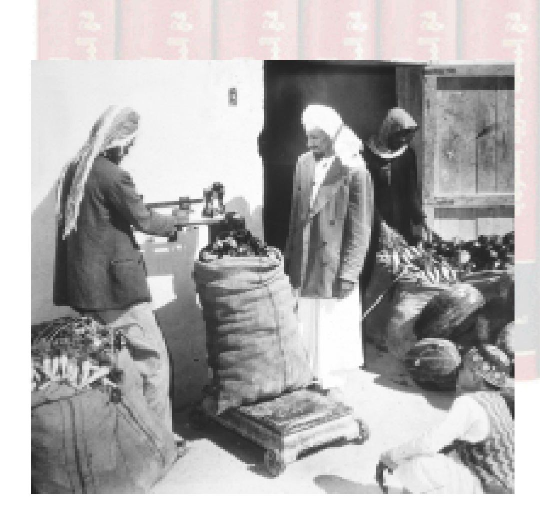
وزن البرسيم

فيما بينهم. فمن لديه حبٌّ يستبدل به تمراً وهكذا، أو بين الفلاحين وأهل البادية حيث يقايض التمر والحب بالسمن والإقط وبعض الدواب.

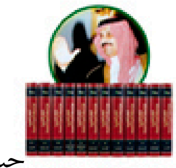
ومن صور التسويق الزراعي لدى الفلاح التقليدي بيع الثمرة على الشجرة. ولا تكون عادة إلا في التمور وما أشبهها، حيث يمكن الاستفادة من



منتجات زراعيّة



تسويق المنتجات الزراعية





رطبها منذ بداية استوائه (نضوجه) حتى فترة الصرام. وقد يتم شراء الثمرة على الشجرة بطريقة المزايدة (الحراج)، حيث تتم المزايدة بين الراغبين في الشراء حتى تستقر على أحدهم. وأحياناً تكون الثمار مسعَّرة؛ أي محدودة بسعر ثابت لا يملك فيها المشتري إلا الاختيار فقط.

كما تباع بعض الأعلاف بالحصدة الواحدة كالبرسيم، أو بانقطاع عرقه، ويكون ذلك بعد عدة حصدات. وعلى الفلاح أن يسقي هذه الأعلاف على نحو ما كان يسقيها قبل بيعها، وتكون فترة انقطاعها، عادة، معروفة بالفصل أو السنة. ويعمد الفلاح، عادة، لمثل هذه الإجراءات التسويقية، إذا كان شيخاً كبيراً أو لا يستطيع أن يدفع للعمال أجر الحصاد والتسويق.



مسكن فلاح

**مسكن الفلاح**. تؤثر طبيعة المياه التي تقوم عليها الزراعة، تأثيراً مهماً في نمط مسكن الفلاح وتجمعات الفلاحين. فإذا كان مصدر المياه نبعاً كالعيون، فإن التجمعات الفلاحية تأخذ نمط القرى، ويختلف حجمها باختلاف كمية المياه المتدفقة، واتساع رقعة الأرض، التي يمكن أن تكون مسرحاً لاستصلاحها وزراعتها بالأشجار المثمرة الدائمة، كالنخل وأشجار الفاكهة، والمحاصيل الموسمية، كالحبوب والأعلاف والخضراوات.

أما إذا كانت المياه التي تقوم عليها الزراعة آباراً سطحية، فإن الفلاح، ربما ينزع إلى الاستقلال عن القرية في تكوين مسكن له ولعائلته ولبعض العاملين في الزراعة لديه. ولكن تبقى بعض مظاهر الاحتياط والترقب لأي نوع من أنواع التعدي على المزرعة وممتلكاتها، كوجود البئر داخل القصر وكذا أبراج المراقبة.

وفي بعض الأحيان تكون إقامة الفلاح موسمية في هذه القصور، والقصر







برج لمراقبة المزارع

هو البيت المبني من الحجارة أو الطين، وهي تسمية ليست مطلقة على مثيلاتها من المباني في كـل مناطق المملكة، بل خاصة بمنطقة نجد، ثم يعود بعدها للقرية التي يشـكل قصره وقصور غيره تـوابع لها. وإذا استثنينا المسجد الذي يكون فيه إمام ومؤذن، تدفع لهما مكـافأة شهرية أو إكراميَّة سنوية أو شبه سنوية، وهذه لم تحدث إلاّ في السنوات الأخيرة؛ فإن نمط القـصور لا يحوي أي مـظهر من مظاهر بيوت السلطة المركزية أو الحكومة. أما نمط القرى فإنه يحوي بئراً أو مسقاة لمياه الشرب أو لوضوء الجماعة، وعليها محَّالة صـغيرة، ودلو ورشاء وبجانبـها قرو، ومـسجد واحد بـوسط القـرية، وأمير؛ مركز إمارته منزله الخاص. وفي بعض القرى يوجد قاض؛ ومركز قضائه المنزل أو حيث المكان الذي به الإشكال أو المنازعة، وغالباً ما يكون القاضي معيناً لعدد من القرى. ويكون القضاء والفتوى في المسجد أو الشارع، وكثيراً ما تنتهي المنازعات بحلول شفوية يلتزم بها الجميع، لأن مبدأ التقاضي هو البحث عن الحَلّ لا عن التحليل، عند الفلاح التقليدي. أما منازل الفلاحين في المـنطقة الجنوبية الغربية، فـقد كانت في الغالب ضمـن قرى لا تقل عن ثـلاثة منازل. ويختار موقع القرية، عادة، في مكان مرتفـع، محـميٍ فـي بعض الأحـيان بانـحدار طبيعي. وتكـون جدران منازل القرية،







مسجد قرية زراعية

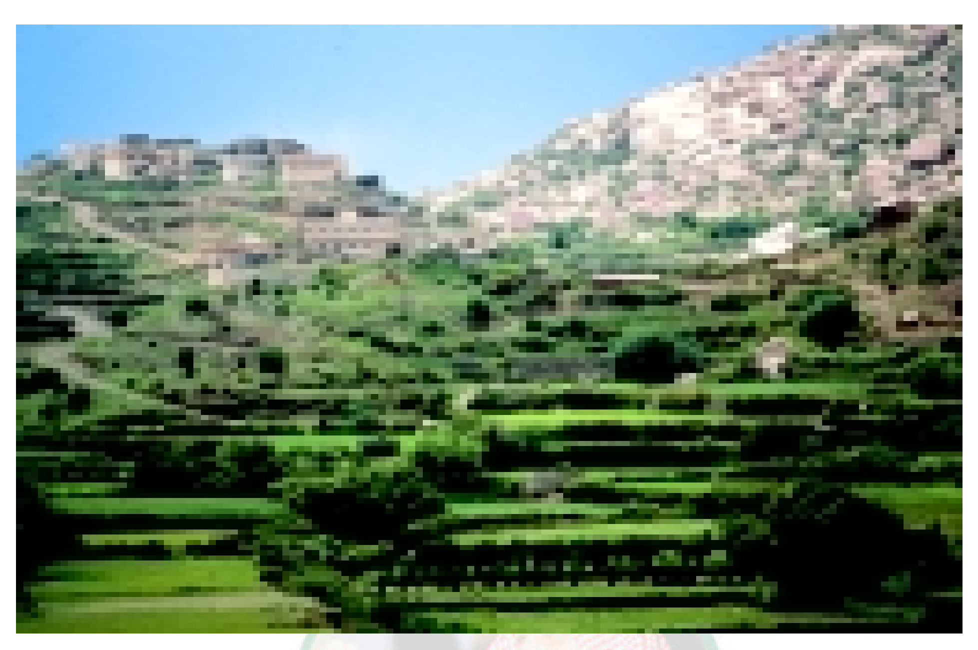
في الغالب، مشتركة وطرقها مسقوفة أحياناً. وليس بالضرورة أن تكون أرض الفلاح قريبة من منزله، لأن الظروف الطبيعية وضيق الأرض الصالحة للزراعة قد تفرض غير ذلك. وللأسباب نفسها فإن البئر في الغالب لا تكون داخل القرية، وإنما يشرب المزارعون من أقرب بئر لهم، لأي مزارع كانت.

ويوجد في منطقة حائل نظام القصور الجماعية، وتسمى قصرْ أو دربْ، وهو قصر جماعي، يحتوي على عشرات بل مئات المنازل والأحواش وحظائر الأنعام، محاط بسور واحد مرتفع. وللقصر باب واحد، أو عدة أبواب، يغلق بعد دخول السكان بأنعامهم بعد صلاة العشاء الآخر. ولا يفتح إلا عندما يبدأ الفلاحون عملهم، قبل الفجر بساعة أو ساعتين، ثم يغلق مرة ثانية حتى قبيل طلوع الشمس، ثم يفتح بعد ذلك طول النهار. ويتناوب الإشراف على الباب، أو الأبواب، سكان القرية بالتناوب، وهذا الإجراء لدواعي الأمن عند اضطراب الأحوال. وهناك بعض المنازل سواء كانت منعزلة أو في مجموعات، مشيدة خارج القصر عند البساتين، وقد اتخذ أصحابها الاحتياطات الأمنية اللازمة لأنفسهم وأنعامهم.

ويتكون سكن الفلاح التقليدي، من طابق واحد أو طابقين في بعض الأحيان.







مبان حديثة في قرية زراعية جبلية

ويُبنـى المنزل بالـطين أو الحجر والجـص المحروق. ويعد اللِّبن والعروق أو المداميك الطينـية، المادة الأساسية في بـناء معظم بيوت مـناطق المملـكة، ما عدا الأجزاء الجنوبيـة والمناطق الساحلـية، كالقطيف والجبيل وتاروت والخبر والأحسـاء وينبع البحر، حيث تشكل الأحجار وبعض المواد الأخرى المواد الأساسية في البناء. ولعل توافر الأحجـار كمادة للبناء في المـناطق الجبلية الجنوبـية الغربية، قد فرض البناء بها، كما أن توافر الطين في بقية المناطق هو ما دفع الفلاح لاستخدامه دون المواد الأخرى. وللأسباب نـفسها استخدمت أغصان الأشجار في بناء العشش في بعض المنـاطق السـاحليـة، خاصة في تـهامة الجنوبية. وكانت الأحجار تقطع من الجبال المجـاورة وتشـكّل بـالمـطرقـه والمرزبَّـه والفاروع، أمّا اللبن فيصنـع بوضع كمية من الطين في قوالـب خشبية مستطيلـة، تسمى الملابن (جمع مَلْبَن)، ويخلط الطين مع التبن لزيادة تماسكه. ويترك اللبن تحت الشمس ليجف قبل استعماله.

ويسقف المنزل بخشب الأثل وعسبان النـخل وجـريده بعـد إزالة خوصـها. وترصف العسبان فوق الأخشاب بشكل محكم، وقد تستخدم النبوع أو الشطبان وهي شـرائح جـذوع النخـل بدلاً مـن أخشاب الأثل. وفي بعض المناطـق تحل







جانب من قرية زراعية

الفروش (الأحجار المسطحة) محل جريد النخل أو العسبان حيث توضع بشكل هندسي جميل فوق الأخشاب، لتكون قاعدة لـلطين الذي يشكل عادة سطح السقف في جميع الأحوال. وفي مراحل متأخرة حلت الأخشاب المستوردة أو المرابيع، كما يطلق عليها، وأشهرها أم حز محّل أخشاب الأثل والنبوع. وعلى كلٍ، فإن الأخشاب المستوردة لا تستخدم إلاً على نطاق ضيق وفي بعض الغرف كالمجلس أو القهوه وهي غرفة استقبال الضيوف خاصة الرجال، لأن النساء لا يستخدمن المجلس. ولأن قدوم الضيف قد لا يسبقه دعوة أو ترتيب معين في معظم الأحيان في مجتمع الفلاح القديم، فقد اختص المجلس بموقع خارجي عن المنزل يشبه الملحق في عصرنا الحاضر، خاصة عند الموسرين. وفي المنطقة الشرقية كانت توضع فوق الأخشاب التي يسقف بها بعض الألواح الرقيقة المجدولة، والمعروفة باسم باسكيل، وتمد فوقها حصر تستورد من العراق، تعرف باسم منقور أو بواري، وهي مصنوعة من القصب المنسوج، ثم يوضع فوقها طبقة من الطين المتبّن، ثم توضع طبقة من الرماد لإكساب السقف مناعة ضد تسرب مياه الأمطار.

وتصرف مياه الأمطار الساقطة على أسطح المنازل بمعابر تسمى المرازيم أو



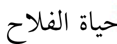


المزاريب أو الميازيب كما يطلق عليها في الأحساء، أو المثعب كما في وسط نجد، أو السَّرب في مناطق أخرى كالجنوبية. وتُصنع هذه المرازيم من جذوع النخل، نظراً لسهولة تجويفها كما يصنعها بعض النجارين من الخشب الطري، كالأثل الذي يسهل تجويفه أو أنواع أخرى كالسدر.

وطراز مسكن الفلاح التقليدي؛ مدخله، عادة، باب واحد كبير ومرتفع، ليسمح بدخول جمله أو حماره ومنايحه من الأبقار والأغنام إلى حوش جانبي مقسم إلى عدة أقسام، تأخذ أسماءها من أسماء الحيوانات الموجودة بداخله. فهناك حوش البقر، وهناك حوش الغنم، وهناك حوش الحمير. ويحتوي الحوش، عادة، على معلف أو مطعم، وهو مكان مرتفع على شكل حوض مستطيل، يوضع فيه نفيعة (عليقة) الحيوان من تمور رديئة كالحشف والنوى وأعلاف أخرى. كما تحتوي الأحواش على مرابط خاصة للبقر وربق للبهم لحفظها عن أمهاتها، وتطلق على أمهاتها فقط وقت الرضاعة. كما تحتوي الأحواش على بيوت للدجاج. ولا يلتصق هذا الحوش بغرف المسكن.

أما غرف المنزل فيأتي على رأسها، من حيث الأهمية، المجلس أو القهوة وقد تكون مستقلة عن المنزل، خاصة إن كانت العائلة كبيرة جداً تتكون من أب وأبنائه وأولادهم؛ وفي هذه الحالة تستقل ببابها وجميع مستلزمات القهوة، التي تعد، عادة، على النار مباشرة أمام الضيوف. وبعض القهاوي تكون معروفة لدى الجميع، وتأخذ لكثرة روادها من الناس صفة قهوة الجماعة. ولذا يعمد بعض روَّادها إلى إحضار طبخته معه، وهي كمية من القهوة والعويدي أو الهيل تكفي لعمل دلَّة من القهوة، يشترك الجميع في شربها. وفي هذه المجالس أو المقاهي يتبادل القوم الأحاديث، ويدلي كل واحد بما صادفه خلال يومه، وما سيفعله في الغد، ويطلب المساعدة أو المعونة إذا كان يفكر في عمل جماعي. وقد يكون الوقت مناسباً للمفاوضات التجارية، أو التقاء الأصدقاء والأقارب.

أما عدد الغرف وتخصصاتها، فنادراً ما تكون واضحة، ما عدا غرفة النوم للفلاح وأولاده غير البالغين، وبعض الصفاف والغرف والسقائف والقبب التي تخزن فيها الأعلاف والتمور. ويتوسط هذه الغرف فناء واسع، يطلق عليه بطن الحوي أو المصباح، وفي معظم الأحيان لا يسقف ليكون مصدراً للإنارة والتهوية، خاصة أن الغرف ليس لها نوافذ جانبية نظراً لضيق الطرقات ولأسباب أمنية،



والمسقوف يسمى قبّه، ومن ألغازهم؛ وش بالقـبّة؟ وجوابه عجوز مـنكبّه. وتأخـذ الفتحات التي على الطرقات أو المساحات الخارجية أشكالاً مثلثة متساوية الأضلاع، قاعدتهـا أسفل ورأسها أعلى. ويـحيط ببطن الحوي أو المصباح، رواق يقوم على مجموعـة من السواري، وهي الأعمدة المبنية من الخرز، أي الحجر المدور والمطلية بالجص المحروق. ويعد الرواق مكان تجمع العائلة ونشاطها خاصة في فصل الصيف. أما مجموع مساكن القريـة فتكون مقفلة على نفسـها تحيط بها الأسوار والأبراج والقلاع للمراقبة والحراسة. وكانت لتلك الأسوار بوابات أو دراويز، تقفل في المساء وفي الأزمات والحروب. كما كانت بعض المنازل تسكن مشتـركة بعدد من الأسر، لكل أسرة غرفة واحدة، وتطبخ كل أسرة طعامها في الحوي (الفناء) ويسمى مكان الطبخ موقدْ، وتحوي بعض البيوت تنوراً تخبز فيه المراصيع والكليجا، ولكل الأسر في المنزل مجلـس واحد مشترك. وهذه الحالة تقتصر على كبار المزراعين من الملاك وغالباً ما تكون في القرى الكبيرة في نجد والأحساء والمدينة ونحوها. وهناك فئات أخرى كصغار الملاك أو العمال فلا تنطبق عليـهم هذه الحالة لأنه لـيس لديهم ما يجذب الـلصوص فيخاف عـليه وليس لديهم قدرة على بناء هذه القصور.

وفي البادية حيث الرعي، وفي هجر الغربية، تقام بيوت الـشعر ومن حولها



بيوت من الشعر



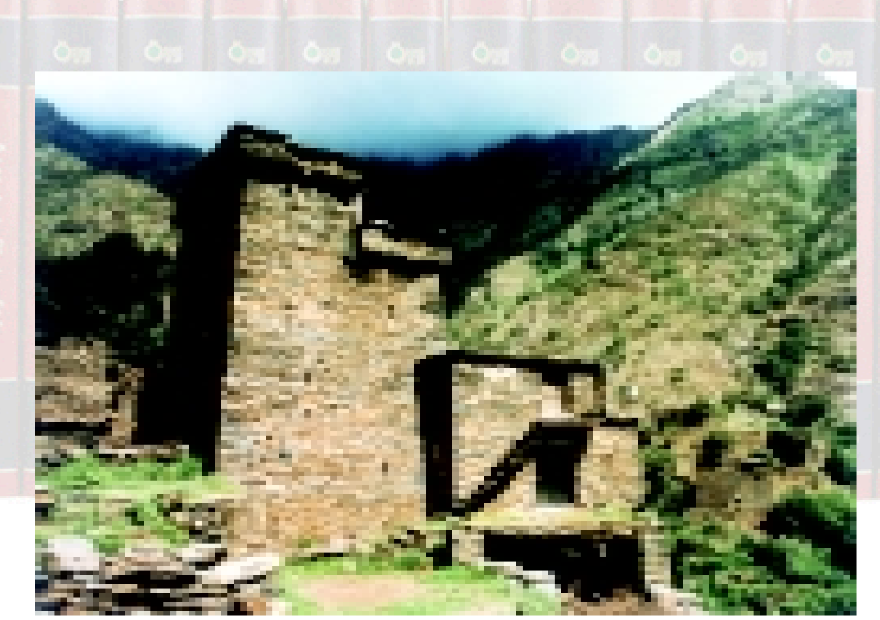


معاطــن ومراح الإبل والأغنــام وتكون بيوت الشعر هذه إما محاطة بسياج من الأغصان الشائكة تفادياً لهجوم الذئاب أو ينام الرعاة بينها.

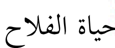
وفي كثير من القرى الحجازية تجمع المباني وتخترقـها أزقة ضيقة وتبنى إلى جوار الدور زرائب من جريد النخل أو الطين. وفي الأودية تبنى الدور متجاورة في مرتفع لتفادي السيول، وبجوار هذه الدور حظيرة للمواشي.

وكمثال فـسكن الفلاح في الـباحة مبني بالحجر ومسقوف بخـشب العرعر في إطار هندسي؛ فهو مستطيل تخصص مقدمته للضيوف وغرفه الوسطى للنوم وتخزين المؤن والسلاح والأشياء الثمينة، أما المؤخرة في الداخل فتخصص للطبخ والرحـى، وأجزاء البـيت من الداخـل مكسوة بالطين ومطلية بمادة الشيدة، وهي تربة خاصة إذا خلطت بالماء يصبح لونها أبيـض لامعاً، وقـد تعمل فـي أسفل الجدران إلى ارتفاع مـتر نقوش ملونة، وقد تطور المعمار من هذا النمط بالحاق الحفر علـى جميع الأخشاب الـداخلية إمعاناً في الزينة، أما بهائم الفلاح فإنها تسكن في الدور الأرضي إن كان البيت من دورين، أو تـسكن في بـيت قديم يسمى السفل أو المراح.

ومن المزارعين من يتخذ في الصيف مسكنـاً مؤقتاً في وسط الـنخيل فيبـني بالعـسبان ما يـشبه الخيمـة حول جذع



بيت في منطقة زراعية جبلية



عَيْدانه؛ وهـي النخلة الفارعـة الطول، ويُسمى هذا المسكن العشه، وقد يُلحِقُ به مجلسا مسوراً بالعسبان يسمى صريفه. وهو بهذا يكون قريباً من الـنخل يسهل عليه الخَراف والجداد.

**حيوانات الفـلاح**. اعتمدت الزراعة التقليدية، التي سادت فـي نواح عديدة من شبه الجزيرة العربية على طاقة الإنسان والحيوانات المدربة لـلعمل في عمليات الزراعة الـتقليـدية المختلفـة. وقد كان لحيوانات، كالحمير والأبقار والإبل، شأن كبير في العمليات الزراعية التقليدية في المملكة في غيـاب الآلات ورأس المال؛ فمعظم العمـليات الزراعية تعتمد على طاقة هـذه الحيوانات كالحراثـة والسني والدياسة والنقل بأوسع صوره. كما تمد



الإبل من حيوانات الفلاّح

هذه الحيوانات الفلاح بالحليب ومشتقاته، وببعض ضـروريات عملياته الزراعـية؛ فهي توفر له مع حيوانات المزرعة الأخرى الأسمدة، كما يتخذ من جلودها الرشا والسريـح والغرب والقد لاستـعمالات مختلفة في الكتَب والعلق، كما يدخل صوفها ووبرها وشعرها في استعمالات عديدة مستقلة أو مكملة، كبطانة القتب من الصوف والوبر.



من حيوانات الفلاّح





ولما كانت هذه الحيوانات (الإبل والبقر والحمير)، من أهم ما تعتمد عليها الزراعة التقليدية بعد الإنسان، اهتم الفلاح التقليدي بها اهتماماً يكاد يساوي اهتمامه بأفراد عائلته؛ فوفر لها المبيت المناسب في الصيف والشتاء، كما وفر لها الغذاء المفيد، بل لقد نوَّعه وجَدْوَلَه بما يتلاءم والعمل المنوط بها، إذ يتوقف نشاطها وأداؤها لمهمتها على نوعية العلف الذي يوفر لها، ومدى كفايته وتنظيمه. وتتكون الأعلاف التي تقدم لهذه الحيوانات من نتاج المزرعة أو أعشاب وشجيرات البراري المجاورة، خاصة في سنوات الخصب وسقوط الأمطار. وغالباً ما يكون أحد الصبيان مكلفاً بهذه العملية، وقد يقوم بها الساني. ولهذا كثيراً ما نجد العامل أو المالك في بعض مناطق المملكة يتضجر من الخروج نهاراً لجلب الحشيش من البر في موسم الربيع، أو الشويط من أشجار القتاد، التي تقطع في بعض المناطق وتحرق حرقاً خفيفاً لإزالة الأشواك التي تؤذي الحيوانات عند أكلها. وتتبع عملية جمع الحشائش البرية لتغذية السواني عمليات أخرى، تكشف عن اهتمام الفلاح بحيوانات سنيه، وهي عمليات التصفية التي تقوم بها النساء أحياناً إذا لم يكن لدى الفلاح عامل مخصص لهذه المهمة. وتتلخص التصفية في خلط الأعشاب مع بعض التبن، ثم تبلل وتربص بالماء لإزالة الأتربة العالقة بها.



نقل المحاصيل الزراعية





أما طريقة تعليف حيوانات السني وتنظيمها، فتكاد تكون متشابهة في مختلف مناطق المملكة، وإن اختلف نوع العلف المقدم من منطقة إلى أخرى. ففي المنطقة الوسطى تقدم وجبة مطبوخة في وقت السحر للإبل أو البقر، تتكون من الذرة أو الشعير والنوى (العبس أو الفصم) المرضوض ودبس التمر. ويطلق على هذه الوجبة دشيشْ أو دثيثْ أو نفيعه. ولهذا نجد الشاعر سعد بن محمد بن يحيى، يتمنى نزول الأمطار لينبت العشب في مدامث الرمل لتخف وطأة بحث الفلاح عن أعلاف لسانيته، كالشعير والعبس (الفصم) الذي يجلب، عادة، من بلاد بعيدة كالعراق أو مما يوجد محلياً؛ يقول:

شعير العراق يجنّبه ما يسومه

فشلٍ بتدبيره وفشلٍ بكيله

وراعي العبس ما خاشره في سهومه

ولا اوقف الناظر بوجه عميله

وفي فترة الظهيرة تقدم للإبل والبقر، وجبة العبيك التي تتكون من خبط مقطوع من شجر الطلح وعبس مرضوح، أي مرضوض، يخلطان معاً ثم يعجنان ويعبكان بتبن؛ وجاء ما يصور هذا الأمر في أمثالهم قالوا «مثل رضاح العبس»؛ ويضرب لمن يتخاذل في نهاية الأمر؛ إذ يحكى أن رضاح العبس قال تعبت، وألقى بآخر نواة فلم يرضحها. ومن ذلك قولهم أيضاً «دقّاق حِمْل الفصم ما يعجز عن فصمه» الفصم: النوى، فمن يستطيع أن يدق حمل بعير منه لا يعجز عن دق فصمة واحدة؛ ويضرب المثل في أنّ من استطاع أن ينجز أكثر الأمر وحده، لن يعجز عن إنجاز الجزء القليل الذي تبقى منه؛ وقد أشار إلى الخبط، وهو المكون الرئيسي لهذه الوجبة، عبدالله اللوح (لويحان) بقوله:

انا بين جلوى والمحانيق وام القور

أسير بفاسي والله ابخص بالاحوال

حداني على قطع الخبط رزة الناعور

وانا قبل ارزه، سالم الدين واشوى لي

ويختلف ما يقدم للإبل من أعلاف في منطقة حائل، عنما يقدم في المنطقة الوسطى. ففي حائل تتكون الأعلاف من ثلاث وجبات؛ الوجبة الأولى الغداء وتقدم قبل طلوع الشمس أو أذان الفجر، والوجبة الثانية تقدم عند أذان الظهر وتسمى الهجور، والوجبة الثالثة وتقدم بعد غروب الشمس، وهي العشاء أو النفيعه، إذا تيسرت من ذوي اليسار، فتقدم قبيل النوم وخاصة في ليالي الشتاء الطويلة، التي تحتاج فيها السواني إلى ما





يبعث فيها الدفء من العلف المخلوط بالطعام كالتمر أو الفصم المدقوق أو المجروش وغيره، إذ المعروف أن الحيوان، على عكس الإنسان، يشعر بالدفء أثناء الأكل. ويتخلل الوجبات الثلاث ما يستطيع الفلاح الحصول عليه من مزرعته. أما سانية الحمير فعلفها التمر إذا تيسر، ويسمى النفيع مع الحشيش والقت (البرسيم).

وفي المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، تقدم للأبقار عند السحر وجبة يطلق عليها ضحى، وعند الظهيرة وجبة أخرى تسمى الغدوه أو الغدا. وتتكون الوجبتان من الذرة والتبن والحشيش وقليل من البرسيم. وفي بعض الأماكن في الأجزاء الجنوبية الغربية من المملكة تعطى حيوانات السني وجبات مطبوخة تتكون من نخالة الذرة والشعير والقمح مع بقايا سنابل الذرة الرفيعة أو الصفراء، وتقدم قبل المغرب مرة أو مرتين في الأسبوع، ويطلق عليها فَرِيْقَه أو دشيشه.

ولأن حيوانات السني قد تظل، أحياناً، طوال الأربع والعشرين ساعة في المنحاة، على حد قول محمد بن سليمان:

نهارها مع ليلها دب دامه
نهينها للزرع غصبٍ بلا طيب

فإن الفلاح التقليدي قد اكتسب من مهنته خبرة مؤداها أن نشاط السانية وصبرها في السني، يتوقف على كفاية العلف وتنظيمه. وعلى قدر نشاط السانية وقدرتها على مواصلة العمل تكون وفرة الإنتاج. لذا اعتمد الفلاح برنامجاً غذائياً أثناء العمل أو السني أسماه التلقيم أو التعليف، نظراً لحاجة الحيوان للغذاء ولكن الوقت لا يسمح بالتوقف. ولبرنامج التلقيم الغذائي للسانية من الإبل والأبقار فترتان؛ الأولى فترة الضحى في المسنى أو المنحاة، حيث تقوم المرأة في معظم الأحوال بهذا العمل. فتقف بجانب المعدل أو المقام ومعها زنبيل فيه حشيش، كالعرفج أو غيره مما يحش من البرية أو يجمع من المزرعة، فإذا بلغتها السانية ووقفت عند المعدل، أخذت المرأة بخطام السانية وناولتها لقمة (دحروجه) قد جهزتها من قبل، تسمى القيول في الأحساء. والفترة الثانية للتلقيم تكون بعد صلاة المغرب، وبعلف يشبه ما قدم في الفترة الأولى أو فترة الضحى. ومما تجدر الإشارة إليه أن تلقيم الفترة الثانية قد لا يكون في المسنى، إذ يلي التوقف عن السني ويسمى الإيضاع أو التعقيل أو الحطه، وقد يكون في المسنى







السواني

إذا أريد مواصلة السني إلى ما بعد العشاء، أو حتى بعد ذلك في أوقات معينة.

وفي المناطق الجنوبية الغربية من المملكة، تقدم وجبات غذائية لحيوانات السانية أثناء السني، يطلق عليها التطعيم أو التلقيم حيث تلقم الأبقار من قبل النساء اللواتي يجلسن في نهاية المداح أو المنحاة أو المجرّه ومعهن قطع صغيرة من الذرة الخضراء أو الجافة الملفوف عليها قليل من البرسيم أو من نبات يؤخذ من جوانب الأودية، يدعى الغيله في بعض المناطق، وهو غذاء جيد للأبقار. وتستمر فترة التلقيم لمدة ساعة أو ساعتين. وأما الإبل فإنها تلقم في هذه المناطق باستمرار، أثناء السني، أو نقل الحجارة لبناء بيوت المزارعين.

وإذا كان العلف يثقل كاهل الفلاح بالدين، سواء بالاستدانة لشرائه أو بالتعب للحصول عليه، فإن نزول الأمطار وإخصاب الأرض ونمو الأعشاب في البراري يخفف عن كاهله هذا الحمل؛ على حد قول شاعرهم سعد بن محمد اليحيى:

يجيه مخلاصه بليا خصومه
والستر يشرونه رجال القبيله
ومن كان له مطلب خلص في يمومه
وتواضعت عنا الحمول الثقيله

وعلى الرغم من ذلك فعلى الفلاح، من جانب آخر، استغلال الفرصة لجمع

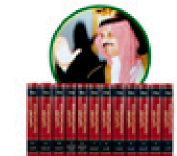
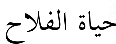




الأعلاف من البراري، وتوجيه أفراد عائلته أو صبيانه للحش من البراري، وتجميع ذلك العلف في مخازن تسمى الصفاف، (مفردها صفّه) أو الدور (مفردها دار). ويستخدم هذا المخزون من الأعلاف وقت الجدب، كما يخزن الفائض من إنتاج أعلاف المزرعة في هذه الصفاف بعد تجفيفها بالشمس للغرض نفسه. وفي كثير من الأحيان يستأجر الفلاح امرأة لدق العلف وتقطيعه، إذا كانت سوانيه كثيرة أو لا يريد أن يتعب زوجته وبناته، وأحياناً تكون أجرة هذه المرأة من ثمرة الموسم، وتسمى المرأة المستأجرة الدَّقَّاقه أو المعلفه. ويدق العلف بأداة حديدية تسمى الحيف. كما تسمى المخشله أو المقراضه ولها مقبض من خشب، ولكن بعضها له مقابض من حديد.

ومن مظاهر اهتمام الفلاح التقليدي بحيوانات سنيه، إشرافه المباشر على تمريضها، عندما تتعرض لمرض كالجَرَب أو الدَّبَره. وكانت وسائل بيطرته بدائية وتقليدية كزراعته. فالدَّبَر الذي يصيب حيوان السني، هو آثار اكتراب القتب الذي يربط به الرشا، ويعالج بحرق روث الحيوان نفسه وذره على الدَّبره؛ ولهذا قالوا في أمثالهم «يفت من بعره ويحط على دبره»، ويقولون «من بَعْره فتوا على ظهره» أو «خذ من بعره، وفت على ظهره». والسلاق وهو إسهال يصيب حيوان السني، يعالج بكي جنوب الدابة وحول ضلوعها. ومثله الخُرَّاج الذي يظهر في الرقبة والنحر إذ يعالج بالكي. أما الجَرَب الذي يصيب سانية الإبل، فيطلى بالنُّورة وهي أحجار تدق وتطبخ ويضاف لها السم أو الزرنيخ، أو يعالج بالقطران المستقطر من الأخشاب كما هو الحال في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة. كما يعد التجليل ظاهرة من ظواهر اهتمام الفلاح بحيوان سنيه. والتجليل وضع ساحة، وهي قماش مسدوّ من الصوف، أو وضع خيشة على ظهر الدابة وذلك في حالتين؛ الأولى عندما يكون الجو بارداً، وحيوانات السني في العراء تحت النجوم أي لا يوجد لها غرف خاصة للمبيت. والثانية عندما تكون الدابة ضعيفة، فيلازم ذلك، عادة، سقوط شعرها أو وبرها فتصبح أكثر تعرضاً لآثار البرد.

ويحافظ الفلاح على حيواناته المختلفة فيدخلها الأحواش فيحميها من هجمات الذئاب وربما استعان بكلب حراسة، وهو أيضاً يحمي مزرعته منها ومن غيرها بوضع الحواجز والردائم، والردامة هي عارضة من الخشب تسد بها الطرق وأبواب الحظائر، ويجب أن


تكون الردامة قوية تمنع تجاوز الحيوانات؛ وقالوا في المثل «ترى الردامه خوص» كناية عن ضعف الحاجز وأن الأمر أسهل وأهون مما هو ظاهر للعيان.

كما يعمد الفلاح إلى إدخال حيوانات سنيه، خاصة الإبل، في المجباب، وهو وسط بيته أو في أماكن خاصة بها، لأجل حمايتها من البرد أو الظروف المناخية الأخرى، كالمطر الغزير ونحوه.

وإذا كانت الإبل والأبقار والحمير قد لازمت الفلاح التقليدي في العمليات الزراعية العديدة، فهناك حيوانات أخرى كانت تربية الفلاح لها خاصة بالاستفادة من ألبانها ولحومها وأصوافها وشعرها؛ كالماعز والضأن والأبقار الحلوبة، ولغرض الاكتفاء الذاتي في أضيق صورة. ومن هنا فسوف نتناول حيوانات المزرعة حسب الهدف من تربيتها.

أمّا هذه الحيوانات؛ الإبل والأبقار والحمير، وإن اشتركت في تصنيفها كحيوانات خدمة، فإن لبعضها نوعاً من التخصص أو الانفراد في أداء خدمة حقلية معينة. فالإبل والأبقار مثلاً تشترك في عملية السني في جميع مناطق المملكة، ما عدا منطقة الأحساء. أما الحمير فتشارك في هذه العملية في بعض المناطق مثل الأحساء والقطيف، وفاقاً لما أجراه الباحثون من مقابلات شخصية. وعلى النقيض من ذلك نجد الحمير هي الحيوانات المفضلة في عمليات الدياسة والركوب،



الدياسة بالحمير





ونقل مستلزمات الفلاح كالسماد والطين وغيرها في المنطقة الشرقية والمنطقة الوسطى من المملكة، وإن كانت تستخدم الأبقار والإبل على نطاق ضيق. ويمكن رصد أسباب الاختلاف بين الحيوانات في القيام بالعمليات الزراعية والسيطرة الإقليمية لحيوان على حساب آخر؛ فمن هذه الأسباب الخصائص الخَلقية والخُلقية لحيوان السانية، فحافر الحمار، مثلاً، وقدرته على الدياسة جعلته مفضلاً في المنطقتين الوسطى والشرقية، في عمليات الدياسة، على عكس الأبقار ذات الأظلاف والجمال ذات الاخفاف. وذكاء الجمل وسرعته على التعلم والانقياد والطاعة العمياء في مجال السني، جعلته يفضّل على الأبقار والحمير. فالمربوعة إذا جاءت وغطت غروبها في الماء ونزَرها، أي صاح بها الساني أعطته وجهها ثم سجرت ووقفت والغروب لا تزال في البئر، ثم نزعت وكل غرب نصا دراجته، أي اتجه إليها فلا تتشابك الغروب. وإضافة إلى ذكاء الإبل وسرعتها في التعلم، فإن قوتها وقدرتها على نزع ما كبر من الغروب، مقارنة بحيوانات السني الأخرى كالأبقار والحمير، تزيد في أهميتها وتجعل المزارعين يفضلونها على سائر الحيوانات الأخرى.

وعندما يكون مستوى الماء الجوفي في المناطق الزراعية عميقاً، يعتمد الفلاحون على الإبل، لإنها أصبر من غيرها وأقوى، أما المناطق ذات المياه القريبة من السطح، كما هو الحال في الأحساء والقطيف، فإن الأبقار أو الحمير تكون كافية للسني عليها.

ويتدخل المستوى المعيشي لأهل المناطق واختلافه من منطقة إلى أخرى، في إيجاد هذا التنوع أو الاختلاف في استخدامات حيوانات خدمة بعينها، أو سيادة حيوانات خدمة في منطقة دون أخرى. وكذلك النظرة الاجتماعية لاستخدام حيوان بعينه في عملية زراعية بعينها. فالمناطق الشمالية في المملكة يستهجن الناس فيها استخدام الحمير في السني، إلا في حالة فقر المزارع بحيث لا يستطيع شراء أو استكراء الإبل للسني، وقد يجمع بينهما بالإضافة إلى الأبقار في المنطقة الوسطى وكذا الجنوبية.

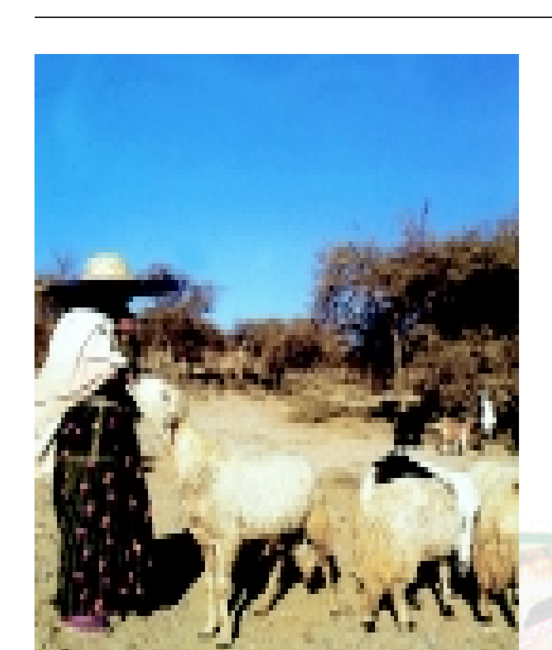
كما أن الاختلافات الإقليمية في كيفية استخدام حيوان الخدمة في العملية الزراعية كان لها أثرها في اختيار الحيوان. فربط حجر تجره الأبقار في عملية الدياسة في الجنوب، جعل الأبقار هي المسيطرة في هذه العملية في جنوب غرب المملكة، ولكن لا تعرف هذه الطريقة في الوسطى





أو الشرقية أو الشمالية، ولهذا سيطرت الحمير لتميزها في حوافرها.

وبجانب الحيوانات المستخدمة في العمليات الزراعية المختلفة، حرص المقتدرون من المزارعين على امتلاك وتربية أعداد أخرى من الحيوانات لأغراض أخرى، غير المشاركة في العمليات الزراعية، كالحصول على الألبان واللحوم والسماد والجلود. وكان كل مزارع يربي من هذه الحيوانات والدواجن على قدر استطاعته، وحسب المساحات الزراعية التي يمتلكها. إن امتلاك مساحات زراعية أكبر، يعني إنتاجاً أكبر، ويعني مردوداً مادياً أكبر، ويعني قدرة على توفير أعلاف للحيوانات التي تربى في المنازل. وفي المزارع التقليدية كان التركيز على تربية الأغنام من ضأن وماعز، لأنها لم تكن بحاجة إلى أعلاف وإنما كانت ترعى غالباً في المناطق القريبة من المنازل، وربما كان هذا سائداً في كل المناطق. وبالإضافة إلى الأغنام كان أكثر المزارعين يربون أعداداً قليلة من الأبقار، وبعضهم يربي أعداداً من الإبل، كل بحسب إمكاناته. وهناك اختلاف بين تلك المناطق في التركيز على تربية أنواع معينة من الحيوان دون غيرها؛ فإذا نظرنا إلى المنطقة الجنوبية نجد أن السائد تربية الضأن والماعز، خاصة



تربية الضأن

منطقة السراة من الطائف حتى نجران، حسبما تسمح به إمكاناتهم المادية وأعداد أفراد أسرهم؛ فكلما زاد عدد أفراد الأسرة، كان بالإمكان أن يرعى بعضهم الأغنام في الأماكن البعيدة، والبهم (الصغار) في الأماكن القريبة. وكان يقوم بهذه المهمة الأطفال فوق سن الثانية عشرة من البنات والبنين، أمّا الكبار فيشتغلون بالأعمال الزراعية.

وكانت أعداد الضأن في هذا الجزء، أي في منطقة السراة، غالباً أكثر من الماعز، لمشقة متابعة الماعز ورعايتها، ولأنها تتسلق الجبال، وتبتعد عن الرعاة من صغار الأطفال؛ بينما نجد في تهامة



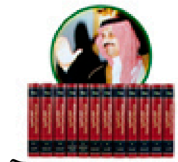


الجبلية، الواقعة مباشرة إلى الغرب من جبال السراة، زيادة في أعداد الماعز لأنها منطقة تلالية ضيقة الأودية، كما أن الغالبية العظمى من أنماط الزراعة تعتمد على الأمطار، ولذلك ليس هناك عملية ري إلاّ لمدة أربعة أشهر خلال المواسم الزراعية، فيكون لدى المزارع وقت لرعاية الأغنام ومتابعتها بنفسه. وإذا انتقلنا إلى الساحل الغربي نجد التركيز يعود مرة أخرى على الضأن، لانبساط الأرض وخطورة الماعز على المزروعات لعدم وجود حواجز حول المزارع. وهكذا الحال عند معظم المزارعين في المنطقة الوسطى والشرقية والشمالية.

يتضح من العرض السابق أن الأغنام تعتمد على الرعي تماماً، ولا تقدم لها أعلاف من المزرعة إلا نادراً. ويبدأ نهار الرعي عند شروق الشمس، ويقوم الراعي، سواء أكان ابناً أم بنتاً أم كليهما، حسب عدد الأغنام، بتسريح الأغنام إلى المرعى من قريته، وقد يكون معه مجموعتان أو أكثر من أهل القرية يتجهون إلى إحدى المناطق المجاورة الغنية بالأعشاب، التي قد تبعد عن القرية مسافة تصل إلى ١٠كم. ويُحذَّر الرعاة من خلط الأغنام بعضها مع بعض، كما يحذرون من الاجتماع واللهو، حتى لا تضيع الأغنام، أو تتعرض لهجوم الذئاب في غفلة من الرعاة. ويوصى الراعي دائماً بعدِّ غنمه بين كل فترة وأخرى للتأكد من عدم فقدان إحداها أو بعضها في أحد الشعاب أو الأودية أو التلال. ويأخذ الراعي معه كسرة من الخبز ليتغدى بها. وإذا كان الوقت صيفاً ينصحون الراعي بأن يأخذ فترة راحة وقت القيلولة لمدة ساعتين، حيث يظلل الغنم تحت الأشجار المتوافرة، ثم يبدأ بعد ذلك في العودة على مهل تجاه البيت سواء من الطريق الذي سلكه في الذهاب أو طريق أخرى قريبة ليصل إلى البيت قبل ساعة أو نصف ساعة من الغروب.



طفل يرعى الماعز





وفي بعض القرى، خاصة في المناطق الوسطى والشرقية، قد يكون لكل قرية شاوٍ (راعٍ متخصص) يكون، عادة، من أهلٍ البادية القاطنين في القرية أو جوارها، يتولى رعي أغنام القرية لقاء أجرة معينة عن كل رأس. وعادة يتولى الراعي رعي الغنم من طلوع الشمس حتى قبيل غروبها، حيث يعود بها إلى ساحة متوسطة في القرية تدعى المْرَاحْ حيث يأتي أصحاب الغنم، خاصة من الأطفال، لأخذ أغنامهم. وفي بعض الأحيان تعود الأغنام من هذه الساحة إلى بيوت أصحابها فيفتح لها إن سمع صوتها، وقد تحرك الباب أو حلقته أو مطرقته لإشعار أهل البيت بها.

وفي كل الأحوال عندما تصل الأغنام إلى المنزل، تبقى في الساحة المقابلة للمنزل المخصصة لذلك، حيث تقوم النساء بحلب الأغنام ويُبقين على قليل من الحليب لتتغذى عليه البهم. وبعد الغروب تدخل الأغنام إلى الجزء السفلي من المنزل أو إلى حظائرها الخاصة، إذا كان الوقت شتاءً أو تترك في الفناء أو في ساحة خارج المنزل محاطة بسياج، إذا كان الوقت صيفاً. وفي صباح اليوم التالي تحلب النساء الأغنام مرة أخرى قبل إطلاق صغارها للرضاعة وتسريحها. وتقوم النساء في بعض المناطق بتنظيف المكان، الذي باتت فيه الأغنام، من السماد وإخراجه إلى مكان مخصص لذلك، قريب من المنزل، ليجف ويتجمع ويهيأ لنقله إلى المزرعة فيما بعد. أما البهم فيتولى عادة أحد الأطفال أخذها للمرعى الذي لا يبتعد عن المنزل بأكثر من كيلو متر واحد، وقد يرعى حول المزارع ويعود وقت القيلولة إلى المنزل، ثم يأخذها إلى المرعى مرة أخرى قبل العصر بقليل.

وعندما تقل الأمطار بحيث تصل إلى درجة تصعب معها الزراعة في موسم من المواسم، خاصة في المناطق المعتمدة في زراعتها على الأمطار، وتقل الأعشاب في المناطق القريبة من المنازل والقرى، فإن المزارعين أصحاب القطعان الكبيرة التي تتعدى الخمسين رأساً، يبحثون عن منطقة يكون فيها العشب أوفر حتى لو كانت بعيدة (٣٠-٥٠كم) عن القرية. فيذهب إليها أحد أفراد الأسرة من الرجال مصحوباً بقطيع الأغنام. وإذا كان في الإسرة عدد من الإخوان فيذهب أحدهم، وربما يصطحب أسرته معه. وقد تذهب مجموعة من الرجال من قرية واحدة وينزلون في المكان المتوافر فيه الكلأ والماء، وأحياناً يبنون غرفاً صغيرة لا يزيد ارتفاعها

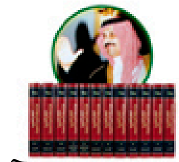




عن متر أو متر ونصف، تسمى سقيفه، (الجمع سقايف) يدخلون فيها الأغنام. وقد يدخلونها في بعض المناطق إلى عشش أو أكواخ بدلاً من السقائف كما هو الحال في تهامة. وقد يستخدمون بيوت الشعر ولكن في حالات قليلة. وفي هذه الحالة يعيشون حياة البادية لفترة مؤقتة، ويتناوبون على إحضار المؤن كل أسبوع تقريباً من منازلهم على الإبل والحمير. ويظلون على هذه الحال لمدة قد تصل إلى أربعة أشهر، فإما أن ينزل المطر على منطقتهم ويعودون، أو يبقون في المنطقة التي نزلوا بها إذا توافر بها الماء والكلأ، أو ينتقلون إلى منطقة أخرى. ويسمى المزارعون الذين ينتقلون بأغنامهم مؤقتاً العزُوب؛ ويقولون إن فلاناً أعزب بغنمه في المكان الفلاني فهو عازب. وحياة العزوب حياة شاقة وصعبة لأنهم يتعرضون للشمس والأمطار والمبيت في العراء، ولذلك يقولون عن الشخص الذي يحيا حياة شاقة وغير مستقرة بأن حياته حياة عزوب.

وهناك أهداف عديدة من تربية الأغنام، يأتي في مقدمتها الاستفادة من لحومها؛ إذ لم يكن المزارعون يتعمدون ذبح الأغنام بهدف الحصول على اللحم للأسرة بشكل دوري، بل قد يمر حوالي شهرين أو أكثر دون أن يحدث ذلك. فدخول اللحم في الوجبات اليومية كان قليلاً، رغم كبر أعداد أفراد بعض الأسر. وإذا لجأوا إلى ذبح الأغنام فإنهم يذبحون عادة الكبيرة في السن أو التي لا تلد. ولكن عند قدوم ضيف من أي مكان، حتى وإن لم يكن معروفاً، فإن المزارع الذي يملك أغناماً لا عذر له في أن يقدم لضيفه غير الذبيحة، وإلا نعت بالبخل. وحتى من لا يملكون أغناماً يلجأ كثيرٌ منهم للشراء لإكرام الضيف.

ومن الأهداف الأخرى لتربية الأغنام في بعض المناطق استخدامها في المناسبات الكبيرة. والمناسبات الكبيرة متعددة وهي التي قد تحتاج إلى حوالي عشرين رأساً من الضأن أو الماعز أو منهما معاً. ومن هذه المناسبات حفلات الزواج وبناء المنازل. فبناء منزل يحتاج على الأقل إلى ستة أشخاص، يحتاجون إلى ثلاث وجبات يومية، ولا بد أن يدخل اللحم على الأقل في وجبة واحدة منها. وقد يستغرق بناء المنزل حتى الانتهاء منه حوالي شهرين أو أكثر، حسب حجم المنزل، ولذلك فلا بد من ذبيحة على الأقل كل أسبوع. وكذلك الحال عند النيّة في حفر إحدى الآبار؛ فالمزارع عندما ينوي بناء منزل





جديد أو حفر بئر جديدة، لا بد من التهيئة قبل ذلك بمدة لا تقل عن عام. وهناك هدف آخر من تربية الأغنام، هو بيع أعداد منها عند الحاجة إلى النقود. وكان البيع ينشط في الغالب في موسم الحج لاستغلالها أضاحيَ وهدياً؛ إذ يهتم بعض الباعة بتجميعها والذهاب بها إلى مكة لبيعها على الحجاج، لأن قيمتها ترتفع أثناء موسم الحج. كما أن تربية الأغنام لدى المزارع توفر له أشياء أخرى كالحليب والسمن والإقط والجلود، إضافة إلى الاستفادة من سمادها.

وعلى كلٍ، فإن هذه الأهداف مجتمعة تدعو المزارع إلى تربية الأغنام، وهي شائعة لدى المزارعين، إلا أنه ليس بمقدور كل مزارع تربيتها؛ ويعبرون عن حبهم لتربية الأغنام بقولهم «الغنم غنيمه، وساحتها كريمه». كما أن أعدادها تتفاوت حسب قدرة المزارع على توفير الرعاة لها، وهذا مرتبط بكبر الأسرة وسعة الأملاك الزراعية. وكان بعض المزارعين من ذوي الأملاك الزراعية الواسعة إذا لم يتوافر لديه رعاة من أسرته، يستأجر راعياً من الأسر الكبيرة العدد التي ليس لديها أملاك كبيرة أو من البادية. وهناك طريقة أخرى كان يتبعها مثل هؤلاء المزارعين وهي الاتفاق مع أحد سكان البادية على أخذ قطيع من الأغنام وتربيتها بالمشاركة؛ وتسمى هذه المشاركة الشيَّه في بعض المناطق كالوسطى، وتسمى شركْ في المناطق الجنوبية؛ ويقولون «فلان أشرك غنمه» أي أعطاها لبدوي بالمشاركة بما تم الاتفاق عليه. وفي هذه الحالة يستفيد البدوي من المزارع بما يحصل عليه من حبوب وقت مواسم الحصاد، وفي الوقت نفسه يحصل على الثلث أو النصف من الأغنام من خلال تربيته لها. كما أن المزارع يحصل على ما يحتاجه من ذبائح للأغراض المختلفة؛ وهناك ثلاث حالات للشيَّه؛ الأولى وتسمى الوْدَاعَه أو الوديعه وهي أن يعطي الفلاح للبدوي عدداً من الإبل أو الغنم ليرعاها حتى يحتاج إليها الفلاح ويدفع له أجراً مقابل سقيها ورعيها والمحافظة عليها، ويتحمل الفلاح أيضاً ما يترتب عليه من قيمة أعلاف كالشعير ونحوه أو علاج بعض الحيوانات المصابة بالجرب مثلاً. والثانية وتسمى العدوله (جمعها عدايل) وهي أن يعطي الفلاح للبدوي عدداً من الأغنام عدوله فيرعاها ويسقيها ويحفظها بدون أجر ويستفيد من أصوافها وألبانها. والناتج من أولادها



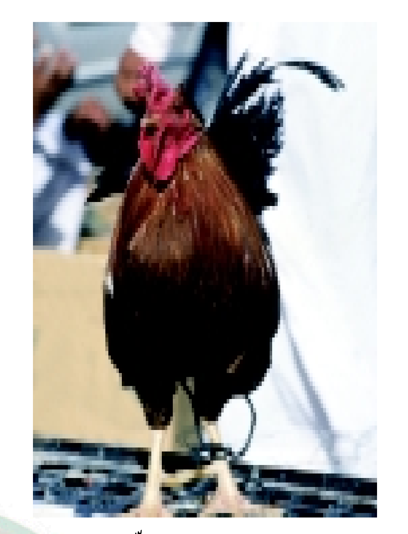


يكون بينهما مناصفة أما الأمهات فتؤول للفلاح وبعد مدة يتقاسمان الناتج بينهما. وقد تطلق العدولة في بعض المناطق على تلك التي يعطيها البدوي للفلاح ليستفيد من حليبها وتسمى المنيحه أيضاً. والثالثة الرِّباته وهي أن يشتري البدوي من الفلاح مثلاً تمراً أو عيشاً ويعطيه جزءاً من القيمة ويُبقى شيئاً منها فيقول الفلاح للبدوي إنّ المبلغ المتبقي أريد أن تشتري به رخْلاً من غنمك أو غنم جيرانك وتدعه معك رِباته، فهي وما ينتج منها بيننا مناصفة، وَليس للبدوي أجر على ذلك. وبعد سنتين أو ثلاث قد تصبح الأغنام قطيعاً فيتقاسمانه بينهما.

وبعض سكان الهجر حَوْلَ المدينة المنورة إذا دنا الصيف تخلصوا من الذكور والعاقر من أغنامهم وهبطوا بها إلى القرى لبيعها وشراء تمور ومنافع أخرى بأثمانها وضموا ما بقي من أغنامهم ومواشيهم إذا كانت قليلة إلى رعاة آخرين مقابل أجر حتى يقضوا فترة الصيف في القرى المجاورة، أما إذا كانت كثيرة فيتركون بعضهم لرعايتها أو يؤجرون أحد الرعاة لرعايتها.

وأما تربية الأبقار، لغير غرض استخدامها في العمليات الزراعية، فكان أمراً شائعاً في أغلب مناطق المملكة، خاصة في منطقة الأحساء، ولكن الأعداد تختلف بين منطقة وأخرى وبين مزارع وآخر. وهذا الاختلاف يعود إلى طبيعة السطح، ففي المناطق القريبة من الساحل في تهامة، وكذلك في المناطق الوسطى والشمالية والشرقية، قد يربي المزارع أكثر من بقرتين، والسبب في ذلك يعود إلى وجود المراعي لانبساط الأرض، وهذا يخفف من عبء توفير الأعلاف بشكل كبير سواء أخذت البقر إلى المراعي أم جلب من المراعي ما يمكن استخدامه غذاء لها. أما في منطقة السراة فيندر أن يربي المزارع أكثر من بقرةٍ واحدة، لأن تربية الأبقار تكون داخل المنزل وليس هناك مجال لرعي الأبقار. فالمنطقة جبلية وعرة، وتربية أكثر من بقرة يعني زيادة في الأعلاف لأن من يربي بقرة غالباً يكون لديه على الأقل ثور واحد، لأن الحاجة للثور أهم لاستخدامه في العمليات الزراعية.

وكان المزارعون في كل مناطق المملكة يربون الدجاج، ولكن بأعداد قليلة ربما لا تتجاوز الثلاثين. وكان الهدف الاستفادة منها في أوقات متباعدة للحصول على لحومها. أما البيض الذي هو قليل أيضاً فلم يكن هناك قدرة في معظم مناطق



من دواجن الفلاّح

المملكة على الاستفادة منه، إلا في خلطه مع بعض المواد لاستخدامه في علاج أو ما شابه ذلك، ولذلك فإن البيض يترك للتفريخ فتفريخه لقلته أجدى عليهم. وما كانوا يقدمونه إلا لعزيز أو زهاباً مؤقتاً للمسافر. وفي بداية دخول السيارات للمملكة كان السائق لأهميته يحظى بتقديم البيض له مع طعامه، ولا ينال هذا بقية المسافرين. ولم يكن المزارع يقدم غذاء للدجاج، إنما يتركه يخرج إلى المزرعة لالتقاط ما يمكن التقاطه من حبوب متناثرة وغيرها. وكان المزارع يحرص على ألاّ يخرج الدجاج إلى المزرعة بعد البذر مباشرة لمدة أسبوع، حتى لا يستخرج الحبوب من الأرض المبذورة، وحتى لا يبعثر السواقي والأحواض المقسمة.

وفي الأحساء تربى الدواجن في المنازل فقط ولا يسمح لها بالخروج. ويحرص المزارع على وجود ديك في المنزل لأنه ينبه أهل بيته للصحو عند طلوع الفجر ووقت السحر في رمضان؛ ولذلك يضرب المثل في التبكير بأن فلاناً يقوم إلى العمل، أو يذهب إلى السوق وقت أذان الديك. على أن الاهتمام بتربية الدجاج في المنازل ربما زاد منذ أربعين سنة بعد انتشار المدارس، وقدوم أعداد من المدرسين من خارج المملكة يحرصون على أكل البيض والدجاج؛ فاهتمت النساء بتربيته لهذا الغرض، حيث يأخذ أبناؤهن من تلاميذ المدارس الدجاج والبيض إلى المدرسين وكان هذا الأمر شائعاً في معظم مناطق المملكة. وفي الباحة يستخدمون البيض عندما تصنع النساء خبزاً من النوع السميك جداً فإنهن من باب التكريم لآكليه يضعن بضع بيضات داخل الخبزة الواحدة فينضج في داخلها، كما يُتناول البيض نيئاً في حالة الإصابة بألم الظهر أو كسر أحد العظام، وقد أفاد أحد بنائي الحجر أنه قد اشترى بريال عشرين بيضة وامتص ما بداخلها دفعة واحدة ظناً من أهل ذلك الزمان أنه مصدر قوة وفحولة.





وإلى جانب الزراعة فإن بعض الأسر في الباحة مثلاً كانت تُعنى باقتناء الجمال لأنها وسائل اقتصادية مهمة في ذلك الوقت، والمعاملة منحصرة بين الرجل والجمل إذ يذهب به إلى كل من الطائف أو بيشة إما عند تأجيره للتجار والمسافرين وإما لنقل تجارة صاحبه، والمهمة غاية في الصعوبة؛ وقد صور الشاعر محمد بن ضيف الله الكبيري حالة الجمال شعراً فقال:

والله لو ياكل الجمّال من كل فن
ويقل ياوكيل البيت زادي لباب
ويصب العسل من فوق سكر نبات
ما يسره وحذيانه لها قربعه

فرد عليه آخر:

درب بيشه على الجمال قد كلفن
والتعب جا على الجمال من كل باب
يالله العفو طول الليل ماشي مبات
انحن اثنين نمشي والجمال أربعه

وفي جزء القصيدة الأولى يشير الشاعر إلى أنه لو كان طعام الجمَّال مما لذ وطاب فإنه لا يسرّ ولا ينفعه وحذيانه تقربع من كثرة السير خلف الجمل، أما في الجزء الثاني فيمعن في الشكوى من التعب حتى أن الجمال أربعة وليس معها سوى اثنين من الرجال ومع هذا لا يستطيعان ركوبها لأنها محملة بالمؤن والبضائع.

## الحالة الاجتماعية

تختلف النظرة الاجتماعية للفلاَّح من شريحة اجتماعية مهنية إلى أخرى. وعموماً تعد الزراعة إلى جانب التجارة والرعي والصيد البحري (الغوص) والجمالة، مهناً أساسية ومجالاً من مجالات العمل التي عرفت في الجزيرة العربية، ومن ثمّ صنفت اجتماعياً بأنها مجالات عمل شريفة.

**علاقة الفلاح بالكالف**. أُولى شرائح المجتمع، التي تُقيِّم النظرة إلى هؤلاء العمَّال أو الصبيان، الفلاحون أنفسهم إذ يؤثرونهم في معظم الأحيان على أنفسهم، في النفقة وجيد الطعام ليقووا على مواصلة العمل. وكانوا يختارونهم من الرجال الأشداء الأقوياء المعروفين بالصبر والجلد والأمانة والخبرة، لأن أدنى خلل في الأعمال الموكلة إليهم، يصيب الفلاح وسانيته ومحصوله بضرر كبير. وقد ترتفع أهمية العامل في الحقل إلى أن يصل إلى مرتبة المالك في الأهمية والتقدير؛ على حد قول عبدالله بن فهد الذي تقدم الاستشهاد بشيء من شعره:

يجي الحنيني فيه زين التواصيف
وانا المعزب والمعازيب كلاف

فما دام العامل في عمل الزرع كالفاً، فإنه بمنزلة المعزب صاحب الزرع، من





حيث إيثاره بأفضل الطعام وأجوده، غير أنه لا يهتم ولا تثقله الديون التي يتحملها المعزِّب الحقيقي، الذي يتعب في توفير علف السواني وقوت العمال والعيال.

ومن معايير الاهتمام بالعامل الزراعي وتفرده بنظرة اجتماعية كلها حب واحترام، تقديمه على التاجر وغيره في استيفاء حقه، فإذا ودع الزرع وصفيت ثمرته، سواء كانت صيفية أو شتوية، يبدأ المزارع أولاً بإعطاء الكالف أجره أو مقامه كما يطلق عليه قديماً؛ يقول فهيد المجماج:

لو طعت شوري كان خاويت مطرود
واخذت في كفك مقام تعده

ويختلف مقام الكالف، باختلاف المعزِّب أو الفلاح. فإذا كان غنياً وتتيسر في بلده النقود، فإن العامل يأخذ أجره مبلغاً معروفاً من المال، بعد تصفية الزرع، وهي تمثل نهاية العقد أو الضمامه عادة. أما إذا لم تتوافر النقود، فإن مقامه، عادة، يقدر بعدد من أصواع الغلَّة من الشعير أو البر أو الذرة أو الدخن حسب الموسم. وقد يكون مقامه بالجازه أو بطنه بظهره، وهذا يعني أن العامل يكون أجره ملء بطنه بالوجبات الثلاث يومياً مقابل ما يقوم به من عمل؛ وقد قال أحدهم في الجازة كأجرة للعامل:

شغلي جازه لا تنسان
والا ارخص لي وش هالحاله

وأجور العمال ليست ثابتة كما يشير إلى ذلك عبدالله بن دويرج:

نصيت البرود وجيت عجل منه باقبال
ووطيت الصوينع مرخص عمري الغالي
أنا من اول ما اشتغل الا بعين ريال
وانا اليوم ابشغل خمسة ايام بريالي
ادور عشايه والغدا والهجور محال
ومن حصل الثنتين ياحي من فالي

وفي بعض الأحوال يأخذ العامل، خاصة الساني، سهماً من الزرع كأجر له، ويكون معه سان آخر ويشتركان بعشر المحصول، الذي يدفع لصاحب الأرض إذا كان المزارع مستأجراً. فجميعهم يشتركون بربع الزرع، فإذا كان ربع الزرع ١٠٠٠ صاع فإن ٤٠٠ صاع (عشر المحصول)، عادة، تذهب إلى صاحب الأرض و ٦٠٠ صاع، تكون لهذين العاملين ويبقى للمزارع ثلاثة أرباع المحصول، وهو ما يعادل ٣٠٠٠ صاع. أما إذا كان المزارع مالكاً وليس مستأجراً، فإن هذا العشر يرجع له مرة أخرى، وبعبارة أخرى فإن العاملين يحصلان تقريباً على ١٥٪ من المحصول، عشر ونصف العشر.

وينبع الاحترام والتقدير المتبادل بين المعزِّب والعامل، من طيب المعزِّب،





والتزام صاحب الحلال والعامل، كل منهما تجاه الآخر. ولعل في الروايتين اللتين أوردهما سعد الجنيدل في كتابه السانـي والسانية ما يوضح هذه الحقيقة؛ الرواية الأولى أنه اشترك فلاحان في زراعة، وكل منهما يؤمِّن غرباً بكل احتياجاته -السانية والساني، والأدوات- ويشتركان في دفع أجر العاملين (الكالفين)، وكل يوم يكون طعام العاملين عند أحدهما. وعندما جدّ السّقي، أصبحت سانية أحدهما تسمن ويرتفع سنامها. وسانية الثاني قد ظهر عليها الضّعف والإعياء رغم توفير العلف الجيّد الكافي لها، فسأل شريكه عن علف سانيته فأخبره بما كان يعلّفها به، فلم ير فيه زيادة عن علف سانيته، وكان الكالف عادة يغنّي في المسنى، وإذا أراد أن يصرف السانية في المعدّل قال وهو يشير بعصاه حِيّ، ويمدّ الياء. وكانت نساء الفلاحين يأتين في منتصف النهار إلى جوانب المسنى (المنحاة) بعلف، يناولنه السّانية كلما وقفت في المعدل. فأوصَى زوجته بالاستماع لما يقوله الكلّاف في المنحاة، وأن تلاحظ معاملتهم لسانيته، التي ظهر عليها الضعف. فبينما هي كذلك، رأت أن الكالف يضع رأس عصاه في زور سانيتهم كلما أراد أن يعدّلها في المعدّل، وفي المصبّ، ويدفعها بعنف، وهو يقول حَنْحِنِي، ويدغم بعض الكلمة ببعض، فأمرها أن تسأل زوجة شريكهم ماذا يطعمون الكلّاف؟، فأخبرتها أنهم يجعلون غداءهم حنينيّاً، فأمرها أن تعمل لهم مثل ذلك.

وإلى مثل قسوة هذا الكالف على السانية يشير قول مشعان الرشيدي:

سواقهن عبد مع الليل يجهم
وانجح مصاخفهن بروس المساويق

وقول عبدالله بن حمود بن سبّيل:

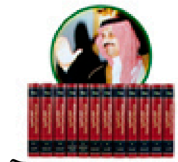
سواقهن عبد إلى رز محداه
اما أمرست برشاه والا وطت به

وقال آخر:

إلى اومى عليهن بالعصا جنه اجواز
وعند المعدّل جا لهن اختلاج

وعلى كل، فمثل هذه الحالات تعتبر نادرة، يميل إليها الكالف حينما يرى شيئاً من الإهانة أو زيادة مشقة في الكلفة من جانب معزبه الفلّاح، أو جفوة ونقصاً في طعامه.

أما الرواية الثانية فهي أن أحدهم كان كالفاً عند فلاح، وكانت له عباءة يلبسها في المنحاة، فأتى إليه مُعَزّبه في يوم شديد البرد فلم ير عباءته عليه، فسأله عنها، فقال إن قتب السانية فلانة يكرع في غاربها، وخفت إنه يلحق فيه،





وحطيت العباءة وقاة له، ترفعه عن غاربها، فنظر معزّبه إلى العباءة وهي تحت القتب، وقال الله يخلف علينا. فقال الكالف مالك؟، فقال فقدناك، ما أنت بكالف بعد هذه السّنة، سيغنيك الله عنّا وعن غيرنا.

ومثل هذه الأمانة والصبر والنصح من قبل الكالف لمعزبه وحلاله، الذي ائتمنه عليه لا بد أن يوضع في الاعتبار عند البحث عن الكالف على حد قول عبدالله بن سبيل:

لابد ما ترقد اصطاحي إلى اضحيت
وهم بممشاك القديمي يهرجون
أما إلى جت حرفة الزرع خليت
والا خذوك وفي مقامك يزيدون

فهو يشير إلى ناحية مهمة وهي أن أمانة الكالف لا بد أن تؤخذ في الاعتبار عند عودة الزرع، وهي بداية الإعداد للزرع؛ فيكون اختباره بناء على ممشاه القديم، ويقصد أفعاله الماضية في مجال الحرث، وما عرف عنه من إخلاص وأمانة. وكما يطلب الاخلاص من الكالف، يُطلب من المعزب إكرام العمال وخصّهم بأجود الطعام نظير جهدهم الكبير في الأعمال الزراعية. كما أن موافقة الكلاليف للعمل عند المعزب ربما تكون أيضاً مربوطة بإكرامه لهم، ولهذا فهم لا يغفلون عن تذكير المعزب بتوفير الغذاء الطيب حتى أثناء العمليات الزراعية على حد قولهم عند القيام بحرث الأرض وأثناء البذر كما مر معنا:

يامعازيبنا لا تحطوا قرع
فان حطيتوا قرع
فابشروا بالبقع

(ابن جنيدل ١٩٨٨: ٢٧-٣٠).

**العادات والتقاليد.** لم يكن مجتمع الفلاحين معزولاً عن بقية مجتمعات الجزيرة العربية، التي تؤلف في مجموعها سكان شبه الجزيرة العربية في ذلك العصر، خاصة إذا وضعنا في اعتبارنا أن الزراعة، كانت تمثل واحدة من المهن الرئيسية التي يقوم عليها اقتصاد أهل البلاد في تلك الفترة، كما أن لها وللعاملين فيها ارتباطاً وثيقاً بالمهن الأساسية، والمساندة على حد سواء. ولهذا سوف نقصر حديثنا على العادات والتقاليد المرتبطة بشؤون الزراعة والمزارعين.

فرضت الظروف البيئية والاقتصادية على مجتمع الفلاحين، بعضاً من العادات والتقاليد التي تعارفوا عليها كصور للتعاون بين المزارعين، مثل العونة والفزعة والمناقلة والمجابرة والمداوسة ونحوها. وتختلف صورة العونة والفزعة عن بقية صور التعاون، إذ إنها غير ملزمة، أما الصور





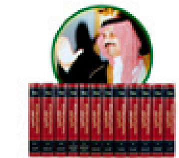
الأخرى ففيها إلزام. ولهذا جاءت التسميات الثلاث الأخيرة على مصدر مفاعلة؛ على حد قولهم «اشتغل عندي واشتغل عندك». وهي وإن كانت في الغالب أعمالاً زراعية متشابهة، مثل عملية الحصاد والحرث التي لها فترة قصيرة في زمن الغلة المزروعة، إلا أن ذلك لا يمنع المناقلة أو المجابرة في أعمال مختلفة، ولكن تكون مدة المناقلة أو المجابرة متساوية. وإذا حصل للمجابر أو المناقل ظرف يمنعه من الوفاء بالتزامه تجاه من جابره أو ناقله، فإنه يستأجر له عاملاً يحل محله. وعادة تكون المناقلة والمجابرة بين المزارعين المتجاورين. ومن الاختلافات الأخرى بين الفزعة وأختها والمناقلة وأخواتها، أن الأولى ربما تكون من الفلاح وغيره، أما المناقلة وأخواتها فلا تكون إلا من فلاح لآخر. وإذا كان الفازع غير فلاح، فعادة يخصه المزارع بشيء من إنتاجه وقت الحصاد أو مطيح المقيظ.

وقد أشار أصحاب الخبرة من شعراء الحرث إلى هذه الصور في قصائدهم، التي تمثل في نظرنا أقوى سجل لحفظ صور التعاون والعادات بين الفلاحين؛ يقول حميدان الشويعر:

واحب صياح القيظ ورد وصادر
وصياح غارات الربيع تروع

إذ المقصود بصياح القيظ هو التعاون في الأعمال الزراعية، من جمع ثمار النخل إذ هو وقت نضجها. ويلحق في ذلك أيضاً دعوة الفقراء والجياع للأكل من ثمر النخيل، ولهذا فالشاعر يحبه. أما صياح الربيع فهو لا يحبه لأنه يرتبط بغارات البادية على مراعي القرى الزراعية وحماها، التي تدعو، عادة، إلى قتال ومنازلة. ولارتباط القيظ بالفرح نجد من أمثالهم ما يصور حبهم للقيظ وكرههم للشتاء؛ قالوا «جا الشتاء وقمله، وراح القيظ وتمره» يقول المثل لقد ذهب موسم الرطب والتمر وجاء الشتاء، وليس به إلا البرد والجوع والقمل تلك الحشرة التي تؤذي الناس؛ ويضرب المثل على ذهاب الأمر الحسن وقدوم الأمر السيء.

وصور التعاون ومجالاته عديدة، ويكون في مختلف العمليات الزراعية المرتبطة بزمن أو فترة قصيرة، كالحصاد والدياسة والتلقيح والصرام. ولكنّ التعاون لا يكون في السقي إلا أن يعطي الفلاح بعض حيواناته لظروف طارئة، بشرط أن تكون زائدة ولفترة قصيرة. كما يكون التعاون، وبشكل جماعي، في الظروف الطارئة كالكوارث المفاجئة أو غزو الدبا، حيث يخرج الجميع لعمل الزبى؛ والزبيه هي الحفرة التي تعد في





مقدمة زحف الدبا لدفنه فيها قبل الوصول إلى المزرعة. أما إذا وصل إلى المزارع فإنهم يتعاونون في الكمام وضرب التنك أو الطبول وتذييره أو إشعال الحرائق لانبعاث الدخان المذيِّر للجراد.

ومن العادات الحميدة لدى مجتمع الفلاحين تقييظ جيرانهم الفقراء، الذين يجاورونهم في القرية سواء من له مهنة أو من ليس له مهنة. ويعتمد الفلاح على هؤلاء الجيران في الأوقات الحرجة وتراكم الأعمال. وقد يَعْرِضون أنفسهم على الفلاح، طلباً ورجاء بأن يخصهم ببعض إنتاجه، وهو ما يفعله في معظم الأحيان، إذا لم يقدم لهم شيئاً من نفسه بعد الانتهاء من مساعدته. ولذلك فهم يشبعون في ذلك الوقت وإن مؤقتاً؛ قالوا في المثل «شبعة المساكين بأيام الصرام» ويعني المثل أن الفقراء يصيبون من خير الفلاح أيام الجداد ما يشبعهم؛ ويضرب المثل للأمر المؤقت الذي لا يدوم.

ومن العادات إعطاء الفلاح زوجته في بعض المناطق (مثل حائل) السقاط، مكافأة على مساعدتها له في موسم زرع الشتاء. والسقاط هي السنابل التي تسقط في الحصيدة أثناء عملية الحصاد اليدوي. وتلتقطها الزوجة وتصفيها حبّاً تتصرف به كيف تشاء، كما يعطيها أيضاً حب كدس كامل. وللزوجة في موسم الصيف كذلك سقاط التمر، الذي يسقط من النخل أثناء عملية الصرام، بالإضافة إلى نخلة كاملة تتصرف بثمرها، وتسمى العارية أو الحفال. وقد يترك أمر السقاط أو الحتات لمن يريد لقطه وهو قليل؛ صور قلته المثل «تَلْقِيط مَا هنَا حشِي» تلقيط أي لقط، وحشي أي أخذ بكثرة؛ ويضرب للقليل يلقط شيئاً فشيئاً. والظاهر أن أصله في سنابل القمح ونحوه. وقد يطلب الملتقط وبخاصة الصغار منهم أن يرمي من على النخلة لهم شيئاً من بلحها أو ثمرها، ومن أمثالهم ما يصور شيئاً من ذلك؛ قالوا «جاك عمك والبلح»؛ لهذا المثل قصة ملخصها، أن رجلاً كان يلتقط البلح من نخلة وتحته أطفال صغار يطلبون منه أن يرمي لهم بالبلح. فجاءه خبر وفاة محبوبته وهو على تلك الحال فاختل توازنه وسقط من النخلة وهو يقول المثل.

وفي منطقة الأحساء هناك عادة زراعية قديمة، تسمى ليلة الحبوب وهي ليلة ٢١ محرم من كل عام، وهي حفلة خاصة بالعائلة داخل منزلها. فيحضر الفلاح أنواعاً متعددة من اللحوم وكروش البقر والأغنام ويطبخها مع الأرز الحساوي، وأنواع الخضراوات، خاصة





اللوبيا والباذنجان وغيرها. وتعد تلك الليلة من أجمل المناسبات وأكثرها ابتهاجاً لخروجها عن روتين الطعام، والعادات الاجتماعية الرتيبة السائدة.

وفي نجد هناك وليمة ختامة الزرع، وفيها يقدم المزارع ذبيحة لعائلته وشركائه وجيرانه، كاحتفال عائلي صغير. وهي من المناسبات التي يترقبها بعض الأفراد، فيأتون للمشاركة فيها لأنها أصبحت عادة لهم.

ومن العادات الاجتماعية لمجتمع الفلاحين، الاستحمام خارج المنزل، خاصة في المناطق التي تتدفق فيها العيون كالأحساء والقطيف. ويخصص للنساء غرف مقفلة تمر المياه عبرها. ويعد يوم الجمعة اليوم المفضل لممارسة هذه العادة الاجتماعية.



صورة قديمة لعين في الهفوف

وهناك في مجتمع الأحساء -وهو مجتمع زراعي من الدرجة الأولى- بعض العادات والتقاليد التي تشبه ما نجده في المنطقة الوسطى، كخروج سكان القرية لاستقبال الحجاج العائدين من مكة بعد أداء فريضة الحج، ابتهاجاً بقضائهم شعيرة الحج وعودتهم سالمين.

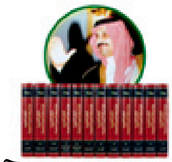
ومنها أن يتناول الذكور والنساء طعامهم، كل على حدة. فلا تأكل المرأة مع زوجها أو أولادها الكبار. أما الأطفال فيأكلون مع أمهاتهم، لكن البنات إذا كبرن فلا يأكلن إلا مع الأم.

ومن العادات بين الجيران أنهم يترافدون عندما تعد الأسرة طبخة جديدة فترسل طبقاً منها وتبادلها الأسرة الأخرى نفس الهدية وتسمى الرِّسَيْم، وبخاصة يوم الجمعة.

ومنها أيضاً جلوس كبار السن في العاير، وهو ركن المسكن المواجه للشمس في فصل الشتاء، ويسمى المشراق. وفيه تحلو السوالف ورواية القصص وتبادل الذكريات ومعرفة أخبار الحي؛ يقول الشاعر:

من قابل المشراق والكن والذرا
يموت ما حاشت يديه الفوايد

ومن العادات الشائعة في مجتمع الفلاحين رعاية المقيم لأسرة جاره أو





صديقه المسافر لفترة طويلة، إذ يشعر المقيم بأنه مسؤول أدبياً عن هذه الأسرة.

ومنها أيضاً منع السكان أطفالهم الصغار من الخروج أو اللعب بعد غروب الشمس، إذ إن نمط تخطيط المنازل وتلاصقها، وضيق طرقاتها وتعرجها وانعدام الإضاءة فيها، قد فرض هذا الأمر. وإذا لم يمتثل الأولاد، فإن الأمهات يعمدن إلى تخويفهم بالجن والعفاريت. وقد تعمد الأم إلى سرد قصص وأسماء وهمية، للعفاريت مثل عبد السله، والمقرصه الحاميه، وأم المحامل (الناقة)، وأم السعف والليف وحمار القايله. وتعمد بعض الأمهات إلى ذكر وإطلاق بعض الأسماء تفاؤلاً مثل: تجيك العافيه -وهي محمودة- لأنها لا تريد أن تتفاءل على طفلها بشر. وقد تدعو المرأة على ابنها من باب التخويف فتقول «ياستر الله تعال على فلان» وأيضاً يُخوف الأطفال بالسّعْلِيّه أو السعلوّه وحمال استه وعينيه وسرّاي الليل، غير أنه في بعض المناطق ساحات مغلقة داخل المنازل، أو ساحات مفتوحة، خارج المنازل، يمارس فيها الأطفال من الصبيان والصبايا ألعابهم، كل على حدة، من بعد غروب الشمس إلى وقت الانتهاء من صلاة العشاء.

ومن العادات الشائعة أيضاً المحافظة على وحدة العائلة وسكنها، وعدم تفرق أفرادها حتى بعد الزواج، ما دام لهم هناك مكان، وهو أمر قائم في جميع الأوقات. فبساطة تخطيط المنزل ساعدت دائماً على إضافة مساكن للمتزوج أو القادم، خاصة إذا كان الأب وأم الأولاد لم يتفرقا بطلاق أو موت. وكثيراً ما يترك الأبناء الذين يرحلون إلى العمل أو الضمامه لدى مزارع آخر، وفي مجتمع قروي آخر، زوجاتهم وأولادهم عند والديهم. وتكون عودتهم إليهم في أيام الجمع أو الأعياد، أو حسب ظروف العمل الذي رحلوا من أجله. ويكتسب الأبناء عاداتهم من والديهم؛ ولذلك يقال في الأمثال «اللي يبذر سارط يحصد خنيز»، السارط من البذور الطفيلية التي لا يستفاد منها وكذلك الخنيز؛ ويضرب هذا المثل للنتائج التي تأتي مشابهة للمقدمات، فالإنسان يحصد من نوع ما يبذر؛ وقريب من هذا المثل قولهم «مثل السارط» أي لا فائدة ترجى منه. وقولهم «الحب من بذره» و«هالعود من هالشجره»؛ هذان مثلان يعدل بهما إلى الحكمة؛ يضرب المثلان على الشيء الطيب يخرج منه شيء خبيث خلافاً لما هو متوقع، والعكس صحيح.





**توارث مهنة الزراعة.** شكلت الزراعة مع الرعي والتجارة والصيد البحري والجمالة، موارد اقتصادية قليلة. وتوارثت الأجيال هذه المهن وغيرها أباً عن جد، ولم يحفظ لنا الشعر -الذي يعدّ أهم المراجع إن لم يكن المرجع الوحيد، الذي احتفظ برواية بعض الحوادث والقصص عن شعراء الحرث وأبقى عليها، خاصة في الفترة الزمنية التي نحن بصدد الحديث عنها- عن تحول أصحاب مهنة إلى مهنة أخرى إلا في النزر اليسير. وإذا أضفنا إلى صعوبة التحول من مهنة إلى أخرى، بسبب استلزام كل مهنة باحتياجاتها الخاصة، حقيقة مهمة وهي أن الزراعة قوام التحضر، وأن الرعي قوام البادية؛ أدركنا أن التنشئة على المهنة والتدريب والتعليم لسر المهنة وإتقانها، قد حفظت لها التوارث عبر الأجيال على حد قول الشاعر:

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

شكا أحد المزارعين من زهران حالته لأخيه الذي يعمل في أرامكو بالظهران ويفيد أنه تخاصم مع المزارع فلان -من نفس قريتهم- على وقت السَّوْق وقد أدى هذا الخصام إلى التشابك بالأيدي والانتهاء إلى السجن وكانت الشكوى في قصيدة البدع:

علي عن ذا سجن ما تحت جنبه خصف
مسكين مسكين ما يقدر يقاوى العناد
فيه الكلبشه وذرعانه سواك لها

وقد رد عليه أخوه قائلاً:

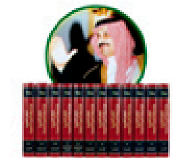
كم قلت لك عن نقاع ابني حسن ياخ صف
ما هي كما مصر ولا رام ذات العماد
والرزق مكتوب وارض الله سوا كلها

يقول فهيد المجماج -وهو شاعر ومن أسرة زراعية- مخاطباً أخاه ناصر الذي عزم على الاشتغال بالزرع، موضحاً احتياجات المهنة؛ وفي البيت الأول إشارة واضحة على أن توارث المهن من العادات الاجتماعية السائدة في تلك الفترة:

ناصر زرع له زرعةٍ ما بها فود
متصلصلٍ يبغي مواريث جده
الزرع ياناصر يبي قود وجلود
ومحال ياناصر وشده وعده

ولعل نهج ناصر وأمثاله في الاستمرار على مهنة الآباء والأجداد، بحيث تصبح المهنة أشبه بالميراث، هو الذي حفظ لنا الأساليب والأدوات الزراعية التقليدية بأسمائها فصيحة لم تتغير.

وها هو حميدان الشويعر يوصي ولده بالزراعة، خاصة النخلة إذ هي الشجرة الرئيسية، إن لم تكن الوحيدة التي أثبتت





بإنتاجها الوفير، أنها تستطيع أن تقف في وجه عاصفة الجوع والفقر، الذي كان سائداً في نجد آنذاك.

ترى الخير في راسيات الجذوع
إلى دلبحن السنين الحطايم
غيد ظليله يطرب مقيله
وسمعك تمتع بصوت الحمايم
توفر حلالك وتفرح عيالك
ويكثر نوالك بيوم الصرايم

أما محمد بن راشد السويداء، فقد اشتكى من بئره التي نغصت عليه حياته، وأسقته النكد ولكنه كافح وكد من أجله لأنه «نخل العود» أي والده، وقد عودهن على التدليل والعناية الفائقة، فلا يمكن تركهن بأي حال من الأحوال:

الله يابيرٍ سقانا الصديدي
والله من همٍ على القلب شال
ياالله طلبتك يامعين الوحيدي
رب السماوات العلا والجبال
قربتني من عقب ماني بعيدي
وحطيت لي غرسٍ يمين وشمال
ومن بينهن خطيت بيرٍ جديدي
ولولاك ما غنّت عليه المحال
ولولاك لو كان الحصى لي مجيدي
عجز عنه عزمي وقصر حلالي
لعيون غيدٍ نكّسن الجريدي
نحط لهن تحت المصبه دمال
نجيب لهن من عِقّر البدو بيدي
حيلٍ شتا بظهورهن الحيال
لاجل انهن غرسٍ لعود فريدي
وملهساتٍ للبها والدلالي
تدبير رب العرش ماهي بالايدي
يوم الولي يكتب عمار الرجال
يكتب شقي وذاك يكتب سعيدي
وهذا غني وذاك ما له حلال

وفي صورة أخرى يصور الشاعر فهيد المجماج، أن العمل في الفلاحة والسني، كان من أجل العود، إذ إن طاعة الوالد ومصالحه مقدمة في نظر أبناء ذلك الجيل، على مصالح الابن الخاصة مهما كانت الظروف؛ يقول فهيد:

ألا واهنيّك بس تتلي البقر ومريح
والا واهنيك كل رجمٍ تعدّي به
وانا أتلي معاويدٍ لمحّالهن ضبيح
حداني عليهن عودٍ أنا ويش اسوي به

**الفلاحة كما تصورها الأمثال.** الأمثال هي الحكم التي تروي خبرة الحياة اليومية، وتعبر عن النموذج الذي ينبغي اتباعه. ولهذا تأتي، عادة، في عبارات أدبية موجزة، تمثل مواقف معينة من الحياة، ووسيلة من وسائل التعبير عن واقع خبرة المبتدع وظروفه البيئية والاجتماعية. ونظراً لذيوع مادتها، وانتشارها بين الناس، وامتزاجها الشديد بلغتهم، وارتباطها

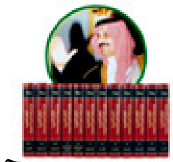




بمختلف جوانب حياتهم، كانت الأمثال مصدراً مهماً تضافر مع الشعر النبطي، في كشف العديد من الأمور المهمة في عقلية الفلاح التقليدي، وإدراكه لمقومات مهنته. فقد أمكن من خلال تحليلها التعرف على العادات عند أهل الحرث، ونظرتهم للحياة ومقومات مهنتهم، إذ الأمثال وليدة البيئة التي نشأت عنها وفيها قيلت. كما كانت بالنسبة للباحثين أقصر الطرق، للاطلاع على تجارب الفلاح، وبمثابة المفاتيح لكثير من جوانب الحياة الغامضة لتلك الفئة الاجتماعية.

إن المتتبع لما جمع من أمثال أهل الحرث سواء من مقابلات الرواة والمزارعين وكبار السن، أو من كتب الأمثال المشهورة في شبه الجزيرة العربية، يدرك تماماً أن ما صُنِّف تحت اسم (أمثال أهل الحرث) هو جزء من الأمثال الشعبية العامة في شبه الجزيرة العربية. واهتمامنا منصب على الزراعة التقليدية في شبه الجزيرة العربية فاقتصر اختيارنا على أسماء الأشياء، التي تحيط ببيئة المزارع وتعد خاصة به كفئة معينة من المجتمع، سواء أكانت خاصة بأنواع الإنتاج الزراعي، أم بالأدوات التي يستخدمها في حياته اليومية أو مصطلحات العمل التقليدي له. والأمثال تكشف عن إدراك الفلاح التقليدي، لجوانب مهنته المتعددة التي اعتاد على ممارستها، ولم يدونها للأجيال بعده، فنكشف عن رؤية الفلاح كمبدع للمثل، وعن رؤيته لحرفة الزراعة كمضرب للمثل. كما نكشف عن الوجوه المتعددة التي جاءت عليها هذه الأمثال، سواء أكانت أقوالاً موجزة متصلة بمناسبة من المناسبات، أم حكمة سائرة، أم تشبيهات تمثيلية أفادت التصوير، أم تشبيهات بسيطة أفادت الموازنة، أو المفاضلة، أو عبارات كثرت مناسباتها، فكثر ترددها حتى صارت أمثالاً تتردد على ألسنة الخاصة والعامة. بل إن المأثور الثقافي للفلاح التقليدي من ألفاظ حديثة أو قديمة شاعت في لهجته العامية، أو ارتبطت بأسماء وأوصاف الظواهر الطبيعية، أو أشكال العمل التقليدي قد حدَّدَ، في كثير من الأحيان، شكل التعبير ولغته، في أمثال أهل الحرث في شبه الجزيرة العربية، كاستخدام أنواع عديدة من فنون البلاغة والبيان والمحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق.

الأمثال يمكن أن تحمل أكثر من دلالة، وتهدف إلى أكثر من معنى، وتضرب لأكثر من مناسبة. وهي في مجملها تتضمن نماذج لأساليب العمل وحياة الفلاح التقليدي في شبه الجزيرة

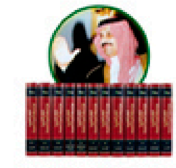




العربية؛ فمثلاً المثل الذي يضرب للأشياء رخيصة الثمن فيقول «أرخص من تبن المذنب» يوضح أن القمح محصول رئيسي لدى الفلاح، بل إن منطقة القصيم قلب شبه الجزيرة العربية، ومدينة المذنب إحدى مدن القصيم، قد اشتهرت به ولقد بلغ من شهرتها بهذا المحصول أن التبن لا يباع على الرغم من أنه يحفظ في مناطق أخرى في مخازن البيوت، للاستفادة منه، كما يشير إلى ذلك المثل «إلى صاح الصياح توزى في صفة التبن». ويكشف المثل في جوانبه الأخرى عن حقيقة مهمة؛ فهو إن كان يضرب لمن يجبن في وقت الخطر أو عند الشدة، إلا أنه يظهر أن حياة الفلاح القديم لم تكن آمنة، فالظروف البيئية الصحراوية أوجدت نوعاً من الصراع، جعل المراكز الحضرية على ضآلة حجمها في مجتمع الجزيرة القديم، هدفاً لاعتداء قُطَّاع الطرق (الحنشل) أو بعض البادية، الذين يجاورون تلك المراكز خاصة في وقت القحط والجفاف، الذي يجتاح شبه الجزيرة العربية بين فترة وأخرى.

ومن الأمثال التي تضرب للتجربة بصفة عامة، خلال الممارسة العملية لحياة الفلاح القديم، وتضمنت بعض المنتجات الزراعية المثل «إلى أكلت بصيل فكل بصل»؛ ويضرب مثلاً لمن يعمل عملاً يتساوى فيه القليل والكثير من حيث النتيجة. و«احصد هوا، وغَمِّرْ ماش» و«إلى طلع الزرع تبينت الحنطه من الشعير» و«اللي يبذر سارط يحصد خنيز» و«البذر محفوظ» و«الليف من الكرانيف» و«الزرع من بذره» و«زرَعنا لو، في ديرة عسى، وطلعت الثمره ياليت» و«حصدنا ما زرعنا» فهي في مجملها توضح أن الجزاء من جنس العمل، وأن النتائج تأتي مطابقة للمقدمات، فالإنسان يحصد من نوع ما يبذر.

ومن أمثال التجارب المثل الذي يقول «إن كانك تاكل التمر، غيرك يعد الطعام»، إشارة إلى أن هناك من يرصد تحركات الإنسان، إذ المقصود بالطعام هنا نوى التمر التي هي أثر طبيعي لأكل التمر وهو العبس والمفرد عبسه التي ترد في مثل آخر، قالوا «قعيس شايلن عبسه» القعيس هو العوف حشرة من فصيلة النمل والعبسة النواة؛ ويضرب المثل لمن يحاول أمراً فوق طاقته. ولا يفلح الكذب وإخفاء الحقائق إذ قد يدل عليها دليل؛ «يقوله عمِّي قمعان» لهذا المثل قصة موجزها أن فلاحاً كان يأكل التمر دون أبناء أخيه، ويدعي أنه لا يجد تمراً وقد نشب بلحيته قمع تمرة فقال أحد أبناء

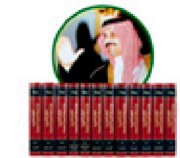




أخيه المثل. ويضرب المثل لمن يكذّب فعلهُ قولَه أو ادعاءَه. والمثل «تراب العيش عيش»، فالأشياء ذات الأصل الطيب قد يلحقها أشياء غير مرغوب فيها، أو من غير جنسها ولكنها حينئذٍ تصبح ذات قيمة طيبة كالأصل. ويرد التراب في مثل عكس ذلك قالوا «قْلِعُـه بترابه»؛ يضرب المثل لما اجتث من أساسه. وأصله في النبتة ونحوها تقلع مع ترابها الذي فيه جذورها. وعكس ذلك أيضاً الأمثال «التمر ما يخلى من الحشف» و«كل تمر فيه حجف» و«التمرة ما يخربها إلا سروها» و«بلا التمرة من سروها» و«التمر به خنانه»؛ إذ تضرب للقوم الذين يدب فيهم الفساد، بسبب وجود شخص فاسد فيهم؛ ويضرب للشخص الرديء في الأسرة الطيبة، والمعنيان متقاربان. ويكنّون عن الأمر الهيّن بقولهم «سلْب عِبْسِه» «سلب العبسه»، أي القطمير، وهو القشر الخفيف الذي على نواة التمرة، ويعني المثل أن الأمر هين شأنه ولا قيمة له.

أما المثلان «الحشف أو الحجف ما يتلازقن»، أو «الحجف ما يلزق بالحجف والحشف ما تلزق بالحشف» و«لى صار صاحبك حشفة صير له تمره» فقد استخدم لفظ حشف، وهو التمر اليابس غير الناضج، ويفيدان أن تجنب العداوة والتفرق في الأسرة والجماعة، توجب ألا يكون الناس كلهم حشفاً، إذ لو أصبحوا كذلك لم يأتلفوا، ولكن الواجب أن يكون بعضهم بمثابة التمر، ليسمحوا بالتلاحم في حالة وجود أُناسٍ كالحشف. ويشبه المثلين السابقين في مدلولهما المثل الذي يقول «بسرة خضري تنشب في الحلق». فبعض الناس لا يمكن أن تأمنه إلا إذا بلغت غاية الحرص في ضبط أمورك معه، خاصة عند التعامل معه إذ هو يشبه ذلك النوع من البلح، الذي لا يحلو إلا إذا نضج تماماً وأصبح رطباً، فالمظاهر الجميلة يكون تحتها أحياناً مساوىء كثيرة كما يدل على ذلك قولهم «الزرع أخضر والناس أخبر». وإذا أنت عرفت ذلك فعليك عدم إدخال الأمور المعنوية بالأمور المادية، فكل شيء له ثمنه الخاص كما في المثل «الصداقة بالصداقة والجراوة بالتمر».

بلغت الأمثال التي جعلت التمرة مادة أصيلة في صياغتها، أكثر من ٤٠ مثلاً. ودلت في مجملها على أن النخلة كانت تمثل إحدى الركائز الأساسية في الاقتصاد الزراعي التقليدي في شبه الجزيرة العربية، نظراً لخصائصها التي تتلاءم والبيئة الصحراوية. وقد بلغ من شدة معزتهم





لتلك التمرة أن قالوا في بعض أمثالهم بأن الميت بسبب إفراطه في أكل تلك الفاكهة يعد شهيداً، كما ورد في المثل «ميت الخضري شهيد»، بل يجب على من شارك القوم في أكل تمرهم، القيام بأمرهم كجزء من رد الجميل، إذ منحوه أثمن ما يملكون، كما في المثل «من أكل تمرهم يقوم بامرهم».

وقد بلغ الاهتمام بالتمرة لديهم، كمادة غذائية، أن صبروا على المكاره من أجلها؛ قالوا «كد تمر وحر جمر». ومن الاهتمام بها أيضاً شدة المحافظة عليها حتى تمام نضجها، وعدم السماح لأطفالهم بالعبث بها كما في مدلول المثل «العب بها وهي بالقنا». وأصل المثل أن طفلاً طلب من والده أن يطعمه تمراً من نخلة له، فرفض الأب فقال الابن إنني أريد أن العب بها لا آكلها فقال والده هذا المثل. وهذا يشبه المثل «الويل الويل لأكَّال التمر بالليل» إذ هو ردع عن طلب التمر للأكل ليلاً، حفاظاً عليه، ومثله قولهم «التمر في الليل جَلَّه» ومثله «صار الما سراب والتمر جله». وقد بلغ بهم حب التمر وإدراكهم لأهميته كمادة غذائية قولهم «التمر ما يودع عند البدو»، وقولهم «تمره وعند بدوي» أو «سحه وعند بدوي» و«التمر في سفوان حلاوه» و«الجوعان يحرث بالفصم» و«فصمة بدوي» و«تمره مع تمره يصيرون تمر» و«التمر مسامير الركب» و«تمره وفي يد بزر» و«الحضر لو يبون حطوا عيدهم تمر» و«الشيص بالغبَّه حلو» و«لو التمر عند البدو ما باعوه» و«لى صار عشاك تمره لا تنظر القمره» و«تمر وانسماح أمر» و«أحلى من اللي ينقد الطير راسها» و«راعي الضويه حيا، وراعي التميره مات» و«تمره، ما تجوز عليها اللواحيس» أو «تمره، ما عليها لاحوس» أو «تمره، ما يضرها اللاحوس» و«سحه، ما عليه لاحوس» و«تمرة خِرْج» إذ إن التمر هو غذاء المسافر والمقيم؛ ويضرب للشيء يكون جاهزاً في أي وقت. ويشبّه الإنسان بالتمرة في مثلهم «سحة دجاج» فالدجاج ينقر التمرة من كل جوانبها؛ ويضرب المثل إذا اكتنفت المصائب الإنسان من كل مكان. ويشبه بمريس الرطب قالوا «مريسة رطب»، والمريسة التمر المروس بالماء، ومريسة الرطب لا يظهر فيها اللون ولا الطعم لعدم نضجها وتركز حلاوتها، مثلما يكون في مريسة التمر العادي، ويضرب المثل للإنسان أو الشيء يكون على غير مظهره.

وإذا كان العيش، وهو الحبوب بأنواعها، والتمر، يمثلان العنصرين الأساسيين لطعام أهل الحضر والبادية في

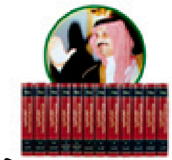




قلب الجزيرة العربية، فقد استخدما في أمثالهم للتعبير عن المستوى المعيشي في تلك البقاع، كقولهم «الخير واجد، عند أبو ماجد، إلا التمر والعيش ما ياجد» ولكن القناعة مطلوبة والتواضع مطلوب إذ الغني والفقير سيعيشان، قالوا في المثل «يعيش أبو مد مع أبو رميله»، والمد: المكيال المعروف، والرميلة: بناء جصي يستعمل لخزن التمر يكون غالباً قدر قامة الرجل ارتفاعاً. وتختلف سعته لأن أسفله يرمل بعذوق النخل، أي يشبك بعضه ببعض حتى يصبح كالحصير، ليسمح بمرور الدِّبس الذي يخرج عند ضغط التمر بعضه ببعض؛ ويضرب المثل في إمكانية سير الأمور وإن اختلفت الأحوال. وقد دخل التمر والعيش، كعنصرين غذائيين، في رسم بعض القواعد والعادات الاجتماعية؛ كقولهم «التمر خص والعيش قص». ويمرس التمر في الماء فيكون شراباً حلواً سائغاً؛ قالوا في المثل «عنز طاحت بمريس» أو «عنز بدو وطاحت بمريس» طاحت: كرعت، والمريس التمر الممروس في الماء؛ ويضرب المثل لمن ظفر صدفة بشيء يتوق إليه فأكثر منه، وهو شبيه بالمثل المتقدم «طاح في حفرة الدبس».

وبلغ من حبهم للنخلة كشجرة مباركة، أن احتوت مفهوم النشاط الزراعي بأكمله؛ فقيل «ماله صخله ولا نخله» أي لا شيء لديه والصخلة هي السخلة أي الصغيرة من الماعز. وبطول النخلة ضرب المثل، فالطول لا خير فيه ما لم يقارنه العقل؛ قالوا «الطول طول نخله والعقل عقل صخله»؛ ويضرب المثل لمن سِمْتُه حسن وتام وفِعْلُه أحمق وضعيف. وعلى من يملك نخلاً أن يزيد في الإنفاق كيفما شاء؛ إذ إن «الشقا على أم عسيب». وإذا حالت نخلته فعليه التخلص منها «من حالت نخلته جدعها». واستخدمت أجزاء التمرة في أمثالهم من مثل قولهم «العوف اللي يزاوم الفصمه» العوف: هو القعس، والمزاومة محاولة الحمل أو الجر، والفصمه نواة التمر؛ ويضرب المثل للتهكم من الإنسان الذي يحاول أمراً فوق طاقته.

وإذا كانت التمور قد استخدمت في صياغة كثير من الأمثال، فإن النخلة ذاتها كمنتج لتلك الثمرة قد استخدمت بعض خصائصها، كالطول الفارغ أو الاعوجاج، في وصف ما يشابهها من تصرفات الناس؛ فضرب للكسول الذي يتعلل بأوهى الأسباب، لكي لا يعمل، قولهم «الطويله ما أقدر ارقاها والقصيره كلها شوك» وقولهم في من يتجاوز فضله أقاربه إلى غيرهم «النخله العوجا بطاطها بغير حوضها» أو «النخل الأعوج سقاطه





بغير جذعه». وضرب المثل بشموخ النخلة وقوتها، قالوا «ما حلم بك يا ذرَّه» لهذا المثل حكاية تقول إن الذرّة (واحدة الذَّر وهو النمل) قالت يوماً للنخلة استعدي أيتها النخلة واشتدي، فإنني سأصعدك، فقالت النخلة هذا المثل؛ ويضرب المثل للأمر السهل لدرجة التفاهة. وعبروا عن قرب أجل الأشخاص أو الأشياء بالكناية عن قرب غروب الشمس؛ قالوا في المثل «شمسه على روس (أو أطراف) العسبان» أي شمسه على رؤوس ذوائب النخل؛ أصل ذلك أن آخر ما تغرب عليه الشمس في بيئة الفلاح، هو رؤوس ذوائب النخل. ويضرب المثل للأشياء التي قرب أجلها.

ويرد ذكر العسيب في مثلين يعبر أحدهما عن القلق والآخر عن الاستقرار قالوا «طير على راس عسيب»؛ يضرب المثل للإنسان غير المستقر القلق، وكأنه الطائر على طرف العسيب مستعد للطيران في أي لحظة. و«طيرة قرقري من عسيب في عسيب»، قرقري نوع من الطيور الصغيرة؛ ويضرب المثل للإنسان الذي لا يبرح مكانه إلى مكان بعيد، فهو ينتقل من مكان إلى مكان قريب منه.

أما الزرع وهو العنصر الغذائي الآخر والمساند للتمر، فقد استخدمه الفلاح التقليدي للتعبير عن بعض تجاربه، كقولهم «زرع البقعاوي زين مير ما سنبل»؛ يضرب لمن يمدح شيئاً فقد كل عناصر كينونته، أو فقد العنصر الأساسي للاستفادة منه. وقولهم «زرع ابن مرزوق يحصدنه بناته»؛ يضرب للاكتفاء الذاتي وقولهم «زرع سبَّاق يبذر كيسين ويجيه كيس»؛ يضرب لمن تجيء نتائجه مغايرة لتطلعاته، وهو يشبه إلى حدٍّ ما مدلول المثل الذي يقول «ما يسوى حصاده رجاده».

وإذا كانت الأمثال السابقة تحكي النتائج، فهناك أمثال أخرى تنهى عن الإغراق في تدقيق نفقات المشروعات، لئلا يفضي ذلك إلى النكوص عن تنفيذها؛ كقولهم «لو حسب الزراع زرعه ما زرع» وقولهم «لو حسبنا للعصافير ما زرعنا الدِّخن» وقولهم «لو حسبنا للطير ما بذرنا الحب». والاعتماد على النفس أمر مهم في مهنة الزراعة الشاقة، وقد تناولته أمثال أهل الحرث في صور من القول الموجز، واختارت للمثل من المحسنات البديعية ما يزيده جمالاً؛ كقولهم «كل من ياكل عصيدته يقوم بمصيبته».

أما التعاون بين الناس فقد سعت أمثال كثيرة، من أمثال أهل الحرث،



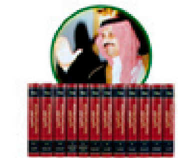


إلى تأكيده كقيمة من القيم الاجتماعية، كقولهم «حزمة صنوخ». وصنوخ جمع صنخ وهو أصل عذق (عرجون) النخلة الذي تتفرع منه الشماريخ، وأصل الكلمة «سنخ»، وهي في الفصحى، الأصل في كل شيء، ومن ذلك سنخ النصل وهي الحديدة التي تدخل في رأس السهم. والصنوخ ملساء ويصعب ربطها كأعواد الشجر، ومهما يشدّ رباطها فإنها تنسل منه؛ ويضرب المثل في عدم الالتزام برأي الجماعة. كما يضرب للقوم الذين ينفلتون من الإجماع والاجتماع في مسائل تنفيذ الأمور النافعة، أو الدفاع عن الممتلكات والأعراض. و«حزمة كرب» وحزمة الكرب لا يمسكها الحبل، لأن الكرب كثير الانزلاق والانفلات من الرباط. ويضرب المثل في الأمر أو الجماعة لا يوحدهم رباط أو كلام أو رأي.

وقد يكون الإنسان كريماً ينفع من حوله، ولكنه لا يسلم من الذم؛ قالوا «مثل الشعير ماكول، مذموم» يعتبر الشعير في الدرجة الثالثة بعد القمح والذرة في أكل الناس؛ ويضرب المثل للأمر أو الإنسان يستفاد منه ولا يسلم من الملامة والذم.

على أن كل إنسان مسؤول عن عمله لذا قالوا «كل تمر فيه حجف» والحجف هو الحشف بقلب الشين إلى جيم؛ ويضرب المثل للشيء أو الأمر فيه الطيب وفيه الرديء.

والتسامح والصبر في المسائل الزراعية -خاصة بين الشركاء نظراً لضيق ذات اليد- أمر أخذ في الاعتبار، وصوّرته أمثال أهل الحرث في صور عديدة واستخدمت الإنتاج الزراعي في صياغاته، كقولهم «وش عمر السنبلة؟» ويضرب المثل للصبر على ما ينقضي سريعاً، فالمقصود أن عمر السنبلة قصير لا يجعل الصبر على تجاوزات الشريك أمراً صعب الاحتمال؛ لأنه بعد قليل سوف يحصد الزرع وتنتهي الشراكة وينتهي معها أذى الشريك. وقولهم «معلق عباته في الكربه» وقولهم «سنبلت على كعب» والكعب العقدة التي تكون في نبات القمح، وغالباً ما يكون في النبتة عدة عقد، إلا إذا كانت ضعيفة أو كان الماء شحيحاً فلا يكون فيها إلا عقدة واحدة، وهي ما أسموه كعباً. وما دامت النبته لم تخرج سنبلتها، فيرجى أن تستمر في النمو وأن توجد فيها عقد أخرى؛ ويضرب المثل للأمر انقطع الأمل في حدوثه أو زيادته. وقولهم «زرع دنا





حصاده»؛ ويضرب للأشياء التي دنا أجلها وقرب انقضاؤها.

ونقيض الصبر التعجل وسرعة الغضب لأتفه أمر؛ يصور ذلك قولهم في المثل «تفوِّحه الخوصه» فاح القدر وغيره: غلى، ونار الخوصة ضئيلة وقصيرة الزمن، ويعني المثل أن الأمر عجل جداً أو حقير ولا يستحق شيئاً؛ ويضرب المثل لمن يغضب ويثور لأتفه الأسباب. وقولهم في المثل «شعلة ليف» الليف من المواد سريعة الاشتعال، ولكن ناره لا تلبث أن تنطفئ بعد برهة قليلة؛ ويضرب المثل للأمر قصير الأجل أو النَفَس. و«يشب بليفه» والليفة من أشد المواد اشتعالاً؛ ويضرب المثل للإنسان سريع الانفعال حاد الطبع.

وسوء التصرف بمختلف أشكاله مذموم في أعراف المجتمع الزراعي، لذا حاولت أمثالهم تصويره بصور تنفر منه؛ ففي المثل «من قلّت تدابيره حنطته كلت شعيره». وقصة المثل إن أحد المزارعين عندما حصد زرعه في وقت الصيف وكان مكوناً من الحنطة والشعير وجد إنتاجه وافراً في تلك السنة فأصابه الغرور والوهم عندما شاهد فرساً معروضة للبيع وقال لصاحبها بكم هذه الفرس قال له صاحبها بما لديك من القمح، فوافق واشترى الفرس وصار يطعمها من الشعير المخزون لديه حتى انتهى الشعير فوهنت الفرس ومرضت وأخيراً ماتت فضرب كفاً بكف وقال من قلت تدابيره حنطته كلت شعيره، فذهب قوله مثلاً. ومن شأن هذا أن يذهب عمله هباءً وينطبق عليه المثل «دَلُو ذِباذِب، لا لِلبِير ولا للجاذب» أي كالدلو التي تتذبذب، فيذهب ماؤها عند إخراجها من البئر، فلا هو بقي في البئر، ولا هو بيد الجاذب؛ يضرب المثل للشيء الذي يذهب هباءً فلا ينتفع به، بسبب التنازع عليه.

وقد يبلغ بالإنسان ضعف عقله وغفلته أن يزرع ما لا يمكن أن يزرع أو أن يكون بمنزلة من يفعل ذلك، قالوا في المثل «مخبَّل يزرع الصوف» وبعضهم يزيد فيه «يبيه ينبت خروف». والمعنى أنه مجنون يبلغ به جنونه أن يزرع الصوف مؤملاً أن ينبت منه خروف؛ يضرب لمن يأتي أعمالاً غير معقولة أو مقبولة؛ ويحكى أن قوماً قيل لهم ازرعوا صوفاً على أن تبول عليه بنات أبكار كل صباح ينبت خرافاً، ففعلوا ذلك ولبثوا مدة ينادون أحواض الصوف لعل الخراف تسمعهم فتأتي، ظلوا كذلك حتى استيئسوا وأدركوا ما وقعوا فيه من الغفلة.





وإذا كانت هذه حال من أساء تدبير أموره، فإن المفرّط في حفظ ماله يمكن أن يقال له «يفرخ في الكرب». كما أن الشخص الخشن في طباعه، يمكن أن يقال له «نبع نخله» ويضرب للشخص خشن المظهر أو المعاملة. أما القاصر في تصرفاته فهو «يجاوش بخصف»، أي يسير عكس الريح والخصف هو الحصير. والإنسان الذي لا يعرف أين يضع قدميه ويتعثر كثيراً في سيره، بسبب إهماله للأمور، يقال له «ركض البقره في الذره». كما أن الإنسان الذي لا يحسب للأمور ما تحتاجه يمكن أن يقال له «ما نتلاقى ببطيخ» إذ إن تبادل الرمي يكون عادةً بالسلاح. كما أن العداوة الخفية أخطر من الظاهرة، إذ لا تعطى الفرصة لمن يكون هدفاً لها باتخاذ الحيطة ولهذا صورت بصورة معبرة اكتسبها الفلاح من واقع تعامله مع أنواع محاصيله وخصائص كل نبتة، فقالوا عنها «ملابيد في الذره» لأن الذرة دون غيرها من أنواع الحبوب طويلة تخفي من يكون بها إخفاءً تاماً. ويُعبَّر عن وقوع المكروه أو وجود المحذور بقولهم «الذيب بالقليب».

ولأن المحاصيل الزراعية تتعرض كثيراً للآفات، وقد يتعرض المحصول إلى فناء تام، جاءت أمثال أهل الحرث تؤكد هذه الظاهرة؛ فقالوا «لا تقول حَب لما توكي غراره» أو «لا تقول بر لين توكي عليه»، أي لا تقل عن الزرع إنه حب حتى تختم على المحصول أوعيته، لأنه معرض للتلف، والغرار: أوعية نقل الحبوب ونحوها. وكذلك قولهم «لا تقول حَب لين توفي قراره»، أي لا تقل هذا حب إلا بعد أن تعرف مقداره وتسدد قيمته. وكثيراً ما يعجز الفلاح عن سداد ما عليه من ديون لضعف محاصيله أو لاجتياح الآفات زرعه من جراد أو برد، ولذلك يتأخر عن السداد؛ ولذلك قالوا في المثل الشعبي «خذ من الفلاح، ما لاح» لاح: أي ظهر، ومعنى المثل: إذا كان لك دين على فلاح، فخذ منه ما يعرضه عليك، لأن الفلاحين في الغالب، بخاصة في عهود الإمارات في نجد، كان أكثرهم مثقلين بالديون، ولا يطمع الدائن في استيفاء حقه كاملاً؛ ويضرب المثل للقبول بما يتاح وإن كان قليلاً، وإلاّ فات المرء الأمر كله، قليله وكثيره.

وإذا كانت الأمثال التي اختصت بالإنتاج الزراعي قد تجاوزت المائة، فإن تلك التي تناولت الأدوات الزراعية، كالمحالة والسريح والرشا، وأماكن الصدر وأجزاءه قد تجاوزت الستين مثلاً، وهي في نظرنا أبلغ من تلك التي





اتخذت الإنتاج الزراعــي مادة لصياغة أساليبها. فالحث على التعاون والترابط في المسائـل الزراعية أمر قد اتضـحت فوائده من واقع مدلول المثل «الى طاح من طي الركيه طيه، فاعرف ترى طي الركيه طاح». والمعنى أنه إذا سقط حجر من أحد جوانب البئر، فإن بقية الأحجار سوف تتهاوى بعده. وإذا كان التعاون جانباً مهماً في حياة الأفراد بشكل عام، والمجتمع الزراعي بشكل خاص، فإن التصرفات السيئة، كجرح مشاعر الناس بقول أو فـعل قبيح أو غيـر مناسب، أمور منهيّ عـنها كقولهم «اسكر ماك بلزاك» والمعنى لا تتفوه بقبيح لأن معنى اسكر: امنع. وقد استعاروا للكلام الماء واللزا للـفم وحفظ اللسان، أو «خـل ماك في لزاك».

والأعمال الزراعية في مجملها ذات توقيت زمني محدد، يستلزم من العامل أو الفلاح القيام بها في أوقاتهـا المحددة وكأنها أعمال إجـبارية، ولهذا قيل في أمثالهم «اسن، والا سنت بك المحاله». أي أن إعطاء كل عمل حقه أمرٌ ضروري، لكي تسير الأمور بسهولة ويـسر ولا بد من اتخاذ التدابير المنـاسبة لذلك. ومن هنـا قيـل «ادهن المحالـه يهـون زعب الغرب».

إن معاناة الفلاح تظهر بوضوح من خلال كثرة العملـيات الزراعية المختلفة والمتواصلـة، كما يشير إلـى ذلك المثل «حمار سـدوس بالليل يسـني وبالنهار يدوس»؛ إذ إن العمـليتين اللتين بُـنيت علـيهمـا تركيـبة المثـل وهما؛ يـسني ويدوس، تضمَّان بينهما جميع العمليات الزراعية الأخرى، مما يؤكد هذه المعاناة. واسم «سدوس» جاء فقط للسجع وربما كانت قرية سدوس المعروفة. وعلى الرغم من معاناة الزراعة، إلا أن الفلاح، وهو الذي يشتغل بـفلاحة أرض يملكها، له غُنْمها وعـليه غرمها، خير من الـعامل الذي يُستأجر للعمل في الأرض فقط، خاصة إذا تصورنا أن الفلاح، وهو مالك الأرض، يعيش في شظـف من العيش فكيف تكون حال العامل؟؛ ولهذا قيل «اسم فلاح ولا اسم كالف»؛ ويضرب المثل في أن بعض الأمور أهون من بعضها الآخر. ومن يجد شيئاً هو القـادر على التسلف والمقايضة قالوا «يتسلف العيش اللي عنده طحين» أي أن من يجد عيشاً سيـجد مـن يعطـيه طـحينـاً لأن الرد مضمون.

وإن كانت الزراعـة بشكل عام في شبه الجزيرة العربية، أحد مقومات جلب الرزق، فهي مهنة لا يماثلها في شقائها





إلا غنائم الحرب أو السلب أو النهب ومن هنا قيل «الرزق تحت العجاجتين: عجاجة الخيل وعجاجة المسحاة». والمعنى أن الرزق يوجد تحت العجاج الذي تثيره إما الخيل في القتال أو المسحاة عند حرث الأرض. وتعود كل أمور الفلاح بالفائدة عليه؛ فالبقرة الحلوب التي تتخذ سانية، يستخرج منها الزبد واللبن؛ ولهذا قيل «تجر رشاك وتدهن عشاك» والمعنى يعود إلى البقرة الحلوب؛ ويضرب المثل للشيء الذي يستفاد منه من وجوه عديدة.

والإنسان الذي لا يعمل عملاً شريفاً، كالفلاحة يجلب له الرزق، لا بد أن يختار أمراً غيره وربما يكون أصعب منه كالاستدانة من بعض التجار؛ ولذلك يردّد الفلاحون مثلاً في الحث على الاستمرار في الزراعة وأنها أهون من غيرها يقول «جال الركيه ولا جال ابن غنام»؛ ويضرب المثل للاختيار بين أمرين أحلاهما مُرْ. ولهذا المثل قصة ملخصها أن ابن غنام كان صاحب مزرعة، فاستخدم صبياً يسقي زرعه، وبعد أن عمل الصبي فترة من الوقت وانتجت الأرض، قال لابن غنام: أتسمح لي ياسيدي بزيارة أهلي لفترة ثم أعود؟ قال ابن غنام: بعد أن تصفي الثمرة ونقبض الثمن أعطيك الرخصة وأعطيك المعاش فانتظر. واستمر الصبي في العمل وصفى الإنتاج، وبدأ بعمل جديد وقد مضت فترة من الزمن، فأعاد الصبي الطلب فقال له ابن غنام ما قاله من قبل. وهكذا تتكرر المقولات والصبي يطلب الرخصة وابن غنام يعده؛ حتى إذا كان الصبي في يوم من الأيام وهو يسوق الحمير أمام البئر الواسع وفكرة السفر تراوده، إذا به يقول جال الركيه ولا جال ابن غنام، ثم يلقي بنفسه في البئر، وكانت نهايته. ويضرب المثل لحسم الأمر وعدم التردد في اتخاذ القرار، ولو كان القرار صعباً ومهلكاً. فقسوة الحسم أشد راحة من حيرة القلق والتردد. والإنسان لا يمكن أن يختار الأمور الصعبة على السهلة ما لم يكن مثل ثور سكيت كما في قولهم «ثور سكيت يستحب الموت على السواني». كما أن الإنسان الذي لا يحسب الأمور بدقة، سوف يضطر مع الأيام مكرهاً إلى اللجوء إلى أشياء لا يمكن أن تفيده أو تحقق له ما يريد، كما قيل «أبا الحصين يوم فاته السريح عض الدراجه»؛ بل إن زمام الأمور ربما ينفلت منه كما في قولهم «تقطع عليه الما»، ويستمر الإنسان بسبب ذلك في شقاء دائم لا أمل في الهروب منه، كما في قولهم «الحبل على الجرار» فثقل الدلو





على الحيوان الحامل الحبل، وربما خارت قوى الإنسان وبدا عليه التعب والإعياء من البحث عن عمل جديد، أو من الضيق بعمل لا يجيده كما في قولهم «البقره دايسه».

كما دلت الأمثال على قرارات خاصة، نتجت عن المعاملات الزراعية على اختلافها. فالشراكة سائدة بينهم كقولهم «خليت حق الشريك في القاع» كناية عن ترك التشاحن والطمع في حق الغير، كما يترك الشريك المنصف حق شريكه في الأرض عند اقتسام القمح، الذي هو مظنة حدوث النزاع والخصام بين الشريكين، وكقولهم «راع السدس ما يرد الحمار عن الكدس»؛ ويضرب في ضياع المال المشترك، خاصة إذا كان نصيب الشريكين غير متساو، وقولهم «راعي النصف سالم» والمثل يحتمل تفسيرات عديدة منها أن من بقي له نصف ماله بعد حدوث كارثة يعتبر سالماً، ومنها أن من شارك بالنصف قد يسلم من أذى شريكه.

وحياة الفلاح مليئة بالصور المتناقضة التي تدهش الإنسان. منها ما يرتبط بالسلوك الفردي كالشخص الذي يصوره المثل القائل «ياطا السريح عناد»، وهو كناية عن الشخص الذي يأتي الأمر المنهي عنه معاندة، وقريب من ذلك قولهم «يربض بالدوسه» والدوسة مكان دياسة الزرع، والضمير يعود إلى الحمار الذي يربض بالدوسة عناداً، ويضرب المثل لمن يحمل خصلة سيئة لا تُحتمل أو لا يخلص في أداء عمله. ومن المعاندة ما هو إصرار على الحضور والظهور بدون يأس قالوا «كربة يابسه تغطها بالماء وتظهر» الكربة خفيفة الوزن، ويربطها من يتعلم السباحة على ظهره، لتمنعه من الغوص؛ ويضرب المثل للإنسان يبقى على ما جبل عليه من طباع؛ أو يضرب المثل للشخص دائم الحضور في كل موقع وكل مناسبة؛ أو يضرب المثل كناية عن عدم اليأس للشخص مهما كانت الخسائر أو الفشل فإنه قادر على النجاح من جديد. وقالوا «لو ينبت براسه نخله»؛ يضرب هذا المثل للتحدي بحدوث ما لا يتوقع حدوثه أو المستحيل. والآخر الذي يصوره المثل «يسني على كل مسنى»، ويضرب للشخص الذي لا يتورع عن الدخول في كل مدخل، أو الذي يمكن أن يفيدك في أي باب توجهه إليه، وقد يكون المقصود عكس ذلك تماماً، كما جاء قولهم «ما يسقيك من الساقي» أو «ما يسقيك من الماء البارد»، أي لا يفهم مهما علمته، كالذي يصوره المثل «ما





يردد بالمناحي إلا البقـر» أو ذلك الذي ليس له من المحصـول شيء، كما في المثل «لا صـرّام ولا متلقي» أو «كسـر عَرَاقي» لأن عراقي الدلو إذا انكسرت لا ينتفع بها في شيء. أو ذلك العامل الذي يأخذ الكثير ولا يعطي إلا القليل، كما في المثل «الغرب غرب حميّر والبطن بطن بعيّر» أو أنه لرداءته يصرف عنه النظر في مواقف عديدة، كما في المثل «علق حمار»، أو يصل خيره لغـيره كما في المثل «عين عذاري تسقي البعيد وتخلي القريب». واليأس من الشيء يدفع إلى التخلص منه وتركه جملة كما في المثل «يامقيط، دوك رشاك» أو «يامقيط هاك رشاك» مقيط: اسم رجل. الرشا: الحبل يربط في الدلو لإخراج الماء. دوك بمعنى دونك أي خـذ؛ ويضـرب المثـل في الحمـق. ولهذا المثـل قصة، وهي أن رجلين خـرجا لصيد الصـقور، وكان الصيادون يـعلمون أن الصقور تبـيض وتربي فراخها في قمم الجبال المرتفعة، ومثل هـذه الأماكن تسـمى مصقـرة. والصقر قليل البيض، تبيض أنثاه بيضة أو بيضتين فقط. وأن الرجلين ذهبا لجذب ماكر فيه فراخ، وعادة، يوجد في الماكر ثلاث بيضات وتفقس متـتابعة؛ الأول ويسمى النادر ثم اللزيز ثم التبع. وعندما نزل مقيـط ووصل إلى الماكر (العش) قال: ابشر لقيت النادر!! قال صـاحبه الذي يمسك بالرشا: النادر لمن؟

فقال: هذا لي، وأبشر لقيت اللزيز!!

فقال صاحبه: وهذا لمن؟

فقال مقيط: هذا لاخوي!! وأبـشر لقيت التبع!!

فقال: وهذا لمن؟

فقال مقيط: هذا لابوي!!

فقال صاحبـه الذي يمسك بالرشا: يامقيط.

فقال: نعم.

قال: دوك رشاك.

وأطلـقه فهوى مـقيط مـع الطيور والرشا إلى الأرض.

ويضـرب المثل للـفعل الأخرق أو الأحمق أو للفعل الذي يدل على الجهل أو قلة الخبرة أو الحيلة.

وفي مقابل تلـك الصور المذمومة، هناك صور مشرقة لأولئك الرجال الذين تتسع صدورهم لأخطاء الجهال «صدره حياله»، أو يكون رهن الإشارة في الأمور النافعة «دلو تومي ورشاها بيدك» أو أنه جرب الأمور حلوها ومرها، حتى أصبح يميز الصالح من الطالـح «ساني ومسني عليه». ومثل هذا تجده حريصاً فهو «يسبح ويده بالرشـا»، أي يسبح في ماء البـئر





ويده ممسكة بالرشا، وهذا دليل على الحرص وشدة الاحتياط لئلا يغرق. ويضرب للحازم المفْرِط في الحزم أو للإنسان الحذر. والحقيقة أن قدرة الأشخاص تتفاوت سواء في الأمور المعنوية أو الحسية، ولهذا قالوا «ما كل حصاة تصلح ثقل»، فبعض الأشخاص ربما ينفع والآخر ربما يضر، وربما يجمع الشخص بين النفع والضّر. «دلو ماء ودلو طين» إذ هو كالبئر القليلة الماء تخرج الدلو منها مرة بماء ومرة بطين. وهو على كل حال، أفضل من ذاك الذي لا نفع فيه، كما صوره المثل «ساقي يمشي ولا ساقي ياقف». كما أن الأشخاص مهما تفاوتت قدرتهم في تنفيذ المهام الزراعية وغيرها، فيجب أخذ ضعيفهم في الاعتبار، لأنه ربما ينفع في أمور لا يجيدها إلا هو «العصفور يهزع الرشا»، و«زابن ويعطل مربوعه»، والزابن عسيب يزال خوصه ثم يربط في جانب الدراجة، ليحول دون خروج السريح من فوقها. و«لقيناه دبيه تاكل التمر وعبسه»، لقيناه: وجدناه، دبيه: مفرد دبا، صغار الجراد. ويضرب المثل للشيء الحقير أو الأمر اليسير تحدث عنه أشياء غير متوقعة لأنها فوق طاقته. وأمّا الجاهل الذي لا يتعلم مهما عُلم فمعلمه مثل الذي «يحقن بخصفه» الخصفه: وعاء التمر، وهي بداهة لا تمسك الماء، ويضرب المثل للفعل الأخرق أو الأحمق أو للفعل الذي يدل على الجهل أو قلة الخبرة أو الحيلة.

والماء الذي هو عماد الزراعة في كل بيئة، تَرَقَّبه الفلاح التقليدي في البيئة الصحراوية الشحيحة بمائها. فعرف خصائصه وهو سحاب في السماء، كما في المثل «كم بارق ما تنثر الماء مخايله»، ويضرب للشيء تؤمله فلا يحدث منه ما تريد، أما إذا قُدِّر للسحب أن تنثر ماءها فإن «السيل ما يسد بالعباة» أو «يسد السيل بعباته»، أو «سديها بليفه»؛ ويضرب لمن يعد عدة تافهة لأمور خطيرة. وإذا نزل المطر وتسرب في باطن الأرض فإن له مواقع كمغاز الريش «الما مغاز ريش»، ويضرب لعدم اليأس من وجود الماء في منطقة لم يعثر عليه في بعض أجزائها. وإذا وجد الماء واستخدمت فيه وسائل الرفع، وبدأت عمليات توجيهه في الحقل قيل عنه «الماء مثل الحمار إن سيرته سار وان حيرته حار». ونظراً لأن أغلب منشأ السحاب في وسط شبه الجزيرة العربية من جهة الغرب، فقد ضربوا للأشياء المتوقع حدوثها من خير وشر، المثل «ترعد في القبله». والعناصر المناخية مترابطة في واقعها، فالرياح هي التي تلقح





السحاب ولهذا قالوا في انتظار الأمطار بعد العجاج «عجاج يتبعه مطر» ويضرب لتحقق المنفعة بعد حدوث الإساءة، وقالوا «النسري معه الخير يسري» والنسري هي الرياح التي تأتي من جهة مطلع النسر (جهة الشمال الشرقي)، وذلك بالنسبة لوسط شبه الجزيرة العربية؛ والمقصود إذا هبت رياح الشتاء من تلك الجهة ليلاً، فإن الغالب أن يكون معها سحاب ومطر. وهذا تفسير علمي صحيح، إذ إن التقاء الرياح الشمالية الشرقية الباردة مع الرياح الجنوبية الشرقية الدافئة المحملة بالرطوبة، يعني التقاء يدفع الرياح الرطبة الجنوبية الشرقية فوق الرياح الشمالية الشرقية، فيحدث التكاثف وهطول الأمطار بإذن الله. ومن أوضح ما قاله أهل الحرث في مدح أثر الرياح في تكوين السحاب، المثل «ما كدَّرت الا وغدَّرت».

وإذا كانت مياه الأمطار أهم عنصر في حياة أهل الحرث وأهل البادية على حد سواء، فإنهم في مجملهم، وهم يشكلون أغلبية من يعتمدون على الأمطار في حياتهم في شبه الجزيرة العربية، قد أدركوا أهمية الفترة الزمنية التي تسقط فيها، لإن إمكانية الانتفاع بمياه الأمطار تختلف -بإذن الله- من فترة إلى أخرى، وفاقاً لحاجة النبات وخصائصه. ولهذا قالوا في أمثالهم «يالله صيفيه نرعى بها حوليه، ولا وسميه نرعى بها شتويه». والصيفية هي السحابة التي تمطر في الصيف؛ والصيف عندهم هو ما يسمى الآن فصل الربيع، وكانوا يسمونه القيظ، ولا ينزل فيه مطر، والتسميتان فصيحتان؛ ويضرب المثل للتفضيل، إذ أن مطر الصيف أفضل من مطر الوسمي، وهو المطر في آخر الخريف وأوائل الشتاء، ويبدأ الوسمي عندهم من ١٦ أكتوبر، ويستمر مدة أربعين يوماً.

والقمح، وهو أحد المحاصيل الرئيسية في شبه الجزيرة العربية، تختلف حاجته للماء وفقاً لفترة زرعه. فإذا تأخرت الأمطار، أو لم يهطل المطر في بعض الفترات التي يحتاج فيها القمح للماء، فإن الساني، وهو الذي يقوم بالسني سواء على الدواب أو على ظهره، يلاقي مشقة كبيرة في تلك الفترة؛ كما قال الشاعر:

عزي لسواق السواني من السرى
إلى صار هطال السماك عجاج

والسماك نوء من الأنواء سبق الحديث عنه مفصلاً. ومعنى المثل أنه يعزّ عليَّ سهر سائق السواني إذا أصبح العجاج بديلاً من السحاب الهاطل بالمطر في نوء السماك، لأن القمح في ذلك النوء يحتاج إلى ماء كثير بسبب ارتفاع درجة الحرارة.





ويقول المثل «الزرع ما ياوي ليالي خناقه»، وليالي الخناق هي الليالي التي تكون سنبلة الزرع في أعلى النبتة، ولم تخرج بعد، إذ يحتاج الزرع لماء كثير وجهد وفير، من العامل والفلاح على حد سواء.

والأمطار التي لا تأتي في أوقات حاجة الزروع إليها، لا نفع فيها ولهذا قالوا «متى يانجد تسيلين؟ الى صار الزرع بالجرين؟». والجرين البيدر أو القوع، ويضرب المثل في تأخير النفع عن وقت الحاجة. ومثل هذا أيضاً قولهم «الزرع الى ودع ما ينفعه ماه»، ويضرب للشيء الذي يفيد في وقت ولا يفيد في أوقات أخرى.

وحكمة أهل الحرث تجلت بوضوح في الربط بين النجوم والعمليات الزراعية، أو بمعنى آخر المعرفة الدقيقة لخصائص الوقت أو الزمن وربط ذلك بالجوانب الرئيسية لمهنة الفلاح، من ماء ونبات وعمليات زراعية أخرى، بل تجاوزتها إلى بعض الخصائص في حياة الفلاح نفسه. وسهيل منزل الطرفة، وهو من منازل فصل الخريف، قيلت فيه أمثال كثيرة لأهل الحرث حددت ظهوره كما في المثل «إلى صار المجر على المسر فاعرف ان سهيل قد ظهر»، وحددت بعض خصائصه؛ «إلى دلق سهيل لا تامن السيل»، و«إلى طلع سهيل رفع كيل ووضع كيل»، والمعنى أن الأسعار في سهيل تتغير، فإن كثرت الأمطار رخصت الأسعار والعكس صحيح. وقولهم «بين سهيل والمرزم نجم ييبس غزير الجم»، والمرزم: مرزم الذراع. ومما قيل في خصائصه «إلى ظهر سهيل تَلَمَّس التمر في الليل».

ومن النجوم المشهورة التي لها ارتباط واضح وتستخدم للاستدلال على تغيرات الطقس العقرب، «بالعقرب الوسطى يشيح المشرب»، والمراد إذا دخلت العقرب الوسطى، فإن المشرب الذي يسقي الزرع يشيح، أي يتعب من كثرة المواظبة والجد في سقي الزرع، لأن الزرع في ذلك الوقت يتطلب كثيراً من الماء لارتفاع حرارة الشمس. وقولهم في مثل آخر «لولا العقارب كان كل يزرع حتى العجايز ناحلات المرافق» إشارة إلى ضعفهن، وذلك للأضرار التي تخلفها تلك الفترة للمزارعين.

وللثريا قرانات عدة بالقمر، سبق الحديث عنها مفصلاً، وقد صيغت حولها أمثال سائرة استدل بها على تغيرات الطقس، منها «قران خامس ربيع غامس»، أي إذا اقترنت الثريا والقمر في اليوم الخامس من الشهر فإن الربيع،





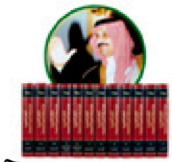
أي العشب، في ذلك العام سيكون جيداً حتى ينغمس فيه كل القوم.

وقولهم «قران ثالث ربيع ذالف»، و«قران ثالث رحال ولابث»، وقولهم «قران سابع مجيع وشابع»، وقولهم «قران حادي على القليب ترادي»، وقولهم «قران حادي، برد بادي»، وقولهم «قران تاسع، برد لاسع».

والثريا من النجوم المشهورة التي استدل بها أهل الحرث، فقالوا فيها، «إلى طلعت الثريا من عشيا ترى زرع الشتا قد تهيا»، وكقولهم في الكليبين وهو النثرة «إلى طلعت الكليبين تاخذ الحفنة من المدين»، أي إذا طلع الكليبان في الفجر فإنك تستطيع أن تأخذ حفنة الرطب من البسر، الذي قد أزهى. وقد قالوا في المرزم، وهو مرزم الذراع عند العرب القدماء «إلى طلع المرزم فامل المحزم» وفي رواية «ما بين سهيل والمرزم شوبٍ يرشف غزير الجم»، وقالوا في الجوزاء «إلى طلعت الجوزا فامل الحوزا» والحوزا أو الحوزاء هي الجيب.

وإذا كان الفلاح القديم قد استدل بطلوع الأنواء وأفولها على معرفة التغيرات الفصلية وما يتبعها من اختلافات طقسية، فإنه قد استدل بظهور بعض الظواهر في بيئته، سواء أكانت نباتية أم حيوانية، على تلك التغيرات أيضاً. من ذلك قولهم في المثل «لى طاح الكنار تساوى الليل والنهار»، والكنار: النبق. وقولهم «إلى طلع أباذار، أبرضت الاشجار، وأفرخت الأطيار، وتساوى الليل والنهار، وتعلل الجار مع الجار»، وأباذار يقال إنه الجعل، وظهوره على وجه الأرض علامة على حلول فصل الربيع، ولعل أباذار تحريف لشهر آذار، وهو الشهر الثالث من شهور السنة الشمسية السريانية، وهو أول فصل الربيع، كما مر سابقاً.

كما نقل الفلاح التقليدي، نظراً لخبرته الطويلة وممارسته لمهنته، حصيلة تلك التجارب، في أقواله الخاصة والعامة، عن خصائص بعض الظواهر الطبيعية التي ترتبط بطلوع أو أفول تلك الأنواء، ومنها قولهم «مبكية الحصني تقاها ظلالها»، والضمير يعود إلى الرياح الجنوبية الشرقية والتي تهب من مطلع الشمس. ويضرب المثل في أن بعض الأمور يجبر الإنسان على فعلها ولو كان مقتنعاً بخطأ فعله لها، فالحصيني، وهو الثعلب، يجعل باب جحره إلى جهة المشرق شتاءً، بهدف التدفئة ولكنه يفاجأ بهبوب الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية في فصل الشتاء، وتكون،





عادة، باردة ومع ذلك يستقبلها مكرهاً. ومن الأمثلة المرتبطة بهذا المعنى قولهم «اطلعوا باللحاف وانزلوا بالمهاف»، والمثل ينبىء عن إدراك عميق لخصائص التغيرات، بل وتأثيراتها الصحية على الإنسان، فالمثل يقول إذا حل الدفء في فصل الربيع، فاخرجوا من المنازل واصعدوا إلى السطوح، ومعكم اللحف، وهي الأغطية التي يلتحف بها الناس أثناء النوم لتقيهم البرد، أما إذا بدأ البرد في فصل الخريف، فانزلوا من السطوح إلى داخل الغرف، حتى ولو احتجتم إلى المراوح، لأن البقاء في البرد ضرر على الصحة. وإذا كانت التغيرات الطقسية تضر بالصحة العامة للإنسان، فإنها أيضاً تضر بالمحصولات الزراعية، بل تغير في كمال الإنتاج. والضرر بالنسبة للمحصول واضح في المثل «إلى هافت أو صافت»، والضمائر تعود لسنبلة الزرع أو ثمرته، وهافت: أصابتها الهيف، وهي رياح جنوبية حارة تهب على الزرع في وسط شبه الجزيرة العربية أحياناً، فتيبسه وتفسد ثمرته خاصة إذا احتبس المطر وأجدبت الأرض، وصافت: أصابها الصيف، أي الحر الشديد. ويضرب المثل على ادخار ما ينفع في وقت الشدة من المال.

وإذا كانت التغيرات الطقسية قد تسبب بعض الأضرار، أو بعض المنافع وفاقاً لطبيعة التغير سلباً أو إيجاباً، فإن هناك أوقاتاً محددة تصبح محل نظر وسمع أهل الحرث، نظراً لما تعنيه هذه الأوقات لمهنتهم كما في المثل «شهرين ما خلّن سمع ولا بصر، شهر الحصاد وشهر تلوين البسر»، إذ إنهما يتعبان أبصار وأسماع الناس بطول انتظار انقضائهما، وهما شهر ما قبل الحصاد وشهر ما قبل نضج التمور وتلوينها.

وفي بعض الأحيان تكون فترات النضج أو الحصاد مختلفة في خصائصها بالنسبة للثمرة الواحدة، ولهذا هدتهم حكمتهم لصوغ بعض أقوالهم في النهي عن أكل ثمرة بعينها، في زمن معين، كقولهم «اللي يبي علة بلا سبب، عليه بآخر البطيخ وأول العنب»، والمقصود بالعلة هنا المرض؛ والمثل يضرب في النهي عن أكل الفاكهة الفجة. أما الاستدلال باستحالة وجود ثمرة في فترة زمنية معينة لبعض المحاصيل أو الأشجار، فقد استخدمت في بعض مضارب الأمثال لاستحالة تلبية طلب معين، ومنها قولهم «شهوة عجوز بالشتاء حصرمه»، والحصرم: هو العنب قبل نضجه.

والفلاح التقليدي جزء من مجتمع يجمعه مع الراعي والتاجر والجمَّال



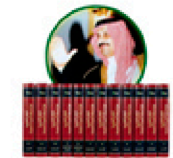
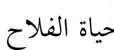


والصياد، ولهذا فهو يسعد ويشقى ويجود ويبخل بناءً على الظروف التي تحيط به، ولهذا قالوا عنهم كما مر آنفاً «إلى جاء الصرام فكل القوم كرام»، والصرام: صرام النخيل أي قطع عذوقها وأخذ ثمرها؛ ويضرب المثل لبذل المعروف في غير وقت الحاجة وكأن المثل يحث على بذل المعروف في أوقات الشدة لأنها أزكى وأنسب.

والفلاحة في مجملها حرفةٌ ذات خصائص أجبرت الفلاح التقليدي على صياغة أمثال وأقوال، تبين تلك الجوانب فهو يقول «الفلاحه عطها وتعطيك»، والمعنى وفر للأرض الزراعية ما تحتاجه من العناية، فتعطيك ما تريده منها من الغلة. و«قلّل ودلّل» ويضرب في النهي عن تكثير الزرع مع إهماله، و«كل وناة فيها خيره إلا وناة العرس والثمره»، و«الما نما» أي أن الماء نماء، والمراد أنه سبب من أسباب النماء والزيادة؛ ويضرب لتأكيد أهمية الإكثار من ري المزروعات في الأوقات التي يحتاج فيها النبات إلى الماء. ويدعو المزارع ربه بعد أن يقضي ما عليه أن يحفظ زرعه، صوَّر هذا قولهم في المثل «يكفيه الله شر البرد والبَرَد والجراد وما ولد» هذا المثل يقوله المزارع عند بذر الحبوب ويطلب من الله أن يقيه من البرد الشديد وكذلك البَرَد ويقيه أيضاً من الجراد وأولاده الدبا والكتفان والخيفان. والمثل «ياولي السما واجعله عيثري» يقوله المزارع عند نثر البذور فيدعو الله أن يجعله عيثري أي يستمر عليه المطر فلا يحتاج إلى سقيا.

والأعمال الزراعية تخصصات، فقد لا تجد الرجل الذي يجيد كل الأعمال الزراعية، فضلاً عن أن يقوم بها جميعها في آن واحد، ولهذا قالوا «كلٍّ يسني ولا كلٍّ يروس»، والمعنى ليس كل شخص يجيد عملية السني، وهي إخراج الماء من البئر، يستطيع بالضرورة إجادة عملية الرياسة، وهي إجراء الماء وتوجيهه داخل المزرعة؛ لأن الماء كما في مثلهم «مقطع السكرات»، تحتاج إدارته إلى رجل بارع ويقظ، يجيد المهنة، ويستطيع التعامل مع الظروف الطارئة. وقالوا «هو بحوض، والما بحوض» هذا المثل للفلاحين وهو من أمثالهم الخاصة، ويضرب للذي يعمل على غير هدى.

ولمّا كان المجتمع الزراعي القديم مجتمعاً ليس ميسوراً وتقوم مهنته على الكفاف، فإنه أحياناً يمتلك بدائل للتحول عنها عند الضرورة، أو عندما تكون الظروف غير مواتية لممارستها. وهذه الأمور أو البدائل قد تكون متباعدة في مدلولها، ولكنها تكشف عن الحياة في مجتمع الجزيرة



في تلك الفترة، ولهذا قالوا في أمثالهم «نسطي والا نعزق» ونسطي: أي نهجم على الجيران ونسلبهم أموالهم، أو نحرث الأرض ونزرع؛ ويضرب المثل في الجمع بين أمرين متباعدين.

وللفلاح مناسباته الخاصة، بل له ما يشبه الأعياد، فتجده يحتفل بها ويرتب لها. وتجمع احتفالاته هذه، عادة، مناسبات عديدة، لهذا قيل لمن جمع مناسبة في مناسبات عديدة «عشاً غداً عيدٍ للسيل وختامه».

وإذا كان الفلاح لا يستطيع، في معظم الأحيان، القيام بكل عملياته الزراعية بمفرده، فقد حدد لكل عمل، بل لكل فترة عمل ما يناسبها من الأجرة، سواء أكانت مقداراً من المحصول أم من النقود، ولذا قيل «الغبشه بصاع والصحبه في محلها»؛ ويضرب في تجنب المجاملة. والغبشة الفترة من الوقت بين الفجر والضحى.

وعلى الرغم من أن المحصول قد يكون قليلاً كما في المثل الذي مر سابقاً «ما لقى الحَصَّاد يلقى المتلقّط أو المتسقط»، إلا أن الفلاح قد تعارف مع بقية أفراد المجتمع على أن الانتفاع بالثمار وسد رمق الجوع لعابر السبيل، لا يعني الاعتداء ولا يأخذ معايير السرقة. ولهذا جسد تلك المعاني في عدة أمثال، لعل من أشهرها المثل «إلى مريت بزرع فانتقم»، ومعنى انتقم أو نقّم أي أخرج الحبة من سنبلتها. ويضرب المثل في جواز الأكل من الثمرة وهي على شجرها لعابر الطريق. ويمثل المثل جزءاً من قيم أهل الحرث التي يضاف لها الكثير من الخصائص الفريدة وهي مستمدة من تعاليم الدين الحنيف.



# المصادر


أبا بطين، عبداللطيف السعود

د.ت. من عيون الشعر الشعبي أو طرائف الكلام من شعر العوام. المؤلف، الرياض (مطابع الفرزدق).

الأصفهاني، أبو علي الحسن بن عبدالله

١٣٨٨/١٩٦٨. بلاد العرب. تحقيق حمد الجاسر. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

البكر، عبدالجبار

١٣٩٢/١٩٧٢ نخلة التمر ماضيها وحاضرها والجديد في زراعتها وصناعتها وتجارتها. وزارة الزراعة بغداد، بغداد.

البلادي، عاتق بن غيث

١٣٩٧/١٩٧٧ الأدب الشعبي في الحجاز. ط١. مكتبة دار البيان، دمشق.

الجلعود، علي عبدالله والشمري، عبدالعزيز سلطان

١٤١٤/١٩٩٣ البروج وعلاقتها بالزراعة في المملكة. ط١. نشر وتوزيع الهيئة العربية للكتاب، الرياض.

ابن جنيدل، سعد عبدالله

١٤٠٨/١٩٨٨ الساني والسانية. المهرجان الوطني الرابع للتراث والثقافة، الرياض.

الجهيمان، عبدالكريم عبدالعزيز

١٤٠٣/١٩٨٣ الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب. دار الثقافة، بيروت.

الجوفي، خالد فالح

١٤١٢/١٩٩١ الجغرافيا الإقليمية لمنطقة الجوف. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني

١٣٩٧/١٩٧٧ صفة جزيرة العرب. دار اليمامة للطباعة والنشر، الرياض.

حجرة، حسن حمزة

١٣٩٥/ ١٩٧٥ إمكانيات التنمية الزراعية في المملكة العربية السعودية. وزارة الزراعة والمياه، الرياض.

حسين، فالح

١٣٩٨/ ١٩٧٨ الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي. دار الفكر، دمشق.

الحميدي، عبدالله

١٤٠٦/ ١٩٨٦ جغرافية واحة القطيف. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

حيدر، أحمد محمد

١٤٠٤/ ١٩٨٤ الجغرافيا الزراعية لمنطقة عسير. رسالة ماجستير. كلية الآداب. جامعة الملك سعود، الرياض.

خسرو، ناصر

١٣٩٠/ ١٩٧٠ سفر نامة. ترجمة د. يحيى الخشاب. ط٢. دار الكتاب الجديد، بيروت.

الخطيب، عبدالكريم

١٤٠٥/ ١٩٨٥ تاريخ ينبع. المؤلف، الرياض.

الخليفة، طاهر وجوانه، محمد

١٤٠٣/ ١٩٨٣ النخيل والتمور بالمملكة العربية السعودية. وزارة الزراعة والمياه، الرياض.

ابن خميس، عبدالله

١٣٩٨/ ١٩٧٨ معجم اليمامة. مطابع الفرزدق، الرياض.

١٤٠٢/ ١٩٨٢ راشد الخلاوي. حياته وشعره. مطابع الفرزدق، الرياض.

الخويطر، عبدالعزيز

١٤٠٩/ ١٩٨٩ أي بُنيّ. ط٢. ج١. مطبعة سفير، الرياض.

الدامغ، أحمد عبدالله

١٤١٠/ ١٩٩٠ الشعر النبطي في وادي الفقي. ج١. دار عالم الكتب، الرياض.





الدبل، محمد بن سعد

١٤٠٨/ ١٩٨٨ منطقة الحريق. ط٢ . الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الرشيد، فهد المنيع

١٤٠٧/ ١٩٨٧ شعراء من الرس ط٤ . مطابع النصر الحديثة، الرياض.

الزركلي، خير الدين

١٤٠٥/ ١٩٨٥ شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز. ط٣. دار العلم للملايين، بيروت.

الزهراني، علي بن صالح السلوك

١٤١٥/ ١٩٩٥ التراث الشعبي لغامد وزهران. المؤلف، الرياض.

الزهراني، محمد مسفر حسين

١٤٠٨/ ١٩٨٨ بلاد زهران. ط٢ . الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

سادلر. ج. فورستر

١٤٠٣/ ١٩٨٣ مذكرات عن رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف في الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام ١٨١٩م. تحقيق أنس الرفاعي. دار الفكر الإسلامي، دمشق.

السبيعي، إبراهيم

١٤٠٧/ ١٩٨٧ الجغرافية التاريخية لمنطقة الرياض. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

السبيعي، عبدالله ناصر

١٤٠٧/ ١٩٨٧ اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية. الدار الوطنية للنشر والتوزيع، الخبر.

السدحان، عبدالله والغامدي، عبدالعزيز

١٤٠٥/ ١٩٨٥ الزراعة والمياه في عهد الملك عبدالعزيز. وزارة الزراعة والمياه، الرياض.

السليم، عبدالرحمن زامل

١٤٠٢/ ١٩٨٢ جغرافية منطقة الطائف. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

السويداء، عبدالرحمن بن زيد
١٤٠٣/ ١٩٨٣ نجد في الأمس القريب. دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.
١٤٠٧/ ١٩٨٧ فصيح العامي في شمال نجد. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٤٠٨/ ١٩٨٨ من شعراء الجبل العاميين. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.
١٤١٣/ ١٩٩٣ النخلة العربية. دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.

ابن سيده، علي بن إسماعيل الأندلسي
د.ت. المخصص. السفر الثاني. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

السيف، محمد إبراهيم
١٤١٠/ ١٩٩٠ التغيير الاجتماعي والعلاقات القرابية. دارسة سوسيو أنثروبولوجية في مجتمع عنيزة. الحرس الوطني، الرياض.

صالحية، محمد عيسى
١٤٠٢/ ١٩٨٢ علم الريافة عند العرب. الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.

الصرامي، علي
١٤٠٨/ ١٩٨٨ حوطة بني تميم. المؤلف، الرياض.

الصغير، إبراهيم صالح
١٤٠٤/ ١٩٨٤ جغرافية منطقة حائل. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

الطناج، محمد بن سعيد
١٤٠٥/ ١٩٨٥ موارد المياه في المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

العباسي، عبدالقادر باش أعيان
١٣٨٤/ ١٩٦٤ النخلة سيدة الشجر. مطبعة دار البصري، بغداد.

آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن
١٣٧٩/ ١٩٦٠ تحفة المستفيد في تأريخ الأحساء في القديم والجديد. تحقيق حمد الجاسر، المؤلف، الرياض (مطابع الرياض).





العبودي، محمد بن ناصر
١٣٩٩/ ١٩٧٩ الأمثال العامية في نجد. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

العجيري، صالح بن محمد
١٤٠٦/ ١٩٨٦ الاهتداء بالنجوم في الكويت. النادي العلمي، الكويت.

عريشي، محمد علي شيبان
١٤٠٢/ ١٩٨٢ جغرافية منطقة جيزان. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

العريفي، فهد العلي
١٤٠٢/ ١٩٨٢ لمحات عن منطقة حائل. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

العفنان، سعد بن خلف
١٤١٤/ ١٩٩٤ طبائع النخيل ومعاملاتها. ط١. مطابع المحيسن الحديثة، حائل.

أبو عليه، عبدالفتاح
١٤٠٦/ ١٩٨٦ الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز. دار المريخ، الرياض.

العمار، إبراهيم
١٤١٥/ ١٩٩٤ القول اللباب في المطر والسحاب مع وصف الرياح والبرق والرعد والسيول وغيرها. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

العمار، عبدالعزيز
١٤٠٥/ ١٩٨٥ الزراعة في منطقة الرياض. رسالة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

الغنايم، عبدالرحمن بن عبدالله
١٤٠٤/ ١٩٨٤ المذنب بين الماضي والحاضر. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الفهيد، منديل
١٤٠٣/ ١٩٨٣ من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية. المؤلف، الرياض (مطابع الفرزدق).

فيدال، ف - ش
١٤١٠/ ١٩٩٠ واحة الأحساء. ترجمة عبدالله السبيعي. المترجم، الرياض.

فيصل، عبدالعزيز محمد
١٩٨٨/١٤٠٨ عودة سدير. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم
١٩٥٦/١٣٧٥ كتاب الأنواء في مواسم العرب. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن، الهند.

لوريمر، ج. ج.
د.ت. دليل الخليج القسم الجغرافي. طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر، الدوحة، قطر.

المالكي، سليمان عبدالغني
١٩٨٣/ ١٤٠٣ بلاد الحجاز من بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد. دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

محمدين، محمد محمود
١٩٨٦/١٤٠٦ أصول الجغرافيا الزراعية ومجالاتها. مكتبة الخريجي، الرياض.

المرزوقي الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد
١٩١٤/١٣٣٢ الأزمنة والأمكنة. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد. الدكن (الهند).

مرعي، حسن
١٩٧١/١٣٩١ النخيل وتصنيع التمور في المملكة. وزارة الزراعة والمياه. قسم الإعلام والنشر، الرياض.

مفضي، عارف
١٩٨٨/١٤٠٨ الجوف. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد
١٩٨٧/١٤٠٨ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق م. ج. دي غويه. دار إحياء التراث العربي، بيروت.





ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد
١٤٠١/ ١٩٨١ لسان العرب. طبعة دار المعارف، القاهرة.

النافع، حمود محمد
١٤٠٨/ ١٩٨٨ شعراء وشاعرات من الزلفي. المؤلف، الرياض.

الهويمل، حسن فهد
١٤٠٢/ ١٩٨٢ بريدة حاضرة القصيم. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الوشمي، أحمد بن ساعد
١٤٠٦/ ١٩٨٦ مدينة الرياض مدينة وسكاناً. كيف كانت وكيف عاشوا. مطابع الحرس الوطني، الرياض.

الوشمي، صالح بن سليمان
١٤٠٤/ ١٩٨٤ الجواء: ماضياً وحاضراً. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الوليعي، عبدالله ناصر
١٤١٠/ ١٩٩٠ الشماسية. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.
١٤١٧/ ١٩٩٧ الجغرافيا الحيوية للمملكة العربية السعودية. مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد، الرياض.

ياقوت الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين أحمد
١٣٧٦/ ١٩٥٧ معجم البلدان. دار صادر، بيروت.

اليوسف، عبدالرزاق
١٤٠٥/ ١٩٨٥ الزلفي لمحة تاريخية وجغرافية. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

Beaumont, P.
1977 "Water and Development in Saudi Arabia". *Geographical Journal* vol. 143 (1), pp. 42-60.

British Admiralty
1920 *Handbook of Arabia*. Naval Intelligence Division, Geographical Handbook Series vols. 1, 2.

Evenari, M

1975 "Ancient Desert Agriculture and Civilaization: Do They point the Way to the Future?". *Proceedings of a Symposium on Arid Zone Development.* Cambridge, 83-98.

al-Fawzan, F.A.

1989 *The Recent Agricultural Development in Hail Region: Saudi Arabia*. Ph. D. Thesis. Universtiy of Southampton.

Abul-Haggag, Y.

1964 "On the Artesian Water of Nejd: Saudi Arabia". *Bulletin de la Societe de Geographie d'Egypt* vol 37, pp. 57-65.

Holm, H.

1955 *The Agricultural Resources of the Arabian Peninsula*. U.S.D.A., Washington.

Ritter, W.

1980 "Did Arabian Oases run Dry?". *Stuttgarter Geographische Studies* no. 95, pp. 73-92.

Stevens, J. H.

1970 "Changing Agricultural Practices in an Arabian Oasis". *Geographical Journal* Vol. 136, pp. 410-418.

Stevens, J.H.

1972 "Oasis Agriculture in the Central and Eastern Arabian Peninsula". *Geography* Vol. 57, pp. 321-326.

Twitchell, K.S.

1944 "Water resources of Saudi Arabia". *Geographical Review*, pp. 365-386.

Twitchell, K.S. and others

1943 *Report of the U.S. Agricultural Mission to Saudi Arabia*, Cairo.

Wilkinson, J.C.

1978 "Islamic Water Law with Special Reference to Oasis Settlement". *Journal of Arid Environment* vol. 1, pp. 87-96.